جذور الفكر الإسلامي

في الفرق الإسلامية بين التطرف والإرهاب

تأليف

حسن صادق



الهيئة المصرية العامة للكتاب

جذور الفكر الإسلامي

في الفرق الإسلامية بين التطرف والإرهاب

حسن صادق
المحامي



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٧

مقـــدمة

قال سبحانه وتعالى « قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهـواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » (سورة المائدة ــ ٧٧) صدق الله العظيم ٠

ان الله خلق الكون وخلق فيه الانســان والحيوان كل ليعبـده ويسعى لرزقه ولو شاء الله لجعل الجميع يهتدون ويؤمنون ولكن خلق الله العقل لنتدبر ونفكر ثم يحاسبنا على أفعالنا وأفكارنا وأنزل القرآن العظيم لنهتدى بآياته ولو شــاء الله لأدخله في قلوبنا دون جهد أو عناء ٠

وبعد وفاة الرسول ــ صلوات الله عليه وسلم ــ بدأ الخلاف فى الرأى كل يفكر حسب اجتهاده وكل يفكر حسب غرضه وكل يفكر حسب أهوائه ثم يتعرض كل منهم لآيات الله سبحانه وتعالى وحديث رسوله ــ عليه السلام ــ ليستنبط منها ما يراه لفكره ٠٠ والكل يطعن فيمن سبقوه والكل يهاجم من عداه ٠

ويتولى هذا الكتـاب شرح فكر الجمـــاعات الاســلامية المختلفـة الذين يقررون أن الاسلام هو ما يعتنقه أفرادهم فقط وأما ما خلا ذلك فلا يوجد مسلمون من بعد وفاة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وحتى الآن وعلى ذلك فجميع المسلمين على الأرض لا يستحقون الحيــاة ويحل دمهم وعرضهم ومالهم ٠

وقد جــاء القرآن الكريم سمحا ويسرا للكافة كما جاءت أحــاديث الرســول ــ عليه السلام ــ مفسرة لسماحة الدين الاســلامي ويظهر ذلك كله من الآتى :

الآيات الكريمة :

« ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين » ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي » « فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ » .

« وكذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسول الا البلاغ المبين » « فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ » (ان أنت الا نذير) « لست عليهم بمسيطر » (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين) . (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) .

الأحاديث النبوية :

(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان) (سيأتى بعدى حكام تعرفون منهم وتنكرون قال الصحابة أنقاتلهم يا رسول الله قال لا ما أقاموا الصلاة) (ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم فاشهد) (لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم أعناق بعض) (اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا) (المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه حسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم) (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) (من قال لأخيه يا كافر قد باء بها أحدهما اذا لم يكن كذلك رجعت عليه) (اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لأنه كان حريصا على قتل صاحبه) .

أما بالنسبة للدعوة الى تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية فقد نص الدستور فى مادته الثانية على أن الاسلام دين الدولة ، ومبادىء الشريعة الاسلامية مصدر رئيسى للتشريع وتقوم حاليا اللجان التشريعية المختلفة بدورها فى تطبيق هذه الأحكام من الناحية الجنائية بعد أن تم فعلا تطبيقها فى قوانين الأحوال المدنية ، الا أن التطبيق بالنسبة للأحكام الجنائية يستلزم التدرج كما فعل الرسول ﷺ عندما تلقى آيات التحريم ، فنجد تحريم الخمر مثلا نزل بالتدريج ، فاذا طبقنا حد قطع يد السارق فى السرقة فيجب أن نلجأ الى القرآن والسنة والقياس والاجماع والاجتهاد فنوفر للمواطن المسكن والمأكل والملبس والعمل ثم نقطع يده بعد ذلك حتى اذا اكتشف القاضى أن السارق كفلت له الدولة كل هذه الاحتياجات ثم سرق فيحكم عليه بقطع اليد وكذلك فى عقوبة الزنا فان اثباتها فى غاية الصعوبة فرق الرسول ﷺ بين زنا المتزوج وزنا الأعزب فالأول له الرجم والثانى له الجلد ولم يطبق الرسول ﷺ هذه العقوبة الا مرتين احداهما بعد اعتراف الجانى واصراره (وهو الصحابى ماعز) وكان الرسول ﷺ يحاول أن ينقذه قائلا له (لعلك قبلت لعلك فخذت ... الخ) وثانيهما عندما اعترفت له امرأة (الغامدية) بأنها حامل من الزنا فانتظر عليها حتى وضعت ، ووقع على الحالتين عقوبة الرجم نتيجة اعترافهما .

وهكذا تسير الدولة فى اجراءات تقنين الشريعة الاسلامية وتطبيقها مما ينفى الحكم بتكفير الدولة لعدم التطبيق .

هذا الكتاب يتعرض للمفاهيم المختلفة للتفسير من شتى الجماعات الاسلامية للدراسة وبيان الخطأ من الصواب وحتى يظهر القول الحق الصحيح لمفاهيم الاسلام .

أما من يجتهد لتنفيذ هوى فى نفسه ساعيا وراء زعامة أو رئاسة زائفة متجنبا النصوص الاسلامية الصحيحة فهو يسعى الى حتفه بظلفه ولا يجنى الشر الا من يزرعه .

وقد تناول هذا الكتاب الصراع الذى دار منذ الأزل بين العرب وبعضهم البعض والذى كان محوره دائما السلطة أو الحكم مهما كلف ذلك من اراقة للدماء وسفكها دون حق لا ينهاهم فى ذلك أحكام الدين الاسلامى أو قواعده أو أقوال الرسول ﷺ وعظاته أو تحريمه بقوله : « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار » محرما على المسلم أن يقاتل أخاه المسلم حتى وان كان هو المقتول .

وللأسف وفي أواخر القرن الخامس عشر من الهجرة نجد بلادا عربية مسلمة تتقاتل دون غرض أو هدف فقد رأينا ايران تتقاتل مع العراق وتستمر الحرب بينهما لأكثر من سبعة أعوام لا يجنى فيها أحدهما سوى الخسارة المادية والقتلى من المسلمين الذين لا ذنب لهم سوى أن حكامهم ألقوا بهم فى أتون معارك فاشلة لا مبرر لها .

كذلك نجد المسلمين يتقاتلون مع بعضهم البعض فى لبنان فحزب الله يقاتل حزب أمل وكلاهما يخسر مئات القتلى يوميا ثم أخيرا نجد العراق يغزو الكويت ويقاتل الحكومة والشعب على أثر خلاف فى الرأى يمكن أن يحل بالتفاوض الودى . واننا نناشد المسلمين بأن يطبقوا أحكام الاسلام الحقة التى تدعو الى الوفاق والاتحاد والترابط والاخوة بدلا من الفرقة والخلاف الذى أدمى قلوب المسلمين لسنوات طويلة وأن يعملوا على الاتحاد ليكونوا قوة عظيمة تحمى مصالحهم ودينهم كما فعلت من قبل الدول الغربية وحتى يصلوا الى رفع راية الاسلام ومبادئه فى كل أنحاء العالم .....

« وفقنا الله لما فيه خير الاسلام والمسلمين »

المؤلف

● الفصـــل الأول

الصراع على السلطة بعد وفاة الرسول

واغتيال الخلفاء الراشدين

بدأت خلافات المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ فى السياسة وليس فى الدين ، وتركزت الخلافات وما أدت اليه من صراعات فى موضوع الخلافة وأصول الحكم وفلسفته بالذات ·· لم يختلفوا على أن « لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله » ولا على الايمان بالغيب والملائكة والجزاء ، ومن سبق من الأنبياء والرسل وما نزل عليهم من الصحائف والكتب والألواح ، كما أنهم لم يختلفوا على الصلاة والصوم والحج الى بيت الله الحرام ·· وحتى الخلاف الذى حدث حول الزكاة على عهد أبى بكر والذى أدى الى الحروب التى سميت بـ « حروب الردة » حتى هذا الخلاف كان سياسيا لا دينيا ، والحرب والصراع من حوله دار بين « القبيلة » ·

وكان أول ما حدث من خلاف بين المسلمين بعد الرسول ﷺ اختلافهم فى الامامة ·· ولم يحدث خلاف غيره فى حياة أبى بكر وأيام عمر · الى أن ولى عثمان بن عفان ، وأنكر قوم عليه فى آخر أيامه أفعالا ··· ثم بويع على بن أبى طالب فاختلف الناس فى أمره ، فمن بين منكر لامامته قاعد عنه ، ومن مؤيد لامامته معتقدا لخلافته ·· ثم بدأ الخلاف أيام على مع طلحة والزبير وحربهما اياه ، ثم تلاه الصدام الدموى مع معاوية ومن والاه ·

وهذا الخلاف السياسى لم يكن فقط أول خلاف بل كان كذلك « أعظم خلاف » والمسلمون لم يقاتل بعضهم بعضا لأسباب دينية ، وانما جردوا السيف فقط لهذا السبب السياسى ، وقد كان هذا الخلاف هو الوحيد والأعظم حتى أمد طويل فى عصر الاسلام والمسلمين ، وحتى تمت الفتوح وتفاعلت الأفكار العربية الاسلامية ثم تصارعت مع الملل والعقائد الأخرى فظهر الخلاف فى العقائد من نحو التجسيد والتنزيه وقدم الكلمة

وخلقها وغيرها من خلافات الأصول ، أما قبل ذلك فلقد ظل الخلاف فى الامامة ومن حولها هو الخلاف الوحيد بين المسلمين ففى السقيفة وقبل دفن جثمان الرسول ﷺ حدث بين المهاجرين والأنصار أول خلاف على الامامة ٠

وبعد البيعة لأبى بكر مباشرة حدث الخلاف بينه وبين أنصاره من جانب ، وبين نفر من بنى هاشم ومعهم فئة قليلة أرادوا أن تكون البيعة لعلى بن أبى طالب من جانب آخر ، وبعد أشهر من هذه البيعة الأولى حدثت حروب الردة للخلاف حول سلطة الخليفة الجديد ، عندما استمرت بعض القبائل تدين بالاسلام ولكنها رفضت الانصياع لما حدث فى المدينة من نقل سلطة الرسول الزمنية الى أبى بكر وعهد عمر وان لم يشهد « خلافا » حول الامامة الا أنه قد شهد « جدلا » من حولها وما يشبه الصراع عليها ٠

وفى السنوات الأخيرة من عهد عثمان بن عفان برم الكثيرون بما أحدث من أحداث وطلب البعض خلعه ورفض هو محتجا بما يشبه منطق القائلين « بالحق الالهى » ثم انتهى هذا الخلاف تلك النهاية الدامية التى نقلت الصراع حول الخلافة من نطاق الخاصة الى نطاق العامة ، ومن رحاب العاصمة ليعم جميع الأصقاع والأطراف ، ومن الصراع بالوسائل السلمية الى الاستعانة بالقتال ٠

وكان عهد على سلسلة من الخلافات والصراعات والحروب حول الخلافة ٠٠ بينه وبين بقية أهل الشورى اذ حاربه بعضهم واعتزله البعض الآخر ٠٠ وبينه وبين معاوية وأهل الشام ٠٠ وبينه وبين الخوارج بعد التحكيم ٠

وفى أواخر عهد على ظهر الخلاف النظرى حول الامامة عندما ظهرت فكرة الغلو فى على المنسوبة الى عبد الله بن سبأ والتى ربما كانت رد فعل لبواكير الفكر النظرى عن الخلافة التى ظهرت بتكون الخوارج كأول فرقة منظمة من فرق الاسلام ٠

ثم كان ظهور الفكر الجبرى على عهد معاوية ، ومن بعده خلفاء بنى أمية ، تبريرا لانتقال السلطة الى الطلقاء ، وتغير طبيعتها ، اذ كان معاوية يقول : « لو لم يرن ربى أهلا لهذا الأمر ما تركنى واياه ، ولو كره الله تعالى ما نحن فيه لغيره ٠٠ وأنا خازن من خزان الله تعالى أعطى من أعطاه الله ، وأمنع من منعه الله ولو كره الله أمرا لغيره » ؟

وعندما اشتدت ثورات الخوارج وانتشرت ضـــد سلطة بنى أمية ظهرت نظرية الخوارج فى تفكيرهم وظهر الارجاء ردا على الخوارج ، ثم ظهرت نظرية المنزلة بين المنزلتين ٠٠ كل ذلك فى خضم الصراع على السلطة وبسبب الخلافة ومن حولها ، وهكذا كان خلاف المسلمين حول السلطة والخلافة وأصول الحكم وفلسفته : أول خلاف ، وأعظم خلاف ، وأطول خلاف ٠

عهـد أبى بكر :

واذا تناولنا الصراع على السـلطة فى عهد أبى بكر نجد أن النبى ﷺ كان قد أصـدر دستورا للدولة الاســلامية سـماه « الصحيفة » أو « الكتاب » ٠ وهو تعاقد تم بين أطراف عدة اجتمعت على تكوين هذه الجماعة الجديدة ودولتها الجديدة ٠

السطور الأولى لهذا الدسـتور تقول : « هذا كتاب من محمد النبى بين : المؤمنين المسلمين من قريش ، ويثرب ، ومن تبعهم ، ولحق بهم ، وجاهد معهم ، انهم أمة واحدة من دون الناس » ٠

ثم يمضى الدسـتور ليعدد بالتفصيل لبنات هذا الكيان الذى حولته هذه الدولة الى « أمة واحدة من دون الناس » فيذكر المهاجرين من قريش كحى مستقل له ذاتيـة متميزة وبين أفراده روابط خاصـة لا يشتركون فيهـا مع غيرهم من أعضاء هذه الأمة الجديدة « فالمهـاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعـروف والقسـط بين المؤمنين » ٠

ثم يذكر قبـائل المدينة وأحياءها فيجعل لكل حى تلك الذاتيـة المتميزة ويقر أفراده على نفس الروابـط الخاصة التى تربطهم والتى لا يشتركون فيها مع أعضـاء الأمة الجديدة ٠٠ وفى هذا الصدد يذكر أحياء بنى عوف ٠٠ وبنى الحارث ٠٠ وبنى ساعدة ٠٠ وبنى جشم ٠٠ وبنى النجار ٠٠ وبنى عمرو ٠٠ وبنى النبيت ٠٠ وبنى الأوس ٠

ثم يقرر الدسـتور نوعا من الاتحـاد الذى يجمع بين المؤمنين ، المهاجرين والأنصـــار فى صورة حقوق مشتركة وواجبات واحدة ومميزات متساوية وعلائق متحددة ٠٠ فيقرر « أن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن

يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل وأنه لا يحالف مؤمن من دونه ، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم ، أو ابتغى دسيسة ظلم أو اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم ٠٠ ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن ٠٠ وأن ذمة الله واحدة ، يجير عليه أدناهم ٠٠ وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس وان سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله عز وجل الا على سواء وعدل بينهم وان المؤمنين ينبىء بعضهم عن بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله وان المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ٠٠ وأن من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود به ، الا أن يرضى ولى المقتول ، وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم الا القيام عليه وانه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يأويه ٠٠ وأنكم مهما اختلفتم فيه من شىء فان مرده الى الله والى محمد » ٠

ثم يمضى الدستور فيتحدث عن يهود المدينة ، الذين يكونون لبنة من لبنات هذه الجماعة الجديدة ، فيذكر أحياءهم كما ذكر أحياء الأنصار يهود بنى عوف ٠٠ ويهود بنى النجار ويهود بنى الحارث ٠٠ ويهود بنى سعادة ٠٠ ويهود بنى جشم ٠٠ ويهود بنى الأوس ٠٠ ويهود بنى ثعلبة ٠

ثم يتحدث عما لليهود بعضهم مع بعض من روابط خاصة وعلائق متميزة وعما يجمعهم مع المؤمنين من روابط ومسئوليات وحقوق وواجبات تكون وحدتهم فى هذه الجماعة الجديدة ٠٠ وكذلك يمضى الدستور الى الحديث بنفس المنهج عن الموالى الذين يتبعون تلك القبائل وهذه الأحياء فالوحدة التى تكونت على أساسها هذه الجماعة الجديد هى مزيج من « وحدة القبيلة » و « الوحدة الدينية » و « الوحدة السياسية » التى تجمع المسلمين واليهود ضد مشركى قريش وحلفائهم ٠٠ قبائل المسلمين كان منها وحدة بذاتها ثم المسلمون جميعا وحدة واحدة وقبائل اليهود أو بالأحرى الأجزاء والأحياء اليهودية من هذه القبائل كل منها تكون وحدة ثم اليهود معا يكونون وحدة واحدة ثم المسلمون واليهود جميعا يكونون وحدة هذه الجماعة الجديدة وبتعبير الصحيفة « ان اليهود أمة مع المؤمنين » ، لقد بقيت اذن وعاشت داخل هذه الوحدة الجديدة ذاتية القبيلة ونعراتها ومصالحها وتقاليدها وطموحاتها ولم تكن السلطة فى عهد الرسول ﷺ مطمع أحد لأنه المتلقى عن السماء الذى ضم السلطة الزمنية الى سلطات الدين ، أما وقد انتقل الى بارئه والتقى المهاجرون والأنصار فى سقيفة بنى ساعدة فما كان غريبا ولا شاذا أن يحدث التنافس والخلاف

والصراع على السلطة والامارة ·· فهم جميعا مسلمون ولم يختلفوا فى الدين ولكنهم أبناء دولة واحدة احتفظ دستورها لكل قبيلة من قبائلها بذاتية متميزة ولقد جمعهم بالأمس الولاء لسلطان الرسول فى حياته فخلافهم على هذا السلطان فى جانبه الزمنى بعد وفاته هو أمر مشروع لا يقدح فى ايمانهم بالله ولا فى وفائهم لرسوله ﷺ ·

ليس بالشاذ اذن أن يقع الخلاف بين قريش والأنصار بل لقد كان الطبيعى والمنتظر أن يقع هذا الخلاف فقريش كانت تشعر بأن الأنصار بعد الهجرة وبالاسلام يحاولون أن يحتلوا بين العرب مكانتهم وهى قبل الاسلام ومدينتهم يثرب قد انتزعت أهمية العاصمة من مكة ناهيك من دخول الأنصار بل جيش الفتح على قريش فى عقر دارها الأمر الذى أدخل مسلمى الفتح القريشيين فى الدين الجديد رهبة من سيف الاسلام الذى كان أغلب حملته يومئذ من الأنصار ·· بل ان موقف سعد بن عبادة الذى طمح الى الامارة يوم السقيفة قبل أن تنتزعها منه قريش لأبى بكر ليعد مقدمة لخلاف السقيفة · فلقد كانت راية جيش الفتح فى ذلك اليوم مع سعد بن عبادة وكانت أوامر الرسول ﷺ ألا يبدأ المسلمون بقتال ولكن يبدو أن سعد بن عبادة كان يريد أن يستأصل شأفة القريشيين الذين لم يدخلوا بعد فى الاسلام ، وهم الذين سبق أن قبضوا عليه عند رجوعه ليثرب من بيعة العقبة وعادوا به لمكة وعذبوه فجعلوا يده الى عنقه وظلوا يضربونه ويجزون شعره وعندما مر بأبى سفيان زعيم قريش نظر اليه سعد وقال « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشا » ·

فلما حاذى موكب الرسول ﷺ مكان أبى سفيان فزع اليه وناداه « يا رسول الله أأمرت بقتل قومك فان زعم سعد ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا وقال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة اليوم أذل الله قريشا وانى أناشدك الله فى قومك فأنت أبر الناس وأوصلهم وأرحمهم » ·

وذهب العباس بن عبد المطلب الى الرسول ﷺ يقول يا رسول الله هلكت قريش لا قريش بعد اليوم ان سعد بن عبادة قال كذا وكذا وأنه ضيق على قريش ولابد أن يستأصلهم · فهدأ رسول الله ﷺ من روع أبى سفيان وقال له « يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله فيه قريشا » · وعالج الرسول ﷺ الأمر بحكمته فأمر أن تنتزع الراية من سعد بن عبادة وتدفع الى ابنه قيس بن سعد لئلا يجد فى نفسه شيئا ·

لقد كانت ضغينة في نفس سعد بن عبادة ضد قريش التي غزت المدينة يوم الأحزاب وقتلت من قومه يوم أحد وحاربها الأنصار عشر سنوات قبل يوم الفتح واذا جاز للباحثين والمؤرخين أن يروا في بغض مسلمة الفتح لعلي بن أبي طالب شعورا له ما يبرره لقتله بعض أهلهم وهم على الكفر أفلا نجد لبغض سعد بن عبادة لمشركي قريش ما يبرره وهم الذين قتلوا من قومه أبطالا حاربوا تحت رايات الاسلام ؟

وموقف ثان يجسد المشاعر غير الودية التي كانت لدى سعد بن عبادة وقومه الأنصار تجاه قريش ، فعقب غزوة حنين قسم الرسول ﷺ غنائمها في قريش وقبائل أخرى واستثنى الأنصار « فوجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة » فذهب سعد بن عبادة الى رسول الله ﷺ وقال له يا رسول الله : « ان هذا الحي من الأنصار وجدوا عليك في أنفسهم بما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت : قسمت في قومك وأعطيت قوما من العرب عطايا عظاما ولم يكن في هذا الحي من الأنصار منها شيء ؟ » . وأراد الرسول ﷺ أن يعلم : هل وجد سعد كما وجدت الأنصار ؟ فسأله : « فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ » فقال يا رسول الله ما أنا الا من قومي .. عند ذلك طلب الرسول ﷺ من سعد أن يجمع الأنصار ، وخطبهم فطيب خاطرهم عندما قال : « ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعون برسول الله الى رحالكم ؟ . والذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار . ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار .. فبكى القوم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا » .

كانت الأنصار قد أدركت منذ بيعة العقبة أنها بهجرة الرسول ﷺ الى يثرب انما تؤسس ملك العرب بقيادتها وتجعل من مدينتها عاصمة الرسول ﷺ والعرب ومنارة الاسلام ومنذ ذلك اليوم كانت تخشى أن تعود القيادة والعاصمة الى قريش ومكة من جديد .. فلقد استوثقوا من الرسول ﷺ منذ تلك البيعة أن انحيازه اليهم ليس موقوتا وذلك عندما سألوه : هل عسيت أن نحن فعلنا ذلك ــ فوفينا بما عاهدناك عليه ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ .. فأجابهم الرسول ﷺ : « بل الدم الدم ، الهدم الهدم ، أنتم مني وأنا منكم أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » .

كانت الأنصار قد طمحت الى القيادة وكان سعد بن عبادة زعيم الخزرج والمتحدث في المواطن باسم الأنصار ، وأحد النقباء الاثني عشر

الذين بايعوا باسم قومهم رسول الله ﷺ فى بيعة العقبة ، كان مؤهلا للقيادة وطامحا اليها كذلك ، وكان هذا الحى من قريش الذى يتزعمه المهاجرون الأولون هو الند المنافس فى هذا المقام . وبينما المهاجرون الأولون فى شغل بأمر تجهيز الرسول ﷺ لدفنه ، وبأمر تهدئة النفوس التى أفزعها موته وبعد أن تواعدوا على أرجاء البت فى أمر الامارة الى الغد .

اجتمعت الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة كى يتدبروا أمرهم وأمر الامارة وموقفهم من المهاجرين ، اذا هم نازعوهم الأمر ، وفى الاجتماع ومن بين الأنصار كانت هناك (عيون) لأبى بكر تحبه وترى أحقيته فى الخلافة ومن هذه العيون رجلان من الأنصار ، ممن شهدوا بدرا هما : عويم بن ساعدة ، ومعن بن عدى .. كان هذان الرجلان ذوى حب لأبى بكر فى حياة رسول الله ﷺ واتفق مع ذلك بغض وشحناء كانت بينهما وبين سعد بن عبادة .. فلما نصب الأنصار سعدا قال عويم بن ساعدة : يا معشر الخزرج ان كان هذا الأمر فيكم فعرفونا ذلك وبرهنوا حتى نبايعكم وان كان لهم (المهاجرون) دونكم فسلموا اليهم فوالله ما هلك رسول الله حتى عرفنا أبى بكر خليفة .. فشتمه الأنصار وأخرجوه فانطلق مسرعا حتى التحق بأبى بكر فشحذ عزمه على طلب الخلافة .. ولقد عرف أبو بكر لمعن بن عدى وعويم بن ساعدة صنيعهما فأكرمهما فى خلافته بينما أقبلت الأنصار عليهما فعيروهما بانطلاقهما الى المهاجرين وأكبروا فعلهما فى ذلك .

كان الأنصار قد استمعوا الى خطبة سعد بن عبادة التى كان يجهر بها نيابة عنه ــ لمرضه ــ ولده قيس بن سعد .. وفى هذه الخطبة اجتهد أن يضيف الى الأنصار الميزة التى يفخر بها المهاجرون الأولون ميزة (السابقة فى الدين) .. فحدثهم أن الذين أسلموا بمكة قبل الهجرة فى بضع عشرة سنة هم نفر قليل كانوا ضعفاء لا يستطيعون الجهر بدينهم ومن ثم فان لكم ــ للأنصار ــ سابقة الدين وفضيلة فى الاسلام ليست لقبيلة من العرب . وتحدث عن دور الأنصار فى نشر الاسلام وتأييد رسوله ، ثم خلص الى الغاية المرجوة فقال : « فشدوا أيديكم بهذا الأمر ، فانكم أحق الناس وأولاهم به » .

ولقد وافق الأنصار جميعا سعد على رأيه بل واختاروه للامارة .. وكتب التاريخ ومصادره تشير الى أن هناك ما يشبه البيعة أو الشروع فى البيعة . هذا ما حدث من الأنصار لسعد بن عبادة ، فابن قتيبة

يقول : انهم أجابوا جميعا : « أن قد وفقت فى الرأى وأصبت فى القول ولن نعد ما رأيت ، نوليك هذا الأمر ، فانك مقنع ولصـــالح المؤمنين رضى » .. وعبارة الطبرى فأجابوه بأجمعهم : « أن قد وفقت فى الرأى وأصبت فى القول ولن نعد ما رأيت ، نوليك هذا الأمر ، فانك فينـا مقنع ولصالح المؤمنين رضى » .

ثم تدارس الأنصـــار ما يصنعون باعتراض المهاجرين على استئثار الأنصـــار بالامارة ، وظهر فيهم تيـاران ، تيار يرى طرد المهاجرين من المدينة ان هم أبوا الانصـياع لامارة سعد بن عبـادة وتيار يرى اقتسام الامارة معهم يليها المهاجرون فاذا هلك وليها الأنصار ، وهـكذا دواليك . وعندما سمع سعد بن عبادة هذا الحل الوســط ، رأى فيه تراجعا من الأنصار عن تصميمهم على الاستئثار بالامارة ، وقال : « هذا أول الوهن » .

وفى تلك الأثناء دخل الى اجتماع السقيفة ثلاثة من هيئة المهاجرين الأولين ، هم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح فتحدث أبو بكر عن حق المهاجرين الأولين فى هذا الأمر وتقدمهم فيه على الأنصـــار دون أن ينكر فضل الأنصار وبلاءهم ولكنه وضعهم فى الترتيب بعد المهاجرين الأولين « فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء لانفتات دونكم بمشنورة ولا تنقضى دونكم الأمور » . وتحدث عن امتياز المهاجرين الأولين بأنهم (أول الناس اسلاما) وأنهم عشيرة رسول الله وأشار الى ضرورة سياسية تجعل من وضع الامارة فى قريش عامل توحيد للعرب أكثر مما لو وضعت الامارة فى غير قريش فقال : « لأننا نحن أوسط العرب أنسابا ، ليست قبيلة من قبائل العرب الا والقريش فيها ولادة » .

وعند ذلك عرض الأنصار حلهم الوسط : تعاقب أمير من الأنصار بعـد أمير من قريش وهكذا فرفضـــه أبو بكر وقدم بدلا منه اقتراح « نحن الأمراء وأنتم الوزراء لانفتات دونكم بمشورة ولا تنقضى دونكم الأمور » فأعلن الحباب بن المنذر بن زيد بن حرام اقتراحه طرد المهاجرين من المدينة واستئثار الأنصـــار بالامارة ورد عليـه عمر : « أنه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا ينبغى أن تولى هذا الأمر الا من كانت النبوة فيهم وأولو الأمر منهم .. من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته الا مدل بباطل أو متجانف لاثم أو متورط فى هلكة » .. وعند هذا الطـور من المناظرة والجدال ، عملت بعض المتناقضات فى صفوف الأنصار عملها فساعدت على حسم الموقف لصالح المهاجرين اذ يجمع المؤرخون على أن بشير بن سعد كان

يخشى امارة ابن عمه سعد بن عبادة ، حسدا له وعلى أن الأوس وزعيمها أسيد بن حضير كانت تخشى استئثار الخزرج بتأمير سعد بن عبادة حذرا من بقاء الامارة فى الخزرج دون الأوس ٠٠ وعندما زكى بشير بن سعد امارة المهاجرين وبادر عمر الى طلب البيعة لأبى بكر فسبق بشير بن سعد الى بيعته ، بايعت الأوس والخزرج ، وكل من بالسقيفة خلا سعد بن عبادة الذى ظل على موقفه بل غدا (لا يصلى بصلاتهم ولا يجمع معهم ويحج ولا يفيض معهم بافاضتهم) حتى قتل بالشام فى عهد عمر بن الخطاب ٠٠ وعندما انطلق الخبر الى أحيـاء المدينة (اجتمعت بنو أمية الى عثمان واجتمعت بنو زهرة الى سعد وعبد الرحمن واجتمعت بنو هاشم الى بيت على بن أبى طالب) ٠

والأربعة من أعضاء هيئة المهاجرين الأولين ـ فطاف عمر وأبو عبيدة على هؤلاء المجتمعين ودعوهم الى بيعة أبى بكر ، فبادر بنو أمية وبنو زهرة الى البيعة وتأخرت بيعة على ورهطه الى حين ٠٠ ذلك أن بنى هاشم ، بل وبعضهم بنى أمية الذين يلتقون مع الهاشميين فى النسب عن جدهم عبد مناف قد اعترضوا على تولى (تيم) الخلافة ممثلة فى أبى بكر ونصرة (عدى) لها فى ذلك ممثلة فى عمر بن الخطاب ، ورأى الهاشميون أن هذا الفوز الذى أحرزته قريش على الأنصار فى السقيفة يجب أن يكون من نصيبهم هم ، لسبب أوحد يميزهم ويمتازون به وهو القرب من رســول الله ﷺ ٠٠ فهـــذا الموقف من على بن أبى طالب ومن وقف معه وقد طرح فى الفكر الاسلامى منذ ذلك الوقت المبكر ، ذلك السؤال : ما علاقة الدنيا بالدين ؟ وما هو الموقف من قضية الجمع بين الخلافة كمنصـب سياسى والقرابة النسبية والعرقيـة برســول الله ﷺ ؟؟ تلك القضية التى اختلف المسلمون من حولهـا طوال عصور تاريخهم ولا زالوا عليها يختلفون ٠

فعلى لم يمتنع عن بيعة أبى بكر الا لأنه رأى نفســه الأحق بهذا الأمر ، وهو لم ير نفسه الأحق لأنه أكثر علما أو بلاء أو أسبق اسلاما الخ ٠٠ الخ ٠٠٠ فهذه أسباب تحدث عنهـا الذين أتوا من بعد عندما فصلوا وبرروا الحجج والنظريات ، وهو أن ذكر بعض هذه الأسباب فانما كان يذكرها كأمور ثانوية مســاعدة ٠٠ أما حجته على أنه الأحق فتتركز فى علاقته النسبية بالنبى وقرابته للرسول عليه السلام ٠٠ فهو ممثل بنى هاشم فى هيئة المهاجرين الأولين التى تكونت فى عهد النبى الهاشمى وفوق صفته الهاشمية فانه زوج بنت الرسول ، ووالد النسل الباقى للنبى الحسن والحسين ، ومن ثم فانه الوحيد من بين أعضاء هذه

الهيئة الذى ينطبق عليه أنه من (بيت الرسول) وهى صفة أخص من القريشية بل وأخص من الهاشمية أيضا · فنحن اذن بازاء (نظرية) تريد الاستمرار على نحــو ما ، لمـا كان على عهـــد الرســـول ﷺ من الجمع بين السلطتين ، الدينية ، والدنيوية فى (بيت واحد) وانه اذا كان رحيل رســـول الله ﷺ عن الدنيـــا قد أنهى جميع السلطتين فى (ذات واحدة) ، فيجب أن نستبدل بذلك جمعها فى (ذات البيت) بدلا من (ذات الفرد) ·· ولذلك كانت حجة على الأولى والأخيرة فى أول مواجهة ناظر فيها الأعضاء الثلاثة من هيئة المهاجرين الأولين الذين أداروا دفة السلطة واقامة نظام الخلافة ، أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ·· كانت حجة على الأولى والأخيرة ، بل الوحيدة : أن الخلافة يجب أن تكون فى بيت الرسول ، وأنه هو الوحيد من هذا البيت الموجود فى « هيئة المهاجرين الأولين » فهو الأحق بها · وفى هذه المناظرة التى دارت عندما حضر الى مجلس أبى بكر كى يبايع ·· اشتد عليه عمر فقال : « انك لست متروكا حتى تبايع ·· » وكرر أبو بكر له القول فقال له : « ان لم تبايع فلا أكرهك ··· » وعرض عليه أبو عبيدة منطقه وحججه فقال : « يا بن عم ، انك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور ، فانك ان تعش ويطل بقاء بك فأنت لهذا الأمر خليق وحقيق فى فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك » ·

وهناك قدم على حجته موجزة فى نظـرية (أحقية أهل البيت) فقال : « الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد فى العرب من داره وقعر بيته الى دوركم وقعور بيوتكم ، وتدفعون أهله عن مقامه فى الناس فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به ، لأنا أهل البيت ، ونحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارىء لكتاب الله ، الفقيه فى دين الله العالم بسنن رسول الله المتطلع لأمر الرعية الدافع عنهم الأمور السيئة القاسم بينهم بالسوية والله انه لفينا ، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعدا » ·

كانت تلك حجة على ونظريته ·· وكان ســلاحه الذى شهره فى سعيه لانتزاع الخلافة من (تيم) أبى بكر الى بيت الرســول واليه ، كان سلاحه هو ذلك الرباط الذى يربطه بالرسول ويجعله من بيته ، أى فاطمة بنت الرسول عليه السلام ·· فكان يخرج بها ليلا راكبة جملا ، ويطوف بها على مجالس الأنصار وأحيائهم تسألهم النصرة لعلى فى قضية الخلافة ، ولكنهم كانوا يقولون لها : « يا بنت رسول الله ، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل » أبى بكر الصديق ·

كانت تلك حجة علي ونظريته التي داوم على تكرارها مدة امتناعه عن بيعة أبي بكر ، وظل يذكر الناس بها بعد ذلك في مواطن التذكر .. فعندما تجدد الصراع معه على الامارة ، مع معاوية بن أبي سفيان ، ذكر الناس بذلك الصراع القديم ، وبأحقيته في الأمر ، فقال : « .. أما الاستبداد علينا بهذا المقام ، ونحن الأعلون نسبا ، والأشدون برسول الله نوطا (أي تعلقا وأثرة) فانها كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم .. » وفي موطن آخر يتعجب من حجر الآخرين فيقول : « واعجباه أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة ؟؟؟ » .

والأمر الذي يؤكد أن تلك كانت نظرية (علي) الوحيدة وأن وجود فاطمة زوجة له كان سلاحه الأول والأقوى في طلب الامارة يومئذ ، أن موت فاطمة قد أفقده هذا السلاح فانهارت مقاومته وبايع أبا بكر ودخل فيما دخل فيه المسلمون . والطبري يتحدث عن هذا التطور الهام في موقف علي فيقول : « وكان لعلي وجه من الناس في حياة فاطمة ، فلما توفيت انصرفت وجوه الناس عن علي » .

فموت فاطمة لم يغير من صفات علي وكفاءته شيئا وهو لم يؤثر في انتسابه الى الفرع الهاشمي من قريش بل ولا في علاقته ببيت الرسول ﷺ ، لأنه ظل الأب الوحيد للنسل الوحيد الباقي للرسول ﷺ الحسن والحسين .. ولكن تقاليد العرب وعاداتهم كانت تقيم وزنا كبيرا لعلاقة النسب المتمثلة في وجود امرأة من قبيلة لدى قبيلة أخرى ، فالعلاقة قائمة لأن فلانة عند القبيلة الفلانية والعلاقة حميمة وخاصة لأن فلانة عند فلان .

أما وقد ماتت فاطمة فان العلاقة المباشرة والخاصة التي ربطت عليا ببيت محمد قد زالت ، ومن هنا كانت المعاني التي حملها على كلماته وهو يدفن فاطمة عندما ناجى أباها فقال : « أما حزني فسرمد ، وأما ليلي فمسهد ، الى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم .. وستخبرك ابنتك بتضامر أمتك على هضمها فأحفها » ـ أي استقصها ـ السؤال واستخبرها الحال ـ .. ويتحدث الطبري عن ارتباط بيعة علي لأبي بكر بموت فاطمة فيقول : « فلما رأى علي انصراف وجوه الناس عنه ضرع الى مصالحة أبي بكر ، فأرسل الى أبي بكر أن ائتنا ، ولا يأتنا معك أحد فانطلق أبو بكر فدخل على (علي) ، وقد جمع بني هاشم عنده فقام علي فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد فانه لم يمنعنا من أن نبايعك يا أبا بكر انكار لفضيلتك ولا نفاسة عليك بخير ساقه الله اليك ، ولكنا

كنا نرى ان لنا فى هذا الأمر حقا فاستبددتم به علينا ٠٠ » ثم تواعدا على البيعة بالمسجد فى العشية فتمت ٠٠ وعند ذلك أقبل الناس على (علی) فقالوا « أصبت يا أبا حسن وأحسنت ٠٠ » ولكن هناك شبهة على تفسيرنا هذا لسبب انتهاء مقاطعة على لبيعة أبى بكر ، تأتى من كلمات عدة رويت عن على تفسر سبب تغييره لموقفه بأنه الخوف من تفرق كلمة المسلمين وضياع دولة الاسلام وتشير الى أنه قد بايع عندما برزت مخاطر (حروب الردة) بالذات ٠ وليس بسبب فاطمة وموتها وانقطاع السبب المتين الذى كان يجعله جزءا من (بيت محمد) وليس من هاشم فقط ٠ وهذه الشبهة تعتمد على أن فاطمة قد ماتت بعد الرسول ﷺ بستة أشهر ، وهو القول المشهور فى تاريخ وفاتها ، بينما حروب الردة قد حدثت قبل ذلك ٠

فالثابت أن الرسول ﷺ قد توفى فى ربيع الأول والثابت كذلك أن بدايات (حروب الردة) قد حدثت فى جمادى الأولى أو جمادى الأخرة ، أى بعد ثلاثة أشهر أو أربعة من وفاة الرسول عليه السلام ، والثابت أيضا أن على بن أبى طالب قد أسهم فى المشورة لأبى بكر فى هذه الحروب ونهض بواجباته العملية فيها ٠

والأرجح ـ أن حروب الردة قد حدثت بعد وفاة فاطمة وبيعة على لأبى بكر ، ذلك أن تاريخ وفاة فاطمة فيه خلاف كبير ٠٠ صحيح أن المشهور أنها قد ماتت بعد ستة أشهر من وفاة الرسول ﷺ ، ولكن هناك رأيا ثانيا يقول : انها ماتت بعد وفاته بثلاثة أشهر ، ورأيا ثالثا يقول : بل عاشت بعده سبعين يوما فقط ٠٠ وهذا الرأى الأخير وكذلك الذى قبله يجعل من وفاتها أمرا سابقا على (حروب الردة) فتكون تلك الحروب قد نشبت بعد أن ماتت فاطمة ، وانصرفت وجوه الناس عن على ، وبايع بالخلافة أبا بكر الصديق ٠

فأبو بكر الصديق قد أنفذ جيش أسامة بن زيد فى آخر شهر ربيع الأول ، وعاد هذا الجيش بعد أربعين يوما من شخوصه ويقال بعد سبعين يوما وعقب عودة جيش أسامة خرج أبو بكر فى أولى جولاته (بحروب الردة) وهى الجولة التى حدثت فى المكان المعروف بذى القصة وكانت ثغرات المدينة وأبوابها يومئذ تحت حراسة على والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود فلو أن جيش أسامة قد مكث فى أرض الشراة بالشام أربعين يوما تكون جولة ذى القصة فى جمادى الآخرة وعلى الرأى الأول أنها أربعون يوما ، تكون حرب الردة قد حدثت بعد وفاة فاطمة حتى

ولو كانت قد عاشت بعد الرسول ﷺ سبعين يومـــا تكون (حــرب الردة) قد حدثت بعد وفاة فاطمة وحتى اذا قلنا أن وفاتها بعد النبى بثلاثة أشهر ٠

ففى كل الحالات يستقيم لنا التفسير الذى قدمنــاه لعدول على بن أبى طالب عن موقفه ودخوله فيما دخل فيه الناس ٠٠ ولقد كان هــذا التغيير ايذانا بتدعيم حجج النظرية التى ولدت منذ ذلك التاريخ فى مواجهة نظرية على اذ فى مواجهة الدعوة لجمع السلطتين فى بيت واحد كانت هناك النظرية الداعية للفصل بين مواطن كل من هاتين السلطتين ، وهى النظرية التى عبر عنهـــا عمر بن الخطاب عندما قال لعبـد الله بن عبـــاس : « يا عبد الله ، أنت أهل رســـول الله وآله ، وبنو عمه ، فما تقول فى منع قومكم منكم ؟؟ » قال : « لا أدرى علتها ، والله ما أضمرنا لهم الا خيرا » فقال عمر ، معبرا عن نظرية فصل السلطتين : « ان قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوة والخلافة ، فتذهبوا فى السماء شمخا بذخا » ٠

بل ان فى كلام على بن أبى طالب نفسه ما يؤكد قيام هذه النظرية منذ ذلك التاريخ وما يؤكد أن قريشا قد اتخذت هذا الموقف ، ففصلت بين بيت النبوة وبيت الخلافة ، وانتقلت بالخلافة من بيت الى بيت متحاشية بيت النبوة حتى لا تكون شبهة توحد السلطتين وتربط بينهما ربطا دينيا أى أبديا ولقد ظل هذا الموقف حتى حدوث الثورة على عثمان وتولى على الخلافة من قبل الثوار ٠٠ يعبر على عن هذه الحقيقة الهامة فيقول فى مداولات هيئة المهاجرين الأولين التى أفضت الى تنصيب عثمان ، بعـد وفاة عمر يقول : « انى لا أعلم ما فى أنفسكم ، أن الناس ينظرون الى قريش وقريش تنظر فى صلاحها فتقول : ان ولى الأمر بنو هاشم لم يخرج منهم أبدا وما كان فى غيرهم فهو متداول فى بطون قريش ؟ » ٠

وحتى بعد بيعة على ورهطه وحتى بعد انتهاء حروب الردة فلقد ظل سعد بن عبادة وهو من هو صحبة وبلاء فى الاسلام ، ناهيك عن أنه أحد النقباء الاثنى عشر الذين عقدوا عقد تأسيس الدولة الاسلامية مع الرســـول ﷺ عنـــد العقبــة ، وظل سعد هــذا على خلافه مع أبى بكر حتى مات أبو بكر وعلى خلافه مع عمر حتى لقى عمر فى خلافته وهو على فرس وعمر على بعير فقال له عمر : « هيهات يا سعد » فقال سعد : « هيهات عمر والله ما جاورنى أحد هو أبغض الى من جوارك » فقال عمر : « فانه من كره جوار رجل انتقل الى جوار من هو أحب الى جواره منك ومن أصحابك » فلم يلبث سعد بعد ذلك الا قليلا حتى خرج الى الشام فمات

بحوران ولم يبـايع لأحد لا لأبى بكر ولا لعمر ولا لغيرهما وكان لا يصلى بصلاة القوم ولا يجمع جمعهم ، واذا حج لا يفيض معهم وعندما قتـل بحوران قال البعض : ان الجن قد قتلته ٠

ولا يسـتبعد ابن أبى الحديد أن خالد بن الوليد هو المدبر لقتل سعد بن عبادة تقربا لأبى بكر الصديق ، دون أن يكون لأبى بكر أو لعمر علاقة أو علم بهذا الاغتيال ٠٠ وفى كل الحالات فان موقف سعد بن عبادة قد ظل ثغرة تمنع انعقاد الاجماع على خلافة أبى بكر طوال مـدة هذه الخلافة والسـنوات التى عاشها من خلافة عمر فهل استندت خلافـة أبى بكر الى الاجماع وهل كان العهد الى عمر من خليفة تم له الاجماع فيستند هذا الانتقال فى السلطة الى ذلك الاجماع ، ان من المعتزلة من يرى حدوث الاجماع على امامة أبى بكر ، ويترتب هذا الاجماع على نص من السنة النبوية استند اليه الناس فى اجماعهم ٠ ولكن لما كان هذا النص غير موجود أو موجود ولكن المعتزلة لا يصححونه قالوا : ان الرواة قد استغنوا بشهرته عن روايته وليست هذه الحجة المقنعة ، خصوصا بمقاييس المعتزلة فى الاحتجاج والاقناع ٠

ولقد هون هذا الفريق من خلاف على ورهطه على أبى بكر وقال : ان هذا الخلاف قد انتهى بعدول على عن موقفه ٠٠ ولكن يبقى أنه قد كان هناك خلاف يمثل ثغرة فى هذا الاجماع ويحول بين السلطة وبين الشرعية فى اتخاذ القرارات اذا كان لابد لشرعيتها من حدوث الاجماع خصوصا أن الذين تأخروا عن البيعة كانوا كثرة وكانوا من جلة الصحابة ففضـلا عن عامة بنى هاشم كان هناك غير على : العباس عم الرسول ، ومن بنى أمية : خالد بن سعيد بن العاص وكان على اليمين عندما مات الرسول أى أنه كان من ولاة الأمور فى الدولة والبعض يقول انه امتنع عن البيعة سنة كاملة والزبير بن العوام وهو أحد العشرة الذين تتكون منهم هيئة المهاجرين الأولين ٠٠ كما كان هناك رأس بنى أمية أبو سفيان ابن حرب وكان النبى قد عينه مباشرا لجمع الصدقات فى بعض الانحاء ولقد امتنع عن بيعة أبى بكر وأرادها لعلى ولم يبايع حتى طلب عمـر من أبى بكر أن يمنحه ما جمعه من صدقات لقـاء بيعه ، اذ قال عمر لأبى بكر : « ان أبا سفيان قد قدم ، وانا لا نأمن من شره » فدفع له ما فى يده فتركه فرضى كما كان هناك من غير بنى هاشم وبنى أمية : أبو ذر ، وحذيفة ، والمقداد ، وعمار ، وذلك فضلا عن سعد بن عبادة الذى استمر خلافه حتى عهد عمر بن الخطاب ٠٠ وهذا الفريق الذى يجتهد لاثبات الاجماع على خلافة أبى بكر فيقول : « أنه قد اشـتهر

الأمر فى امامة أبى بكر الى أن لم يكن فى الزمان الا راض بامامته وكاف للنكير » .. يحاول التهوين من شأن هؤلاء المخالفين الذين امتنعوا عن البيعة لأبى بكر فيقول مثلا عن سعد بن عبادة : « انه لم يبق على الخلاف » .. وهو أمر تنكره كل المصادر ، أو يقول « لا يعتد بخلافه » .. وهو أمر لا يستقيم مع مكانة سعد ومع التمسك بمبدأ وضرورته ، أو يقول ان الاجماع الذى حدث فى عهد عمر وخاصة بعد موت سعد يستدل به على الاجماع على أبى بكر لأن خلافة عمر فرع من خلافة أبى بكر ، واجماعهم على فرع الأصل يتضمن تثبيت الأصل ... وهو عكس للقضية الصحيحة فصحة الأصل تزكى الفرع لا العكس اذ ربما صح الفرع لعوامل جديدة لم تتوافر للأصل .. ولا شك أن ضعف حجج هذا الفريق انما نبعت من تمسكه بضرورة استناد بيعة أبى بكر الى الاجماع لأنها السابقة الأولى التى تستند البيعات الأخرى اليها وهم قد جاهدوا لاثبات أن هناك اجماعا حتى يردوا هجوم الشيعة على شرعية خلافة أبى بكر وصحة بيعته التى لم تستند الى الاجماع ، فقالوا انه قد حدث اجماع واطباق وأن الصحابة توقفت فى الامامة ثم أطبقت على امامة أبى بكر .

ومع فريق المعتزلة هذا وقف فريق من أهل السنة فقالوا : انه قد أجمع المهاجرون والأنصار وأهل بيعة الرضوان على امامة أبى بكر الصديق وسموه خليفة رسول الله وبايعوه وانقادوا له ولكن فريقا آخر من المعتزلة وأهل السنة أيضا يقول بصحة امامة أبى بكر وباستنادها الى الاختيار وان مخالفة البعض عن البيعة لحين أو دائما هو أمر لا يقدح فى صحة هذه الامامة والبيعة بها ، وان قدح فى الاجماع الذى هو غير ضرورى بل وغير مقصود ولا منتظر ، كذلك وأن هجوم الشيعة على بيعة أبى بكر لافتقارها الى الاجماع هو سلاح أولى أن يرتد الى حجتهم وموقفهم ومنطقهم ، لأن الخلافة على امامة على أوضح وأوسع وأعمق وأشهر من الخلاف على امامة أبى بكر بما لا يقبل المقارنة والقياس .. فلقد صحت امامة أبى بكر لأن الجمهور أقرها سواء ظهر هذا الاقرار بموقف ايجابى كموقف من بايع أو كان ضمنيا كالرضا بها والتسليم للسلطان الذى تولاه بمقتضاها .. وذلك لا ينفى أن هناك صراعات قد حدثت على السلطة فى عهد أبى بكر وأن هناك من تخلف عن البيعة حينا من الدهر أو كل الدهر وهو الصراع الذى قدمنا نماذجه الشهيرة فى هذا المقام .

وقد توفى أبو بكر عن ثلاثة وستين عاما ، ويقال انه اغتيل وكان أول من قتل من الخلفاء الراشدين . فقد كان أبو بكر والحارث بن كلدة يأكلان خزيرة أهديت الى أبى بكر ، فقال الحارث لأبى بكر ارفع يدك

يا خليفة رسول الله ، والله ان فيها لسما وأنا وأنت نموت فى يوم واحد ، قيل فرفع أبو بكر يده فلم يزالا عليلين حتى ماتا فى يوم واحد قبل انقضاء السنة ٠

عهـد عمـر :

لم يحدث في عهد عمر صراع على السلطة بالمعنى الدقيق والعميق ، ولكن حدث فيه جدل من حولها وتطلع واستعداد لتلقفها أو اقتناصها ٠

فطلحة بن عبيد الله عضو هيئة المهاجرين الأولين وهو تيمى كأبى بكر كان يتطلع اليهـا عقب وفاة الخليفة الأول ولقد جادل أبا بكر فى مرضه عندما استشارهم فى العهد الى عمر وقال لأبى بكر ماذا تقول لربك ٠٠ اذا لقيته وقد وليت علينا فظا غليظا ؟ ٠٠ وفى عهد عمر كانت لطلحة بطانة تسعى كى يخلف عمر في امارة المؤمنين ويروى المؤرخون أنه كان (فى أيام عمر قوم يجلسون الى طلحة ويحادثونه سرا فى معنى الخلافة ويقولون له : لو مات عمر لبايعناك بغتة ، جلب الدهر علينا ما جلب) وبلغ ذلك عمر وكان فى (منى) يؤدى فريضة الحج فقال : « انى لقائم العشية فى الناس فمحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغضبوا الناس أمرهم » وبعد العودة للمدينة صعد المنبر وخطب الناس فقال : « ان قوما يقولون ان بيعة أبى بكر كانت فلتة وانه لو مات عمر بايعنا فلانا ٠٠ أما أن بيعة أبى بكر كانت فلتة الا أن الله وقى شرها وليس فيكم من تتطلع اليه الرقاب كأبى بكر فأى امرىء بايع امرءا من غير مشورة المسلمين فانهما بغرة أن يقتلا » ٠

وغير تطلع طلحة الخاص كان هناك من يروج لعثمان كى يليهـا بعد عمر ٠ والقاضى عبد الجبار يروى هذه العبارات ذات الدلالة ويقول « روى عن حذيفة أنه قال : قال لى عمر ـ من ترى النـاس يؤمرون بعدى ؟ قال : قلت : قد سموا لها عثمان ٠ قال فسكت ٠ وروى عن حارثة بن مضرب قال : فسمعت الحادى يقول : الا أن الأمير بعـده ابن عفان » أى أن حداة الابل وأراجيزهم كانت أجهزة دعاية تهيىء الأمر للطامحين فيه ٠٠٠ وملأ قريش أولئك الذين أرادوا استثمار الاستثمار السياسى لقريش بالامارة في الثراء وحيازة الاقطاعات ٠٠ هؤلاء قد تطلعوا للانتشار فى البلاد المفتوحة وجمع الثروات ولقد تصـدى لهم عمر كما تصـدى لتطلعات الذين يبيتون لاقتناص الامارة دون مشورة للمسلمين حتى لقد بلغ تصدى عمر لملأ قريش والمهاجرين منهم خاصة أن حبسهم

بالمدينة ومنعهم من مغادرتها حتى ولو كانت مغادرتهم لها تحت ستار الغزو في سبيل الله ؟ والمؤرخون يروون (أن عمر كان قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج فى البلدان الا باذن وأجل ·· حتى أن الرجل كان يستأذنه فى غزوة الروم والفرس وهو ممن حبسه بالمدينة ولا سيما من المهاجرين فيقول له : ان لك فى غزوك مع رســـول الله ما يكفيك » وان ملأ قريش المهاجرين قد شكوا منه ذلك فقال : « ان قريشـــا يريدون ان يتخذوا مال الله معونات على ما فى أنفسهم الا ان قريش فيها من يضمر الفرقة ، ويروم خلع الربقة ، أما وابن الخطاب حى فلا أنى قائم دون شعب الحرة آخذ بحلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا فى النار » ولذلك لم يمت عمر حتى ملته قريش ·· فلما ولى عثمان خلى عنهم فانتشروا فى البـــلاد ولذلك كان عثمان أحب الى قريش من عمر ··

وقد كان عمر بن الخطاب كريما وشهما وشجاعا ، زاهدا فى الحياة متقشفا لا يختص أهلة بخير دون باقى المسلمين وكان لحقد الفرس عليه بعد زوال ملكهم أن دبروا له مكيدة قاتلة فأوعزوا الى أحد مواليهم فيروز الملقب بأبى لؤلؤة وهو غلام المغيرة بن شعبة ليقضى عليه ·

وذات يوم خرج عمر قبيل الفجر يوقظ الناس ثم يسوى الصفوف للصـــلاة فلم يكد يؤم النـــاس حتى فاجأه القاتل بطعنتين من خنجر له رأســـان احداهما فى عنقه والأخرى فى خاصرته وقيل ثـــلاث طعنات احداهما تحت السرة وقيل ست طعنات منها تلك الطعنة القاتلة ولكنها لم تشغله عن الصلاة وسأل عن عبد الرحمن بن عوف ليصـــلى بالناس وأغمى عليه ولم يتنبه عندما دعوه وعندما نودى للصلاة فتح عينيه وقال بكلمات متقطعة « الصلاة » ثم قال « لا حظ فى الاسلام لمن ترك الصلاة » ولما علم أن قاتله أبو لؤلؤة قال : « قاتله الله وقد أمرت به معروفا » ثم حمد الله وقال : « الحمد لله الذى يجعل قاتلى يحاجنى عند الله بسجدة يسجدها له قط ما كانت العرب لتقتلنى » واشتد بكاء الناس عليه فنهاهم أن يبكوا عليه ثم سقوه نقيع التمر فخرج من الجرح أحمر كما هو فلم يعرفوا أدم هو أم النقيع خرج بلونه فسقوه اللبن فخرج أبيض يشوبه صديد جاءوه بالطبيب الذى أشار عليه أن يعبد الله فقال : « لو قلت غير هذا لكذبتك » ثم جعل يتدبر أمر الخلافة فجعلها شورى ليستقر بها القرار وقال : « أما لقد جهزت نفسى وحرمت أهلى وان نجوت كفافا » فلما فرغ من شئون الدولة نظر فى أمر دينه فأبى أن يدفن قبل أن يضمن سداده ثم دعا ابنه عبد الله لينطلق الى عائشة ويقرئها السلام ونهـــاه أن يسميه عندهـــا أمير المؤمنين لأنه ليس للمؤمنين أمير اليوم

ثم يستأذنها أن يدفن الى جوار صاحبيه النبى وأبى بكر ووجدها عبد الله تبكى فسلم عليها واستأذنها وقالت « كنت أريده لنفسى ولأوثرنه به اليوم على نفسى » فلم يكفه هذا وأراد الاستيثاق وخاطب ابنه « يا عبد الله ابن عمر انتظر فاذا أنا قبضت فاحملونى على سريرى ثم قف على الباب وقل يستأذن عمر بن الخطاب فان أذنت لى فأدخلنى وان ردتنى فردنى الى مقابر المسلمين فانى أخشى أن يكون أذنها لمكان السلطان » ٠

وتوفى عمر عن ثلاثة وستين عاما فى شهر ذى الحجة لسنة ٢٣ هـ بعد أن ظل بالخلافة عشر سنين وستة شهور ودفن بجوار صاحبيه وقال شهود دفنه (فلما حمل فكأن المسلمين لم تصبهم مصيبة الا يومئذ) ٠

ـ عهـد عثمـان :

الأمر الذى كان يخشاه عمر ، ويجاهد للحيلولة دون وقوعـه ، حـدث منـذ أن ولى الخلافة عثمان بن عفـان ـ فلقد وثبت قريش على السلطة واستأثرت بها ، سواء أكانت متمثلة فى الخلافة العامة أم فى ولاية أمور الناس فى الأقاليم والامارات والعمالات ٠

وليس لقـائل أن يقول : لقد كان عثمان قريشيا كما كان عمر وأبو بكر فليس هناك جديد ، ذلك أن عثمان كان أمويا وفى أمية دون غيرهـا من البطون كانت عصبية قريش ٠٠ وابن خلدون يذكر هذه الحقيقة الهامة فيقول : « ان عصبية مضر كانت فى قريش وعصبية قريش فى عبد مناف وعصبية عبد مناف انما كانت فى بنى أمية ٠٠ » فاذا أضفنا الى ذلك ضعف الخليفة الجديد اذا ما قيس بأبى بكر وعمر أدركنا المدى الذى بلغته قريش وأمية خاصة فى الانفراد بالسلطان والسلطات أما ولاة الأقاليم فيكفى أن نقارن بين أنسابهم القبلية على عهد عمر وأنسابهم على عهد عثمان لنتأكد لنا هذه الحقيقة ٠

ـ فمكة كان واليها على عهـد عمر نافع بن عبد الله الخزاعى ٠٠ وهو ليس من قريش ٠٠

ـ والطائف كان واليها سفيان بن عبد الله الثقفى وهو ليس من قريش ٠٠

ـ والكوفة كان واليها المغيرة بن شعبة وهو من ثقيف لا قريشى ٠٠

ـ والبصرة كان واليها أبو موسى الأشعرى وهو ليس من قريش بل يمنى ..

ـ وحمص كان واليهــا عمير بن ســعد وهو من الأنصـــار لا من المهـاجرين ..

ـ وفلسطين كان واليها عبد الرحمن بن علقمة وهو كنانى ..

ـ والبحرين كان واليهـــا عثمـان بن أبى العـــاص وهو ثقفى لا قرشى ..

أما الولاة من قريش فى عهد عمر فكانوا ثلاثة :

ـ والى دمشق ـ وهو معاوية بن أبى سفيان .. من أمية .

ـ ووالى مصر وهو عمرو بن العاص من بنى سهم .

ـ ووالى الجند باليمن وهو عبد الله بن أبى ربيعة من مخزوم .

أما والى صنعاء فكان قرشيا بالحلف لا بالصليبة وهو يلى ابن منية حليف بنى نوفل بن عبد مناف .

فمن بين احدى عشرة ولاية لم يكن لأمية سوى ولاية واحدة ، ولم يكن لقريش سوى ثلاث ولايات ولم يكن لعدى فرع عمر ولاية واحدة من هذه الولايات .

وكان عمر قد أوصى أن تظل الولايات دون تغيير فى أشخاص ولاتها عاما من خلافة الخليفة الجديد وبعـد هـذا العـــام حدثت تغييرات فى عهـد عثمان لصـــالح قريش والأموين بالذات .. فمعاوية بعد أن كان واليا على دمشق ضمت اليه الشام كلهـــا (دمشق ، وحمص ، والأردن) فغدت فى أمية الولايات الثلاث .. وغدت الكوفة تحت ولاية الوليد بن عقبة الأموى كما ولى البصرة عبد الله بن عامر الأموى وولى مصر عبد الله ابن أبى سرح الأموى .. وفضـــلا عن أن هؤلاء الولاة من أمية ، فلقد كان منهم أخو عثمان لأمه ، وأخوه فى الرضاعة وأهم من ذلك قبض مروان بن الحكم الأموى على زمام الأمور عندما عمل كاتبا لعثمان أى وزيره الأول

ومصرف الأمور نيابة عن الخليفة الصالح الضعيف وبعد سنوات ست من حكم عثمان ظهرت آثار هذه التغيرات فى شكل سخط عام على استئثار قريش بالسلطة .. ويحاول عثمان تفادى اشتعال الفتنة بنفي زعماء الكوفة الى الشام كي يؤدبهم معاوية بن أبى سفيان وتحدث بين معاوية وعثمان وبين أبى ذر تلك الأحداث الشهيرة الشائعة فى مصادر التاريخ ، حتى انتهى الأمر بنفيه الى الربذة والتنبيه بمقاطعته والامتناع عن وداعه ... ويجمع عثمان ولاته يستشيرهم فى علاج السخط الذى تفشى والذى يكاد يعصف بمنصب الخلافة وولايات الولاة ويقول لهم : « ان لكل أمير وزراء ونصحاء وأنتم وزرائى ونصحائى وأهل ثقتى وقد صنع النـاس ما قد رأيتم وطلبوا الى أن أعزل عمالى وأن أرجع عن جميع ما يكرهون الى ما يحبون فاجتهدوا برأيكم » . فأما عبد الله بن عامر الأموى فقال : « أرى لك يا أمير المؤمنين أن نشغلهم عنك بالجهاد حتى يذلوا لك ولا تكون همة أحدهم الا فى نفسه وما هو فيه من دبر دابته ، وقمل فروته ؟ » ... وأما معاوية فانه يخير الخليفة بين أمرين : أما أن يسمح لجيش من فرسان أهل الشام أتباع معاوية قوامه أربعة آلاف فارس باحتلال المدينة وتأمين سلطته فيها .. وأما أن ينفى عن العاصمة (شيوخ المهاجرين وكبار أصحاب رسول الله ﷺ وبقية الشورى) حتى (لا يجتمع منهم اثنان فى مصر واحد). ثم أردف قائلا لعثمان : « واضرب عليهم البعوث والندب حتى يكون دبر بعير أحدهم أهم عليه من صلاته ؟ » .

وأمام هذا الرفض من قبل الولاة الأمويين لمطالب الساخطين ودعاة الاصلاح ، وأمام استسلام عثمان لولاته هؤلاء تصاعد السخط وارتقت مطالب الثائرين من طلب تغيير الولاة الى طلب التغيير فى قمة السلطة فطلبوا من عثمان أن يعتزل الامارة كي يختار المسلمون خليفة سواه .

وكان عثمان قد أخذ عليه أيضا أنه منح سفيان بن حرب مائتى ألف درهم ومنح الحارث بن الحكم زوج ابنته عائشة مائة ألف درهم من بيت المال وانه توسع فى بناء القصور وضرب الصحابة بعضهم ببعض مما أشاع البغضاء والحقد بين الأفراد .

وكان عثمان يندم ويعلن توبته بعد ارتكابه التصرفات المعينة ويقصى عنه بعض المشكو فى حقهم ثم يغلبونه ثانية فيعيدهم الى مكانتهم وعلى رأسهم مروان بن الحكم أبغض هؤلاء الأعوان الى المسلمين . وكانوا يشكون ولاتهم فاذا عين غيرهم يفاجأ الوالى الجديد برسول يحمل

خطابا للوالى المعزول يأمره بقتل من يفد اليـه وهذا ما حدث مع وفد مصر فبعد أن أخمدت الاضطرابات التى حدثت بالعراق ومصر وفوجىء عثمان ذات يوم بالمدينة تعج بالثوار يحاصرون منزله وخرج اليهم على بن أبى طالب سائلا ماذا تطلبون فرد عليـه أهل مصر بأنهم أمسكوا رجلا أرسله مروان بكتاب ممهور بختم الخليفة فيه أمر بقتلهم وقد جاء معهم قوم من الكوفة والبصرة يؤيدونهم ويستنكرون هذا التصرف ... ولم يعرف سبب أو مصدر هذا الكتاب ومن الذى أصدره الا أنه من المستبعد كلية أن يكون الخليفة هو الذى كتبه أو أملاه أو علم به وقد أقسم لهم على ذلك وهو صادق وثار الشك عمن يكون كاتبه انه أحد اثنين اما (نفر) من زعماء الثوار .. وأما (مروان) .. أما الأولون فلهم سابقة فى مثل هذا التزوير فحين عزموا أمرهم على الخروج من مصر ومن الكوفة ومن البصرة الى المدينة دبر بعض زعمائهم حيلة يحملون بهـا أكبر عدد من المسلمين على الخروج فزوروا كتبا على لسان (طلحة) و (الزبير) يدعون المسلمين فيها الى الزحف على المدينة لقتال (عثمان) .. ولم تعرف حقيقة هذه الخدعة الكاذبة الخاطئة الا بعد وقوع الواقعة واغتيال الخليفة .. وهـكذا لا يبدو غريبا على الظن أن يكون مزورو تلك الكتب هم الذين افتعلوا هذه الاكذوبة الجديدة وأتقنوا اخراجها فان لم يكونوا فهو اذن (مروان) .. ومروان ـ كما يعرفنا به التاريخ ـ لم يكن له من دينه ولا من خلقه ما يردعه عن اقتراف مثل ذلك العمل .. ولقد طالب الثوار بتسليمه على الفور ولكن (الخليفة) الرحيم كان يرى مصيره المحتوم أن وقع فى أيديهم فرفض تسليمه .

لم يفعل الخليفة ذلك رضا بما فعل مروان .. وانما هى طبيعـة رجل لا يطيق أبدا أن يسلم بيديه انسانا الى ساحة القتل والاعدام .. وأخيرا طالب الثوار باعتزال عثمان وقتله وفى ثبات رفض الخليفة الاعتزال ذاكرا وصية للرسول ﷺ اله (يا عثمـان اذا الله كساك يومـا سربالا وأراد لك المنافقون خلعه فلا تخلعه لظالم) وقد كساه الله (سربال الخلافة) وها هم المتمردون يريدون بالقوة أن يكرهوه على خلعه .. أفيسلم مصير الاسـلاموكرامة الدولة لعصابة آثمة ؟ ولكى يستوثق من سلامة موقفه وسداده أرسل الى عبد الله بن عمر رضى الله عنه وهو من خيار أصحاب الرسـول ﷺ يستشـيره فقـال له هل اذا رأيت أن خلعت نفسـك تبقى فى الدنيا مخلدا ؟ فأجابه بالنفى فقال له واذا رأيت ان لم تخلع نفسك هل يزيدون على قتلك شىء ؟ وأجابه بالنفى ـ فرد عليه قائلا اذن فلاتسن هذه السنة فى الاسلام ولا تخلع قميصا البسك له الله ، وكأن ذلك الرد بمثابة شد أزر لرأى عثمان ، ولكن الفتنة كانت تزداد وأحكم

الثوار حصارهم القاسى حول الخليفة ومنعوا عنه زواره منعوا عنه الماء بل زادوا على ذلك بأن توقحوا عليه بشتائم بذيئة على مرأى ومسمع من الناس ولم يكفهم حلمه وصبره خاصة عندما قال لهم من قبل « ان الناس قد أسرعوا الى الفتنة وطال عليهم عمرى ٠٠ أما والله لئن فارقتهم ليتمنون لو أن عمرى طال فيهم كل يوم بسنة وذلك مما يرون من الدماء المسفوكة » ٠٠ وكان ذلك ادراكا منه لهذا المصير الذى تحققت فيه نبوءته وطال صبره وهم يطيلون الحصار حول منزل الخليفة حتى تعود الناس على هذا المسلك وأصبحوا يروحون ويغدون وهم فى حياتهم العادية لا يشعرون بشىء ولم يكن أحد يتوقع رغم ضراوة هذه الثورة وهذا التمرد أن يدا ستمتد الى حياة الخليفة لتغتاله ٠٠

كان عثمان بن عفان شيخا جاوز الثمانين من عمره من أوائل المؤمنين بالاسلام وصهر ارسول الله ﷺ وخليفته بلغ به الايمان ذروته حتى بشره الرسول ﷺ بالجنة وكان فى هذا الوقت العصيب قائما يصلى فى الليل ويقرأ من القرآن بعض آياته ثم ألقى بنفسه بين يدى ربه ضارعا مبتهلا وآوى الى فراشه ونام حالما بالقرب من الرسول ﷺ حتى رآه فى المنام يقول له « افطر عندنا غدا يا عثمان » ٠

وفى نفس الدار كان يقبع مروان مع نفر من أتباعه المسلمين كما كانت هناك جماعة كريمة من الصحابة خفوا بسلاحهم لافتداء الخليفة منهم الحسن والحسين أبناء على أرسلهما أبوهما وفيهم عبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر وآخرون جاءوا ليحرسوا الدار ومن فيها ٠

وخارج الدار وحواليها كانت صفوف الثوار المدججين تعضدهم الأنباء التى جاءت بأن معاوية أرسل قوة من الجيش بالشام فى الطريق الى المدينة ٠٠

وأصبح عثمان صائما كعادته فى معظم الأيام منذ اسلامه فدعا جميع من فى الدار ممن يحملون السلاح دفاعا عنه وطلب منهم أن يلقوا سلاحهم ويغادروا الدار ويتركونه فى رعاية الله ولكنهم أبوا جميعا وعلى الأخص الحسن والحسين وابن الزبير وابن عمر فألح عليهم أن يلقوا سلاحهم قائلا لهم « أناشدكم الله ألا تريقوا بسببى دما » ٠

واشتد الهرج والمرج خارج الدار عندما التحم بعض من أهل المدينة مع المتمردين فأطل عليهم عثمان من شرفة داره ونادى المتمردين ابراء الذمته

لقتله « أيها الناس لا تقتلونى فوالله لئن قتلتمونى لا تتحابون بعدى أبدا ولا تصلون جميعا بعدى أبدا » .

وعندئذ ازداد الحقد ضراما وضاقت صدور زعماء الفتنة فهاجموا الدار ولكن تصدت لهم جماعة الصحابة وردتهم عن الأبواب صاغرين فازداد حقدهم وفكروا فى اقتحام الدار عن طريق تسورهم للدار المجاورة وتم بالفعل تنفيذ الخطة وكان على رأسها محمد بن أبى بكر وما هى الا دقائق حتى وكانوا أمام الخليفة وامسك محمد بلحية عثمان يهزها متوعدا فقال له معاتبا « يا ابن أخى دع لحيتى فوالله لقد كان أبوك يكرمها ولو رآك فى مكانك هذا لاستحيا مما تصنع » فارتدت يد محمد الى جانبه وخرج من الدار مع الجماعة التى تسورتها معه ولكن بقية المتمردين لم يرق لهم هذا الموقف فشدوا على الدار المجاورة من سورها ودخلوا على الخليفة وهو يتلو آيات الله خاشعا فأصابوه بعدة اصابات ومنها اصابة فى كفه فقال « والله انها لأول يد خطت المفصل وكتبت آى القرآن » . وطمست دماؤه المصحف المفتوح فضمه اليه وهو يسلم الروح ، ومات عثمان عن اثنتى عشرة سنة فى خلافة المسلمين .

عهد على : (الفتنة الكبرى)

اذا كانت الخلافة الراشدة قد شهدت صراعا على السلطة فى عهد أبى بكر ، ثم اتجه هذا الصراع الى الوفاق والمصالحة فى جزئه الهام ، ثم شهدت جدلا على السلطة وطموحا فيها فى عهد عمر بن الخطاب تحول الى صراع حاد ودموى فى نهاية عهد عثمان بن عفان فان عهد على ابن أبى طالب كان قمة الصراع على السلطة بل كانت كل سنواته صراعا داميا على هذه السلطة فبعد أن قتل الثائرون عثمان وجدوا أنفسهم فى حيرة كانوا يعلمون أن لابد للناس من امام وأن يبايع هذا الامام فى أسرع وقت ممكن قبل أن يستبد عمال عثمان بما فى أيديهم ويرسل أقواهم معاوية جنده الى المدينة ليخضعها لسلطانه ويعاقب الثائرين على ما قدموا ثم كانت أهواؤهم بعد ذلك مختلفة هوى أهل مصر مع على وهوى أهل الكوفة مع الزبير وهوى أهل البصرة مع طلحة وقد جعل كل فريق منهم يختلف الى صاحبه وجعل الثلاثة يأبون عليهم ويمتنعون عن قبول الامامة منهم .

وأخيرا أقبلوا على على يعرضون عليه الامامة ويلحون عليه فى قبولها والثائرون يؤيدونهم فى ذلك وحاول على أن يمتنع فلم يجد الى

الامتناع سبيلا وما يرده عن القبول وقد رفض الخلافة حين قدمها اليه الثائرون وهؤلاء المهاجرون والأنصار يعرضونها عليه ويريدون أن يبايعوه كما بايعوا الخلفاء من قبله وأخيرا قبل الخلافة وجلس للبيعة على منبر النبى كما جلس الخلفاء من قبله وأقبل الناس فبايعوه .

وعقب البيعة خطب (على) الناس فأعلن منهاجه فى الحكم وقراراته لتغيير الأوضاع التى ثار ضدها الذين قتلوا عثمان فعزل ولاة عثمان على الأمصار والأقاليم وأعلن العودة الى نظام التسوية فى العطاء الذى كان يطبقه الرسول ﷺ وأبو بكر الصديق ولما احتج زعماء قريش على التسوية بينهم وبين مواليهم قال لهم : « أنتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالتسوية لا فضل فيه لأحد على أحد » كما أعلن عزمه على العودة الى شدة عمر تجاه الذين أطلقهم حلم عثمان وضعفه فجمعوا الثروات فى الأمصار وقال « ألا لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة واتخذوا الوصائف الروقة فصار ذلك عليهم عارا وشنارا اذا منعتهم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتهم الى حقوقهم التى يعلمون فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون : حرمنا ابن أبى طالب حقوقنا » وأعلن عزمه على انتزاع المال الذى احتازه أشراف قريش دون حق وقال « والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته فان فى العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق » . وفى اليوم التالى لخطبته الأولى هذه بدأ خلافه مع طلحة والزبير ومن ناصرهما فى هذا الصراع وعندما احتج على عليهما بالبيعة التى بايعاه قال الزبير : « ما بايعتك قط وان كنت على يقين أنك أولى بها فاجعلها شورى » وقال طلحة : « بايعت واللج على قفى » .. يشير الى ضغط الثوار عليه كى يبايع عليا . وانضمت عائشة الى طلحة (وكانت تيمية) تأمل أن يليها طلحة التيمى . لم يكن على اذا مترددا ولا شاكا ولا قلق الضمير حين هم بقتال أهل الشام حين رفضوا البيعة وحين تحول عنهم الى أمر طلحة والزبير عندما أظهرا النكث والخلاف ولكنه فى بعض مواطنه قال كالنادم المحزون : « لو علمت أن الأمر يبلغ هذا المبلغ ما دخلت فيه » يريد أنه لم يكن يظن بهذين الشيخين وبأم المؤمنين عائشة أن يبلغ الأمر بهم ما بلغ من تفريق كلمة المسلمين وجعل بعضهم على أن يسلوا سيوفهم على بعض ولو قد علم أن خلافته ستكون مصدر فتنة وفرقة لأعرض عنها ايثارا لعاقبة المسلمين واجتماع كلمتهم ولصبر نفسه على ما تكره كما فعل حين بويع للخلفاء الثلاثة من قبله فأما وقد بايعه من عامة المسلمين وخاصتهم فقد مضى فى أمره على بصيرة وكره أن يرجع بعد أن مضى ويحجم بعد أن أقدم وكان كثيرا ما يقول : « والله انى لعلى بينة من ربى ما كذبت ولا كذبت ولا ضللت ولا ضل بى » .

كان (علي) على بصيرة من أمره وكان أصـــحابه يمضون معه على بصائرهم يشفقون من أن يسلوا سيوفهم على قوم من المسلمين أمثالهم ولكنهم لا يرون أنَّ يعرضوا عن ذلك اذا لم يكن منه بد ٠

وكان (على) لا يريد أن يعارض القوم في الصلح ويناظرهم على الحق ولا يبدأ هو بقتال الا أن يبدءوه به فقد كان الأمر مختلفا اذا بين هذين الفريقين : أهل البصرة مختلفون وأصحاب (على) متفقون ٠

وكان (على) صباح يوم حين استيأس من طلحة وعرف أنه يأبى الا الحرب قد كف أصحابه كفا شديدا عن أن يبدءوا بالقتال حتى يأمرهم ٠ وجعل شباب أهل البصرة والسفهاء منهم خاصة يحاولون انشاب القتال فينضحون أصحاب علي بالنبل حتى أصابوا منهم نفرا ٠ فجعل أصحاب علي يحملون من أصيب منهم الى علي ويتعجلون اذنه بالقتال وهو مع ذلك مستأن لا يجيبهم الى ما يطلبونه فلما كثر ذلك من أهل البصرة دفع (علي) مصحفا الى فتى من أهل الكوفة وأمره أن يقف به بين الصفين وأن يدعو القوم الى ما فيه وأنذره بأنه مقتول ان نهض بهذه المهمة ٠ فشك الفتى غير طويل ثم أخذ المصحف وانطلق به حتى وقف بين الصفين وجعل يدعو القوم الى ما فيه فرشقوه بالنبل رشقا واحدا فقتلوه ٠

والشيء المحقق أن الفتى قتل وهو يدعوهم الى ما في القرآن ٠ فقال علي لأصحابه : الآن طاب الضراب وكانت الموقعة الأولى صدر النهار وكانت الهزيمة لأعداء علي حتى زالت الشمس فلما انهزم النـاس أقبل المتحمسون من أصحاب طلحة والزبير وعلى رأسهم عبد الله بن الزبير (في أكبر الظن) فأخرجوا أم المؤمنين من بيتها في المسجد الذى استترت فيه وأدخلوها هودجا مصفحا بالدروع وحملوها على جملها ذاك وأشهدوها ميدان الوقيعة فثاب المنهزمون الى أمهم ورأوا أنهم لا يحمون أمهم فحسب وانما يحمون زوج رسول الله وحبيبته ٠ فثارت في نفوسهم عقدة غريبة فيها الشعور الديني القوى وفيها الشعور بحرمة العرض وحماية الأم والذود عن الذمار واجتمع الناس حول أمهم مستميتين كارهين أن تصاب أم المؤمنين بأذى في بلدهم وهم شهود ٠ وكان جمل عائشة فيما يقول بعض من شهد الواقعة راية أهل البصرة يلوذون به كما يلوذ المقاتلون براياتهم ٠ وما أسرع ما أفاق المنتصرون من انتصارهم حتى أقبلوا على خصمهم أولئك يريدون أن يهزموهم آخر النهار كما هزموهم وجه النهار وهنا يظهر كعب بن ثور قاضي البصرة وقد برز بين الصفين وعلق في عنقه مصحفا وجعل يدعو أولئك وهؤلاء الى كتاب الله وما فيه وينهاهم عن

الشر . ولكن أصحاب علي رشقوه بالنبل رشقا واحدا فقتلوه كأنهم ثأروا لفتاهم ذلك الذى قتل وهو يحمل المصحف بين الصفين حين ارتفع الضحى .

واقتتل الفريقان قتالا شديدا منكرا يريد أصحاب (علي) ألا يفلت منهم النصر بعد أن أحرزوه ويريد أصحاب عائشة أن يحملوا أم المؤمنين ويموتوا دونها واقتتل القوم حتى كره بعضهم بعضا وحتى يئس بعضهم من بعض .

وقد كاد أصحاب عائشة أن ينهزموا ولكن الجمل قائم لا يريم وعليه هودجه لا يضطرب وفي الهودج أم المؤمنين تحرض الناس فتردهم الى الحماسة والجرأة بعد الخوف والفرق وهم يثبتون حول الجمل لا يريدون انتصارا ولا يريدون فوزا وانما يريدون أن يحموا أمهم .

وهي تتحدث الى من عن يمينها محرضة والى من عن شمالها محمسة والى من أمامها مذكرة . ولا يزال أولئك يستقتلون وهؤلاء يشتدون عليهم حتى كان لا يأخذ بخطام الجمل أحد الا قتل من دونه وقد رأى (علي) هذا القتل الذريع فراعه نكر ما رأى وصاح بأصحابه : اعقروا الجمل فان في بقائه فناء العرب . فيهوى اليه رجل من أصحابه بالسيف فيعقره ويخر الجمل الى جنبه وله عجيج منكر لم يسمع مثله وهنالك فحسب يتفرق جماة الجمل كما ينتشر الجراد ويقبل محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر فيحتملان الهودج وينحيانه ناحية ويضرب محمد على هودج أخته فسطاطا ويأمره علي أن ينظر أأصابها مكروه .

فتقول : مشقص في عضدى فينتزعه ويأتى علي مغضبا ولكنه على ذلك متماسك يملك نفسه ويضبطها أشد الضبط فيضرب الهودج برمحه ويقول : كيف رأيت صنيع الله يا أخت ارم فتقول : يا ابن أبي طالب ملكت فأسجح . فيقول علي : غفر الله لك وتجيب عائشة : وغفر لك .

ثم يأمر (علي) محمد بن أبى بكر أن يدخل أخته دارا من دور البصرة فيحملها حتى يدخلها دار عبد الله بن خلف الخزاعى فتقيم فيها أياما .

وكذلك اقتتل الناس حول طلحة حتى انهزموا وجه النهار وقتل طلحة ثم اقتتلوا آخر النهار حتى انهزموا حين أقبل الليل وسلمت عائشة ورأى المسلمون يوما لم يروا مثله شناعة ولا بشاعة ولا نكرا ، سل المسلمون فيه سيوفهم على المسلمين وقتل خيار المسلمين فيه خيار

المسلمين • فقتل من أولئك وهؤلاء جماعة من جلة أصحاب النبى ومن خيرة فقهاء المسلمين وقرائهم وحزن (على) لذلك أشد الحزن وأقساه فكان يتعرف على القتلى من أصحابه ومن خصمه ويتوجع لأولئك وهؤلاء ويترحم على أولئك وهؤلاء •

وكان الليل قد رد الى القوم عوازب أحلامهم وأصـــبحوا جميعا محزونين لا فرق فى ذاك المنتصر والمنهزم وأقبل على من غده فصلى على القتلى جميعا من شيعته ومن خصمه وأذن للناس فى دفن موتاهم وجمع الأطراف الكثيرة فاحتفروا لها قبرا كبيرا ودفنها فيه وأقام فى معسكره خارج البصرة فلم يدخل المدينة الا بعد ثلاث •

وسار (على) فى أهل البصرة سيرة الرجل الكريم الذى يقدر فيعفو ويملك فيسجح •

جلس لهم فبايعوه على راياتهم بايعـــه منهم الصـــحيح والجريح ثم عمد بعد ذلك الى بيت المال فقسم ما وجد فيه على الناس وقوم يرون أنه قسمه فى أصحابه دون خصمه من أهل البصرة ووعدهم مثل ذلك الى أعطياتهم ان أظفرهم الله بأهل الشـــام والأشبه بسيرة على أنه قسم المال فى الغالبين والمغلوبين جميعا •

وكان من الأمور ذات الخطـر التى أراد على أن يفـرغ منها قبل أن يترك البصرة رد عائشة الى المدينـة لتقر فى بيتهـا كما أمرها الله وقد تعجلها فى الرحيل فاستأجلته أياما كأنها تريد أن تطمئن على الجرحى • فأجلها (على) أياما ثم جهزها بجهاز ملائم لمكانتها وأرسل معها جماعة من رجال ونساء وخرجت عائشة يوم سفرها فسلم الناس عليهـــا وودعوها وأمرتهم بالخير وأنبأتهم أنه لم يكن قط بينها وبين (على) الا ما يكون بين المرأة وأحمائها •

وقد انصرف (على) عما كان يتأهب له من حرب معاوية وأهل الشام واشتغل بالشيخين وأم المؤمنين يريد أن يردهم الى الطاعة ويريد ان أبوا أن يقاتلهم ورضى معاوية كل الرضى عن اشتغال هؤلاء الشيوخ من المهاجرين والأنصار بأنفسهم وفرغ هو لأمره يدبره ويحكم تدبيره •

ونظر معاوية فاذا هو قد أصـــبح يلقى عليـــا وجها لوجه وهو بعد ذلك لم يتعرض لحرب لم يكلم أحدا ولم يكلمه أحد قوته موفورة وعدته

كاملة وأصحابه وافرون لم يصابوا في أنفسهم ولا في أموالهـم وهم قد اجتمعوا على حبه ونصره حتى يثأر لابن عمه الخليفة المظلوم ·

فأما (علي) فقد خاض حربا منكرة قتل فيها من شيعته ومن عدوه خلق كثير فعدوه واجدون عليه لأنه وترهم فيمن قتل منهم وشيعته لاتبرأ من الواجدين عليه لأنه قتل اخوانهم في حرب البصرة ·

أرسل (علي) رجلا من أصحاب النبي هو جرير بن عبد الله البجلي الى معاوية يطلب اليه أن يبايع وأن يدخل فيما دخل فيه الناس ويبين له حجة علي فيمـــا يطلب اليه وانتهى جرير الى معاوية فكلمه ووعظه والح عليه في الكلام والوعظ ولكن معاوية جعـل يسمع منه ولا يقول شــيئا وانما يطاوله ويسرف في مطاولته ويدعو مع ذلك وجـــوه أهل الشـام ورؤساء الأجناد فيظهر مشاورتهم فيما يطلب اليه علي ويعظم لهم قتل عثمان ويحرضهم على الوفاء للخليفة المظلوم والطلب بدمه ·

وهنا يظهر عمرو بن العاص الذي لم يكن أقل دهـاء ولا أدنى مكرا ولا أهون كيدا من معاوية وكان عمرو بن العاص قد وجد على عثمان حين عزله عن مصر فلما ظهــرت الفتنة كان مـــن المعارضين لعثمان وكانت معارضته الخفية أشد من معارضته الظاهرة فكان يؤلب الناس ويحرضهم ما وسعه ذلك سرا ·

فلما اشتدت الفتنة وعرف عمرو انهـا منهية الى غايتهـا آثر أن يعتزلها في طورها ذاك فخرج الى أرض كان يملكها بفلسطين فأقام فيهـا وجعل يتنسم الأخبار ·

وخرج معه الى فلسطين ابناه عبد الله ومحمد وكان عبد الله رجل صدق مخلصا في دينه زاهدا في دنياه قد صحب النبي وأخذ عنه كثيرا من سنته والتزم سيرة الورع والتقوى والترفع عن الدنيات وكان أخوه محمد فتى من فتيان العرب ثم من فتيان قريش لم يعرض عن الدنيـــا ولم يزهد فيها وانما طمع فيما يطمع فيه أمثاله من السعة والدعة والتقدم وبعد الصيت ·

ولم يكن عمرو قد نسي ولاية مصر التي أتيحت له أيام عمر ولم يكن قد طاب نفسا عن عزل عثمان اياه عن هذه الولاية فكان فيما يظهر يحن الى مصر حنينا متصلا ولم يسفر الصـبح له حتى كان رأيه قد اســـتقر

على أن يلحق بمعاوية فارتحل الى دمشق وارتحل معه ابناه فلما بلغهـ ألفى أهل الشام يحرضون معاوية على الطلب بدم عثمان ويحضونه على النهوض لحرب علي فما أسرع ما انضم عمرو الى المحرضين والمحضضين ٠

وكان عمرو يتعجل الحرب لتظهر حاجة معاوية اليه ٠

وعمرو بعد ذلك صاحب حرب ومكيـــدة فتـــح فلسطين وفتح مصر راطمأن اليه عمر منذ فتح مصر الى آن قتل ، وهو بعـــد هذا كله داهية من دواهي العرب شيخ ذو مكانة من شـــيوخ قريش ويقول المؤرخون : (ان معاوية سأل عمرو عما يريده ثمنا لانضمامه اليه فطلب اليه عمرو أن يقطعه مصر في حياته واستكثر معاوية هذا الثمن ٠ (لكنه كتب بهذا الاتفاق بين الرجلين عهد مؤكد) ٠

فلما اجتمع لمعاوية أمره رد جرير بن عبد الله البجلي سفير علي الى الكوفة دون أن يعطيه شـيئا وعاد جرير فأنبأ عليا بامتناع معاوية عليـه وعظم له من أمر أهل الشام ٠

ثم أخذ معاوية يتأهب للحرب ولكنه هو أيضـا أسفر الى (علي) كما أسفر (علي) اليه ولم يأت شهر ذى الحجة من سنة ست وثلاثين حتى كان (علي) قد قدم طلائعه بين يديه وأمرهم أن لقوا أهل الشام الا يبدءوهم بقتال حتى يدركهم وسار هو فى معظم جيشه حتى انتهى وانتهت طلائعـــه الى صفين بعد خطوب كثيرة ٠

وكان معاوية قد ســار في جموع أهل الشــام حين علم بتأهب على للسير وقدم بين يديه الطلائع أيضا وقد انتهى قبل علي الى صفين فأنزل أصحابه أحسن منزل وأرحبه وأقرب الى شريعـــة الفرات وأقبل علي فى جيشه الضخم فأنزل أصحابه بازاء أصحاب معاوية ولكن أصـــحاب علي لم يجدوا على الفرات شريعة يستقون منها فأرسل علي سفراءه الى معاوية يطلبون اليه أن يخلي الماء حرا يشرب منه الجيشان وقد ناظـر السفراء معاوية فى ذلك فلم يظفروا منه بجواب وعادوا الى علي بغير طائل ثم لم يلبث أصحاب علي أن رأوا معاوية يكثر من الحرص على شريعة الفرات ليقهر عليا وأصحابه بالظمأ يريد أن يحرمهم الماء كمـا حـرموا الماء عثمان حين كان محصورا ويقال ان عمرو بن العاص ألح على معاوية فى أن يخلي بين أصحاب علي وبين الماء ليؤخر المناجزة فان أصحاب علي لن يظمئوا وخصمهم راوون ولكن عصبية بني أمية غلبت مشورة أصحاب الرأى وانقاذ معاوية لهذه

العصبية فلم يكن بد من أن يقتتل النـاس على الماء واشتد القتـال على الشريعة حتى كان يبلغ الحرب وأتيح النصر لأصحاب على فغلبوا خصمهم على مورد الماء وأرادوا أن يضطروهم الى الظمأ ويقهروهم به كما كانوا هم يريدون بهم مثل ذلك ولكن عليا أبى عليهم ما أرادوا وآثر العافية حتى لا يتعجل الحرب قبل الاعذار الى خصمه وقبل مناظرتهم فيما بينهم من خلاف وكره كذلك أن يظمىء خصمه والله قد أجرى النهر ليشرب منه الناس جميعا لا ليستأثر به فريق دون فريق . وكذلك أتيح للقوم أن يلتقوا آمنين أياما يلتقون على الماء ويسعى بعضهم لبعض ليس بينهم قتال ولكن بينهم جدالا شديدا وخصاما عنيفا ثم رأى على أن يعذر الى معاوية وأصحابه فاختلف السفراء بين الفريقين دون أن ينتهوا الى صـلح أو شيء يشبه الصلح فلما استيأس على من خصمه عبأ أصحابه على راياتهم وجعلت فرقهم تخرج الى فرق معاوية تخرج فرقة في هذا اليوم من أصحاب على فتخرج لها فرقة من أصحاب معاوية فتقتتل الفرقتان نهارهما أو وجها من نهارهما ثم تتحاجزان و (على) لا يتجاوز ذلك الى الحرب العامة رجاء أن يثوب خصومه الى رشدهم وأن يفيئوا الى أمر الله ويؤثروا العافية بين المسلمين . ومضى الأمر على هذا أياما عشرة أو أقل أو أكثر من آخر ذى الحجة ثم أظل الناس شهر المحرم وهو شهر حرام فتوادعوا شهرهم كله وأمن بعضهم بعضا وسعت بينهم السفراء سعيا متصلا ولكنهم أنفقوا شهرهم كله دون أن يصلوا الى صلح أو شيء يشبه الصلح واستبان لأولئك وهؤلاء في غير شك ولا لبس أن ليس بد من أن يصطدم الجمعان .

وذات يوم عبأ (على) أصحابه للهجوم العام ورأى معاوية منه ذلك ففعل مثل ما فعل وتزاحف الجيشان العظيمان فالتقوا صباح نهارهم كله وشطرا من ليلهم دون أن يبلغ أحد من صاحبه ماكان يريد ثـم أصبحوا فاقتتلوا نهارهم كله أشد قتال وأعظمه نكرا وانكشفت ميمنة (على) انكشافا بلغ الهزيمة أو كاد يبلغها وتضعضع ما كان يليها من قلب الجيش وانحاز (على) الى ميسرته من ربيعة فاستقتلت ربيعة من دونه .

ثم ثابت ميمنة (على) بفضل الأشتر ومن ثبت معه من أصحابه فالتأم جيش على كعهده أول النهار وأقبل الليل فلم يكف بعض القوم عن بعض وانما مضوا فى حربهم تلك المجنونة حتى استقبلوا صبح اليوم الثالث وحتى ظهر الضعف فى جيش معاوية وكاد أصحاب معاوية يبلغون فسطاطه وهم معاوية نفسه أن يفر .

وارتفع الضحى والقوم ماضـون فى حربهـم تلك لا يريحون ولا يستريحون وأصحاب على لايشكون فى النصر وانهم لفى ذلك واذا

المصاحف قد نشرت ورفعت على الرماح من قبل أهل الشام واذا ينادى أهل الشام يقول : هذا كتاب الله بيننا وبينكم من فاتحته الى خاتمته الله الله فى العرب الله الله فى الاسلام ، الله الله فى الثغور من لثغور الشام اذا هلك أهل الشام؟ ومن لثغور العراق اذا تفانى أهل العراق؟ - ويرى أصحاب (على) هذه المصاحف المنشورة ويسمعون هذا الدعاء الى ما فيها من أمر الله ويسمعون الدعاء الى العافية والبقية فيبهر ثرتهم ما ترى وما تسمع واذا الأيدى تكف عن الحرب واذا القلوب تتردد من تذكر السلم ثم تحبها ثم تطمع فيها واذا رؤساء الجيش من أصحاب على يسرعون اليه يدعونه الى قبول ما يعرض القوم فيأبى عليهم ويبين لهم أن القوم ليسوا بأصحاب قرآن ولم يرفعوا المصاحف تائبين الى ما فيها رفعوها كائدين يبغون خصمهم الفتنة ويبين لهم كذلك أنهم لم يبتكروا رفع المصاحف وانما عرفوا أنه رفع المصاحف لأهل البصرة قبل القتال فقلدوه وليس بعد القتال وحين جزعوا من الحرب ولم يشكوا فى الهزيمة . ولكن أصحاب (على) يلحون عليه فى الاستجابة الى ما يدعى به من كتاب الله ويشتدون فى الالحاح حتى ينذروا عليا بمفارقته ومنهم من أنذره بتسليمه الى معاوية . وقوم آخرون رأوا رأى على ولم ينخدعوا بكيد أهل الشام وقالوا : انما صاحبنا القوم على كتاب الله لانشك فى أننا على الحق وفى أن صاحبنا هو أمير المؤمنين وفى أن عدونا هم الفئة الباغية ولو قد شككنا فى شىء من ذلك ما قاتلنا ولا استبحنا سفك دماء منا ومنهم ولكن أصحاب على قد اختلفوا ما فى ذلك شك ، قوم يرون الكف عن القتال وقوم يرون المضى فيه واذا وقع الخلاف بين رؤساء الجيش وبلغ هذا الحد فليس ينتظر من الجيش نفسه خير . ومن أجل ذلك اضطر على الى كف القتال ولم يكف الأشتر عن المضى فيه الا بعد جهد متصل وعزيمة مؤكدة ثم قارب معاوية وأرسل اليه الرسل يسألونه عما أراد اليه برفع المصاحف فأجابهم معاوية : أردت الى أن نختار منا رجلا وتختارون منكم رجلا ونأمرهما أن يحكما بما فى كتاب الله فيما شجر بيننا من الخلاف وعاد الرسل الى (على) بجواب معاوية فرضيت كثرة أصحابه وسخطت قلتهم ونزل (على) عند رأى الكثرة كارها .

وليس من اليسير أن نقطع برأى فى عدد الجيشين اللذين التقيا بصفين واقتتلا قتالا طويلا منكرا لم ير مثله قط فى الاسلام أى لم ير مثله قط بين المسلمين فقوم يبلغون بجيش على مئة ألف ويبلغون بجيش معاوية سبعين ألفا وقوم ينزلون بهذين الرقمين الى أقل من ذلك وليس من اليسير كذلك أن نحصى عدد القتلى من أولئك وهؤلاء وقد زعم قوم أن القتلى من أهل الشام بلغوا خمسة وأربعين ألفا وأن القتلى من أهل العراق بلغوا خمسة وعشرين ألفا .

والواقع أن مكيدة عمرو بن العاص تلك التى كادها برفع المصاحف لم تكن من عند نفسه لا ، لأنه قلد فيها عليا فحسب بل لشيء آخر فقد ينبغي أن نذكر أن عليا انما رفع المصاحف بين الصفين فى حرب البصرة قبل أن ينشب القتال يريد أن يعذر الى خصمه وينبغى أن نذكر أيضا أن مكان طلحة والزبير وأم المؤمنين من النبى كان يدعوه الى أن يحتاط ويتأنى ويذكرهم بالقرآن وما فيه ولا يقاتلهم حتى يستيئس من استجابتهم الى ما دعاهم اليه فلما رشق أهل البصرة ذلك الفتى الذى أمره على فرفع المصحف بين الصفين بالنبل حتى قتلوه ، قال على : الآن طاب الضراب ٠ فلو قد أراد أهل الشام أن يتقوا الفتنة والحرب حقا لرفعوا المصاحف ودعوا الى ما فيها قبل بدء القتال ولكنهم لم يفعلوا وما أكثر ما ذكروا بالقرآن فلم يذكروه وما أكثر ما ردوا سفراء على دون أن يعطوهم الرضى أو شيئا يشبه الرضى فما كان رفعهم للمصاحف بعد أن اتصلت الحرب أياما وأسابيع وبعد ان توادع الجيشان شهر المحرم كله الا كيدا لا يتقون به الفتنة وانما يتقون به الهزيمة وأكبر الظن أن بعض الرؤساء من أصحاب على لم يكونوا يخلصون له نفوسهم ولا قلوبهم ولم يكونوا ينصحون له لأنهم كانوا أصحاب دنيا لا أصحاب دين وكانوا يندمون فى دخائل أنفسهم على تلك الأيام الهينة اللينة التى قضوها أيام عثمان ينعمون بالصلات والجوائز والاقطاع ٠

ويجب أن نذكر أيضا أن عليا لم ينهض الى الشام بأهل الكوفة وبمن تابعه من أهل الحجاز وحدهم وانما نهض كذلك بألوف من أهل البصرة كان منهم من وفى له يوم الجمل وكان من اعتزل الناس فى ذلك اليوم أيضا وكان منهم مع ذلك كثير من الذين انهزموا بعد مقتل طلحة والزبير ٠ فهم اذا كانوا عثمانية لا يقاتلون مع على عن رضا وصدق وانما يقاتلون معه كارهين وهم اذا كانوا واجدين عليه لأنه قتل منهم من قتل واضطرهم الى الهزيمة اضطرارا ، لم يكن أصحاب على اذا كلهم مخلصين له مؤمنين به وانما كان منهم المخلص والمدخول ٠

كذلك أن المؤامرة لم تقف عند هذا الحد وانما تجاوزته الى ما هو أشد منه خطرا وهو اختيار الحكمين فلأمر ما ألح الأشعث ومن تبعه من اليمانية فى أن يختار (على) أبا موسى الأشعرى ولم يطلقوا له الحرية فى اختيار حكم يثق به ويطمئن اليه وهم يعلمون أن أبا موسى قد خذل الناس عن (على) فى الكوفة حتى عزله عن عمله فقد كان على اذاً مكرها على قبول التحكيم ومكرها على اختيار أحد الحكمين ولم تأت الأمور مصادفة وانما جاءت عن ائتمار وتدبير بين طلاب الدنيا من أصحاب على وأصحاب معاوية جميعاً ٠

ومهما يكن من شيء فقد اتفق الطرفان على أن يحكموا هذين الحكمين يحكمون عمرو من قبل معاوية ويحكمون أبا موسى من قبل علي ، وأبى أصحاب (علي) على امامهم أن يختار ابن عباس لأنه شديد القرب منه وأبوا عليه أن يختار الأشتر لأن اجهاده في الحرب كان عظيما وحرصه على الغلب كان شديدا . ولم يستطع (علي) أن يقبل ما عرضه عليه الأحنف بن قيس من أن يكون مندوبه في الحكم بل لم يستطع أن يجعله تاليا لابي موسى لأن أصحابه ابوا الا أن يندبوا أميرهم القديم الذى كره لهم الفتنة والذى لم يشترك في الحرب مع هذا الخصم أو ذاك ولم يذكروا أن عمرو بن العاص قد شارك في الحرب برأيه ولسانه وسيفه بل لعلهم ذكروا ذلك ولكنهم لم يقفوا عنده ولم يلتفتوا اليه واجتمع المفوضون من الفريقين فكتبوا صحيفة سجلوا فيها ما اتفق عليه الخصمان من وضع الحرب وايثار الحكمة واختيار الحكمين وتحديد الزمان والمكان لاجتماعهما وتأمينهما على أنفسهما وأموالهما مهما يكن حكمهما واستنصار الأمة كلها على من خالف عما في هذه الصحيفة .

ففيم كانا يختلفان بالفعل كان معاوية يطالب بدم عثمان ويريد أن يسلم اليه على قتله الخليفة المظلوم وكان (علي) لا يعرف لعثمان قاتلا بعينه ولا يقدر على أن يسلم الى معاوية جميع من ثاروا بعثمان حتى قتل . أفكان الفريقان يريدان من الحكمين أن يفصلا في هذه القضية ؟ واذاً فما بالهما لم ينصا عليها بل لم يذكرا عثمان وقتلته في الصحيفة أصلا . وكان معاوية يرى بعد مقتل طلحة والزبير وبعد أن استحصد أمره واشتد بأسه أن يكون أمر الخلافة شورى بين المسلمين وكان (علي) يرى أنه بويع كما بويع الخلفاء من قبله بايعه أهل الحرمين وهم أصحاب الحل والعقد وبايعه أهل الأمصار الا الشام فقد اجتمعت له اذاً بيعة الكثرة الكثيرة من المسلمين عامة ومن المهاجرين والأنصار خاصة ولم يبق لمعاوية الا أن يدخل فيما دخل فيه الناس ويدخل معه أصحابه من أهل الشام فان لم يفعلوا فهم الفئة الباغية التى أمر المسلمون بقتالها أن أبت الصلح وكرهت العافية حتى تفيء الى أمر الله واذاً فما بال الفريقين لم ينصا على ذلك في صحيفتهما بل لم يذكروا الخلافة ولا الشورى في الصحيفة أصلا .

وكان (علي) وأصحابه وهم كثرة من المسلمين يرون أن معاوية وأصحابه قد بغوا وقد أسفر علي الى معاوية ومن معه من أهل الشام فردوا سفراءه وأبوا أن يكون بينه وبينهم الا السيف ثم سبق معاوية وأصحابه على الماء فآثروا به أنفسهم وأرادوا تظمئ علي وأصحابه فاقتتل الفريقان على الماء حتى خلص لعلي ثم أذن لمعاوية وأصحابه أن يردوا وأن يشربوا فهاتان

طائفتان من المؤمنين قد اقتتلوا . ثم ارسل على سفراءه الى معاويه يعرضون عليه أن يدخل في الطاعة ولا يفرق المسلمين فلم يجدوا عنده خيرا فاقتتلوا أياما ثم توادعوا شهر المحرم وحاول علي وأصحابه الصلح فلم يجدوا من اهل الشام استجابة اليه فاقتتلوا في صفر وكان يجب ان يمضوا في القتال بحكم الآية الكريمة حتى يفيء معاويه وأهل الشـــام الى أمر الله وحينئذ تكف عنهم الحرب ويرفع عنهم السيف ويصبحون لخصمهم اولئك اخوانا ويجب الاصلاح بين الأخوين . وقد كاد جيش علي ان يظفر بالطائفة الباغيه ويضطرها الى ان تفيء الى امر الله ولكن المصاحف ترفع واذا الحرب تكف واذا القوم يدخلون في حومة غامضـــة مبهما لا حظ من وضـــوح أو جلاء فلم يخطيء الذين قالوا « لا حـــكم الا لله » اذاً حـــكم الله هو أن يستمر القتال حتى يضع معاوية وأصحابه وليس أدل على ذلك من أن عليا نفسه وهو الامام أبى أن ينخدع برفع المصاحف وقال : « أن معاوية ورهطه الادنين ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وانما هم يكيدون ويخادعون ويتقون حر السيف » فقد كان الامام يرى ألا حكم الا لله وأن السبيل الى حكم الله هو القتال حتى يذعن أهل الشام ولكن كثرة من أصحابه لم تذهب مذهبه واستكرهته على غير ما أحب فكانت هذه الحكومة . وهنا يبدأ خطأ هؤلاء الذين حكموا ، كانوا على صواب حتى شاوروا الامام فنصـــح لهم واستأنى بهم وأمرهم بالقصد وهم ليسوا أعلم بالقرآن من علي ولا أحفظ منه للسنة ولا أبصر منه بالمصلحة وقد ينبغي أن يترك للامام شيء من حرية يمضي به الأمر بين رعيته فهذه كثرة من أصحابه تطالبه بالسلم والحكومة وهذه قلة أصحابه تطالبه بالحرب ورفض الحكومة وأولئك وهؤلاء يركبون رءوسهم ويغلون فيما يذهبون اليه وليس للامام خيار الا أن يمضي مع الكثرة الى السلم والحكومة والأمل في صلح يحقن الدم ويجمع الشمل أو يمضي مع القلة الى الحرب واليأس المبير وقد آثر المضي مع الكثرة فكان على القلة أن تؤثر ما آثرت محتفظة برأيها منتظرة مع الامام فان كان الصلح المقنع فذاك وان لم يكن رجعت الكثرة الى رأى القلة وعادوا جميعا الى الحرب . ولكن كلا الفريقين من الكثرة والقلة أبى أن يتبع الا رأيه وانحاز علي الى الكثرة كارها ولم يمض يومان على كتابة الصحيفة أنفقهما القوم في دفن القتلى حتى أذن مؤذن (علي) في أصحابه بالرحيل عن صفين فرجعوا الى الكوفة شر مرجع وخرجوا منها أشد ما يكونون مودة وألفة وتصافيا وعادوا اليها أشد ما يكونون موجدة وفرقة واختلافا يتشاتمون ويتضاربون بالسياط تقول القلة للكثرة : التى خالفت أمر الدين وانحرفت بهم عن حكم القرآن وحكمتم الرجال فيما لا حكم فيه الا لله . وتقول الكثرة للقلة : خالفتم الامام وفرقتم الجماعة وابتديتموها عوجا ، ثم لم يدخلوا الكوفة جميعـــا وانما انحازت المحكمة الى حروراء فاعتزلوا فيها وكانوا ألوفا يصـــل بهـــا المكثرون الى

اثنى عشر ألفا ويهبط بها المقللون الى ستة آلاف وقد اعتزلوا فى حروراء فنسبوا اليها وأذن مؤذنهم أن حربهم شبث بن ربيعى التميمى وعلى الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكرى والبيعة لله عز وجل على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر · ومنذ ذلك اليوم نشأ فى الاسلام حزب جديد كان له فى تاريخه أثر بعيد ودخل على الكوفة منقلبة من صفين كما دخلها منقلبة من البصرة فلم ير فى مدخله هذا كما لم ير فى مدخله ذاك فرحا بقدومه ولا ابتهاجا بلقائه وانما رأى فى مدخله هذا كما رأى فى مدخله ذاك لوعة وحسرة وبكاء الا أن ما رأى من ذلك بعد عودته من صفين كان أكثر كثرة وأشد نكرا فقد كان قتلى صفين بالقياس الى قتلى يوم الجمل أضعافا وأضعافا · فلم يكن على وأصحابه مطمئنين الى خروج هذه الخارجة التى انتبذت من الجماعة مكانها بحروراء ، ولم تكن هذه الجماعة نفسها مطمئنة الاطمئنان كله الى ما هى مستقبلة من أمرها وآية ذلك أنهم أقاموا على حربهم شبث بن ربيعى التميمى فلم يلبث الا قليلا حتى رجع الى الكوفة وأقام مع الجماعة على ما كانت مقيمة عليه وكان على يرجو أن يستصلح هؤلاء الناس وكان هؤلاء الناس أنفسهم يأملون أن ينتهى الأمر بينهم وبين قومهم الى مخرج من هذا المأزق الذى تورطوا فيه فكانوا يوفدون وفودهم الى على يفاوضونه ويدعونه الى استئناف القتال مع عدوهم من أهل الشام وكان على يرد على أولئك الوفود بأنه لم يكره القتال وانما هم الذين كرهوه وجزعوا منه وبأنه قد أعطى معاوية وأصحابه ميثاقا على القضية ، فليس ينبغى له ألا ينزل على ما أعطى من الميثاق وكانت الوفود ترجع الى أصحابها بما سمعت من كلام (على) فيزداد اصرارهم على المقاطعة والمخاصمة ثم أرسل اليهم (على) عبد الله بن عباس فى جماعة من أصحابه فناظرهم تلك المناظرة المشهورة عند أهل الفرق وأصحاب الكلام ·

والمرجح أن عليا اكتفى أول الأمر بارسال ابن عباس فى جماعة من أصحابه فلما رأى أنهم لم يغنوا الغناء الذى كانوا يرجوه ذهب بنفسه الى الخوارج بعد أن أرسل اليهم فى أن يندبوا للمناظرة اثنى عشر رجلا منهم ويأتى هو فى مثلهم ثم خرج (على) حتى أتى فسطاط يزيد بن مالك الأرحبى وكان الخوارج يعظمونه ويطيفون به فصلى فى الفسطاط ركعتين ثم تقدم فناظر الناس وسمع منهم حجتهم وهى واضحة ثم رد عليهم بما تعود أن يقول دائما من أنه لم يكره القتال ولم يدع الى تركه وانما كرهه أصحابه واستكرهوه على وضع الحرب كما استكرهوه على قبول الحكومة وكان الخوارج قبلوا منه أن يذعن حين استكرهه أصحابه على ترك القتال ولكنهم لم يفهموا كيف استكرهوه على قبول الحكومة فهو لا يستطيع أن يقاتل وحده ولا يستطيع أن يقاتل بالقلة من أصحابه حين ينخذل عنه أكثرهم ولكنه فى رأيهم كان يستطيع أن يرفض الحكومة وليس

لأحد ان يكرهه عليها فرد عليهم بأنه كره أن يتأول الناس عليه قول الله عز وجل : « **ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون** » . كما كره أن يتأول الناس عليه آية التحكيم في الصيد وآية التحكيم في الشقاق وقالوا : فلم لم تثبت في الصحيفه أنك أمير المؤمنين ؟ أتراك شككت في امرتك ؟ قال علي : فان رسول الله صلى الله عليه وسلم محا من صحيفة الحديبية وصفه بأنه رسول الله وما شك في نبوته ولا في رسالته . ثم عاد الى أمر الحكمين فقال : انه أخذ عليهما العهد أن يحكما بما في كتاب الله . فان وفيا بما أعطيا من العهد فالحكم له ما في ذلك شك وان خالفا عما في كتاب الله فلا حكم لهما وليس بد حينئذ من النهوض لحرب أهل الشام .

الا أن الرجلين الذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم الكتاب وراء ظهورهما وارتأيا الرأى من قبل أنفسهما فأماتا ما أحيا القرآن وأحييا ما أمات القرآن ثم اختلفا في حكمهما فكلاهما لم يرشد ولم يسدد فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين : فاستعدوا للجهاد وتأهبوا للمسير وأصبحوا في معسكركم يوم الاثنين ان شاء الله .

ومع هذا كله لم يرد (علي) أن يهيجهم وانما أزمع المضي الى الشام وقال : لعلهم يتدارسون أمرهم ويثوبون الى رشدهم ولكن الأنباء تصل اليه بأنهم قد نشروا الفساد في الأرض فقتلوا عبد الله بن خباب بن الارث وخباب من خيار الصحابة وقتلوا نسوة كن مع عبد الله وجعلوا يستعرضون الناس ويشيعون الذعر فأرسل اليهم (علي) رجلا من أصحابه يسألهم عن هذا الفساد ويطلب اليهم أن يسلموا اليه أولئك الذين استحلوا قتل النفس التي حرم الله بغير الحق فلم يكد الرسول يدنو منهم حتى قتلوه وجاء الخبر عليا فكره أصحابه أن ينهضوا الى الشام ويتركوا من ورائهم هؤلاء الخوارج يفسدون في الأرض ويستبيحون أموالهم وعيالهم وهم غائبون وألحوا على امامهم في أن ينهض بهم الى هؤلاء الخوارج حتى اذا فرغوا منهم تحولوا الى عدوهم من أهل الشام فحاربوا وهم مطمئنون على ما وراءهم وسمع لهم (علي) فسار بهم الى النهروان حتى اذا صار بازاء الخوارج جعل يطلب اليهم قتلة عبد الله بن خباب ومن كان معه وقتلة رسوله اليهم فلا يظفر منهم الا بجواب واحد هو : « كلنا هؤلاء القتلة » وجعل (علي) يعظهم بالكتابة مرة وبالخروج اليهم ووعظهم مشافهة مرة أخرى وقد أجدى وعظه هذا فجعل كثير من الخوارج يتسللون ويعودون الى الكوفة وجعلت طوائف منهم تعتزل جيش الخوارج ، منهم من يعود الى جيش علي ومنهم من يعتزل الحرب دون أن يعود الى الجماعة حتى لم يبق حول عبد الله بن وهب الراسبي ذي الثفنات رئيس الخوارج

الا ثلاث آلاف أو أقل من ذلك أو أكثر من ذلك قليلا فلما استيأس (على) من هؤلاء عبأ جيشه وأمر بألا يبدءوهم بقتال حتى يقاتلوهم ولم يكد الخوارج يرون التعبئة حتى تعبئوا ٠

ثم يشدون على جيش (على) شدة منكرة تنفرج لها خيل على فرقين: فرق يمضى الى الميمنة وفرق يمضى الى الميسرة والخوارج يندفعون بين الفرقين فيلقاهم رماة على بالنبل فيصرعون منهم خلقا كثيرا ثم يلتئم الفرقان من الخيل وما هى الا ساعة حتى يقتل الخوارج عن آخرهم وفيهم رئيسهم ذى الثفنات وجماعة كانوا قبل التحكيم من أشدهم نصحا (لعلى) وجهادا فى سبيله لأنهم كانوا يرون سبيله هى سبيل الله ٠

ظن (على) أن الأمور قد استقامت له فلم يبق الا أن يرمى بجيشه هذا المنتصر أهل الشام ولكن الشيء الذى لم يكن يفكر فيه على ولم ينتبه اليه أحد يومئذ هو أن هذه الآلاف الثلاثة من الرجال الذين قتلوا كانوا كلهم من أهل العراق أكثرهم من أهل الكوفة وبعضهم من أهل البصرة وليس منهم الا من ينتمى الى عشيرة فى أحد هذين المصرين وكثير منهم كانت عشائرهم فى جيش (على) ذاك الذى قتلهم ٠

وقد ابتهج أهل الكوفة فى حزن بعد يوم الجمل بانتصارهم على أهل البصرة وشجعهم هذا الانتصار على أن ينهضوا الى صفين أما فى هذا اليوم يوم النهروان فأهل الكوفة يقتلون أهل الكوفة وأهل البصرة يقتلون أهل البصرة فأى غرابة فى أن يشيع الحزن فى القلوب وتغشى النفوس كآبة لا تؤذن بخير٠وأى غرابة فى أن يدعوهم (على) الى النهوض الى الشام فيعتل عليه رؤساؤهم منهم الصادق ومنهم الماكر الكاذب ٠ يقولون له : قد نفذت السهام وتكسرت السيوف ونصلت الرماح فأعدنا الى مصرنا لنستريح ونجدد أداتنا ثم ننهض معك الى عدونا٠ولا يكاد (على) يعود بهم الى معسكرهم فى النخيلة خارج الكوفة ويحرج عليهم ترك المعسكر ودخول المصر حتى ينظر فاذا هم يتسللون أفرادا وجماعات حتى لا يبقى فى المعسكر الا عدد يسير لا يغنون عنه شيئا وحتى يضطر هو الى أن يدخل الكوفة ويفكر فى الاستعداد من جديد وكان معاوية قد بلغه نهوض (على) الى الشام فنهض فى أصحابه يسبق الى صفين ولكن عليا لم يقدم فلما عرف معاوية ما كان من أمره مع الخوارج ومن رجوعه الى الكوفة وتخاذل أصحابه عن القتال عاد الى دمشق موفورا دون أن يلقى كيدا ٠

وقد كانت حياة (على) بعد النهروان محنة متصلة ، محنة شاقة الى أقصى حدود المشقة كان يرى الحق واضحا مضيئا صريحا له كما تضيء الشمس وكان يرى فى أصحابه من القوة والبأس ومن العدد والعدة

ما يمكنه من بلوغ هذا الحق واعلاء كلمته ولكنه كان يرى أصحابه قاعدين عن حقهم متخاذلين عن نصره ، يدعون فلا يجيبون ويؤمرون فلا يطيعون ويوعظون فلا يتعظون قد أحبوا الحياة وكرهوا الموت وآثروا العافية وضاقوا بالحرب واستلذوا الراحة وسئموا التعب حتى أخذ معاوية ينتقص أطرافهم فى العراق ويغير على الأقاليم خارج العراق وعلى يدعو فلا يجاب ويأمر فلا يطاع ويقول فلا يسمع له الا قليل من أصحابه لا يكادون يغنون عنه شيئا ٠

ثم لم تقف محنته فى أصحابه عند هذا الحد ولكنها تجاوزته الى شر منه وأقسى ، فقد استبان له بعد قليل أن انتصاره فى النهروان لم يغن عنه شيئا على ما كلفه من مشقة وما أعقب فى نفسه وفى نفوس أصحابه من حزن وحسرة فهو لم يقتل الخوارج فى النهروان وانما قتل منهم جماعة ليس غير وقد ظل الخوارج معه بعد ذلك يعايشونه فى الكوفة ويعايشون عامله فى البصرة وينبثون فى أطراف السواد بين المصرين ٠

وقد رسمت الظروف لهؤلاء الخوارج خطة محتومة لم ينحرفوا عنها قط أثناء تاريخهم وهى أن يكيدوا للامام ويمكروا به ويخذلوا عنه ويحرضوا عليه ويدعون الى مذهبهم حين لا تواتيهم القوة ولا يسعفهم اليأس فاذا كثر عددهم واستطاعوا مكابرة السلطان خرجوا من أمصارهم مستخفين أو ظاهرين ثم ابتعدوا مكانا يلتقون فيه فاذا التقوا أظهروا المعصية وسلوا السيف ٠

ومضى امتحان (على) على هذا النحو المر خيانة من الولى وكيدا من العدو وهو بين ذلك كله مصمم على خطته الواضحة لا يرضى الدنية من الأمر ولا يدهن فى دينه ولا يتحول عن سياسته الصريحة قليلا ولا كثيرا والمحن تتتابع عليه ويقفو بعضها أثر بعض وهو فى طريقه لا ينحرف عنه الى يمين أو الى شمال يبلغ منه الغيظ أقصاه ويضيق بحياته أشد الضيق فلا يزيد على أن يجمجم ويظهر غيظه دون أن يلفته شىء من ذلك عما صمم عليه ٠ ولم يكد يفرغ من أمر النهروان حتى امتحن فى دولته نفسها فقد أخذ معاوية يغير على أقطارها وينتقص أطرافها وقد أطاعه أهل الشام مخلصين فى الطاعة لا يناقشونه اذا أمرهم ويقبلون عليه اذا دعاهم وكانت نفسه قد تعلقت بمصر منذ نهض (على) بالخلافة لقربها منه وبعدها من على ، ولأن الثائرين من أهلها كانوا أشد أهل الأقاليم على عثمان وأسرعهم الى الفتك به وقد هم معاوية أن يصل بالكيد الى ما أراد من مصر وكأنه قد بلغ بكيده ما أحب بعد خطوب طوال ثقال ٠ كان على قد

ولى قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى الخزرجى أمر مصر وكان لهذا الأمر كفء ولهذا العبء حامل . قدم مصر وقرا على أهلها عهد (على) فقام الناس اليه فبايعوا لعلى واستقام له الامر الا ان فريقا منهم اعتزلوا وكتبوا الى قيس أنهم لا يريدون أن ينصبوا له حربا ولا أن يمنعوه خراجا ولكنهم ينتظرون بالبيعة حتى يروا ما يصير اليه أمر الناس فوادعهم قيس ولم يهجهم ثم كتب اليه معاوية وعمرو بن العاص يستميلانه اليهما فرد عليهما ردا رقيقا لم يؤنسهما من نفسه ولم يطمعهما فيها ، وانما أراد أن يتقى شرهما ويامن مكرهما فى اقليمه هـذا البعيد من مركز الخلافة ولكن معاوية لم يرض منه بذلك وانما كتب اليه وكتب ليعرف الصريح من رأيه ، وليتبين أصديق هو أم عدو فلما استيأس منه فسد الأمر بينهما حتى كتب اليه يسبه ويدعوه اليهودى ابن اليهودى فرد عليه قيس سبا بسب ودعاه الوثنى ابن الوثنى ووصفه وأباه بأنهما دخلا فى الاسـلام كارهين وخرجا منه طائعين فعـرف معـاوية أن أمر قيس لن يستقيم له بالكيد الرقيق ولا بالنذير العنيف فلم يكد له فى مصر وانما كاد له فى العراق، كتب على لسانه كتابا أظهر فيه انحرافه عن (على) وغضبه لعثمان ومطالبته بدم الخليفة المظلوم ودس الكتاب الى أهل الكوفة فأما (على) فلم يصدق ما جاء فى الكتاب ولم يزد على أن قال لأصحابه : انى أعلم بقيس منكم وليست هى فعلة من فعلاته ولكن أصحابه صدقوا وثاروا وألحوا فى عزل قيس وتريث (على) مع ذلك وكتب الى قيس يأمره أن يناجز القوم الذين اعتزلوا ولا يقبل منهم الا البيعة فأجابه قيس متعجبا من اسراعه الى حرب هؤلاء القوم الوادعين طالبا اليه أن يخلى بينه وبين اقليمه يديره كما يرى لأنه قريب (وعلى) بعيد ولأنه يخشى ان هاج هؤلاء النـاس أن يفسد عليـه الأمر وأن يجدوا من قومهم من ينصرهم وأن يستعينوا بمعاوية فيعينهم . ولم يشك أهل الكوفة بعد أن عرفوا ذلك من أمر قيس فى أنه قد أضمر الشر وخالف عن أمر امامه فألحوا فى عزله ووما زالوا يلحون حتى عزله (على) وولى مكانه محمد بن أبى بكر .

فلما وصل محمد بن أبى بكر الى مصر رحل عنها قيس الى المدينة فلم يقم فيها الا قليلا ثم قدم على (على) فشهد معه صفين ونصح له فى المحضر والمغيب ودعا محمد بن أبى بكر أولئك المعتزلة الى الطاعة فلما أبوا عليه أخذ فى حربهم فأرسل اليهم جندا لم يلبث أن انهزم وأرسل اليهم جيشا آخر لم يلبث أن انهزم أيضا وثار لهؤلاء النـاس قوم من أنصارهم وظهرت الدعوة للثأر بعثمان فى مصر واضطرب أمر الاقليم وعرف على ذلك فولى الأشتر النخعى مصر وعزل عنها محمد بن أبى بكر ولكن الأشتر لم يكد يصل الى القلزم حتى مات وأكثر المؤرخين يتحدثون بأن معاوية أغوى صاحب الخراج فى القلزم وحط عنه الخراج ما بقى

فاحتال في موت الأشتر وبأن هذا الرجل دس للأشتر سما في شربة من عسل فقتله ليومه أو لغده وكان معاوية وعمرو يتحدثان فيقولان : ان لله جنودا من عسل . ثم جهز معاوية جيشـا لغزو مصر وأمر عليه إبن العاص واضطر (علي) الى أن يثبت محمد بن أبي بكر في ولايته ويأمره بالتحرز والاحتراس ويعده بارسـال المال والجند وجعل يدعـو أهل الكوفة الى نصر اخوانهم في مصر فلم ينتدبوا لذلك فلما اشتد عليهم في الالحاح انتدب له جنده ضئيل فأرسلهم (علي) الى مصر ولكنه لم يلبث أن تلقى الأنباء بأن عمرو قد دخل مصر فاحتازها وأن محمد بن أبي بكر قد قتل وحرقت جثته في النار فرد جنده الضئيل وخطب أهل الكوفة لائما مشتدا في اللوم كعادته ولكن أهل الكوفة لم يزيدوا على أن سمعوا ثم تفرقوا . ومنذ ذلك اليوم انقسمت الدولة الاسلامية شطرين : شطر المغرب وأمره الى معاوية وقوامه الشام ومصر وما فتح على المسلمين من أفريقيا وما وراء ذلك من أرض كانت تنتظر الفتح وشطر المشرق وأمره الى (علي) وقوامه العراق وما فتح على الفرس وجزيرة العرب على أن معاوية لم يقنع بما احتاز من هذا المغرب وانما أطمعه انتصاره واجتماع أصحابه عليه وطاعتهم له وكيده لعلي في العراق ونجاحه فيما كان يحاول من استهواء أصحاب (علي) فلم يلبث أن فكر ، ثم حاول يخطئه النجاح فيما فكر ولا فيما حاول ولم يفكر في أقل من أن يغزو أهل العراق في عقر دارهم ولم يحاول أقل من أن يشيع الذعر والهلع فيما بقي لعلي من الأرض .

ومع أن معاوية لم ينجح فيما قصد اليه من أخذ البصرة كما أخذ مصر أو اثارة الفتنة فيها والكيد لعلي ولم يزد على أن أرسل ابن الحضرمي الى الموت المنكر فأنه على ذلك قد أفسد من أمر البصرة شيئا كثيرا فليس قليلا أن يثير فيها الفتنة وقتا طويلا أو قصيرا وأن يلجيء زيادا وبيت ماله الى حي من أحياء العرب يجيرونه من سائر الناس صنيعة العرب في جاهليتهم وأن يترك البلد مضطربا قد اختلط فيه الأمر وانتشرت فيه الضغائن والاحن وفسد بعض أهله على بعض ثم هو بعد ذلك قد انتفع بالتجربة وعرف أن الحرب الظاهرة المجاهرة (لعلي) في العراق لم يئن أوانها بعد فاتخذ لنفسه خطة أخرى ليست أقل من الحرب الظاهرة شرا ولا أهون منها شأنا ولعلها أن تكون أشد ترويعا للنفوس واشاعة للذعر ونشراً للقلق ولعلها أن تكون أبلغ في اشعار أهل العراق بالخوف المتصـل والفزع المقيم واقناعهم بأن سلطان علي قد بلغ من الضعف والوهن وكلال الحد أنه أصبح لا يغني عنهم شيئا ولا يدفع عنهم شرا ولا يرد عنهم مكروها وانما هم معرضـون لمعاوية يصيب من أموالهم ودمائهم ما شاء ومتى شاء وكيف شاء .

والشىء المحقق هو أن معاوية قد طمع في (على) وأهل العراق فاتخذ خطة الهجوم الخاطف المتصـــل وألزم خصمه خطة الدفاع البطىء الذى لا يدفع شرا ولا يصلح فسادا ٠

وامعن معاوية فى هذه التجارب فتجاوز بغاراته العراق الى بـلاد العرب وكانت بلاد العرب موطأة لمعاوية فمكة حرام لا يقاتل أهلها ولا يحب أحد من الخصمين أن يقاتل حولها وأهل المدينة وادعون يرون أن مكانهم من دار الهجرة ونزولهم حول مسجد النبى ﷺ وانتقال السلطان عنهم الى الكوفة قد أمنهم أن يغير عليهم أحد ومقاتلتهم بعد ذلك فقد لحق أكثرهم بعلى ولحق أقلهم بمعاوية ٠ وفى اليمن شيعة لعثمان يناوءون عامل (على) عليها وهو عبيد الله بن عباس ولكنهم لا يبلغون بمناوأته الحرب وانما يضطرونه الى أن يصطنع فيهم الشدة فيلقونه بالنكير ٠ وقد عظم أمر هذه الشيعة حتى كتب العامل الى (على) وأرسل (على) من يحاول اصلاحهم ويرهبهم بمقدم الجند فكتبوا الى معاوية يستنصرونه ويستحثونه ٠

وقد أقام معاوية فى الشام يرى ويسمع من أمر خصمه ما يزيده فيه طمعا وها هو ذا قد طمع فى أن يرسل من قبله من يقيم للناس الحج فى الموسم وما له لا يفعل وقد بايعه أهل الشام بالخلافة ودانت له مصر واستقام له كثير من أهل البادية وضـعف خصمه عن النهوض لحربه بل ضعف حتى عن الدفاع عن سلطانه فى داخـل حدوده نفسهـا ٠ وكذلك أرسل معاوية يزيد بن شجرة الرهـاوى أميرا على الموسم يقيم للناس حجهم وكان يزيد عثمانيا مخلص الحب لمعاوية ولكنه كان يكره القتال فى المكان الحرام والشهر الحرام فلما استيقن أن معاوية لا يرسله للحرب وانما يرسله لأمر ظاهره الدين ومن ورائه السياسة مضى لمهمته ٠

وقد انتهت كل هذه الأمور بعلى الى عزيمة أتمها الله له فيها كثير من اليأس وفيها كثير من المغامرة ولكنها كادت أن تبلغه مأربه لولا أن الناس يدبرون وأمر الله غالب والكلمة الأخيرة للقضـــاء المحتوم لا لما يدبرون فقد خطب (على) فى أصحابه داعيا لهم أن يتجهزوا لقتال أهل الشام محرضا لهم على ذلك أشـد التحريض كما تعود أن يفعل فسمعوا منه وانصرفوا عنه ولم يصنعوا شيئا كما تعودوا أن يفعلوا فلما استيأس منهم دعا اليه رءساءهم وقادتهم وأولى الأمر فيهم وتحدث اليهم حديثا صريحا لا لبس فيه وجعل تبعاتهم أمامهم يرونهـا بأعينهم ويلمسونها بأيديهم أن أمكن أن ترى التبعات بالعيون وتلمس بالأيدى بين لهم انهم أرادوه على الخلافة دون أن يطلبها اليهم وعرضوا عليه بيعتهم دون أن يعرض

عليهم نفسه ثم هم الآن يظهرون طاعة ويضمرون نكثا وسد طاولهم حتى سئم المطاولة وانتظر نشاطهم لما يدعوهم اليه حتى مل الانتظار ووعظهم فى غير طائل وحرضهم فى غير عناء وقد أزمع أن يمشى لحرب خصمه فى الشام مع من تبعه من أهله ومن قومه فان لم يتبعه منهم أحد مضى وحيدا فقاتل حتى يبلى فى سبيل الله ويلقى الموت فى ذات الحق ·

وكان الرؤساء والقادة قد استحيوا من (على) واستخزوا فى أنفسهم وأشفقوا أن ينفذ ما صمم عليه فيمضى وحده أو فى قلة من الناس لقتال أهل الشام فيلحقهم بذلك عار أى عار وتصيبهم المحنة فى دينهم وفى نفوسهم وفى أمورهم كلها فقام خطباؤهم الى (على) فأحسنوا له القول وأخلصوا له النصح ثم تفرقوا عنه فتلاوموا ومضوا لانجاز ما وعدوا به عليا فجمع كل رئيس قومه فوعظهم وحرضهم حتى اجتمع لعلى جيش صالح قد تعاقد الجند فيه على الموت ثم أرسل (على) معقل بن قيس يعبئ له أهل السواد ليضمهم الى من اجتمع له فى الكوفة وأخذ يرسل الى عماله فيما وراء العراق من شرق الدولة يدعوهم الى النهوض اليه ليكونوا معه فى حربه وأرسل زياد بن خصفة فى جماعة من أصحابه طليعة بين يديه وأمره أن يغير على أطراف الشام ليروع أهلها وان عليا لفى هذا الاستعداد وقد تراءت له غايته اذا القضاء يقول كلمته فينقض عليه وعلى أهل العراق كل تدبير ·

انتدب الخوارج عبد الرحمن بن ملجم الحميرى لقتل على وانتدب الحجاج بن عبد الله الصريمى من تميم لقتل معاوية وانتدب عمرو بن بكر لقتل عمرو بن العاص واتفقوا على يوم بعينه ينفذون فيه ما صمموا عليه وحددوا ساعة لاغتيال هؤلاء الثلاثة وهى ساعة الخروج لصلاة الصبح من اليوم السابع عشر من شهر رمضان لعامهم ذاك سنة أربعين · وأقاموا فى مكة أشهرا ثم اعتمروا فى رجب ثم تفرقوا ومضى كل واحد منهم لينفذ نصيبه من هذه الخطة فأما صاحب معاوية فعرض له فى الساعة الموقوتة من اليوم الموقوت فلم يبلغ منه شيئا لأنه كان دارعا فيما يقول بعض المؤرخين أو لأنه لم يصب منه مقتلا فيما يقول بعضهم الآخر ولكنه هو أصاب حتفه وأما صاحب عمرو فعرض له فى الساعة الموقوتة كذلك ولكنه لم يصبه لأن عمرا لم يخرج للصلاة فى ذاك اليوم منعته العلة فأناب صاحب شرطته خارجة بن حذافة العدوى وأصابه السيف فقتله وقتل عمرو بعد ذلك هذا المغتال الذى أراد عمرو فأراد الله خارجة وأما عبد الرحمن بن ملجم فأقام فى الكوفة يرقب يوم الموعد وساعته ثم أقبل من آخر الليل ومعه رفيق له استعانه على ما أراد فانتظرا خروج (على) للصلاة فلما خرج تلقياه بسيفهما وهو يدعو الناس لصلاتهم

فأصابه سيف ابن ملجم فى جبهته فبلغ دماغه ووقع سيف صاحبه فى جدار البيت وخر على حين أصابته الضربة وهو يقول : « لا يفوتنكم الرجل » وقد أخذ عبد الرحمن بن ملجم وقتل صاحبه وهو يحاول الفرار ٠

وحمل (على) الى داخل داره وكان يدعو الناس لتركه واللحاق بصلاة الفجر ويروى المؤرخون أن قاتل على لقيه بالسيف وهو يقول : الحكم لله يا على لا لك وعندما يأتون له بالمجرم وهو على فراشه يفتح (على) عينيه ويراه ويقول له « أهو أنت لطالما أحسنت اليك » وعندما يرى المصير الذى يحيق بالمجرم يلتفت الى المحيطين به قائلا : « أحسنوا نزله وأكرموا مثواه ٠ فان أعش فأنا أولى بدمه قصاصا أو عفوا وان أمت فالحقونى به أخاصمه عند رب العالمين » ٠

« يا بنى عبد المطلب لا ألفيتكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قتل أمير المؤمنين ألا يقتلن أحد الا قاتلى ضربة بضربة ولا تمثيل بالرجال فقد قال رسول الله ﷺ « **اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور** » وفاضت روح على بن أبى طالب مع غروب يوم السبت التاسع من رمضان سنة ٤٠ هـ ولم يستخلف (على) أحدا بعده بل عندما سأله وفد من الصحابة أن يستخلف ابنه الحسن من بعده قال لهم « **لا آمركم ولا أنهاكم أنتم بأموركم ابصر ـ سأقول لربى تركتكم دون أن أستخلف عليكم كما ترك الرسول المسلمين دون أن يستخلف عليهم** » ٠

يقول بعض الشيعة أنه استخلف الحسن نصا وكان الحسن رجل صدق قد كره الفرقة وآثر اجتماع الكلمة وخاض غمرات الفتنة على كره منه فى أكبر الظن وقاوم الفتنة ما وسعته مقاومتها أيام عثمان فلم يخض فيما خاض الناس من حديثها ولم يشارك فى المعارضة حين عظم الشر وكان من الذين أسرعوا الى دار عثمان فقاموا دون الخليفة يريدون حمايته ولكن الخليفة قتل رغم ذلك ٠

وعلى العموم فلم يعرض الحسن نفسه على الناس ولم يتعرض لبيعتهم وانما دعا الى هذه البيعة قيس بن سعد بن عبادة فبكى الناس واستجابوا وأخرج الحسن فأجلس للبيعة واشترط على الناس أن يسمعوا ويطيعوا ويحاربوا من حارب ويسالموا من سالم فلما سمع الناس منه تكراره لأمر السلم ارتابوا وظنوا انه يريد الصلح وقال بعضهم لبعض : ليس هذا لكم بصاحب وانما هو صاحب صلح وقد مكث الحسن بعد البيعة أو قريبا من شهرين لا يذكر الحرب ولا يظهر استعدادا لها حتى ألح عليه فى أن ينهض فيما كان ينهض فيه أبوه فنهض للحرب وقدم

بين يديه اثنـا عشر ألفـا من الجند جعل عليهم ابن سعد وجعل معه عبيد الله بن عبـاس وقوم يقولون انه جعل على هذا الجند ابن عمـه وأمره أن يستشير قيس بن سـعد وسـعيد بن قيس الهمداني ولا يخالف عن رأيهما فمضى الجند وخرج الحسن في أثرهم في عدد ضخم من أهل العراق وكأنه خرج يظهر لهم الحرب ويدبر أمر الصلح فيما بينه وبين خاصته حتى اذا بلغ المدائن تسامع الجيش ببعض ذلك فاضطرب الناس وماج بعضهم في بعض واقتحموا على الحسن فسطاطه وعنفوا به عنفا شديدا حتى انتهبوا متاعه فخرج الحسن يريد المدائن وطعنه رجل فلم يصب منه مقتلا ٠

وقد أقام الحسن في المدائن حتى برىء من جرحه وتعجل السلم في أثناء ذلك ثم رجع الى الكوفة فاستقبل فيها سفراء معاوية الذين أعطوه كل ما أراد : أعطوه الأمان له ولأصحابه كافة وأعطوه خمسة ملايين من الدراهم كانت في بيت المـال بالكوفة وأعطوه خراج كورتين من كـور البصرة ما عاش وبينما كان الحسن يفاوض في الصلح كان عبيد الله بن عباس يتعجل السلم لنفسه ويترك جيشه الى معاوية دون أن يستخلف عليه أحدا ٠ رشـاه معاوية بالمال فلم يستطع أن يعصى المال وكذلك انحرف عبد الله بن عباس عن (علي) وانحرف عبيد الله بن عباس عن الحسن كلاهما ينحرف عن صاحبه في أشد الأوقات حرجا وأعسرها عسرا ونهض قيس بن سعد بأمر هذا الجند حتى جاءه أمر الحسن بالدخول في طاعة معاوية فأظهر الناس على ذلك وخيرهم بين أن يدخلوا فيما دخل فيـه أمامهم أن يقاتلوا عدوهم على الحق بغير امام فاختاروا العافية ووضعت الحرب أوزارها وفتحت الطريق لمعاوية الى الكوفة فدخلها موفورا وبايع له الناس ولم يبايع قيس بن سعد الا بعد خطوب ٠

وقد عرض معاوية على الحسن ثلاثة أشياء : أن يجعله ولي عهده وأن يجعل له مرتبا سنويا من بيت المال ألف ألف درهم وأن يترك له كورتين من كور فارس يرسل اليهما (عماله) ويصنع بهما ما يشاء ثم أعطى (علي) نفسه العهد المشدد المؤكد أن يؤمن الحسن من كل غائلة ٠

وكان الحسن أراد أن يصطنع شيئا من اللباقة فاحتفظ بشروط معـاوية وطلب الى معاوية مزيدا هو تأمين الناس ولكن معـاوية كان أدهى من ذلك وأبرع كيدا فقد أعطى ابن أخته طومارا (ورقا) ختم في أسفله وقال له : أكتب ما شئت فجاء عبد الله بن الحارث بهذا التفويض الى الحسن فكتب فيه الحسن : (هذا ما صـالح عليه الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان صالحه على أن يسلم اليه ولاية أمر المسلمين

على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين وعلى أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده وأن يكون الأمر شورى والناس آمنون حيث كانوا على أنفسهم وأموالهم وذراريهم وعلى الا يبغى الحسن ابن على غائلة سرا ولا علانية ولا يخيف أحدا من أصحابه وشهد عبد الله ابن الحارث وعمر بن سلمه) ثم رد عبد الله بن الحارث الى معاوية بكتابه هذا ليشهد عليه من أصحابه ففعل وتم الصلح ولكنه لم يتم دون أن يترك بين الرجلين من اختلاف الرأى وسوء التفاهم ٠

ومن أجل اختلاف الرأى هذا طلب الحسن الى معاوية بعد أن استقام له الأمر أن يفى له بشروطه المالية فأبى عليه معاوية وقال له : « ليس لك عندى الا ما شرطت لنفسك » وكأن الحسن أراد تحكيما وكأنه أراد أن يحكم سعد بن أبى وقاص فلم يقبل معاوية تحكيما ولكنه على ذلك أرضى الحسن بما أعطاه وما فرض له من المال ٠ وتكثر المؤرخون والرواة بعد ذلك فزعم قوم أن معاوية وفى بالشروط للحسن ثم أغرى أهل البصرة سرا فطردوا عمال الحسن من الكورتين وأبوا أن يدفعوا اليه شيئا من خراجهما وقالوا : هذا فيؤنا وليس لأحد غيرنا فيه حق والأمر كما رأيت أيسر من ذلك والشيء الذى ليس فيه شك هو أن معاوية قد بر الحسن وأرضاه بالمال فلم يجد فى حياته عسرا ولا ضيقا وانما عاش في المدينة عيشة الغنى السخي الذى ينفق عن سعة ولا يحسب للمال حسابا ومهما يكن من شيء فقد سار معاوية الى الكوفة مطمئنا راضى البال ينشر من حوله الرضي والطمأنينة واستقبله الحسن فبايعه وبايعه الناس وكأن معاوية أراد أن يعلن الحسن رضاه عن هذا الصلح واطمئنانه الى النظام الجديد ٠

وقد فرغ الحسن من هذا الأمر كله وارتحل بأهل بيته الى المدينة وترك معاوية فى الكوفة يدبر أمر دولته الجديدة كما يشاء ولكن الحسن لم يكد يبعد عن الكوفة حتى أدركه رسول معاوية يريد أن يرده الى الكوفة ليقاتل طائفة من الخوارج خرجت عليه فأبى الحسن أن يعود ٠

ولم يكد الحسن يترك الكوفة فى طريقه الى المدينة حتى أظهر معاوية لأهل العراق شدة بعد لين وعنفا بعد رفق فأعلن اليهم أول الأمر ألا بيعة لهم عنده حتى يكفوه بوائقهم ويردوا عنه خوارجهم هؤلاء الذين خرجوا عليه ، فمضى أهل الكوفة الى الخوارج فقاتلوهم كما كانوا يقاتلوهم أيام على واستبان لهم أن أمرهم لم يتغير وأنهم كانوا يقاتلون أبناءهم واخوانهم وأولى مودتهم ليطيعوا عليا ثم هم الآن يقاتلونهم ليطيعوا معاوية ٠

وقد ولى معاوية المغيرة بن شعبة أمر الكوفة وولى عبد الله بن عامر أمر البصرة فعاد اليها بعد أن كان قد فارقها بقتل عثمان وعاد معاوية الى الشام يدبر أمر دولته من دمشق وقد جعل أهل العراق يذكرون حياتهم أيام (على) فيحزنون عليها ويندمون على ما كان من تفريطهم فى جنب خليفتهم ويندمون كذلك على ما كان من الصلح بينهم وبين أهل الشام وجعلوا كلما لقى بعضهم بعضا تلاوموا فيما كان وأجالوا الرأى فيما يمكن أن يكون ولم تكد تمضى أعوام قليلة حتى جعلت وفودهم تفد الى المدينة للقاء الحسن والقول له والاستماع منه .

وهنا يختلف المؤرخون والرواة فقد توفى الحسن ــ رحمه الله ــ سنة خمسين للهجرة فأما الشيعة فيرون أن معاوية قد دس اليه من سمه ليخلو له ولابنه وجه الخلافة وأما مؤرخو الجماعة من أهل السنة فيرون ذلك ويكثرون من روايته ولكنهم لا يقطعون به ومن المحدثين من يرويه ولكنه يراه بعيدا لا لشىء الا لأن معاوية قد صحب النبى ﷺ فلا يليق به أن يأتى مثل هذا الأمر البغيض .

وما ينبغى أن يذكر هو أمر الحسين بن على فان الحسين لم يكن قد نصب نفسه للبيعة ولم يكن اماما للمسلمين ولم يكن معاوية قد صالحه ولا وعده ولا شرط له .

ومع ذلك فلم يتردد معاوية فى أن يبايع بولاية العهد لابنه يزيد وأكره الحسين كما أكره غيره من شباب المهاجرين على أن يسكتوا عن هذه البيعة التى كانوا ينكرونها فى أنفسهم أشد الانكار ومهما يكن من شىء فقد صارت رياسة الشيعة الى ابن عبد الله الحسين بن على رحمه الله بعد وفاة أخيه .

وقد أتيحت له هذه الفرصة شيئا ما حين صارت اليه رياسة الشيعة لأن الفرصة لم تتح كاملة فقد أصبح سيد قومه ورئيس حزبه ولكنه بايع معاوية وما كان له أن ينقض بيعته أو ينحرف عما أعطى على نفسه من العهد والميثاق وكان الحسين صاحب فطنة حسن النظر فى الأمور رأى الدولة منقادة لمعاوية قد ضبطت له أمصارها وعرف هو كيف يسوس الناس بالحلم والرفق والسخاء وكيف يولى فى الأمصار من يسوسون أهلها بالقسوة الصارمة والخوف السخيف فلم يحاول الخروج حين أتيحت له الفرصة بما كان من نقض معاوية لما بايع الناس عليه من الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله وقد نقض معاوية هذه البيعة ما فى

ذلك شك ونقضها مرتين : احداهما حين قتل من قتل من أهل الكوفة والثانية حين بايع بولاية العهود لابنه يزيد وجعل الخلافة وراثه ينقلها لابنه كما ينقل اليه ماله مع أن أمر الخلافة ليس ملكا خاصا للخليفة وانما هو ملك عام لجماعة المسلمين وكان اسراف معاوية فى أموال المسلمين وتوليته الجبابرة على الأمصار واسراف أولئك الجبابرة فى أموال الناس ودمائهم ، كل ذلك كان نقضا منه للبيعة التى أعطاها للناس تبرىء ذمة الحسين لو أراد الخروج وقد همت عائشة نفسها أن تخرج بعد قتل من قتل معاوية من أهل الكوفة ولكنها أشفقت أن تثير فتنة عقيمة كالتى أثارتها حين خرجت مع صاحبها مطالبة بدم عثمان فكفت نفسها عن الخروج وقد رأى الحسين أن الأمر لا يستقيم له ان هم بالثورة فصبر نفسه على ما تكره ولكنه غير سياسة أخيه التى ساس بها الحزب فأطلق لسانه فى معاوية وولاته حتى أنذره معاوية ثم أغرى حزبه بالاشتداد فى الحق والانكار على الأمراء ففعلوا وكانت الكوفة خاصة مركز المعارضة العنيفة لمعاوية وعامله زياد ٠

وكان معاوية قد استحدث فى الاسلام ما غير به السنة الموروثة تغييرا خطيرا وهو استخلاف ابنه يزيد بعده على سلطان المسلمين ولم يكره المسلمون شيئا فى الصدر الأول من أيامهم كما كرهوا وراثة الخلافة فقد عهد أبو بكر الى عمر ولم يخطر له أن يعهد الى أحد من بنيه وزجر عمر من طلب اليه أن يعهد لعبد ألله ابنه ولم يخطر لعثمان أن يعهد الى أحد ولا ينبغى أن يقال أعدل عثمان عن ذلك ؟ فقد لبث فى الخلافة اثنى عشر عاما وأبى (على) أن يستخلف وقال لأصحابه حين سألوه ذلك : أتركم كما ترككم رسول الله وسأله الناس : أيبايعون الحسن ابنه ؟ فقال : لا آمركم ولا أنهاكم ٠

وقد كانت سيرة يزيد حين ولى أمر المسلمين مناقضة لسيرة أبيه أشد المناقضة ثم مناقضة بعد ذلك لسنة النبى وخلفائه الراشدين أشد المناقضة أيضا ٠

وقد مات أبوه وهو عنه بعيد حتى احتاج الضحاك بن قيس الى أن يقوم مقاما فيعلن موت معاوية الى الناس ونهوض ابنه يزيد بالأمر من بعده ٠

ولم يكن يزيد يحتمل أن يلتوى عليه أحد بطاعة وانما كان يرى أن طاعته حق على الناس جميعا فمن التوى بها عليه فليس عنده الا السيف وقد عرف أمر أولئك النفر الذين أكرههم معاوية اكراها على أن يسكتوا

عن بيعته بولاية العهد حين لم يستطع أن يحملهم على قبولها وقد كانوا أربعة مات منهم واحد قبل معاوية وهو عبد الرحمن بن أبى بكر وبقى منهم ثلاثة فى المدينة هم : الحسين بن على وعبد الله بن الزبير وعبد الله ابن عمر ٠

أما الحسين بن على فقد أقام بمكة رافضا بيعة يزيد وجعلت الرسل تتصل به وبين شيعة أهل البيت فى الكوفة وهم أكثر أهلها وقد استجابت هذه الشيعة للحسين ويقول المؤرخون انها هى التى بدأت فدعته الى أن يأتى الكوفة ليكون أمامهم فيما أزمعوا من خلع يزيد واخراج عامله النعمان بن بشير ٠

وعرف النعمان بن بشير بعض ذلك فلم يحاول أن يصل الى مسلم ولا أن يعنف بأساس وانما سار فيهم سيرة رجل من أصحاب النبى سار على سيرة (على) فى الخوارج وسيرة المغيرة بن شعبة فى الخوارج والشيعة جميعا وجعل يرفق بهم وينصح لهم ويحبب اليهم العافية ويدعوهم الى الوفاء بما أعطوا على أنفسهم من البيعة ليزيد ويأبى على خاصته الذين كانوا يأمرونه بالحزم حتى كتب بالأمر كله الى يزيد فلم يكد يزيد يعرف ذلك من أمرهم حتى استشار سرجون مولى أبيه فأشار عليه بأن يضم الكوفة الى ابن زياد عامله على البصرة ويأمره بالشخوص اليها من فوره ففعل وأقبل عبيد الله بن زيادة الى الكوفة فدخلها وقد اضطرب أمره اضطرابا شديدا حتى اضطر النعمان بن بشير الى أن يلزم قصر الامارة لا يكاد يخرج منه فنهض ابن زياد بالأمر فى حزم لا يعرف أناة ولا توان ولا ترددا وكان مسلم بن عقيل قد أخذ البيعة على أكثر من ثمانى عشرة ألفا وكتب بذلك الى الحسين وألح عليه فى القدوم الى الكوفة ٠

وقد وصل كتاب مسلم الى الحسين بمكة فجعل يتأهب للمسير الى الكوفة وجعل الناس يلحون عليه فى ألا يفعل ويخوفونه بأس يزيد وبطش ابن زياد وغدر أهل الكوفة ٠

ولكن الحسين مضى لوجهته ولم يمض وحده وانما احتمل معه أهل بيته وفيهم النساء والصبيان ولم يسمع لمشورة ابن عباس الذى أشار عليه – ان لم يجد بدا من المسير – أن يترك أهل بيته وادعين آمنين وأن يدعوهم اليه ان استقامت له الأمور ولكنه أبى وما أراه أبى عنادا أو ركوبا لرأسه وانما كان يعلم أن يزيد سيأخذه بالبيعة أخذا عنيفا فان بايع غش نفسه وخان ضميره وخالف عن دينه لأنه كان يرى بيعة يزيد اثما وان لم يبايع صنع به يزيد ما شاء ٠

ولما رأت الأعراب قدومه الى العراق منابذا ليزيد طمعوا فى صحبته وانتظروا منها الخير فتبعه منهم خلق كثير ٠

ودنا الحسين من العراق وقد أرصد ابن زياد له الأرصاد وأمر رجلا من أشراف الكوفة يقال له الحر بن يزيد على ألف من الجند وأمرهم أن يلقوا الحسين فى مقدمة ذلك فيأخذوا عليه طريقه ويحولوا بينه وبين الذهاب فى أى وجه من وجوه الأرض ولا يفارقوه حتى يأتيهم أمره ولما عرف الأعراب أنها الحرب تفرقوا عنه فلم يبق منهم أحد ولقى الحسين بن يزيد فى أصحابه فلما علم علمهم أراد أن يعظهم ويذكرهم فسمعوا ورضوا قوله ولكنهم لم يطيعوه وانما أطاعوا أميرهم ابن زياد ثم ندب ابن زياد لحرب الحسين رجلا من أقرب الناس اليه هو عمر بن سعد ابن أبى وقاص فاستعفاه عمر فلم يعفه وأرسل معه جيشا من ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف ·فمضى عمر حتى لقى الحسين فسأله فيم قدم ؟ قال الحسين : كتب الى أهل المصر يستقدمونني ويبذلون لى نصرهم وأظهر كتبهم لعمر فعرضت هذه الكتب على بعض من أمضاها ممن حضر فكلهم أنكرها وكلهم جحدها مقسما أنه لا يعلم من أمرها شيئا وقد عرض الحسين على عمر أن يختار خصلة من ثلاث : فاما أن يخلوا بينه وبين طريقه الى الحجاز ليعود الى المكان الذى جاء منه واما أن يسيروه الى يزيد بالشام ليكون بينه وبين يزيد ما يكون واما أن يخلوا بينه وبين الطريق الى ثغر من ثغور المسلمين فيكون هناك كواحد من الجند الذين يرابطون بازاء العدو له مثل مالهم من العطاء وعليه مثل ما عليهم من الجهاد فأما عمر بن سعد فرضى وقال : أؤامر ابن زياد وكتب الى ابن زياد بما عرض عليه الحسين فأبى الا أن ينزل الحسين على حكمه وكتب بذلك الى عمر وأرسل الكتاب اليه مع شمر بن ذى الجوشن وقال له : اقرئه الكتاب وانظر ما يصنع فان نهض لقتال الحسين فأقم معه رقيبا عليه حتى يفرغ من أمره وان أبى أو تثاقل فاضرب عنقه وكن أمير الجيش ولم يكد عمر بن سعد يقرأ كتاب ابن زياد ويعلم ما أمر به حامل الكتاب حتى نهض لقتال الحسين وطلب اليه أن ينزل على حكم ابن زياد فأبى الحسين وقال : أما هذه فمن دونها الموت ثم زحف عمر بجيشه على الحسين وأصحابه وكانوا اثنين وسبعين رجلا فقاتلوهم أكثر من نصف النهار وأبلى الحسين وبنو أبيه وبنو عمومته ومن كان معه من أنصاره القليلين أعظم البلاء وأقساه فلم يقتلوا حتى قتلوا أكثر منهم ورأى الحسين المحنة كأشنع ما تكون المحن،رأى اخوته وأهل بيته يقتلون بين يديه وفيهم بنوه وبنو أخيه الحسن وبنو عمه وكان هو آخر من قتل منهم بعد أن تجرع مرارة المحنة فلم يبق منها شيئا وكان نفر يسير من أصحاب عمر بن سعد قد ضاقوا برفض ابن زياد ما عرض عليه الحسين من

الخصال ففارقوا جيشهم وانضموا الى الحسين فقاتلوا معه حتى قتلوا بين يديه ونظر المسلمون فاذا قوم منهم — على رأسهم رجل من قريش من أبناء المهاجرين أبوه أول من رمى بسهم فى سبيل الله وأحد العشرة الذين شهد النبى لهم بالجنة وقائد المسلمون فى فتح بلاد الفرس وأحد الذين اعتزلوا الفتنة فلم يشـــاركوا فيها من قريب ولا بعيد — نظر المسلمون فاذا قوم منهم عليهم هذا القرشى عمر بن سعد بن أبى وقاص يقتلون أبناء فاطمة بنت رســـول الله ويقتلون أبناء على ويقتلون ابنى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب شهيد مؤتة يحزون رءوسهم ثم يسلبونهم ويسلبون الحسين حتى يتركوه متجردا بالعراء ويصنعون بهم ما لا يصنع المسلمون بالمسلمين ثم يسبون النساء كما يسبى الرقيق وفيهم زينب بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ثم يأتون بهم ابن زياد فلا يكاد يرفق بهم الا حياء واستخزاء حين قال له على بن الحسين وقد كان صبيا وهم زياد أن يقتله فقال له : ان كانت بينك وبين هؤلاء النساء قرابة فأرسل معهن الى الشام رجلا تقيا رفيقا ٠ هنا ذكر عبيد الله أن أباه يدعى لأبى سفيان فاستحيا ولم يقتل الصبى وانما أرسله مع سائر أهل الحسين الى يزيد وقدم رءوس القتلى بين أيديهم وفيها رأس الحسين وقد دخل به على يزيد فوضع أمامه فجعل ينكث فى ثغره بقضيب كان فى يده ، وزعم الرواة أن أبا برزة صاحب النبى ﷺ كان حاضرا هذا المجلس فقال ليزيد : لا تفعل هذا فطالما رأيت شفتى رسول الله ﷺ على هذا الثغر مكان هذا القضيب ثم قام فانصرف وأدخل السبى على يزيد فأغلظ لهم أول الأمر ثم لم يلبث أن رفق بهم وبرهم وأدخلهم على أهله ثم جهزهم بعد ذلك الى المدينة وردهم اليها كراما ٠

وقد يقال ان الحسين قـــد ثار بيزيد ورفض بيعته وســـار الى الكوفة يريد أن يخرج أهلها عن طاعته ويفرق جماعة الناس ويرد الحرب بين المســـلمين الى ما كانت عليه أيـــام أبيـــه فلم يكن يزيد وأميره فى العراق بادئين فى الشر مثيرين للفتنة وانما ذادا عن سلطانهما وحافظا على وحدة الأمة وقد كان هذا يستقيم لو أن الحسين مضى الى حربه مصمما عليها لا يقبل فيها مفاوضة ولا يقبل عنها رجوعا ولكن الحسين عرض خصاله الثلاث تلك التى عرضها وكانت العافية فى كل واحدة منها فلو قد خلى بينه وبين الرجوع الى الحجاز لعاد الى مكـــة التى لم يكن يحب أن تسفك فيها الدماء لأنهـــا بلد حرام ولأنها لم تحل لرسول الله نفسه الا ساعة من نهار ولو قد خلى بينه وبين اللحاق بيزيد لكان من الممكن أن يبلغ يزيد منه الرضى على أى نحو من الانحاء أو أن يقيم عليه حجة ظاهرة لا تقبل مراء ولا جدالا ولو قد خلى بينه وبين المسير الى ثغر من ثغور المسلمين لكان رجلا من عامة الناس يجاهد العدو ويشـــارك

فى الفتح لا يؤذى أحدا ولا يؤذيه أحد من المسلمين ولكن أصحاب ابن زياد أبوا الا أن يستذلوه على حكم رجل لم يكن الحسين يراه كفئاً ولا ندا فلم يكن ما وقع من الشر الا طغيانا واسرافا فى التجبر والبغى ·

ان ابن زياد لم يزد الفتنة الا استعارا وان الشر يدعو الى الشر والدماء تدعو الى الدماء وهذا الاسراف فى القتل والتنكيل وبمن تركوا من الأطفال والنساء فقد سلب القتلى وفيهم ابن فاطمة وحفدتها وسلب الأبناء قتلوا معا فى يوم واحد وقتل على بن الحسين الأكبر وأخوه عبد الله من حلى وثياب ومتاع واضطر يزيد بعد ذلك الى أن يعوضهن ما أخذ منهن وكان (على) رحمه الله يتقدم الى أصحابه فى حروبه ألا يتبعوا هاربا ولا يجهزوا على جريح ولا يأخذوا من المنهزمين الا ما أوجفوا به من خيل أو سلاح وكان الأمر يجرى على ذلك فى صفين فسيرة ابن زياد هذه التى سارها فى الحسين وأصحابه كانت بدعا منكرا مما ألف المسلمون حتى فى فتنتهم الشنيعة ثم هو لم يلق من يزيد فى ذلك عقابا ولا لوما وانما لقى منه رضا وايثارا وقد تمت بهذه الموقعة محنة لعلى فى أبنائه لم يمتحن بمثلها مسلم قط قبل هذا اليوم فقد قتل من بنيه الحسين بن فاطمة والعباس وجعفر وعبد الله وعثمان ومحمد وأبو بكر فهؤلاء سبعة من الأبناء قتلوا معا فى يوم واحد وقتل على بن الحسين الأكبر وأخوه عبد الله ابن الحسن وأخواه أبو بكر والقاسم وهؤلاء الخمسة من حفدة فاطمة وقتل من بنى عبد الله بن جعفر الطيار محمد وعون وقتل نفر من بنى عقيل ابن أبى طالب فى الموقعة بعد أن قتل مسلم بن عقيل فى الكوفة وقتل غير هؤلاء سائر من كان مع الحسين من الموالى والأنصار فكانت محنة وأى محنة للطالبين عامة وأبناء فاطمة خاصة ثم كانت محنة أى محنة للاسلام نفسه خولف فيها عما هو معروف من الأمر بالرفق والنصح وحقن الدماء الا بحقها وانتهك أحق الحرمات بالرعاية وهى حرمة رسول الله ﷺ التى كانت تفرض على المسلمين أن يتحرجوا أشد التحرج ويتأثموا أعظم التأثم قبل أن يمسوا أحدا من أهل بيته كل ذلك ولم يمض على وفاة النبى ﷺ الا خمسون عاما فاذا أضفت الى ذلك أن الناس تحدثوا فأكثروا الحديث وألحوا فيه بأن الحسن قد مات مسموما ليخلص الطريق ليزيد الى ولاية العهد عرفت أن أمور المسلمين قد صارت أيام معاوية وابنه الى شر ما كان يمكن أن تصير اليه ·

* * *

• الفصـــل الثانى

أولا : الفرق الاسلامية القديمة

١ ـ الشـــيعة

نشأت الشيعة كفرقة عقب اجتماع السقيفة بمجرد أن ذاع خبر البيعة لأبى بكر الصديق وهم يؤيدون موقف (على) ومن تبعه فى الامتناع عن البيعة لأبى بكر ـ وتتفق جميع الآراء على ذلك ومنهم علماء الاستشراق ولكن غير الشيعة والمعتزلة ينكرون أن تكون الشيعة قد نشأت كفرقة فى ذلك الزمن المبكر ويؤرخون نشأتهم بعصر جعفر الصادق (٨٠ ـ ١٤٩ هـ / ٦٩٩ ـ ٧٦٥ م) وهشام بن الحكم (١٩٠ هـ ـ ٨٠٥ م) والمعروف بقصد التشيع والشيعة معنى الميل الى امارة على بن أبى طالب والطموح الى تقديمه وتفضيله على غيره من الصحابة والحقيقة اننا سنجد جماعة غير منظمة تجمعها هذه الآراء والأمانى السابقة ذكرها قد ظهرت واستمر هواها مع (على) وبنى هاشم دون أن يتعدى ذلك نطاق الهوى والأمنيات ـ والمعتدلون من الشيعة قالوا بأفضلية (على) عن بقية الخلفاء والمتطرفين قالوا بتقديسه وعصمته وكفروا من انفض عنه وكان أهم موطن للشيعة فى العراق لأنه مزدحم الآراء والمعتقدات وهو البلد الذى أقام به سيدنا (على) والتفت حوله القلوب ويقول البعض أن أهل المذهب الشيعى نزعة فارسـية لأن العرب تدين بالحرية أما الفرس فيدينون بالملك الوراثى ولا يعرفون معنى الانتخاب للخليفة فلما توفى الرسول (ﷺ) ولم يترك ولدا كان أحق الناس بالملك بعده ابن عمه على بن أبى طالب ومن أخذ الخلافة منه كأبى بكر وعمر يعتبر مغتصبا وعلى ذلك نظر الشيعة الى على وآل بيته نظرة تقديس وطاعة وأصبحت طاعة الامام واجبة فى المذهب الشيعى لأنها طاعة الله فى نظرهم ويرى بعض المستشرقين أن الشيعة أخذت من اليهودية أكثر مما أخذت من الفارسية لأن عبد الله بن سبأ كان يهوديا وتظاهر بالاسلام وكان أول من أظهر الدعوة الى التقديس ٠

وقد بدأت الصراعات على السلطة بعد مبايعة سيدنا (على) بالخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان وكان أولها الصراع بين سيدنا على وبين طلحة

والزبير ثم بين سيدنا على وبين معاوية من جانب والخوارج من جانب آخر وظهر أثناء هذا الخلاف أنصار سيدنا على الذين حاربوا معه ونصروه ضد خصومه وأطلق عليهم شيعة على أى أنصار امارته للمؤمنين ٠

ولكن هذا الوصف ليس هو المراد ولا المتبادر الى الذهن اذا نحن تحدثنا فنيا عن الشيعة والتشيع فليس الذى يميز الشـــيعة عن غيرهم تفضيل سيدنا على وأبى بكر وعمر وعثمان ولا الميل الى نصرته ودوام امارته للمؤمنين ذلك أن مدرسة البغدادين من المعتزلة التى تكونت منذ أيامهم بشر بن المعتمر (المتوفى سنة ٢١٠ هـ ـ سنة ٨٢٥ م) قد تميزت عن مدرسة معتزلة البصرة بتفضيل (على) على كل الصحابة ومع ذلك فهم ليسوا شيعة بالمعنى الفنى لهذا المصطلح بل هم أعداء الشيعة سياسة وفكرا رغم أنهم قد رضوا أن يتســـموا أحيانا باسم (شيعة المعتزلة) فليس تفضيل (على) اذن هو الذى بين الشيعة وغيرهم من رق الاسلام ، حتى يكون صالحا كى نؤرخ به أصل الأمامة ـ كان لقب الامارة معروفا فى الاسلام قبل نشأة نظام الخلافة فعلى عهد الرسول (ﷺ) كانت الامارة معروفة فى الجيوش وفى الأقاليم والمدن وفى الحديث (من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن أطاع عهدى فقد أطاعنى ومن عصى عهدى فقد عصانى) وكان المعروف أن الأمراء هم أمراء الرسول معينين من قبله أو عن أمر منه ٠

ثم ظهر اسم الخليفة مقترنا بنزول القرآن والسنة ففى القرآن يخاطب الله نبيه داود « **يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله** » ومعنى الخلافة هنا هو الخلافة عن الله لا عن الناس والمقصـــود بها النبوة وليست الوظيفة السياسية ولكن ما جاء بعد ذلك فى القرآن (**وهو الذى جعلكم خلائف فى الأرض**) (**وهو الذى جعلكم خلائف الأرض**) (**عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض**) (**وربك الغنى ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشـاء**) ومدلوله أن الخلافة عن الله فى عمارة الأرض وهى الوظيفة الانسانية العامة وليست الوظيفة السياسية وقد جاء فى الأدب السياسى بعد ذلك أن طبيعة نظام الخلافة فى الاسلام هو أن يكون لقب الخليفة (خليفة رسول الله) ٠ وهو مادرجت عليه الوثائق والمكاتبات بالنسبة لنظام الحكم ٠

ثم اقترن لفظ الخليفة بصفة أمير المؤمنين منذ عهد عمر بن الخطاب عندما أطلق عليه بعض الصحابة هذا اللقب ٠

أما مصطلح الامام فمن المعروف لغويا أن الامام هو المقدم في أي شيء والمقتدى به في أي سبيل مثل امامة الصلاة وقد جاء في القرآن « **اني جاعلك للناس اماما** » ، (**وكل شيء أحصيناه في امام مبين**) (**واجعلنا للمتقين اماما**) أي المقصود به في هذه الآيات يقتدون بها في أمر الدين ـ وقد جاء في حديث للرسول (ﷺ) (من بايع اماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنقه) • وقضية الامامة نشأت مع عهد على بن أبى طالب ويظهر أن لقب الامام يقوم مقام لفظ الأمير والعكس صحيح فهو استبدال في الألفاظ وان يكن المعنى واحدا• اما لفظ الملك فقد ظل بعيدا عن الفكر الاسلامي وذلك لأن القرآن قال (**ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون**) وعن الرسول (ﷺ) (هون عليك فما انا بملك ولا جبار) وذلك لأن الملك كان يسمى عند العرب الجبار وقد كان على بن أبى طالب يحذر الناس من أن معاوية وبنى أمية يريدون تحويل الخلافة الى ملك وعندما كان بعض الخلفاء يصف نفسه بوصف الملك يعود ويصف نفسه بالامامة لما في مضمونه من معنى دنيوى ودينى •

الشيعة الامامية

بعد وفاة رسول الله (ﷺ) بايع المسلمون أبا بكر الصديق رضى الله عنه اماما لهم وخليفة لرسول الله (ﷺ) وقبيل وفاة الصديق استشار أهل الحل والعقد في خلافة عمر بن الخطاب فأجمعوا عليه ، ولما توفى الصديق بايع المسلمون عمر بن الخطاب ولم يشذ عن هذه البيعة الا سعد بن عبادة • ثم أناط عمر بن الخطاب مهمة اختيار خلف له بستة من أهل الحل والعقد هم الامام على بن أبى طالب وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص وكبيرهم عبد الرحمن بن عوف وكان الاتفاق على بيعة عثمان بن عفان رضى الله عنه •

ولما وقعت الفتنة واستشهد عثمان بن عفان التف المسلمون حول على بن أبى طالب والتحق آخرون بمعاوية بن أبى سفيان ، وانتهى الأمر الى التحكيم وكانت نتيجة التحكيم أن أفسده دعاة الفتنة ، فانقسم المسلمون الى ثلاثة أقسام : قسم شايعوا الامام عليا وناصروه ، فسموا بالشيعة وقسم بايع معاوية بن أبى سفيان ، وقسم خرج عن الطرفين فسموا بالخوارج •

وللخوارج رأى فى الامامة ، وهو أن الامام لا يكون الا بانتخاب حر من المسلمين ، واذا تم اختياره فلا يصح له أن يتنازل عن الامامة مادام قائما بالعدل مجتنبا للجور ، واذا خرج عنه أحد وجبت محاربته ، وكذا اذا خرج الامام عن العدل وجبت محاربته واقصاؤه وقد تطرف بعضهم فقال بعدم وجوب الامامة ، كفرقة النجدات ومنهم من قال بجواز امامة المرأة اذا استطاعت القيام بأمورهم وتصريفها بشئونهم كالشبيبية الذين زعموا أن غزالة أم شبيب كانت امامة لهم بعد مقتل ابنها شبيب الى أن قتلت ٠

والشيعة على اختلاف فرقهم يرون وجوب وجود امام لهم ، ولكن رأيهم فى الامامة يختلف عن رأى جمهور المسلمين ٠

فقد ذهبت فرقة منهم الى أن الامامة لا تجوز الا فى أبناء فاطمة رضى الله عنها ٠ وذهبت الشيعة الامامية الى أن الامامة منصب الهى يختار الله له من يعلمه ، ويأمر نبيه أو يدل الأمة عليه ، ويقولون ان الله تعالى أمر نبيه أن ينص على تنصيب على بن أبى طالب اماما للمسلمين من بعده ولكن المسلين لم يتبعوا أمر الله بامامة على فتركوا بذلك ركنا من أركان الدين ، كما يرون أن الامامة انتقلت الى الحسن فالحسين ثم لزين العابدين ثم لمحمد الباقر ثم لجعفر الصادق وهنا انقسمت الامامية الى قسمين :

١ ـ **الجعفرية الاثنا عشرية** : نقلوا الخلافة بعد جعفر الصادق الى ابنه موسى الكاظم فعلى الرضا ثم الى محمد الجواد ثم الى على الهادى ثم الى الحسن العسكرى ثم الى محمد المهدى وهو قائم الائمة الاثنى عشرية الذى اختفى سنة ٢٦٠ هـ ويعتقدون أنه سيظهر ويملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا ولايزالون بانتظاره حتى قيام الساعة ٠

٢ ـ **الاسماعيلية** : جعلوا الامامة بعد جعفر الصادق لابنه اسماعيل الابن الأكبر الذى نصبه والده قبل وفاته غير أن اسماعيل توفى قبل والده جعفر الصادق ، فنقلوا الامامة الى محمد المكتوم بن اسماعيل والذى قالوا برجعته بعد غيبته ، ومنهم من ساق الامامة فى أئمة مستورين فقالوا لن تخلو الأرض قط من امام حى قائم اما ظاهر مكشوف واما باطن مستور ٠

أولا : الجعفرية الاثنى عشرية :

يقول الجعفريون ان الامامة كالنبوة باستثناء الوحي وتقوم على الأسس التالية :

١ ـ الامامة أصل من أصول الدين لا يتم الايمان الا بالاعتقاد بها ، ويدعمون رأيهم هذا بما نسب لأبى جعفر أنه قال : بنى الاسلام على خمس : الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ٠ ولم يناد بشيء كما نودى بالولاية ـ يعنى الامامة ـ فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه يعنى الولاية ـ وفى ذلك تعريض بأهل السنة الذين لم يأخذوا بالولاية بمفهومها عند الشيعة ٠

٢ ـ لابد لكل عصر من امام هاد يخلف النبى فى وظيفته فى هداية البشر لما فيه سعادتهم فى الدارين ولاقامة العدل فيما بينهم ، وعلى هذا فالامامة استمرار للنبوة وهى اما بالنص وتكون بتعيين الامام خلفه من بعده واما بالوصف ما عقدها اثنان من خيار الأمة لمن يصلح لها فهو امام فى الحقيقة ٠

٣ ـ الامام كالنبى فى عصمته وصفاته وعلمه منذ صغره وفى كبره ، وهو معصوم من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن عمدا أو سهوا ، لذا فيجب أن يكون أفضل الناس وأكملهم وأشجعهم وأعلمهم فهو يتلقى العلم عن النبى أو عن الامام الذى سبقه أو عن طريق الالهام فى الأمور المستجدة حسب ما روى فى الكافى ٠ وذهب بعضهم الى أن أحد الملائكة كان مكلفا بتسديد تصرفات الرسول الأمين فلما توفى استمرت مهمة الملك بتصويب خطى الامام من بعده (عن أحكام الكافى ١/٢٧٣ ـ ٢٧٤) قال الخمينى فى كتابه الحكومة الاسلامية ص ١٩ (نحن نعتقد أن المنصب الذى منحه الأئمة للفقهاء لا يزال محفوظا لأن الأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة ٠ نعتقد فيهم الاحاطة بكل ما فيه مصلحة المسلمين) فالامام بنظرهم فوق النبى ، لأن النبى قد ينسى فى بعض الأحيان أما الامام فلا ينسى ولا يخطىء وهو منذ ولادته جامع لكل العلوم ٠

٤ ـ الأئمة هم أولو الأمر الذين أمر الله بطاعتهم وهم شهداء على الناس وأبواب الله والسبيل اليه والأدلاء عليه ، أمرهم أمر الله ونهيهم نهيه وطاعتهم ومعصيتهم معصيته ٠ لا يجوز الرد عليهم فالرد عليهم كالرد على الرسول والرد على الرسول كالرد على الله تعالى فيجب التسليم

لهم والانقياد لأمرهم والأخذ بقولهم (عن عقائد الامامية ٥٤ ـ ٥٥) والأحكام الشرعية لا تؤخذ الا عن أئمتهم ولا تفرغ ذمة المكلف بالرجوع الى غيرهم ولا يطمئن الى أنه قد أدى ما عليه من التكاليف المفروضة الا عن طريقهم .

لذا : فصلاة أهل السنة وعباداتهم غير مقبولة لانها مأخوذة عن غير طريق أئمة الشيعة .

٥ ـ لا تكون الامامة الا بالنص من الله تعالى على لسان رسوله أو على لسان الأمام المنصوب اذا أراد أن ينص على امام بعده ، وليس للناس حق التدخل فى تعيينه لأن الذى له من نفسه القدسية استعداد لتحمل أعباء الامامة العامة فيجب أن لا يعرف الا بتعريف الله له ولا يعين الا بتعيين الله له . ويعتقدون أن الرسول (ﷺ) عين عليا من بعده اماما ويستشهدون على ذلك بما يلى :

(أ) الحديث الذى ورد فيه « من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه الى آخره » ففهموا من ذلك أن عليا هو القائم مقام النبى بعد موته .

(ب) اختلق بعض المتطرفين أحاديث يدللون بها على امامة سيدنا على رضى الله عنه ، فقد ورد فى كتاب المراجعات حديث نسبه عبد الغفار ابن القاسم أبو مريم الى الرسول (ﷺ) يرشح فيه عليا للامامة فيقول « ان هذا أخى ووصيتى وخليفتى فيكم فاسمعوا وأطيعوا » وقد خرج ابن كثير هذا الحديث فقال فيه : تفرد به عبد الغفار بن القاسم أبو مريم ، وهو كذاب شيعى اتهمه على بن المدينى وغيره بوضع الحديث ، وضعفه الباقون .

أخرج محمد بن حميد الرازى فى المراجعات عن مسلمة بن الأبرش عن ابن اسحاق عن ابن ربيعة عن ابن بريدة عن أبيه أن الرسول (ﷺ) قال « لكل نبى وصى ووارث وان وصيتى ووارثى على بن أبى طالب » .

(جـ) استشهادهم بمآثر الامام على وباختياره وصيا للنبى بعد وفاته واختياره ليحمل الراية يوم خيبر واختياره لينام مكان الرسول الكريم يوم الهجرة وتأميره على المدينة فى غزوة تبوك . كل ذلك ان دل على شىء فانما

يدل على مناقبه ومكانته فى هذا الدين ، والمسلمون مجمعون على صلاحه رضى الله عنه ٠

كل ما أوردوه من أدلة لا تصلح أن يحتج بها لوهنها ولوجود أدلة صحيحة على خلافها مثل :

(أ) لو كان لدى الامام على دليل واحد على الوصاية له لاستشهد به حين انتخاب الصديق رضى الله عنه ٠

(ب) لو أن الرسول (ﷺ) أوصى له بالخلافة من بعده لما جاز له أن يضرب بقول الرسول عرض الحائط وتقدم لانتخاب الصـــديق وصاحبيه عمر وعثمان ٠

(جـ) حين مرض الرسول مرض الموت عرف ذلك سيدنا على فى وجهه ، ونقل مطالعته الى العباس فأشار عليه العباس ، أن يســأل الرسول (ﷺ) أين يجعل هذا الأمر هل فى أقاربه أم فى غيرهم ، فأجابه سيدنا على رضى الله عنه : « والله لو منعنا اياها لا يعطينا الناس اياها أبدا ، فوالله لا أسأله » رواه أحمد ، فلو فهم على مافهمه الشيعة من الوصاية لما أجاب العباس هذا الجواب بل لأخذه الى الرسول (ﷺ) وأشهد المسلمين على الوصاية له ٠

(د) روى الامام أحمد فى مسنده باسناد صحيح عن أبى الطفيل قال سئل على : هل خصكم رسول الله (ﷺ) بشىء فقال : « ما خصنا رسول الله (ﷺ) بشىء لم يعلم الناس به كافة » ٠

٦ ــ غيبة الامام وقيام الفقيه بمفهمته حتى يرجع ، يعتقد الشيعة أن الامام الطفل محمد بن الحسن ما زال حيا حتى اليوم ، وانه لم يمت ، بل غاب غيبتين : غيبة صغرى ، وغيبة كبرى ، وهم بانتظار عودته ٠ قال الخمينى فى كتابه الحكومة الاسلامية ص ٤٦ (وقد مر على الغيبة الكبرى لامامنا المهدى أكثر من ألف عام وقد تمر ألوف الســنين قبل أن تقضى المصلحة قدوم الامام المنتظر) فكرة الغيبة والرجعة وضعها لهم ابن سبأ كما يقول الامام الطبرى ليمهد الطريق لبدعة الامامة ٠ أما الهدف الماكر من ورائها فلكى يحمد نشاط المسلمين فى كل شىء ويحسر دعوتهم ويوقف جهادهم ويجعلهم فى موقف الانتظار ريثما يحضر الامام المنتظر فيملأ الأرض عدلا ٠ والذى ينكر الغيبة فى عقيدتهم كافر ولا فرق بينه وبين من ينكر

وسالة الرسول أو من ينكر الامام القائم ويزعمون أن الرسول (ﷺ) قال (من أنكر القائم من ولدى فقد أنكرنى) ٠ عن اكمال الدين واتمام النعمة ص ٣٩٠ يقول الخمينى فى كتاب الحكومة الاسلامية ص ٧٠ ما يلى (فالفقهاء العدول هم وحدهم المؤهلون لتنفيذ أحكام الاسلام واقرار نظمه واقامة حدود الله وحراسة ثغور المسلمين وعلى كل فوض اليهم الأنبياء (للفقهاء) جميع ما فوض اليهم وائتمنوهم على ما ائتمنوهم عليه) ٠ وقال فى صفحة ٧٦ (وقد حصر الامام على القضاء بمن كان نبيا أو وصى نبى ٠ وبما أن الفقيه ليس نبيا فهو اذن وصى نبى ٠ وفى عصر الغيبة يكون هو امام المسلمين وقائدهم والقاضى بينهم بالقسط دون سواء) ٠

٧ ــ **الرجعة** : يعتقد الشيعة أن الامام محمد بن الحسن العسكري هو امام الزمان وأنه مازال حيا وسيعود فى آخر الزمان فيملأ الأرض نورا وعدلا ٠ وسيحيى الله له جميع حكام المسلمين ويحكمهم ويقتص منهم لاغتصابهم الحكم ٠

٨ ــ الامام عندهم هو القرآن الناطق ، والقرآن الكريم هو القرآن الصامت ، لذا فلابد من الرجوع الى القرآن الناطق وهو الامام ليوضح مراد الله تعالى ، ولهذا قال الاخباريون لا يجوز العمل بظاهر القرآن ، أما الأصوليون فقالوا يمنع العمل بظاهر القرآن الا بعد الرجوع الى أقوال الأئمة ، لأن فى الكتاب المجيد والسنة المطهرة عاما وخاصا ومطلقا ومقيدا وهذه الأمور لا تعرف الا عن طريق الائمة من آل البيت ، والسنة عندهم تتسع لتشمل أقوال أئمتهم ، وهم مجمعون على الأخذ بكلام أئمتهم مخصصا لعموم القرآن ، ومقيدا لاطلاقه ٠

٩ ــ **العصمة** : وتشمل عصمة الأنبياء وعصمة الائمة ٠ والعصمة على ضروب منها :

العصمة فى الاعتقاد والعصمة فى الأفعال والعصمة فى التبليغ والعصمة فى القضاء ٠

والعصمة لغة : المنع ، وعصمة الله لعبده تكون بأن يعصمه ممن يوبقه ٠ وعصمه يعصمه عصما : منعه ووقاه ٠ واعتصم فلان بالله : اذا امتنع به ٠ والعصمة : الحفظ ، يقال عصمته فانعصم واعتصمت بالله اذا امتنعت بلطف عن المعصية ٠

ولقد اختلفت وجهات نظر المتكلمين في العصمة • فهي عند الأشاعرة : أن لا يخلق الله في العبد ذنبا ، لاسنادهم الأشياء الى فاعلها • وقيل هي خلق قدرة الطاعة في الانسان كما ورد في لسان العرب لابن منظور •

وهي عند المعتزلة والشيعة والامامية : (لطف البهى يضعه بالمعصوم فيمتنع عن فعله من القبيح اختيارا ، فلا يقدم على المعصية شريطة أن لا ينتهى فعل ذلك الأمر الى حد الالجاء) عن المغنى فى أبواب العدل والتوحيد ص ١٣ •

وأنواعها (أ) العصمة في الاعتقاد : وقد أجمعت المعتزلة على وجوب تنزيه الأنبياء قبل البعثة وبعدها عن الكفر عمدا أو سهوا لئلا يكون أثرهم ضعيفا حين دعوة الناس • وقال الخوارج بجواز بعثة نبى كان كافرا قبل بعثته •

(ب) العصمة في الأفعال : قال المعتزلة بامتناع وقوع الكبائر من الأنبياء أصلا واختلفوا فى وقوع الصغائر منهم •

أما فقهاء أهل السنة فيقول القرطبى رحمه الله تعالى فى تفسيره ص ٢٩٣ قال جمهور الفقهاء من أصحاب مالك وأبى حنيفة والشافعى رحمهم الله تعالى : (انهم معصومون من الصغائر كلها كعصمتهم من الكبائر أجمعها ، لأننا أمرنا باتباعهم فى أفعالهم وآثارهم وسيرهم أمرا مطلقا من غير التزام قرينة ، فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يكن الاقتداء بهم) •

(جـ) العصمة فى التبليغ : أجمع الفقهاء على عصمة الأنبياء فى التبليغ واعتبروه ركن عقيدة ثابتا ، يجب الاعتقاد به ، لأن من مستلزمات الايمان بالأنبياء الاعتقاد بعصمتهم من الخطأ فى التبليغ أو التبديل أو التحريف أو الكتمان ، لأن ذلك يقتضى دلالة العجز على صدقهم كما يقول ابن حزم •

(د) العصمة فى القضاء : فان كانت فى التشريع العام فلا يجوز الخطأ فيها مطلقا وان كان فى قضايا شخصية واجتهد فيها حسب ما سمع من بينات فقد يخطىء ويصيب لأن الفتوى على قدر النص •

وعصمة الامام فى نظر الشيعة يقصد بها :

أن الامامة ليست من المصالح الدنيوية التى تفوض الى نظر الأمة ، يتعين القائم (الامام) بتعيينهم بل هى ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز لنبى اغفالها ولا تفويضها للأمة بل يجب عليه تعيين الامام لهم • (التمهيد للباقلانى ص ١١٥) •

وما دامت الامامة قضية دينية وجب أن تكون بالنص والتعيين من معصوم ـ يؤمن عدم وقوعه فى الخطأ ـ ولما كانت العصمة صفة لا تعرف الا عن طريق الوحى والالهام الموجب للعلم اليقينى ، فقد صار أمر تعيين الامام مهمة النبى المعصوم أو من ينوب عنه يعنى الامام المعصوم •

وهذا المنطق يقتضى إبطال خلافة من سبق سيدنا عليا فى مقام الامامة باعتبار أن الخلفاء الراشدين غير مجمع على عصمتهم لذا فهم بنظر الشيعة غير مؤهلين لاشغال هذا المنصب الدينى الذى هو ركن الدين وقاعدته •

١٠ ـ **التقية** : مصدر توقى واتقى وتوقيت الشىء أى حذرته ورد فى معجم الرائد :

التقية هى التستر فى الدين عند بعض المذاهب • والتقية : هى مجاملة المخالفين فى العقيدة وايهامهم بموافقتهم فى عقائدهم باظهار غير الحقيقة سواء كان ذلك بالكذب أو بغيره اتقاء الأذى وخوف الضرر •

والخلاف فى التقية هل هى فرض لازم أو هى رخصة جائزة فى ظروف اضطرارية وهل هى بالقول فقط أو بالقول والفعل ؟ •

وقد أجمع أهل السنة أن التقية رخصة جائزة فى القول باللسان دون الفعل حين الضرورة •

ويرى الغزالى ان كانت التقية لعصمة دم مسلم فهى واجبة وبه قال ابن حزم •

ولئن كانت التقية رخصة فى المجتمع الكافر خوفا على النفس ، الا أن التمسك بالعزيمة أفضل لما فى ذلك من اعزاز لدين الله وغيظ للكافرين ، لذلك امتنع عنها أولو العزيمة من المسلمين وعدوها من النفاق •

ويشترط بالتقية أن لا تسبب أضرارا بالآخرين من قتل أو اغتصاب او شهادة زور قال ابن عباس رضى الله عنه : (ان التقية باللسان لا باليد) يعنى القتل ·

ذهب بعض الفقهاء الى أن التقية كانت رخصة جائزة فى أول ظهور الدعوة يوم كان الاسلام مضطهدا أما الآن فغير جائزة · ولكن الرأى الغالب أنها رخصة حين الاكراه فى كل زمان ومكان وبالشروط السابقة لقوله (ﷺ) لعمار بن ياسر : « فان عادوا فعد لهم بما قلت » يعرف الشيخ المفيد وهو من أعلام الشيعة الامامية فى القرن الرابع الهجرى التقية بقوله : هى كتمان الحق وستر الاعتقاد به ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم مما يعقب ضررا فى الدنيا والدين ·

والشيعة فى التقية على مذهبين : المذهب الأول يقول بالتقية لدرء الضرر الذى يترتب على المجاهرة بالمذهب الشيعى والدعوة اليه وهذا رأى المعتدلين وبه قال ابن بابويه القمى الذى عاش فى مجتمع يسوده التسامح السياسى والمذهبى ·

والمذهب الثانى : يقول بأن التقية واجبة فمن تركها فكأنما ترك فرضا لازما كالصلاة ومن تركها قبل ظهور المهدى القائم فقد خرج عن دين الله تعالى (ابن نبيه والائمة) عن عقائد الشيعة الامامية ص ١١٠ ــ ١١١ ، ويقول الدكتور عرفان عبد الحميد ان فكرة التقية عند هؤلاء ترتبط بفكرة الامامة التى أقاموها على النص والتعيين الالهى ، وهنا يكمن الخلاف الأساسى والجوهرى بينهم وبين موقف أهل السنة منها ، فقد أشار جمع من متكلمى أهل السنة الى أن سكوت الامام عن مطالبته بحقه فى الامامة وتصديه لمغتصبيها واعترافه بسلطان الأئمة الذين سبقوه فيها يكون حجة عليهم بعدم صحة امامته مما يشكل تناقضا لا يمكن حله أو تبريره الا بالتقية ، وهذا ما قال له الفخر الرازى كما وأن تضارب آراء الأئمة المعصومين بنظرهم يسبب لهم احراجا كبيرا اذ لا يجوز أن تتضارب آراء المعصومين ، لذا فالتقية عندهم هى الحل الوحيد الذى يخلصهم من الحرج ·

والتقية عندهم تستمر حتى يرجع الامام الغائب وبناء على ذلك فان المرء لا يستطيع أن يطمئن الى أى عهد عاهده أو الى وعد قطعوه على أنفسهم أو الى أى رأى أبدوه لأنه قد تكون قناعتهم بخلافه مادامت التقية عندهم من الدين ·

ويصف جولدتسيهر التقية عند الشيعة فى كتاب العقيدة والشريعة ص ٢٠٣ بما يلى : لقد انفرد الشيعة بالقول بالتقية وأنها صارت نظرة خلقية خاصة بهم أفردتهم بصفة بارزة وطبعت روحهم بطابع خاص معين • وغدت عندهم مدرسة المخاتلة والغدر ووسيلة لانشاء الجمعيات السرية والتبشير الباطنى الهدام •

ومنزلة الامام عند الشيعة الجعفرية :

(أ) أن الائمة هم الأوصياء استودعهم النبى على أسرار الشريعة ، وأن الرسول (ﷺ) ما بينها كلها بل بين بعضها ، فبين الأحكام التى يتطلبها العصر ، وترك للائمة بيان ما يقتضيه عصرهم •

(ب) وأن ما يقوله الأئمة الأوصياء شرع لأنه تتميم للرســـالة وهو بمنزلة كلام النبى لأنه أودعهم أياها •

(جـ) أن للأئمة أن يخصصوا النصوص العامة ويقيدوا النصوص المطـــلقة •

(د) أن الامام هو المشرع •

(هـ) الامام معصوم عن الخطأ والنســيان والمعاصى فى الظاهر والباطن فهو طاهر مطهر باجماع الامامية •

(و) والامام يجوز أن تجرى المعجزات على يديه •

(ز) أحاط بكل شىء علما لدينا من رسول الله (ﷺ) ليكفل بيان الشريعة •

(ح) والامام أما ظاهر أو مستور لأن وجوده ضرورى لبيان الشريعة ولصيانتها من الضياع والتحريف فهو حجة الله القائمة الى يوم القيامة •

وللجعفرية مبادىء فقهية تتلخص فى الآتى :

١ ــ فى الطهارة : ويرون استحباب الغســـل لزيارة الأئمة وفى النصف من شعبان وفى ١٩ ، ٢٠ رمضان وليوم الغدير ١٨ ذى الحجة وعيد النيروز الفارسى بحجة أنه يوافق اعـــلان الرســول لخلافة على

ابن أبي طالب رضي الله عنه ، كما لا يرون تغسيل الميت اذا كان غير جعفري والشهيد الذي لا يجب غسله يشترط أن يكون استشهاده مع أحد الائمة ·

٢ ـ في الأذان : يزيدون عبارة حي على خير العمل · ويزيد بعضهم وأشهد أن عليا ولي الله ، ويزيد آخرون أشهد أن عليا أمير المؤمنين وأولاده المعصومين حجة الله · ومع أن محسن الحكيم يعترف بأن هذه العبارات ليست من الأذان الا أنه لا يرى بأسا باضافتها على الأذان ·

٣ ـ في الصلاة : يعتقدون أن الصلاة في مسجد الكوفة أفضل من الصلاة في المسجد الأقصى لأن سيدنا عليا ضرب فيه ، ويشترطون في الامام الذي يؤم المصلين أن يكون مؤمنا يعني جعفريا ويفضلون السجود في الصلاة على التربة الحسينية · كما لا يرون صلاة الجنازة على غير المسلم يعني (غير الجعفري) وفي قصر الصلاة يقولون أنها عزيمة الا في أربعة مساجد : بيت الله الحرام ومسجد الرسول ومسجد الكوفة ومسجد الجابري في كربلاء ·

٤ ـ في الصيام : يشترطون لصحة الصيام مع الاسلام الايمان · فقد أجمعوا كما يقول الحكيم أنه لا يصح الصوم من غير المؤمن ، والمراد به المخالف لهم · ومن المفطرات عندهم الكذب على أئمتهم · يندب صيام يوم الغدير والمباهلة وعاشوراء حزنا ·

٥ ـ في الزكاة : يرون وجوبها على الكافر لأن من حق الامام أخذها منهم قهرا ولكنها لا تصح منهم لأنهم غير مؤمنين أما توزيعها فلا يجوز لغير المؤمن أي لغير الجعفري أما اعطاؤها لغير الجعفري فمن باب تأليف القلوب ، كما تعطى للفسقة ومرتكبي الكبائر لكونهم فقراء من أهل الايمان يستحب دفع الزكاة للامام كما يجب دفعها له ان طلبها واذا قبضها الفقيه برئت ذمة المالك ولو تلفت ·

٦ ـ الخمس : وجعلوا الخمس في فضل مؤونة السنة من انتاج الصناعة والتجارة والزراعة فعليها ٢٠٪ وقالوا في الخمس يقسم ستة أقسام : سهم لله وسهم للنبي وسهم للامام الجعفري هذه الثلاثة من حق امامهم الغائب ، والأسهم الثلاثة الأخرى للأيتام والمساكين وأبناء السبيل من الجعفريين وقالوا أسهم الامام الغائب راجع الى نائبه وهو الفقيه المجتهد الجامع للشرائط تدفع اليه أو الى المستحقين باذنه ·

٧ ـ الحج : يقول الحكيم : « لا ريب بشرطية الايمان فى صحة العبادة وعليه فعبادة المخالف باطلة لا تترتب عليها الأحكام » وقالوا لا يجوز للجعفرى أن يحج عن المخالف ـ المسلم السنى ـ الا اذا كان أباه • ويقولون اذا نذر قبل حصول الاستطاعة أن يزور الحسين فى عرفة ثم حصلت الاستطاعة لم يجب عليه الحج • وحين زيارتهم الرسول فى المدينة يحجون عن زيارة الشيخين •

٨ ـ فى الجهاد : يشترطون اذن الامام أو من تصبه الامام لذلك عندها يجب خمس الغنائم فقط •

٩ ـ والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يحتاج لاذن الامام وكذا الحدود لا ينفذها الا الامام أو من نصبه نيابة عنه •

١٠ ـ زواج المتعة : هو الزواج لمدة محدودة بلا ارث ولا نفقة ولا عدة • ولقد أباحه رسول الله (ﷺ) فى بعض الغزوات ثم منعه • وفى مختصر ابن كثير ص ٣٧٥ يقول : ولا شك أنه كان مشروعا ثم نسخ بعد ذلك وقد ذهب الشافعى وبعض العلماء على أن زواج المتعة أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ مرتين ، قال ابن عمر باباحته للضرورة • عن الامام على بن أبى طالب قال : نهى رسول الله (ﷺ) عن نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية يوم خيبر • وفى صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة بن معبد الجهمى عن أبيه أنه غزا مع رسول الله) ﷺ) يوم فتح مكة فقال : يا أيها الناس انى كنت أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة • فمن كان عنده منهن شىء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا •

وفى فقه السنة يقول الشيخ السيد سابق ص ٤١ ويسمى بالزواج المؤقت والزواج المنقطع وهو زواج متفق على تحريمه بين أئمة المذاهب وقالوا اذا انعقد يقع باطلا واستدلوا على ذلك بما يلى :

(أ) ان هذا الزواج لا تتعلق به الأحكام الواردة فى القرآن بصدد الزواج والطلاق والعدة والميراث فيكون باطلا كغيره من الأنكحة الباطلة •

(ب) ان الأحاديث جاءت مصرحة بتحريمه ، فعن شبرة الجهينى أنه غزا مع النبى (ﷺ) فى فتح مكة فأذن لهم رسول الله (ﷺ) فى متعة النساء قال : فلم يخرج منها حتى حرمها رسول الله (ﷺ) حرم

المتعة فقال : « يا أيها الناس انى كنت أذنت فى الاستمتاع الا أن الله قد حرمها الى يوم القيامة » كما أورد حديث الامام على رضى الله عنه ٠

(جـ) كما وأن سيدنا عمر رضى الله عنه حرمها وهو على المنبر أيام خلافته وأقره الصحابة رضى الله عنهم وما كانوا ليقروه لو كان مخطئا ٠

(د) وقال الخطابى تحريم المتعة كالاجماع الا عن بعض الشـــيعة ولا يصح على قاعدتهم في أصول الحديث فقد صح عن على أنها نسخت ٠ ونقل البيهقى عن جعفر بن محمد أنه سئل عن المتعة فقال : هى الزنا بعينـــه ٠

(هـ) ولأنه يقصد به قضاء الشهوة ولا يقصد به التناسل والاحصان ولا المحافظة على الأولاد وهي المقاصد الأصلية للزواج ٠ فهو يشبه الزنا من حيث قصد الاستمتاع دون غيره ٠ ثم هو يضر بالمرأة ويمس كرامتها حيث تصبح كالسلعة التى تنتقل من رجل الى رجل ، كما يضر بالأولاد حيث لا يجدون البيت الذى يستقرون فيه ولا الوالد الذى يتعهدهم بالتربية والتأديب ٠ وما دام هدف المتعة الاستمتاع كما هو واضح من اشتقاق الكلمة ومن أحكامها فان ذلك يؤدى الى الفوضى الجنسية والى اشـــاعة الفاحشة بين المسلمين ٠

(و) وأما ما اشتهر عن ابن عباس باباحتها عند الضرورة ٠ قيل فلما بلغه اكثار الناس منها رجع عنها وكان يقول بتحريمه على من لم يحتج اليه ٠ وفى مناظرة بينه وبين سعيد بن جبير قال ابن عباس : انا لله وانا اليه راجعون والله ما بهذا أفتيت ولا هذا أردت ولا أحللت الا مثل ما أحل الله الميتة والدم ولحم الخنزير وما تحل للمضطر وهى كالميتة والدم ولحم الخنزير ٠ ويركز صاحب الغدير عبد المحسن أحمد الأمين النجفى على أن منع المتعة وتحريمها كان من عمر بن الخطاب وليس من رســـول الله وتحريم عمر ليس ملزما لهم على تحريمها ويستشهد بعدة أحاديث تؤكد هذا المعنى منها ما أخرجه الطبرى عن جابر « كانوا يتمتعون من النساء حتى نهـــاهم عمر بن الخطـــاب وعن الحـــكم قال على رضى الله عنه لولا أن عمر رضى الله عنه نهى عن المتعة مازنى الا شقى ٠ عن نافع عن عبد الله ابن عمر انه سئل عن متعة النساء فقال حرام أما أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لو أخذ فيها أحد لرجمته بالحجارة (السنن الكبرى) كان عمر رضى الله عنه يقول : والله لا أوتى برجل اباح المتعه الا رجمته (مرآة الزمان) لذا فهم يجيزونها بالمرة والمرتين ومع بنت عمرها عشر سنين ولو

دون اذن وليهـــا ، ومن الغرابة أنهم يفتون بها ويمتنعون عن تطبيقها فلا يسمحون لأحد بالاستمتاع ببناتهم وخاصة اذا كان من أهل السنة والجمـــاعة ٠

ولكن العلماء الاتقياء منهم يحرمونها : يقول الشيخ محمد أبو زهرة : في كتابه تاريخ المذاهب الاسلامية مجلد ١ ص ٣ ما يلي :

ان زواج المتعة مذهبهم واعتقادهم وعليها جمهورهم ولكن يوجد في أعتاب هذه الاقوال من ينكر متعة النساء من علماء الشيعة وينهى عنه أشد النهي ، من ذلك : أن تحريم المتعة نقل صـــحيحا عن الامامين : أبي جعفر محمد بن الباقر وأبي عبد الله جعفر الصادق وهما امامان من ائمتهم فقد رووا أن بساما الصيرفي سأل عبد الله جعفر الصادق عن زواج المتعة ووصفها له فقال رضي الله عنه : ذلك هو الزنى وانها من المخادنة التي نهى الله تعـــالى عنها في كثير من الآيات مثل قوله (**محصـــنات غير مســافحات ولا متخذات أخذان**) ٠

ثانيا : الاسماعيلية :

سميت بهذا الاسم نسبه الى اسماعيل بن جعفر الصـــادق الذي لم تعترف الشيعة الاثنا عشرية بامامته ، بينما وقف الاسماعيليون عند امامته ، فســـموا لذلك بالسبعية ٠ واسماعيل هو الابن الأكبر للامام السادس جعفر الصادق والذي توفي في حياة والده ، فرأت الاثنا عشرية أن والده جعفر الصادق نقل الإمامة الى أخيه موسى الكاظم واعتبروه الامام السابع ٠ والاسماعيلية على رأيين :

(أ) السبعية : قالت بأن الامام السابع هو اسماعيل ، وانه لم يمت وان والده قد غيبه خوفا عليه من الخلفاء العباسيين ، فكتب محضرا بوفاته وأشهد عليه عامل المنصور الذي كان اسماعيليا ، وســـافر الى سلمية فدمشق وكان ذلك عام ١٤٥ هـ وحذره والي دمشق الاسماعيلي بطلب الخليفة له ، فغادر دمشق الى العراق حيث شوهد بالبصرة وقد مر على مقعد فشفاه باذن الله وبقي الامام اسماعيل يتنقل بين أتباعه سبع سنوات حتى توفي عام ١٥٨ في البصرة ، ورزق بمحمد وعلي وفاطمة ونص على امامة ولده محمد ٠

(ب) المباركية : وهم ينتسبون الى المبارك مولى اسماعيل ، وهؤلاء يقولون بأن الامامة انتقلت بعد اسماعيل الى ولده محمد المكتوم وأمه أم

ولد ، وذلك لأن الامامة لا تنتقل من أخ لأخ بعد الحسن والحسين انما من أب لابن • وانقسمت المباركية الى قسمين : قسم وقف عند امامة محمد المكتوم وقال برجعته وأنه المهدى المنتظر وهؤلاء هم القرامطة الذين ينتسبون الى رئيس لهم من السواد فى الانبـــاط يلقب قرموطيــة ، وقسم قال باستمرار الامامة فى أئمة مستورين حتى اللحظة التى حكمت فيها الدعوة الاسماعيلية ، حيث أسس الامام الشرعى عبد الله المهدى الدولة الفاطمية فى المغرب •

ويرجع تاريخ الاسماعيلية عندما اشتدت ضربات العباسيين للحركات الشيعية بعد فشل ثورة محمد الملقب بذى (النفس الزكية) مما اضطرهم للاختفاء والتكتم ، وفر محمد بن اسماعيل الى الرى ومنها الى دوماند واستقر بقرية سميت باســمه محمد أباد واختفى أبناؤه فى خراســان وفى اقليم تنهار وفى السند وقد اتخذ أئمة الاسماعيلية مدينة سلمية من محافظة مدينة حماه السورية مركزا لنشر دعوتهم ، ومن أشهر دعاتهم ميمون القداح الدى وضع أسس المذهب الاسماعيلى حتى اعتقد بعض المؤرخين أنه هو محمد بن أسماعيل بن جعفر الصادق نفسه واعتقد البعض أنه كان يصدر عنه ميول شعوبية ترمى الى مقاومة الاسلام والعروبة ، وخلفه من بعده ابنه عبد الله بن ميمون الذى اتخذ الأهواز مركزا لنشر دعوته ، ولما انكشف أمره لدى واليها هرب الى الشام وأقام فى سلمية الى أن مات فيها كما يروى حسن ابراهيم فى تاريخ الدولة الفاطمية •

وضع عبد الله بن ميمون القداح أساس الدعوة الاسماعيلية السبعية التى تختم الامامة باسماعيل بن جعفر الصادق ، وقسمها الى سبع درجات ثم زيدت حتى أصبحت تسعا زمن الفاطميين •

ويرى المؤرخون (أمثال دوزى وبروكلمان ونيكسون وفيليب وبندلى جوزى) أن عبد الله بن ميمون القداح : صاحب مؤامرة قوية الدعائم تم تنظيمها بمهارة فائقة ، لقد تملكت نفسه الكراهية فى أبشع صورها للعرب والاحتقار للاسلام والمسلمين مدفوعا الى ذلك بما يدعيه من حرية الفكر والعقيدة • ولقد عمل على ايجاد جمعية سرية كبيرة تلقن الناس جميعا مبادئها كل فرد على قدر عقله واستعداده • ولقد نجح أبو عبد الله الشيعى أحد دعاة الاسماعيلية فى نشر أفكاره فى شمال المغرب • ولم يمض وقت طويل حتى أصبح للاسماعيلية والشيعة السلطان المطلق فى جهات غربى القيروان ، ثم أرسل أبو عبد الله الشيعى الى أبى عبد الله المهدى الجد الأعلى للاسماعيلية للحضور الى أفريقية وتمت له السيطرة ودخل الناس

فى الاسماعيلية طوعا أو كرها ثم امتد نفوذ الاسماعيلية الى مصر حيث فتحها المعز لدين الله الفاطمى ٣٦١ هـ ٩٦٩ ميلادية ثم انتشرت فى الهند وايران حيث ظهر أعظم فلاسفة الاسماعيلية الباطنيين أمثال أبى يعقوب السجستاني وناصر خسرو وأبى حاتم الرازى وحميد الدين الكرمانى كما تذكر ذلك دائرة المعارف الاسلامية بالانجليزية •

وفي القرن الخامس الهجرى دب الضـــعف والانحلال فى صفوف الاسماعيلية وانشقت الحركة على نفسها وصارت فرقا متعددة كان ذلك عام ٤١١ هـ/١٠٢١ م ، حين أعلن الحاكم بأمر الله بأن التجسد الالهى قد حل فيه ثم اختفى وربمـــا قتل ، فانفصـــلت الطائفة الدرزية عن بقية الاسماعيلية لاعتقادهم بأنه لم يمت وأنه سيعود فهو الامام المنتظر عند الطائفة الدرزية ، وحين وفاة الحاكم بأمر الله سنة ٤٨٧ هـ/١٠٩٤م ميلادية انشقت الاسماعيلية الى قسمين :ـ

(أ) **النزارية** : أنصار نزار الابن الأكبر للحاكم بأمر الله الذى أكرهه أخوه على التخلى عن الامامة ثم سجنه حتى مات •

وفى رواية أخرى أنه قتل غيله مع أبيه فى السجن بناء على أمر شقيقه الأصغر المستعلى •

وبعد مقتل نزار بن الحاكم بأمر الله على يد أخيه المستعلى نقل أتباعه ابنه القاصر المهدى بن نزار الى فارس ، حيث نشأ فى خفية وكتمان وتربى على يد كبير الدعاة الحسن بن الصباح وبعد وفاته عام ٥٥٧ هـ ـ تولى الامامة ابنه (حســـن القاهر بأحكام الله) العرش جهرة ، وأعلن القيامة الكبرى ومجيء اسلام روحانى متحرر من كل ذهن تشريعى ومن كل عبودية للقانون ، وبقيت هذه الفرقة حتى اليـــوم فى الهند تعرف باسم الخوجا وهم يعترفون بالأغاخان زعيما روحيـا لهم ومن أســلافهم الحشاشـون •

(ب) **المستعلية** : أنصار المستعلى أبى القاسم أحمد ٤٨٧ هـ الذى اغتصب الحكم من أخيه ، وبعد سقوط الدولة الفاطمية فى مصر على يد صلاح الدين الايوبى عام ١١٧١ م انتقلت فرقة المستعلية من الاسماعيلية الى اليمن واستمرت طيلة خمسة قرون ثم لاقت نجاحا فى الهند ، فنقلت مركز الدعوة الى كوجارت فى القرن التاسع الميلادى ثم حصل انشقاق فى الطائفة المستعلية بعد وفاة الداعى السادس والعشرين (قطب شاه) سنة

٩٦٩ هـ ـ فى مدينة أحمد آباد فتبعت الأكثرية ابنه داود بن قطب شاه الذى اعتبر الداعى السابع والعشرين فى حين تبع الفرع اليمانى الداعى سليمان بن الحسن فعرفوا بالسليمانية ويعتبر غلام حسن الداعى السادس والأربعين اليوم فى سلسلة السليمانية اليوم ، أما داعى الفرع الداودى اليوم واسمه طاهر بن محمد فيعيش فى بومبى بالهند وهو الداعى الحادى والخمسون وأتباعه يسمون بالبهرة ٠

وللاسماعيلية مبادىء فقهية تتلخص فى الآتي :ـ

١ ـ **الالهيات** : يرى الاسماعيليون وحدة الله وحدة خالصة وبذلك لا يصف الله بصفات تستوحي معانيها من تجارب الحسن لانها عند ذلك تكون اضافات لا تتمشى مع كونه واحدا وحدة خالصة يقول الكرمانى فى كتابه راحة العقل : انه لا يجوز أن نصف الله بصفة الوجود ـ وحتى لا تصدم مشاعر المسلمين يسمى الوجود بكلمة آيس ـ ذلك لأن وصفه بالوجود يقتضى كونه محتاجا للوجود وبالتالى كونه محتاجا الى غيره والله لا يحتاج الى أحد فباطل كونه آيسا : يعنى موجودا ٠

ثم انهم ينفون صفات الله عنه : يرى على بن محمد الوليد نفى التسمية عن الله لأن التسمية انما جعلت رسما (وصفا) للمخلوقين ليكون الخلق مميزا عن غيره ٠ والله متعال ليس له صورة نفسانية ولا طبيعية بل يتعالى بعظيم شأنه وقوة سلطانه عن أن يوصف بما توصف به أسباب خلقته وفنون بريته ، ويؤكد الكرمانى هذا المعنى بقوله : ان الله لا يوصف بصفات المخلوقين ولا يقال عنه ما يقال على المخلوقين (عن راحة العقل) وفى ذلك تعطيل لذات الله تعالى ٠ فليس الله بنظرهم كريما ولا رحيما ولا غفورا ولا سميعا ولا بصيرا ، لأن هذه من صفات المخلوقين وان نفى الصفات عن الله تنزيه له وأن توحيده يعنى معرفة حدوده ٠

٢ ـ **الابداع** : يرون أن وجود الموجودات عن الله لا يتم عن طريق الفيض بل عن طريق الابداع لأن الفيض يكون من جنس ما فاض عنه مشاركا له ومناسبا وهذا لا يليق بالله الموجد ، وبذلك يختلفون مع اخوان الصفا الذين يرون الخلق فيضا عن الله ٠ يقول الكرمانى فى راحة العقل (واذا كان الله غنيا عن كل صفة فان صفات الكمال موجودة فى أول مبدع أبدعه) فبعد أن جردوا الله من أسمائه وصفاته جعلوا من هذه الأسماء والصفات أول مبدع أبدعه الله وسموه العقل الأول ووصفه بأنه الحق والحقيقة والوجود الأول والواحد والأزل والمعقول والعلم الأول

والقدرة والقادر الأول والحياة والحى الأول (عن راحة العقل) ص ١٨٩ ، ويلاحظ أن الصفات التى يخلعها الكرمانى على العقل الأول هى عينها التى يخلعها المعتزلة على الله وهذا هو الفرق بين الاسماعيلية والمعتزلة وهى عينها التى وصف بها أرسطو والفارابى وابن سينا الههم ، فيمكن اذن أن يقال ان الاسماعيلية وضعوا فوق اله المعتزلة وأرسطو والفارابى وابن سينا الها لا يوصف وليس هو على الوجود ولا المحرك الأول انما هو غامضة وعماء تام (البدوى) •

فالعقل الأول أو المبدع الأول سموه القلم وهو الخالق الذى أبدع النفس الكلية فهو السابق والنفس هى التالى ، لأنها أوجدت بعد العقل وهما حدى الله وبواسـطتهما وجدت المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية فاذا ذكر الله عندهم فالمقصود به العقل الكلى ويقال حدى الله أو العالم العلوى حدان فى العالم السفلى وهما حد النبى وحد الوصى أو الامام وسموهما الكاف والنون ، وأن الناطق أو النبى ومن قام مقامه من وصى أو امام يتصف بكل الصفات التى يتصف بها العقل الكلى ، وان أسماء الله الحسنى تنطبق على الناطق أو الامام •

٣ ـ **الوجود والانسان** : يرون أن الانسجام قائم بين العالم الكبير يعنى الوجود وبين العالم الصغير يعنى الانسان ، وأن الانسان صورة العالم الذى يعيش فيه ، وأن التوازن بين أقســام النفس الثلاثة : الحكمى ويمثل الفلاسفة ، والغضبى ويمثل الجند ، والشهوى ويمثل العمال ـ يساوى العدل وأن التوازن والعدل هما أســاس الخير وغاية الفرد والجماعة • هذا الانسجام بين العالم الكبير والعالم الصغير سبقهم اليه أفلاطون وأفلوطين •

كما وان عالم الله والرسول والامام بنظرهم هو عالم خالص من شوائب النقص فى عالم الكون والفساد ومن هنا جاءت فكرة العصـمة والخطورة فى اعتقادهم •

٤ ـ يرون فى الوحى والنبوة والرسالة عدم الاعتراف بما نقله لنا الرسول (ﷺ) من حقائق الدين لأن العقل الأول بنظرهم وليس الله هو الذى دبر الكون وأرســل الرســل والوحى الى الأنبياء فالوحى بنظرهم •• هو ما قبلته نفس الرسول من العقل الكلى وقبله العقل من باريه تعالى (تاج العقـائد ص ٤٧) • (والنبى عندهم شخص فاضت عليه من (السابق) بواسطة (التالى) قوة قدسية صـافية (فضـائح الباطنية) • وأن الأنبياء لم يتصل بهم الوحى الا عن طريق الجد وهو

اسرافيل فيبلغه الى الفتح وهو ميكائيل الذى أبلغه الى الخيال وهو جبرائيل فيوجه الى الناطق الحي الذى يمثل بدوره دور السابق وينسخ الشريعة السابقة حتى وصل الدور الى الناطق السابع محمد بن اسماعيل الذى نسخ شريعة الاسلام) .

والرسالة على ضربين : عامة ويقصد بها الفطرة السليمة وخاصة يكلف الله بها نفرا يختاره لها وأتباعه الموافقون له أخيار ومخالفوه أشرار وأصحابه المختصون به خزان سره وأبواب حكمته ، وهم من يحتاج اليهم في اقامة أمر الله تعالى ونهيه ولا يتجاوز عددهم اثنى عشر وكذلك لكل نبى مثل ذلك . أما على بن أبى طالب فينسبون اليه قولهم (كنت وليا وآدم بين الماء والطين) لذا فعلى خاتم الأولياء ومحمد خاتم الأنبياء والنبى قبل أن يصل الى مرتبة النبوة أو الرســـالة ينبغى أن يمر بمرتبة الولى . والولاية عندهم أفضل أركان الاسلام ولا يقبل الله أركان الاسلام كلها اذا كان المسلم لا يؤمن بالولاية . وأولو العزم من الرسل هم النطقاء الذين ارتقت نفوسهم بالانتساب الى حظيرة القدس والتعلق بها وقبول فيضها فارتفعت الى درجة العقول الابداعية فتنقلب ذاتها عقلا تفيض بالبركات التى تصير النفس كاملة .

أما النطقاء عند الاسماعيلية فهم سبعة لكل ناطق منهم أســـاس يعتمد عليه :

١ ــ آدم وأساسه شيث .

٢ ــ نوح وأساسه سام .

٣ ــ ابراهيم وأساسه اسماعيل .

٤ ــ موسى وأساسه هارون .

٥ ــ عيسى وأساسه شمعون الصفا .

٦ ــ محمد (ﷺ) وأساسه على بن أبى طالب .

٧ ــ اسماعيل بن جعفر الصادق وأساسه قداح الحكمة ــ اعتبروه بمرتبة النبى .

والامام عند الاسماعيلية انما هو بشر خلق من طين يتعرض للمرض والموت مثل بنى آدم ، ولكنهم فى التأويلات الباطنيـــة يطـــلقون عليه

صفة قدسية الهية فهو يد الله وجنب الله ووجه الله ، وهو الذى يحاسب الناس يوم القيامة ، وهو الصراط المستقيم والذكر الحكيم ، ويبررون ذلك بأن الامام هو الذى يعرف الانسان بالله ومادام الله يعرف بوجهه فالامام اذا هو وجه الله وهكذا ‥ ويستدل من مصادر الاسماعيلية السرية أن الامامة عندهم مقامات ودرجات هى :

(أ) الامام المتيم : وهى أعلى المراتب وهو الذى يقيم الرســـول الناطق ويعلمه رسالة النطق ٠

(ب) الامـــام الأســـاسى ٠

(جـ) الامـــام المتمـــم ٠

(د) الامـــام المســـــتقر ٠

(هـ) الامـــام المســـتودع ٠

(و) الامـــام القـــائم بالقـــوة ٠

(ز) الامـــام القـــائم بالعقـــل ٠

وعلى ذلك فالواجب نحو الائمة :

١ ــ الوفـــاء بعهـــودهم ٠

٢ ــ توقـــيرهم ٠

٣ ــ اخبارهم بأحوال أنفسهم وسؤالهم وطلب الاستغفار منهم ٠

٤ ــ الصبر على ما يمتحنون به أتباعهم والشكر لنعمهم ٠

٥ ــ الجهـــاد معهـــم ٠

٦ ــ التســـليم لهم فى كل الأمور ٠

٧ ــ الخـــوف منهـــم ٠

٨ ــ موالاة من والاهم ومعاداة من عاداهم ٠

٩ ــ تحرى ما وافقهم والبعد عما خالفهم ٠

١٠ ــ التجرد عن الحسد وسوء الظن والحقد لهم ٠

١١ ــ دفع الخمس المكتوب لهم ٠

٥ ـ **الظـــاهر والباطن** : ولتعـــاليم الاسماعيلية ظـــاهر وباطن ولا انفصال لأحدهما عن الآخر ، كما لا ينفصل الجسم عن الروح والايمان بهما واجب الاتباع ، فعلم الظاهر يتصل بفرائض الدين وأركانه وهى واجبة على الجميع ، وعلم الباطن يكون فى التأويل والتنظيم الاجتماعى والسياسى ، والباطن عندهم أهم من الظاهر لذا سموا بالباطنية وذهبوا الى تكفير من اعتقد بأحدهما دون الآخر فقالوا من عمل بالباطن والظاهر معا فهو منا ومن عمل بأحدهما دون الآخر فالكلب خير منه وليس منا ٠

والباطن ينقسم الى قسمين :

(القسم الأول) ما يقوم فيه على القرآن وعلى الفقه الذى عرف به القاضى نعمان وجعفر بن منصور اليمانى ٠

(القسم الثانى) وهو حقائق الحق وهو فلسفة الاسماعيلية العلمية والدينية التى تهدف للتدليل على شرعية الامامة وأنها أساس دينى وأنها من اختصاص الفاطميين وحدهم ، فمذهب الاسماعيلية يتنوع فى تعاليمه بين الظاهر والباطن حتى يتمكنوا من مواجهة كافة مستويات أتباعهم وهم يتدرجون فى تلقين أفكارهم كل حسب مســـتواه واستعداده فلا يعطوا تعاليمهم السرية الا بعد اطمئنانهم الى استعداد الفرد لتقبلها لذا سموا بالتعليمية ٠

والتأويل الباطنى هو صـــورة من صور الظاهر والباطن فللآيات القرآنية بنظرهم معنى ظاهر تدل عليه أساليب اللغة العربية ومعنى باطن ماخص الله به سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وأن هذا التأويل قد تسلسل فى الأئمة من نسل (على) فهم وحدهم المختصون بالتأويل وهم الراسخون بالعلم الذين عنتهم الآية الكريمة **(وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم)** وزعمت الاسماعيلية أن لديها كتابا توارثوه عن **الامام على رضى الله عنه اسمه (الجعفر) ينسبونه الى جعفر الصادق وأن** على نظرية (المثل والممثول) أى تفسير الأمور غير المحسوسة بما يماثلها من أمور محسوسة ٠

وقد اهتمت الاسماعيلية اهتماما بالغا بالتنظيم والتخطيط والدعاية فاستطاعوا أن يتصـــلوا بأقصى أنحاء العالم عن طريق الحمام الزاجل ، وأن ينشروا دعوتهم من سلمية السورية الى اليمن والمغرب ومصر وشبه القارة الهندية ٠ والجدير بالذكر أن الامام جعل الدعاة من حدود الدين

حتى يستجيب لهم الاتباع عن طيب نفس ليتمكنوا من نشر الدعوة الاسماعيلية دون أية معارضة ، لأن معارضة الدعاة تعتبر مروقا من الدين ·

ولقد قسموا العالم اثنى عشر قسما بعدد أشهر السنة وأطلقوا على كل قسم جزيرة والمطاع فيها يسمى داعى الجزيرة أو الحجة · وقالوا ان الدعوة لا يكن استقامتها الا باثنى عشر داعيا يتولون ادارتها يقابلهم فى عالم الفلك اثنا عشر برجا هى : الحمل ـ الثور ـ الجوزاء ـ السرطان ـ الأسد ـ السنبلة ـ الميزان ـ العقرب ـ القوس ـ الجدى ـ الدلو ـ الحوت ـ يطابقها فى جسم الانسان اثنا عشر ثقبا يقابلها فى عالم الحجب اثنا عشر حجابا هى : حجاب القدرة ـ العزة ـ العظمة ـ الهيبة ـ الجبروت ـ الرحمة ـ النبوة ـ الكربة ـ المنزلة ـ الرفعة ـ الشفاعة ـ السعادة ·

وهناك مرتبة سرية لا يعرفها الا الامام نفسه وهى باب الأبواب ، أما مراتب الاسماعيليين فهى اثنتا عشرة مرتبة هى : امام ـ باب ـ حجة ـ داعى دعاة ـ داعى البلاغ ـ النقيب ـ المأذون ـ داع محدود ـ جناح أيمن ـ جناح أيسر ـ مكاسر ـ مستجيب ، وللاسماعيليين مجلس أعلى اسماعيلى مهمته الاشراف على جميع النواحى ويعين من قبل الدعاة ولهم لجنة ثقافية تهتم بالمدارس والبعثات ونشر الدعوة ·

وقد تفرع عن الاسماعيلية الطوائف التالية :

(أ) الخطابية :

هم جماعة قالوا بامامة محمد بن اسماعيل بن جعفر جعفر الصادق ، وهم فرقة من المباركية ينتسبون الى أبى الخطاب الأسدى الذى غالى فى تاليه آل البيت وادعى النبوة ، فقتله عيسى بن موسى والى الكوفة زمن العباسيين على شاطىء الفرات (كما ذكر النوبختى فى فرق الشيعة ص ٥٩) · ويرى بعض المحققين أن جماعة أبى الخطاب الذين قتلهم عيسى ابن موسى زمن العباسيين لم يقولوا بامامة محمد بن اسماعيل مما يدل على أن الخطابية فرقة اسماعيلية متأخرة وليست جماعة أبى الخطاب ، لما قتل أبو الخطاب تفرقت الخطابية أربع فرق :

١ ـ المعمرية :

زعموا أن الامام أبى الخطاب يقال له المعمر واستحلوا الخمر وسائر المحرمات وتركوا الفرائض ·

٢ ـ البزيغية :

زعموا أن يزيغ هو الامام بعد أبي الخطاب وأن الله ظهر للخلق بصورة جعفر الصادق وأولوا الآية الكريمة (**وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله**) أى يوحى من الله فكل نفس بنظرهم يوحى اليها وأن أتباعهم أفضل من جبريل وميكائيل ـ وادعوا رؤية أمواتهم بكرة وعشيا وأنهم لا يموتون بل يرجعون للملكوت ·

٣ ـ العملية أو العميرية :

قالوا بامامة عمير بن بيان العجلى بعد أبى الخطاب نصبوا خيمة بكناسة الكوفة كانوا يجتمعون فيها على عبادة جعفر الصادق ـ ولما بلغ يزيد بن عمر بن هبيرة خبرهم صلب عميرا فى كناسة الكوفة حتى مات ·

٤ ـ المفضلية :

زعموا أن الامام بعد أبى الخطابى مفضل الصيرفى وكانوا يقولون بربوبية جعفر الصادق دون نبوته ورسالته ·

ومن عقائدهم : ان الله عز وجل هو محمد ، أظهر نفسه لخلقه بصورة انسان كى لا يستوحشوا به ولما أظهر نفسه بشكله النورانى أنكروه ، ولما أظهر نفسه فى باب الامامة على ذريته قبلوه فظاهر الله تعالى هو الامامة وباطنه هو محمد ، لذا اعتبروا أبا الخطابى نبيا مرسلا أرسله الامام جعفر الصادق فأحلوا المحرمات وأسقطوا العبادات من صوم وصلاة وحج وزكاة ، وجعلوا لقبول المنتسب اليهم امتحانا طويلا أوله أن يشرب الخمر على أنها حلال وأن يعرف باطن الصلاة والفرائض وآخر امتحان المواساة وهى أن يجعل أستاذه الخطابى شريكا له فى ماله ونسائه فيخرج له الخطابى أهله (وعاءه) من زوجة وبنت أو أخت فيطأهن المتحن ويخرج له المتحن كذلك زوجته أو ابنته أو أخته فيطأهن الخطابى وهكذا يصبح هذا المتحن أخا مؤمنا (المقالات والفرق للقمى ص ٥٨ ـ ٥٩) ·

ومن عقائدهم القول بالتناسخ فأرواح الجاحدين تحل فى الحيوانات من قردة وخنازير وفى الجمادات من حديد وحجارة وأولوا لذلك قوله تعالى (**قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم**) أما أرواحهم فتنتقل الى سبعة أبدان أخرى تكون أقمصة لها ·

(ب) القرامطة :

يؤكد النوبختي والقمي أن القرامطة فرقة من الاسماعيلية المباركية الذين آمنوا بامامة محمد المكتوم خاتم الائمة ·

والقرامطة ينتسبون الى شخص اسمه حمدان بن الأشعث ، ويلقب بقرمط لقصر قامته وساقيه مما جعله يشعر بنقصه فينعكس ذلك على نفسيته فأظهر الحقد للناس والبغض لكل وضع ·

ويروى ابن سنان أن أصل الداعية الاسماعيلي حمدان بن الأشعث القرمطي من خوزستان في الاهواز ثم رحل الى الكوفة فنزل في مكان اسمه النهران وتظاهر بالزهد والورع ، وأذاع أن الصلاة المفروضة خمسون صلاة في اليوم ، ودعا الى امامة أهل البيت فاعتنق أهل قرية كور مذهبه وانشغلوا بالصلاة عن أعمالهم ، فتنبه لذلك الهيصم أمير تلك المنطقة فسجنه يريد قتله ، فساعده أتباعه على الهرب فافتتن الناس به · ومما ساعده على نشر مذهبه الاضطرابات التى عمت البلاد خمسة عشر عاما نتيجة ثورة الزنج ·

لقد بدأ حمدان نظامه المالى على أتباعه بفرض درهم على كل رجل أو امرأة من أتباعه سماه الفطرة ثم فرض دينارا على كل بالغ من رجل وامرأة سماه الهجرة ثم فرض سبعة وسماها البلغة ، ثم فرض عليهم الالفة وذلك بأن يجمعوا أموالهم فى موضع واحد وأن يكونوا فى هذا المال سواء ، وقال لهم لا حاجة بكم الى الأموال فان الأرض بأسرها ستكون لكم وألزمهم بشراء السلاح سنة ست وسبعين ومئتين ، ثم بدأ بتطبيق الشق الثانى وهو اشاعة النساء فطلب اليهم أن تجتمع النساء فى ليلة عينها لهم ، وطلب من الرجال أن يختلطوا بهن ، ثم أسقط عنهم الصوم والصلاة وجميع الفرائض ، وأباح لهم دماء وأموال مخالفيهم ، وفى عام ٢٧٧ هـ ولما آنسوا فى أنفسهم القوة أقاموا دار هجرة فأقاموا حول (مهتما باز) قرية من سواد الكوفة سورا عرضه ٨ أذرع وحفروا حوله خندقا عظيما وبنوا داخل السور المبانى ونقلوا اليها النساء والرجال وبدأوا بسفك الدماء وقتل من خالفهم فخافهم الناس لتمكنهم وارهابهم ·

ومن أشهر دعاة القرامطة عبدان صهر حمدان وهو مؤلف معظم كتب القرامطة وهو الذى عين زكرويه داعى العراق وأبا سعيد الجنابى داعى فارس الجنوبية ·

وكان حمدان يتلقى التعليمات من القداحين في السلمية مركز الامامة الاسماعيلية ولكن سرعان ما شعر بقوته وشق عصا الطاعة عليهم وقطع الصلة بقادته في سلمية ولكن أولاد ميمون القداح لم يرضوا عن هذا الانشقاق وتحالفوا مع زكرويه وحرضوه على قتل حمدان وصهره عبدان فقتلهما عام ٢٨٠ هـ وعاد ولاء اسماعيلية الكوفة الى سلمية في سورية ، ثم اختفى زكرويه زمن المعتصم العباسي في منزل سلفه ولما توفي المعتضد خرج زكرويه من مخبئه وحاول زكرويه أن يستميل اليه بدو بادية الشام ، وادعى يحيى بن زكرويه أنه محمد بن اسماعيل وأن ناقته مأمورة فلقب صاحب الناقة فقصـــد دمشـــق وهاجم المدن والقرى التى فى طريقه فأحرقوا المساجد وسبوا النساء وسرقوا الأموال وحاصروا دمشق فأرسل اليهم المصريون (بدرا الكبير — مولى ابن طولون) فهزمهم وقتل ابن زكرويه فتولى الامامة الحسين بن زكرويه وسمى نفسه أحمد بن عبد الله ابن محمد بن اسماعيل ودعا أهل البادية لاتباعه فتبعه كثيرون ، وكان له شامة فلقب بصاحب الشامة فشق عصا الطاعة على آل القداح بسلمية حين شعر بقوته • وهاجم دمشق فصالحه أهلها على خراج يدفعونه ثم فتح حمص وحضر اليه ابن عمه عيسى فكناه المدثر ، وزعم أنه المدثر المذكور في القرآن وعهد اليه بالامامة من بعده وفتح حماة ومعرة النعمان فقتل أهلها ونساءها وأطفالها ، ثم توجه الى بعلبك وقتل أهلها ، ثم حاصر سلمية مركز امامتهم فقضى على آل القداح واستباح المدينة ، ثم هاجم القرى المجاورة فقتل وأتى من المنكرات ما لا عين رأت ولا أذن سـمعت وما أن سـمع ابن طولون بجرائمهم وجه اليهم بدرا الكبير مولى ابن طولون سنة ٢٩٠ هـ بجيش كبير فانهزم القرمطى مع بعض أتباعه ، واستطاع جيش ابن طولون القبض على حسين بن زكرويه وعلى ابن عمه المدثر وأرسلهما الى بغداد حيث قتلهم الخليفة وخلص المسلمين من شرهم •

عندما تولى زكرويه القيادة بنفسه كتب الى قرامطة بادية الشـــام رسالة أرسلها مع داعيته القاسم بن أحمد كى يحضروا الى الكوفة أول أيام عيد النحر ، فدخل الكوفة منهم ثمانمائة فارس بعد أن انفض الناس من صلاة العيد وضربوا على القاسم بن أحمد خيمة وقالوا هذا ابن رسول الله وصاحوا بالثأر للحسين بن زكرويه وساروا لاعتراض طريق الحجاج فنهبوا القوافل وسبوا النساء واستعبدوا الأحياء • قيل انه قتل فى قافلة واحدة زهاء عشرين ألف رجل وعمل منهم دكة وقف عليها زكرويه ، وكانت نساء القرامطة يطفن بالماء على القتلى يعرضن عليهم الماء ليعرفن الاحياء منهم فمن كلمهن قتلنه (الكامل جـ ٧ ص ١٨٨) ثم أرسل المكتفى جيشا كبيرا شتت شملهم وأسر زكرويه وهو مصاب وخليفته القاسم وابنه وكاتبه

وزوجته ولكنه هلك بعد خمسة أيام فأرسلت جثته الى بغداد وصلب هناك .
(ابن خلدون جـ ٤ ص ١٨٧ - ١٨٨) .

أما قرامطة البحرين فبدأ دورهم عام ٢٨١ هـ حين جاء يحيى المهدى أحد دعاتهم الى القطيف ونزل عند على بن المعلى بن حمدان مولى الزياديين وكان مغاليا فى التشيع فأظهر له يحيى أنه رسول المهدى وأن ظهوره قد اقترب ، فتجاوب معه شيعة القطيف كافة وشيعة البحرين وعلى رأسهم أبو سعيد الجنابى ، ثم تخلص أبو سعيد الجنابى من يحيى فقتله لينفرد بالرئاسة ثم نشط بالدعوة الى مذهبه ، فاستجاب له بنو سنبر وعلى رأسهم الحسين وعلى حمدان من الوجهاء وزوج الحسين ابنته من أبى سعيد فاشتد نفوذه وأقبل الناس عليه وتحرك بمن حوله من الأعراب والقرامطة ، فقتل أهالى القرى التى حوله ثم سار الى القطيف فقتل من بها ثم التقى بجيش المعتضد بقيادة العباس الغنوى فهزمه فهاجم (هجر) عاصمة البحرين واحتلها وجعلها عاصمة له . واستطاع أبو سعيد أن ينشىء مجتمعا اباحيا وأن يجمع حوله أبناء الأسرى وأبناء أتباعه فيشكل منهم جيشا لا يعرف غير القتال حرفة وطاعة الرئيس دينا والجنس متعة .

وحاول أبو سعيد فى آخر حياته التقرب من الخليفة العباسى مما أثار العبيديين عليه ، فدبروا مؤامرة للقضاء عليه على يد خادم صقلى فى الحمام ثم تولى ابنه سعيد الحكم من بعده وسار على سياسة أبيه بالتقرب من العباسيين ، وأطلق سراح أسرى المسلمين فقتله العبيديون ونصبوا أخاه أبا الطاهر مكانه .

كان أبو طاهر حقودا على الاسلام والمسلمين فجعل همه قتل أكبر عدد منهم ففى سنة ٣١١ هاجم البصرة ومعه ألف وسبعمائة رجل ، فتسلق سورها بالسلالم ودخلها ثم استباحها وأقام سبعة عشر يوما ينقل ما يستطيع من أمتعة وأموال ونساء وصبيان ، ولم يخرج منها حتى هدم مسجدها وفى سنة ٣١٢ هاجم الحجاج فسبى النساء والأموال وترك الحجاج يموتون جوعا وعطشا فى حر الصحراء ، وفى نفس العام دخل الكوفة وجعل مسجدها اصطبلا .

الاعتداء على المقدسـات :

وفى سنة ٣١٧ فى عهد الخليفة المقتدر زحف أبو طاهر على مكة فى موسم الحج وفى اليوم السابق للوقوف بعرفة قام بالاعتداء على الحجاج

وأعمل فيهم سيوفه فقتلهم وردم بهم بئر زمزم وفرش بهم المسجد وقتل في شعاب مكة من أهل خراسان والمغاربة ثلاثين ألف حج وسبى النساء والأطفال وحطم باب الكعبة واقتلع الحجر الأسود وذهب به الى القطيف وواصل رجاله الاعتداء على الأهـــالى فنهبوهم وسلبوهم وفسقوا فيهم واستولوا على حليهم وتحفهم الثمينة وعلى ما وجد فيها بالكعبة أو معلقا على جدرانها حتى انهم استخدموا خمسين جملا لنقل ما نهبوه وقد ظل الحجر الأسود فى حوذة القرامطة العراقيين قرابة اثنين وعشرين عاما حتى أعيد ثانية الى مكانه بجوار الكعبة وكان أبو طاهر يقول وهو يخلع باب الكعبة أنا بالله وبالله أنا أخلق وأفنيهم أنا ـ وقد أهلكه الله سنة ٣٣١ هـ ولم تكن هذه المرة الأولى التى تم فيها الاعتداء على الكعبة فقد اعتدى الحجاج ابن يوسف الثقفى حاكم العراق على الكعبة من قبل وأمر جنده حيث تم ضربها بالمنجنيق وحرقها بالنفط فتهدمت أركانها ٠

كما قام ابن نمير الكندى قائد جيش يزيد بن معاوية أثناء محاولته القبض على عبد الله بن الزبير فى مكة الذى احتمى مع رجاله بالكعبة بالاعتداء عليها فضربها بالمنجنيق حتى تمزقت كسوتها ثم رمى الكعبة بالنفط فاحترقت واحترق معها الحجر الأسود وضعفت جدران الكعبة وانهار بعض أجزائها ـ كما قام جند يزيد باستباحة المدينة المنورة وقتلوا بها أربعة آلاف وخمسمائة نفر وهتك عرض ألف بكر (ابن الأثير) ٠

بعد موت أبى طاهر عين عبد الله المهدى أخاه أحمد واليـــا عليهم وسموه أبا المنصور ، وعينوا سابور الابن الأكبر لأبى الطاهر وليا للعهد وأمروا أحمد أن يعيد الحجر الأســـود الى مكة فأعاده ، ثم تآمر أولاد أبى الطاهر على عمهم أحمد فاعتقلوه وثار أولاد عمهم عليهم وانتهت المعركة بقتل سابور ونفى أخوته وأنصارهم الى جزيرة أوال ٠

وكانت نهاية القرامطة فى عهد المستنصر حيث طردوا من جزيرة أوال عام ٤٥٨ هـ نتيجة سلسلة ثورات قام بها أهل السنة البحرانيون حيث لاحق السلاجقة القرامطة الى الاحساء ، فانطوت القبائل تحت قيادتهم وانتصروا عليهم فى موقعة الخندق الفاصـــلة عام ٤٧٠ هـ ، وفى هذه الموقعة تم القضاء نهائيا على القرامطة الذين كانوا مصدر للرعب زهاء قرنين من الزمن ٠

ومن عقائدهم أنهم مجمعون على رد نواميس الأنبياء (انكار الأنبياء) وعلى القول بقدم العالم لولا ما يخالفنا فيه بعضهم من أن للعالم مدبرا

لا نعرفه (انكار الله) وأن الجنة نعيم الدنيا وأن العذاب انما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصوم والحج والجهاد (انكار أركان الاسلام) وأن أهل الشرائع يعبدون الها لا يعرفونه ولا يحصلون منه الا على اسم بلا جسم (ايمانهم بحلول الألوهية فى شخص الحاكم) لقد خرج البغدادى من القرامطة لأنهم قالوا بألوهية محمد بن اسماعيل ٠

والقرامطة يعتقدون أن العقل قد فاض عن النفس الكلية أو التالى وبواسطة العقل والنفس وجدت المخلوقات ولـكن العقل هو الأول لذلك سمى السابق ٠

لذا يمكن القول بأنهم يعتقدون بأمرين يخرجهما من حظيرة الاسلام وهمـــا :ـ

١ ـ اعتقادهم باحتجاب الله فى صور البشر ٠

٢ ـ قولهم بوجـود الهين اثنين (الســابق والتالى) وهذا يعنى انكارهم وحدانية الله واعتقادهم أن الله شريك فى الخلق ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ٠

٣ ـ أما عقيدتهم فى الوحى والنبوة والرسالة : النبى عندهم شخص فاضت عليه من السابق (العقل) بقوة التالى (النفس) قوة قدسية ، وأن جبريل هو العقل الفائض عليه ، وأن القرآن هو تعبير محمد عن المعارف التى فاضت عليه من العقل فسمى كلام الله مجازا لأنه مركب من جهته ويظهر هذا المعتقد عندهم فى رسالة عبيد الله الى أبى سعيد الجنابى يوصيه بها (بتشكيك الناس فى القرآن والتوراة والزبور والانجيل ويدعوهم الى ابطال الشرائع وابطال المعاد والنشور من القبور وابطال الملائكة فى السماء والجن فى الأرض) وأوصاه أن يحيط بمخاريق الأنبياء ومناقضاتهم فى أقوالهم كعيسى بن مريم قال لليهود : لا أرفع شريعة موسى ثم رفعها بتحريم الأحد بدل السبت ٠

٤ ـ تنظيم الدعوة على تسع مراحل : وضع عبدان داعية حمدان القرمطى تسع مراحل أو بلاغات لاصطياد الناس واخراجهم من دينهم ، ولئن قارنا هذه البلاغات بالمراحل التى يرويها النويرى عن أخى محسن محمد بن على بن الحسين لرأيناها تطابق المراتب التى وصفها الاسماعيليون تماما ، وفيها يقررون أن الأنبياء سبعة وأن محمدا هو السادس وأن محمد ابن اسماعيل هو النبى السابع ٠

٥ ـ الشيء الذى امتاز به القرامطة عن الاسماعيليين جرأتهم على اشـــاعة النســـاء والمال وبذلك استطاعوا أن يجمعوا حولهم أصحاب الشـــهوات والمراهقين وأسافل الناس • ولقد أمر الجنابى أتباعه فى البحرين باقامة ليلة سماها الافاضة يجتمع فيها النساء والرجال وتطفأ الأنوار ويمارسون الجنس بين المحللات والمحرمات •

٦ ـ وسائل القرامطة في استدراج أتباعهم :

ـ أما التفرس : فمعناه أن يكون الداعى فطنا ذكيا يميز بين من يمكن استدراجه ومن لا يمكن ، قادرا على تأويل النصوص والايهام بأن لها باطنا لا يعرفه كل أحد ، كما يكون قادرا على أن يقدم لكل واحد ما يتفق مع مزاجه وميله ومذهبه •

ـ وأما حيلة التأنيس : فهى أن يجتهد الداعى فى التقرب الى من يدعوه والتظاهر له بالتنسك والتعبد ، والمواعظ الرقيقة ، والتبشير بأن الفرج منتظر •

ـ وأما حيلة التشكيك : فهى أن يجتهد الداعى فى تغيير اعتقاد المستجيب ، وذلك بالأسئلة عن الحكمة فى مقررات الشرع ، وغوامض المســـائل ، ومتشـــابه الآيات ، وأسرار الأرقام فى مثل قوله تعالى (**خلق سبع سموات**) ، (**ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**) ، (**عليها تسعة عشر**) •

ـ وأما حيلة التعليق : فتكون بأن يطوى عنه سر هذه الشكوك ، ويوهمه بأنه يملك حقيقتها ويعرف كنهها ، ولكن لا يمكن البوح بها لكل أحد ، ولا فى كل حين ، بل لابد من عهود ومواثيق على من يريد معرفة هذه الأسرار ، ويتركه هكذا معلقا •

ـ وأما حيلة الربط : فتأتى بعد التعليق ، بأن يربطـــه بايمان مغلظة ، وجهود مؤكدة ، لا يجسر على المخالفة لها بحال •

ـ وأما حيلة التدليس : فتكون بالتدرج فى بث الأسرار اليه بعد أن ربطه بالايمان والعهود المؤكدة ، اذ يأخذ فى اطـلاعه على قـواعد المذهب شيئا فشيئا ، ويوهمه أن لهذا المذهب أتباعا كثيرين ، لـــكنه لا يعرفهم •

– وأما حيلة التلبيس : فتكون بالاتفاق على بعض المسـلمات ، والقواعد البدهية ثم يستدرجه منها الى نتائج باطلة ، وذلك بعد أن يكون قد أسلم له قياده ٠

– وحيلة الخلع والسلخ : وهما بمعنى واحد الا أن الخلع يختص بالعمل فاذا أسلم المسـتجيب قيادة وبدأ العمل والتنفيذ لما يريده منه القرامطة ، يكون قد انخلع عن مجتمعه ، ووصـل الى درجة الخلع ، وأما السلخ : فيختص بالاعتقاد الذى هو خلع الدين واعتقاد فلسـفة المذهب قلبا وايمانا بعد أن أخذها منهجا وعملا ٠

(جـ) اخوان الصفا وخلان الوفاء :

جماعة نشـأت فى منتصف القرن الرابع الهجرى بالبصرة ويرجع الأستاذ عمر الدسوقى تاريخهم الى ٣٣٤ – ٣٧٣ هـ عملوا على الخلط بين الفلسفة والشريعة ، وراحوا يكتبون آراءهم دون أن يكشفوا أسماءهم ، ولما بلغت الخلافة العباسـية درجة من الضعف شجعت كل أمير على الاستقلال بولايته وشجعت آل بويه الشيعة على دخول بغداد والاستيلاء على مقر الخلافة العباسية وتشجع اخوان الصفا وكشفوا عن رسـائلهم وشخصياتهم ٠ لقد نشأوا فى ظل الدولة البويهية وانتهوا بانتهائها ٠

وقد قالوا : الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضـلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة وذلك لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال ٠ وصنفوا خمسين رسالة فى جميع أجزاء الفلسفة علميا وعمليا وأفردوا لها فهرسة وسموها رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء وكتموا أسماءهم وبثوها فى الوراقين ولقبوها للناس (الامتناع والمؤانسة جـ ٢ ص ٤ – ٥) ويزعم دعاة الاسماعيلية أن مؤلف رسائل اخوان الصفا هو أحد أئمتهم المستورين واسمه أحمد بن عبد الله ابن محمد ، ويقولون أن أول من ذكر رسائل اخوان الصفا هو الداعية الاسماعيلى الحامدى ٠

ويقول الدكتـور محمد الخطيب فى كتـابه (الحركات الباطنيـة ص ١٧٣) على أية حال فانه مما لا جدال فيه أن رسائل اخوان الصفا ليست من تأليف شخص واحد بل من تأليف جماعة متعددة تتباين معارفهم وأساليبهم ٠

وتعتبر رسائل اخوان الصفا مقدسة لدى الاسماعيليه حتى نصل فى تقديسها الى منزلة القرآن الكريم ، والاسماعيلية بجميع أقسامها تعظم هذه الرسائل فالمستعلية أو الطيبية والنزارية جماعة أغا خان حتى الحشاشون المعرفون بغلوهم كانوا يدرسونها فى قلاعهم ٠

ومن عقائدهم :

١ ـ ان الانسان الكامل العالم الخبير الفاضل الذكى المستبصر عندهم انما هو : الفارسى النسبة ، العربى الدين ، الحنفى المذهب ، العراقى الآداب ، العبرانى المخبر ، المسيحى المنهج ، الشامى النسك ، اليونانى العلوم ، الهندى البصيرة ، الصوفى السيرة ، الملكى الأخلاق ، الربانى الرأى ، الالهى المعارف (جـ ٢ ص ٣١٦ من رسائلهم) ٠

٢ ـ كان اخوان الصفا لايقبلون النساء فى جماعتهم ولا الكهول وهذا ما يشير الى أن نظرتهم فى المرأة واحدة مع فرق الاسماعيلية والباطنية ، فالمرأة عند النصيرية لاتستحق أن تأخذ الدين وهى عند القرامطة مباحة يستمتع بها من يشاء ٠ وللمرأة فى نظر اخوان الصفا مهمتان : الأولى انجاب النسل والثانية للاستمتاع الجنسى عند من لا يستطيع التعفف ٠ أما من الناحية العقلية فهى مثل الصبيان والجهال والخدم والحمقى ٠

٣ ـ تقوم فلسفتهم على أن بعض المعطيات ذات الأصل الاسلامى قد لقبت عند الاخوان بالمعطيات اليونانية المتعلقة بخصائص الاعداد ، فالرقم ١٧ يلعب دورا بارزا فى الغنوص اليهودى أضف الى ذلك أن الرقم ١٧ يشير الى عدد الأشخاص الذين تكلم عنهم العرفانى الشيعى (المغيرة) والذين سوف يبعثون ابان ظهور الامام المهدى ويعطى لكل منهم حرف من الحروف السبعة عشر التى تؤلف اسم الله الأعظم ٠

ومراتب اخوان الصفا أربع :

(أ) الاخوان الابرار الرحماء : هم الشبان الذين تتراوح أعمارهم من ١٥ ـ ٣٠ تنشأ نفوسهم على الفطرة ٠

(ب) الاخوان الأخيار الفضلاء : هم الرجال بين ٣٠ ـ ٤٠ تفتح لهم أبواب الحكمة الدنيوية ويتلقون معرفة الأشخاص عن طريق الرمز ٠

(جـ) الاخوان الفضـــلاء الكرام : بعـــد سن الأربعين يستطيع الاطلاع على أسرار الحقيقة الروحانية المستقرة فى ثنايا الكلام الظاهر من الشريعة وهذا النمط من المعرفة هو معرفة نبوية ٠

(د) اذا زاد عن ٥٠ انكشفت له الحقيقة الروحية الباطنية وصار يشهد حقائق الأشياء على ما هى عليه كالملائكة المقربين وينفذ الى أسرار كتاب الوجود كنافذة الى أسرار المنزل ٠

والرسائل تتكون من اثنتين وخمسين رسالة قسموها أربعة أقسام وهى :

— الرسائل الرياضية التعليمية وعددها أربع عشرة رسالة ٠

— الرسائل الجسمانية الطبيعية وعددها سبع عشرة رسالة ٠

— الرسائل النفسانية العقلانية وعددها عشر رسائل ٠

— الرسائل الناموسية الالهية والشرعيـة وعددها احدى عشرة رســـالة ٠

٤ ـ نظرة الالوهية والتوحيد عند اخوان الصفا وردت فى المجلد الثالث وتتلخص فى أن الله تعالى تام الوجود كامل الفضائل عالم بالكائنات قادر على ايجادها متى شاء ، وليس من الحكمة بنظـــرهم أن تحبس تلك الفضائل فى ذاته بل الحكمة أن يفيض بهـــا كمـــا نفيض عين الشمس بالفضاء ، وما دام الفيض متصلا متوافرا فيسمى أوله العقل ثم يفيض عن العقل فيض آخر دونه فى المرتبة فيسمى النفس وتفيض النفس فيضـــا دونه فى المرتبة فتكون الهيولى ـ نواة الجسد ـ وما دامت النفس تفيض على الجسد استمرت الحياة ومتى انقطع فيضها انعدمت الحياة ، وما دام الله موجودا دام الفيض والعطاء واستمر وجود العالم ، فالعالم قديم بقدم الله مستمر باستمراره ، لذا فلا داعي بنظرهم للتكاليف الشرعية مادام العالم مستمرا فيه ولا حساب ٠

٥ ـ نظرتهم الى الانبياء والرسل فى الرسالة السادسة من الجزء الرابع ص ١٧٨ : (يروى أن أرفع منزلة يرتفع اليها الانسان هى منزلة الأنبياء يليهم فى المرتبـــة الفلاسفة والحكماء وأن اتمام منزلة النبى فى ست وأربعين خصلة من فضائل البشرية أولها الرؤية الصـادقة ، فاذا اجتمعت هذه الخصال فى واحد من البشر فى أى وقت من الزمان فان

ذلك الشخص هو المبعوث وصاحب الزمان والامام للناس مادام حيـــا) فمحمد (ﷺ) بنظرهم ليس خاتم الأنبياء لأن النبوة مرتبة يرتقى اليها العلماء والفلاسفة ، لذلك اعتبروا كل فيلسـوف كبير من أجـــل ذلك يجمعون بين موسى وعيسى ومحمـــد عليهم الصــلاة والسلام وزرادشت وسقراط وفيثاغورث وعلى والحسين فى طبقـة واحدة ثم نادوا بوحـــدة الأديان ، وأن غاية الأديان واحدة .

٦ ـ ورايهم فى عالم الغيب : لا يؤمن اخوان الصـــفا بالأمـور الغيبية بل يؤولونها الى أمور حسية ، فالجنـــة عندهم هى عالم الأرواح وسعة السماوات ، وجهنم بنظرهم عالم الكون والفساد التى هى دون فلك القمر ، وان أهل جهنم هم النفوس المتعلقة بأجسام الحيوانات التى تنالها الآلام والأوجاع دون سائر الموجودات التى فى العالم .

ويقولون ان البعث والقيامة أمور تقال لعامة الناس ، أما الخاص ومن قد نظر فى العلوم فان هذا لا يصلح لهم ، لأن كثيرا من العقلاء والحكماء ينكرون خراب السماوات ويأبون ذلك .

(د) الحشاشـــون :

حسن الصباح هو زعيم طائفة الحشاشين ، والحشاشون جناح من الاسماعيلية (النزارية) أقاموا فى بلاد فارس .

والده من شيعة الكوفة بالعراق ويقال ان أصله من اليمن ، سكن مدينة (قم) حيث ولد ابنه حسن الصباح فيها ثم انتقل الى مدينة الرى قرب طهران وكانت الرى مركزا اسماعيليا هاما . تأثر حســـن بأحد دعاة الاسماعيلية واسمه عميرة زاراب ، وأقسم يمين الولاء للامام الفاطمى ، غادر حسن الصباح الرى عام ١٠٧٦ الى أصفهان فأذربيجان ، ثم رحل الى العراق فسوريا فوصل مصر ١٠٧٨ فاستقبل بحفاوة بالغة ، مكث حسن فى مصر ثلاث سنوات ويقال أنه اختلف مع أمير الجيوش فسجنه ثم طرده منها . عاد حسن الى أصفهان وبدأ يتجول لنشر دعوته وركز اهتمامه فى أقصى الشمال الفارسى وبأقليم الديلم بالذات لصلابة أهله ووعورة أراضيه .

استقر حسن الصباح فى دمغان من أعمال قزوين وبدأ يرسل الدعاة للعمل فى القرى المحيطة بالقلعة ، ثم تمكن من التأثير على بعض حمـاة القلعة فأدخلوه سرا اليها فكثر انصاره فيها وعلم به مالك القلعة ولكنه أسقط فى يده ولم يستطع أن يفعل شيئا فدفع له حسن الصباح ثلاث

آلاف دينار ثمنا لها وطرده منها ، وبذلك أصبح حسن الصباح مالكا لقلعة الموت ولم يخرج منها طيلة حياته ٠

وقد حقق حسن الصباح نجاحا هاما بالاستيلاء على قلعة لاماسار عام ١٠٩٦ بقيادة كبارز جميد الذى بقى قائدا لها مدة عشرين عاما ٠ وقد مكنت هذه القلعة الاسماعيليين من تدعيم قوتهم فى كل منطقة روديار ٠

واسم قلعة الموت مشتق من كلمة (الوه آموت) ومعناها بلغة الديلم عش النسر أو تعليم النسر ٠

كان أول ضحية قتله الاسماعيليون الحشاشون مؤذنا من سافا رفض الاستجابة لهم ، فخشوا أن يشى بهم الى السلطان فقتلوه ولما بلغ النبأ الوزير نظام الملك أمر بقتل زعيمهم فى المنطقة واسمه طاهر ، ويقول ابن الأثير انه كان أول اسماعيلى يعدم ٠ وفى يوليو من عام ١٠٩٢ م أرسل السلطان ملكشاه السلجوقى حملتين : أحداهما الى قلعة آلموت والثانية الى كوهستان للقضاء على الخطر الاسماعيلى ، وفى أثناء حصارهم فى قلعة آلموت من قبل السلاجقة قاموا بعدة اغتيالات ، وكان ممن جرى اغتيالهم من علماء السنة (عبد الله الخطيب) قاضى أصفهان وقاضى نيسابور والوزير أحمد بن نظام الملك ولكنه نجا من الموت ، وكان هناك ضحايا آخرون منهم علماء وشخصيات كبيرة ٠

بعد غياب الامام الظاهر تنشط اسماعيليو فارس فى نشر دعوتهم. فأرسل حسن الصباح دعاته من قلعة آلموت الى دمغان واستطاع بمساعدة حاكمها مظهر ــ الذى استمالوه الى دعوتهم أن ينال مساعدات مكنته من احتلال قلعة (غير دكوه) وهى ذات مركز استراتيجى عسكرى وعين عليها مظفر الذى حكمها طيلة أربعين عاما ، كما استولوا على قلعة (شاه ديز) قرب أصفهان وقلعة (خالنكان) ، وتغلغل الاسماعيليون فى بلاط الملك بركيارق بعد أن هزم أخاه محمد تابار فقوى نفوذهم ، وبدأوا باغتيال كل من يظهر خصومته لهم ٠ ولما استفحل خطرهم اتفق بركيارق مع أخيه سانجار على حربهم فحملوا عليهم حملة دمرت جدران حصنهم الرئيسى ، كما تمكنت قوات السلاحقة من هزيمتهم وتدمير قلعة طبس ٠

ثم هاجموا آخر قلاعهم آلموت غير أنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها فما كان منهم الا أن رسموا خطتهم بهجوم سنوى لاضعافهم ، واتلاف

محاصيلهم حتى حلت بهم المجاعة طيلة ثمانى سنوات ، ثم فك عنهم الحصار بعد وفاة السلطان تابار .

ويقول المؤرخ الجوينى (بعث حسن الصباح قبيل وفاته الى قلعة لاماسار لاحضار بزرجميد قائد القلعة وعينه خليفة له ، وجعل ديدار أبو على الاردستانى يجلس على يمينه وكلفه بشئون الدعوة وحسن بن أدام العشرانى يجلس على شماله ليتولى شئون الادارة وكيانا جعفر أمامه قائدا للقوات ، وكلفهم بالعمل أربعهم فى اتفاق وتعاون الى أن يظهر الامام المستتر ويعول شئون المملكة ، وتوفى فى ٦ ربيع ثانى عام ٥١٨ هـ) .

بعد وفاة حسن الصباح وتنصيب بزرجميد أميرا للحشاشين بعده .

قام سنجار بارسال عدة حملات للقضاء على الحشاشين فحقق بعض النصر عليهم ولكنهم اغتالوا الوزير المهيب قائد الجيوش فى القاهرة سنة ١١٢١ م ثم اغتالوا الوزير معين سنة ١١٢٧ م واغتالوا الخليفة العباسى المسترشد أثناء وجوده فى أسر السلطان مسعود حاكم اكران كما اغتالوا والى أصفهان وحاكم مراغة ووالى تبريز ومفتى قزوين كما تم اغتيال ١٤ سنيا منهم السلطان السلجوقى داوود وأمراء وحكام وتوفى بزرجميد سنة ١١٣٩ م وتولى من بعده ابنه محمد ثم من بعده حسن بن محمد بن بزرجميد سنة ١١٦٤ م الى أن قتل سنة ١١٦٦ ثم تولى بعده محمد الثانى الذى مات مسموما سنة ١٢١٠ على يد ابنه جلال الدين الذى كان يناهض سياسة والده فأعلن اسلامه وحرق كتب الاسماعيليين وأعاد الشريعة وأعلن ولاءه للخليفة العباسى ويقال انه مات مسموما سنة ١٢٢١ واستلم الأمر من بعده ابنه علاء الدين وكان طفلا فى التاسعة من عمره مصابا بلوثة عقلية ولكنه كان محترما لقداسة الامام عندهم حتى اغتيل سنة ١٢٥٥ وأعقبه ابنه ركن الدين ثم تولى ابن ركن الدين الامارة وكان من ذريته أسرة أغا خان .

وتناوب أمرة الحشاشين بعد ذلك بهرام ثم اسماعيل أبو الفتح ثم أبو محمد ثم سنان بن محمد الملقب شيخ الجبل .

ومن المعروف عن عصر حسن الصباح وسلوكه أنه كان يوحى الى أتباعه بأنه قادر على ادخالهم الجنة أو النار وكان يستخدم بعض القلاع كنموذج للجنة الموعودة فيجد فيها الشخص ما يتمناه فى الجنة من نساء وصبيان وخمر وحشيش وأشجار وأنهار بحيث اذا عرض عليه هذا النموذج

يضمن له الجنة اذا أطاع الأمر باغتيال أحد الأشـــخاص أو أدى مهمته بنجـــاح ٠

ان ظهور صلاح الدين الأيوبي وقضاءه على الدولة الفاطمية ومحاولته توحيد ديار الاسلام ليقف في وجه الغزو الصليبي دفع الحشاشين الى التعاون مع الزنكيين وفي رسالة وجهها صلاح الدين الى الخليفة في بغداد اتهم الزنكيين بالتحالف مع الحشاشين الملاحدة واستخدموهم وسطاء للاتصال بالفرنجة ووعدوهم بمنحهم قلاعا وأرضا وبيتـــا لنشر دعوتهـــم في حلب ٠

لقد بدأت أول محاولة للحشاشين لاغتيال صلاح الدين في ديسمبر ١١٧٤ م فاكتشفهم الأمير أبو قيس فقتلوه على الفور ولكن صلاح الدين لم يصب بسوء ، وفي العام التالي قام سنان بمحاولة أخرى في ٢٢ مايو ١١٧٦ م أثناء محاصرة صلاح الدين لمدينة أعزاز ، ولكن صلاح الدين أصيب بجروح طفيفة وقتل في الاشتباك عدد من الأمراء ٠

وقد تقدم صلاح الدين باتجاه مصياف مركز الحشاشين فحاصرها عام ١١٧٦ م ولكنه ما لبث أن فك الحصار واتجه للقاء الصليبيين بعد وساطة خاله أمير حماه الذي كان جارا لهم وفي ٣١ أغسطس ١١٧٧ م اغتـــال الحشاشون شهاب الدين بن العجمي وزير الملك الصالح الزنكي في حلب والوزير السابق لنور الدين ولكنهم فشلوا في اغتيال اثنين من كبـــار أصحاب الوزير ، واستمر النزاع بين أمير حلب وسنان فاســـتولى الملك الصالح على الهجيرة ورد عليه الحشاشون باشعال النار في سوق حلب ، وفي عام ١١٩٢ تمكن الحشاشون من اغتيال المركيز كزنراد ملك بيت المقدس ، وفي مارس ١٢٧١ اعتقل بيبرس اثنين من الحشاشين قيل أنهما أرسلا لاغتياله ، ولكن حضور الزعيمين الاسماعيلين وقسمهما ببراءتهما من التهمة أطلق سراحهما وطلب اليهما صـــحبته وتسلم قلاعهم فسلم قلاعهما ، كما احتل قادة بيبرس بقية القلاع كالعليقة والرصافة ثم الخوابي كما تم احتلال باقي القلاع عام ١٢٧٣ م ، وأصبح بيبرس يهدد بهم خصومه من الصليبيين وبقي منهم حتى الآن سكان منطقة سلمية ومصياف مسالمين يعملون بالزراعة يدين بعضهم لاغا خان في فارس والبعض الآخر لمشايخ فرقتهـــم ٠

غـلاة الشيعـــة

(أ) **الاسماعيلية** : سبق الحديث عنهم وعن فرقهم وفروعهم .

(ب) **النصيرية** : طائفة من غلاة الشيعة الذين ألهوا عليا بن أبى طالب ، وحجتهم فى ذلك كما يروى الشهرســـتانى فى الملل والنحل : أن ظهور الروح بالجسد الجسمانى أمر لاينكره عاقل . فمثله فى جانب الخير : كظهور جبريل عليه السلام بصورة بشر مثله ، وفى جانب الشر كظهور الشيطان وكظهور الجن بصورة انسان يتكلم بلسانه .

ويقولون ولما لم يكن بعد رسول الله (ﷺ) شخص أفضل من على بن أبى طالب وأولاده المعصومين من بعــده باعتبـــارهم خير البرية : فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم . لذا سموا بالالهية .

وينتسب النصيريون الى (محمد بن نصير) الفارسى الأصل ، الذى كان بابا للامام الحسن العسكرى ، والذى ادعى أن الامام الثـــانى عشر الغائب أوصى له بالامامة من بعده ، ويقول النوبختى فى فرق الشـــيعة ص ٨٧ : وقد شذت فرقة من القائلين بامامة على بن محمد فى حياته فقال بنبوة رجل يقال له محمد بن نصير وكان يدعى أنه نبى بعثه أبو الحسن العسكرى وكان يقول بإباحة المحارم وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضا ، ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل وأنه أحل الشــــهوات والطيبات ولم يحرم شيئا من ذلك .

ومن عقائدهم :

١ ـ **الولاية والامامة** : يعتقد النصيريون بولاية على بن أبى طالب أمور المسلمين الدينية ويزعمون أن النبى (ﷺ) بايعه ثلاث مرات سرا :

١ ـ يوم نام فى فراشه ليلة الهجرة . ٢ ـ ويــوم بيعة الشـــجرة . ٣ ـ وفى دار أم سلمة . أما البيعة الرابعة فجهرية كانت يــوم غديرخم حيث أمره الله تعالى ببيعته كما يزعمون فقال يومها : « من كنت مولاه فعلى مولاه » ونزلت عليه الآية الكريمة : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » والولاية عندهم أعلى مرتبة من النبوة فان الأنبياء يوحى اليهم بواسطة جبريل أو يكلمهم الله مباشرة أما الامام المعصوم المطهر فهو مصدر الارادة الالهية دون وحى أو واسطة لأنه تحت تأثير الارادة الالهية مباشرة .

٢ ـ **عصمة الامام** : والأئمـــة بنظرهم معصومون من أى خطأ فقد وردت الآيات بعصمتهم وطهارتهم يقصدون الآية الكريمة (**ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**) • أما الأنبياء بنظرهم فلم يرد نص بعصمتهم متجاهلين قول الله تعالى فى عصمة رسوله الأمين (**وما ينطق عن الهوى * ان هو الا وحى يوحى**) • عن تاريخ العلويين ص ١٧٤ ـ ١٧٥ •

٣ ـ **تأليه الامام** : الألوهية بنظر النصيريين مثلثه الأجزاء متحدة الحقيقة كما هى عند النصارى فهى عندهم معنى واسم وباب ، كما هى عند النصارى أب وابن وروح قدس •

أما المعنى فهو على بن أبى طالب وهو الله العلى القدير • وأما الاسم فهو محمد بن عبد الله وهو حجابها النورانى • وأما البـــاب فهو سلمان الفارسى الذى يوصل الى الحجاب النورانى • أما التشهد عندهم فهو : أشهد أن لا اله الا على بن أبى طالب • وقد وصفوه فى كتاب المجموع بأنه أحد صمد لم يولد ولم يلد وأنه قديم لم يزل • جوهره نور ومن نوره تسطع الكواكب وهو نور الأنوار تجرد من الصفاة يشق الصخور ، ويســـجر البحور ويدبر الأمور ، ويخرب الدول خفى الجوهر ، وفى كتاب الهداية الكبرى للخطيبى : قال (على) للشمس وعليك السلام يا خلق الله الجديد ثم همهمة تزلزل منها البقيع فأجابت الشمس وعليك الســـلام يـا أخ رسول الله ووصيه أشهد أنك الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت بكل شىء عليم (عن كتاب العلويين بين الحقيقة والأسطورة) •

ويعتقدون أن عليا خلق محمدا عليه الصلاة والسلام وأن محمدا خلق سلمان الفارسى وان سلمان خلق الأيتام الخمسة وهم : ١ ـ اليتيم الأكبر المقداد بن الأسود الكندى الموكل بالرعود والعواصف • ٢ ـ أبو ذر الغفارى وهو موكل بحركات الكواكب والأفلاك • ٣ ـ عبد الله بن رواحة وهو موكل بالرياح وقبض الأرواح • ٤ ـ عثمان بن مظعون وهو موكل بالأبدان وأمراض النساء • ٥ ـ وقمبر بن كادان مولى على وخادمه ، وهو موكل بالتناسل ، وهؤلاء الخمسة خلقوا العالم فعلى عنـــدهم رب العالمين وخالق الكون وباعث الرسل وهو يسكن السحاب ، الرعد صوته والبرق ضحكه ، ويرى الشماليون سكان الساحل السورى أنه يسكن القمر بينما يرى الكلازيوين سكان الجبال أنه يسكن الشمس •

٤ ـ **كتمان الدين والتقية** : جاء فى تاريخ العلويين لأمين غالب الطويل : لقد كان الأئمة من أهل البيت يحتمون بحماية الاسلام المعنوية ، ولم يـكن ذلك متحققـا للأبواب ولا لمن معهم لذلك اضـطروا الى التقية والكتمان فهم يتظاهرون بالاسلام تقية حتى يحضر الامام الغائب صاحب الزمان وينتقم لهم من مخالفيهم أتباع الخليفتين •

٥ ـ **التناسخ** : عقيدة التناسخ قديمة فى التاريخ فهى سمة مشتركة بين ديانات العالم القديم يقول الشهرستانى فى الملل والنحل ج٢ ص٥٤ : والغلاة على أصناف كلهم متفقون على التناسخ والحلول · كان التناسخ مقالة فى كل ملة من المجوس والمزدكيه والبرهمية فى الهند ولدى الفلاسفة الصائبة ·

ولقد لخص النوبختى فكرتهم فى كتابه فرق الشيعة ص ٣٢ ، ٣٥ بقوله :

ومقتضى مذهب هؤلاء الغلاة أن لا دار الا دار الدنيا وأن القيامة انما هى خروج الروح من البدن ودخولها بدن آخر ان خيرا فخير وان شرا فشر ، وأنهم مسرورون فى هذه الأبدان أو معذبون فيها · والأبدان هى الأجسام الردنئة المشوهة من كلاب وقرود وخنازير وحيات ·

ولقد أجمع علماء المذاهب الاسلامية على اخراج من يقول بالتناسخ من دائرة الاسلام وحكموا عليه بالكفر لاصطدام هذه الفكرة مع ركن ثابت عرف من الدين بالضرورة الا وهو الايمان باليوم الآخر الثابت بنصوص يقينية ·

كما أجمعت المجامع الكنسية المسيحية المنعقدة فى ليون بفرنسا عام ١٢٧٦ وفى فلورنسة عام ١٤٣٩ على ادانة القائلين بالتناسخ وتكفيرهم·

وكفر المتكلم اليهودى المعروف سعديا الفيومى القائلين بالتناسخ من اليهود كما فى كتاب الأمانات ص ٢٠٨ ·

٦ ـ **التأويل وعلم الباطن** : يقول الدكتور الذهبى فى كتابه التفسير والمفسرون ج ١ ص ١٨ : التأويل هو صرف المعنى الراجح الى المعنى البديل يقترن به فاذا لم يكن اللفظ محتملا المعنى الذى حمل عليه ولم يبين المتأول الدليل الذى حمله على ذلك كان تأويلا فاسدا بل تلاعبا بالنصوص · والتأويل الفاسد هو الذى اعتمده الغلاة مدعين أن للقرآن ظاهرا وباطنا وأن المراد منه باطنه دون ظاهره ·

ويقولون فى تفسير الآية الكريمة (**منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات**) بأن الآيات المتشابهات لها معنى ظاهر ومعنى باطن يريدون أن يدعموا آراءهم بتأويل هذه الآيات ، ويقولون بأن التفسير الصحيح منحصر فى الامام وحده ويستدلون على ذلك بالآية الكريمة (**وكل شىء أحصيناه فى امام مبين**) لذا فالامام عندهم عارف بعلوم الأولين

والآخرين ـ ولو كان جاهلا ـ وذلك بسبب صلته المباشرة بالله تعالى ·
ويقولون بأن سيدنا محمدا (ﷺ) خص بالتنزيل وأن عليا رضى الله عنه خص بالتأويل ، وأن التأويل خير من التنزيل والباطن خير من الظاهر لذا سموا الشيعة الاثنى عشرية بالظاهرية القشرية ورموهم بالكفر والردة لوقوفهم عند ظواهر النصوص كما ذكر الشينى فى الفكر الشيعى ص ١٣٠ ، ٢٤٠ ·

من تأويلاتهم : الجنة : رجل أمرنا بموالاته وهو الامام ، والنار : رجل أمرنا بمعاداته وهو ضد الامام ·

والصلوات الخمس عندهم : على والحسن والحسين ومحمد وفاطمة · وأن ذكر هؤلاء يغنى عن الاغتسال من الجنابة والوضوء للصلاة أما الصوم فهو حفظ سر الدين والحج زيارة الامام ، والجهاد لعنة الخصوم (الباكورة السليمانية) ·

٧ ـ **اسقاط التكاليف واباحة المحرمات** : نزعة قديمة تبيح لاتباعها تجاوز الأحكام الدينية والالزامات الخلقية والاعتبارات الاجتماعية · ذلك أن للمجوس طبقة من الكهنة كانت تبيح الزواج بالأقارب المقربين · يقول الشهرستانى فى الملل والنحل جـ ٢ ص ٢٨٦ ما يلى : عرف عن مزدك دعوته الى الاباحية واستحلال النساء فقد تزوج يزد جرد الثانى الذى تولى الحكم فى القرن الخامس الميلادى من ابنته كما عرف ان بهرام جوز الذى حكم فى القرن السادس الميلادى ـ قد تزوج من أخته · ويذكر أيضا أن عادة الزواج بالمحارم كانت عادة منتشرة فى الزرادشتية وكانت أكثر شيوعا بين أهل التقى ارضاء لآلهتهم ·

لقد أحلوا شرب الخمر بل أنهم يعظمونها ويعظمون شجرة الكرم التى هى أصل الخمرة لذلك يستعظمون قطعها · أما الاسم المقدس للخمرة عندهم فهو عبد النور لأن الله ظهر فيها كما وأنهم يحبون ابن ملجم قاتل الامام على بن أبى طالب لأنه خلص اللاهوت من الناسوت ويخطئون من يلعنه ·

٨ ـ **العبادة** : نوع من الحب والطاعة والولاء لائمتهم ورؤسائهم · أما العبادات الظاهرية التى يؤديها المسلمون السنيون فهى معرفة أشخاص أئمتهم ورؤسائهم الدينيين وأصحاب المراتب عندهم ، ورد فى الباكورة السيمانية أن الصلوات الخمس وأوقاتها عندهم كالآتى : الظهر لمحمد والعصر لفاطم أى فاطمة والمغرب للحسن والعشاء للحسين والصبح لمحسن الخفى ·

والزكاة دفع خمس ما يملكون لشيوخهم حتى من مهور بناتهم ·

أما الحج فهو زيارة أئمتهم ورؤسائهم والصوم حفظ سر الدين والبعد عن النساء والجهاد سب الخصوم ·

٩ ــ السباب والشتائم على الشيخين وغيرهم ممن عادى أحد أئمتهم : اعتقادهم أن مسبة المخالفين فريضة دينية وهي من الجهاد ويشملون بذلك كل من عادى الرسول ولو كان من أهل البيت ، وكل من عادى عليا ولو كان من أصحاب الرسول ، وكل من عادى فاطمة ولو كان من أصحاب علي ، وكل من عادى الحسنين ولو صاحب أباهم ·

١٠ ــ المرأة : ليس للمرأة عند النصيريين اعتبار انسانى لذا فهى ليست جديرة بتلقي الدين وتحمل واجباته ، ذلك لأن المحارم عندهم كانت مباحة في الماضي حتى منعتها القوانين السورية ونصوا على الحط من قدر المرأة لأنها حرمت عليها المعرفة حتى أنهم حرموا على المؤمنين أكل لحوم اناث الحيوانات ·

١١ ــ القيامة : القيامة عندهم هى قيام الامام المحتجب صاحب الزمان ليحكم بين أتباعهم ، وخصومهم ، ويحقق السيادة لهم وحدهم ضد خصومهم من أتباع الخليفتين : الأول والثانى ومن شايعهم وعندما يعلن الدين ويظهر كل خفى ومكتوم منه · وهذه القيامة هى الرجعة الكبرى والكرة الزهراء ·

١٢ ــ القداسات : للنصيرية قداسات كما للنصارى ، ذكر منها كتفاجو ثلاثة قداسات :

(أ) قداس الطيب لكل أخ حبيب · (ب) قداس البخور فى روح يدور فى محل الفرح والسرور · (جـ) قداس الاذان ·

١٣ ــ تشكيلاتهم الدينية : يعتقدون أن الأجزاء الثلاثة (الاسم والمعنى والباب) لم تنته بعد انتهاء الرسالة بل بقيت متجسدة فى أشخاص ثلاثة فظهر المعنى بصورة الامام والاسم بولى عهد الامام ، الذى سيحل محله بعد وفاته ، والباب هو الذى يقف بجانب الامام يدعو له ويجمع الناس حوله ويبلغهم تعاليم الامام ·

فعلى بن أبى طالب بابه سلمان الفارسى ولقبه زوربة ، والحسن بن على بابه قيس بن ورقة ولقبه سفيقة ، والحسين بن على بابه رشيد

الهجرى ، وعلى بن الحسن بابه عبد الله بن أبى غالب الكابلى ومحمد الباقر وبابه يحيى بن جعفر بن أم الطويل الشومالى · وجعفر الصادق بابه جابر بن بريد الجعفى : موسى الكاظم وبابه محمد بن أبى زينب الكاهلى ورجال الدين عندهم أربع عشرة مرتبة فيقسمون الى قسمين : الأول خمسة عشر ألف شخص يتكون منهم العالم العلوى النورانى الكبير وهم السماوات السبع وهم الكواكب التى تقع خارج درب التبانة · والقسم الثانى منهم تسعة عشر ألف شخص يتكون منهم ، العالم النورنى الصغير وهم : الأرضون السبع مجموعة كنجوم فى درب التبانة ، تتخلص أرواحهم من الهياكل البشرية وتتطهر من الادناس بالتناسخ ·

١٤ ـ **أعيادهم** : أما أعيادهم فهى خليط من أعياد الديانات المختلفة كالنصرانية والهندوكية وغيرها وهى :

(أ) عيد الغدير فى ١٨ ذى الحجة وهو عيد عند الشيعة عامة ، وسر تقديسه فى اعتقادهم أن النبى الكريم آخى فى حجة الوداع بين الصحابة ولم يؤاخ بين علي وأحد منهم فرأى الرسول فى (على) انكسارا لخاطره فضمه الى صدره وقال له : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبى بعدى » والتفت الى الصحابة وقال لهم « من كنت مولاه فعلى مولاه » ·

(ب) عيد الفطر : ويسمى عيد الفطاير يحتفلون به فى ٦ كانون الثانى يناير بعد انتهاء الصوم الخاص بهم (عن الدسم) ·

(ج) عيد الأضحى : يحتفلون به فى الثانى عشر من ذى الحجة أى بعد احتفال المسلمين بيومين ، كما يحتلفون ليلة العاشر من ذى الحجة باعتبارها الليلة التى ولد فيها سيدنا على بن أبى طالب ·

(د) عيد الفراش : وهى ذكرى جلوس سيدنا (على) فى فراش ابن عمه رسول الله ليلة الهجرة (رأس السنة الهجرية) ·

(هـ) عيد عاشوراء : فى العاشر من محرم وهى ذكرى مصرع الحسين فى كربلاء وهو عيد عند سائر الشيعة غير أنهم يعتقدون أن الحسين لم يمت بل اختفى كعيسى ابن مريم ·

(و) عيد الغدير الثانى : فى التاسع من ربيع الأول وهى ذكرى ضم الرسول للحسن والحسين فى ردائه ·

(ز) عيد النيروز : أو العيد الجديد يحتفلون به في أول الربيع وهو عيد فارسي الأصل مدته ستة أيام .

(ح) عيد المهرجان : في ١٦ تشرين الأول أكتوبر ويصادف أول الخريف . وهو عيد فارسي كذلك .

(ط) عيد رأس السنة الميلادية : وهو عيـــد النصارى ويســمونه عيد (القوزلة) يجتمعون فيه وهم سكارى ويطفئون الأنوار . كما يحتفلون بعيد البربارة وعيد ميلاد النصرانيين .

(ى) عيد الصليب : يحتفـل فيه النصـــيريون ويجعلونه بداية معاملاتهم كدفع الأجور وبدء الزراعة وقطف الثمار .

(ك) عيد ليلة النصف من شعبان : ويعتقدون أن التجلي الأعظم سيكون فيها .

١٥ ـ **طوائفهم** : (أ) الحيدررية : نسبة الى حيدر وهو لقب سيدنا على رضى الله عنه .

(ب) الشمالية : أو الشمسية ، وهم الذين يقولون أن عليـــا في السماء يسكن الشمس وأن الشمس هي محمد .

(ج) الكلازية أو القمرية : يعتقدون أن عليـــا يقيم في القمر ويعتقدون أن الانسان اذا شرب الخمر الصافية يقترب من القمر وينتسبون الى الشيخ محمد بن كلازى .

(د) الغيبية : يقولون أن الله تجلى ثم غاب والزمان الحـــالى هو زمان العودة . وهم يجردون الله من صفاته مثل الاسماعيلية .

(ج) الدروز : يتكون الشعب الدرزى ، أو أبنـــاء الدرزية من حوالى ٢٥٠ ألف نسمة يمكن توزيعها كالآتي :

١٢١ ألفا في سورية ، وحوالى ٩٠ ألفا في لبنان ، والباقون بفلسطين وهم حاليا ضمن المنطقـــة المحتلة منهـــا . وهم ممثلون في الكنيست (البرلمان الصهيوني) .

وجبل الدروز بحوران عبارة عن هضبة بركانية وهو بيضاوى الشكل يبلغ طوله ١٢٥ كم وعرضه ٦٠ كم · وهو وعر المسالك كثير المتاهات مما يجعله صالحا للاعتصام والتخفى وهو يشرف على بادية الشام ومن الغرب على وعرتى الصفا والنجاة ·

ومن عقائدهم :

١ ــ هم يؤمنون بألوهية الحاكم بأمر الله الفاطمى الذى حكم مصر من سنة ٣٨٦ هـ الى ٤١١ هـ وكانت الدولة الفاطمية شيعية وقد حرصت على نشر المذهب الشيعى الاسماعيلى فى الأقطار الاسلامية كلها وصادفت نجاحا ملحوظا فى اليمن وبعض بلاد الشام ، وكان يقوم بهذا العمل جماعة من الدعاة الذين يتم اعدادهم وصقلهم بالجامع الأزهر ·

٢ ــ ولا يكون الانسان درزيا الا اذا كتب أو تلا ميثاقهم وبدايته تقول :

توكلت على مولانا الحاكم الأحد · الفرد الصمد · المنزه عن الأزواج والعدد · أقر فلان بن فلان اقرارا أوجبه على نفسه · وأشهد به على روحه · فى صحة من عقله وبدنه · وجواز أمره طائعا غير مكره ولا مجبر أنه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات كلها على أصناف اختلافاتها · وأنه لا يعرف شيئا غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره · والطاعة : هى العبادة وأنه لا يشرك فى عبادته أحدا مضى أو حضر · أو ينتظر · وأنه قد سلم روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملك لمولانا الحاكم جل ذكره ·

٣ ــ التناسخ : يعتقد الدروز بأن النفس لا تموت بل يموت قميصها وهو الجسم البشرى فتنتقل الروح منه الى جسم بشرى آخر يولد حديثا فتحل فيه ، والخلاف بينهم وبين النصيرية أن الأخيرة تعتقد أن الروح الشريرة قد تحل فى جسم حيوان أو جماد بينما يرى الدروز أن النفس الانسانية لا تحل الا فى انسان لأن مقتضى العدل الالهى بنظرهم أن الثواب والعقاب لا يكون بمحاسبة الأرواح عن مدى الحياة الواحدة بل يكون بعد مرورها فى الدهر الطويل وبعد أن تتناسخ عدة مرات بحيث يمنحها الدهر فرصة الاكتساب والتطور ·

٤ ــ أن يوم الحساب عندهم هو نهاية مراحل الأرواح وتطويرها فى الأجساد اذ يبلغ التوحيد فى هذا الوقت غاية الانتصار على العقائد الشركية وينتهى الانتقال والمرور فى الأقمصة المختلفة ·

(عن مذهب الدروز للنجار ص ١٢٤) .

وان يوم الحساب في تصورهم سيكون يوم ظهور المعبود (الحاكم بامر الله) .

٥ ـ الأحوال الشخصية : (أ) في الطـلاق اذا كانت الزوجة خارجة عن طاعة الزوج وطلبت طلاقها منه فللزوج نصف ما تملكه الزوجة واذا طلب الزوج الطلاق دون مبرر فللزوجـــة نصف ما يملكه الزوج ، أما اذا شهد شهود بظلم الرجل لامرأته أخذت كل مالها وليس له شيء . كما أنه لا رجعة عندهم في الطلاق فتبين المرأة عندهم من الطلقة الأولى ولا يحل له أن يعيدها الى عصمته .

(ب) لا يجوز عندهم تعدد الزوجات .

(جـ) لايعترفون بحرمة الأخت والأخ من الرضاعة .

(د) البنت عندهم لا ترث .

(هـ) لا يجوز زواج الدرزية من غير درزى ولا زواج الدرزى من غير درزية .

(و) الوصية عندهم واجبة وتجوز بجميع المال ، كما تجوز لوارث وغير وارث اذا كان من ماله الذى جناه بتعبه ، أما اذا كان من مال ورثه فلاولاده الذكور أن يطلبوا القسمة منه .

٦ ـ المحرمات :

١ ـ افشاء الدين لغير أهله وربما تعرض فاعله للقتل .

٢ ـ القتل لا سيما اذا كان لنفس درزية .

٣ ـ الزنا ويشتد جرمه اذا كان بين درزية وشخص أجنبي أو بين درزى وغير درزية .

٤ ـ شرب الخمر والدخان سرا أو جهرا .

٧ ـ سرية العبادة : ويعرف المكان الذى يجتمع فيه الدروز للعبادة بالخلوة . والخلوة عبارة عن غرفة كبيرة فى وسطها مصطبة بشكل طاولة يعلوها ستار من القماش يقسم الخلوة قسمين : قسم للرجال وقسم للنساء

لكل قسم منها باب ونافذة . يجلس شيخ عقل القرية أو البلد فى الوسط وظهره الى المصطبة والشيوخ عن يمينه وشماله وأمامه فسحة لأداء الطقوس ، يبدأ الوعظ العام مساء الخميس للجميع ثم يخرج الجهال ثم يقدم وعظ خاص للاجاويد ، ثم يخرجون ويبقى العقال يدرسون مالا يحق لغيرهم الاطلاع عليه .

ويصنف الدروز ضمن الفرق الباطنية لايمانهم بالتقية والقول بالباطن وبسرية العقائد ، والحقيقة أن السرية جاءت الى الدروز عن طريق الاسماعيلية لقولهم بالظاهر أمام الجمهور وعامتهم وبالباطن امام من ارتفع تفكيره فوق عقول العامة .

والدروز يأخذون السرية على أنها نهج أساسى وأصل من أصول عقيدتهم وليست تقية فهى كما يزعمون وقاية للحقيقة والمستضيئين بها ولمن لا يستطيعون ادراكها (أضواء للدكتور سامى مكارم) .

(د) **اليزيدية** ... اليزيدية طائفة ينتمى معظمها الى الجنس الكردى ، ويقطن أتباعها فى بعض نواحى الشرق الأدنى وخاصة فى المناطق التالية :

١ ـ قضاء الشيخان فى الشمال الشرقى من الموصل .

٢ ـ قضاء سنجار الواقع فى الشمال الغربى من العراق .

٣ ـ ديار بكر ، وماردين ، وجبل الطور .

٤ ـ منطقة حلب حول كلس وعينتاب .

٥ ـ البلاد الأرمنية الواقعة على الحدود بين تركيا وروسيا .

ان اليزيدية أنفسهم يجهلون سبب تسميتهم هذه . وبعض الباحثين نسبهم الى يزيد بن أنيسة . وقد ذكر الشهرستانى فى فرق الخوارج اليزيدية فقال : (أصحاب يزيد بن أنيسة ، الذى قال بتولى المحكمة الأولى قبل الأزارقة تبرأ ممن بعدهم الا الأباضية فانه يتولاهم . وزعم أن الله تعالى سيبعث رسولا من العجم ، وينزل عليه كتابا قد كتب فى السماء ، وينزل عليه جملة واحدة ، ويترك شريعة المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام ويكون على ملة الصابئة المذكورة فى القرآن) .

وكما اختلف الباحثون فى سبب تسمية هذه الطائفة باليزيدية ، كذلك اختلفوا فى أصل دينهم ، فاليزيدية أنفسهم لهم فى هذا الباب

اعتقادات قد اشتبكت على مر الأيام بكثير من الخرافات والأساطير حتى تعذر على الباحث معرفة الأصل الذى ترجع اليه هذه الديانة ٠

وفى رواية لليزيدية تصريح بانهم من نسل آدم فقط : لا نتيجه لاجتماعه من حواء قالوا : (وبعد مدة من الزمان لما رأى آدم وحواء أن التناسل يصير بمشاركة الذكر مع الانثى ، فآدم كان يقول النسل هو منى ٠ وهكذا حواء كانت تقول النسل منى ، وعلى هذا صار النزاع بينهما ٠ وبعد البحث الدقيق صار الرأى والاتفاق بينهما على أن كل واحد منهما يلقى شهوته فى جرة ، وهكذا عملا وختما الجرتين الى مدة تسعة أشهر ٠ وعند نهاية التسعة أشهر فتح آدم فطلع بها ولدان : ذكر وأنثى ، واسمهما : شيت ، وهورية ، ومنهما تناسلت الأمة اليزيدية) ٠

وهم يؤمنون بوجود آله أكبر خالق لهذا الكون ، الا أنه لا يعنى بشئونه بعد أن فوض أمر تدبيره وادارته الى مساعده ومنفذ مشيئته « ملك طاووس » الذى يرتفع فى أذهان اليزيدية الى مرتبة الألوهية حتى انهم يسبحونه ويضرعون اليه ، ويكادون ينسون من أجله الاله الأكبر أما نبى هذه الديانة فهو الشيخ عادى الذى يروى عنه اليزيدية أخبارا وروايات عديدة ، ويرفعونه أحيانا الى ما فوق درجة النبوة والقداسة حتى يتحد بملك طاووس ويشترك معه فى الألوهية ٠ ومن هذه الروايات ما ينطبق على أحد شيوخ المسلمين ومتصوفيهم الشيخ عدى بن مسافر ، والمعروف أن الشيخ عديا وله قرب بعلبك فى الشام ، ثم رحل الى الجبال الواقعة شرقى الموصل حيث بنى له زاوية ، وجمع حوله طلبته ومريديه ، فعظمت شهرته وعلا صيته الى أن توفى سنة ٥٥٥ هـ وقيل سنة ٥٥٧ هـ ودفن بزاويته ٠

ومن عقائدهم :

ان الصلاة بالقلب وبالسر لذلك لا يحددون مواعيد وفرائض للصلاة ولم يضعوا لها نظاما معينا ، ويحللون شرب الخمر ٠

ويجب على كل يزيدى كل يوم وقت طلوع الشمس أن يقف فى موضع شروقها بشرط أن لا يراه مسلم ، واذا لم يفعل ذلك فهو كافر ٠ ولكى يؤدى اليزيدى فريضة الصيام يجب أن يكون فى موطنه ولا يصح صيامه فى أى مكان آخر واذا سافر يزيدى الى خارج بلاده وأمضى فى

غيابه نحو سنة أو أزيد فان امرأته تحرم عليه ولا يمكنه الزواج من غيرها ·

واليزيدية يؤمنون بالتناسخ ، وبالحلول · ولهم كتابان مقدسان :

احدهما اسمه الجلوة فيه وعد ووعيد ، وترغيب وترهيب ·

وعلى كل يزيدى فى كل صباح أن يقوم أمام الرب وأن يسجد بعض الأوقات قدام ربه بطلوع الشمس ويدعو قائلا : آمين ، الله يبارك الدين · يا الله ، يا دائم ، يا غفور ، يا موجود ، يا فتاح ، يا مدبر الكون ، يا ساتر ، يا أمدين ، يا شمس الدين ، يا فخر الدين ···· يا ربى أنت تبارك الدين ، يا ربى على شأنك ، على مكانك ، على سلطانك ، على عظمتك أدعو وأسجد · أنت كريمى ، أنت دوامى ، أنت موجود ، أنت معبود ·

ولهم أعياد ومواسم كثيرة يقيمون فيها الاحتفالات ، وينحرون الذبائح ، ويأكلون ويشربون الخمر ، ويرقصون ويغنون · نذكر منها عيد الخضر الياس فى يوم الخميس الأول من شهر شباط « فبراير » ويصوم بعضهم ثلاثة أيام ، وبعضهم يوما واحدا · وعيد القربان وهو يقابل عيد الأضحى عند المسلمين ويسبقه بيومين · ويجب على كل يزيدى أن يذبح فى هذا اليوم ذبيحة · ويحتفلون بليلة القدر ولا ينامون فى خلالها بل يظلون ساهرين الى الصباح ·

وكان دينهم يحرم عليهم تلقى العلم ، الا أن رئيسهم اسماعيل جول قد ألغى هذا الحكم وأباح لهم دخول المدارس ·

(هـ) **الباطنيـة** : الباطن اسم من أسماء الله فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، ومعناه لغة المحتجب عن الأبصار والخلائق وأوهامهم فلا يدركه بصر ولا يحيط به وهم (عن لسان العرب ج ١٣ ص ٥٤) يقال بطن الأمراء اذا عرف باطنه ·

والباطنى هو الرجل الذى يكتم اعتقاده فلا يظهره الا لمن يثق به وقيل الباطنى : هو المخصص بمعرفة أسرار الأشياء وخواصها وقيل الباطنى : هو الذى يحكم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا ·

لقد نشأت محاولة هدم الاسلام من الداخل وذلك عن طريق ابتداع مناهج الباطنية فى تأويل الشريعة على نحو يقضى الى نسخها والاستعاضة

عنها بخليط عجيب من الحكمة يجمع بين خرافات الفرس ووثنية الاغريق وعقائد اليهود الذين حرفوا دينهم من قبل فظهرت بصيغة اســـلامية خادعة كفكرة النور المحمدى وعصمة الأئمة ومعجزاتهم والغيبة والرجعة والحلول وتجسيد الألوهية والتأويل والتشبيه وغير ذلك من الأفكار والعقــائد ، ولم يكن مجيء عبد الله بن سبأ الحبر اليهودى الذى تظاهر بالاســـلام الى سيدنا على بن أبى طالب وقوله له أنت أنت (يعنى أنت الله) مجرد صدفة ولكنها حلقة من حلقــات المؤامرة التى أرادت احياء العقائد الوثنية وذهب أتبــاعه يسألون عليــا : أنت هو ؟ فقال لهم ومن هو فقالوا : أنت الله فثار على رضى الله عنه وأمر مولاه قنبر بحرقهم فى النـــار (الملل والنحل ج ٤ ص ١٨٦) ويروى البغــدادى فى الفرق بين الفرق ص ٢٣٤ : أن عليا أراد أن يحرق معهم رأس الفتنة عبد الله بن سبأ ولكن الناس صاحوا بعلى : يا أمير المؤمنين اتقتل رجلا يدعو الى حكم أهل البيت والبراءة من أعدائك · ولا أظن هؤلاء الذين نهوه عن قتله الا من أنصاره المستورين والله أعلم ·

لقد ظهر بعد عبد الله بن سبأ أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية زعيما لغلاة الشيعة فقال بالظاهر والباطن وبعد أبى هاشم ظهر من شيعة الكوفة بيان بن سمعان فأعلن ألوهية على بن أبى طالب التى نقلت اليه بتناسخ الجزء الالهى فكان جديرا بأن ينسخ شريعة محمد (الملل والنحل ص ١٨٥) ، ثم ظهر المغيرة بن سعيد العجلى الذى اشتهر بالعلوم والأسرار الموجودة وراء رقم ٧ ثم أبو منصور العجلى الذى رفع أئمة الشيعة جميعا الى مصاف الاله وزعم أنه عرج بهم الى السماء ، ثم أتى بعده أبو الخطاب الأسدى الذى كان أستاذا لمربى زعماء النصيرية والقرامطة الذى ادعى الامامة ثم النبوة وأسقط التكاليف الشرعية وأوجد لها تأويلا ـ هذه العناوين والشعارات ظهرت لتطمس معالم الاسلام وتعيد لأعدائه مجدهم الذى تلاشى أمام عظمة الاسلام ورفعة مبادئه وسمو تعاليمه وانســجامه مع العلم والعقل وبعده عن الخرافة والتدجيل ·

والغلو لغة : التجاوز عن الحد والخروج عن المقصد فى كل شيء الغلو فى الدين تجاوز الحد والافراط فيه وجـــاء فى القرآن الكريم : **(قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل)** المائدة ٧٧ ، وجاء فى الحديث الشريف « اياكم والغلو في الدين فانما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين » ·

عرفه الشيخ المفيد من علماء الشيعة فى كتاب تصحيح القائد بقوله : (الغلاة المتظاهرون بالاسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من

ذريته - عليهم السلام - الى الألوهية والنبوة ووصفهم من الفضل فى الدين والدنيا الى ما تجاوزوا فيه الحد ، وخرجوا عن القصد) وعرفهم الشهرستانى فى الملل والنحل بقوله : (الغالية هم الذين غلو فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الألوهية ، فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالاله وربما شبهوا الاله بالخلق وهم على طرفى الغلو والتقصير) وعرفهم ابن خلدون فى مقدمته بقوله : (الغلاة هم الذين تجاوزوا حد العقل والايمان فى القول بألوهية الأئمة : أما على أنهم بشر اتصفوا بصفات الألوهية أو أن الاله حل فى ذاتهم البشرية) ٠

وتتلخص أفكار الباطنية والغلاة فى التأويل والحلول والتناسخ ٠

والتأويل : يعرفه الدكتور الذهبى فى التفسير والمفسرون بقوله : التأويل هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح لدليل يقترن به ، فاذا لم يكن اللفظ محتملا للمعنى الذى حمل عليه ولم يبين المتأول الدليل الذى حمله على ذلك كان تأويلا فاسدا بل تلاعبا بالنصوص ٠ والتأويل الفاسد هو الذى اعتمده الغلاة مدعين أن للقرآن ظاهرا وباطنا وأن المراد منه باطنه دون ظاهره ، وهكذا أخذ الغلاة يحرفون اللفظ القرآنى عن معناه الذى سيق له الى معان تتفق مع عقيدتهم وتنسجم مع أهوائهم ونزعاتهم فقد فسر بيان بن سمعان الذى تنتسب اليه فرقة البيانية قول الله تعالى : **(هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين)** آل عمران ١٣٨ بقوله : (أنا البيان وأنا الهدى والموعظة) وقال ان الله رجل من نور يفنى كله الا وجهه مؤولا قوله تعالى : **(كل شىء هالك الا وجهه)** وتأول عبد الله بن سبأ زعيم السبئية قوله تعالى : **(ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد)** يعنى أن محمدا سيرجع الى الحياة الدنيا ٠

وكان التأويل من أهم أسلحة الغلاة فى التحلل من القيم الأخلاقية والشعائر الدينية وفى اشاعة الاباحية والالحاد ٠ فالمعمرية وهم جناح من الخطابية استحلوا الخمر والزنى وسائر المحرمات وقالوا بترك الصلاة مؤولين قوله تعالى : **(يريد الله أن يخفف عنكم)** النساء ٢٨ ، وقالوا خففت عنا يا أبا الخطاب وضع عنا الاغلال والاصار ، وقالوا من عرف الامام فليضع ما أحب يعنى لا حرج عليه ، والنصيرية أشهر الفرق غلوا فى تأويل الباطن فقد كان ابن نصير يقول باباحة المحارم ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضا فى أدبارهم ، ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل فى المفعول به وأنه من الفاعل والمفعول به احدى الشهوات الطيبات وان الله لم يحرم شيئا من ذلك كما ورد فى المقالات والفرق للقمي الشيعي ،

لقد نهج الباطنيون الغلاة نهج اليهود فى التأويل الذين وضعوا كتاب القبالة وكتبوا فيه التأويل الخفى للتوراة ، وأهم مسائله سرية التعاليم وامكان فك رموز التوراة ، وكذلك رمزية الاعداد والحروف .

ولقد فسر رسول الله (ﷺ) الذين عنتهم الآية الكريمة (**فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه**) - يعنى آيات القرآن - (**ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله**) .. الخ فيما رواه الامام أحمد عن عائشة عنى الله عنها أنه قال : « فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه ، فهم الذين عنى الله فاحذروهم » وفى رواية البخارى : « فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله يعنى فى قلوبهم زيغ فاحذروهم » ابن كثير لأن الاسلام دين سهل واضح لا غموض فيه ولا تعقيد ولا رموز ولا الغاز ، فقد تركنا رسول الله (ﷺ) على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ظاهرها كباطنها لا يحيد عنها الا هالك ، ونصوص القرآن تفهم طبقا لقواعد اللغة العربية من غير تعسف ولا تكلف ووفق ما فهمها صحابة رسول (ﷺ) من غير تأويل أو تقعر .

والحلول : وهو من أخطر أفكار الغلاة ويريد به حلول الاله ذاته أو روحه جزءا أو كلا فى البشر . وقد اعتقد الغلاة بألوهية الأنبياء والأئمة وبعض رؤسائهم بدعوى حلول الاله وتجسده فيهم من هؤلاء السبئية الذين زعموا أن عليا اله على الحقيقة .

والبيانية : الذين زعموا أن جزءا الهيا حل فى على واتحد بجسده وبه كان يعلم الغيب ثم ادعى لنفسه الألوهية على معنى الحلول .

والخطابية : زعموا أن الأئمة آلهة وكان أبو الخطاب يقول ان أولاد الحسن والحسين كانوا أبناء الله وأحباءه فلما بلغ ذلك جعفر الصادق لعنه وطرده ، فادعى الألوهية لنفسه بعد ذلك **والمعمرية** كانوا يزعمون أن أبا جعفر وأبا الخطاب الهان ، وزعم معمر أنهما الها السماء وأنه اله الأرض وكانوا يقولون : (**ان الدنيا لا تفنى وينكرون القيامة ويعتقدون بتناسخ الأرواح كما ذكر الرازى فى الزينة والشريعة ، كانوا يعتقدون أن الله حل فى خمسة أشخاص : في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وأنهم آلهة**) كما ورد فى المقالات الاسلامية ، والنصيرية زعموا أن الله حل فى على وأن عليا كان موجودا قبل خلق السماوات والأرض وقال ابن نصير بربوبية أبى الحسن العسكرى وزعم أنه نبى ورسول بعثه ابن الحسن وزعم أتباعه من بعده أن الله قد حل فيه - الملل والنحل -

ويرى بعض الباحثين (أن الفكرة أخذت عن الفرس الذين اعتادوا أن يروا فى ملوكهم أحفادا للآلهة متحدين من أصلابهم فنقلوا هذا التوقير الوثنى الى علي وذريته) ـ الملل والنحل ـ ويرى آخرون أن الفكرة مسيحية وهي من تأثير الغنوصية الحلولية ، هذا وقد أنكر علماء الاسلام فكرة الحلول وقالوا بكفر المؤمنين بها وزندقتهم لأنها تؤدى الى نفى عقيدة التوحيد التى هي ركن أساسى فى الاسلام ٠

والتناسخ : ويراد به انتقال الروح من بدن الى بدن وهذا هو معنى القيامة عندهم ، ومقتضى ذلك انكار القيامة والجنة والنار والقول بالجزاء فى الدنيا ، فاذا كان الانسان شريرا انتقلت روحه بعد وفاته الى بدن شرير ، وان كان صالحا انتقلت روحه الى بدن أسعد فتسعد بسعادته ٠

يقول الشهرستانى (الملل والنحل) : القول بالتناسخ سمة مشتركة بين فرق الغلاة جميعا ، ويقول : والغلاة على أصنافها كلهم متفقون على التناسخ والحلول وقد كان التناسخ مقالة فرقة من كل ملة من المجوس المزدكية والهندية البرهمية ومن الفلاسفة وقد أجمع المسلمون على كفر من قال بالتناسخ لانكارها عقيدة الايمان باليوم الآخر وبالجنة والنار والحساب والعقاب ٠ يقول ابن حزم : ويبلغ الأمر بمن ذهب منهم الى هذا أنه يأخذ أحدهم البغل والحمار فيعذبه ويضربه ويعطشه ويجيعه على أن روح أبى بكر وعمر رضى الله عنهما حلت فيها ٠

(و) **السبئية** : وتنتسب هذه الفرقة الى عبد الله بن سبأ ٠ يعرفه البغدادى فى كتابه الفرق بين الفرق ص ٢٢٥ بقوله : كان ابن السوداء فى الأصل يهوديا فى أهل الحيرة فأظهر اسلامه وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة ، فذكر لهم أنه وجد فى التوراة أن لكل نبى وصيا وأن عليا وصى محمد ٠ وأنه خير الأوصياء كما أن محمدا خير الأنبياء فلما سمع ذلك منه شيعة (على) قالوا لعلى انه من محبيك فرفع (على) قدره وأجلسه تحت درج منبره ٠ ثم بلغه عنه غلوه فيه ، فهم بقتله فنهاه ابن عباس وقال ان قتلته اختلفت عليك أصحابك وأنت عازم على العود الى قتال أهل الشام وتحتاج الى مداراة أصحابك ٠ فلما خشى الفتنة التى خافها ابن عباس نفاه الى المدائن فافتتن به الرعاع بعد قتل علي ٠

يروى فى ـ الملل والنحل ـ رأى ابن حزم جـ٢ ص ١١ فيقول: عبد الله ابن سبأ الحميري الذي قال لعلي أنت أنت (يعني أنت الله) فنفاه الى

المدائن . كان يهوديا فأسلم كان فى اليهودية يقول يوشع ذى النون وصى موسى وهو أول من أظهر القول بأمامة على ومنه تشعبت أصناف الغلاة وزعم أن عليا لم يقتل وأن فيه جزءا الهيا وهو الذى يجىء فى السحاب ، والرعد صوته والبرق سوطه وأنه سينزل بعد ذلك الى الأرض فيملؤها عدلا كما ملئت جورا وهو أول من قال بالتوقف والغيبة والرجعة وقال بتناسخ الجزء الالهى فى الأئمة بعد على .

ويعطينا امام المؤرخين الطبرى فى تاريخه لمحة عن ابن سبأ فيقول فى حـ ٣ ص ٣٥٨ ما يلى :

كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم زمن عثمان ثم تنقل فى بلاد المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد فأخرجه أهل الشام حتى أقر فى مصر ، فاعتمر فيها فقال مما قال فيها : لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ، ويكذب بأن محمدا يرجع وقد قال تعالى **(ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد)** محمد أحق بالرجوع من عيسى فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها . ثم قال لهم محمد خاتم الأنبياء الأوصياء . ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله (ﷺ) ووثب على وصية (على) ثم قال:ان عثمان أخذها بغير حق فانهضوا فى هذا الأمر فحركوه . وابدأوا بالطعن على أمرائكم واظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم الى هذا الأمر . فبعث دعاته وكاتب من كان استفسد من الأمصار وكاتبوه ودعوا فى السر الى ما عليه رأيهم وجعلوا يكتبون الى الأمصار بكتب يضعونها فى عيوب ولاتهم ويكاتبهم اخوانهم بمثل ذلك فأوسعوا الأرض اذاعة وافسادا .

ومن عقائدهم :

١ ـ الغيبة والرجعة : وهى ادعاؤهم أن عليا رضى الله عنه لم يمت وأنه سيرجع ويملأ الأرض عدلا لقد اختار ابن سبأ الزمن المناسب والبيئة المناسبة لتقبل هذه الفكرة واختار الامام المناسب معتمدا على حسن ظن عامة الناس به .

وفكرة الغيبة والرجعة هى التى مهدت الطريق للقول بالامامة أخطر بدعة كان لها أكبر الأثر بانقلاب الموازين ، أما هدفه من وراء هذه البدعة فهو تجميد نشاط المسلمين وانحسار دعوتهم حين دعاهم الى الانتظار ريثما يرجع الامام . سد ثغرة ظهرت فى الامامة حين يموت امام دون أن يخلف

ولدا يرثه ، فبرر موته بغيبة ورجعة واعتبرها من جهة ثانية معجزة من معجزات الأئمة ٠

٢ ـ **الامامة** : قصر ابن سبأ الامامة على (على) رضى الله عنه دون غيره ولم يقل باتصالها فى ذريته من بعده ، وغرضه من ذلك أن يمهد بانتقالها للسبئيين من بعده لقد جعل ابن سبأ فى بدعة الامامة أكبر عامل شق صفوف المسلمين وشتت شملهم وجعلهم شيعا وأحزابا يكفر بعضهم بعضا ٠

٣ ـ **تقديس الامام** : قال السبئيون بقدسية الامام الذى يأخذ عن الله تعالى مباشرة وتتمثل قدسيته فيما يلى :

العصمة : فما دام الامام مفوضا ومعينا من الله لاقامة دينه وليكون مرجع الخلق في أمور دينهم ودنياهم فلابد لتحقيق هذه الوظيفة من أن يكون معصوما عن الخطأ حتى لا يضل بخطئه الناس ٠

المعجزة : لقد نسبوا للامام المعجزات والخوارق وأضفوا عليه صفة الألوهية ومما نســبوه لأئمتهم من معجزات قولهم أن محمد بن الحسن ابن على بن محمد الذى يشك بولادته أصلا قد تكلم فى المهد وهو يقرأ القرآن بلسان عربى مبين ٠

معرفة الغيب : وبرروا ذلك بأن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بلغ بعض الأحكام وترك بعض الأحكام للامام والأوصياء من بعده لينشروها فى الوقت المناسب وأولوا لذلك الآية الكريمة التى يأمر الله بها نبيه **(بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته)** ويؤولون الآية الكريمة **(أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)** فهم الورثة المتقون وهم الشفعاء عند الله فالايمان فى معرفتهم والكفر فى جهلهم فلا تضر مع معرفتهم معصية ولا تنفع مع جهلهم طاعة ٠

٤ ـ **التقية** : أوجدها السبئيون دفعا للحجج الدامغة فى بطلان الامامة حين قيل لهم لو أن الامام على رضى الله عنه عين وصيا واماما بعد رســـول الله (ﷺ) لما جاز له أن يبايع أبا بـكر وعمر ٠ فاختلقوا التقية لرد هذه الحجة فقالوا بايعهم تقية لئلا يفرق صف المسلمين ومن الأهداف الماكرة وراء هذه الفكرة أن يعتاد المسلمون النفاق المشروع فيقولون بخلاف ما يؤمنون به ٠

٥ ـ **الحلول والتناسخ** : كانت نتيجة فكرة الغيبة والرجعة وكانت مبررا لانتقال الامامة من الأئمة الى دعاتهم الذين حل بهم السر الالهى فادعو النبوة والألوهية وبذلك حلت فكرة التناسخ محل فكرة الثواب والعقاب وأنكروا الجنة والنار ، لأن النار عندهم حلول روح الميت فى جسم كلب أو خنزير تتعذب فيها وهكذا ٠

٦ ـ **التأويل** : قالوا للقرآن ظاهر وباطن ، أما المعنى الظاهرى فيعرفه العلماء وأما المعنى الباطنى فيعرفه الامام ومن ينوب عنه (الأوصياء) ٠

وبهذا فتحوا ثغرة فى الاسلام لا يمكن سدها حين طمسوا معالم الاسلام بتأويل آياته وأحكامه وتشريعه حتى لم يبق من الاسلام الا اسمه ٠

(ز) الكيسانية : مؤسسها كيسان مولى الامام على بن أبى طالب ولما علم محمد بن الحنفية غلوهم فى الأئمة قال : والله ما ورثنا عن رسول الله الا ما بين هذين اللوحين : يعنى القرآن وتبرأ منهم ، ولما توفى الامام محمد أعلن المختار الثقفى زعامته على شيعة الكوفة وكان خارجيا ، ثم صار من شيعته حتى قبض عليه عبد الله بن زياد أمير الكوفة ، ثم أفرج عنه بشفاعة زوج أخته ، فخرج الى الحجاز ثم رجع الى الكوفة بعد موت يزيد وأدعى أنه جاء من قبل محمد بن الحنفية أخى الحسين وولاه الأخذ بثأره ، فالتف حوله الناس وأحبوه ، وقد قتل بالفعل كل من ساهم فى قتل على وأهل بيته ٠

قال السائد الكلبى : انما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير اعتدى على الحجاز ورأيت مروان افترى على الشام فلم أكن دون واحد من رجال العرب هؤلاء فأخذت هذه البلاد (الكوفة) فكنت كأحدهم ٠ خدعه السبئيون حين قالوا له أنت حجة الزمان وحملوه على ادعاء النبوة فصدق مقولتهم ، أما أفكارهم : فيؤمنون بعصمة الامام لأنه رمز العلم الالهى ٠ ويؤمنون برجعة الامام محمد بن الحنفية ، وأنه لم يمت وهو فى جبل رضوى عنده عسل وماء ويؤمنون بتناسخ الأرواح ، (وهذا الرأى مأخوذ من الفلسفة الهندية) ٠ كما يؤمنون بالظاهر والباطن وانفراد الامام بتأويل الشريعة وأن طاعته من جوهر الدين ٠

٢ ـ أهل السنة

السنة فى اصطلاح فقهاء المسلمين هى قول الرسول (ﷺ) أو فعله أو تقريره أى عدم اعتراضه على أمر حدث أمامه لأن سكوته هو اقرار له ٠

ويرجع تاريخ أهل السنة ونشأتهم على أثر الخلافات التى كانت قائمة على أشدها بين الفرق الاسلامية المختلفة فقد لجأت جماعة من المسلمين المعتدلين الى مسجد الرسول وجعلت من نفسها حامية للدين ومناهجه وهم الذين عرفوا بعلماء أهل السنة أو أهل الحديث أو جمهور السلف الصالح أو أهل الجمود كما وصفهم لأنهم رفضوا الانسياق فى تيار التأويل وتشبثوا بالنصوص ممثلة في القرآن والحديث ـ وكان نواة هذا التيار العلمى فقهاء مدينة الرسول السبعة عبد الله بن عتبة وعروة بن الزبير بن العوام والقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق وسعيد ابن المسيب وسليمان بن يسار وخارجة بن زيد بن ثابت وسالم بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب وجلهم من أحفاد فقهاء الصحابة الذين ورثوا عنهم العلم والفقه والنقاء فى فهم الدين والتمسك بالقرآن والسنة ٠

وكان من أعظم ثمرات هذا الجيل الامام أبى حنيفة النعمان والامام أحمد بن حنبل ، أما أقوى ثمراته فكان امام أهل السنة مالك بن أنس الذى وصلت اشعاعاته الى مصر عن طريق مريديه الذين نجحوا فى استمالة المصريين الى مذهب شيخهم فى نفس الوقت الذى كان فيه بعض الصحابة قد استوطنوا مصر فى عهد عثمان بن عفان حيث ارتاح المصريون الى هذا التيار وأعرضوا عن المذاهب والدعوات الأخرى ٠

وأصحاب الحديث يشهدون لله تعالى بالوحدانية ، وللرسول (ﷺ) بالرسالة والنبوة ، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التى نطق بها وحيه وتنزيله ، أو شهد له بها رسوله (ﷺ) على ما وردت الأخبار الصحاح به ، ونقلته العدول الثقاة عنه ، ويثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه فى كتابه ، وعلى لسان رسوله (ﷺ) ، ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه ، فيقولون : انه خلق آدم بيده ، كما نص سبحانه عليه فى قوله : **(يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى)** ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين ، أو القوتين ، وقد أعاد الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف ، ومن عليهم بالتعريف والتفهيم ، حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه وتركوا القول بالتعليل والتشبيه ، واتبعوا قول الله عز وجل : **(ليس كمثله شىء وهو السميع**

البصير) يقولون فى جميع الصفات التى نزل بذكرها القرآن ، ووردت بها الاخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة ، والعزة والعظمة والارادة ، والمشيئة والقول والكلام ، والرضا والسخط والحياة ، واليقظة والفرح والضحك وغيرها من غير تشبيه لشىء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين ، بل ينتهون فيها الى ما قاله الله تعالى ، وقال رسوله (ﷺ) من غير زيادة عليه ولا اضافة اليه ، ولا تكييف له ولا تشبيه ، ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ، ولا ازالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب ، وتضعه عليه بتأويل منكر ، ويجرونه على الظاهر ، ويوكلون علمه الى الله تعالى ، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه الا الله ، كما أخبر الله عن الراسخين فى العلم أنهم يقولونه فى قوله تعالى : **(والراسخون فى العلم يقولون : آمنا به ، كل من عند ربنا ، وما يذكر الا أولو الألباب)**

ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وكتابه ، وتنزيله غير مخلوق ، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم ، والقرآن الذى هو كلام الله ووحيه هو الذى ينزل به جبريل على الرسول (ﷺ) قرآنا عربيا لقوم يعملون ، بشيرا ونذيرا ، كما قال عز من قائل : **(وانه لتنزيل رب العالمين • نزل به الروح الأمين • على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين)** وهو الذى بلغه الرسول (ﷺ) كما أمر به فى قوله تعالى : **(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك)** فكان الذى بلغهم بأمر الله تعالى كلامه عز وجل ، وفيه قال (ﷺ) : « أتمنعونى أن أبلغ كلام ربى » وهو الذى تحفظه الصدور ، وتتلوه الألسنة ، ويكتب فى المصاحف ، كيف ما تصرف بقراءة قارىء ، ولفظ لافظ ، وحفظ حافظ ، وحيث تلى وفى أى موضع قرىء وكتب فى مصاحف أهل الاسلام ، وألواح صبيانهم وغيرها كله كلام الله جل جلاله ، غير مخلوق فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم •

وذكر ابن مهدى الطبرى فى كتابه الاعتقاد الذى صنفه لأهل هذه البلاد أن مذهب أهل السنة والجماعة القول بأن القرآن كلام الله سبحانه ، ووحيه وتنزيله ، وأمره ونهيه غير مخلوق ومن قال غير ذلك : فهو كافر بالله العظيم ، وان القرآن فى صدورنا محفوظ ، وبألسنتنا مقروء ، وفى مصاحفنا مكتوب وهو كلام الذى تكلم الله عز وجل به ، ومن قال : ان القرآن بلفظى مخلوق أو لفظى به مخلوق فهو جاهل ضال كافر بالله العظيم •

وذكر محمد بن جرير الطبرى رحمه الله فى كتابه (الاعتقاد) الذى صنفه فى هذه ، قال : (أما القول فى ألفاظ العباد فى القرآن فلا أثر

فيه نعلمه عن صحابي ، ولا تابعي الا عمن في قوله الغني والشفاء ، وفي اتباعه الرشد والهدى ، ومن يقول قوله مقام الأئمة الأولى أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله ، فان أبا اسماعيل الترمذي حدثني قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله يقول : « اللفظية جهمية » قال الله تعالى (**فأجره حتى يسمع كلام الله**) (**ممن يسمع ؟**) .

قال : سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يذكرون عنه رضي الله عنه أنه كان يقول : من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي : ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع .

أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الخراجي بمرور ، حدثنا يحيى بن سالوكه عن أبيه عبد الكريم السندي قال : قال وهب بن زمعة : أخبرني الباسـاني قال : سمعت عبد الله ابن المبارك يقول : « من كفر بحرف من القرآن ، ومن قال : لا أومن بهذا الكلام فقد كفر » .

ويعتقد أهل الحديث ويشهدون أن الله سبحانه وتعـالى استوى فوق سبع سموات على عرشه كما نطق به كتابه في قوله عز وجل : « **ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ، ثم استوى على العرش**) ، (**ثم استوى على العرش الرحمن ، فاسأل به خبيرا**) وقوله في سورة الرعد : (**الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش**) ، (**ثم استوى على العرش الرحمن ، فاسأل به خبيرا**) وقوله في سورة السجدة : (**ثم استوى على العرش**) ، وقوله في سورة طه : (**الرحمن على العرش استوى**) يثبتون له من ذلك ما أثبته الله تعالى : ويؤمنون به ويصدقون الرب جل جلاله في خبره ، ويطلقون ما أطلقه سبحانه وتعالى من أستوائه على العرش ، ويمرونه على ظاهره ويوكلون علمه الى الله ، ويقولون : (**آمنـا به ، كل من عند ربنـا ، وما يذكر الا أولو الألباب**) كما أخبر الله تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون ذلك ، ورضيه منهم ، فأثنى عليهم به .

وحدثنـا أبو الحسن بن اسحق المدني حدثنا أحمد بن الخضر أبو الحسن الشافعي حدثنا شاذان حدثنا ابن مخلد بن يزيد القهستاني حدثنـا جعفر بن ميمون قال سـئل مـالك بن أنس عن قـوله : (**الرحمن على العرش استوى**) كيف اسـتوى ؟ قال : (الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول والايمان به واجب والسـؤال عنه بدعة وما أراك الا ضالا وأمر به أن يخرج من مجلسه) .

وسئل أبو على الحسين بن الفضل البجلى عن الاستواء ، وقيل له كيف استوى على عرشه ، فقال : أنا لا أعرف من أنباء الغيب الا مقدار ما كشف لنا ، وقد أعلمنا جل ذكره أنه استوى على عرشه ، ولم يخبرنا كيف استوى ٠

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر محمد بن داود الزاهد ، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن السامى ، حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبويه المروزى ، سمعت على بن الحسين بن شقيق يقول : سمعت عبد الله ابن المبارك يقول : (نعرف ربنا فوق سبع سموات على العرش استوى بائنا منه خلقه ، ولا نقول كما قالت الجهمية انه ها هنا) وأشار الى الأرض ٠

وسمعت الحاكم أبا عبد الله فى كتابه (التاريخ) الذى جمعه لأهل نيسابور ، وفى كتابه (معرفة الحديث) اللذين جمعهما ولم يسبق الى مثلهما يقول : سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانىء يقول : سمعت أبا بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة يقول : من لم يقل بأن الله عز وجل على عرشه ، فوق سبع سمواته ، فهو كافر بربه ، حلال الدم ، يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه ٠

ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا ، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ، ولا تمثيل ولا تكييف بل يثبتون ما أثبته رسول الله (ﷺ) ، وينتهون فيه اليه ، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ، ويوكلون علمه الى الله ٠

وكذلك يثبتون ما أنزل الله عز اسمه فى كتابه ، من ذكر المجىء والاتيان المذكورين فى قوله عز وجل **(هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة)** وقوله عز اسمه : **(وجاء ربك والملك صفا صفا)** وجاء فى رسالة الشيخ أبى بكر الاسماعيلى الى أهل جيلان أن الله سبحانه ينزل الى السماء الدنيا على ما صلح به الخبر عن الرسول (ﷺ) ، وقد قال الله عز وجل : **(هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام)** وقال : **(وجاء ربك والملك صفا صفا)** ٠

أخبرنا أبو بكر بن زكريا الشيبانى : سمعت أبا حامد بن الشرقى يقول : سمعت أحمد السلمى وأبا داود الخفاجى يقولان : سمعنا اسحاق ابن ابراهيم الحنظلى يقول : قال لى الأمير عبد الله طاهر : يا أبا يعقوب هذا الحديث الذى ترويه عن رسول الله (ﷺ) « ينزل ربنا كل ليلة

الى سماء الدنيا » • كيف ينزل ؟ قال ، قلت : أعز الله الأمير ، لا يقال لأمر الرب كيف ؟ انما ينزل بلا كيف •

حدثنا أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم العدل ، حدثنا محبوب ابن عبد الرحمن القاضي ، حدثني أبو بكر بن أحمد بن محبوب ، حدثنا أحمد بن حمويه حدثنا أبو عبد الرحمن العباسي ، حدثنا محمد بن سلام ، سألت عبد الله بن المبارك عن نزول ليلة النصف من شعبان ، فقال عبد الله : يا ضعيف ليلة النصف ينزل في كل ليلة ، فقال الرجل يا أبا عبد الله ، كيف ينزل ؟ أليس يخلو ذلك المكان منه ؟ فقال عبد الله : ينزل كيف يشاء • وفي رواية أخرى لهذه الحكاية أن عبد الله بن المبارك قال للرجل : (اذا جاءك الحديث عن رسول الله (ﷺ) فأصغ له) •

سمعت الحاكم أبا عبد الله يقول : سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول : سمعت ابراهيم بن أبي طالب يقول : سمعت أحمد ابن سعيد بن ابراهيم بن عبد الله الرباطي يقول : حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم وحضر اسحاق بن ابراهيم يعني ابن راهويه ، فسئل عن حديث النزول : أصحيح هو ؟ قال : نعم فقال له بعض قواد عبد الله يا أبا يعقوب أتنزعم أن الله ينزل كل ليلة ؟ فقال : نعم قال : كيف ينزل ؟ فقال له اسحاق : (أثبته فوق) حتى أصف لك النزول ، فقال الرجل : (أثبته فوق) فقال اسحاق : قال الله عز وجل : **(وجاء ربك والملك صفا صفا)** فقال الأمير عبد الله : يا أبا يعقوب من يمنعه اليوم ؟ •

وخبر نزول الرب كل ليلة الى سماء الدنيا خبر متفق على صحته مخرج في الصحيحين ، من طريق مالك بن أنس عن الزهري عن الأغر وأبي سلمة عن أبي هريرة •

حدثنا يحيى بن محمد حدثنا يحيى بن يحيى ، قال : قرأت على مالك عن ابن شهاب الزهري عن أبي عبد الله الأغر وأبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله (ﷺ) قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ، فيقول : من يدعوني أستجيب له ، ومن يسألني فأعطيه ، ومن يستغفرني فأغفر له » •

وفي رواية الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله (ﷺ) : « اذا مضى نصف

الليل أو ثلثاه ينزل الله الى السماء الدنيـا فيقول هل من سائل فيعطى ؟ هل من داع فيستجاب له ؟ هل من مستغفر فيغفر له ؟ حتى ينفجر الصبح » وفى رواية سـعيد بن مرجانة عن أبى هريرة زيادة فى آخـره وهى « ثم يبسط يديه فيقول : من يقرض غير معدوم ولا ظلوم » وفى رواية أبى حازم عن أبى هريرة عن رسـول الله (ﷺ) « ان الله ينزل الى سماء الدنيا فى ثلث الليل الأخير فينادى هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ فلا يبقى شىء فيه الروح الا علم به ، الا الثقلان الجن والانس » قال : وذلك حين تصيح الديكة وتنهق الحمير وتنبح الكلاب ٠

أخبرنا أبو محمد المجلدى أخبرنا أبو العباس السراج ، حدثنا محمد ابن يحيى حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى مسلم الأغر قال : أشهد على أبى سعيد وأبى هريرة أنهما شهدا على رسول الله رسـول الله (ﷺ) وأنا أشهد عليهما أنهما سمعا النبى (ﷺ) يقول : « ان الله يمهل حتى اذا ذهب ثلث الليل الأول هبط الى السماء الدنيا ، فيقول : هل من مذنب ؟ هل من مستغفر ؟ هل من سائل ؟ هل من داع ؟ حتى تطلع الشمس » ٠

حدثنا الأستاذ أبو منصور بن حماد ، حدثنا أبو اسماعيل بن أبى الظما ببغداد حدثنا أبو منصور الرمادى ، حدثنا عبد الرازق أخبرنا معمر عن سهل عن أبى صالح عن أبيه أبى هريرة قال : قال رسـول الله (ﷺ) : « ينزل الله تعالى فى كل ليلة الى السـماء الدنيا ، فيقول أنا الملك أنا الملك ثلاثا ٠ من يسألنى فأعطيه ؟ من يدعونى فأستجيب له ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر » ٠

سمعت الأستاذ أبو منصور على أثر هذا الحديث الذى أملاه علينا يقول سئل أبو حنيفة عنه فقال : (ينزل بلا كيف) وقال بعضهم : ينزل نزولا يليق بالربوبية بلا كيف ، من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق ، بل بالتجلى والتملى ، لأنه جل جلاله منزه أن تكون صفاته مثل صفات الخلق ، كما كان منزها أن تكون ذاته مثل ذوات الخلق ، فمجيئه واتيانه ونزوله على حساب ما يليق بصفاته ، من غير تشبيه وكيف ٠

أنبأنا مخرمة بن بكير عن أبيه رحمه الله وأخبرنا الحاكم حدثنا محمد بن يعقوب الأصم واللفظ له ، حدثنا ابراهيم بن حنيفة ، حدثنا ابن وهب عن مخرمة بن بكير عن أبيه قال : سمعت محمد بن المنكدر يزعم أنه سمع أم سلمة زوجة النبى (ﷺ) تقول : نعم اليوم يوم ينزل الله تعالى فيه الى السماء الدنيا قالوا وأى يوم ؟ قالت يوم عرفة » ٠

وروت عائشة رضى الله عنها عن النبى (ﷺ) قالت : « ينزل الله تعالى فى النصف من شعبان الى السماء الدنيا ليلا الى آخر النهار من الغد ، فيعتق من النار بعدد شعر معز بنى كلب ، ويكتب الحاج وينزل أرزاق السنة ، ولا يترك أحدا الا غفر له الا مشركا أو قاطع رحم أو عاقا أو مشاحنا » ٠

وروت عن النبى (ﷺ) أنه قال : « اذا مضى شـــطر الليل أو قال : ثلثاه ينزل الله الى السماء الدنيا ثم يقول : لا أسأل عن عبادى غيرى ، من ذا الذى يسألنى فأعطيه ؟ من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له ؟ حتى ينفجر الصبح » هذا لفظ حديث الوليد ٠

قال شيخ الاسلام : قلت : فلما صح خبر النزول عن الرســـول (ﷺ) أقر به أهل السنة ، وقبلوا الخبر واثبتوا النزول على ما قاله رسول الله (ﷺ) ، ولم يعتقدوا تشـــبيها له بنزول خلقه ، وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه لا تشبه صفات الخلق ، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علوا كبيرا ٠

ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيـــامة ، وبكل ما أخبر الله سبحانه من أهوال ذلك اليوم الحق ، واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما يرونه ويلقونه هناك ، فى ذلك اليوم الهائل من أخذ الكتب بالايمان والشمائل ، والاجابة عن المسائل ، الى سائر الزلازل والبلابل الموعودة فى ذلك اليوم العظيم ، والمقـام الهائل من الصراط والميزان ، ونشر الصحف التى فيها مثاقيل الذر من الخير والشر ، وغيرها ، ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول (ﷺ) لمذنبى أهل التوحيد ، ومرتكبى الكبائر ، كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله (ﷺ) ، وأخبرنا أبو على زاهر بن أحمد أخبرنا محمد بن المسيب الأغيانى ، حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا عبد السلام بن حرب الملائى ، عن زياد بن خيثمة عن نعمان بن قراد عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله (ﷺ) « خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر من أمتى الجنة ، فاخترت الشفاعة ، لأنهـــا أعم وأكفى » ٠ أترونها للمؤمنين المتقين ؟ لا ولكنهـــا للمذنبين المتلوثين الخطائين » ٠ عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال : « لقد ظننت أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أولى منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث ، ان أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال : لا اله الا الله خالصا من قبل نفسه » ٠

ويؤمنون بالحوض والكوثر ، وادخال فريق من الموحدين الجنة بغير حساب ، ومحاسبة فريق منهم حسابا يسيرا ، وادخالهم الجنة بغير سوء يمسهم وعذاب يلحقهم ، وادخال فريق من مذنبيهم النار ثم اعتاقهم أو اخراجهم منها ، والحاقهم باخوانهم الذين سبقوهم اليها ، ولا يخلدون في النار ، فأما الكفار فانهم يخلدون فيها ولا يخرجون منها أبدا ، ولا يترك الله فيها من عصاة أهل الايمان أحدا ٠

ويشهد أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم ، وينظرون اليه على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله (ﷺ) فى قوله : « أنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر » ٠

ويشهد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأنهما باقيتان لا يفنيان أبدا ، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبدا ، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خلقوا لها ، لا يخرجون أبدا وأن المنادى ينادى يومئذ « يا أهل الجنة خلود ولا موت ، ويا أهل النار خلود ولا موت » على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله (ﷺ) ٠

ومن مذهب أهل السنة أن الايمان قول وعمل ومعرفة ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ٠

أخبرنا أبو الحسن بن أبى اسحق المزكى ، حدثنا أبو عمرو الحيرى ، حدثنا محمد بن يحيى الذهلى ، ومحمد بن ادريس المكى ، وأحمد بن شداد الترمذى ، قالوا : حدثنا الحميدى ، حدثنا يحيى بن سليم : سألت عشرة من الفقهاء عن الايمان فقالوا : قول وعمل ٠ وسألت هشام ابن حسان فقال : قول وعمل ٠ وسألت ابن جرير فقال : قول وعمل ٠ وسألت محمد بن مسلم الطائفى فقال : قول وعمل ٠ وسألت سفيان الثورى فقال : قول وعمل ٠ وسألت المثنى بن الصباح فقال : قول وعمل ٠ وسألت فضيل فقال : قول وعمل ٠ وسألت نافع بن عمر الجمحى فقال : قول وعمل ٠ وسألت سفيان بن عيينة فقال : قول وعمل ٠

وسمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانىء يقول : سمعت أبا بكر محمد بن شعيب يقول : سمعت اسحق بن ابراهيم الحنظلى يقول : قدم ابن المبارك الرى فقام اليه رجل من العباد ، الظن أنه يذهب مذهب الخوارج ، فقال له : يا أبا عبد الرحمن ما تقول فيمن يزنى ويسرق ويشرب الخمر قال لا أخرجه من الايمان ، فقال : يا أبا عبد الرحمن على كبر السن

صرت مرجئا ؟ فقال : المرجئة تقول : حسناتنا مقبولة ، وسيئاتنا مغفورة ، ولو علمت انى قبلت منى حسنة لشهدت أنى فى الجنة ٠

ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وان أذنب ذنوبا كثيرة صغائر وكبائر فانه لا يكفر بها ، وان خرج من الدنيا منها ، ومات على التوحيد والاخلاص ، فان أمره الى الله عز وجل ان شاء عفا عنه ، وأدخله الجنة يوم القيامة سالما غانما ، غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه ، ثم استصحبه الى يوم القيامة من الآثام والأوزار ، وان شاء عفا عنه وعذبه مدة بعذاب النار ، واذا عذبه لم يخلده فيها ، بل أعتقه وأخرجه منها الى نعيم دار القرار ٠

وكان سهل بن محمد رحمه الله يقول : المؤمن المذنب وان عذب بالنار لا يلقى فيها القاء الكفار ، ولا يبقى فيها بقاء الكفار ، ولا يشقى فيها شقاء الكفار ٠

واختلف أهل الحديث فى ترك المسلم صلاة الفرض متعمدا ، فكفره بذلك أحمد بن حنبل وجماعة من علماء السلف ، وأخرجوه به من الاسلام ، للخبر الصحيح : (بين العبد والشرك ترك الصلاة فمن ترك الصلاة فقد كفر) وذهب الشافعى وأصحابه وجماعة من علماء السلف رحمة الله عليهم أجمعين الى أنه لا يكفر ما دام معتقدا لوجوبها ، وانما يستوجب القتل كما يستوجبه المرتد عن الاسلام ، وتأولوا الخبر من ترك الصلاة جاحدا كما أخبر سبحانه عن يوسف عليه السلام انه قال : (انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) ولم يك يتلمس بكفر فارقه ولكن تركه جاحدا له ٠

ومن قول أهل السنة والجماعة فى اكساب العباد انها مخلوقة لله تعالى ، لا يمترون فيه ولا يعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه ، ويشهدون أن الله تعالى يهدى من يشاء ، ولا حجة لمن أضله الله عليه ، ولا عذر له لديه : قال الله عز وجل : (**قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين**) وقال : (**ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ، ولكن حق القول منى**) ٠

* * *

البريلــوية :

تصنف طائفة البريلوية من حيث الأصـــل ضـمن جماعة السنة الملتزمين بالمذهب الحنفي ، لكنهم مزجوا عقائدهم بعقائد أخرى مأخوذة عن المسيحية كالاحتفال بالمولد النبوى على غرار الاحتفالات بعيد رأس السنة الميلادية وهم يعلون شخصية النبى (ﷺ) لتوازى الخرافات المنسوبة الى شخصية عيسى عليه السلام ..

وبسبب عيشهم ضمن القارة الهندية ذات الديانات المتعددة فقد انتقلت أفكار من الهندوسية والبوذية لتماذج عقيدتهم الاسلامية ..

وقد أضفوا على النبى (ﷺ) وعلى الأولياء صـــفات تاثل تلك الصفات التى يضيفها الشيعة على أئمتهم المعصومين فى نظرهم ..

وانتقلت اليهم عقائد غلاة المتصوفة ونظرياتهم في الحلول والوحدة والاتحاد حتى صارت هذه الأمور جزءا من معتقداتهم ..

هذا ويؤخذ على البريلوية : ـ

١ ـ التطرف الشديد والغلو فى تصوير شخصية الرسول (ﷺ) والأنبياء ومزج ذلك بعقائد المشركين .

٢ ـ اسقاط فريضة الحج .

٣ ـ مجانبتهم الصـــواب فى هجومهم وافتراءاتهم على شيخ الاســلام ابن تيمية وعلى الامام محمد بن عبد الوهاب وعلى كل دعاة التوحيد الخالص .

٤ ـ اطـلاق العنـــان لألسنتهم فى تكفير المسلمين لمجرد مخالفتهم فى الرأى .

٥ ـ سعيهم المستمر لتفريق كلمة المسلمين وتوهين قوتهم .

أما من حيث الانتشـــار ومواقع النفوذ لهذه الطائفة فقد انطلقت دعوتها من بريلى بولاية أوترابرديش بالهند لتنتشر فى القارة الهندية كلها (الهند ، الباكستان) ..

ولهم وجـود فى انجلترا اذ تسمى جمعيتهم هناك باسم « جمعية أهل السنة » و « جمعية تبليغ الاسلام » ويقتصر نشاطهم هناك على تخريب أعمال الآخرين واثارة القلاقل والفوضى بينهم وبسببهم حـدث اضطراب دموى بين المسلمين عام ١٩٨٠ م .

٣ ـ المعتــزلة

كانت الركائز الفكرية التى اعتمدت عليها الدولة الأموية تتمثل أساسا فى (الجبر) و (الارجاء) تبرر بالأول مظالمها اذ تنسبها لقضاء الله وقدره ، وتحاول أن تفلت بالثانى من الحكم على ايمانهـا بعد أن ارتكبت تلك المظالم ، ومن ثم فان نشأة المعتزلة ومن بين أصولها الفكرية الأولى القول بالاختيار والمنزلة بين المنزلتين ، وهو موقف معاد للدولة الأموية يضع المعتزلة منذ نشأتها حركة من حركات المعارضة التى نشأت فى المجتمع العربى على عهد الأمويين • ولم يكن التناقض الوحيد بين المعتزلة وبين السلطة والجبرية والمرجئة الذين يبررون لها أو يغضون الطرف عن مظالمها ، بل تناقضت كذلك مع حركات المعارضةالأخرى ، فاختلفت مع الخوارج فى المنزلة بين المنزلتين ، كما اختلفت مع بعض الشيعة المشبهة فى التوحيد والتنزيه • والنشأة الأولى للمعتزلة لا تزال موضع غموض ، ولقد أسهم فى هذا الغموض ضياع أغلب تراثهم الفكرى بعد محنتهم زمن المتوكل العباسى (٢٣٣ ـ ٢٤٧ هـ ـ ٨٤٧ ـ ٨٦١ م) وقضية الاسم الذى أطلقه عليهم خصـومهم وهو اسم (القدرية) حتى ينفروا الناس منهم بعد أن رووا حديث الرســول الذى يقول فيه : (القدرية مجوس هذه الأيام) ورفض المعتزلة هذا الاسم الذى عرفوا به فى كتب الخصوم زمنا طويلا ، وخاصـــة قبل أن تشيع تسميتهم بالمعتزلة وأهل العدل والتوحيد ، وأسهم فى غموض هذه النشأة كذلك قضية • ما هو الأصل الفكرى والمبدأ الذى بدأت به هذه الفرقة ؟ اذ أن أصولها الخمسة قد ظهرت بالتدريج • ولكن لعل فى تتبع الخيوط التى تتيحها لنا كل المصـــادر التى تيسرت لنا ما يكشف هذا الغوض ويضع يدنا على حقيقة نشأة هذه الفرقة فى القرن الهجرى الأول ، وتجمع كل المصادر على أن مشكلة القدر كانت أقدم مشكلة ميز الموقف منها العناصر الأولى التى بدأت السير فى الطريق الذى انتهى بتكوين فرقة المعتزلة ، فهناك ثلاثة من الاعلام الذين يذكرهم المعتزلة فى طبقاتهم المبكرة ، ويذكرهم خصوم المعتزلة كذلك فى هذه الطبقات • قيل عن كل منهم : انه أول من تكلم فى القدر • وأول هؤلاء الثلاثة : أبو الأسود الدؤلى ظالم بن عمرو (٦٦٩ هـ ـ ٦٨٨ م) وهو أحد الموالى التابعين الذين صحبوا على بن أبى طالب فى حروبه ضد أصحاب الجمل وصفين ويروى الرواة فيقولون : كان أول متكلم فى القدر (أبو الأسود الدؤلى) وثانى هؤلاء الثلاثة هو (معبـد الجهنى عبد الله بن حكيم ـ المتـوفى سنة ٨٠ هـ أو سنة ٩٠ هـ سنة ٦٩٩ م أو سنة ٧٠٨ م) وهو عربى من قبيلة جهينة من قضاعة وهو من أهل المدينة الذين عاشوا بالبصرة ويروى الرواة فيقولون : (وكان أول من قال بالقدر فى الاسلام معبد

ابن خالد الجهنى) ويحرص البعض على أن يذكر أن معبدا قد أخذ القول بالقدر عن فارس من الأساورة هو (أبو يونس سنسوية) المعروف بالأسوارى ، كما تنسب كتب المقالات اليه ميزة امتاز بها عن أبى الأسود اذ تذكر أن أناسا كثيرين من أهل البصرة قد تبعته على رأيه ، وخاصة بعد أن (رأوا عمرو بن عبيد ينتحله) أى ينتحل رأيه فى القدر ٠ ولقد شارك معبد الجهنى فى الثورة التى قادها عبد الرحمن بن الأشعث (المتوفى سنة ٨٥ هـ ــ ٧٠٤ م) ضد بنى أمية ووقع فى قبضة الحجاج ابن يوسف الثقفى وقتله الحجاج (سنة ٨٠ هـ أو سنة ٩٠ هـ) وثالث الثلاثة هو أبو مروان غيلان بن مسلم الدمشقى (المقتول بعد سنة ١٠٦ هـ) وهو من الموالى كان مولى لعثمان بن عفان ، وهو زعيم الفرقة التى اشتهرت بـ (القدرية) قبيل ظهور أصل المنزلة بين المنزلتين على يد واصــل بن عطاء ، وشيوع اسم المعتزلة على هذه الفرقة ، ويشهد لوجود هذه الفرقة كفرقة ولرفض غيلان للتسمية التى أطلقها عليهــا خصومها ما كتبه من سجنه لأحد أتباعه عندما يقول له : (انك ونحوك ، خلقت فى زمن ابتلى الله العباد فيه بجهل لا علم معه ، وضلالة لا هدى معها ، ولبس لا بيان معه الا قليل ، فاجتمع العباد على الهلكة وسموا الدين وأهل الدين بغير أسمائهم واجتمعت منهم عليه الجماعة فليس يلتفت ملتفت الى ضال مضل الا فرقة يسيرة) ٠

ولقد كان القول بالقدر يعنى عند غيلان وفرقته أكثر من تقرير الاختيار للفرد ، والخوض فى هــذه المشكلة فى اطار الفرد كان يعنى التصــدى لعقيدة الجبر التى تبرر مظالم السلطة والتى استند اليهــا الأمويون فى اغتصابهم هذه السلطة ، وفى الجدل الذى دار بين الخليفة هشام بن عبد الملك وبين غيلان ، كان هشام يرى أن ما فى يد بنى أمية من السلطة والسلطان هو عطاء الله لهم فسأل غيلان ــ معترضا ــ : (زعمت أن ما فى الدنيا ليس هو عطاء الله لنا) فقال له غيلان (أعوذ بجلال الله أن يأتمن خوانا أو يستخلف الخلفاء من خلقه فجارا ، ان أئمته القوامون بأحكامه ، الراهبون لمقامه الذين كابدوا بالعدل الدول وخافوا المقام ما لا يجدون عنه حولا ، ولا يتعللون بالعلل باتوا ومقامهم المحمود وليلهم المشهود بطول القيام والسجود لم يولوا الله وثابا على الفجور ، ولا ركابا للمحظور ، ولا شاهدا بالزور ، ولا شرابا للخمور) وعند ذلك أمر هشام بسجن غيلان ، ثم صلبه وقطع يديه ورجليه ولسانه حتى مات على الصليب ٠

هؤلاء هم الثلاثة الذين تتردد أسماؤهم فى المصادر الأولى ، وعن كل منهم يقول البعض أنه أول من تكلم فى القدر ، والبعض يفسر هذه

الأولية بأنها نسبية خصوصا وهم متعاصرون ، ونحن نضيف أن الاشكال ينحل اذا قلنا : ان أبا الأسود الدؤلي هو أول من تكلم به في الكوفة ، وغيلان أول من تكلم في دمشق ، ومعبد هو أول من تكلم به في البصرة ، فهي المواطن التي شهدت نشاطهم الواسع في هذا المقام . وليس يعني أن هؤلاء أول من تكلم في القدر أن هذه القضية قضية الجبر والاختيار لم تكن مثارة من قبل ، فمعاوية قد حاول استخدام عقيدة الجبر كي يبرر انتقال السلطة له وتغير طبيعتها على يديه ، في كلام الامام علي جدل دار بينه وبين شيخ سأله عن هذه القضية ، والحسن البصري عندما كتب اليه عبد الملك بن مروان ينكر عليه اظهار القول بالقدر ويقول له : ان السلف لم يظهروا هذا القول رد عليه بأنهم لم يظهروه لعدم وجود القائلين بالجبر ، أما وقد فشا الجبر وكثر القائلين به فلابد من اظهار القول بالاختيار والحديث في أمر القدر . لقد كانت القضية موجودة قبل هؤلاء ، ولكن الجدل قد احتدم من حولها في عصرهم (فأظهروا) القول فيها (وأذاعوه) و (دعوا الى مذهبهم في القدر) ، وهذا معنى أنهم أول من تكلموا في القدر حسب عبارة القدماء ، هذا عن أبي الأسود الدؤلي ومعبد الجهني وغيلان الدمشقي ، فماذا عن الحسن البصري (٢١ ــ ١١٠ هـ ــ ٦٤٢ ــ ٧٢٨ م) الامام الذي تنازعت نسبته اليها ، وتمسكت بأنه من أوائلها ، السنة والمعتزلة على السواء ، وهو الرجل الذي يخيل للمرء أن أغلب علماء عصره قد تخرجوا من حلقته في مسجد البصرة . أن المعتزلة يذكرون الحسن البصري في الطبقة الثالثة من طبقات رجالهم وهي الطبقة التي فيها التابعون ويثبتون له رسالته التي كتبها في القدر ردا على رسالة عبد الملك بن مروان ، ولكن هناك من يشككون في هذه النسبة فيقولون : (كان أهل القدر ينتحلون الحسن ابن أبي الحسن وكان قوله مخالفا لهم) وهناك من يقولون : انه قال بالقدر ، ثم عدل ورجع عن القول به ، ولكن الدراسة لأسس هذا الخلاف حول الحسن البصري تؤكد أن الرجل كان من الأئمة الذين قالوا بالقدر على مذهب أهل العدل ، وأن مثله معبد الجهني ، وكان معبد يجالس الحسن البصري وغيلان الدمشقي وأبا الأسود الدؤلي في القول بالقدر (الاختيار) أما الشكوك التي أحاطت بنسبته هذه فان مصدرهـا الشبهة ليس الا ، فابن سعد يروي في طبقاته عن (أيوب) قوله : (أنا نازلت الحسن في القدر غير مرة حتى خوفته السلطان) فقال : (لا أعود فيه بعد اليوم) كما يقول أيوب : (أدركت الحسن والله وما يقوله) أي ما يقول القدر ، ويروى مثل هذا الكلام عن حميد الطويل ، فلقد كان أيوب وحميد ــ وهما من الرواة أصحاب الحسن ــ يريان في القول بالقدر (العيب الوحيد) الذي يمكن أن يعاب به الحسن . يقول أيوب (لا أعلم أحدا يستطيع أن يعيب الحسن الا به) أي بالقدر ، ويتحدث

أبو هلال فيقول : (سمعت حميدا وأيوبا يتكلمان ، فسـمعت حميدا يقول لأيوب : لوددت أنه قسم علينا غرم وأن الحسن لم يتكلم بالذى تكلم به ، قال أيوب : يعنى فى القدر) كما يروى حماد عن أيوب قوله : (ما أعيانى الحسن فى شىء ما أعيانى فى القدر حتى خوفته بالسلطان) فأيوب الراوية صاحب الحسن قد خوف الحسن (بعد أن أعياه أمره فى القول بالقدر) خوفه بالسلطان حتى ترك القول به وقال : لا أعود فيه بعد اليوم ، ومن هنا فهم انبعض رجوع الحسن عن القول بالقدر ، ولكن الامر لم يكن على هذا النحو ، فأيوب وحميد مثل الحسن يقولون جميعا بالقدر ، وأيوب قد خوف الحسن من القول بالقدر اشفاقا عليه من سطوة سلطان بنى أمية ، وليس عن مخالفة له فى الرأى وتهديد له بابلاغ السلطان عنه ، فهو يخوفه من السلطان لا بالسلطان ، ويضع (البلخى) يدنا على هـذه الحقيقة عندما يقول : (أيـوب لم يخوفه بالسلطان على سبيل سعاية به اليه ، فقد كان أعظم قدرا من ذلك ، لكنه خوفه لسطوة عليه ان علم به هذا على وجهه النصح له لأن بنى أمية كانت مجمعة · الا من عصم الله على الاجبـار) وعلى ضـوء هذه النتيجة الحقيقية نسـتطيع أن نفهم معنى قول الحسن : (لا أعود فيه بعد اليوم) أى لا أعلنه الاعلان الذى يعرضنى لعقاب السلطان ، وأن نفهم كذلك معنى قول أيوب : (أدركت الحسن والله وما يقوله) فالحسن كان بلا جـدال ولا شك من أوائـل الذين قالوا بالقدر على مذهب المعتزلة وأهل العدل والتوحيد ، كل ما فى الأمر أنه قد اختلف معهم فى أصل آخر ، هو المنزلة بين المنزلتين وفى قضايا أخرى مثل قضية تجريد السيف والخروج المسلح ضد بنى أمية ، وعلى ضـوء هذه الحقيقة نفهم ذكر المعتزلة للحسن فى الطبقة الثالثة من طبقات رجالهم ، ونفهم قول الذين أرخوا لفرق المعتزلة عندما يذكرون (فرقة الحسنية) ـ نسبة ـ للحسن كاحـدى فرق المعتزلة ، وفى البصرة تكلم بالقدر ودعا اليه غـير معبد الجهنى والحسن البصرى ـ عمرو بن عبيد (٨٠ ـ ١٤٤ هـ ـ ٦٩٩ ـ ٧٦١ م) وكان من حضور حركة الحسن فى مسجد البصرة ، وهو الذى خلف معبد الجهنى فى زعامة تيار القدرية بالبصرة بعد مقتل معبد ، اذ سلك أهل البصرة مسلك الاعتقـاد بالقدر (لمـا رأوا عمر بن عبيـد لا ينتحله) ، ولكن مؤرخى المقالات يجمعون على أن تبلور فكر المعتزلة وبناء تنظيمها كفرقة متميزة قد تم على يد قيادتها التى تمثلت فى أبى حذيفة واصل بن عطاء الغزال (٨٠ ـ ١٣١ هـ ـ ٦٩٩ ـ ٧٤٨ م) ، ولقد نشأ واصل فى المدينة فى بيت محمد بن على بن أبى طالب ـ محمد ابن الحنفية ـ وكان مولى لهم ، وتعلم مع أبى هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية فى المكتب ، وكان خلا له ورفيقا ، كما أخذ عنه العلم الذى أخذه أبو هاشم عن أبيه وفى الواحد والعشرين من عمره ذهب الى البصرة

(سنة ١٠١ هـ) والتقى بعمرو بن عبيد وزامله في حلقة الحسن وفي دعوة القـدر ، وتزوج أخت عمرو ، ودامت صحبتهما حتى مات واصل بعد ثلاثين عاما في سنة ١٣١ هـ · وفي العقد الأول من القرن الثاني ، أي في حياة الحسن البصرى الذى توفى سنة ١١٠ هـ ، كان واصل قد أكمل البناء الفكرى الذى عرفت به المعتزلة على عهده ، اذ يروى كتاب المقالات : أنه قد (فرغ من الرد على مخالفيه) وهو ابن ثلاثين سنة ، كان هناك اتفاق اذن بين الحسن وعمرو وواصل في القدر ، وكذلك فى التوحيد والتنزيه ، ولكن الانقسام قد حدث عندما قال واصل فى مرتكب الكبيرة : انه لا مؤمن ولا كافر وانما هو فى منزلة بين المنزلتين ، وان يكن مخلدا فى النار فى درجة من العذاب دون درجة الكافرين ، بينما كان الخوارج يكفرونه ويرى الحسن أنه منافق ويصحح ايمـانه القائلون بالارجاء · اختلف واصل مع الحسن ومع عمرو حول هذا الأصل وبعد مناظرة بين واصل وعمرو تبع عمرو واصلا وترك مجلس الحسن البصرى ، وبقى الحسن مخالفا لهما في هذا الموضوع · وواقعة اعتزال مجلس الحسن التى سببت اطلاق اسم المعتزلة ينسبها البعض الى واصل فيقولون : انه اعتزل مجلس الحسن بعد أن قال بالمنزلة وأن الحسن قد قال : اعتزلنا واصل ، وظهر اسم المعتزلة على هذه الفرقة ، وهذا أمر شهير فى كتب المقـالات والفرق ، بينما ينسب البعض الاعتزال لمجلس الحسن الى عمرو بن عبيد ، وذلك أنه (قد جرت بين واصل بن عطاء وبين عمرو ابن عبيد مناظرة في هذا ، أى فى المنزلة بين المنزلتين ، فرجع الى مذهبه وترك حلقة الحسن واعتزل جانبـا ، فسموه معتزليـا وهذا أصل تلقيب أهل العدل بالمعتزلة) · والذى يعنينا هنا هو القول بأن قيادة هذه الفرقة التى تميزت بعد هذا الانقسام كانت لواصل بن عطاء ، فهو الذى أنجز في العقد الأول من القرن الثـانى صياغة ردود المعتزلة على الخوارج والجبرية والمرجئة والشيعة والماسونية ومختلف الفرق المعادية للاسلام ، وهو ــ كما يقول القاضى عبد الجبار ــ (أول من صنف وتبتل للرد على المخالفين بالكتب الكثيرة) وهو الذى قاد بنـاء (التنظيم) الذى ضم صفوف المعتزلة في مختلف البلاد والأقاليم ، وهو الذى تبلورت للمعتزلة فى عهده أصول أربعة هى :

١ ــ التوحيد والتنزيه ·

٢ ــ قدرة الانسان على أفعاله وخلقه لها (القدر) ·

٣ ــ المنزلة بين المنزلتين ·

٤ ــ القول بخطأ أحد الطرفين فى الصراعات التى دارت بين عثمـان وخصومه ، وعلى وخصـومه مع التوقف فى تحديد من هو الطرف المخطىء ·

وهذه الأصول هى التى تطورت بالتداخل والزيادة حتى أصبحت خمسة فى ظل قيادة أبي الهذيل العلاف (المتوفى فى سنة ٢٣٥ هـ ـ ٨٤٩ م) لفرقة المعتزلة ٠

تلك هى النشأة الأولى للمعتزلة فكرا وتنظيما ، فهؤلاء الرجال الذين ضمهم عصر واحد وتوزعتهم المدن والأقاليم وهم : أبو الأسود الدؤلى فى الكوفة ، ومعبد الجهني والحسن البصرى وعمرو بن عبيد فى البصرة ، وغيلان الدمشقى فى دمشق والمدينة ، وواصل بن عطاء فى المدينة ، والعراق ، والبصرة ٠٠ ثم بواسطة التنظيم الذى بناه واصل امتد نشاط المعتزلة الى أغلب أنحاء الدول العربية الاسلامية ، ولقد سبق أن ذكرنا أن غيلان الدمشقى الذى كون فرقة القدرية قد تعلم على يد الحسن ابن محمد بن الحنفية ، ثم ذكرنا أن واصل بن عطاء تعلم على يد أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ٠٠ فالاعتزال اذن قد خرج من بيت محمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب ثم حمله الى الناس مجموعة من الرجال بعضهم من أصل عربى وأغلبهم من الموالى ، ثم انتشر ولعب دوره المتميز فى حياة هذه الأمة منذ ذلك التاريخ ٠ واسم المعتزلة بالرغم من الأبحاث التى كتبت حول نشأته وسبب تسمية واصل وأصحابه به سواء تلك الأبحاث والآراء التى كتبها المستشرقون فى العصر الحديث أو كتاب المقالات فى تراثنا العربى الاسلامى ٠٠ اسم (المعتزلة) هذا لا يزال ميدانا مفتوحا قابلا لمزيد من البحث ، فلا زال فى نشأته وسبب اطلاقه على واصل وجماعته الكثير من الغموض واختلاف وجهات نظر القدماء والمحدثين ٠٠ وليس صحيحا ما يقوله الدكتور عبد الرحمن بدوى من أن البحث الذى وضعه المستشرق الايطالى (نلينو) عن اسم المعتزلة قد وصل الى النتائج التى لا يوجد ما يدعو الى مراجعتها أو تغييرها أو رفضها ٠ تقوم وجهة نظر الأستاذ (نلينو) على رفض الأفكار الشائعة فى كل ما كتبه القدماء ، وهى الأفكار التى تقول ان اسم المعتزلة قد أطلق على واصل وأصحابه عندما أحدثوا القول بالمنزلة بين المنزلتين ، وهو الأمر الذى أدى الى انشقاقهم عن حلقة الحسن البصرى وجماعته ، وهو يسلم بأن معنى كلمة المعتزلة : (المنشقون) ٠٠ ولكن منشقون عن من ؟؟ ولماذا ؟؟ هذا ما يحاول الأستاذ (نلينو) أن يأتى فيه بالمبتكر والجديد ، فهو لا يوافق على أن هذا الانشقاق قد حدث من واصل وجماعته على جماعة القدرية التى تكونت فى القرن الهجرى الأول لأن المعتزلة عنده لم يكونوا فرعا أو استمرارا لحركة القدرية هذه ، ويرفض أن تكون نقطة البدء عندهم هى قضية الاختيار والقول بالقدر ، والرأى البديل الذى يقدمه يذهب الى أن هؤلاء المعتزلة الجدد أصحاب واصل انما هم الامتداد لحركة الزهاد الذين انشقوا على أطراف الصراع السياسى ،

على وأصحاب الجمل وعلى ومعاوية ، واعتزلوا هذا الصراع فلقد اتخذ هؤلاء المعتزلون القدامى موقفا محايدا من أحداث ذلك الصراع وأطرافه ، واتسمت حياتهم بالزهد والنسك ، ولما كان واصل وأصحابه قد اتخذوا موقفا وسطا بين أهل السنة والخوارج من تقييم أحداث الصراع بين على وخصومه ، فلم يكفرهم جميعا كما قال الخوارج ولم يصوبهم جميعا كما انتهى الى ذلك أهل السنة ، وانما قال بفسق أحد الفريقين دون تحديده ، ولما كان واصل قد اتخذ هذا الموقف الوسط من أحداث هذا الصراع وأطرافه فهو الامتداد لموقف الزهـاد المحايدين الذين اعتزلوا هـذه الصراعات ، ويستدل على ذلك أيضـا بأن اسم المعتزلة قد أطلقه واصل وأتباعه على أنفسهم ، ولم يطلقه عليهم خصومهم من أهل السنة ، فهم الذين اعتزلوا بموقفهم هذا المحايد والوسط ، وهم الامتداد لهؤلاء الأسلاف المعتزلين • وعندما تمت البيعـة لعلى بالمدينة وانشق عليـه بعدهـا طلحة والزبير ، وأخـذ على فى التجهيز لموقعة الجمل اعتزل الخروج معه وتوقف عن المشـاركة فى هذه الحروب ، واتخذ موقفا محايدا ومعتزلا عدد من الصحابة أبرزهم : سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر وأسامة ابن زيد وزيد بن ثابت وحسان بن ثابت ورافع بن خديج ومحمد بن مسلمة وكعب بن مالك ومسلمة بن عبد الله وأبو سعيد الخدرى والنعمان بن بشير وصهيب وفضـالة بن عبيد وكعب بن عجرة وسلمة بن سلامة بن دقش • وبعض المصـادر تذكر أنهم لم يبايعوا عليـا وتوقفوا فى بيعتـه ثم اعتزلوا الفتنة ، ولكن أغلب المصـادر ترى أنهم بايعوا عليـا وان توقفهم كان عن القتال ، وحيادهم كان فى النزاع بين على وطلحة والزبير ، أما فى النزاع بينه وبين معـاوية فكانوا يدينون معاوية بالبغى وان لم يشتركوا فى القتال ، لأن الطرفين المتقاتلين من أهل الصلاة • ولقد كان موقف هؤلاء (المعتزلة القدامى) هو الحياد بمعناه السلبى فى الصراع ، وعلى بن أبى طالب قد وصف حيادهم السلبى هذا وصفا دقيقا عندما قال عنهم انهم (خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل) وفى موقعة الجمل اعتزل الأحنف بن قيس القتال هو وقومه من بنى تميم طلبا للسلام كما يقول النوبختى « لا على التدين بالاعتزال » وبعد وفاة على اعتزل قوم آخرون كلا من الحسن بن على ومعاوية بن أبى سفيان : (لزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا : نشتغل بالعلم والعبادة فسموا بذلك معتزلة) وعلى رأس هؤلاء عامر بن عبد الله الذى يقال له عامر بن قيس (المتوفى سنة ٥٥ هـ) • فهو اعتزل بمعنى الخروج من حلبة الصراع والتفرغ لشئون النفس الخاصـة دينية كانت أو دنيوية •• أى أنه موقف سلبى من صراعات السياسة والحروب التى كانت دائرة بشأنها • وفى يوم صفين اعتزل الطرفين المتصارعين نفر من أصحاب عبد الله بن مسعود ، وعلى رأسهم عبيدة السلمانى وأصحابه ، خرجوا مع جيش على ولكنهم طلبوا

أن يعسكروا فى مكان منعزل ، وقالوا لعلى : اننا نريد (أن ننظر فى أمركم وأمر أهل الشام فمن رأيناه أراد مالا يحل له أو بدا منه بغى كنا عليه) فوافقهم على وقال لهم (هذا هو الفقه فى الدين والعلم بالسنة ومن لم يرض بهذا فهو خائن جبار) وفريق آخر من أصحاب ابن مسعود طلبوا من على أن يوجههم لثغر من الثغور بدلا من القتال فى صفين . وقالوا له : (انا قد شككنا فى هذا القتال ..) فوافقهم وعقد لقائدهم الربيع بن خثيم اللواء فتوجهوا الى ثغر (الرأى) .

فاعتزال الصراع هنا موقف سلبى وحيادى بالمعنى السلبى لكلمة الحياد ، لأنهم شكوا ولم يتبينوا ولم يعرفوا أين الحق وأين الضلال فى هذا الصراع . ويفصح عبد الله بن عمر عن طبيعة اعتزاله وحياده عندما يكتب الى معاوية فيقول : (ولكنى عهد الى فى هذا الأمر عهد ، بين المنزلتين ليست توقفا ولا حيادا سلبيا فى تقييم مواقف أطراف الصراع وان كان ضلالا فشر نجوت منه) . ويفصح محمد بن مسلمة عن طبيعة اعتزاله وحياده وتوقفه فيقول فى خطابه لمعاوية : أنه لما حدث ماحدث (كسرت سيفى وجلست فى بيتى واتهمت الرأى على الدين اذ لم يصح لى معروف آمر به ، ولا منكر أنهى عنه) فهو توقف من لايعرف الحق من الباطل ولا المعروف من المنكر ، هرب صاحبه الى منزله فكسر سيفه واتهم رأيه ؟ وهو يقول ذلك عن الأحداث التى وقعت بين على وطلحة والزبير ، أما عن موقف معاوية فهو يدينه ويقول له فى نفس الرسالة : (وأما أنت ، فلعمرى ما طلبت الا الدنيا ، ولا اتبعت الا الهوى ، وان تنصر عثمان ميتاً فقد خذلته حيا) وعلى درب هذا اللون من الاعتزال سار الخريت بن راشد عندما قال : (اعتزل وأكون مع من يدعو الى الشورى بين الناس ، فاذا اجتمع الناس على رجل هو لجميع الأمة رضا ، كنت مع الناس) ولقد قال عمرو بن العاص يومئذ لمعاوية : ان أهل المدينة ومكة : (ثلاثة نفر : رجل راض بعلى . ورجل يهوى عثمان . ورجل معتزل) ذلك هو الاعتزال الذى ارتبط بالزهد والتقوى والتعبد فى عصر صدر الاسلام ، وهؤلاء هم (المعتزلة) الذين توقفوا فى الصراع بين على وخصومه ولزموا موقف الحياد بمعناه السلبى ، وانتهى بهم اعتزالهم فى واقع الأمر الى الخروج من حلبة الصراع ، فهل بين موقف هؤلاء وموقف واصل بن عطاء والمعتزلة الجدد وجه واحد من وجوه الشبه ؟ حتى يكونوا هم أسلام المعتزلة الجدد ويكون واصل وجماعته هم (الاستمرار فى ميدان الفكر والنظر لهؤلاء المعتزلة السياسيين أو العمليين) كما يقول الأستاذ نلينو : ان المعنى الذى يفهم من أصل (المنزلة بين المنزلتين) — وهو السبب المباشر لانشقاق واصل — وحجته وملابسات نشأته وأساليب القول به لا تدع مجالا للشك فى انعدام الصلة الفكرية والعملية مابين أولئك المعتزلة وهؤلاء المعتزلة الجدد .

فالمنزلة بين المنزلتين ليست توقفا ولا حيادا سلبيا فى تقييم مواقف أطراف الصراع فى الفتنة التى حدثت فى صدر الاسلام ، وانما هى موقف وسط ، ولكنه ايجابى فى معالجة الخلاف حول حكم مرتكب الكبيرة ، وكان الوقت وقت اشتداد ثورة الخوارج الأزارقة ضد بنى أمية ، وكان المطروح فى الدوائر الفكرية والسياسية وساحات القتال من قبل الأزارقة : أن بنى أمية — وهم أهل كبيرة وفسق — هم كفار مخلدون فى النار، ورد عليهم المرجئة بأنهم مؤمنون . ورأى الحسن والقدرية — وفيهم عمرو بن عبيد ، أنهم فسقة منافقون . فجاء واصل بن عطاء بالقول بالمنزلة بين المنزلتين عندما تمسك بوصفهم بالفسق لاتفاق الخوارج والقدرية عليه ، ثم حكم بأن منزلتهم هى بين المؤمنين وبين الكافرين ، وهم مع ذلك مخلدون فى النار . والموقف الذى يقول ان طرفا من أطراف الصراع فى المجتمع الاسلامى فاسق مخلد فى النار ، لا يوصف بأنه موقف سلبى أو محايد أو امتداد لتلك المواقف التى عميت الأمور على أصحابها فتوقفوا عن الحكم والفصل فى أحداث الصراع ، ان القدرية قبل هذا الانشقاق الذى سموا بعده بالمعتزلة ، وكذلك المعتزلة بعد هذا الانشقاق لم يكونوا محايدين فى الموقف من الصراع على السلطة والامامة فى ذلك الحين حتى يكونوا الامتداد لأصحاب ذلك الاعتزال السلبى والحياد الذى كان أشبه بالشلل والتوقف عن التعامل مع الأحداث ، والمشاركة الايجابية للقدرية والمعتزلة قد بلغت مستوى الثورة وسل السيف ضد بنى أمية ، ثم ضد بنى العباس ، وسيأتى ذكر لمعارضتهم ونقدهم للدولة الأموية وادانتهم لها ولولاتها ومظالمها ومشاركتهم أو مشاركة تيار منهم فى ثورة ابن الأشعث وثورة القدرية ونشاطها بين عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، ثم ثورة زيد بن على ، ثم ثورتهم التى نصبت يزيد بن الوليد بعد أن قتلت الوليد بن يزيد ، ثم محاولتهم بناء دولتهم على أنقاض الدولة الأموية ، ثم صراعهم ضد بنى العباس عندما اختطف هؤلاء الامارة من المعتزلة — كل هذه الحقائق وجانب كبير منها يدرس ويعرض للمرة الأولى — تنفى نفيا قاطعا تلك الصورة التى يقدمها الأستاذ (نلينو) عن موقف المعتزلة من الصراع على السلطة والامامة وتقييمهم لأطراف الصراع عليها . ومن ثم ينبغى أن يكونوا امتدادا لأولئك المعتزلة الأول . ولا نعتقد أن اتصاف واصل بن عطاء وعمرو بن عبد العزيز بن عبيد بالزهد والتقوى والورع ، وهم كانوا كذلك يكفى ليجعلهم فى الفكر والسياسة الامتداد لمن كان زهدهم سببا فى حيادهم السلبى ازاء أحداث العصر الذى عاشوا فيه ،

وفرق بين أن يكون القول بالمنزلة بين المنزلتين تعبيرا عن موقف أقل تطرفا من موقف الخوارج الازارقة وبين أن يكون حيادا سلبيا كحياد المعتزلة القدماء ، والا فماذا نصنع بتشديد هذا الموقف بل وتطرفه اذا ما قيس

بموقف القدرية قبل الانشقاق فضلا عن موقف المرجئة . ثم ان النصوص التى ظهرت حديثا لمفكرين من المعتزلة والتى اكتشفت مخطوطاتها بعد أن كتب الأستاذ (نلينو) بحثه تقطع بأن سبب هذه التسمية انما هو ذلك الانشقاق الذى حدث فى حركة أهل العدل والتوحيد ، فالذين أضافوا الى أصول : العدل والتوحيد والوعد والوعيد أصل المنزلة بين المنزلتين اختصوا باسم المعتزلة ، أما الذين رفضوا هذا الأصل الذى قال به واصل بن عطاء فظلوا من أهل العدل والتوحيد دون أن يسموا بالمعتزلة كما هو وضع الحسن البصرى ومن ظل على موقفه . والبلخي يقول عن سبب تسمية المعتزلة بالاعتزال : (والسبب التى سميت له المعتزلة بالاعتزال أن الاختلاف وقع فى أسماء مرتكبى الكبائر من أهل الصلاة فقالت الخوارج : انهم كفار مشركون وهم مع ذلك فساق . وقال بعض المرجئة : انهم مؤمنون لاقرارهم بالله ورسوله وبكتابه وبما جاء به رسوله وان لم يعملوا به . فاعتزلت المعتزلة جميع ما اختلف فيه هؤلاء ، وقالوا نأخذ بما اجتمعوا عليه من تسميتهم بالفسق ، وندع ما اختلفوا فيه من تسميتهم بالكفر والايمان والنفاق والشرك) وهذا هو الموقف والتفسير الذى نجده عند القاضى عبد الجبار وغيره من أصحاب الآثار الفكرية الاعتزالية التى اكتشفت مؤخرا . ان أهل العدل والتوحيد بالبصرة كانوا على الرأى القائل بأن مرتكب الكبيرة منافق ، أما المنزلة بين المنزلتين فهو موقف جاء به واصل بن عطاء من المدينة أخذه عن أستاذه أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية .

وفى ذلك يقول القاضى عبد الجبار وهو يتحدث عن الموقف من صاحب الكبيرة ذهب الحسن البصرى الى أنه ليس بمؤمن ولا كافر ، وانما يكون منافقا ، والى هذا ذهب عمر بن عبيد وكان من أصحابه ، وذهب واصل بن عطاء الى أن صاحب الكبيرة لا يكون مؤمنا ولا كافرا ولا منافقا ، بل يكون فاسقا) . وهذا المذهب أخذه عن أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وكان من أصحابه ، وقد جدت بين واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد مناظرة فى هذا ، فرجع عمرو بن عبيد الى مذهبه وترك حلقة الحسن واعتزل جانبا فسموه معتزليا . وهذا أصل تلقيب أهل العزل بالمعتزلة فالمعتزل هنا عمرو وليس واصلا ، لأن عمرو كان هو الأصيل فى حلقة الحسن لأنه كان بصريا . بل ان هناك من يذهب الى أن هذه التسمية قد أطلقت بعد موت الحسن ، اذ أن مجلس الحسن وحلقته قد انفرد بهما قتادة بن دعامة السدوسى وهو من أهل العدل والتوحيد (القدرية) فاعتزل عمرو بن عبيد حلقة قتادة واعتزله نفر معه فسماهم قتادة : المعتزلة . ثم ان اطلاق اسم (المعتزلة) على الزهاد الذين توقفوا فى الفتنة أيام على ، ثم اطلاق هذا الاسم على واصل وصحبه ليس دليلا على وجود صلات فكرية ، أو علمية أو شبه فى الموقف وأسلوب معالجة الأحداث بين الفريقين ، فمثلا عندما

فر مروان بن الحكم بعد مقتل عثمان الى معاوية مع بعض أنصار عثمان كتب معاوية الى عمرو بن العاص يقول : (وقد سقط الينا مروان بن الحكم فى رافضة أهل البصرة) • فهؤلاء (رافضة) هواهم مع عثمان ومعاوية ، ولا أحد يستطيع أن يقول بوجود شبه بينهم وبين (الرافضة) الذين نشأوا من بعد وكان هواهم مع على ضد الأمويين وغيرهم من الفرقاء ، فالاتفاق فى اللفظ لا يكفى دليلا على التشابه أو التقارب ، فضلا عن الاتحاد فى مثل هذه الأمور •

وأخيرا •• فان القول بالمنزلة بين المنزلتين • لم يكن هو الأصل الذى يضم تقييم واصل بن عطاء وجماعته لأحداث الفتنة التى وقعت على عهد على حتى يكون هو الامتداد لموقف المعتزلة القدماء •• ذلك أن (توقف) واصل فى تحديد من هو المخطىء ، أو من الفاسق من أطراف ذلك الصراع كان يمثل أصلا مستقلا غير أصل (المنزلة) الذى سبب الانشقاق فى صفوف القائلين بالعدل والتوحيد ، فأصول الفرقة كما كانت على عهد واصل هى :

١ ـ التوحيـــد •

٢ ـ العـــدل •

٣ ـ المنزلة بين المنزلتين •

٤ ـ قوله فى الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين : أن أحدهما مخطىء ، لا بعينه ، وكذلك قوله فى عثمان وقاتليه وخاذليه : ان أحدهما فاسق لا محالة • كما أن أحد المتلاعنين فاسق لا بعينه • وهكذا نرى أن تسمية فرقة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد بالمعتزلة ، بعـــد انشقاقهم عن أصحاب الحسن ، انما كان أمرا آخر يختلف فى المضمون عن اطلاق تلك التسمية على أولئك الزهاد الذين توقفوا فى الفتنة زمن على واتخذوا من أحداثها موقفا هو اللا موقف فكان وجودهم فيها هو والعدم ســـواء بسواء •

ومن القسمات التى امتاز بها المعتزلة أنهم كانوا فى الفكر العربى الاسلامى طلائع ذلك النوع من المفكرين والذين نسميهم (الفلاســفة الالهيون) •

وقد نشأت المعتزلة بعد الفتح واختلاط العرب بشعوب البلاد المفتوحة وتصادم الملل والمذاهب فى هذا المجتمع الجديد ، وكان للجدل الحر فى هذه البيئة سوق رائجة وأندية عديدة يتنافس على استضافتها فى قصورهم

الخلفاء والأمراء والولاة والأثرياء ، ثم هم قد انحدر عدد كبير منهم من أصول غير عربية ثم أصبحوا عربا ومسلمين بالفكر والثقافة والحضارة والولاء فجمعوا بين ميراث الشعوب المفتوحة - في غير تعصب شعوبي - وبين اضافات الفكر القرآني والاسلامي ومميزات العرب فى بساطة التفكير ولقد وجدت المعتزلة أن السبيل الى نصرة العقائد الاسلامية في صراعها مع النحل والمذاهب الأخرى يتطلب التسلح بذات الأسلحة التى يتسلح بها الخصوم ، وفى مقدمتها أسلحة الفلسفة اليونانية وفى الجدل والبرهنة والحجاج فدرسوا الفلسفة كي يدافعوا بها عن الدين ، وجمعوا بين الفكر الديني الاسلامي وعلوم الأوائل فكان لنا منهم ذلك المزيج الجديد من الفلاسفة الالهين . وعلى حين كانت نقطة الضعف عند أهل السنة وخاصة أصحاب الحديث هي عجزهم أمام الخصوم لجهلهم بأسلحة الفلسفة التى رفضوا التسلح بها كان اقدام المعتزلة على ارتياد هذا المجال هو السبب فى قوتهم وقوة معارضتهم والعامل الذى أبرز منهم المدافعين عن الإسلام وكما يقول (جيوم) فان (قوة الحركة الاعتزالية مردها جهود أولئك الذين حاولوا أقصى ما فى طوقهم اقامة علم الكلام الاسلامى على أسس ثابتة من الفلسفة مصرين فى الوقت نفسه على أن تكون تلك الأسس منطقية ، ثم الانسجام بينها وبين الفلسفة التي يجب أن تدرس بوصفها من صميم العقيدة الدينية) .

لقد حاول المعتزلة أن ينهضوا بالمهمة الصعبة ، بل بأصعب المهام التى تطرح فى أى ثقافة من الثقافات ، فمن السهل أن ينحو الانسان منحى يكتفى فيه عن الفلسفة بالدين أو العكس . أما أن يجتهد كى تتدين الفلسفة ويتفلسف الدين دون تزيد واختلال أو تلفيق فتلك أصعب المهام ، وتلك هى المهمة التى ارتاد المعتزلة ميدانها فى حضارتنا العربية الاسلامية ، وكما يقال عنهم فان (المعتزلة المخلصين لم يستخدموا العقل هذا الاستخدام المفرط وبذلوا جهدهم فى أن يوفقوا بينه وبين الدين وأن يردوا على شبه الزنادقة والملحدين بكل ما أوتوا من حجة وبينة وبرهان قاطع) . والحديث عن صعوبة تلك المهمة ليس من مكتشفات عصرنا الحديث الذى يدرك أهله صعوبة التوفيق بين الفلسفة والدين ، وانما المعتزلة أنفسهم قد اكتشفوها ، ومع ذلك ارتادوا ميدانها لادراكهم أن لا سبيل سواها لخلق التوازن لدى المفكر والمجتمع على السواء .

والجاحظ يتحدث عن هذه المهمة فيضع يدنا على نهج المعتزلة وسبيلهم عندما يقول فى عبارات جامعة يصف المتكلمين وما يجب أن يكونوا عليه فيقول : (وليس يكون المتكلم جامعا لأقطار الكلام متمكنا من الصناعة مصلحا للرياسة حتى يكون الذى يحسن من كلام الدين فى وزن الذى

يحسن من كلام الفلسفة ، والعالم عندنا هو الذى يجمع تحقيق التوحيد واعطاء الطبائع حقها من الأعمال . ومن زعم أن التوحيد لا يصلح الا بابطال حقائق الطبائع فقد حمل عجزه على الكلام فى التوحيد ، وكذلك اذا زعم أن الطبائع لا تصح اذا قرنها بالتوحيد ، ومن قال هذا فقد حمل عجزه على الكلام فى الطبائع . انما ييأس منك الملحد اذا لم يدعك التوفر على التوحيد الى بخس حقوق الطبائع ، لأن فى رفع أعمالها رفع أعيانها ، واذا كانت الأعيان هى الدالة على الله فرفعت الدليل فقد أبطلت المدلول عليه ، ولعمرى أن فى الجمع بينها لبعض الشدة ، وأنا أعوذ بالله تعالى أن أكون كلما غمز قناتى باب من الكلام صعب المدخل نفضت ركنا من أركان مقالتى ومن كان كذلك لم ينتفع به) وقد يتبادر الى الذهن أن تلك الميزة قد جاءت الى المعتزلة متأخرة بعد أن ترجمت الفلسفة اليونانية على عهد العباسيين والمأمون بالذات ، ولكن الحقيقة تدعو الى القول بأن هذه الميزة قد تدعمت بترجمة فلسفة اليونان ، غير أن المعتزلة ومن قبلهم أسلافهم من أهل العدل والتوحيد حتى قبل الانشقاق المعتزلى قد امتازوا بالنظر الفلسفى فى أمور الدين منذ نشأتهم الأولى ، فهذه السمة كانت لهم منذ النشأة الأولى . فهم تيار العقل فى الفكر الاسلامى حتى قبل حركة الترجمة عن اليونان وغيرهم من القدماء . فكتاب الطبقات يصفون الحسن بن محمد بن الحنفية أستاذ غيلان الدمشقى بقولهم : (وكان من ظرفاء بنى هاشم وأهل العقل منهم) . ومعبد الجهنى (٨٠ هـ) وأتباعه وهو الذى أجمع الرواة على أنه أول من تكلم بالقدر فى البصرة ويصف خصومه طريقته وطريقة أتباعه فى البحث عن الحقيقة فيقولون : (انه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتفقهون العلم) أى يطلبونه ويجمعونه ويبحثون عن غامضة ويستخرجون خفيه ، فهو موقف قديم ونهج عريق وقسمة أصيلة من قسمات أهل العدل والتوحيد . ولقد نبعت هذه القسمة الاعتزالية من مكانة العقل عندهم والمركز الذى أحلوه اياه اذا ما قيس بالنصوص والمأثورات .

وفى الحق فان مقام العقل عند المعتزلة هو صفحة من الصفحات المشرقة فى حضارة العرب والمسلمين ان لم يكن أكثر هذه الصفحات شرفا وتشريفا ، فالعقل عندهم هو (وكيل الله) عند الانسان جعل اليه أزمة أموره وقيادة نشاطه . وهم يطلبون أن يدعم الانسان عقله الغريزى بعقله المكتسب ، فذلك هو السبيل لبلوغ غاية الكمال . وعندما يعرض المعتزلة للأدلة وترتيبها يختلفون اختلافا أصيلا عن أصحاب الحديث وأهل السنة فى تعداد هذه الأدلة وترتيبها : فهى عند اهل السنة : الكتاب والسنة والاجماع على هذا الترتيب . بينما هى أربعة عند المعتزلة فيضيفون العقل الى هذه الثلاثة ويقدمونه عليها جميعا ، بل ويرون أنه الأصل فى

جميع هذه الأدلة · يقولون : (الأدلة أولها : دلالة العقل لأن به يميز بين الحسن والقبيح ، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة كذلك السنة والاجماع) · وربما تعجب من هذا الترتيب بعضهم ، فيظن أن الأدلة هي الكتاب والسنة والاجماع فقط ، أو يظن أن العقل اذا كان يدل على أمور فهو مؤخر وليس الأمر كذلك ، لأن الله تعالى لم يخاطب الا أهل العقل ولأن به يعرف أن الكتاب حجة وكذلك السنة والاجماع ، فهو الأصل فى هذا الباب · وان كنا نقول : ان الكتاب هو الأصل من حيث ان فيه التنبيه على ما فى العقول كما أن فيه الأدلة على الأحكام · وبالعقل يميز بين أحكام الأفعال وبين أحكام الفاعلين ، ولولاه لما عرفنا من يؤاخذ بما يتركه أو بما يأتيه ، ومن يحمد ومن يذل ، ولذلك تزول المؤاخذة عمن لا عقل له ومتى عرفنا بالعقل الها منفردا بالالهية ، وعرفنا حكيما نعلم فى كتابه أنه دلالة ومتى عرفناه مرسلا للرسول ومميزا له بالاعلام المعجزة من الكاذبين علمنـــا أن قول الرسول حجة · واذا قال صلى الله عليه وسلم : (لاتجتمع أمتى على الخطأ وعليكم بالجماعة) علمنا أن الاجماع حجة · فالعقل هو أول الأدلة وليس ذلك فقط ، بل هو أصلها الذى به يعرف صدقهـــا وبواسطتها يكتسب الكتاب والسنة والاجماع قيمة الدليل وحجيته ·

وكذلك الحال فى معرفة الأصول الشرعية اذ يرى المعتزلة أن العقل هو سبب معرفة هذه الأصول بل سببها شبه الوحيد لأننا لا نحتاج معه الى معرفتها الا الى حذق اللسان العربى عندما يتعلق الأمر بحجج الســـمع خاصـــــة ·

يقولون : أما وقد (ثبت وجوب النظر فى الأصول الشرعية فالسبب المؤدى الى معرفتها والعمل بها شيئان : أحدهما علم الحس وهو العقل لأن حجج العقل أصل لمعرفة الأصول اذ ليس تعرف الأصول الا بحجج القول · والسبب الثانى فى معرفة الأصول الشرعية معرفة لسان العرب وهو معتبر فى حجج السمع) خاصـة وهذه المكانة العالية التى وضع المعتزلة العقل فيها وتقديمهم له على غيره من الأدلة ·· أدلة المعرفة الدينية ما تعلق منها بالأصول أو الفروع قد قادت المعتزلة الى حيث تميزوا عن أهل السنة وأصحاب الحديث فى الموقف من نوع العـــلاقة بين (المعقول) و (المنقول) وأيهما الأصل والأساس ؟ ومن منهما الذى جاء بيانا وتفصيلا للثابت والأولى والأصيل ؟؟ وهذه القضية قد عرض لها القوم فى مجالات عدة من أشهرها قضية الحسن والقبح ، هل هما ذاتيان ، أى يدركان بالعقل دون توقف على النص والمأثور ؟ ــ وهو مذهب المعتزلة ــ أو أن الشىء حسن أو قبيح لأن هناك نصا يقول لنا : ان هذا حسن وهذا قبيح ؟ وهو موقف أهل السنة وأصحاب الحديث ·

لقد اعتمد المعتزلة على العقل ووثقوا بحكمه في التحسين والتقبيح دون حاجة الى النصوص والمأثورات ، بل أوجبوا عرض هذه النصـوص والمأثورات على العقل ، فهو الحكم الذى يميز صحيحها من منحولهـا ، ولا عبرة بالرواة ورجالات السند مهما كانت هالات القداسة ، التى أحاطها بهم المحدثون ، انما العبرة بحكم العقل فى هذا المقام • وهذا التقديم للعقل وبراهينه على النقل ونصوصـه قاد المعتزلة الى القول بأن الشرع لم يأت بما يخالف العقل ، بل ان ما جاء به اما أن يكون واجبا بالعقل أو جائزا فى نظره (فلم يرد الشرع الا بما أوجبه العقل أو جوزه ، ولم يرد بما فى حظره العقل أو أبطله) واحتجوا على ذلك بأن أدلة التشريع وأمثاله لا يعقلها الا العالمون وذوو العقول والنهى ، وهذا هو المراد بقوله سبحانه : « **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون** » وبقوله تعالى :

« **ان فى ذلك لآيات لأولى النهى** » ، وهكذا كانت حجج العقل وبراهينه قاضية على حجج السمع وحاكمة فى أمرها أى بعبارتهم (صارت حجج العقول قاضيا على حجج السمع ومؤدية على علم الاستدلال ، ولذلك سمى كثير من العلماء العقل (بأم الأصول) واذا كان مستحيلا عند المعتزلة أن يأتى الشرع بما يحبطه العقل أو يبطله ، فما وظيفة الشرع اذن ؟ ان وظيفته أن يفصل ما هو مجمل فى العقل ، ويقرر ما هو مركب ، ويؤكد ما أودعه فيه الخالق سبحانه ، ذلك (أن ما تأتى به الرسل لا يكون الا لتفصيل ما تقرر جملته فى العقل ، ان وجوب المصلحة وقبح المفسدة متقرر فى العقل ، الا أننا لما لم يمكنا ان نعلم عقلا أن هذا الفعل مصلحة وذلك مفسدة بعث الله الينا الرسل ليعرفونا ذلك من حال هذه الأفعال ، فيكونوا قد جاءوا بتقرير ما قد ركبه الله تعالى فى عقولنا وتفصيل ما قد تقرر فيها• وصار الحال فى ذلك كالحال فى الأطباء اذا قالوا : أن هذا البقل ينفع وذلك يضر ، وكنا قد علمنا قبل ذلك أن دفع الضرر عن النفس واجب وجر النفس الى النفع حسن ، فكما لا يكون والحال ما قلناه قد أتوا بشىء مخالف للعقل • فكذلك حال هؤلاء الرسل) كما رفض المعتزلة اتخاذ النقل ،

ومن دون العقل ، سـبيل للمعرفة ، وكذلك رفضـوا طريق التقليد لأن التقليد كما يكون فى الحق يكون فى الباطل ، وكما يكون فى الصحيح يكون فى الفاسد ، وكما يكون فيما ثبت بالدليل يكون فيما لا دليل عليه ، فالتقليد عندهم (ليس بطريق للعلم لأن الباطل كالحق فى ذلك) وهذا معلم هام من المعالم المميزة بينهم وبين أهل السنة وأصحاب الحديث • وكان لابد للمعتزلة وهذا هو مقام العقل عندهم أن يعرضوا للموقف من السنة المروية فى كتب الحديث ، لأن الباحث عن القضايا الخلافية فى تراثنا الاسلامى لابد واجد الأحاديث المتعارضة والمتناقضة المروية وبالأسانيد المعتمدة فى كل قضية من هذه القضايا • فهناك الأحاديث التى تفضل

أبا بكر على جميع الصحابة ، وتلك التى تفضل عليا عليهم ، وأخرى تفضل عليهم عمر بن الخطاب ، وهناك الأحاديث التى تفضل العرب وتلك التى تفضل الفرس ٠ وأخرى تمدح المصريين وتتحدث عن خصائصهم فى الجندية مثلا ٠٠ الخ ، وهناك أحاديث الوصية والنص فى الامامة ، وبعضها ينص على (على) ، وبعضها على أبى بكر ، وبعضها على العباس بن عبد المطلب، ومن ثم كان لابد للمعتزلة ـ وهذا مقام العقل عندهم وذلك هو موضعه من النصـــوص والمأثورات المروية ـ كان لابد لهم من التعرض للموقف من الحديث ، وهم عندما عرضوا لهذه الجزئية قرروا عدة مبادىء من أهمها :

١ ـ التنبيه الى أن هناك الكثير من الأحاديث الموضوعة والمنحولة والتى نسبت زورا وكذبا لرســول الله (ﷺ) ورووا عن (شعبة) أنه قال : « ما أنا من شىء أخوف منى أن يدخلنى النار من الحديث ٠ لاتكاد تجد أحدا فتش هذا الحديث تفتيشى وقد نظرت فيه فوجدت لا يصح منه الثلث » ٠

٢ التنبيه الى أنه ليس معنى ان الرسول (ﷺ)قد قال هــذا الحديث ، وأن الراوى قد سمعه منه أن الاســتدلال به صحيح ، فهناك الملابسات التى قيل فيها الحديث والظروف التى قيل لأجلها ٠٠ والراوى قد يصدق فى الرواية ، ولكنه لايضع الحديث فى موضـــعه ، لأن كتب الحديث قد صنفت الأحاديث تصنيفا موضوعيا ، ولم تحفل فى الغالب بما يقابل أسباب النزول فى القرآن ، وهى أسباب قول الحديث وظروف التحدث به ، ويروى المعتزلة عن عـــروة بن الزبير قوله فى أبى هريرة « وهو يحدث الحديث الكثير ، صدق وكذب ، فقيل له : ما المراد بذلك؟ فقال : اما أن يكون سمع بذلك من النبى فلا شك فيه ، ولكن منها ما وضعه على موضعه ومنها مالم يضعه فى موضعه » ٠

٣ ـ انهم ، وقد قدموا دليل العقل على دليل الكتـــاب والسنة والاجماع يطلبون عرض الأحاديث على الكتاب فما وافق القرآن قبلنـــاه وما خالفه وخالف السنة العملية رفضناه ، ويروون فى ذلك عن النبى قوله : « سيأتيكم عنى حديث مختلف ، فما وافق كتاب الله تعالى وسنتى فهو منى ، وما كان مخالفا لذلك فليس منى » ٠٠ كما يروون قوله : « سيفشو الكذب بعدى ، فما جاءكم من الحديث فاعرضوه على كتاب الله »٠

٤ ـ يميزون ما بين الأحاديث التى موضوعها الدين والعقائد ، وتلك التى موضوعها الســـنة العملية فيرفضون الاستدلال بأحاديث الآحاد ـ الأغلبية الساحقة من الأحاديث أحاديث آحاد ـ على أمور الدين والعقائد

ويقبلون الاستدلال بها فى العمليات .. (لأن ما طريقه الدين يجب عدم قبول خبر الواحد فيه أصلا) .

٥ ـ أنهم لا يكرهون للعلماء أن يطلبوا الحديث ويشتغلوا بصناعته، ولكنهم في ذات الوقت لا يرون وجوب طلبه والاشتغال به ، لأن طلبه هو من فروض الكفايات ، بل يقولون (ان السعيد فيه قد كفى بغيره) . فاذا حدث وطلبه المرء واشتغل به فانهم يوجبون عليه (أن يميز بين الذى يجوز أن يصح تأويله اذا لم يصح ظاهرا وبين ما ليس هذا حاله) .

٦ ـ انهم وقد جعلوا العقل هو الحكم والقاضى على صحة المرويات والمأثورات ، يحذرون من الاغترار بأسماء رجال السند ورواة الحديث ، فالعبرة بحكم العقل على هذا النص المروى ، لا بالهـالات التى أحاطت بالرواة فقد يتحد حديثان فى رجل السند الراوى ، ولكن العقل يقبل أحدهما ويصححه ، بينما يرفض الثانى ويطرحه .

فالمعتزلة لم يهملوا الحديث ، وان لم يشتهروا بصناعته ، وكما يقول القاضى عبد الجبار : (واما ظن من يظن فى أصحابنا أنهم ليسوا من أهل الحديث ، فليس كما قاله ، وذلك كظن بعضهم أنهم ليسوا من أهل الفقه ، وانما أتى هذا القائل من أجل أنهـم لم يشهروا أنفسهم بالفقه وتوفروا على ما هو عندهم أجدى فى الدين من ذلك ، وكذلك القول فى طلبهم الحديث) .

أنه أثر لسيادة العقل وتقدمه عندهم على جميع الأدلة ، فمقامه أولا ، ثم يأتى الكتاب والسنة والاجماع ولقد كان طبيعيا لمن يقدمون العقل فى أمور الدين أن يقدموه فى أمور الدنيا ، وأن يكون هو الأساس والعماد فى كل ما يتعلق بهما جميعا ، وكما يقول الماوردى : (فان لكل فضيلة أسا ، ولكل أديب ينبوعا ، وأس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذى جعله الله تعالى للدين أصلا وللدنيا عمادا ، فأوجب التكليف بكماله ، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه ، وألف به بين خلقه مع اختلافهمهم ومآربهم وتباين أغراضهم ومقاصدهم ، وجعل ما تعبدهم به قسمين : قسما وجب بالعقل فأكده الشرع ، وقسما جاز فى العقل فأوجبه الشرع ، فكان العقل لهما عمادا) . ذلك هو مقام العقل عند المعتزلة قدموه وسودوه ، وكان تقديمه وسيادته قسمة من القسمات التى امتازوا عن غيرهم أو أكثر من غيرهم من فرق الاســلام .

تلك هى أهم الملامح الخاصة التى تميزت بها فرقة المعتزلة ، فالموالى منهم كانوا عربا بالحضارة والولاء ناصبوا الشعوبية العداء ، وقدموا

بواكير الفكر القومي الذى يؤلف ويبلور الشخصية العربية على أسس غير عرقية ، وانما بمفهوم حضارى متقدم والرواة منهم كانوا أولى مدارس البحث التاريخي فى تراثنا العربى الاسلامى ·· والفلسفة عندهم كانت فلســفة الهية تدينت فيها الفلسفة وتفاسف بها الدين ، وقدمت أولى محاولات التعايش والتآخي بين الحكمة والشريعة فى تراثنا · ومقام العقل عندهم كان عاليا ، وصفات (الارستقراطية الفكرية) وسمات العلماء كانت واضحة فى أوساطهم كل الوضوح ، كما أن موقفهم من (العامة) ثم ارتباط مواطنهم وأسماء عدد من أعلامهم بالمواطن التجارية وبألقاب الحرف والصناعات يؤكد أن هذا التيار العقلانى قد ارتبط فى النشأة والانتشار بالطبقة التجارية وفئات الحرف والصناع الذين كونوا البيئة الأكثر قابلية للعقل والعقلانية ــ على عكس البدو والفلاحين ــ فى تلك المجتمعات ·

وهكذا كان المعتزلة كوكبة من أهل الفكر والنظر ، اتخذوا من الفلسفة الفكر والرقى فى المعرفة بديلا عن الاحساب والانساب ، فتحقق فى فرقتهم تعايش العرب والموالى دون تفاخر أو عصبية أو تنافر ، وكان الفكر العقلانى هو السلم الذى ارتقوا عليه الى مستوى أصبح درنه مستوى (الاشراف) الذين يستند (شرفهم) الى الاحساب والانساب ، والمعتزلة قد عاشوا طوال العصر الأموى مضطهدين يتعرضون للمحن التى وصلت الى النفى الجماعى فى جزيرة منعزلة تجاه الســاحل اليمنى هى جزيرة (دهلك) كانت مخصصة لعزل أهل الرأى الذين لا ترضى عنهم الدولة · كما وصلت المحن الى التعليق على الصليب كما حــدث لغيلان الدمشقى وصاحبه صالح ·

وفى العصر العباسى ظلوا مضطهدين ومطاردين من عهد السفاح حتى عهد المأمون ، ولم يتمتعوا بشىء من الأمن والحرية الا فى عهود المأمون والمعتصم والواثق فقط ، وحتى فى هذه الفترة كان كثيرون منهم فى صفوف المعارضة ينتقدون السلطة ويرفضون الاشتراك فيها ، وبينهم وبين زملائهم فى الفــكر الذين تولوا مناصب فى الوزارة والادارة عداء وشحناء ، أوصلت بعضهم الى غياهب السجون فى كثير من الأحيان ، ثم جاء عهد المتوكل فبدأت محنتهم المتصلة التى باد فيها تراثهم الفكرى فلم يبق الا النزر اليسير ، وهذا الاضطهاد الذى عاشه المعتزلة قد فرض على كثير من أعلامهم اخفاء بعض الآراء والنظريات ، وحتى واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد فان القاضى عبد الجبار يقول ان الاضـطهاد الذى عاشوا فى ظله لم يتمكنوا بسببه الا من (اظهار القدر الذى كان منهم) أما كثيرون غيرهم فلقد اضطروا الى الاستخفاء بآرائهم ومذهبهم ، وكمـــا يقول القاضى

عبد الجبار فان (أصحابنا • لبسوا طريقة الاستتار والاتقاء من الخوف •• واستمر على أصحابنا هذا الانقباض) لأن الخصوم اختلطوا بالظلمة ، واستعانوا بهم على أهل العدل والتوحيد • حتى أصبحت معرفة مذهب كثير من المعتزلة لا تأتى عن طريق اعلانهم مذهبهم بل من خـــلال اتهام خصومهم لهم بأنهم على مذهب الاعتزال ، وعندما أخذ القاضي عبد الجبار فى التفتيش عن أسماء أئمة المعتزلة كى يكتب طبقاتهــم وصل الى هذه الحقيقة فأدخلها عنصرا من عناصر منهجه فى الكشف عن مذهب الاعلام الذين تمذهبوا بالاعتزال ولم يستطيعوا الاعلان عنه ، وقال (وعند التفتيش عرفنا موافقة من سمينا ممن يقول بالعدل والتوحيد من صفة المخالفين من حيث اتهموهم بهذا المذهب ، ولولا ما ذكرنا من الانقبــاض لظهــروا به ولأظهروه) • ولقد ذهب المعتزلة فى سبيل التخفى مذاهب شتى ، فعلم الكلام كان صناعتهم التى نشأت على أيديهم ، كان الاشـتغال به مظنـة من المظان التى يطلبون عندها ، فكان الواحد منهم يدارى مذهبه بأن يجعل شهرته (النحوى) أو (الفقيه) مثلا ، وذلك (خيفة من أظهار أدلة الله فى العدل والتوحيد والدعاء اليه) •

ولقد لجأ بعضهم الى اقامة مدارسهم الفكرية وحلقات دروسهم فى مزارع خاصة بهم بعيدا عن المدن وأعين الشرطة ، فأعادوا الى الذهن صورة أخرى وان تكن مختلفة لمن رفضوا وقاوموا بالهجرة الى الصحراء حيث بنوا الأديرة والصـــــوامع هنــــاك • والمفـكر المعتزلى أبو الحسن الماوردى (٣٦٤ ــ ٤٥٠ هـ ــ ٩٧٤ ــ ١٠٥٨ م) نموذج لهؤلاء الاعلام الذين تمذهبوا بمذهب المعتزلة ، ثم لم يستطيعوا الاعلان عن مذهبهم ، فلقد كان فى خدمة الدولة العباسية السنية التى كانت قد أصدرت فى ذلك العهد مرسوما يحرم فكر المعتزلة ، وكان يتولى منصب (أقضى القضاة) وكان اذا كتب وعرض للآراء والمذاهب يذكر رأى المعتزلة وقال علماء الكلام ، أو قال أهل العــدل والتوحيــد •• ولقد اتهمه خصــوم المعتزلة بالاعتزال ، وحقق ابن الصلاح (المتوفى سنة ٦٤٢ هـ) هذا الاتهام وأثبته من خلال دراسته لتفسير الماوردى للقرآن ، وآراء الماوردى خصوصا فى (أدب القاضى) و (أدب الدنيا والدين) تقطع باعتناقه الأصول الخمسة ، ومع ذلك أدت مداراته الى عدم ذكره فى كتب طبقاتهم ، والى حسبان الكثيرين أنه غير معتزلى ، بل والى محاولة البعض أن يدفع عنه هذا الاتهــام • تلك هى الصعوبة فى الوقوف على الحجم الحقيقى للنشاط الفكرى الذى قام به المعتزلة فى حياة هذه الأمة ، ولكن ذلك لا يمنع من تقدم عدد من النقاط المعبرة عن بعض الحقائق فى هذا المقام ، وهى الحقائق التى وجدنا عليها الشواهد والأدلة واضحة كل الوضوح ، فأولا : على يد المعتزلة كانت نشأة علم الكلام ، وهو العلم الذى عبر عن أصالة هذه الأمة وذاتيتها ، فلم يكن

تقليدا للفلسفة اليونانية وترديدا لمقولاتها ، ولم يكن وقوفا عند ظواهر نصـوص الكتاب والسنة ، وانما كان معالجة فلسفية بأدوات الفلسفة لقضايا الدين والحياة الخاصة بهذه الأمة ، ومن ثم فان فيه المادة لمن يريد أن يلتمس ما أبدعه العرب والمسلمون فى الفلسفة والفكر الدينى على السواء ولا يستطيع أحد أن ينازع فى أن نشأة هذا العلم كانت من ابداع المعتزلة ، وأنهم ظلوا دائما وأبدا أعظم الفرسان فى ميدانه ، وكما يقول الحاكم أبو السعد محسن بن كرمة الجشمى (٤١٣ ـ ٤٩٤ هـ ـ ١٠٢٢ ـ ١١٠١ م) .

(وجملة القول أن المعتزلة هم الغالبون على الكلام الغالبون على أهله . فالكلام منهم بدأ ، وفيهم نشأ ، ولهم السـلف فيه ، لهم الكتب المصنفة المدونة ، والأئمة المشـهورة ، ولهم الرد على المخالفين من أهل الالحاد والبدع ، ولهم المقامات المشهورة فى الذود عن الاسلام ، وكل من أخذ الكلام أو ما يوجد من الكلام فى أيدى النـاس فمنهم أخذ ، ومن أئمتهم اقتبس) ثانيها : أن فرقة من فرق الاسلام لم تتصد لمناهضة خصـومه كما تصدت لهم المعتزلة ، وفى مقدمة أسباب انفراد المعتزلة تقريبا بهذه المهمة أنهم كانوا الفرقة الوحيدة المؤهلة لذلك والقادرة على انجـاز هذا الهدف بنجاح ، فالخوارج كانوا فى شغل عن ذلك بالحرب المتصلة التى لا تدع وقتا ولا جهدا للفكر النظرى ومجادلة خصوم الاسلام ، والشيعة كانوا فى شغل باتقاء اضطهاد الأمويين وتجسيد أحزانهم ومأساتهم كى تتحول الى رباط عاطفى يكسب الأنصار ويديم لفرقتهم البقاء ، كما شغلوا بنظريتهم فى الامامة وحكايات فضل أهل البيت عن أغلب الأمور الأخرى ، والمرجئة والجبرية الأموية كانوا (أهل حشـو) يقفون عند ظواهر النصوص ، ومن ثم فلا جلد لهم ولا قدرة على جدل خصوم المسلمين بمنطق أرسطو وحكمة الفرس وفلسفة الهند واليونان ، أما المعتزلة فقد كانوا هم الفرقة الاسلامية التى تصدت للدفاع عن الاسلام ضد خصومه ، بل واتخذت موقع الهجوم على هؤلاء الخصوم ، واذا كانت كتب المقالات والفرق التى كتبها خصومهم وتكاد تكون كل ما بقى لنا فى هذا الفن لم تذكر جهود المعتزلة فى الدفاع عن الاسلام ، فان هناك بعض الوقائع ذات الدلالة فى هذا الميدان .

ففى العهد العباسى انتعشت مذاهب المانوية وفرقها واسـتعادت قوتها ، ودخلت فى صراع فكرى ضد عقائد الاسلام ، واستند هذا الصراع المانوى الى عصبية شعوبية مستترة أو ظاهرة كانت تحتل المراكز الحساسة فى جهاز الدولة العباسى .. فاستطاعت المانوية أن تشيع الزندقة والالحاد

والاستخفاف بالدين فى الحياة الفكرية ، وأن تشيع الفكر الشعوبى فى الحياة القومية والسياسية ، وتصدى المعتزلة للمانوية وفرقها ، فدرسوا منطق أرسطو وفلسفة اليونان ـ التى هى أسلحة الخصوم ـ واطلعوا على مؤلفات الجدل المسيحى فى العصر (الهلنستى) حتى استطاعوا (أن يقارعوا المانوية حجة بحجة) وأن يفحموهم وأن يسندوا الفلسفة الأخلاقية المستمدة من القرآن ٠

وكما كان المعتزلة هم دعاة الاسلام وحججه تجاه خصومه وفى المواطن التى يغلب عليها هؤلاء الخصوم كانوا كذلك المدافعين عن قيمه وأخلاقياته فى المواطن التى يعيشون فيها ، فلقد كانوا هم قادة الفكر فى بيئاتهم وحتى فى تأديب الصبيان والشباب كانوا هم أبرز من نهض به ، حتى أن خصومهم الفكريين كانوا يبعثون بأبنائهم ليأخذوا أدب المعتزلة ، وينهونهم عن أخذ مذاهبهم ، فكان المعتزلة (يعطون هؤلاء الأبناء ـ مذاهبهم قبل آدابهم) ٠

كما كانوا يطاردون دعاة الشك والزندقة والالحاد مثل بشار بن برد (٩٥ ـ ١٦٧ هـ) وصالح بن عبد القدوس (١٦٠ هـ ـ ٧٧٧ م) ومحمد بن مناذر الذى (تهتك وخلع وقذف أعراض أهل البصرة) بعد أن كان ناسكا ولما عدل عن النسك والتأله وعظته المعتزلة فلم يتعظ وأوعدته بالمكروه فلم يزدجر ومنعوه من دخول المسجد فنابذهم وطعن عليهم ، وكان يأخذ المداد بالليل فيطرحه فى مطاهرهم فاذا توضئوا سود وجوههم وثيابهم وغيره من العمل الذى يتنافى سلوكه مع خلق الاسلام ٠

كما كانت للمعتزلة وهم فرسان المنهج العقلى جهود كبيرة فى حرب الخرافة والشعوذة فى المجتمع الاسلامى ، فهم عندما تصدوا لدحض حجج الشيعة حول (عصمة الامام) وعلمه الذى لا يحد وعلاقته بالغيب وظهور الاعلام والمعجزات على يديه قد أسهموا اسهاما عظيما فى اعلاء شأن العقل وتوجيه السهام الى فكر الخرافة الذى شاع فى تلك المجتمعات ٠

كما أسهموا بالتأليف والمناظرة فى افحام المنجمين الذين راجت بضاعتهم على الخاصة والعامة فى ذلك التاريخ ، فالمعتزلة كانوا بحق هم فرسان الدفاع عن الاسلام وتقرير حججه والدعوة اليه ، وهم قد غطوا بنشاطهم هذا مختلف الميادين وكانت لهم حججهم العقلية التى صاغوها ببلاغتهم الجديدة التى لا نغالى ان قلنا انهم اخترعوها وأضافوها الى تراثنا ، فللجدل لغته ومصطلحاته وأساليبه وآدابه ، وهم قد انشأوا هذا

الفن من فنون تراثنا العربى الاسلامى لأنهم كانوا رواد ميدانه ، ومن الكلمات ذات الدلالة فى هذا المقام تعريف البلاغة الذى عرفها به عمرو بن عبيد عندما أجاب عن سؤال : (ما البلاغة ؟ فقال : انها تقرير حجة الله فى قلوب المريدين بالألفاظ المستحسنة فى الأذان المقبولة عند الأذهان رغبة فى سرعة استجابتهم ونفى الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة من الكتاب والسنة) فهو تعريف جديد لبلاغة جديدة تنبع جدتها من الميدان المتميز الذى نشأت فيه واستخدمت فيه ·

وقد انتشر الاعتزال فى طول الامبراطورية الاسلامية وعرضها من الهند الى فارس الى العراق الى الشام الى المغرب العربى ، ونحن نضيف الى ذلك أن نشأة هذا المذهب كانت بالمدينة لا بالبصرة ، وأن واصل بن عطاء قد حمل فكره معه من المدينة الى البصرة ، وكذلك حمل غيلان الدمشقى مذهبه من المدينة الى دمشق ، وان المدينة قد شهدت ثانية ثورات المعتزلة الكبرى التى قادها محمد بن عبد الله بن الحسن النفس الزكية (٩٣ ــ ١٤٥ هـ ــ ٧١٢ ــ ٧٦٢ م) كما أن نفوذهم قد عظم بمكة ، ويشير اليه ما رواه الشافعى فى قوله : (قدمت مكة فغلبت علينا المعتزلة) وكذلك قول أحمد بن حنبل الذى رواه عن ابن عيينة (لما مات عمرو بن دينار كان ابن أبى نجيح يفتى الناس) أى أن عمرو بن دينار ومن بعده ابن أبى نجيح كان فيها فى منصب الافتاء ، ومركزه بمكة وهما من المعتزلة · وحتى الأندلس ذات الطابع المحافظ والسلفى فى الفقه وغيره من فنون الفكر الاسلامى وعلومه قد دخلها فكر المعتزلة بعد فترة من الزمن بواسطة الدارسين الأندلسيين الذين تتلمذوا فى بلاد المشرق (وسرعان ما لقيت المذاهب الاعتزالية ترحابا من الطبقة المثقفة) ·

هذا عن الانتشار الجغرافى لفكر المعتزلة ونفوذهم ، أما هذا الفكر الذى كان بمثابة الخيوط التى ربطت أجزاء ذلك التيار الواسع والفرقة الكبيرة رغم اختلافات فى التفاصيل فهى التى اشتهرت باسم الأصول الخمسة للاعتزال · وبالطبع فان هذه الأصول لم تكتمل دفعة واحدة ، ولم تصل الى عددها هذا فى زمن واصل بن عطاء (٨٠ ــ ١٣١ هـ) وانما كانت على عهده أربعة أصول هى : التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين ، وتقييمه لأحداث الصراع السياسى الذى حدث فى صدر الاسلام، ورأيه فى أطراف هذا الصراع ثم اكتملت هذه الأصول ووصلت الى خمسة فى عهد قيادة أبى الهذيل العلاف لفرقة المعتزلة ، لقد اتفق المعتزلة على هذه الأصول الخمسة : العدل والتوحيد والمنزلة بين المنزلتين والوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأجمعوا على نفى صفة الاعتزال عن المخالف ولو فى أحدها وعلى أن مدلول اسم (أهل العدل

والتوحيد) اعم من مدلول اسم (المعتزلة) اذ يدخل تحت الأول كثير من الخوارج والشيعة ، بينما لا يدخل تحت الثانى الا من جمع الاعتقاد بالأصول الخمسة جميعها دون أن يضر بعد ذلك الاختلاف في التفاصيل ، هذا الاتفاق الذى حدث منهم جميعا يجعل من المعتزلة فرقة واحدة لا فرقا متعددة ، فلا اعتبار عندهم للخلاف في التفاصيل مادام هناك اتفاق على الأصول ، والقاضى عبد الجبار يعالج هذا الأمر فيقول : (اعلم أن الأصول : هى التى يجمع عليها المعتزلة وتتفق عليها مما لايختار عليه ولا ريب فيه ، وان كان الاختلاف الواقع بينهم فيه فروع ذلك وشبه وردت عليه ، ومن هنا فان مؤرخى المقالات جروا فى تاريخهم للمعتزلة على عادة تقسيمهم الى فرق هى : الواصلية ، والعمرية ، والهذيلية ، والنظامية ، والاسوارية ، والمعمرية ، والثمامية ، والجاحظية والحايطية ، والحمارية ، والخياطية ، والشحامية ، وأصحاب صالح قبة ، والمويسية ، والكعبية ، والجبائية ، والبهشمية ، نسبة الى عدد من أعلام المعتزلة وأئمتهم ، وقرر أن هذا التقسيم خاطىء لأن الاختلاف بين هؤلاء هو فى (مسائل) و (تفاصيل) و (فروع) وشبهات تعلقت بالفكر أثناء بحث (الأصول) الخمسة التى هى بمثابة (النظرية) التى اعتقد بها الجميع ولقد وقف المعتزلة بأصولهم عند هذه الخمسة لأنهم رأوها المبادىء الأساسية التى يقع فيها الاختلاف بينهم وبين كل من خالفهم من فرق الاسلام وغيره فللعدد هنا حكمة وأسباب ، والقاضى عبد الجبار يجيب من سأله : (ولم اقتصر على هذه الأصول الخمسة ؟؟) فيقول : انه (لا خلاف أن المخالف لنا لا يعدو أحد هذه الأصول ، ألا ترى أن خلاف الملحدة والمعطلة والدهرية والمشبهة قد دخل فى التوحيد ؟؟ وخلاف المجبرة بأسرهم دخل فى باب العدل ؟؟ وخلاف المرجئة دخل فى باب الوعد والوعيد ؟؟ وخلاف الخوارج دخل فى باب المنزلة بين المنزلتين ؟؟ وخلاف الامامية دخل فى باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟؟) .

١ ـ **أصل العدل** : يختص مبحث هذا الأصل بقضايا الحرية والاختيار بالنسبة للانسان وقضايا التعديل والتجوير بالنسبة للذات الالهية والمعتزلة يقررون بمبحثهم فى العدل أن للانسان قدرة وارادة ومشيئة واستطاعة قد خلقها له خالقه وأنها تؤدى وظائفها بشكل مستقر وحر فيما يتعلق بالأفعال المقدورة للانسان ، ومن ثم فان الانسان خالق أفعاله على سبيل الحقيقة لا المجاز ، ونسبة هذه الأفعال اليه هى نسبة حقيقية ، ومن ثم فان الجزاء ثوابا وعقابا هو أمر منطقى ليست فيه شبهة جور تلحق بالبارى سبحانه ، كما هو الحال اذا قلنا برأى المجبرة فى هذا الموضوع . فهم لم يتحرجوا كما صنع غيرهم عن وصف الانسان

(بالخلق) لأفعاله لأنهم فرقوا بين (الخلق) وبين (الاختراع) و (الابداع) على غير صورة ومثال سابق (فالخلق) هو : (الفعل والصنع على أساس التقدير والتخطيط السابق) على التنفيذ ، وأوردوا شواهد اللغة التى تصف الانسان بالخلق وقالوا : ان الخلق هو (التقدير ، ولهذا يقال : خلقت الأديم ، وقال زهير : ولانت تفرى ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى) .

كما استدلوا من القرآن على أن العبد فى الحقيقة يوصف بأنه يخلق بقوله تعالى : « **وتخلقون أفكا** » وقوله : « **فتبارك الله أحسن الخالقين** » وقوله : « **وأن تخلق من الطين كهيئة الطير** » وبينوا أن التعلق بقوله تعالى : « **هل من خالق الا الله** » وقوله « **أفمن يخلق كمن لا يخلق** » لا يصح، فهذا كلام من جهة العبارة ، فأما من جهة المعنى فانما يجب أن تبين أن العبد يحدث الشيء ، وأنه يصح أن يحدثه مقدورا كما بينوا السر فى انصراف لفظ « الخالق » الى الله سبحانه دون الانسان ، وكيف ان اجراءه على هذا النحو فقط انما هو (من جهة التعارف كما لا يطلق قولنا « رب » الا عليه وأن ذلك غير مانع أن يجرى على غيره وانما لم يجر الا عليه . مرسلا للايهام ولولاه كان لا يمتنع ذلك فيه) لأن معنى (الخلق) انما هو وقوع الفعل من فاعله مقدرا ، وأن العبد قد يحدث الفعل بمقدار ، كما أنه تعالى يحدث ذلك فيجب أن يوصف بهذا الوصف . فاذا ثبت ذلك . وكان عندهم أن الحركة المنتسبة مخلوقة فيجب أن يكون لها خالق ، وخالقها قد يكون الانسان كما أن خالق الحركة الضرورية هو الله تعالى .

وكما أثبتوا القدرة للانسان على الخلق أثبتوا له القدرة على الافناء ، بل قالوا انه يستطيع مثلا أن يفنى حياته بالانتحار ، فيكون قد أفنى فعل الله سبحانه . ذلك أن الواحد منا يجوز أن يفنى فعل الله تعالى الذى له القدرة بفناء الحياة بأن يقتل نفسه ويجوز أن يبطل فعل الغير للسكون بتحريك المحل ولقد أفاض المعتزلة فى دراسة هذا الأصل وفى تفصيل مباحثه ، وخلصوا الى أن أفعال الانسان غير مخلوقة لله سبحانه وتعالى وأنها متعلقة بالانسان على جهة الاحداث ، وأنها واقعة منه بحسب قصده ودواعيه ، ومن ثم فهو فاعل لها على جهة الحقيقة الى آخر ما كتبوا فى هذا الأصل من أصولهم الخمسة .

٢ ـ **أصل التوحيد** : وفى مبحث التوحيد هذا قدم المعتزلة للذات الالهية تصورا بلغ قمة (التنزيه) والتجريد فى الفكر الاسلامى ، بل الانسانى على الاطلاق ، فهم قد ناقضوا فكر (المشبهة) (الحشوية) الذين عجزت بهم مداركهم فلم يرتقوا بتصور الذات الالهية عن حدود

المحدثات والمخلوقات ، ولقد استند المعتزلة فى فكرهم (التنزيهى) هذا الى نقاء عقيدة التوحيد فى الاسلام كما صورتها الآيات المحكمة فى القرآن الكريم فصاغوا تصورهم هذا فى مواجهة عديد من الأديان والفرق والنحل التى تردت في هاوية التشبيه ، فلقد رأوا فى التثليث المسيحى تشبها بلغ حد القول (بالحلول والاتحاد) · بل رأوا أن جوهر الخلاف بين الاسلام والمسـيحية منحصر فى هذا الموضـوع · ومن هنا كان يقول القاضى عبد الجبار : ان الكلام مع (النصارى) يقع فى موضوعين :

احدهما : فى التثليث فانهم يقولون : انه تعـالى جوهر واحد ، وثلاثة أقانيم ، اقنوم الأب يعنون به ذات البـارى عز اسمه ، واقنوم الابن أى الكلمة ، واقنوم روح القدس ، أى الحياة ، وربما يغيرون العبارة فيقولون انه ثلاثة أقانيم ذات جوهر واحد ·

والثانى : فى الاتحاد ، فقد اتفقوا على القول به وقالوا : انه تعالى اتحد بالمسيح فيحصل للمسيح طبيعتان : طبيعة ناسوتيـة وأخـرى لاهوتيـة ·

وفى اطار عرض المعتزلة لفكرهم (التنزيهى) فى التوحيد نقضوا فكر المسيحية فى التثليث والاتحاد والحلول وهاجموا فكرة (قدم كلمة الله ـ (المسيح) ـ وظهورها وحلولها فى الجسد وتتبعوا بالنقد فكر المسيحية التشبيهى والتجسيدى عند النساطرة والملكانية وغيرهما ·

كما هاجموا القول باللاثنينية عند (الثنوية) القائلين بالهين : أحدهما للخير ، والآخر للشر (النور والظلمة) وتتبعوا فكر الثنوية لدى فرقها المختلفة من (مزدقية) و (ديصانية) و (مرقيونيـة) و (ماهانيـة) و (مصيامية) و (مقلاصية) وكشفوا عن العلاقات بين فكر مانى الذى ادعى النبوة فى القرن الثالث الميلادى بفارس وبين كل من (المجوسـية والنصرانية) · كما كشفوا عن آثار التشبيه المسيحى فى معتقدات الفرق الاسلامية المشبهة من غلاة الشيعة المرجئة مثل : فروع (الرافضـة) و (الشيطانية) و (البنانية) و (المغيرية) و (اليونسية) و (العبيدية) و (الكرامية) وغيرهم وكيف وصل بهم التشبيه الى القول بأن الله (جسم لا كالأجسام ، وهو مركب من لحم ودم لا كاللحوم والدماء وله الأعضاء والجوارح وتجوز عليه الملامسة والمصافحة والمعانقة للمخلصين) وأنه (جسم ذو هيئة وصـورة يتحرك ويسكن ويزول وينتقل الى آخر هذه التصورات المرتكزة الى التجسيد والتشبيه والتجسيم) ··

كما هاجموا تشبيه اليهود أيضا ، وأكثر اليهود مشبهة كما يقول الفخر الرازى • وفى معارضة هذه الأديان والفرق جميعا قدم المعتزلة تصورهم التنزيهى والتجريدى عن الذات الالهية وهو التصور الذى ارتكز على رفض كل ما يوهم تعدد القديم أو مماثلة القديم لأى محدث من المحدثات ، فقالوا بوحدة الذات والصفات ورفضوا امكانية رؤية الله فى الدنيا أو الآخرة ، لأنها تستلزم التحيز والمكان والجهة وهى أشياء وحالات حكموا باستحالتها وانتفائها بالنسبة لله ، كما كان قولهم بخلق القرآن ثمرة لرفضهم قدم الكلمة التى أدت الى شبهة قدم المسيح ثم التشبيه والتجسيد المسيحى •

الثالث : الوعد والوعيد ••• وفى مبحث المعتزلة هذا رفضوا فكر المرجئة الذين فصلوا ما بين الايمان والعمل ، فقال المعتزلة : ان الوعد يعنى ان من أطاع الله دخل الجنة وأن وعد الله بذلك صدق لا يمكن أن يتخلف عن الورع ، لأن (حقيقة الوعد : كل خبر يتضمن وصول نفع الى الموعود سواء كان على طريق الاستحقاق أو على طريق التفضل ، فالله قد وعد المطيع بالثواب الذى يستحقه ، ووعده زيادة على المستحق بطريق التفضل) • أما الوعيد فانه يعنى أن من عصى الله دخل النار وخلد فيها أبدا اذا كانت ذنوبه كبائر لم يتب منها قبل مماته ، وهذا الوعيد صدق لن يتخلف وقوعه أبدا اذ الوعيد (هو الخبر المشتمل على وصول ضرر إلى المتوعد ، والغرض منه ما قد ورد عن الله فى معنى العصاة ، ولا يتوعد جل وعز الا بالمستحق لأنه اذا خرج عن المستحق دخل فى حد الظلم) • وكما ينطبق الوعيد على الكفار ينطبق كذلك على (الفسقة) مرتكبى الكبائر من المسلمين (وذلك لأن آيات الوعيد هى واردة بلفظة تتناول الفسقة كتناولها للكفرة) • ولقد رتب المعتزلة على هذا الأصل انكار نفع (الشفاعة) من الرسول أو غيره يوم القيامة لأحد من (الفسقة) وقصروا امكان حدوث هذه (الشفاعة) (للمؤمنين) دون (الفسقة) وقالوا ان (الذى عندنا أن هذه الشفاعة تثبت للمؤمنين دون الفاسقين) ومن ثم فانها لاتفيد الاخراج من النار الى الجنة ، وانما يقتصر أثرها على رفـــع درجـات المؤمنين فى النعيم ••

٤ ـ **المنزلة بين المنزلتين** : وأصل المنزلة بين المنزلتين هو الذى جاء به واصل بن عطاء فأحدث ذلك الانشقاق فى صفوف القائلين بالعدل والتوحيد ، فنشأت المعتزلة كفرقة مستقلة هى أخص من القائلين بالعدل والتوحيد ، ويعنى هذا الأصل ، أن مرتكب الكبيرة الذى أجمع الخوارج والمرجئة وأهل العدل على تسميته (بفاسق) ثم اختلفوا بعد ذلك ، فقال الخوارج هو فاسق كافر ، وقالت المرجئة : هو فاسق مؤمن ، وقال أصحاب

الحسن البصرى : هو فاسق منافق ، يعنى أصل المنزلة بين المنزلتين عند واصل والمعتزلة الأخذ بما اتفق عليه الجميع من أن مرتكب الكبيرة فاسق ، ورفض ما عدا ذلك من الآراء المختلف فيها وعليها ، ثم الحكم بأن هذا الفاسق هو فى منزلة وسط بين منزلتى (الكفر) و (الايمان) لمباينته درجات الكفار وأحكامهم ودرجات المؤمنين وصفاتهم ، وأنه بعد ذلك مخلد فى النار وان يكن فى درجة من العذاب دون درجة المشركين ، ولقد أخطأ البغدادى عندما قال ان النزاع الذى دار حول مرتكب الكبيرة كان بصدد تقييم أطراف النزاع على السلطة زمن على بن أبى طالب · يقول البغدادى : (ثم ان واصلا فارق السلف ببدعة ثالثة ، وذلك أنه وجـــد أهل عصره مختلفين فى (على) وأصحابه وفى طلحة والزبير وعائشة وسائر أصحاب الجمل ، فزعمت الخوارج أن طلحة والزبير وعائشة وأتباعهم يوم الجمل كفروا بقتالهم عليا ، وأن عليا كان على الحق فى قتال أصحاب الجمل وفى قتال أصحاب معاوية فى صفين الى وقت التحكيم ، ثم كفر بالتحكيم. وكان أهل السنة والجماعة يقولون بصحة اسلام الفريقين فى حرب الجمل وأن عليا كان على الحق وأصحاب الجمل كانوا عصاة مخطئين ، ولم يكن خطؤهم كفرا ولا فسقا فخرج واصل عن قول الفريقين ·· الخ) أخطأ البغدادى فى قوله هذا لأن القضية التى أدت الى نشأة أصل المنزلة بين المنزلتين لم تكن المجادلة حول تقييم تلك الأحداث وأطرافها وانما كان الأمر متعلقا بالحكم على ايمان بنى أمية الذين فشت مظالمهم وأصبح الجميع شبه متفقين على أنهم من مرتكبى الكبائر وعلى أنهم (فسقة) ونشأ الخلاف على ما يأتى بعد الحكم (بالفسق) الذى اتفقوا عليه ، وكان ذلك أواخر الدولة الأموية عندما اشتدت ثورات الخوارج والازارقة فطرحت هذه القضية بالحاح على دوائر الفكر الاسلامى ، ويقطع بصحة ما نقول ان (النموذج) الذى كان يدور الجدل حول (ايمانه) كانت الأطراف كلها قد اتفقت على (فسقه وفجوره) ولم تتفق الأطراف جميعها أبدا على فسق وفجور أصحاب الجمل أو (على) أو معاوية وأهل الشام ، والخياط يفصل الحديث عن نشأة هذا الأصل فيقول : (ان الخوارج وأصحاب الحسن البصرى كلهم مجمعون والمرجئة على أن صاحب الكبيرة فاسق فاجر ، ثم تفردت الخوارج وحدها فقالت : هو مع فسقه وفجوره كافر ، وقالت المرجئة وحدها : هو مع فسقه وفجوره مؤمن ، وقال الحسن ومن تابعه هو مع فسقه وفجوره منافق ، فقال لهم واصل : قد أجمعتم أن سميتم صـــاحب الكبيرة بالفسق والفجور فهو اسم له صحيح باجماعكم ، وقد نطق القرآن به فى آية القاذف وغيرها من الآيات ، فوجب تسميته به ، وما تفرد به كل فريق منكم من الأسماء فدعوة لاتقبل منه الا بينة من كتاب الله أو سنة نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ · ثم قال واصل للخوارج : وجدت أحكام الكفار المجمع عليها المنصوصة فى

القرآن كلها زائلة عن صاحب الكبيرة ، فوجب زوال اسم الكفر عنه بزوال حكمه • ثم قد جاءت السنة المجتمع عليها أن أهل الكفر لا يوارثون ولا يدفنون فى مقابر أهل القبلة ، وليس يفعل ذلك فى صاحب الكبيرة ، وحكم الله فى المنافق : أنه ان ستر نفاقه فلم يعلم به ، وكان ظاهره الاسلام فهو عندنا مسلم ، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، وان أظهر كفره استتيب ، فان تاب والا قتل ، وهذا الحكم زائل عن صاحب الكبيرة وحكم الله فى المؤمن : الولاية والمحبة والوعد بالجنة • وحكم الله فى صاحب الكبيرة فى كتابه أن لعنه وبرىء منه وأعد له عذابا عظيما ، فوجب أن يكون صاحب الكبيرة ليس بمؤمن بزوال أحكام الايمان عنه فى كتاب الله ، ووجب أنه ليس بكافر بزوال أحكام الكفر عنه ، ووجب أنه ليس بمنافق لزوال أحكام المنافقين عنه فى سنة رسول الله (ﷺ) ووجب أنه فاسق فاجر لاجماع الأمة على تسميته بذلك وبتسمية الله له به فى كتابه) •

تلك هى مناسبة ظهور هذا الأصل من أصول المعتزلة ، وهو عندهم من المسائل الشرعية التى لا مجال للعقل فيها لأنه (كلام فى مقادير الثواب والعقاب ، وهذا لا يعلم عقلا) وكانوا يطلقون عليه اسم (الأسماء والأحكام) أحيانا لدورانه حول أسماء مرتكبى الكبائر وأحكامهم •

فهو أصل من أصول المعتزلة الفكرية ذات الطابع السياسى والطابع السياسى العام على وجه التحديد لأنه نشأ كموقف (فكرى ـ سياسى) فى صراع سياسى كان محتدما يومئذ ضد الأمويين ، ولم يكن مجرد موقف من الانسان العادى الذى يرتكب ذنبا من الذنوب الكبائر ثم يموت دون أن يتوب منه الى الله تعالى ، كما كان هذا الأصل هو أحد ما لقب المعتزلة بسببه بالاعتزال •

٥ ـ **الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر** : لا خلاف بين فرق الاسلام جميعها فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر • لأن القرآن يقول : « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** » ويقول : **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** » ولأن الرسول (ﷺ) يقول : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » •

ولكن الخلاف وقع حول وسيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وبالذات في استخدام القوة والثورة والخروج المسلح للأمر بالمعروف

والنهى عن المنكر ، كما وقع فى بعض الجزئيات والتفاصيل ، فأصحاب الحديث انفردوا وحدهم دون فرق الاسلام بتحريم السيف وانكار الخروج المسلح على أئمة الجور وظلمة الحكام ، وقالوا : (ان السيف باطل ولو قتلت الرجال وسبيت الذرية ، وان الامام قد يكون عادلا ويكون غير عادل ، وليس لنا ازالته وان كان فاسقا ، وأنكروا الخروج على السلطان ولم يروه) • والشيعة الامامية قيدوا جواز استخدام السيف بحالة قيام الامام (فاذا خرج الناطق وجب سل السيوف حينئذ معه) أما قبل خروجه فلا تسل السيوف •

وبعض أهل السنة ـ وخاصة الصحابة الذين اعتزلوا صراع (على) وخصومه واتخذوا من ذلك الصراع موقفهم السلبى المعروف ـ ومنهم سعد بن أبى وقاص ، وأسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمرو ومحمد ابن مسلمة •• الخ • وتبعهم من أهل الحديث أحمد بن حنبل وجماعة من أتباعه يقولون ان وسيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هى القلب فقط ، أو باللسان ان قدر على ذلك ، وينكرون أن يكون ذلك باليد فضلا عن السيف •

أما جميع المعتزلة والخوارج والزيدية وطوائف من أهل السنة فانهم يوجبون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالوسائل الثلاث : السيف واليد فالقلب الذى هو أضعف الايمان ، واستدلوا على جواز الخروج بالسيف بقوله الله سبحانه « **وتعاونوا على البر والتقوى** » وقوله : « **لاينال عهدى الظالمين** » والمعتزلة البغداديون يلتمسون فى كلام الامام على الأدلة على وجوب الخروج بالسيف على أئمة الجور ، بعد القرآن والسنة خاصة قوله : « أيها المؤمنون من رأى عدوانا ومنكرا يدعى اليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرىء ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر ، وهو أفضل من صاحبه ، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الظالمين هى السفلى ، فذلك الذى أصاب سبيل الهدى ، وقام على الطريق ، ونور فى قلبه اليقين » وكذلك قوله يتحدث عن أصناف الناس فمنهم ، المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة ، ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذى ضيع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة ، ومنهم تارك الانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الاحياء ، فما أعمال البر كلها والجهاد فى سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الا كنفثة فى بحر لجى ، وأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق ، وأفضل من ذلك كله كلمة عدل عند امام جائر) •

والمعتزلة يرون فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (أصلا عظيما من أصول الدين) ويرجعون اليه والى الوفاء بحقه كل الجوانب الثورية التى نهضت بها فى الصراع السياسى والاجتماعى مختلف فرق الاسلام حتى من غير المعتزلة ، فهم لا يعيبون خروج الخوارج وتجريدهم للسيف ـ فيما عدا الشبهة التى عابوها عليهم فى (على) والتحكيم ـ لأنهم قد (خرجوا على السلطان متمسكين بالدين وشعار الاسلام مجتهدين فى العبادة خرجوا لما غلب على ظنونهم أو علموا جور الولاة وظلمهم وأن أحكام الشريعة قد غيرت وحكم بما لم يحكم به الله) • كما يرجعون الى أصل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (تبنى الاسماعيلية قتل الولاة غيلة) • كما يرونه الدافع للزاهدين الى الانكار على الأمراء والخلفاء بالكلام الغليظ بعد أن عجزوا عن الانكار باليد ، ثم يخلصون كما خلص الامام الى قولهم : (وبالجملة فهو أصل شريف أشرف من جميع أبواب البر والعبادة) • وعندهم أن الهدف المبتغي من تطبيق هذا الأصل من أصولهم الفكرية (هو ألا يضيع المعروف ، ولا يقع المنكر) أى أن تظل معالم الحق والهدى بينة يهتدى بها الناس ، وأن يختفى المنكر من حياة الناس ومجتمعاتهم ، فاذا تحققت هذه الغاية برىء الناس من تبعة وجوب هذا الأصل ، فهو واجب على الكفاية ومن فروضها ، ومعلوم أن فروض الكفاية أكثر أهمية وأشد تأكيدا من فروض الأعيان لأن تخلف قيام فرض العين يأثم به من أهمل فيه ، أما تخلف قيام فرض الكفاية فالذى يأثم به الأمة جمعاء ، وهو بعد اتفاقهم على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يختلفون فى طريق العلم بهذا الوجوب أهو العقل ؟ أم السمع ؟ فأبو على الجبائى يرى أنه يعلم بالعقل والسمع معا فى كل الحالات ، أما ابنه أبو هاشم فيرى أن السمع هو طريق العلم به الا فى حالة واحدة هى التى ينضم فيها طريق العقل الى طريق السمع ، وهى تلك التى يرى الانسان فيها ظلما يقع على غيره ، فتحرك رؤية هذا الظلم فى قلب الرائى المضض والامتعاض ، عند ذلك يجب النهى عن المنكر عقلا كما وجب عن طريق السمع أيضا •

واذا كان الأمر بالمعروف ، كأصل عام هو واجب فان الأمر يختلف عندما ندخل فى التفاصيل ، ذلك أن الوجوب المتقدم هو بمعنى أنه مطلوب ومدعو الى النهوض به قبل الشارع ، أما اذا انتقلنا الى حكمه من حيث هو فرض أو سنة أو مندوب فان بعض المعتزلة يرون اختلاف درجته باختلاف الأمر الذى نحن بصدد الأمر به ، فالأمر بالشىء الواجب واجب ، والأمر بالقيام بالسنة سنة ، والأمر بأداء المندوب مندوب ، أما النهى عن المنكر فهو واجب أى فرض فى كل الحالات وبصرف النظر عن نوع المنكر

ودرجته في التحريم بين المحرمات ، وهذا التفصيل وتلك التفرقة اضافة من أبي الجبائي وافقه عليها القاضي عبد الجبار ، أما من سبقهم من المعتزلة فانهم قد أوجبوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون تفرقة ولا تمييز بين الأفعال المأمور بها ، وبصرف النظر عن حكمها واجبة كانت أم سنة أم مندوبا اليها • وفيما يتعلق بالمنكر الذى يجب النهي عنه فهو اما أن يقع على مثلا أو يقع لغيرى من الناس ، فان وقع على منكر طفيف لا يعتد به كأن غصبني شخص ما دراهم معدودة والحال أن لى ثروة طائلة فان لى أن أتجاوز عن النهي عن هذا المنكر ، ووجوب النهي عن المنكر في هذه الحالة وان كان قائما (شرعا) فهو غير قائم (عقلا) لانتفاء الاضرار الحقيقى بتفاهة الدراهم المعدودة قياسا الى الثروة الطائلة • أما اذا كان المنكر الذى وقع على (مما يقع به الاعتداد) ويحدث به التضرر كاغتصاب الدراهم من الفقير و (شرعا) هذا فيما يتعلق بالمنكر اذا وقع على ، أما اذا وقع المنكر المعسر فان النهي عن المنكر الذى وقع لى في وصف الحالة يجب على عقلا على الغير فان أبا الجبائي يوجب النهي عنه عقلا وشرعا في كل حالاته ويختلف معه ابنه أبو هاشم فيرى الوجوب شرعا الا اذا كان المنكر من البشاعة بحيث يبعث على الامتعاض والمضض ، عند ذلك يكون العقل والشرع معا متضافرين في وجوب النهي عن وقوعه •

وكذلك ميزوا بين المنكر الذى يلحق ضرره بالغير ، وذلك الذى تقتصر اضراره على الذات ، من جواز تغير الموقف منه بحدوث الاكراه عليه ، فاذا أكره الانسان على فعل منكر لا يتعدى ضرره ذاته ، كأن يكره على أكل الميتة أو شرب الخمر أو التلفظ بكلمة الكفر جاز الخضوع للاكراه ، أما اذا أجبر على فعل منكر يتعدى ضرره الى الغير كالقتل أو القذف مما لا يمكن تدارك آثاره ، فلا يجوز له الخضوع للاكراه ، أما اذا أكره على اغتصاب مال الغير وهو أمر يمكن فيه الضمان والتعويض بعد زوال الاكراه ، فيجوز له الخضوع للاكراه مع الضمان للمال المغصوب ، وهناك اختلاف بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حالة أخرى ذلك أن المطلوب في الأمر بالمعروف هو الأمر به فقط ، وليس مطلوبا حمل الغير على الامتثال لهذا الأمر ، فالواجب هو الأمر باقامة الصلاة لا حمل تاركها على القيام بها ، أما المنكر فان الواجب هو النهي عنه وحمل فاعله على الانتهاء عنه باللسان ثم اليد ثم السيف حسب مقتضيات الاحوال •

ولقد عرض المعتزلة لرأى الذين قالوا ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من سلطات الإمام لا الأفراد ، وان ذلك موقوف عليه متوقف

على وجوده ، فانكروا هذا الرأى • (لأن الدلالة التى دلت على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من الكتاب والسنة والاجماع لم تفصل بين أن يكون هناك امام وبين ألا يكون) ثم فصلوا الأمر فى مثل تلك الحالة فقالوا (ان القضيه لا تتعلق بوجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أو تخلف هذا الوجوب وانما تتعلق بأن هناك أمورا يختص بها الامام وأخرى تجب على عامة الناس فمثلا : اقامة الحدود والدفاع عن الدولة وثغورها وحفظ بيضة الاسلام وتجييش الجيوش وتسييرها وتنصيب القضاة والأمراء ومثلها من الأمور العامة التى تجل عن سلطان الأفراد قدراتهم هى من متعلقات الامام وواجباته ، أما الأمور التى يستطيع فيها الفرد أن يكون مؤثرا مثل النهى عن الخمر والزنا والسرقة وغيرها مما ماثلها فان القيام بها واجب على الجميع ، وان كان الرجوع الى الامام والدولة هو الأولى فى كل الحالات) ولقد فصل المعتزلة فى حالات مرتكب المنكر فهناك منكر يرتكبه فرد أو أفراد متفرقون لا تضمهم رابطة قامت لفعل هذا المنكر ، ولا يجمعهم حزب قد تألف لهذا الغرض والنهى عن هذا المنكر واجب على كل من شاهده من فاعليه أو سمعه من قائليه ، أما اذا كانت هناك عصبة قد تألفت وتحزبت لفعل هذا المنكر فان أبا بكر الأصم (من الطبقة السادسة) هو وحده من بين المعتزلة الذى يشترط ان يقود أمام عدل مهمة الانكار على هذه العصبة المتحزبة ، على حين يقول غيره من المعتزلة ان انكار المنكر هنا والنهى عنه واجب سواء وجد الامام أم لم يوجد ، فموقف الاصم هنا يلتقى مع موقف الشيعة الذين يرون الأحجام عن الانكار بالقوة على فعلة المنكر الا اذا ظهر أمامهم المنتظر •

أما موقف أصحاب الحديث فهو أن (الأولى بالانسان أن يكون كافا ممسكا وملازما لبيته وادعا غيره نكر ولا مستقر) •

وأخيرا فان وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مقيد عند المعتزلة ومرهون بتوافر الشروط التى تجعل هذا الأمر وذلك النهى مثمرا مخافة أن يأتى الأمر والنهى بضد المطلوب • وهذه الشروط هى :

أولا : أن نعلم أن ما نأمر به هو من (المعروف) وما ننهى عنه هو (المنكر) ولا يكفى فى ذلك غلبة الظن اذ لابد من بلوغ درجة العلم بقيام (المنكر) فيجب النهى عنه •

ثانيا : ان يكون (المنكر) الذى يجب النهى عنه (قائما مشاهدا) كأن نرى الخمر أو أدواتهـا مثلا • وحكموا بأن غلبة الظن تقوم مقام العـلم •

ثالثا : ان نعلم أن نهينا عن (المنكر) لن يؤدى الى حدوث (منكر) أشد من المنهى عنه ، فلا يصح أن ننهى عن (منكر) مثل شرب الخمر اذا علمنا أو غلب على ظننا أن هذا النهى سيؤدى الى قتل أو فساد أشد من شرب الخمر • عندئذ لا يجب النهى ولا يحسن •

رابعا : أن نعلم أن نهينا سيحدث تأثيرا ايجابيا وأنه لن يذهب عبثا أدراج الرياح أو على الأقل بعض المعتزلة يحسن النهى لانه بمنزلة استدعاء الغير للدين ، وقال آخرون لا يحسن لأنه عبث •

خامسا : أن نعلم أو يغلب ظننا أن النهى عن المنكر لن يؤدى الى وقوع ضرر فى المال أو النفس للناهين عن المنكر ، والضرر المعتبر هنا يختلف باختلاف قدرات الناس وحالاتهم ومنازلهم فالشتم والضرب قد يكون ضررا بالنسبة للبعض يبرر له الامتناع عن التعرض للنهى عن المنكر وقد لا يكون ضررا بالنسبة للآخرين ، واذا انتفى الوجوب اتقاء للضرر فانه يحسن النهى عن المنكر خاصـة اذا علم أن وقوع الضرر على النهى عن المنكر مما يزيد فى اعزاز الدين بابراز النماذج التى تضحى فى سبيل اقامة شرعيتـه •

وفى الحالات التى ينتفى فيها وجوب النهى عن المنكر لفقدان الشروط الواجب توافرها فان اظهار الكراهية والرفض للمنكر وأهله هو واجب على الجميع ، وخاصة على من يتوهم منه الرضا بالمنكر ، أما من لا يتوهم منه ذلك فان انكاره ورفضـه معلومة حتى دون اظهار واعلان • وحتى نفهم قصد المعتزلة من وراء اشتراط هذه الشروط لابد أن نعى أنهم قد استهدفوا بها ضمان تحقيق الغرض المنشود من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فهم مثلا مع سل السيف ضد الامام الجائر ، ويوردون فى هذا الباب الحديث الذى رواه حذيفة : (قلت : يا رسول الله أيكون بعد الخير الذى أعطينا شر كما كان قبله ؟ قال : نعم قلت فيمن نعتصم ؟ قال : بالسيف) ومع ذلك يشترطون للثورة على أئمة الجور أن يكون الثوار جماعة يقودها امام والنصر محتمل بالنسـبة لثورتها ، فقالوا : (اذا كنا جماعة وكان الغالب عندنا أنا نكفى مخالفينا عقـدنا للامام ونهضنا فقتلنا السلطان وأزلناه وأخذنا الناس بالانقياد لقولنا) فهى شروط تمثل الضمانات الضرورية كى يؤتى الأمر والنهى ثمرته ، وحتى

تتميز الثورة عن الفوضى والتمردات • وذلك هو الأصل الخامس من اصول المعتزلة الفكرية • وهى الاصول التى كونت نظرية هذه الفرقة بشرت بها وحاولت وضعها موضع التطبيق • ولقد كان وراء النشاط الفكرى والعملى الذى قام به المعتزلة تنظيم اقاموه لجماعتهم وفرقتهم فى طول البـــلاد وعرضها ، فكان أهم الاداة الفعالة فى بث فكرهم وتجميع الأنصار حول أصولهم الخمسة ، والسعى للوصول برجالاتهم الى مراكز التأثير فى الدولة ، بل واقامة دولة المعتزلة والاستئثار بامارة المؤمنين • حقيقة ليس هناك حتى الآن معلومات كافية لتقديم دراسة وافية عن هذا التنظيم ، ففى ضياع أغلب تراث المعتزلة ثغرة تحول دون الوصول الى هذه المعلومات ، وفى سرية هذا التنظيم بسبب ما تعرضت له الفرقة من اضطهاد ، ولكن هناك اشارات هامة الى أن واصل بن عطاء هو الذى نهض بمهمة قيادة بناء هذا التنظيم وأن هذا التنظيم قد امتدت ركائزه وميادين نشاطه من حدود الصين شرقا الى خلف بلاد البربر غربا •

٤ ـ الخـــوارج

نشأت الخوارج نشأة سياسية وظلوا رغم اختلافهم فى المكان الذى يعلنون منه الخروج ، وفى الزمان الذى يتم فيه الخروج ، وفى التباين ازاء بعض المسائل الفكرية بين تياراتهم ظلوا أوفياء ومجمعين على القضايا السياسية التى استدعت نشأة فرقتهم وأعطت هذه الفرقة ما يميزها عن سواها من فرق الاسلام •

ـ فهم مع امامة الصالح بصرف النظر عن نسبه ولونه •

ـ وهم مع الثورة المستمرة والخروج الدائم وتجريد السيف ضد أئمة الجور (وهو المبدأ الذى وافقهم فيه آخرون) •

ـ وهم فى تقييم التاريخ السياسى الاسلامى •• مع امامة أبى بكر وعمر ومع امامة عثمان قبل أن تحدث الأحداث فى السنوات الست الأخيرة من امارته ، ومع امامة (على) قبل التحكيم أما سنوات عثمان الأخيرة فانهم يبرأون منه فيها وأما بعد التحكيم فانهم يكفرونه : بعضهم يكفره كفر شرك وبعضهم يقول •• انه كفر نعمة فقط •

ـ وهم يبرأون من أصحاب الجمل وكذلك من معاوية وبنى أمية ومن والاهم •

ـ وهم مع الاختيار والبيعة كطريق لنصب الامام وضد فكر الشيعة في الوصية والنص ٠

ـ وهم يرون أن الامامة من الفروع وينكرون قول الشيعة أنها من أصول الدين فمصدرها عندهم ليس الكتاب ولا السنة وانما الرأى ٠

ـ وهم يرون أن مرتكبى الذنوب الكبيرة كافرون مخلدون في النار وكانوا يعنون بهم أساسا بنى أمية وولاتهم ونظامهم السياسى والعسكرى ٠ والعسكرى ٠

ـ وهم يقولون بالعدل والتوحيد والوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعموما فان للخوارج تقاليد اشتهرت عنهم في القتال ٠٠ وزهدا اتصفوا به فى الثروة فحررهم من قيود الحرص على الاقتناء وأعانهم على الانخراط فى الثورات والرحيل فى ركاب الجيوش الثائرة ، ونسكا وتقوى سجلها لهم حتى خصومهم من كتاب المقالات ٠ وصدقا وشجاعة طبعت سلوكهم وبرزت فى شعر شعرائهم فميزته عن شعر غيرهم الى حد كبير ٠

والذى يعنينا من أمرهم هنا هو ما يرتبط بموضوع الامامة الذى نبحث علاقته بنشأة الفرق الاسلامية وفى مقدمته ـ فيما يخص الخوارج ـ أمران :

أولهما : فلسفتهم فى اختيار الائمة الذين نصبوهم عليهم فى ثوراتهم والمجتمعات التى نجحوا فى اقامة سلطانهم عليها ٠

وثانيهما : الثورات الكبيرة والكثيرة وشبه المستمرة التى قاموا بها وعلاقتها بالصراع على السلطة ومنصب الامامة بالذات ٠

أما فلسفتهم فى الامامة فانها الأصل فى القواعد التى حكمت موقفهم منها ، وهى التى أشرنا اليها ٠ فهم يختارون من تتوافر فيه شروطها دون التقيد بالنسب أو الجنس أو اللون وهم يعزلونه اذا افتقدت فيه الشروط ٠ ولما كانت أغلب ثورات الخوارج قد قامت ضد بنى أمية التى تتركز فيها عصبية قريش فان صراع الخوارج كان ضد العصبية القرشية فى جانب كبير منه ولذلك لم يختاروا أميرا واحدا من القرشيين فمن أمرائهم وخلفائهم ، مثلا :

من الأزد .

* حوثرة بن وداع بن مسعود (٤١ هـ ـ ٦٦١ م) .. وهو من أســد .

* المستورد بن علفة بن سعد بن زيد بن مناة (٤٣ هـ ـ ٦٦٣ م) .. وهو من تيم الرباب .

* زحاف الطائى (٥٠ هـ ـ ٦٧٠ م) ... وهو من طيىء .

* قريب بن مرة (٥٠ هـ ـ ٦٧٠ م) .. وهو من الازد .

* حيان بن ظبيان السلمى (٥٩ هـ ـ ٦٧٨ م) .

* أبو بلال مرداس بن حدير بن عامر بن عبيد بن كعب الربعى الحنظلى (٦١ هـ ـ ٦٨٠ م) .. من تميم .

* نافع بن الأزرق بن قيس الحنفى (٦٥ هـ ـ ٦٨٥ م) .. وهو من بكر بن وائل .

* عبيد الله بن بشير بن الماخور السليطى اليربوعى (٦٥ هـ ـ ٦٨٥ م) .. وهو من تميم .

* الزبير بن على الســليطى (٦٨ هـ ـ ٦٨٧ م) .. وهو من تميــم .

* نجدة بن عامر الحنفى . (٣٦ ـ ٦٩ هـ ٦٥٦ ـ ٦٨٨ م) وهو من بكر بن وائل .

* ثابت التمار ـ الذى بويع له بعـد نجـدة بن عامر وهو من المــوالى .

* أبو فديك (٧٣ هـ ـ ٦٩٢ م) .

* أبو الضــحاك شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس الشــيبانى (٢٦ ـ ٧٧ هـ ـ ٦٤٧ ـ ٦٩٦ م) .

* أبو نعامة ــ واسمه (جعونة) ــ قطرى بن الفجاءة بن مازن ابن يزيد الكنانى المازنى (٧٨ هـ ــ ٦٩٧ م) وهو من تميم ·

* عبد ربه الصغير ــ الذى انشق على قطرى وبويع له بامرة المؤمنين ــ وهو أحد موالى قيس بن ثعلبة ·

* أبو سماك ، عمران بن حطان بن ظبيان السدوسى الشيبانى الوائلى (٨٤ هـ ــ ٧٠٣ م) ·

* عبد الله بن يحيى بن عمر بن الأسود (١٣٠ هـ ــ ٧٤٨ م) ·· وهو كندى ·

فهم جميعا ما بين عربى غير قرشى وما بين مولى من الموالى اشترك فى البيعه له بامارة المؤمنين العرب والموالى على حد سواء وهذه سابقة فى فلسفة الحكم لم يسبق لها مثيل فى المجتمع الاسلامى ولعلها التطبيق الاول لروح فلسفة الاسلام فى هذا المقام · أما فلسفتهم فى الحكم بمعنى العدل الذى خرجوا لاقامته بدلا من الجور الذى ثاروا عليه فان لهم فى الحديث عنه الخطب والأشعار المتناثرة الكثيرة فى كتب التاريخ وهذه الكلمات التى خطب بها أبو حمزة الشارى على منبر مسجد المدينة المنورة توجز معنى الجور الذى ثاروا ضده والعدل الذى طلبوه قال : « يا أهل المدينة سألناكم عن ولاتكم هؤلاء ــ ولاة بنى أمية ــ فأسأتم القول فيهم وسألناكم : هل يقتلون بالظن ؟ فقلتم : نعم · وسألناكم : هل يستحلون المال الحرام والفرج الحرام ؟ فقلتم نعم فقلنا لكم : تعالوا نحن وأنتم نناشدهم فان نظهر نحن وأنتم يأت من يقيم لنا كتاب الله وسنة نبيه ويعدل فى أحكامكم ويحملكم على سنة نبيكم فأبيتم وقاتلتمونا فقاتلناكم وقتلناكم مررت بكم فى زمن هشام بن عبد الملك وقد أصابتكم عاهة فى ثماركم فركبتم اليه تسألونه أن يضع خراجكم عنكم فكتب بوضعه عن قوم من ذوى اليسار منكم فزاد الغنى غنى والفقير فقرا وقلتم : جزاه الله خيرا فلا جزاه خيرا ولا جزاكم ·· يا أهل المدينة الناس منا ونحن منهم الا مشركا عباد وثن أو كافرا من أهل الكتاب أو اماما جائرا ·· أخبرونى عن ثمانية أسهم فرضها الله فى كتابه على القوى والضعيف فجاء تاسع ليس له منها سهم فأخذها جميعها لنفسه مكابرا محاربا لربه فما تقولون فيه وفيمن أعانه على فعله ؟

أن بنى أمية قد أصابوا آمرة ضائعة وقوما طغاما جهالا لا يقومون لله بحق ولا يفرقون بين الضلالة والهدى ويرون أن بنى أمية أرباب لهم فملكوا الأمر وتسلطوا فيه تسلط ربوبية ، بطشهم بطش الجبابرة

يحكمون بالهوى ويقتلون على الغضب ويأخذون بالظن ويعطلون الحدود بالشفاعات ويؤمنون الخونة ويعصون ذوى الأمانة ويتناولون الصدقة من غير فرضها ويضعونها فى غير موضعها فتلك الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله فالعنوهم لعنهم الله ٠

وأما اخواننا من الشيعة وليسوا باخواننا فى الدين ولكن سمعت الله يقول : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) ٠٠ فانها فرقة تظاهرت بكتاب الله وآثرت الفرقة على الله لا يرجعون الى نظر نافذ فى القرآن ولا عقل بالغ فى الفقه ولا تفتيش عن حقيقة الثواب قد قلدوا أمورهم وأهواءهم وجعلوا دينهم العصبية لحزب لزموه وأطاعوه فى جميع ما يقوله لهم غيا كان أو رشدا ضلالة كان أو هدى ينتظرون الدولة فى رجعة الموتى ويؤمنون بالبعث قبل الساعة ويدعون علم الغيب لمخلوقين لا يعلم أحدهم ما فى بيته بل لا يعلم ما ينطوى عليه ثوبه أو يحويه جسمه ينقمون المعاصى على أهلها ويعلمون بها ولا يعلمون المخرج منها جفاة فى دينهم قليلة عقولهم قد قلدوا أهل البيت من العرب دينهم وزعموا أن موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة وتنجيهم من عقاب الأعمال السيئة قاتلهم الله أنى يؤفكون » ٠٠ فهو :

أولا : يعلن أن بنى أمية قد تولوا السلطة اغتصابا ودون استحقاق وان جورهم قد عطل الحدود وأضر بالرعية حتى أغنى الغنى وأفقر الفقير ٠

ثانيا : يعلن وجوب الخروج بالسيف على هذه السلطة الجائرة لازالتها ثم يرد الى الناس أمرهم يختارون بالشورى أمامهم بأنفسهم ولأنفسهم ٠

ثالثا : يعلن أن الخوارج يبغون وحدة الأمة فى هذا الصراع فهم (من الأمة والأمة منهم) لا يستثنى من الناس الا المشرك وأهل الكتاب والامام الجائر ٠

رابعا : يعلن رفض القعود ويهاجم القعدة الذين يئنون تحت النير الأموى دون أن يخرجوا عليه ويقاوموه ٠

خامسا : يهاجم فرقة الشيعة ـ بعد أن هاجم الفرقة الأموية الحاكمة ـ لأنها تخلت عن مقاومة السلطة والخروج عليها وتدينت

بالتعصب لآل البيت واتخذت من حبهم عبادة ترجو القربة بها وابتدعت عقائد الرجعة وعلم الأئمة للغيب وغيرهما من العقائد الغريبة عن الاسلام .

والى جانب هذه الأفكار والمبـــادىء التى طرحتها فلسفة الخوارج السياسية كانت آراؤهم فى مرتكب الكبيرة (وهى آراء سياسية عنوا بها) تكفير بني أمية ومن سلك سلوكهم في الجور والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وامامة غير القرشي والبراءة من عثمان بعد الأحداث ومن (علي) بعد التحكيم ومن أصحاب الجمل وصفين .. كانت هذه الآراء السياســية عناصر مذهب وفلسفة في الحكم أثارت الجدل الفكرى والصراع السياسى الذى بلور فرق الاسلام الأولى فى القرن الأول الهجرى ، وبالذات تلك الفرق التى نشأت نشأة سياسية وفى مقدمتها : الشيعة . والمرجئة . والمعتزلة . أما الثورة والخروج كطريق سلكه الخوارج لتسود أفكارهم فان فرقة من فرق الاسلام لم تسلك هذا الطريق كما سلكوه حتى لقد أصبحت ثوراتهم وانتفاضاتهم أشبه بالثورة المستمرة فى الزمان والمنتشرة فى المكان ضد الأمويين بل وضد علي بن أبى طالب قبل سنة ٤٠ هـ .

فنتيجة التحكيم بين علي ومعاوية قد ظهرت في رمضان سنة ٣٧ هـ وفى شوال بايع الخوارج لأول أمرائهم : عبد الله بن وهب الراسبى الذى قادهم فى حرب النهروان فى صفر سنة ٣٨ هـ ضد جيش علي بن أبي طالب . وبعد هزيمة الخوارج . فى النهروان بشهرين تجددت ثورتهم فقاتلوا جيش علي ثانية فى (الدسكرة) فى ربيع الثانى سنة ٣٨ هـ وكان قائدهم فى (الدسكرة) أشرس بن عوف الشيبانى . وفى الشهر التالى لهزيمة (الدسكرة) تجددت ثورتهم بقيادة هلال بن علفة وأخيه مجالد فقاتلوا جيش علي مرة ثالثة عند (ماسبذان) فى جمادى الأولى سنة ٣٨ هـ وبعد هزيمة (ماسبذان) قادهم الأشهب بن بشر البجلى فى خروج آخر فى نفس العـــام ٣٨ هـ فحاربوا فى (جرجرايا) على نهـــر دجـــلة . وفى رمضان سنة ٣٨ هـ زحفوا بقيادة ــ أبو مريم ــ من بنى سعد تميم الى أبواب الكوفة فحاربوا جيش علي وهزموا هناك وبعد مقتل علي وتنازل الحسن لمعاوية بدأت حرب الخوارج لأهل الشـــام ولقد كادوا يهزمون جيش معاوية فى أول لقاء لهم به لولا أن استعان عليهم بأهل الكوفة وفى سنة ٤١ هـ قادهم ــ ابن غالب التميمى والخطيم الباهلي ــ تمردا ضد الأمويين ــ استمر حتى قضى عليه زياد بن أبيه قرب البصرة سنة ٤٦ هـ وفى أول شعبان سنة ٤٣ هـ قاتل الخوارج بقيادة أميرهم ــ المستورد ابن علفة ــ جيش معاوية وكانت الكوفة يومئذ يتولاها المغيرة بن شعبة . وفى سنة ٥٠ هـ ثار بالبصرة جماعة منهم بقيادة قريب الازدى وفى سنة

٥٨ هـ ثار الخوارج من بني عبد القيس فذبحوا من قبل جيش عبيد الله ابن زياد • وفي سنة ٥٩ هـ ثاروا بقيادة ـ حيان بن ظبيان السلمي ـ وقاتلوا حتى قتلوا جميعا عند (بانفيا) قرب الكوفة وفى سنة ٦١ هـ كانت المعركة التى قتل فيها أبو بلال مرداس بن أدية الذى خرج بالأهواز على عهد والى البصرة عبيد الله بن زياد وكان مقتله وقـودا زاد من ثورات الخوارج وكثر من أنصارهم ثم خرجوا بالبصرة بقيادة ـ عروة بن ادية ـ وهو أخو بلال بن أدية ••• ثم خرجوا بالبصرة كذلك بقيادة ـ عبيد بن أدية ـ ثم خرجوا بالبصرة كذلك بقيـادة ـ عبيد بن هلال ـ وفى آخر شوال سنة ٦٤ هـ بدأت ثورة الازارقة بقيادة ـ نافع بن الأزرق ـ وهى الثورة التى بدأت بكسر أبواب سجون البصرة ثم خرجوا يريدون الاهواز وفى سنة ٦٥ هـ ثاروا باليمامة بقيادة ـ أبو طالوت ـ وفى شوال سنة ٦٦ هـ حاربوا جيش المهلب بن أبى صفرة شرقى نهر دجيل وفى سنة ٦٧ هـ قاد ثورتهم ـ نجدة بن عامر ـ فاستولوا على أجزاء من اليمن وحضرموت والبحرين وفى أوائل سنة ٦٨ هـ قادهم ـ الزبير بن على السليطى ـ فى حربهم ضد جيش مصعب بن الزبير عند سابور واصطخر ثم البصرة • وفى نهاية سنة ٦٨ هـ ثار الخوارج الأزارقة وهاجموا الكوفة وفى سنة ٦٩ هـ استولوا على نواح من أصفهان وبقيت تحت سلطانهم وقتا طويلا وفى سنة ٦٩ هـ ثار الخوارج فى الاهواز بقيادة ـ قطرى بن الفجاءة ـ وفى آخر شعبان سنة ٧٥ هـ حاربوا المهلب بن أبى صفرة ولما هزمهم انسحبوا الى فارس وفى سنة ٧٦ هـ قاد ثورتهم فى (دارا) الناسك صالح بن مسرح ـ وقاتلوا فى قرية (المدبج) من أرض الموصل وفى سنة ٧٦ هـ وسنة ٧٧ هـ تمكنوا بقيادة شبيب بن يزيد بن نعيم ـ من ايقاع عدة هزائم بجيوش الحجاج بن يوسف • ثم تكررت ثورتهم بقيادة ـ شوذب ـ وحاربوا فى الكوفة ـ على عهد يزيد الثانى • وفى عهد هشام الثانى ثاروا وحاربوا فى الموصل بقيادة ـ بهلول بن بشر ـ ثم بقيادة ـ الصحارى بن شبيب ـ حيث حاربوا عند (مناذر) •

ولقد أدت هذه الثورات المتكررة شبه المتصـلة الى ضعف الدولة الأموية وتعدد الفرق والأحزاب المعارضـة كما أدت الى اتسـاع نطاق الثورة الخارجية بين الناس فلم تعد قاصرة على قلة من الناس يؤمنون بفكر هذه الفرقة يخرجون تطبيقا لهذا الفكر وانما شـاركت الجماهير الغفيرة فى هذه الثورات المسـلحة ففى سنة ١٢٧ هـ حارب فى جيش الخوارج الذى قاده ـ الضحاك بن قيس السيبانى ـ مائة وعشرون ألفا من المقاتلين وحاربت فى هذا الجيش نساء كثيرات ؟ وانتصر هذا الجيش على الأمويين بالكوفة فى رجب سنة ١٢٧ هـ وبواسـط فى شـعبان سنة ١٢٧ هـ •

وفى سنة ١٫٢٩ هـ ثاروا باليمن بقيادة — عبد الله بن يحيى الكندى — واستولى على حضرموت واليمن وصنعاء ، وأرسل عبد الله بن يحيى جيشا يقوده حمزة الشارى فدخل مكة وانتصر فى المدينة الى أن هزمه جيش أموى جاءه من الشام فى جمادى الأولى سنة ١٣٠ هـ ٠

وهذه الثورات الخارجية وان لم تنجح فى اقامة دولة يستمر حكم الخوارج فيها طويلا الا أنها قد أصابت الدولة الأموية بالاعياء حتى انهارت انهيارها السريع تحت ضربات ثورة العباسيين فى سنة ١٣٢ هـ ٠

واذا أردنا أن نعرف كم كلفت ثورات الخوارج بنى أمية كفانا أن نذكر أنهم لم يستطيعوا احراز النصر على الخوارج الا بقائدهم المهلب ابن أبى صفرة ولم يستطع المهلب أن يهزم الخوارج الا بعد أن أخذ الأرض وخراجها اقطاعا له ولجنده المحاربين ٠٠ ويروى المسعودى أنه (لما غلبت الخوارج على البصرة بعث اليهم عبد الملك جيشا فهزموه ، ثم بعث اليهم آخر فهزموه) ٠

فقال : للبصرة والخوارج ؟

فقيل له : ليس لهم الا المهلب بن أبى صفرة فبعث الى المهلب فقال : على أن لى خراجا ما اجليتهم عنه : فقـــال عبيد الملك : اذن تشركنى فى ملكى ٠

فقال المهلب فثلثاه ٠

فقال عبيد الملك : لا ٠

قال المهلب : فنصفه والله لا انقص منه شيئا على أن تمدنى بالرجال فاذا أخللت فلا حق لك على ٠

أى أن الدولة قد وضعت كل ما لديها فى خدمة الجيش والقائد الذى حاربهم فى العراق ومع ذلك فلقد ظلت شرارة ثورتهم المســتمرة تولد الانتفاضة أثر الأخرى كما ظلت فلسفتهم السياسية تشعل الجدل الذى أصبح وقودا يذكى نار الصراع على الســـلطة بين الفرق المعارضـــة وبين الأمويين ٠

٥ ـ الأشـــاعرة

اشتدت حملة المعتزلة على الفقهاء والمحدثين ، ولم يسلم من حملتهم فقيـه معروف أو محدث مشهور فكرههم الناس وصاحب ذكرهم البلاء والمحن وتأرثت العداوة ، حتى نسى الناس خيرهم ٠

حتى ظهر فى آخر القرن الثالث رجلان امتازا بصدق البلاء : أحدهما أبو الحسن الأشعرى ظهر بالبصرة ، والثانى أبو منصور الماتريدى ظهر بسمرقند ٠ وقد جمعهما مقاومة المعتزلة على اختلاف بينهما فى القرب من المعتزلة والبعد عنهم ٠

ولد الأشعرى بالبصرة سنة ٢٦٠ هـ وتوفى سنة ثلاثين وثلاثمائة ونيف بعد الهجرة ، وتخرج على المعتزلة فى علم الكلام وتتلمذ لشيخهم فى عصره أبى على الجبائى ، وكان لفصاحته ولسنه يتولى الجدل نائبا عن شيخه ٠

ولكن الأشعرى وجد من نفسه ما يبعده عن المعتزلة فى تفكيرهم مع أنه لم يغش مجالسهم ولم يدرس العقائد على طريقتهم ٠

وقد بين مذهبه ومأخذه على المعتزلة اجمالا فى مقدمة كتابه « الابانة » وقد جاء فيها بعد حمد الله والثناء عليه :

(أما بعد فان كثيرا من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم الى التقليد لرؤســائهم ، ومن مضى من أســلافهم فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل به سلطانا ، ولا أوضح به برهانا ولا نقلوه عن رسول رب العـــالمين ولا عن السلف المتقدمين ، فخالفوا رواية الصحابة عن نبى الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى رؤيته بالابصار ، وأنكروا شفاعة رســـول الله (ﷺ) وزعموا أن القرآن كقول البشر ، واثبتوا وأيقنوا أن العباد يخلقون الشر ، وزعموا أن الله عز وجل يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء ، خلافا لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شـاء الله كان ، وما لم يشــأ لم يكن وردا لقول الله تعـالى : « **وما تشاءون الا أن يشاء الله** » ولذا سماهم رسول الله (ﷺ) (مجوس هذه الأمة) لأنهم دانوا بديانات المجوس ، وضاهوا أقوالهم ٠ وزعموا أن للشر والخير خالقين كما زعمت المجوس ، وأنه يكون من الشر ما لا يشاء الله كما قالت المجوس ، وزعموا أنهم يملكون الضر والنفع لأنفســـهم ردا لقول الله تعالى : « **قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شـــاء الله** » وانحرافا عن القرآن وعما أجمع عليه المسلمون ٠ وزعموا أنهم ينفردون بالقدرة على أعمالهم دون

ربهم ، وأثبتوا لانفسهم غنى عن الله عز وجل ووصفوا أنفسهم بالقدرة على ما لم يصفوا الله بالقدرة عليه ، وحكموا على العصاة بالنار والخلود خلافا لقول الله تعالى : « **ويغفر ما دون ذلك لمن يشـــاء** » وزعموا أن من دخل النـــار لم يخرج منها ، خلافا لما جاءت به الرواية عن رســـول الله (ﷺ) : « أن الله عز وجل يخرج من النار قوما بعدما امتحشوا فيها ، وصاروا حمما » . ودفعوا أن يكون لله عز وجل وجه مع قوله تعالى : « **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام** » ..) .

وبهذا يتبين أنه جاء لاحياء آراء الامام أحمد فى نظره اذ يعتبر منهاجه هو منهاجه ، ولذا يقول فى منهاج الامام أحمد الذى اختـــاره : (وجملة قولنا أن تقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رســـول الله (ﷺ) لا نرد من ذلك شيئا وأن الله تعـــالى واحد أحد فرد صمد لا اله غيره ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وأن محمدا عبده ورسوله وأن الجنة حق والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، وأن الله استوى على عرشه ، كمـــا قال تعالى : « **الرحمن على العرش استوى** » . وأن له تعالى وجها كما قال تعالى : (**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام**) ، وأن له يدا كما قال تعالى : « **بل يداه مبسوطتان** » ، وأن له عينا بلا كيف كما قال تعالى : « **تجرى بأعيننا** » ، وأن لله علما كما قال تعالى : « **أنزله بعلمه** » ونثبت لله قوة كما قال تعالى : « **أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشـــد منهم قوة** » ونثبت لله السمع والبصر ، ولا ننفى ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية . ونقول ان كلامه غير مخلوق ، ولم يخلق شيئا الا وقد قال له كن فيكون ، وأن لا يكون فى الأرض شىء شر ولا خير الا ما شاء الله ، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله ، وأن أحدا لا يستطيع أن يفعل شيئا قبل أن يفعله الله ولا نستغنى عن الله ، ولا نقدر على الخروج من علم الله ، وأنه لا خالق الا الله ، وأن أعمال العباد مخلوقة لله ومقدرة كما قال تعالى : « **والله خلقكم وما تعملون** » وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئا وهم يخلقون ، كما قال تعالى : « **أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون** » .

ونقول ان القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال بخلق القرآن كان كافرا به ، وندين أن الله تعالى يرى بالابصـــــار يوم القيامة ، ونقول ان الامام بعد رســـول الله (ﷺ) ، أبو بكر رضى الله عنه وأن الله أعز به الدين ، وأظهره على المرتدين ثم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم عثمان نضر الله وجهه قتله قاتلوه ظلما وعدوانا ، ثم على بن أبى طالب ، فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله (ﷺ) وخلافتهم خلافة النبوة ونشـــهد للعشرة المبشرين بالجنة الذين شهد لهم رسول الله (ﷺ) ونتولى سائر

أصحاب رســول الله (ﷺ) ونكف عما شجر بينهم ، وندين لله وأن الأئمة الأربعة راشدون مهذبون فضلاء لا يوازيهم فى الفضل غيرهم) ٠

ومن عقــائدهم :

(أ) أنه يجوز أن تكون للصالحين آية ، وهى التى اصطلح العلماء على تسميتها باسم الكرامة تمييزا لها عن المعجزة ، وجواز الدعاء للميت والتصدق عليه ٠

(ب) أن يؤخذ بكل ما جاءت به السنة من عقائد لا فرق فى ذلك بين سنة متواترة وأخبار آحاد ٠

(جـ) أن لله وجهــا ، لا كوجه العبيد ، وأن لله يدا لا تشبه يد المخلوقات ٠

(د) أن الصفات وسط بين المعتزلة ومعهم الجهمية ، وبين الحشوية والمجسمية ، فالأولون نفوا الصفات التى وردت فى القرآن ، ولم يثبتوا الا الوجود والقدم والبقاء والوحدانية ، ونفوا السمع والبصر والكلام وغيرها من الأوصــاف الذاتية ، وقالوا : ليست شيئا غير الذات ، وقالوا انهــا فى القرآن أسماء لله تعـالى كالرحمن والرحيم – والحشــوية و «المجسمة» شبهوا ذاته تعالى فى أوصافها بصفات الحوادث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وجاء الأشعرى فأثبت الصفات التى وردت كلها فى القرآن والسنة ، وقرر أنها صفات تليق بذاته تعالى ، ولا تشبه صفات الحوادث التى تسمى باسمها ، فسمع الله تعالى ليس كسمع الحوادث ، وبصره ليس كبصرهم وكلامه ليس ككلامهم ٠

(هـ) ان قدرة الله تعالى وأفعال الانســان وســط بين الجبرية والمعتزلة ، فالمعتزلة قالوا ان العبد هو الذى يخلق أفعال نفسه بقوة أودعها الله تعالى اياه ، والجبرية قالوا ان الانســان لا يستطيع احداث شىء ولا كسب شىء بل هو كالريشة فى مهب الريح ، فقال الأشعرى ان الانسان لا يستطيع احداث شىء ولكن يقدر على الكسب ٠

(و) وبالنسبة لرؤية الله يوم القيامة ، قال المعتزلة : الله سبحانه وتعالى لا يرى ، وأولوا النصوص القرآنية ولم يأخذوا بالأحاديث النبوية لأنها أخبار آحاد ، وقال المشبهة : ان الله يرى يوم القيامة مكيفا محدودا ، وسلك الأشعرى مسلكا وسطا فقال : يرى من غير حلول ولا حدود ٠٠

(ز) وبالنسبة للألفاظ التي وردت موهمة للتشبيه في القرآن والحديث مثل (يد الله فوق أيديهم) قال المعتزلة : المراد سلطان الله تعالى فوقهم ، وقال الحشوية ، (أى العامة من المنتسبين للعلم) يده يد جارحة ، وقال الأشعرى يده يد تليق بذاته الكريمة ، وليست يد جارحة كأيدينا ، بل يده يد صفة كالسمع والبصر ٠

(ح) وبالنسبة للقرآن قال المعتزلة : القرآن مخلوق محدث خلقه الله تعالى ، وقال الحشوية الحروف المقطعة والأجسام التي يكتب عليها والألوان التي يكتب بها ، وما بين الدفتين غير مخلوق فسلك الأشعرى طريقا وسطا ، وقال : القرآن كلام الله غير مغير ولا مخلوق ولا حادث ولا مبتدع ٠

(ط) وبالنسبة لمرتكب الكبيرة قال المعتزلة : ان صاحب الكبيرة مع ايمانه وطاعته اذا لم يتب عن كبيرته لا يخرج من النار ، وقال المرجئة من غير أهل السنة : من أخلص لله سبحانه وتعالى وآمن به فلا تضره كبيرة مهما تكن ، فسلك الأشعرى طريقا وسطا ، المؤمن الموحد الفاسق هو فى مشيئة الله تعالى ان شاء الله عفا عنه وأدخله الجنة ، وان شاء عاقبه بفسقه ثم أدخله الجنة ٠

(ى) وبالنسبة للشفاعة قال الامامية ان للرسول شفاعة وللأئمة مثلها ، وقال المعتزلة : لا شفاعة لأحد من العباد ، فسلك الأشعرى مسلكا وسطا ، وقال ان للرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ شفاعة مقبولة فى المؤمنين المستحقين للعقوبة ، يشفع لهم بأمر الله واذنه ولا يشفع الا لمن ارتضى ، كسائر الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ٠

وقد سلك الأشعرى فى الاستدلال على العقائد مسلك النقل ومسلك العقل ، فهو يثبت ما جاء القرآن الكريم والحديث الشريف من أوصاف الله تعالى ورسله واليوم الآخر والملائكة والحساب والعقاب والثواب ويتجه الى الأدلة العقلية والبراهين المنطقية يستدل بها على صدق ما جاء فى القرآن والسنة عقلا بعد أن وجب التصديق بها كما هى نقلا ، فهو لا يتخذ من العقل حاكما على النصوص ليؤولها أو يمضى ظاهرها ، بل يتخذ العقل خادما لظواهر النصوص يؤيدها ٠

٦ ـ الصوفية

اشتقت تسمية التصوف من صفة المسجد وارتبطت هذه الصفة بعصور تاريخية متقدمة ثم ارتبطت بعصر النبى (ﷺ) والتزم فى نفس الوقت بأن الرسول (ﷺ) ، قد أقر منهجهم فى الافتقار والاعتزال والتجرد والتواكل ، وهذا ما لا يقبله عقل منصف أطلع على كتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) بالاضافة الى سيرة السلف ·

وفى مجال البحث التاريخى للتصوف يقول الكاتب جورجى زيدان ان هناك صلة بين الكلمة العربية (تصوف) والكلمة اليونانية (سوفيا) فيقول : انهـا مشتقة من لفظة يونانية الأصل هى (سوفيا) ومعناها الحكمة فيكون الصوفية قد لقبوا بذلك الاسم الذى عرفوا به نسبة الى (الحكمة) ، ولكن المستشرق (نولدكه) استبعد هذه الصلة لأسباب لغوية يونانية وهى : أن (سيجما) اليونانى حرف يمثل فى العصور المتأخرة ، بحرف السين العربى فى جميع ما عرب من كلمات يونانيـة لا بحرف الصاد ·

نظرة تاريخية على ظاهرة التصوف :

على ضوء حقائق التاريخ الاســلامى ، وسيرة الصـدر الأول ، بالاضافة الى سلوك وحياة علماء السلف فضلا عن عهد النبى (ﷺ) وطوال مرحلة الخلفـاء الأربعة ، لم تكن ظاهرة التصوف وما تمثله من منطلقات ومظاهر تمثل سلوكا معينا متميزا تقوم به جماعة من المسلمين دون غيرهم · والمحاولات أو المواقف التى كان فيها المسلمون من أصحاب القلوب الرقيقة ، أو ممن كان لهم مواقف متصلبة وآذوا كثيرا من المسلمين قبل اســلامهم ثم أرادوا التنطع والغلو فى تناولهم لتعاليم وتوجيهات الاسلام أو أرادوا التفرغ الكامل والزهد والاعتكاف عن ضروب الجهاد كل أيام عمرهم ، كان رسول الله (ﷺ) ينهاهم عن ذلك الاقبال أو هذا الانضواء والانطواء ، حين كان (ﷺ) يقول : (انما بعثت بالحنيفية السمحة) ·

وحين يقول (ﷺ) « ان لجسمك عليك حقا ، وان لعينيك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا » وحين يقول (ﷺ) « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ، ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه » ·

وكان أفضل وأكرم اسم يحبون أن يعرفوا به هو أنهم أصحاب رسول الله (ﷺ) وأنهم مسلمون وحتى الجيل الثاني الذى شهد أصحاب رسول الله (ﷺ) كان الشرف الذى يحرصون على أن يحملوه والسمة التى يحبون أن يعرفوا بها ، وأن يعيشوا على هديها هو أنهم ممن صحب أصحاب رسول الله (ﷺ) وأن القرن الأول كله لم يشهد على كثرة ما حدث فيه من انقسام أمة الاسلام الى فرق سياسية وخاصة بعد مقتل على رضى الله عنه لم يشهد تسميات للدلالة على سلوك البعض من القبيل الصوفى ، كدلالة معينة على سلوك البعض واتجاههم نحو الزهد والتقشف والانقطاع الذى يعتبره المتصوفة أساسا تاريخيا عندهم بدأ مبكرا بل كان أكرم وأشرف ما يتمنى الورع التقى الذى هو المسلم الملتزم بأحكام كتاب الله وسنة نبيه والمجاهد ساعيا فى سبيل دعوة الاسلام والكسب الحلال ، كان أكرم وأشرف ما يتمناه بعد رضا الله أن يعرف بأنه : صحابى أو تابعى ، ولم تكن اصطلاحات وتسميات ، صوفى ، وزاهد ، وعابد ، ومنقطع ، وصاحب مقام كذا وكذا مما لم يعرف فى عصر صدر الاسلام قد نشأت بعد ·

تطور ظاهرة التصوف وشيوعها :

ما أن أقبل القرن الثالث الهجرى ، الا وكانت السمة التى تميز سلوك مجموعة من العباد الذين استهواهم النهج الصوفى وما سمى بأعمال القلوب ، قد دخلت طورا أصبحت بغداد فيه عاصمة للظاهرة التى عرفت باسم (التصوف) · وبينما كانت حلقات الدرس والتناظر حول أحكام الشرع الاسلامى ، فى مسائل الفقه والتوحيد نهجا هادىء النبرات ، قوى الحجة كان ضجيج شيوخ المدارس الصوفية فيما بينهم ، وبين مريديهم يعلو على كل صوت ، وينفذ الى معظم ديار المسلمين ، متسللا من خلال عباءات الشيوخ وعذب حديثهم للعامة وتساهلهم وتنازلهم عن كثير مما هو مندوب واجب فى السنة المطهرة الأمر الذى يروق لأولئك الذين كانوا حديثى عهد بالاسلام ، وذلك لكى يروج النهج الصوفى ويكثر أتباعه فى معظم الديار ·

وما أن انتهى القرن الثالث الهجرى بعد تسرب الصوفية الى الديار الاسلامية حتى امتلأت الساحة الاسلامية بالمدارس والمذاهب الصوفية التى صنعت للمريد لكى يدخل الى مقام شيخه أو ينخرط فى سلك عضوية طريقه ، نوعا من الرسوم والطقوس ، أطلقوا عليها اسم الأحوال والمقامات تدرجا فى طريق العشق والوجد والفناء والاتحاد والحلول وغير ذلك ·

ومع أن قلة قليلة من شيوخ المتصوفة • لم يطمس عقلهم التيار الصوفى المتدفق ، من مصادره العديدة التي وفدت من الأفكار الهندية واليونانية والمسيحية وان كان قد شاب صحة عقيدتهم الا أن السمة العامة لمذاهب التصوف والقاسم المشترك والنهج المميز للمتصوفة في تناول أمور العبادة وغيرها هو ما يسمونه (الذوق) وهذا المعيار أو هذا المنهج واسع وسع كل الميول والعواطف والمشارب الانسانية التى قد تكون فى بعض منطلقاتها تمثل تناقضا فيما بينها ، فضلا عن أن هذا الذوق الذى يخرج عن قيد النص الشرعى ودلالته المباشرة الى التناول الذوقى بما يفسد المعانى ويؤول الالتزامات ، لا يستقيم مع قواعد الشرع وفرائضه •

هذا وقد لاحظ مؤرخو الفرق والمذاهب ، أنه كلما مضت مرحلة بعد الأخرى منذ انتهاء القرن الثالث الهجرى ، ومعدلات الجهل بالدين وانتشار البدع وسط بيئة التصوف وبين جماعات المتصوفين فى ازدياد مستمر •

هذا وقد امتلأت ديار المسلمين منذ حوالى ألف عام بعناصر صوفية ، انضوت تحت مذاهب وطرق بعضها نقيض الآخر • من حيث الممارسة وفن التعبير مما سمي (بالطريق) ، ذلك أن بعضهم لم يجد وسيلة للتعبير عن علاقته بربه ، بعد انطفاء نور العقل عندهم سوى أن يصبحوا نماذج افساد فى مجتمعاتهم يمارسون الرقص فى حلقات والتصفيق فى مجموعات وذلك هو ما ميز ملامح الطرق الصوفية على طول مراحل التاريخ الأخيرة •

وقد لاحظ كتاب الفرق أن المتصوفة في سبيل نجاح ذلك الشكل الرمزى الذى استهووا به العامة ووضعوا لأنفسهم اشارات وعلامات ورايات ، واتخذوا طبولا ودفوفا ، ونوتة موسيقية كاملة ، ومن اعتدل منهم ولم يلجأ الى هذا الشكل المادى الحسى الذى يكاد أن يكون ضربا من ضروب الوثنية انشغل بما أسموه : الذكر الذى قسمه (السهروردى) فى (عوارف المعارف) الى أربعة أقسام :

ذكر باللسان ، وذكر بالقلب ، وذكر بالسر ، وذكر بالروح ، فاذا صح فيما زعموا ذكر الروح سكت السر والقلب واللسان عن الذكر ، وذلك عندهم هو ذكر المشاهدة •

واذا صح ذكر السر سكت القلب واللسان عن الذكر ، وذلك ذكر الهيبة ٠

واذا صح ذكر القلب فتر اللســان عن الذكر ، وذلك ذكر الآلاء والنعماء ٠

واذا غفل القلب عن الذكر أقبل اللســان على الذكر وذلك ذكر العبــادة ٠

وبهذا الترتيب الذى لم يكن معروفا ولا متداولا فى عصر صــدر الاسلام ، فضلا عن افتقاد معناه ودلالته وهيئته فى السنة رتب المتصوفة منهجهم هذا ، اذ ترفع بعضهم عن الهبوط بمستوى الممارسة الصوفية الى أســاليب التأثيرات المادية والأشكال الرمزية ، والاستعانة بالأدوات الفنية ٠

هذا ويرى بعض الباحثين أنه قد نجا بعض رجال الصــوفية وان كانوا قلة قليلة من الوقوع فى متاهات الطقوس المادية وأشكال الممارسة الرمزية التى تعاون على تقديس وتبجيل الشيخ الصوفى من قبل أتباعه ٠

هذا ويخطىء الصوفية تماما حين يربطون بين ما يعبرون عنه أثناء ممارستهم لطقوس التصوف بما أسموه : مذاقات الحب والفنــاء فى المحبوب ، وبين قول الرســول (ﷺ) : (ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا) فان طعم الايمان لا تعبير عنه الا بالاسلام ممثلا فيما شرع الله لعباده وفق القواعد التى أرادها الله فى كتابه ، وعلمها رسوله (ﷺ) فى سنته ، لا وفق الذوق الصــوفى ولا الوجد الروحى ، حتى لا يجد المسلم نفسه أمام متاهات النهج الصوفى وقد خرج تماما عن روح الشرع الاسلامى ٠

والطريق الصوفى هو على ضوء ما كتب المتصــوفة وما عرفه عنهم الراصدون والمؤرخون هو أن يختار جماعة من المريدين شيخا لهم يسلك بهم رياضة خاصــة بهم على دعوى وزعم تصفية القلب لغاية الوصول الى معرفة الله ٠

بهذا التصور ومن خلال تلك الغاية يفرض الطريق على المريدين أتباع الشيخ ، الاتبــاع الأعمى وتبجيله على اعتقاد من المريدين بأن الشيخ الصوفى (شيخ الطريق) قد انكشف له الحجاب وتجلت له الأقدار وعرف الأسرار الى غير ذلك مما يروج على ألسنة أتباع الطريق ٠

وعلى المريد ان كان يريد الاستمرار والتدرج فى طريق صعود الطريق المواظبة على ما يردده الشيخ من أدعية وأذكار ، على أن يكون فى كل

علاقاته بشيخه كما عبر الشيخ القشيرى (كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف يشاء ، لا حركة ولا تدبير) وعندئذ يكون المريد قد أصبح عضوا فى طريق الله على حد ما يزعمون ، من خلال شيخ صوفى من أهل الطريق ، عرفوه بأنه : الوالى الذى يتولى أمر أتباعه فى قيادتهم نحو آخر المطاف فى الطريق ٠

والولى عند الصوفية هو الواصل الى مرتبة العرفان عن الطريق الموصلة الى أهدافهم المتصورة ، وعلى ضوء حالات ومراحل المعرفة عندهم ، والتى هى فيما يعتقدون مما اصطلحوا هم عليه مرحلة : الكشف أو الاشراق ٠

هذا ويعتقد الصوفية جميعا بغير خلاف ، القدامى منهم والمحدثون أن : العارف هو الذى تتكشف له الحجب ويشهد من علم الله ما لا يشهده سواه ، وتظهر على يديه الكرامة التى هى عندهم أمر خارق للعادة يتكرر كبرهان لهذا الولى الصوفى المزعوم ٠

هذا وقد أنشأ عبد القادر الجيلانى المتوفى سنة ٥٦١ هجرية الطريقة (القادرية) التى ترجح أنها أول طريقة منظمة لأهداف صوفية منذ ذلك التاريخ ٠

فى هذا يقول الدكتور أحمد غلوش : ليس من خلاف بين الطرق الصوفية من حيث الأسس والمبادىء الأصلية ، وانما الفرق فى نوع الأذكار والأوراد التى يواظب عليها المريد من أتباع كل طريقة منها ٠

وقد يفتح الله تعالى على واحد منهم بطريق الالهام ، ويؤتى حظا كبيرا من الأنوار القدسية فيكاشف بفائدة ذكر اسم معين من أسماء الله الحسنى ، فيكون ذلك سببا أو أساسا لانشاء طريقة جديدة مشتقة من طريقته القديمة ٠٠ ومن ثم كان تعدد الطرق الصوفية على تقادم العصور ٠

هذا ويبلغ الغلو الصوفى مداه وهو يكشف عن مدى تبلد عقل المتصوفة فى النظر الى قضايا العمل الشرعى والالتزامات به حين يعبرون عن تدرج مراحل السالكين فى الطرق الصوفية بقولهم : ان الرغبة فى اتباع الطريق تأخذ فى القلب ازديادا أو تمكنا فى القلب بمقدار صفاء الروح واستعداد النفس الى الرقى الروحى ، فيتملكها الحنين والشوق الى معرفة خالقها معرفة ذوقية لا نقلية ولا عقلية ، ويغلب أن تساور

الانســان في هذه الحالة شكوك وظنون وأوهــام خفية ، فيما يتعلق بالمعتقدات الدينية دون أن يجد من عقله مرشدا كافيا يحل معضلاتها ، فيلجأ عند ذلك الى أحد المرشدين الى طريق الحق ، من المشايخ الصوفية المحققين العارفين بالله عند من يعتقد أنه سبق لهم سلوك هذا الطريق بعينه ، وهو مأذون ، من شيخه بالتسليك فيه ، ويطلب اليه أن يدخله في عداد أتباعه الآخذين في السلوك الى الله على يديه ، ففي هذه الحالة يسمى الطالب مريدا ، أى يريد السير فى الطريق ، وهذه أولى المنازل وتسمى عند أتباع الطرق الصوفية منزلة : الارادة وعندما يتلقاه الشيخ بالفرح والسرور ، ويأخذ عليه العهد بالتوبة من ذنوبه ، والتبرى من حوله وقوته ، واخلاص النية فى مقصده ، وغايته بما يفرضه الطريق على السائر فيه ، والأذكار والأوراد المشروعة عندهم ، فضلا عن القيام بما يوجبه الدين من اتباع أوامره واجتناب نواهيه ٠

ومن ثم يبدأ سلوك المريد ويسمى عند ذلك (سالكا) ، جاعلا أكثر همه فى الدنيا الاشتغال بالعبادة والزهد والرياضة بحسب ما يرسمه له الشيخ ، فيقبل على الله بصــدق النيــة وتصــفية القلب عما ســوى الله ــ هكذا زعموا ــ حيث ينتقل بذلك الى مقام يسمى مقام (العبودية) ويظل السالك يجاهد فى الطريق نفسه وهواه حتى يتغلب عليهما بالاكثار من الضراعة والتذلل والتزلف الى بارئه ، على أن تكون الضراعة ، بالأوراد والأذكار التى تميز الطريق عن غيره ٠٠٠ وعند هذه المرحلة يعتقد أهل الطرق الصوفية ، أنه بعد مقام (العبودية) يصبح العبد أهلا لأن تقبل عليــه العناية الالهية بعد أن تقبل مناجاته وضراعاته لترتقى بعد ذلك فى القلب لتصير عشقا لله ، وعند هذه يكون ابن الطريق قد دخل مقام (العشق) ٠ وعليه أن يظل سالكا مواظبــا على أذكاره وأوراده التى يتلقاها من شيخه ، وعلى ضـــوء توجيه شيخه تحسب الخطوات هنا فى هذا المقام بدقة محسوبة ، فان كان السالك أهلا للمزيد ، فانه يشغل وقته قارنا ذلك بالعزلة والخلوة والاقلال ما أمكن من الطعــام والشراب والكلام والنوم ، حتى تتملكه فيما يزعم الصوفية حالة علوية شريفــة ينتقل بها الى مقام (الوجد والهيام) وهو أسمى من مقام (العشق) عند هذا المقــام المزعوم الذى يســـتولى على جميع النفس تتوارد على قلب السالك ما أسـموه النفحات الربانية ، والبركات الالهية تواردا متصلا ، يعتقد أهل الطريقة من الدراويش أنه بها تزداد معرفة المسالك الباطنية لصفات الذات العلية ٠ وهنا يصــل السالك فيما زعموا الى الحقيقة المجردة التى استهدفها يوم سلك الطريق ، وتسمى عندهم هذه المرحلة : (بمقام الحقيقة) ٠

وليت الأمر يقف عند هذا المستوى بالقوم فيما ضلوا به عند هذه الحقيقة المزعومة ، بل يعتقد أهل الطريق فيما زعموا أن وصول السالك الى هذا المقام المدعى (الحقيقة) يمكنه من أن يظل يرتقى الى منـازل ثلاثة يزعمونها وتسمى عندهم التسمية التى تؤكد بنهاية الشوط الصوفى وقوع الاتباع والرواد فى شرك الوثنية الحلولية التى قال بها اليهود والنصارى ومن قبل الفرس واليونان هذه المنازل الثلاثة هى : (الفناء ، اللقـاء ، البقـــاء) ٠

وهذه المراحل الثلاث التى يعنون بها فناء العبد عن حظوظه وعن نفسه فى الله ، على اعتقاد أنه أى العبد من خلالها تتجلى له عظمة الخالق سبحانه على قلب السالك ، فلا يرى أمامه الا الله ، ولا يجد فى الوجود جميعا الا واجب الوجود سبحانه ، وتمحى آثار الموجودات من أمام عينيه الا وجود الله سبحانه وتعالى ٠

٧ ـ المرجئـــة

ان الشـــــائع فى كتب المقالات أن الارجاء هو فك الارتباط ما بين العمل والايمان ، حتى لا تتوقف صحة الايمان على الأعمال التى تعرب عنه وتدل عليه ، فلا تنفع مع الكفر طاعة ولا تضر مع الايمـان معصية ٠ ولكن ٠٠٠ بالرغم من شيوع هذا الأمر وشهرته فاننـا نجد أن كتـاب المقـالات ومؤرخى الفرق لم يضطربوا ـ ولا نقول فقط : اختلفوا ـ فى شىء كما اضطربوا فى الحديث عن المرجئة والارجاء ٠٠٠ فالأشعرى يقول ان فرق المرجئة اثنتا عشرة فرقة وهى :

١ ـ الجهمية ٠ أصحاب الجهم بن صفوان ٠ القائلون بأن الايمـان هو المعرفة بالله ورسله وما جاء من عنده ، وما عدا ذلك ليس من الايمان ، والكفر هو الجهل بالله ورسله وما جاء من عنده ٠

٢ ـ الصالحية : أصحاب أبو الحسين الصالحى ٠

٣ ـ اليونسية : أصحاب يونس السمرى ٠

٤ ـ الشمرية : أصحاب أبى شمر ويونس ٠

٥ ـ الثوبانية : أصحاب أبى ثوبان ٠

٦ ـ الناجرية : أصحاب الحسين بن محمد النجار ٠

٧ ـ الغيلانية : أصحاب غيـلان ٠

٨ ـ الشبيبية : أصحاب محمد بن شبيب ٠

٩ ـ الحنفية : أصحاب أبى حنيفة ٠

١٠ـ المعاذية التومنية : أصحاب أبى معاذ التومنى ٠

١١ـ المريسية : أصحاب بشر المريسى ٠

١٢ـ الكرامية : أصحاب محمد بن كرام ٠

أما البغدادى فيقول : (انهم ثلاثة أصناف) :

١ ـ المرجئة الذين قالوا بالقدر مع الأرجاء ومنهم : غيلان ، وأبو شمر ، ومحمد بن أبى شبيب البصرى (فهؤلاء عنده صنف واحد ، بينما عند الأشعرى فرق ثلاث : الشمرية ، والغيلانية ، والشبيبية) ٠

٢ ـ والمرجئة الذين قالوا بالجبر مع الأرجاء ٠ مثل جهم بن صفوان وفرقتـــه ٠

٣ ـ والمرجئة الذين قالوا بالارجاء وحده ولم يخلطوه لا بالقدر ولا بالجبر ٠ وهؤلاء عند البغدادى خمس فرق :

(أ) اليونسية : أصحاب يونس السمرى ٠

(ب) والغسانية ٠

(جـ) والثوبانية : أصحاب أبى ثوبان ٠

(د) والثومنية أو التومنية : أصحاب أبى معاذ التومنى ٠

(هـ) والمريسية : أصحاب بشر المريسى ٠

وحتى لو جمعنا الفرق الخمس التى قالت بالارجاء فقط الى الجهمية الى الفرق الثلاث التى قالت بالأرجاء والقدر فانها تبلغ عند البغدادى تسع فرق ، بينما بلغت عند الأشـــعرى اثنتى عشرة فرقة ولقد زاد البغدادى واحدة لم يذكرها الأشعرى وهى الغسانية ٠

وعند الشهرستانى نجد (المرجئة أربعة أصناف) :

١ ـ مرجئـة الخوارج ٠

٢ ـ مرجئة القـــدرية ٠

٣ ـ مرجئة الجبرية ·

٤ ـ مرجئة الخالصة ·

وأبو مروان غيلان بن مروان الدمشقى ـ زعيم القدرية يأتى عند الشهرستانى فى القائلين بمقالة (الثوبانية) ، أصحاب أبى ثوبان فى الارجاء وهى المقالة التى تقرر أن الايمان هو المعرفة والاقرار بالله ورسله وكل ما لا يجوز فى العقل أن يفعله وما جاز فى العقل تركه فليس من الايمان ، وان العمل كله مؤخر عن الايمان ·· وعند الشهرستانى أن غيلان الدمشقى هذا قد جمع بين : القدر والأرجاء والخروج ؟ وعنده غيلان آخر هو غيلان بن حرث الذى نجده عند الخوارزمى : غيلان بن خرشة الضبى · وهو عند الشهرستانى ممن جمع بين القدر والارجاء أما الخوارزمى فان المرجئة ست فرق :

١ ـ الغيلانية : أصحاب غيلان بن خرشة الضبى ·

٢ ـ الصالحية : أصحاب صالح بن عبد الله المعروف بـ (قنة) وفى كتاب المقالات الأخرى (قبة) ·

٣ ـ أصحاب الرأى : وهم أصحاب أبى حنيفة النعمان بن ثابت البزاز ·

٤ ـ الشبيبية : أصحاب محمد بن شبيب ·

٥ ـ الشمرية : نسبوا الى أبى شمر سالم بن شمر ·

٦ ـ الجحدرية : أصحاب جحدر بن محمد التميمى ·

أما ابن حزم فانه يتحدث عن أن غلاة المرجئة طائفتان :

١ ـ الكرامية : أتباع محمد بن كرام السجستانى ، الذين قالوا : ان الايمان قول باللسان وان اعتقد الكفر بقلبه ، فهو مؤمن عند الله ولى له من أهل الجنة ، وكانت مواطنهم بخراسان والقدس ·

٢ ـ الجهمية : أصحاب الجهم بن صفوان الذين قالوا : ان الايمان عقد بالقلب وان أعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية فى دار الاسلام وعبد الصليب وأعلن التثليث فى دار الاسلام ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الايمان عند الله وآله من أهل الجنة ، وهم بخراسان ، ويذكر ابن حزم أن الأشعرية يقولون بقول جهم هذا ·

ذلك هو مبلغ الاضـــطراب الذى وقع فيه كتاب المقالات ومؤرخو الفرق فى تاريخهم للمرجئة ومقالاتها ، ونحن نعتقد أن مفتاح الخروج من هذا الاضطراب هو فى ادراك الطابــع السـياسى لنشأة فكرة الأرجاء وفرقتهم ، وأن غياب الاهتمام بهذا الطابع هو الذى أشاع ذلك الخلط بين تيارات الأرجاء فلقد بدت عقائد المرجئة مجرد أبحاث دينية فى الايمان والكفر وعلاقة العمل الصالح بالايمان بينما كانت السياسة والصراعات من حول السلطة هى التى أفرزت فكر المرجئة وتياراتها المختلفة ، ومن ثم فلا سبيل الى فهمهم الا اذا وضعناهم فى الاطار الذى نشئوا فيه وأبصرنا تياراتهم على ضوء الظروف السياسية التى بلورتها • لقد نشأ الارجاء أول ما نشأ فى عهد بنى أمية وأول من قال به هو الحسن بن محمد بن على ابن أبى طالب أى الحسن بن محمد بن الحنفية (٩٩ هـ أو ١٠٠ هـ) فلقد روى أنه أول من قال بالارجاء وانه كتب بذلك كتابا كان يقرأ نيابة عنه فى الأمصار ، فهل كانت قضية دينية تتعلق بالايمان القلبى وعلاقته بالعمل تلك التى يكتب حولها الحسن بن محمد رســالة تقرأ عنه فى الأمصـــار ؟ ان الأمر الذى يليق بالمنطق أن الأمر يتعلق بالسياســـة وقضاياها المثارة فى ذلك الحين •• والقاضى عبد الجبار يقول عن الحسن ابن محمد ــ الذى كان أستاذا لغيلان الدمشقى ــ : (ولم يكن مخالفا لأبيه محمد بن الحنفية وأخيه أبى هاشم أستاذ واصل ابن عطاء الا فى شىء من الارجاء أظهره) ويقول عنه ابن سعد : (انه كان من ظرفاء بنى هاشم وأهل العقل منهم ، وكان يقدم على أخيه أبى هاشم فى الفضل والهيئة ، وهو أول من تكلم فى الارجاء) ويقول المقريزى : (وكان الحسن بن محمد ابن الحنفية يكتب كتبه الى الأمصار يدعو الى الارجاء • ثم يردف قوله هذا بالنص الهام عن طبيعة ومعنى الارجاء الذى كان يدعو اليه الحسن بن محمد فيقول : (الا أنه لم يؤخر العمل عن الايمان كما قال بعضهم ، بل قال : أداء الطاعات وترك المعاصى ليس من الايمان لا يزول بزوالها) فهو نوع متميز اذن من الأرجاء •• لقد كانت أفكار الشيعة التى تغلو فى على وآل البيت كرد فعل لمحنة آل على قد بدأت فى الانتشار وكان تفضيل على على الخلفاء الثلاثة : أبى بكر وعمر وعثمان قد بدأ مع ابن سبأ وزاد أنصـاره والقائلون به ، كمـا بدأت أفكار الشـيعة عن الوصـية والنص ومحاولاتهم صـبغ الامامة بالصـبغة الدينية تظهر وتتحول الى كتب ومصـنفات ، وعلى الجانب الآخر كان الخوارج قد حولوا موقف على السياسى من التحكيم الى كفر شرك ، أو كفر نعمة ، وكذلك صنعوا مع عثمان بعد الأحداث فنقلت الخوارج والشيعة القضية التى ابتلى بهـا المسلمون من اطار السياسة الى اطار الدين ، ومن دائرة الصواب والخطأ فى شئون الحكم ، الى أحكام يصدرونها على العقائد تتعلق بالكفر والايمان •

وكان الحسن بن محمد بن الحنفية من بيت يرفض الغلو فى هذه القضية وسواها • فأبوه قد وضعها في اطارها السليم عندما أشار الى دور الصراع القبلي فيها فقال : (نحن أهل بيتين من قريش نتخذ من دون الصراع القبلى لله أندادا ، نحن وبنو أمية أهل بيتين من العرب يتخذهما الناس أندادا من دون الله : نحن وبنو عمنا هؤلاء ــ يعنى بنى أمية ــ وكان قد رفض مزاعم البعض عن أنه هو (المهدى) بالمعنى الشيعى لفكرة المهدى ، كما رفض ما نسبوه الى أهل البيت من الاختصاص بعلم موروث لا يعلمه غيرهم من الناس ، ولذلك فاننا نرى أن (الارجاء) الذى أظهره الحسن بن محمد ابن الحنفية كان ذا طابع سياسى دعاية الى التمييز ما بين قضايا العقيدة واستخدام أحكام الكفر والايمان ، وما بين قضايا السـياسة والامامة بالذات • فهذه هى القضايا التى تكتب فيها الكتب كي تقرأ فى الامصار •

ونحن اذا نظرنا فى نوع الارجاء الذى قال به غيلان الدمشقى والذى أخذه عن أستاذه الحسن بن محمد بن الحنفية اتضح لنا الفرق بين هذا الارجاء وغيره مما قال به آخرون•فغيلان كان يرى الامامة فى قريش وغيرها، فكان يرى (أنها تصلح لغير قريش وكل من كان قائما بالكتاب والسنة كان مستحقا لها • وأنها لا تثبت الا باجماع الأمة) ويستفاد من رأيه هذا أنه لم يكن يفضل عليـا على أبى بكر وعمر وعثمان ، بل يؤخره عنهم بل أن اشتراط الاجماع فى الأمة لاثبات الامامة يتضح فى صحة امامة على وثبوتها ، لأن الخلاف عليه سواء بالمعارضة أو اعتزال الفتنة وأطرافها كان قائما منذ اليوم الأول لتوليه الخلافة ، وهذا الموقف قد وقفه كثير من المعتزلة والقدرية ، بل ان محمد بن الحنفية والد الحسن قد اشترط على من طلبوا منه أن يبايعوه بالامارة على عهد ابن الزبير ، وعبد الله بن مروان قد اشترط لقبوله الامارة ألا يختلف عليه واحد من الأمة • فهذا الموقف الذى يؤخر عليا عن الخلفاء الثلاثة ويرتب فضلهم حسب ولايتهم الأمر وهو موقف سياسى نرى أنه هو ذلك النوع من الارجاء الذى قال به الحسن ابن محمد وغيلان ، والذى اشتهر عن الغيـلانية أصحاب مروان • وفى (الكافى) نص هام يشهد لهذا التفسير يقول : (وقد تطلق المرجئة على من أخر أمير المؤمنين عليا عن مرتبته) ، فالقدرية وهم أسلاف المعتزلة قد قالوا بالوعد والوعيد واتفقوا فيه كأصل من أصولهم العامة والهامة ، وهو الأصل الذى يتنافى مع الفصل ما بين الايمان والعمل • أما الأمر الذى تفاوتت فيه اجتهاداتهم وآراؤهم فهو الحكم على أحداث الفتنة التى وقعت فى صـدر الاسـلام وترتيب الخلفاء الراشدين فى الفضل ، وهو معنى الارجاء عند من قال منهم بالارجاء ، أنه موقف سياسى بلور موقفا وقولا بالارجاء ذا طابع سـياسى كذلك • وأصحاب هـذا الموقف والقول كانوا فى صفوف المعارضة للأمويين • وتيار ثان من تيارات الارجاء نشأ

هو الآخر نشأة سياسية وفي اطار الصراع ضد سلطه بني أميه ومظالمها قال أصحابه : ان الايمان تصديق بالقلب ولا تأثير للعمل على هذا الايمان بالارجاء قالوا وقال أغلبهم بالجبر ، وأبرز عناصر هذا التيسار جهم بن كما لا تنفع مع الكفر طاعة على ما هو مشهور من مقالتها ، ومع قولهم هدا فالارجاء قالوا وقال أغلبهم بالجبر ، وأبرز عناصر هذا التيار جهم بن صفوان (المتوفي سنة ١٢٨ هـ سنه ٧٤٥ م) وفرقته الجهمية • ونيار الارجاء هذا قد نشأ هو الآخر نشأة سياسية وفي خضم الصراع ضد سلطه الأمويين ومظالمهم ، ففي خراسان موطن ظهور هذا التيار كان يتولى امرها سنة ١١٠ هـ الوالي (أشرس) ، وكان يبغي نشر الاسلام بين مواطنيها الذين كانوا لايزالون على الكفر والوثنية ، فأقام هيئة للدعوة الى الاسلام ترأسها أبو الصيداء صالح بن طريف مولى بني ضبة الذى استعان بالربيع ابن عمران التميمي لاجادته الفارسية • واشترط أبو الصيداء على الوالي أن تسقط الجزية عمن يدخل في الاسلام ـ وكان الأمويون يأخذون الجزية ممن أسلم باستثناء فترة حكم عمر بن عبد العزيز ، وتعهد الوالي لأبي الصيداء بذلك ، فدخل أهل خراسان في دين الاسلام أفواجا ، وبنيت المساجد فيها • فشكا عامل الخراج (غوزك) الى الوالي أشرس قلة حصيلة الجزية وقال له : (ان الخراج قد انكسر) وكان بعض دهاقين خراسان وأثريائها قد ساءهم انكسار الخراج لما في زيادته من منافع لهم يقتسمونها مع ولاة بني أمية ، ولما في اسلام عامة من الناس من تحول قومي عن تراثهم الذى يقدسه ويتمسك به ولو سرا هؤلاء الدهاقين •• فشكوا الى الوالي (أشرس) وقالوا له : (ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عربا) اذ كان الاسلام والعروبة في نظرهم شيئا واحدا ؛ وعند تراجع الوالي عن وعده باسقاط الجزية عمن أسلم ، وفي تراجعه هذا وضع (مواصفات) للايمان السليم الذى تعترف به الدولة وتسقط الجزية عن صاحبه ، فكتب الى عامل الخراج (ابن أبي المعرطة) يقــول : (ان في الخراج قوة للمسلمين) وقد بلغني أن أهل (السند) وأشباههم لم يسلموا رغبة ، وانما دخلوا في الاســلام تعوذا من الجزية ، فانظر من اختتن وأقام الفرائض وحسن اسـلامه وقرأ سورة من القرآن فارفع عنه خراجه • فهو هنا قد وضع للاسلام الذى تعترف به الدولة ويعترف به عامل الخراج عدة شروط :

ـ أن يكون صاحبه مختتنا • والذين كانوا يسلمون لم يكونوا أطفالا ولا صبية حتى يسهل عليهم يومئذ الاختتان •

ـ واقامة الفرائض تتطلب مستوى أعلى من مستوى أدائها ، فالأداء أسهل من الاقامة بما لا يقاس كما يقول الامام محمد عبده •

ـ وحسن الاسلام شرط يصعب وضع المقاييس الدالة على بلوغ اسلام المرء حده ودرجته ٠

ـ وقراءة سورة من القرآن بالنسبة لقوم لا يعرفون العربية هو نوع من التعجيز ٠ ومعنى هذه الشروط التى وضعتها الدولة للاسلام الذى تعترف به أنها قد ربطت بين الايمان كعقيدة والأعمال التى تصدر عن المؤمن وجعلت العمل شرطا لصحة الايمان ، ولم تؤخر العمل عن الايمان أو تفصل بينهما ، وهنا يصبح الارجاء بمعنى تأخير العمل عن الايمان والفصل بينهما موقفا وفكرا سياسيا يعارض موقف الدولة الأموية ، بل يصبح فكرا ثوريا يتحدى تلك المفاهيم التى ابتدعتها الدولة كى تجعل من الايمان والكفر مسائل يستفتى فى صحتها وفسادها عمال الخراج ، بدلا من أن تكون رقابتها والاطلاع عليها من الأمور التى لا يعلمها الا الله ٠ وعندما كتب عامل الخراج الى الوالى : (ماذا نصنع والناس قد أسلموا وبنوا المساجد) أجابه بقوله : (خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه) وعندما بلغ الأمر هذا المبلغ خرج على سلطان الدولة من أهل (السعد) الذين أسلموا حديثا سبعة آلاف وعسكروا على سبعة فراسخ من سمرقند ، ولحق بهم من القراء والفقهاء كل الذين أنكروا صنيع الدولة معهم ، مثل : أبو الصيدان صالح بن طريف وربيع بن عمران التميمى والقاسم الشيبانى وأبو فاطمة الأزدى وبشر بن جرموز الضبى وخالد بن عبد الله النحوى وبشير بن زنبور الازدى وعامر بن بشير الخجندى وبيان العنبرى واسماعيل بن عقبة وثابت قطنة لينصروا هؤلاء الذين أسلموا حديثا ٠ وفى بخارى تكررت الصورة ولجأ المسلمون الجدد الى المسجد الجامع يصيحون بأعلى أصواتهم : (أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله) ولم يصح الولاة اسلامهم بل شنقوا منهم أربعمائة ، ولم يشفع اسلامهم عند الولاة أن الذين فروا من الموت فى هذه المذبحة لم يرتدوا عن الاسلام ، بل ثبتوا على الايمان به ٠ وفى البصرة تكررت المأساة عندما أمر الولاة باجلاء الوالى عن المدينة واعادتهم الى قراهم الأصلية فخرجوا وعسكروا فى العراء يبكون وينادون : يا محمداه ٠ وخرج الى معسكرهم قراء البصرة يبكون معهم وينتصرون لهم ٠ وكانت تلك هى المظالم التى دفعت عظيم الازد الحارث بن سريج الى الثورة والخروج على هشام بن عبد الملك سنة ١١٦ هـ ، وهى الثورة التى كان وزيره الأول فيها وكبير دعاته الذى يقص ويخطب ويقرأ سيرة الثورة والثوار : الجهم بن صفوان ٠ كانت اذن ثورة المرجئة التى خرجت تدعو الى الفصل بين الايمان والعمل لأن الربط بينهما كان يعنى تحكم عمال الخراج وجباة الجزية فى عقائد الذين دخلوا حديثا فى دين الله ، ومن هنا كانت نشأة هذا التيار من تيارات الارجاء نشأة سياسية كما كان موقف دعاته وأنصاره موقفا

سياسيا عارض بالثورة المسلحة سلطة بني أمية وسيرتهم في ظلم الناس ٠ وما يدعو تفسيرنا هذا لدلالة تيار الارجاء ، أن ثورة المرجئة هذه بعد أن استولى جيشها على (الفارياب) و (بلخ) و (الجوزجان) و (الطاقان) و (مرو الروذ) هزم هذا الجيش في (مرو) فانسحب الحارث بن سريج مع الجهم بن صفوان وثلاثة آلاف من جنده الى بلاد الترك واعتصموا بها اثنى عشر عاما خارجين على سلطة بني أمية ، وعندما انتصرت ثورة القدرية الغيلانية الذين يمثلون تيارا في الارجاء وقتلت الوليد بن يزيد ونصبت بدلا منه يزيد بن الوليد سنة ١٢٧ هـ بعث يزيد بن الوليد بالأمان الى الحارث بن سريج ورجاله فعادوا الى (مرو) من جديد ، ولما انتكست ثورة القدرية هذه بعد موت يزيد بن الوليد وتولى مروان بن محمد الخلافة توجس الحارث بن سريج خيفة ، لأن مروان لن يجدد له الأمان الذى أعطاه أياه يزيد ، وعاد الحارث الى الثورة وطالب أن يعود الأمر (شورى) وأن تغير العمال وتعزل الشرطة وأن يشارك الناس في اختيار الولاة ، ورفضت مطالبه وتطورت الأحداث الى قتال قتل فيه هو والجهم بن صفوان ٠ وهكذا كان القدرية الغيلانية يقولون بالقدر والاختيار ، وكان الجهم بن صفوان وفرقته يقولون بالجبر المحض ، ولكن الارجاء كان لذى التيارين له موقف سياسي يناصب ظلم أمية العداء ، فقارب بينهما هذا الموقف السياسى رغم الاختلاف العميق بينهما في أمور هي من صميم الدين ٠ وأول من قال بالارجاء المحض معاوية وعمرو بن العاص كانا يزعمان أنه لا يضر مع الايمان معصية ، ولذلك قال معاوية لمن قال حوله : حاربت من تعلم وارتكبت ما تعلم فقال : وثقت بقول الله تعالى : « **ان الله يغفر الذنوب جميعا** » كما يتحدث في مواطن أخرى عن فسق معاوية — وما تظاهر به من الخير والارجاء — فالارجاء هنا يعني الفصل بين الايمان والعمل ، وتأخير العمل عن الايمان كما هو معناه عند الجهم بن صفوان ، ولكن الجهم كان يضع هذا المبدأ وهذه العقيدة وذاك الموقف في صف المستضعفين الذين يئنون من ظلم الحكام ، وأما معاوية وعمرو بن العاص ومن وقف موقفهما في الارجاء فانهم يبررون السلطة والجور ، ويدفعون ادانة الخوارج لهم بالكفر لارتكابهم الكبائر ، وادانة المعتزلة لهم بالفسق ، وادانة الحسن البصرى لهم بالنفاق ٠ فتيار الارجاء نشأ نشأة سياسية وعاش في خضم الأحداث التى ولدتها الصراعات على السلطة في ذلك التاريخ ٠ واذا كانت هذه هى العلاقة بين الارجاء والسياسة فان القول بأن هذا (المذهب لم يكن ينظر الى أحداث السياسة الجارية في عصره ، ولم يكن يقصد أن يبرر سياسة الحكومة القائمة) هو قول بعيد عن الصواب ، فالارجاء كان دائما موقفا سياسيا ، وهو عند البعض كان تبريرا لسياسة الحكومة القائمة ، وعند لبعض كان موقفا فكريا وعمليا ضد مظالم هذه الحكومة ، ومن هنا نستطيع

أن نفهم كلمة الخليفة المأمون التى قال فيها (ان الارجاء دين الملوك) فلقد كان مراده ، أن الارجاء الذى يبرر للسلطة هو دين الملوك اللازم لجورهم وجبروتهم ، ولم يكن مراده : (أنه مذهب التسامح) كما فهم البعض ، فلقد كان المأمون على مذهب أهل العدل والتوحيد ، ولم يكن يقول بالارجاء ، وكان يعلم أنه قد كان مذهب معاوية وبنىْ أمية ، ومن ثم فلا يستساغ أن يمدح خصومه الفكريين والسياسيين · تلك هى نشأة المرجئة السياســـية وعلاقة ظهورها وظهور الارجاء بقضــية الامامة وصراعات السلطة التى دارت حولهـا فى صـــدر الاســلام وعلى عهـد الأمـــويين ·

٨ ـ الاباضـــية

ورد فى الملل والنحل للشهرستاني ص ١٣٤ ـ ١٣٥ الجزء الأول ما يلى :

أصحاب عبد الله بن أباض الذى خرج فى أيام مروان بن محمد ، فوجه اليه عبد الله بن محمد بن عطية ، فقاتله بتبالة وقيل ان عبد الله ابن يحيى الأباضي كان رفيقا له فى جميع أحواله وأقواله قال : ان مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ، ومناكحتهم جائزة ، وموارثتهم حلال وغنيمة أموالهم من الســـلاح والكراع عند الحرب حلال ، وما ســـواه حرام · وحرام قتلهم وسبيهم فى السر غيلة ، الا بعد نصب القتال ، واقامة الحجة ·

وقالوا : ان دار مخالفيهم من أهل الاسلام دار توحيد ، الا معسكر السلطان فانه دار بغى · وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم ، وقالوا فى مرتكبى الكبائر : انهم موحدون لا مؤمنون ثم اختلفوا فى النفاق : أيســـمى شركا أم لا ؟ قالوا : ان المنافقين فى عهد رســـول الله (ﷺ) كانوا موحدين ، الا أنهم ارتكبوا الكبائر ، فكفروا بالكبيرة لا بالشرك وقالوا : كل شىء أمر الله تعالى به فهو عام ليس بخاص وقد أمر به المؤمن والكافر وليس فى القرآن خصوص · وقالوا : لا يخلق الله تعالى شيئا الا دليلا على وحدانية ، ولابد أن يدل به واحدا · وقال قوم منهم : يجوز أن يخلق الله تعالى رســولا بلا دليل ويكلف العباد بما أوحى اليه · ولا يجب عليه اظهار المعجزة ، ولا يجب على الله تعالى ذلك الى أن يخلق دليلا ، ويظهر معجزة وهم جماعة متفرقون تفرق الثعالبة والعجاردة ·

وأباضية اليوم احدى فرق الخوارج المعتدلين وأقربهم الى أهل السنة والجماعة يسكنون ساحل عمان ·

وتقوم عقائدهم على الآتى :

١ ــ صفات البارى ــ سبحانه وتعالى ــ هل هى هو ؟ أم هى غيره ؟ فمذهب الاباضية أن صفاته الذاتية هى ذاته لا بشىء زائد عليه • ووافقهم على هذا العلامة ابن عربى الأندلسى المالكى ، وقال لا فرق بين قول القائل : ان صفات الله غيره ، وبين قول اليهود : ان الله فقير ، الا تحسين العبارة •

٢ ــ خلود الفاسق الذى مات غير تائب فى النار ، ووافقهم على هذا السعد من المالكية ، وقيل : انه من الشافعية ، ونص كلامه فى قوله تعالى : **(ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)** •

٣ ــ شفاعة النبى (ﷺ) لا تكون لمن مات مصرا غير تائب ، انما الشفاعة لمن مات على صغيرة ، أو مات وقد نسى ذنبا أن يتوب منه ، أو لزيادة درجة فى الجنة ، أو لتخفيف الموقف على المؤمنين وإراحتهم منه الى الجنة لقوله تعالى : **(ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع)** وقولى تعالى : **(لا يشفعون الا لمن ارتضى)** • وقوله عليه الصلاة والسلام لعشيرته : « لا أغنى عنكم من الله شيئا ، ياعباس ، وياصفية ، ويافاطمة » الحديث : « لا يأتينى الناس بأعمالهم وتاتونى بأنسابكم » •

٤ ــ القول برؤية البارى ــ سبحانه ــ فى الدار الآخرة ، فالاباضية يمنعون ذلك ، والمنع قول عائشة من الصحابة وقتادة والزمخشرى وغيرهم من المعتزلة والشيعة • والحجة قوله تعالى : **(لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)** •

٥ ــ قول من قال : ان القرآن غير مخلوق • فعند المحققين من الأباضية انه مخلوق • اذ لا تخلو الأشياء اما أن تكون خالقا أو مخلوقا ، وهذا القرآن الذى بأيدينا نقرؤه مخلوق لا خالق لأنه منزل ومتلو ، وهو قول المعتزلة والعلم غير المعلوم •

٦ ــ نفى التشبيه عن الله ــ سبحانه وتعالى ــ ، فبهذا يقول الأباضية وكل ما ورد مما يوهم التشبيه فهو مؤول بما يليق به ، كقوله تعالى : **(تجرى بأعيننا)** فأثبت عيونا كثيرة • وقال : **(ولتصنع على عينى)** فدلت هذه الآيات على أنها غير مراد ظاهرها •

٧ ـ قولهم فى مرتكب الكبيرة انه كافر كفر نعمة ، أخذا من قوله تعالى : **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** وقوله تعالى : **(ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى العالمين)** فكل من لم يحكم بما أنزل الله وهو مستطيع فهو كافر ، وكل تارك للحج وهو مستطيع فهو كافر نعمة الله التى أنعم عليه من الاستطاعة ٠

٨ ـ قولهم فى أصحاب النبى (ﷺ) أنهم كغيرهم من الأعمال لا فى درجات الصحبة والمنزلة الأخروية ٠ فالعاصى منهم كغيره من بعدهم كقوله تعالى : **(لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم)** وقوله تعالى عند ذكر بيعة الرضوان **(ومن نكث فانما ينكث على نفسه)** وقد رجم رسول الله (ﷺ) الزانى منهم وجلد الشارب وقطع يد السارق منهم وهجر عاصيهم وقوله : « لو سرقت فاطمة ابنتى لقطعتها » ووافقهم على هذا المعتزلة وهو رأى الصحابة أنفسهم فى بعضهم وهم أسوة ٠

٩ ـ براءتهم من العاصى وهى هجرانه وبغضه على معصيته ، وهى مأخوذة من فعل النبى (ﷺ) فى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وأحاديث المحبة والبغض للمطيع والعاصى ٠

١٠ ـ انهم يؤمنون بالقضاء والقدر أنه من الله ، وأن الخير والشر خلق من الله وكسب من العباد ، وهم يوافقون أهل السنة فى هذا ، والحجة قوله تعالى : **(والله خلقكم وما تعملون)** ، **(الله خالق كل شى)** **(له الخلق والأمر)** **(لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)** ٠

١١ ـ أنهم لا يرون لزوم الامامة فى قريش وهو قول الأنصار وعمر ابن الخطاب وأبى ذر من الصحابة ، واختاره العلامة الشنقيطى صاحب أضواء البيان وغيره من العلماء ٠

١٢ ـ أنهم يوجبون الاستنجاء بالماء بعد البول والغائط ، والخلاف معهم فى الاستجمار وهو مأخوذ من قوله تعالى فى وصف أهل قباء **(فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين)** ٠

١٣ ـ أنهم لا يقولون بالمسح على الخفين ، وأن الصلاة لا تجوز به والمنع مأخوذ من قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق)** الى قوله : **(وأرجلكم الى الكعبين)** ٠

١٤ ـ أنهم يبطلون الصـــلاة بالقنوت فيها ، ومنه قول (آمين) مســـتدلين بقوله تعالى : **(وقوموا لله قانتين)** وقول النبى (ﷺ) : (صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الآدميين) •

١٥ ـ أنهم لا يرون رفع الأيدى مع وبعد تكبيرة الاحرام ولا ضمها الى الصدر ، اذ لم يثبت معهم هذا من فعل النبى (ﷺ) •

١٦ ـ أنهم يوجبون القصر في الصلاة لمن تعدى فرسخين عن وطنه مسافرا ، والفرسخ ثلاثة أميال ، والميل أربعة آلاف ذراع والذراع ذراع المسافر ، وقيل الأوسط ، والذراع من العظم الذى يكون من خلف متصلا بالعضد الى آخر الأصبع الوسطى •

١٧ ـ أنهم يفسدون صيام من أصبح جنبا عملا بقول النبي (ﷺ): (من أصبح جنبا أصبح مفطرا) •

١٨ ـ قولهم بتحريم نكاح المزنى بها لمن زنى بها عملا بقوله تعالى : **(الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين)** وبأحاديث كثيرة رواها جابر بن زيد وغيره عن النبى (ﷺ) والصحابة •

١٩ ـ أن الرضاع قليله وكثيره يحرم التزاوج وهو ظاهر القرآن ولم تصـــح معهم الأحاديث المروية بتحديده ، وهو قول مالك الثورى والاوزاعى وابن المبارك ووكيع وغيرهم من الصحابة كما قال الترمذى •

٢٠ ـ أنهم لا يحكمون باليمين والشاهد للمدعي وهو قول أبي حنيفة والثورى والأوزاعى عملا بالآيات **(واستشهدوا شهيدين من رجالكم)** **(وأشهدوا ذوى عدل منكم)** والأحاديث المروية فى ذلك لم تصح معهم ، وما صح فمؤول •

٢١ ـ ومن ذلك أنهم يحرمون حلق اللحية ، وقد أجمع على توفيرها الصحابة ونهى رسول الله (ﷺ) عن حلقها ، وقال : جزوا الشـــوارب وأعفوا اللحى وخالفوا المجوس ، وفى رواية وخالفوا أهل الكتاب ، وفيه تشبه بالنساء ونهى النبى (ﷺ) عن التشبه بهن ، وفيه : أن توفيرها من الخصال العربية التى أمر رسول الله (ﷺ) بالمحافظة عليها بقوله : بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، واللحية عربية والحلق أعجمى •

٢٢ ـ تحريمهم شرب الدخان أخذا من قوله تعالى : (**ويحرم عليهم الخبائث**) وهو من الخبائث وقال المبعـــوث محمد (ﷺ) بتحريمها ، وقد اتفق الأطباء على أنه مضرة ، وتجنب المضرة واجب شرعا وعقلا ، وفيه اضاعة للمال ، وقد نهى رسول الله (ﷺ) عن اضاعة المال ٠

٩ ـ الزيـــدية

هذه الفرقة هى أقرب فرق الشـــيعة الى الجماعة الاسلامية وأكثر اعتدالا ، وهى لم ترفع الائمة الى مرتبة النبوة ، بل لم ترفعهم الى مرتبة تقاربها بل اعتبروهم كسائر الناس ، ولكنهم أفضل الناس بعد رسول الله (ﷺ) ٠

ولم يكفروا أحدا من أصحاب رسول الله (ﷺ) ، وخصوصا من بايعهم على رضى الله عنه ، واعترف بامامتهم ٠

وامام هذه الفرقة زيد بن على زين العابدين ، وقد خرج على هشام ابن عبد الملك بالكوفة فقتل وصلب ٠

وقد كان الامام زيد رضى الله عنه ملتزما الطاعة لا يخرج عن الجماعة ولا يخالف ، فقد كان منصرفا الى العلم ، كانت له صـــلات وثيقة بعلماء عصره فأخذوا عنه ، فقد اتصل به « واصـــل بن عطاء » وأخذ عنه ٠ واتصل به « أبو حنيفة » وأخذ عنه ، وكان يميل هذا اليه ، ويتعصب له ويقول فى خروجه لقتال جند الأمويين : ضاهى خروجه خروج رسول الله (ﷺ) يوم بدر والامام زيد امام فقيه ومتكلم ، وله فى الفقه كتاب المجمـــوع ٠

و « الزيدية » لا يؤمنون بأن الامام الذى أوصى به النبى (ﷺ) قد عينه بالاسم والشخص بل عرفه بالوصف ، وأن الأوصـــاف التى عرفت تجعل الامام عليـــا رضى الله عنه هو الامـــام من بعده لأن هذه الأوصاف لم تتحقق فى أحد بمقدار تحققها فيه ٠ وهذه الأوصاف توجب أن يكون هاشميا ورعا تقيا عالما سخيا يخرج داعيا لنفسه ، ومن بعد على يشـــترط أن يكون فاطميا أى من ذرية الســـيدة « فاطمة » رضى الله تعـــالى عنهـــا ٠

ويرى زيد جواز امامة المفضول ، فالصفات التى ذكرها للامام ليست هى الصفات الواجب توافرها لصحة الامامة ، بل هى صفات الامام الأمثل

الكامل ، وهو أولى بها من غيره ، فان اختار أهل الحل والعقد فى الأمة اماما لم يستوف بعض هـذه الصـفات وبايعوه صحت امامته ولزمت بيعتـــه ٠

وعلى ذلك الأصل أقر الامام زيد امامة الشيخين : أبى بكر وعمر ولم يكفر أحدا من الصحابة وقال فى ذلك : « ان على بن أبى طالب أفضل الصحابة الا أن الخلافة فوضت لأبى بكر لمصلحة رأوها ، وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة ، وتطييب قلوب العامة » ٠

ومن مذهب الزيدية جواز مبايعة امامين فى اقليمين ، بحيث يكون كل واحد منهما اماما فى الاقليم الذى خرج فيه مادام متحليا بالأوصاف التى ذكروها ، ومادام الاختيار كان حرا من أولى الحل والعقد ٠

والزيديون يعتقدون أن مرتكب الكبيرة مخلد فى النار ، ما لم يتب توبة نصوحا ، وهم قد نهجوا فى ذلك منهج المعتزلة ، وذلك لأن زيدا كانت له صلة بواصل بن عطاء رأس المعتزلة ، وقد كانت تلك الصلة سببا فى بغض بعض الشيعة له ٠

وبعد مقتل زيد قام من بعده يحيى ولكنه قتل ، ثم قام من بعده محمد الامام وابراهيم ابنا عبد الله بن حسن وبعد ذلك ضعف المذهب الزيدى وانطوت صفحته ٠

١٠ ـ المذاهب الفقهية

ظهر التشريع فى أوائل القرن الثانى الهجرى ، وانتهى فى منتصف القرن الرابع الهجرى (مائتين وخمسون سنة) ويتميز هذا العصر بنشاط حركة التشريع ، ثم ظهور المذاهب الفقهية ٠

وقد ساعد على ظهور حركة التشريع فى هذا الوقت المجتهدون من الأئمة والقضاة ، فتكونت الملكة التشريعية عند بعضهم أمثال أبى حنيفة ومالك بن أنس والشـافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم ، ثم بدأ بعد ذلك ظهور الحركة العلمية فى بحوث الدين والفلك والرياضـة ٠٠٠ الخ ٠ واستتبع انتشار حركة الاسلام والرحلات العلمية اتساق أفق المسلمين وتأثرهم بالثقافات المختلفة وبلغ الاجتهاد مداه ، وبدأ عصر تدوين العلوم وتدريسها وكانت مصادر التشريع تقوم على القرآن والسنة والاجتهاد ٠ وعقب ذلك بدأ تدوين المذاهب المختلفة ، ولكل مذهب أنصار وأتباع ٠

(أ) مذهب الامام أبي حنيفـه :

ولد الامام أبو حنيفة النعمان سنة ٨٠ هجرية ، وتفقه بالكوفة ، وبها أسس مذهبه ، وتوفي ببغداد سنة ١٥٠ هـ ٠

تلقى العلم عن حمـــاد بن أبي سليمان ، وهذا تلقى عن ابراهيم النخعي ، وابراهيم أخذ عن علقمه بن قيس ، تلميذ عبد الله بن مسعود ، وكان ابن مسعود يميل الى الاجتهاد بالرأي ، فلما أرسله عمر الى الكوفة وجد بها مرتعا خصيبا ، نمى فيه هذا الميل ، وقوى عنده ملكة استنباط الأحكام ، لأنه وجد بالعراق مســائل كثيرة لم يكن له بها عهد بالمدينة وأحداثا جزئية كانت تتجدد كل يوم . فكان لابد من عرض هذه المسائل والأحداث على قواعد الشريعة لاستنباط الأحكام التى تناســبها ، وقد ســار على طريقه تلاميذه الذين تلقوا العلم عنه ، ثم من تلقى عنهم ، فانتشر الاجتهاد بالرأى فى العــراق ، ومهر فيه علمــاؤه ، وســاعد على ذلك قلة الأحاديث فى هذا الاقليم ، ولهذا سمى علماء العراق أصحاب الرأى ، كمــا سمى علماء المدينة أصحاب الحديث ، لأن المدينة كانت مهبط الوحى وموطن النبى (ﷺ) ، وموطن أصحابه من بعده ، وكانت مركز الخلافة مدة أبى بكر وعمر وعثمان ، وهذا جعل لها ميزة خاصة فى انتشــار الحــديث بها لكثرة ما فيهــا من الصــحابة المتفقهين والذين رأوا فعل النبى (ﷺ) وسمعوا منه ، وقـــد مهر أبو حنيفة فى الفقــه ، واشتهر فى العراق ، وشهد له بعلو مقامه فى الفقه مالك والشافعي وكثير من علماء وقته ، وصحب أبا حنيفة فريق من العلمـــاء تلقوا مذهبه عنه ودونوه وعرفوا بأصحاب أبى حنيفة ، ثم تفرغ جماعة منهم لدراسة المذهب والبحث فى مســـائله وأصـــوله العامة فخالفوه فى بعض هذه المسائل ، واشتهر من هؤلاء أبو يوسف ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد وزفر ، ودونت بعد ذلك أقوال الامام وأقوال أصـــحابه الذين خالفوه مختلفة بعضها مع بعض وسمى الكل مذهب أبى حنيفة ، وذلك لأن مذهبه هو الأصل ، والمســـائل التى خالفوه فيها قليلة ، وقد نتج من اجتهادهم فى التطبيق على أدلة مذهبه ٠ وقد قسم علماء الحنفية مســـائل الفقه عندهم الى ثــلاث طبقــات : الطبقــة الأولى : مســـائل الأصـــول ، والطبقة الثانية : مســائل النوادر وغيرها ٠ والطبقة الثالثة : الفتاوى والواقعـــات ٠

أما مسائل الأصول وتسمى ظاهر الرواية : فهى التى رويت عن أبى حنيفة وأصحابه أبى يوسف ومحمد والحسن وزفر وغيرهم ممن أخذ الفقه

عنه ، لكن الغالب فى هذه المسـائل أن تكون قول الامام وصاحبيه أبى يوسف ومحمد ، أو قول بعضهم وقد جمع الامام محمد هذه المسائل فى كتب ستة تسمى ظاهر الرواية وهى : البسوط والجامع الصغير والجامع الكبير والزيادات والسير الصغيرة ، بخلاف مسائل النوادر الآتى الكلام عنها ، هذه الكتب جمعها الحاكم الشهيد المتوفى سنة ٣٣٤ هـ فى كتاب واحد سماه الكافى ، ثم شرح الكافى بعد ذلك محمد بن محمد بن أبى سهل السرخسى المتوفى سنة ٤٩٠ هـ فى كتابه المبسوط •

أما مسائل النوادر : فهى التى رويت عن أبى حنيفة وأصحابه فى كتب أخرى غير كتب ظاهر الرواية كالهارونيـات ، والجرجانيـات ، والكيسانيات ، للامام محمد ، وككتاب المجرد للحسن بن زياد •

أما الفتاوى والواقعات : فهى المسـائل التى استنبطها المجتهدون المتأخرون من علماء الحنفية لما سئلوا عن هذه المسائل ولم يجدوا فيها رواية عن أهل المذهب المتقدمين ، وأول كتاب عرف فى هذا الموضوع كتاب النوازل للفقيه أبى الليث السمرقندى ، وقد شاع مذهب أبى حنيفة فى كثير من بلاد الاسلام كبغداد وبلاد فارس والهند وبخارى واليمن ومصر والشام وغيرها ، وأول من نقله الى مصر القاضى الحنفى اسماعيل بن اليسع الكوفى عندما ولى قضاء مصر من قبل المهدى سنة ١٦٤ هـ ، ولكنه لما كان يذهب الى ابطال الاحباس ثقل أمره على أهل مصر ، وقالوا انه أحدث لنا أحكاما لا نعرفها ببلدنا ، فعزله المهدى ولكن المذهب انتشر بعد ذلك ، فان الامام أبا يوسف لما ولى القضاء فى عصر الرشيد بعد سنة ١٧٠ هـ وصار أمر تولية القضاة بيده كان لا يولى ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر وبعض بلاد أخرى الا من أشار به ، وكان لا يولى الا من كان على مذهبه ، فاضطرت العامة الى تعرف أحكام القضاء وفتاوى أهل الرأى من علماء المذهب ، ولهذا انتشر المذهب فى هذه البلاد انتشارا عظيما ، وسيأتى أن مذهب الامام مالك انتشر بالأندلس بسبب تمكين يحيى بن يحيى بن كثير من الحكم المرتضى بن هشام الملقب بالمنتصر ، ولهذا قال ابن حزم : (مذهبان انتشرا فى بدء أمرهما بالرياسة والسلطان الحنفى بالمشرق ، والمالكى بالأندلس) وقد بقى مذهب أبى حنيفة فاشيا فى مصر مدة تمكن الدولة العباسية منها ، ولكن لانتشار مذهبى مالك والشـافعى لم يكن القضاء مقصورا على الحنفية بل كان يتولاه حنفيون تارة ومالكيون أو شافعيون تارة أخرى ، وقد بقى الحال كذلك الى أن غلبت الدولة الفاطمية على مصر سنة ٣٥٨ هـ ، فولوا القضاة من الشيعة ، فظهر مذهبهم بمصر ، وصار هو المعول عليه فى الفتوى والقضاء ، أما العبادات : فقد أبيح للناس أن

يتبعوا فيها أى مذهب من مذاهب أهل السنة ، ولكن فى مدتهم خبا مذهب أبى حنيفة لأنهم كانوا يغضون منه ، وقد استظهر بعض الباحثين ان ذلك ناشىء من انه مذهب الدولة العباسية المناوئة لهم فى الشرق ، وهو استظهار وجيه . ولما أنقرضت الدولة الفاطمية وتولى على مصر الايوبيون سنة ٥٦٧ هـ عادت مذاهب أهل السنة الى الظهور ، وبنى صلاح الدين الأيوبى المدرسة السيوفية بالقاهرة لتدريس مذهب أبى حنيفه ، وفى سنة ٦٤١ هـ بنى الصالح نجم الدين أيوب مدرسة الصالحية بالقاهرة ، ورتب بها دروسا أربعة للمذاهب الأربعة ، وهو أول من أحدث هذا النوع من المدارس بمصر ، ومع أن مذهب الحنفية قد عاد الى الانتشار بمصر مدة الأيوبيين فان القضاء كان خاصا بمذهب الشافعى ، ولكن كان للقاضى الشافعى نواب من الحنفية والمالكية والحنابلة ، وبعد انتهاء دولة بنى أيوب من مصر سار القضاء فى المذاهب الأربعة فى عهد الظاهر بيبرس ، وبعد أن استولى العثمانيون على مصر سنة ٩٢٣ هـ جعل القضاء مقصورا على الحنفية اتباعا لمذهب الدولة ، فرغب فيه كثير من أهل العلم طمعا فى تولى القضاء ، ولا يزال القضاء والافتاء مقصورا على الحنفية الى الآن ، أما المذهب فأكثر انتشاره فى المدن ، أما أفريقية فكان الغالب على أهلها السنن الى أن قدم اليها عبد الله بن فروخ أبو محمد الفارسى فنقل اليها مذهب أبى حنيفة ، ثم انتشر بها لما ولى قضاءها أسد بن الفرات بن سنان ، وكان قد تفقه على أصحاب أبى حنيفة ، وبقى مذهب أبى حنيفة فاشيا فى أفريقية حتى ولى أمرها المعز بن باديس سنة ٤٠٧ هـ ، فحمل الناس على مذهب مالك ، وكان قد نقل المذهب الى بلاد الأندلس وبقى بها الى أن تغلب عليه مذهب الامام مالك ، وذكر المقدسى فى أحسن التقاسيم حكاية لسبب تغلبه نقلا عن بعض أهل المغرب وذلك أن الفريقين من الحنفية والمالكية تناظرا يوما أمام السلطان فقال لهم : من أين كان أبو حنيفة ؟ قالوا من الكوفة فقال : ومالك ؟ قالوا من المدينة قال : عالم أهل المدينة يكفينا ، وأمر باخراج أصحاب أبى حنيفة وقال : لا أحب أن يكون فى عملى مذهبان ، ولايزال مذهب أبى حنيفة موجودا ببلاد أفريقية (الجزائر ، وتونس ، وطرابس) ولكن المقلدين له قليلون ، وهم من بقايا الأسر التركية ، وأكثرهم فى تونس ، وأسرة البيت المالك فى تونس من الاحناف ، ولهذا امتازت عاصمتها بأن بها القضاء الحنفى مشاركا للقضاء المالكى ، بخلاف سائر الجهات الأخرى فان القضاء بها مالكى وبأن بها أيضا كبيرى المفتيين وهما الحنفى ، وله التقدم والزعامة المعنوية على الجميع ويلقب بشيخ الاسلام ، والمالكى وله المقام الثانى ، وأيضا جرت العادة بأن يكون نصف مدرسى جامع الزيتونة من الأحناف والنصف الثانى من المالكية أما البلاد الأخرى

التى ذكرنا أن مذهب أبى حنيفة انتشر بها فقد نقل الى بعضها فى مبدأ ظهوره ونقل الى البعض الآخر فى أزمنة مختلفة ، أما لذهاب العلماء من الحنفية فى هذه البلاد ونشر مذهبهم بها ، واما لأن سلطان القضاة والمفتين من الحنفية الذين تولوا القضـــاء والافتاء بها قضى على الأهالى باتباع مذهبهم ، وأما لأن فريقا ممن ينتمون الى المذهب انتقلوا الى بلد واستوطنوه فتكاثروا مع بقائهم محافظين على مذهبهم ، وأما لغير ذلك من الأسباب ، وعلى الجملة فان اتباع هذا المذهب منتشرون فى أكثر ممالك المعمورة وهو الغـالب فى بلاد العراق والشام والهند والأفغان والتركستان ـ الشرقية ـ والقوقاز والغالب على الأتراك العثمانيين والالبانيين وسكان البلقان ويقدر أتباعه فى الهند بنحو ٤٨ مليونا ، وفى البرازيل بأمريكا الجنوبية بنحو ٢٥ ألف مسلم مذهبهم حنفى •

سجن الخليفة المنصور أبا حنيفة وعذبه بسبب رفضه لولاية القضاء وقوله (والله ما أنا بمأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب) ولم تشفع أعوامه السبعين له حتى أخرجوه من السجن بعد أن دسوا له سما بطيئا حتى مات •

(ب) مذهب الامـــام مالك :

الامام مالك هو : أبو عبد الله مالك بن أنس الاصـــبحى امام دار الهجرة وأجل علمائها ، ولد سنة ٩٣ هـ وتوفى سنة ١٧٩ هـ ونشأ بالمدينة وفيها تلقى العلم عن ربيعة الرأى ورحل الى خيار التابعين من الفقهـــاء وأخذ عنهم وسمع الزهرى ونافعا مولى ابن عمر وغيرهما من رواة الحديث ومازال يدأب فى تحصيل العلم وجمع الحديث حتى صار سيد فقهاء الحجاز وشهر ذكره فى البلاد ، ولما حج المنصور اجتمع به وأشـــار عليه بان يدون فى كتاب ما ثبت عنده من مسائل العلم ، فألف كتابه الموطأ فى الحديث والفقه ، فلما جاء المهدى حاجا سمعه منه وأمر له بخمسة آلاف دينار ، ثم رحل اليه الرشيد مع أولاده وسمعه منه وأغدق عليه الخير الكثير ، ويظهر أن الموطأ وقع من نفس الرشيد موقع الاعجاب ، ولهذا حاول أن يعلقه فى الكعبة ويحمل الناس على ما فيه لولا أن راجعه فى ذلك الامام مالــك •

روى أبو نعيم فى الحلية عن مالك بن أنس قال : شاورنى هارون الرشيد فى أن يعلق الموطأ فى الكعبة ويحمل الناس على ما فيه ، فقلت : لا تفعل ، فان أصحاب رسول الله (ﷺ) اختلفوا فى الفروع وتفرقوا

فى البلدان وكل مصيب ، فقال : وفقك الله يا أبا عبد الله وقد روى الموطأ عن مالك كثير من العلماء ورواه عنه محمد بن ادريس الشـــافعى ومحمد بن الحسن صـــاحب أبى حنيفة ومن أجل أصحابه الذين تفقهوا عليه ورووه عنه عبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم وقد صحبه كل منهما نحو عشرين ســـنة ، وقد دونا مذهبه مع غيرهما من أصحابه ونقلوه الى أمصار الاسلام ثم نقله عنهم ممن تلقاه عنهم من العلماء وهكذا أخذ ينتشر حتى غلب على مصر وأفريقيا والأندلس والمغرب الأقصى فى الغرب ، كما غلب على البصرة وبغداد وغيرهما من بلاد الشرق ، وأن كان قد ضعف أمره بعد ذلك وبنى الامام مالك مذهبه على الأصول الأربعة : الكتاب والسنة والاجماع والقياس . وذكر ابن خلدون أنه اختص بمدرك آخر للأحكام وهو عمل أهل المدينة لأنه رأى أنهم فيما يتفقون عليه من فعل أو ترك متابعون لمن قبلهم ضرورة لدينهم واقتدائهم ، وهكذا الى الجيل المباشرين لفعل النبى (ﷺ) الآخذين ذلك عنه • وأول من أدخل فقه مالك الى مصر عثمان بن الحكم الجزامى من أصحاب مالك المصريين وعبد الرحمن بن خالد بن يزيد بن يحيى مولى جمح ، وكان فقيها روى عنه الليث بن سعد وابن وهب ورشيد بن سعد وتوفى بالاسكندرية سنة ١٦٣ هـ ، ثم نشره بمصر عبد الرحمن بن القاسم وأشهب بن عبد العزيز وابن عبد الحكم والحارث بن مسكين ومن فى طبقتهم فاشتهر بها أكثر من مذهب أبى حنيفة لتوفر أصحاب مالك بها •

ولم يزل مذهب مالك مشتهرا بمصر حتى قدم اليها محمد بن ادريس الشـــافعى ونشر مذهبه بها ، فشارك مذهب مالك فى الشهرة والذيوع وصارت المذاهب الثلاثة : الحنفى والمالكى والشـــافعى تتداول القضاء بمصر حتى غلب الفاطميون عليها فأبطلوا العمل بمذاهب أهل السنة كما سبق ذكره • وفى زمن الدولة الأيوبية عاد مذهب مالك الى الظهور وبنيت لفقهائه المدارس ، ففى سنة ٥٦٦ هـ بنى لهم صـــلاح الدين المدرســـة القمحية وفى سنة ٦٤١ هـ رتب الصالح نجم الدين أيوب فى مدرســـته الصالحية بالقاهرة دروسا أربعة للمذاهب الأربعة ، ثم كثر هذا النوع من المدارس بعد ذلك ثم فى دولة المماليك البحرية جعل الظاهر بيبرس القضاة أربعة بعد أن كان القضاء مقصـــورا على الشـــافعية فى الدولة الايوبية ، ومن ثم عاد القضـــاء للمذهب المالكى استقلالا ، وكان قاضيه فى المرتبة الثانية بعد الشافعى ، ومع أن القضاء قصر على الحنفية فى الدولة العثمانية ولا يزال مقصورا عليهم الى الآن فان مذهب مالك بقى حافظا مركزه فى الشهرة والذيوع الى الآن ، وأكثر انتشاره فى الصعيد وكان أهل الأندلس ملتزمين مذهب الاوزاعى أدخله بها صعصعة بن سلام

لما انتقل اليها ، وبقى مذهبه غالبـــا بها حتى أدخل مذهب مالك الى الأندلس زياد بن عبد الرحمن القرطبي الملقب بشبطون بعد أن لقى الامام مالكا وأخذ عنه فقهه ، وذلك فى زمن هشام بن عبد الرحمن (١٧١ ـ ١٨٠ هـ) فمن ثم أخذ مذهب مالك في الانتشار والتغلب على مذهب الاوزاعى ٠ وشبطون أول من أدخل الموطأ الى الأندلس مكملا متقنا ، وقد تلقاه عنه يحيى بن يحيى بن كثير ، وبعد أن أخذه عنه حج وسمعه من الامام مالك الا أبوابا منه ، ثم أخذ عن ابن وهب وابن القاسم وغيرهما كثيرا من العلم ، وعاد الى الأندلس فاشتهر أمره وتفقه عليه كثير من أهل الاندلس ، واختص به الحكم بن هشام الملقب بالمنتصر (١٨٠ ـ ٢٠٦ هـ) فنال من الرياسة والسلطان ما لم ينله غيره ، وصارت الفتيا اليه فكان لا يقلد قاض فى سائر أعمال الأندلس الا باشارته واعتنائه ، ولا يقلد الا من كان على مذهب مالك ، فاتبع النـــاس مذهبه وتركـــوا مذهب الاوزاعى ، ولم تنته المائة الثانية من الهجرة حتى أخذ الاوزاعى فى الزوال ثم لم يلبث أن تقلص ظله بالأندلس ، وساد المذهب المالكى ، ويظهر أن ثلاثة أسباب اجتمعت فكان لها أكبر أثر في انتشار مذهب مالك بالأندلس وسيادته في ارجائها :

الأول : ما ذكر فى نفـــح الطيب وغيره من أن الأمير هشـــام بن عبـد الرحمن قد نقل اليه ما عليه الامـام مالك من سعة وجـلالة القدر والتقوى وأنه عندما سمع بسيرته من بعض الأندلسيين قال لهم : نسأل الله أن يزين حرمنا بملككم فأحب مالكا ومذهبه وحمل النـــاس على اتبـــاعه ٠

الثاني : ما حصل فى زمن الحكم بن هشام من تمكن يحيى بن يحيى منه وجعله القضاء والافتاء في الأندلس مقصورا على المالكية ، فقد جعل هذا الناس يتفقهون على مذهب مالك رغبة فيما عند السلطان من الوظائف وحرصا على طلب الدنيا ، لأنه ما كان يتولى الفتيا أو القضاء فى المدن والقرى الا من تسمى بالفقه على مذهب مالك ، وقد جرى العامة أثر الخاصة فى ذلك اتباعا لأحكام القضاة وفتاوى العلماء ٠

الثالث : أن أهل الأندلس كانت تغلب عليهم البداوة ، وأهل الحجاز كانوا كذلك ، ولما كان مذهب مالك قد نشأ فى وسط الحجاز ولم يأخذه تنقيح الحضـــارة وتهذيبهـــا فكان أوفق لطبيعـة الأندلسيين ومزاجهم الفطـــرى ٠

وكان الغالب على أهل أفريقيا المذهب الحنفى الى أن ولى سحنون ابن سعيد التنوخي قضاء أفريقية بعد أسد بن الفرات فنشر فيها مذهب

مالك ، وصار القضاء في أصحابه ، ولما تولى المعز بن باديس على أفريقية سنة ٤٠٧ هـ حمل أهلها وأهل ما والاها من بلاد المغرب على المذهب المالكي وترك ما عداه من المذاهب الأخرى فاستمرت له الغلبة على أفريقية وعلى ســائر بلاد المغرب وفي زمن دولة بني تاشــفين بالمغرب الاقصى والأندلس كان علي بن يوسف بن تاشفين ثاني امرائهم (٥٠٠ ـ ٥٣٥ هـ) يقدم أهل الفقه ويؤثرهم على غيرهم ، ولم يكن يقرب منهم ويحظى عنده الا من كان عنده علم مذهب مالك ، وكان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء ، وألزم القضاة بألا يبتوا حكما في صغير الأمور وكبيرها الا بمحضر أربعة من الفقهاء ، فدرست في زمنه كتب مذهب مالك ، وعمل بمقتضاها ، ونبذ ما سواها ، وفي زمن دولة الموحدين بالمغرب جمع الناس على مذهب مالك في الفروع عبد المؤمن بن علي ثاني خلفائهم (٥٢٤ ـ ٥٥٨ هـ) ولــكن في زمن حفيده يعقــوب بن يوسف بن عبد المؤمن (٥٨٠ ـ ٥٩٥ هـ) انقطع علم الفروع وأمر باحراق كتب مذهب مالك بعد أن يجرد ما فيها من القرآن والحديث ، فأحرق منها جملة في سائر البلاد كمدونة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادر ابن أبي زيد ومختصره والتهذيب للبرادعي وواضحة ابن حبيب وغير ذلك من الكتب ، وأمر بجمع أحاديث من الصحيحين والترمذي والموطأ وسنن أبي داود والنسائي والبزار والدارقطني والبيهقي ومسند ابن أبي شيبة في الصلاة وما يتعلق بها فكان يملي هذا المجموع بنفسه على الناس ويأخذهم بحفظه ، ويجعل لمن يحفظه الجعل السني من الكسى والأموال ، وكان على مذهب أهل الظاهر ولهذا عظم أمر الظاهرية في مدته بالمغرب ، ولكنهم كانوا مغمورين بالملكيــة ، ورغما عما حصل فان مذهب المالكية بقي غالبا على بلاد المغرب الأقصى ولايزال كذلك الى اليوم ، وهو الغالب أيضــا على الجزائر وتونس وطرابلس ولا يكاد يوجد في هذه الأقاليم من مقلدي غيره الا الحنفية بقلة على الصــفة التي سبق ذكرها ، وأشهر الكتب التي اعتمد عليها أهل الأندلس وأفريقية بعد كتاب الموطأ كتاب الواضحة ألفه عبد المالك بن حبيب بعد أن رحل من الأندلس وأخذ فقه مالك عن ابن القاسم وطبقته ، وكتاب العتبية ألفه العتبي تلميذ ابن حبيب •

هذا في الأندلس ، أما في أفريقية فقد كتب أسد بن الفرات عن ابن القاسم كتابا في سائر أبواب الفقه وسماه الأسدية بعد أن قرأ مذهب أبي حنيفة وانتقل الى مذهب مالك فقرأه عليه سحنون ، ثم رحل الى المشرق وأخذ عن ابن القاسم وعارضه بمســائل الأسدية ، فرجع عن كثير منها وكتب سحنون مسائلها ودونها وأثبت ما رجع عنه وكتب لأسد أن يأخذ بكتاب سحنون ، فأنف من ذلك فترك الناس كتابه واتبعوا مدونة سحنون• وقد لخص المدونة أبو سعيد البرادعي من فقهاء القيروان في كتابه التهذيب

الذى اعتمده المشيخة من أهل أفريقية وأخذوا به وتركوا ما سواه ، كذلك اعتمد أهل الاندلس كتاب العتبية وهجروا الواضحة وما سواها ثم أخذ علماء المذهب يتناولون المدونة والعتبية بالشرح والايضاح بما شاءوا أن يكتبوا ، فكتب على المدونة ابن يونس واللخمى وابن محرز وغيرهم من علماء افريقية وكتب على العتبية ابن رشد واترابه من علماء الأندلس ، ثم جمع ابن أبى زيد جميع ما فى الأمهات من المسائل والخلاف والأقوال فى كتابه النوادر فاشتمل على جميع أقوال (ابن خلدون) .

هذا ما كان من شأن مذهب مالك فى المغرب ، أما فى المشرق فقد نقل الى بغداد وظهر بها ظهورا واضحا وزاحم فيها مذهب أبى حنيفة ، ولكن أنصاره صاروا قلة بعد القرن الرابع ونقل أيضا الى البصرة وبقى بها الى القرن الخامس ثم ضعف شأنه بها ولا يزال به بقية من مقلديه فى بلاد العراق الى الآن ، كذلك مقلدوه على قلة اليوم فى أرض الحجاز وفلسطين وقد انتشر باليمن ثم تلاشي ، وهو المذهب الغالب الآن فى أرض الكويت وقطر والبحرين ، وأكثر أهل السنة فى الاحساء مالكية وحنابلة أما فى مصر فيغلب على أهل الصعيد كما أنه غالب على أهل السودان .

وفى عهد الخليفة المنصور عذبوا وضربوا الامام مالك فى السجن حتى انخلع كتفه ثم ألزموه بيته لا يخرج منه الا للصلاة حتى توفى .

(ج) مذهب الامام الشـــافعى :

هو أبو عبد الله بن ادريس الشافعى القرشى ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ وتوفى بمصر سنة ٢٠٤ هـ حفظ القرآن بمكة وبها تعلم اللغة والشعر وفنون الأدب وعلوم القرآن والحديث والفقه ، وكان فى ذلك موضع اعجاب شيوخه من فرط ذكائه وشدة فهمه ومن مشهورى العلماء الذين تلقى عنهم العلم : سفيان بن عيينة ومسلم بن خالد الزنجى ، ولما قارب العشرين من عمره انتقل الى المدينة وكان قد سمع بالامام مالك وعلو مقامه فى العلم فذهب اليه وتلقى عنه فقهه ، ثم رحل الى العراق ولقى أصحاب الامام أبى حنيفة وأخذ عنهم فقههم ، ورحل الى بلاد فارس وشمال العراق وكثير من البلاد ، ثم عاد الى المدينة بعد أن قضى سنتين فى هذه الرحلة من سنة ١٧٢ الى سنة ١٧٤ هـ وقد زادته هذه الرحلة علما ومعرفة بشـــئون الحياة وطبائع الناس ، وبعد أن توفى الامام مالك سافر الى اليمن مع واليها وأقام بها ملازما الامام يحيى بن حســان ومتفرغا لتدريس العلم وافادته فاشتهر أمره بها ، ثم وشى به الى الخليفة هارون الرشيد فأخذ الى بغداد ، وهناك ظهرت براءته وعرف فضله وعلمه فأغدق عليه الرشيد الخير الوفير ، فأقام ببغداد يدرس العلم وينشر مذهبه فأقبل عليه الناس

افواجا يأخذون عنه وقد أتم فى مدة اقامته بها كتابه القديم أو مذهبه القديم ثم عاد الى مكة وفيها تفرغ لنشر مذهبه فتلقاه عنه بعض العلماء الوافدين الى الحج ، ونقلوه الى بلادهم ، وفى سنة ١٩٨ هـ قدم الى مصر من بغداد بعد أن ذهب اليها وأقام بها شهرا ، وأقام بمصر حتى توفى ، وقد كان الشافعى فى مبدأ أمره يعد من أتباع مالك لأنه أخذ عنه مذهبه وأملى الموطأ على بعض الوافدين الى المدينة من علماء الأمصار ، ولما رحل الى العراق وقرأ كتاب الأوسط للامام أبى حنيفة ودرس مذهبه ومذهب أصحابه ورأى فى العراق من الأحداث والقضايا ما لم يره من الحجاز استجدت له آراء تخالف آراءه الأولى المالكية ، وتتفق هذه الأحداث الجديدة وما ألفه الناس فى بلاد العراق ولهذا ألف مذهبه (القديم) وخالف فى كثير من مسائله مذهب أستاذه الامام مالك ، وذكر ابن خلدون أن الامام الشافعى رحل الى العراق من بعد مالك ولقى أصحاب الامام أبى حنيفة وأخذ عنهم ومزج طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق واختص بمذهب وخالف مالكا ـ رحمه الله ـ فى كثير من مذهبه ، ولما جاء الشافعى الى مصر واستقر بها ودون مذهبه الجديد ورجع عن بعض الأحكام التى كانت له بالقديم ، ويظهر لنا أنه تأثر بالبيئة المصرية وما كان فيها من نظم وعادات ، خاصة وقد وجد لمن تقدموه من العلماء بمصر فتاوى خاصة بأحوال المصريين لم يكن اطلع عليها من قبل ، فرجع عن بعض آرائه العراقية الى ما يخالفها من الأحكام .

قدم الشافعى مصر وكان الغالب على المصريين المذهب المالكى والمذهب الحنفى فنشر مذهبه بها ودون كثيرا من الكتب منها : كتابه (الجديد) وكان يدرس فيه مذهبه بمسجد عمرو بن العاص ، وكتاب الأم والأمالى الكبرى والاملاء الصغير وكتاب الرسالة وغير ذلك من الكتب ، ووضع بمصر علم أصول الفقه وهو أول من وضعه ودونه وتلقى عن الشافعى مذهبه كثير من العلماء وكتبوا عنه ما ألفه وعملوا بما ذهب اليه ومن أشهرهم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وأبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى المزنى وأبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطى والربيع الجيزى كذلك أخذ عنه أشهب وابن القاسم من أصحاب الامام مالك ولم يزل مذهب الشافعى يقوى بمصر وذكره ينتشر حتى استولت على مصر دولة الفاطميين فأبطلت العمل به مع باقى المذاهب الأربعة كما سبق ذكره ، وفى الدولة الايوبية عادت القوة والنشاط لمذهب الشافعى لأنه كان مذهب الأيوبيين وقد اختص بالقضاء لأنه مذهب الدولة ، وبنى صلاح الدين لعلماء الشافعية سنة ٥٦٦ هـ المدرسة الناصرية بجوار جامع عمرو وهى أول مدرسة بنيت بمصر ولما كملت وقف عليها الصاغة وكانت بجوارها .

وفى سنة ٥٧٢ هـ بنى بجوار قبر الامام الشافعى المدرسة الصلاحية لتدريس مذهبه بها ، ووقف عليها جزيرة الفيل وأوقافا أخرى ، وكانت أعظم المدارس فى ذلك العهد سعة وعمرانا ، وقد وصف فخامتها ابن جبير فى رحلته وقال (أنه يخيل لمن يتطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته) وهذه المدرسة هى التى بنى مكانها الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٧٥ هـ مسجد الامام الشافعى الذى انتهت عمارته أخيرا الى الشكل الموجود عليه الآن ، وفى سنة ٦٠٨ هـ بنى الملك الكامل ابن الملك العادل ابن أيوب القبة العظيمة التى على ضريح الامام الشافعى وصفحها بالرصاص وأنفق عليها خمسين ألف دينار مصرى ، وبقى مذهب الشافعى مختصا بالقضاء بمصر فى الشطر الأول من عصر دولة المماليك البحرية حتى أحدث الظاهر بيبرس القضاة الأربعة وجعل لكل قاض التحدث فيما يقتضيه مذهبه بالقاهرة والفسطاط ، ونصب النواب وميز الشافعى باستقلاله بتوليه النواب فى سائر بلاد القطر ، كما خصه بالنظر فى مال الأيتام والأوقاف وجعل له المرتبة الأولى بين باقى القضاة ، واستمر الحال كذلك فى باقى مدة هذه الدولة ودولة المماليك الثانية حتى جاء العثمانيون فقصروا القضاء على الحنفى .

وأول من أدخل مذهب الشافعى الشام القاضى الشافعى أبو زرعة محمد بن عثمان الدمشقى المتوفى سنة ٣٠١ هـ على بعض الأقوال ، وكان المذهب الغالب على أهل الشام مذهب الاوزاعى فلما ولى أبو زرعة القضاء حكم به ونشره بين الناس وكان يعطى من يحفظ مختصر المزنى مائة دينار ومن عصر أبى زرعة أخذ علماء الشافعية يكثرون حتى غمروا الشام بمذهب امامهم ، وذكر المقدسى فى أحسن التقاسيم أن الفقهاء باقليم الشام فى زمنه - أى فى القرن الرابع - كانوا شافعية قال (ولا ترى مالكيا ولا داووديا) وانتشر مذهب الشافعى بما وراء النهر بمحمد بن اسماعيل القفال الكبير الشاشى المتوفى سنة ٣٦٥ هـ وكان الغالب على بغداد مذهب أبى حنيفة ثم زاحمه فيها مذهب الشافعى ، وقد نشره فيها بنفسه كما ذكرنا واستمر ظاهرا ببغداد بمن كان بعد الشافعى من علماء مذهبه ، ومن أشهرهم الحسن بن محمد الزعفرانى المتوفى سنة ٢٦٠ هـ . والذى أدخل مذهب الشافعى الى مرو أحمد بن سيار ثم أظهره بها الحافظ عبد الله ابن محمد بن عيسى المروزى وقد حمل ابن سيار كتب الشافعى الى مرو فاعجب بها الناس ، ولما أراد عبد الله أن ينسخها أبى عليه ذلك ، فباع ضيعة له وخرج الى مصر فأدرك الربيع الجيزى وغيره من أصحاب الشافعى فنسخ كتب الشافعى ورجع بها الى مرو وأظهر كتبه بها فعرف الناس مذهبه ثم توفى فى سنة ٢٩٣ هـ .

وأول من أدخل مذهب الشافعى وتصانيفه الى اسفرايين أبو عوانة يعقوب بن اسحاق النيسابورى الاسفرايينى صاحب الصحيح المستخرج

على مسلم ، وقد أخذ فقه الشـــافعي عن الربيع والمزني وتوفي سنة ٣١٦ هـ ، ونقل مذهبه الى غزنة وخراسان على يد وجيه الدين أبي الفتح محمد بن محمود المروزي فقد اتصل بغياث الدين صاحب غزنه وبعض خراسان ، وكان على مذهب الكرامية وأوضح له مذهب الشافعي وبين له فيه فساد مذهب الكرامية فصار شافعيا ، وذلك في سنة ٥٩٥ هـ ، ثم بني بغزنة مسجدا للشافعية وبالغ في مراعاتهم ٠

وعلى الجملة فان مذهب الشافعي انتشر في أهم البلاد الاسلامية في بلاد الشرق ، وانتقل منها الى ما عداها من الممالك والامصار ، وهو الآن غالب على الصعيد من القطر المصري وغالب على فلســـطين وبلاد الكرد وأرمينية ، وأكثر أهل السنة بفارس شافعية ومسلمو جزيرة سيلان وجزائر الفلبين ومسلمو الجاوة وما جاورها من الجزائر ومسلمو الهند الصينية واستراليا شافعية ، وأهل عسير شافعية والســـنيون في اليمن وعدن وحضرموت شافعية ، عدا عدن فان بها بعض حنفية ، وهو غالب على الحجاز مع مذهب أحمد بن حنبل ويتبعه نحو الربع من مسلمي الشام ، ويلي مذهب أبي حنيفة في الانتشار في بلاد العراق ، ويوجد بقلة في جهات أخرى غير ما ذكر ويتبعه في الهند نحو مليون مسلم ٠

وقد توفي الامام الشافعي بعد أن انفرد به بعض المجرمين في السجن وانهالوا عليه ضربا وسبا حتى ســـقط مغشـــيا عليه ثم نقل الى منزله ومـــات ٠

(د) مذهب الامام أحمد بن حنبل :

هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ وتوفي سنة ٢٤١ هـ طلب العلم صغيرا ثم رحل في طلبه الى الشام والحجاز واليمن وسمع من سفيان بن عيينة وطبقته ، ولازم الامام الشافعي مدة اقامته ببغداد ، وقد قال في حقه (خرجت من بغداد وما خلفت فيها أوقر ولا أزهد ولا أورع ولا أعلم من أحمد بن حنبل) وقد روى عن الامام أحمد خلق كثير منهم جماعة من شيوخه ، ومنهم البخاري ومســـلم ، وقد صنف كثيرا من الكتب قيل أنها بلغت اثني عشر جملا وله كتاب المســـند الكبير أعظم المسانيد وأحسنها وضعا وانتقاء فانه لم يدخل فيه الا ما يحتج به ، وقد انتقاه من أكثر من سبعمائة وخمسين ألف حديث ، وكتب من أقواله وفتاويه أكثر من ثلاثين سفرا وجمع الخلال نصوصه في الجامع الكبير فبلغ نحو عشرين سفرا ، وكان في فتاويه شديد التحري لفتاوى الصحابة فيما لا نص فيه حتى انهم اذا اختلفوا في المسألة

على قولين جاء عنه فيها روايتان ، وقد بنى مذهبه على أربعة أصول مرتبة على الوجه الآتى :

الأول : النص فاذا وجد فى المسألة نص من الكتاب أو السنة الصحيحة أفتى بموجبه ، ولم يلتفت الى ما خالفه ولا من خالفه كائنا من كان ، ولهذا لم يلتفت الى قول عمر فى المبتوتة لحديث فاطمة بنت قيس ولا الى قول ابن عباس ، واحدى الروايتين عن على فى أن عدة المتوفى عنها زوجها الحامل أبعد الاجلين لصحة حديث سبيعة الاسلمية ، ولا الى قول معاذ ومعاوية فى توريث المسلم من غير المسلم لصحة الحديث المانع من التوارث بينهما •

الثانى : ما أفتى به الصحابة : فاذا وجد لبعضهم فتوى لا يعرف له مخالف منهم فيها لم يعدها الى غيرها ، ولم يقل ان ذلك اجماع ، وانما كان يقول لا أعلم شيئا يدفعه ، أما اذا اختلفوا تخير من أقوالهم ما كان أقرب الى الكتاب والسنة ، ولم يخرج عن أقوالهم فان لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف فى المسألة ولم يجزم بقول أحد •

الثالث والرابع : الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف اذا لم يكن فى الباب شىء يدفعه،وليس المراد بالضعيف عنده الباطل ولا المنكر ولا ما فى روايته منهم ، بل المراد به ما كان من أقسام الحسن ، فاذا لم يجد فى الباب أثرا يدفعه ولا قول أحد من الصحابة ولا اجماعا على خلافه ، وكان العمل به أولى من القياس ، وهو الأصل الرابع ، فانه لا يصير الى القياس عنده الا الضرورة •

هذه هى الأصول التى بنى عليها الامام أحمد مذهبه ، وكان يتوقف فى الفتوى أحيانا اذا تعارضت الأدلة عنده أو لاختلاف الصحابة فى المسألة أو لعدم اطلاعه فيها على أثر أو قول أحد من الصحابة أو التابعين ، وكان شديد الكراهة والمنع للافتاء بمسألة ليس فيها نص أو أثر عن السلف ، ويظهر أن تشدد الامام أحمد فى أن يكون فى الحادثة نص أو أثر وتحرجه من الفتوى فيما ليس فيه نص أو أثر أوقف مذهبه من الانتشار فى أقطار الأرض كغيره من المذاهب الأخرى ، فان أصحابه من بعده كانوا يتحرون أقواله فى فتاويهم ولا يتعدونها ، بخلاف أهل المذاهب الأخرى فانهم اجتهدوا فى مذاهب أئمتهم اتباعا لتجدد الحوادث وأحيانا كانوا يخالفونهم فى الفروع استنباطا من قواعد أصولهم ، ولهذا كان الحنابلة فى الجهة التى ظهر فيها مذهبهم قليلين ، والجهات التى كثر فيها أتباعه صغيرة فى جانب غيرها من الممالك والأصقاع التى انتشر فيها

غيره من باقى المذاهب الأربعة ، قال ابن خلدون (وأما أحمد بن حنبل فمقلده قليل لبعد مذهبه عن الاجتهاد وأصـــالته فى معاضدة الرواية والأخبار بعضها ببعض ، وأكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها وهم أكثر الناس حفظا للسنة ورواية الحديث) وكان أول ظهور المذهب ببغداد موطن الامام أحمد ، ثم انتقل الى غيرها من البـلاد ، وقد كثر أصحابه ببغداد وقوى أمرهم فى القرن الرابع ، فقد ذكر ابن الأثير فى حوادث سنة ٣٢٣ هـ أنهم قد عظم أمرهم وقويت شوكتهم فصـــاروا يكبسون دور القواد والعامة ، وان وجدوا نبيذا أراقوه ، وان وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء ، اعترضوا فى البيع والشراء ، ومشى الرجال مع النساء والصبيان ، فان رأوا من يفعل ذلك سألوه عن الذى معه من هو ؟ فأخبرهم والا ضربوه وحملوه الى صاحب الشرطة وشهدوا عليـه بالفاحشة ، فأرهبوا بغداد ٠

وقد ركب صاحب الشرطة الخرشنى ونادى فى جانبى بغداد فى أصحاب أبى محمد البربهارى الحنابلة ألا يجتمع منهم اثنان ولا يتناظروا فى مذهبهم ، فلم يفد فيهم ذلك وزاد شرهم بأن أغروا العميان الذين كانوا يغشون المساجد بايذاء الشافعية فكانوا يضربونهم ضربا مبرحا ، ولم تهدأ هذه الفتنة الا بعد أن صدر مكتوب الراضى بالتشنيع على آرائهم ومعتقداتهم ، وتوعدهم بالقتل والتشريد واحراق دورهم وقد حصلت بينهم وبين الشافعية فتنة فى بغداد أيضا فى سنة ٤٧٥ هـ ذكرها ابن الأثير فى حوادث هذه السنة مما دل على أنه كان لا يزال الى ذلك الوقت فريق كبير منهم ببغداد ، ومع أن المذهب كان ظاهرا فى بعض بلاد العراق الأخرى فانه مع مرور الزمان غمرته المذاهب الأخرى كالشافعى والحنفى حتى صار أصحابه الآن قليلين فى جميع نواحى العراق ، أما فى مصر فقد ذكر السيوطى فى حسن المحاضرة أنه لم يسمع بخبر الحنابلة بمصر الا فى القرن السابع وما بعده ، وذلك لأن الامام أحمد رضى الله عنه كان فى القرن الثالث ولم يبرز مذهبه خارج العراق الا فى القرن الرابع ، وفى هذا القرن ملك العبيديون مصر وأفنوا من كان بها من أئمة المذاهب الثلاثة قتلا ونفيا وتشريدا ، وأقاموا مذهب الرفض والشيعة ولم يزولوا منها الا فى أواخر القرن السادس ، فتراجعت اليها الأئمة من سائر المذاهب وأول امام من الحنابلة علم حلوله بمصر : الحافظ عبد الغنى المقدسى صاحب العمدة ٠

وما ذكره السيوطى انما هو بالنسبة للعلماء الظاهرين من الحنابلة ، أما غيرهم من مقلدى المذهب ومتبعى أحكامه فهؤلاء كانوا موجودين بمصر زمن الدولة الفاطمية ومدة الأيوبيين قبل عصر المقدسى فقد ذكر المقدسى

أن الفتيا بمصر فى مدته كانت على مذهب الفاطميين ، ولكن المذاهب الاخرى كانت موجودة ظاهرة بالفسطاط — وفى صبح الأعشى (أن الفاطميين كانوا يتألفون أهل السنة والجماعة ويمكنونهم من اظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم ، ولا يمنعون من اقامة صلاة التراويح فى الجوامع والمساجد على مخالفة معتقدهم فى ذلك ، ومذاهب مالك والشافعى وأحمد ظاهرة الشعائر فى مملكتهم بخلاف مذهب أبى حنيفة ، ويراعون مذهب مالك ومن سألهم الحكم به أجابوه) وفى خطط المقريزى (أنه لم يكن فى الدولة بمصر كثير ذكر لمذهب أبى حنيفة وأحمد بن حنبل ، ثم اشتهر مذهبهما فى آخرها) وسبق أن قلنا : انه كان للحنابلة نائب عن القاضى الشافعى فى مدة الأيوبيين ، وانه فى زمن الظاهر بيبرس جعل القضاة أربعة من المذاهب الأربعة ، واستمر الأمر كذلك حتى جاء العثمانيون فقصروا القضاء على الحنفية ، وخلاصة ما ذكر أن مذهب الامام أحمد كان ظاهرا بمصر مدة الفاطميين والأيوبيين ودولة المماليك الأولى والثانية ، وانما كان أتباعه قليلين وهم لا يزالون قليلين الى الآن ، وأظهر ما يكون مذهب الامام أحمد فى نجد فان النجديين حنابلة ، وهو الغالب على الحجاز مع المذهب الشافعى ، والغالب على أهل السنة بالاحساء مع مذهب مالك ، ومذهب الشافعى هو الغالب على فلسطين ويليه الحنبلى ، ونحو الربع من أهل السنة بالشام حنابلة وله أتباع قليليون فى قطر والبحرين من النازحين اليهما من نجد .

وقد اختلف الامام أحمد بن حنبل مع الخليفة المأمون الذى عارضه وقال بخلق القرآن وتوفى المأمون وابن حنبل فى طريقه اليه فأمر الخليفة المعتصم بحبسه منفردا ومقيدا بالأغلال معذبا بالضرب بالسياط حتى مات بعد سنتين وهو فى الستين من عمره .

ثانيا : الفرق الاسلامية الحديثة

١ ـ الوهابيـة

ولد محمد بن عبد الوهاب ومات قبل أن تبدأ الجولة الحديثة فى الصراع العربى الغربى بحملة بونابرت ٠

فهو ولد (١١٠٥ هـ ـ ١٧٠٠ م) وتوفى (١٢٠٦ هـ ـ ١٧٩٢ م) ٠

وقد نشأ فى بيئة (نجد) العربية البدوية التى ظلت بمعزل عن التأثيرات العربية والحضارية الى حد كبير ، والتى استمرت فى الامتداد لبســاطة الحياة العربية البدوية القديمة فلم تهضم أو تعرف العلوم أو الفنون التى أثمرتها احتكاكات العرب الأوائل بالأمم التى فتحوا بلادهم وصراعات الاســلام الســلفى والبســيط مع الأبنية الفكرية والديانات التى تحدته وتحداها بعد انجاز الفتوحات ، وكان ابن عبد الوهــاب سليل أسرة من الشيوخ والفقهاء أخذ عنهم فقه الاســلام الواضــح والبسيط ٠ وعندما رحل الى المدينة طلبا لمزيد من العلم تقبل ما وافق بســاطة البادية ورفض ما نحا نحو الفلســفة وجدل علماء الكلام ، فلما ذهب الى البصرة ومدن أخرى غيرها أنكر ما رآه أو سمعه فيها من بدع وخرافات ومن علوم لا تتفق مع النمط الفكرى الذى استراحت اليه نفسه والذى كان الامتداد لاســلام العرب فى بداوتهم الأولى قبـل نشأة علم الكلام وترجمة الفلسفة اليونانية وتأثير المسلمين بما لشعوب البلاد المتنوعة من عادات وقيم وعقائد وأنماط فى السلوك وهو الاسلام السلفى البسيط الذى اعتصم أمام التطور وعلومه بتلك الحصون الفكرية التى صنعها كوكبة من العلماء ، أشهرهم أحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١ هـ ٧٨٠ ـ ٨٥٥ م) وابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ ـ ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨ م) وابن قيم الجوزية (٦٩١ ـ ٧٥١ هـ ـ ١٢٩٢ ـ ١٣٥٠ م) ٠ ومن هنا كان التحدى الأول والأساسى الذى نهض لمواجهته ابن عبد الوهاب ، هو ما طرأ على الاسلام كما فهمه العرب الأوائل ، وكما وعته البيئـة

العربية فى ظهور بداوتهـا من بدع واضافات ومحدثات ، سـواء أكانت وليدة الخرافة والشعوذة أم ثمرة للمجتمعات المتمدنة ذات الحياة الفكرية المعقدة ، أو مزيجا من هذين المصدرين معا • وكانت السلطة (المملكة العثمانية) قد أهملت فى علم الاسلام السنى ، العلوم العقلية اهمالا شديدا وملأت الفراغ الفكرى الذى نشـأ بعد ذهاب الدولة الفاطمية ومؤسساتها (بالطرق الصـوفية) التى أخذت من التصـوف نسكه وشكله وطقوسه ، وطرحت فلسفته وعقلانيته ، فبعد أن كان التصوف العقلانى يعنى ضمن ما يعنى ، عند الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى انكار الوسائط بين الانسان والذات الآلهية والنهى عن أن (يتوسـل أحد الى الله بغيره) لأن التوسـل انما هو طلب القرب منه ، وهو قد أخبرنا أنه قريب « **واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان** » •• بعد هذا وجدنا الطرق الصـوفية قد مـلأت طريق المسـلم الى ربه بالوسائل والوسـائط والحواجز والأبواب التى لابد من سـلوك (الطريق) لعبورها وصـولا الى الله •• ووجد ابن عبد الوهاب بالاسلام السلفى البسيط كما وعاه وبطبيعة البيئة البدوية البسيطة التى نشأ فيها أن الزمن قد عاد سيرته الأولى وأن (الشرك) قد تسرب الى عقائد المسلمين ، وأنهم قد غدوا يتخذون من هذه الوسائط والوسائل (زلفى) يتقربون بها الى الله الواحد ، وأنهم قد عادوا الى موقف الجاهلية الأولى عندما اتخذوا الأوثان وسـائط تقربهم الى الله « **ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى** » • فحـكم الرجل على أولئك الذين سلكوا هذه السبل بالشرك لأنهم وان (وحدوا الألوهية) الا أنهم (أشركوا فى العبـادة) عندما اتخذوا الوسـائل كى تقربهم الى ذات الاله الواحد •• بل لقد رأى فى شرك معاصرية كفرا أعظم من ذلك الذى قاتل الرسول (ﷺ) بسببه أصحاب الجاهلية العربية الأولى ، لأن معاصريه يلجأون الى وسائطهم فى السراء والضراء ، على حين كان مشركو الجاهلية الأولى لا يلجأون اليها الا فى السراء ، ومن ثم فقد قرر بعد أن حكم بكفرهم وشركهم أن قتالهم واجب بحكم وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على كل من يؤمن بالله • وكتب فى أحد رسائله يقول (ان كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرا من الذين قاتلهم رسول الله ، قال الله تعالى : « **واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا** » • فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم اذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ ولم يستغيثوا بهم ، بل أخلصوا لله وحده ولا شريك له ، واستغاثوا به وحده فاذا جاء الرجاء أشركوا ، وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ، ولعل بعضهم يدعى أنه من أهل العلم ، وفيه زهد واجتهاد وعبادة ، واذا مسـه الضر قام يسـتغيث بغير الله ، مثل معروف الرخى أو

عبد القادر الجيلانى ، وآجل من هؤلاء ، مثل زيد بن الخطاب ، والزبير ، وأعظم من ذلك وآثم انهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة ، مثل شمسان وادريس ويونس وأمثالهم) لقد أراد ابن عبد الوهاب أن يجدد الاســلام والتوحيد ، وهو جوهر عقائده ومحورها ، فركز الجهد الفكرى كله على تنقية عقيدة التوحيد الاسلامية مما شابها وطرأ عليها بعد عصر الاسلام العربى ، أو اسلام العرب الأوائل قبل عصر الفتوحات • صحيح أن عقيدة التوحيد هذه قد بلغت قمة التنزين فى (التجريد) المعتزلى الذى بلغ حد نفى زيادة الصفات عن الذات والقول بخلق القرآن وحدوثه حتى لا تكون ذلك شبهة لتعدد القدماء تشوب وحدانية القديم سبحانه •• لكن فكر المعتزلة الفلسفي كان وليد مجتمعات متحضرة ، واستجابة ايجابية فكرية فلسفية تميزت بهـا بيئـات ذات أنماط فكرية معقدة ومركبة ، ومن هنا كان (التنزيه) المعتزلى غريبا ومرفوضـا من ابن عبد الوهاب ، الذى رفض حتى الاستدلال (بالقياس) حتى ولو كان قياسا صحيحا ، ووقف عند ظواهر النصوص القرآنية والنبوية ورفض أن يلجأ الى التأويل •

واستقر الرأى فى الوهابية على أن (الرأى) لا وزن له بجانب النص • ولم تكن دعوى ابن عبد الوهاب الى تجديد التوحيد الاسلامى والعودة الى فهم الاســلام كما فهمه ســلف الأمة ، وبعبارة الدكتور طه حسـين : الدعوة الى (احيـاء الاســلام العربى وتطهيره مما أصـابه من نتائج الجهل ، ومن نتائج الاختلاط بغير العرب ••) ، لم تكن هذه الدعوة جديدة تماما على تاريخ فكر الاسلام ، فلقد سبقه اليها كما أشرنا كثيرون أصبحت لهم مذاهب متبلورة فى تراث المسلمين ، ومن ثم فان ابن عبد الوهاب وان أنكر (المذهبية) و (المذاهب) أحيانا الا أنه قد كان بدعوته انحيازا وامتدادا لقطاع المذهبية الاســلامية ، وبالتحديد امتدادا للحركة السلفية كما تمثلت فى ابن حنبل وابن تيمية وابن قيم الجوزية على وجه الخصوص ، بل أن الجبرتى (١١٦٧ ــ ١٢٣٧ هـ ، ١٧٥٤ ــ ١٨٢٢ م) يحكى لنا قصة هذا الواعظ التركى الذى قدم الى مصر فى رمضان سنة ١١٢٣ هـ (سنة ١٧١١ م) فدعا الناس الى توحيد الله فى العبادة وأنكر على المصريين اقامة الأضرحة والقباب على قبور الأولياء ، وحكم بكفر الذين يتوسلون الى الله بالوسائط أحياء كانوا أو من الأموات ، وكادت تحدث لذلك فتنة عندما اجتمعت الجماهير خلف هذا الواعظ وشرعوا يطبقون أفكاره بأيديهم كما هو واجب المسلمين اذا هم رأوا المنكر • لكن ابن عبد الوهاب كان أكثر من (شيخ) وأعظم من (فقيه) ، ومن ثم لم يشأ أن يقف بدعوته عند رسائل يؤلفها أو مواعظ يلقيها أو حتي حلقة أو حلقات من الأتباع والمريدين ، وانما أراد

لهذه الدعوة أن تكون أكثر وأكبر من مجرد (دعوة) أو (مذهب) يستقر في مجرى التاريخ وتحف التراث .

لقد أبصر (الدولة) و (السلطة) في وضع الدعوات موضع الممارسة والتطبيق ووعى جيدا الحكمة التي تقول (ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) ومن هنا كانت مغادرته لبلده (حريملاء) التي بدأ دعوته بها الى (العينية) حيث عرض دعوته على رئيسها عثمان بن أحمد ابن معمر الذي اقتنع بها ، فدعاه ابن عبد الوهاب الى أن يسخر سلطته وسلطانه لنشر دعوة التوحيد وتجديد عقائد الاسلام ومناه بأنه ان فعل ذلك ونصر (لا اله الا الله) فان الله سبحانه وتعالى (سيملكه نجدا وأعرابها) فسار أمير العينية بجيشه وفي مقدمته ابن عبد الوهاب الى المكان التي اتخذ فيها الناس القبور أو الرموز أو الأشجار للتوسل والتعظيم فهدموها وقطعوها ، حتى كان اليوم الذي أمسك فيه ابن عبد الوهاب بالفأس وقاد الجيش في هدم قبة زيد بن الخطاب ١٢ هـ ـ ٦٣٣ م) في بلدة (الجبيلة) وكانت مزارا يعظمه الناس ويتبركون بزيارته ، وكادت تحدث حرب بسبب هذه مع أهل (الجبيلة) وأعرابها ، ثم أعقبت هدمها هزة نفسية في صفوف الاعراب هددوا لها حاكم (العينية) بالتمرد على سلطانه ان هو ناصر دعوة ابن عبد الوهاب ، فوازن الحاكم بين ما بيده من السلطة وبين ما وعده ابن عبد الوهاب منها في المستقبل ومن الثواب عند الله ، فاختار العاجل على الآجل والدنيا على الأخرة ، وتخلى عن نصرة التجديد والتوحيد أو بالأحرى تخلى عن الأسلوب العنيف لابن عبد الوهاب في نصرة الدعوة ، وطلب اليه أن يغادر (العينية) فرارا بنفسه قبل أن يفتك به الغاضبون لهدم قبة زيد من الخطاب ...

حدث ذلك سنة (١١٥٨ هـ ـ ١٨٤٥ م) فغادر ابن عبد الوهاب (العينية) الى (الدرعية) حيث لقي أميرها محمد بن سعود (١١٧٩ هـ ١٨٦٥ م) الذي استجاب لدعوته ورحب به ، ودار بينهما حوار كان بمثابة التعاقد على تأسيس ملك جديد ودولة جديدة على فكر توحيدي نقي وجديد ......

وبفكر ابن عبد الوهاب وبتنظيمه أيضا وبجيش ابن سعود وسلطانه تجاوزت الدعوة حدود (الدرعية) واستجابت كل نجد والجهات المتاخمة لها لدعوة التجديد الديني ودانت بعقيدة التوحيد على هذا النحو الذي بشر به ودعا اليه ابن عبد الوهاب وخلال هذه العملية النضالية كان الشيخ محور النشاط فهو الذي يجهز الجيوش ويبعث البعوث والسرايا

ويكاتب أهل البلاد الأخرى داعيا وواعظا ومنذرا ، ويستقبل الوفود والضيوف بل ويشرف على بيت المال وينظم مصارف المغانم والزكاة ٠

وبهذه الامارة الوهابية السعودية التى اتخذت من (الدرعية) عاصمة لها قامت للتجديد الدينى دولة فى شبه الجزيرة العربية جاورت مقدسات الاسلام والمسلمين فى مكة والمدينة ، وشرع ابن عبد الوهاب يتصل بعلماء المسلمين فى مكة والمدينة ووجوههم فى مواسم الحج ويعرض عليهم أفكاره فى التوحيد ويجرى معهم الحوار ، وواضح للعيان آن شبه الجزيرة قد شهد قيام نمط من الفكر الدينى الذى يتحدى فكر العصور الوسطى وينكر خرافاتها ، بل ويحكم على كل المسلمين المعاصرين وعلى رأسهم (ظل الله فى الأرض) خليفة آل عثمان ٠

وبعد عشر سنوات من وفاة ابن عبد الوهاب وضحت مخاطر دعوته ودولتها على السلطنة العثمانية وفكرتها أكثر وأكثر ، فلقد زحف ابن سعود (١٢١٦ هـ ـ ١٨٠١ م) على رأس جيش من أهل نجد وبواديها والجنوب والحجاز وتهامة الى (كربلاء) بالعراق ، فقاتل أهلها واقتحمها وقتل من أهلها قرابة الألفين وهدم قبة الامام الحسين وانتزعوا واستولوا على كل ما وصلت اليه أيديهم من كنوز كربلاء ومشهد الحسين الذى كان مزدانا بمقصورة مرصعة بالزمرد والياقوت والجواهر ٠

وبعد أربع سنوات (١٢٢٠ هـ ـ ١٨٠٥ م) دخل جيش ابن سعود المدينة المنورة وهدم قباب قبورها ومزاراتها ، وفى العام التالى خضعت له مكة وبايعه شريفها عندما ذهب اليها حاجا ويومئذ طرد ابن سعود من كان بمكة من رجال دولة الأتراك فتمت له السيطرة على الحرمين ونجد وتهامة والحجاز ، وعندئذ وضحت للعيان كذلك أن الدعوة الوهابية وهى حركة فكرية سلفية ترى رأى ابن حنبل فى ضرورة أن تكون الخلافة فى قبيلة قريش وحدها ، أى فى العرب لا تمثل فقط تحديا لفكرية الدولة العثمانية ومذهبية العصور الوسطى ، وانما تمثل أيضا تحديا للخلافة العثمانية ذاتها وتعنى ضمن ما تعنى تمردا عربيا على استئثار الأتراك بالسلطة والسلطان على العرب والمسلمين ، وتحمل فى فكرها ودولتها دعوة لعروبة الدولة كما تحمل دعوة الى عروبة الاسلام ، ولقد صمدت الدولة الوهابية للجيوش العثمانية ، بل وألحقت بها الهزيمة حتى استعان السلطان العثمانى بمحمد على وجيشه المصرى فانهزمت الدولة عندما سقطت الدرعية فى (٧ ذى القعدة سنة ١٢٣٣ هـ ـ ٨ سبتمبر سنة ١٨١٨ م) بعد ثلاثة أرباع قرن ظهرت فيها بجزيرة العرب هذه الدعوة ووقفت موقفا ايجابيا يرفض فكرية العصور الوسطى ويتحدى

سلطان الأتراك العثمانيين .. لكن دعوة ابن عبد الوهاب لم تمت بهزيمة دولتهـا فلقد عاشت ، بل وعادت فى مرحلة تالية فأقامت دولتها من جديد ، ولكنها ظلت دعوة ودولة فى شبه الجزيرة العربية وحدهـا دون أن تتعداها لأنها وان مثلت الرد العربى الايجابى على بعض التحديات التى واجهت الانسان العربى المسلم فى ذلك التاريخ الا أنها كانت رد عرب البادية البسطاء فى الأساس وبالدرجة الأولى ، وليس رد عرب البلاد التى قطعت فى التحضر والتمدن شوطا أبعد مما قطعه أهل نجد وتهـامة والحجاز ، لقد كانت تجديدا للاسلام وطليعة يقظة أهله على عتبة العصر الحديث والدعوة الى عروبة الخلافة والدولة بعد أن استأثر بها الأتراك قرابة ثلاثة قرون ، ولكن أفاقها المحدودة وفكريتها المحافظة وأساليبها البدوية العنيفة قد أبقت عليها حركة تجديد ويقظة لأعراب شبه الجزيرة وحدهم ، فاختصت بهم واختصوا بها . وانفردوا وحدهم وبذلك الشرف من دون المسلمين .

٢ ـ السـنوسية

قبل خمس سنوات من وفاة محمد بن عبد الوهاب ولد محمد بن على السنوسى (١٢٠٢ ـ ١٢٧٦ هـ ، ١٧٨٧ ـ ١٨٥٩ م) وكان السنوسى كابن عبد الوهاب : عربيا ولد فى بيئة عربية ، ولكن بيئة السنوسى لم تكن بدوية كنجد ، فلقد ولد بالجزائر فى قبيلة مجاهر وسط عصبية تبعث على القوة والاعتزاز ، فالحى الذى ولد فيه قد بلغ تعداده ٧٠ر٠٠٠ نسمة يتبعهم وينضوى حولهم ٢٠٠ر٠٠٠ نسـمة فى مقاطعـة وهران الجزائرية ، وكانت ولادته بقرية الواسطة قرب مستغانم . ومنذ صباه سلك الطريق الذى قدر له أن يصـنع عليه الانجاز الكبير الذى حققه لأمته ودينه ، الطريق الذى برز عليه ابن السنوسى قديسا ، فارسا ، عربيـا ، مجددا ، معاديا للاستعمار . فهو منذ الصبا يقسم يومه الى نصفين أحدهما لطلب العلم وتحصيله ، وثانيهما للتدريب على الفروسية وركوب الخيل واستعمال أدوات القتال ، وهو يتنقل طالبا للعلم فى أبرز حواضر العالم العربى والاسـلامى فى ذلك التاريخ ، فهو قد درس فى جامعة القرويين بفاس ، ثم جاء الى القاهرة (١٢٣٩ هـ ١٨٤٢ م) فدرس بالأزهر ثم ذهب الى الحجاز (١٢٤٠ هـ ١٨٢٥ م) فأخذ عن بعض شيوخ مكة والمدينة ، وفى رحلاته هذه لتحصيل العـلم أخذ ورفض ونظر وانتقد حتى لقد أعلن رفضه لدعوى اغلاق باب الاجتهاد ، وقدم هو ذاته اجتهادات فى اطار المذهب المالكى الذى تمذهب به منذ صباه الأمر الذى جلب عليه غضب شيوخ الأزهر المحافظين حتى لقد هم الشيخ عليش (١٨٠٢ هـ ـ ١٨٨٢ م) أن يقتله لولا أن السنوسى كان قد غادر البلاد .

وأيضا ففى رحلات السنوسى هذه الى العالم لقى الكثير من شيوخ التصوف وانتسب الى العديد من (طرقه) ، وهنا نجده أيضـا يأخذ ويرفض وينظر وينتقد حتى استقر به اليقين على طريقة ابتكرها جاءت مزيجا من الفقه والتصـوف ولقـاء بين الشريعة والحقيقة ومزاوجة بين النص والذوق ، ففيها رأينا السلفية التى تعتمد براهين الكتاب والسنة وتنكر الوسائط ، ورأينا التصـوف الشرعى الذى يقصد الى مجاهدة النفس وتزكيتها ـ فكانت طريقته مزيجا من الطريقة البرهانية والطريقة الاشراقية مع ميل أكثر الى البرهانية . بل ورأيناها لا تقف عند حـدود علوم الشرع وعلوم الذات والصفات والفقه والحديث والدلالات ، وانما تدرس العلوم الطبيعية والفلك (الهية) وتقتنى أدوات لها مثل الاسطرلاب والكرات والأزياج .... الخ .

ولقد غادر السنوسى المغرب للمرة الأولى سنة ١٨٢٩ م بعد أن قتل الوالى التركى حسن بك أحد أساتذته فغادر المغرب غاضبا وقاصـدا الحج الى بيت الله الحرام فى مـكة . وفى العـام التـالى (١٨٣٠) بدأ احتلال الفرنسيين لشمال بلاده الجزائر حيث ولد وحيث يعيش أهله ، فلم يستطع دخولها ، ولكنه رحل وطاف بجنوب الجزائر حيث لم تكن قد سقطت بعد فى يد الفرنسيين ، ثم غادرها الى القاهرة فالحجار مرة ثانية وهناك تبلورت فى عقله أسس الطريقة التى قرر الدعوة اليها ، وأغلب الظن أنه قد استشعر بعد احتلال الجزائر الذى كان نجاحا أصابه الاستعمار الغربى فى جولته الحديثة من صراعه التاريخى ضد العرب والمسلمين استشعر عظم المخاطر وشـدة التحديات واسـتلهم فكرة (المرابطة) والتربص والاعداد والاستعداد للجهاد وليس الفورة المتعجلة المتسمة بالبداوة على نحو ما فعل الوهابيون . لقد كان السنوسى أمام تحديات كبرى ، استعمار أوربى مسلح بحضارة حديثة عملاقة وسلطنة عثمانية أصبحت قيدا على الأمة العربية يعوق انطلاقها ، ومن ثم فلقد غدت بما تمثله من جمود ومحافظة وخرافة ومظالم ثغرة واسـعة تتيح للاستعمار أن يلتهم بلاد العرب وأوطان الاسـلام ، وأمام مثل هـذه التحديات فلابد من الفكر والتجديد (الشريعة) ولابد من اعداد الذات العربية للصبر والمصابرة والجهاد والمقاومة (الفروسية ومجاهدة النفس وتقويتها وتقويمها) اذن فلابد من (المرابطة) فرباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها كما يقول الحديث الشريف ، ومن هنا كانت فكرة (الزاوية) وهى نموذج جديد (للرباط) القديم التى ابتكرهـا السنوسى والتى كانت نموذجا للمجتمع الجديد الذى استهدفه ، والانسان الجديد الذى أراده ، والتى كانت واحة يحقق فيها تجربته وسط محيط قد رفضه وعزم على تغييره فى المدى الطويل .

وفوق جبل أبى قبيس بمكة أقام السنوسى أول زاوية لطريقته (١٢٥٢ هـ ١٨٣٧ م) وبعد ثلاث سنوات غادر الحجاز الى المغرب واستقر فى فاس يمارس التدريس ويدعو الى طريقته الجديدة ، ولكن حكومة مراكش خشيت مذهبه فضيقت عليه الخناق فغادرها الى طرابلس الغرب (١٢٥٧ هـ ١٨٤١ م) ومن طرابلس أخذ يسهم فى ثورات الجزائر ومقاومتها للاحتلال الفرنسى فساعد ثورة تلمسان والصحراء (١٨٤٨ هـ ـ ١٨٦١ م) التى قادها محمد بن عبد الله وعصيان الظهرا الذى تزعمه محمد بن تكوك (١٨٥١ م) . وفى الزاوية البيضاء على الساحل الليبى كانت الزاوية الثانية التى أقامها السنوسى (١٢٧١ هـ ١٨٥٥ م) ، وبعد أن استقرت طريقته فى برقة عاد الى الحجاز لامرة الثالثة فأقام بها ثمانى سنوات ، ومنها نشر طريقته فى أنحاء عدة من الحجاز واليمن وتأسست لها (الزوايا) فى المدينة والطائف والحمراء وينبع وجدة ورباح ووادى فاطمة والمضيق وأصفهان وأبان ، ثم غادر الحجاز عائدا الى الجبل الأخضر بليبيا فاستقر هناك (١٢٧١ هـ ١٨٥٤ م) .

ان محمد بن على السنوسى ، كان قديسا فارسا عربيا وعالما مجددا وعدوا للاستعمار ، والناظر فى تعاليم طريقته وتربيتها لأعضائها يجد هذه الصفات هى المبادىء والأفكار التى قامت لها وبها هذه الطريقة كما يجد (الزاوية) هى النموذج لذلك المجتمع الذى أخذ السنوسى يعد نفسه وأتباعه لاقامته ، ولقد بلغ عدد الزوايا السنوسية التى أحصاها المؤرخون مائة وثمانى وثمانين زاوية ، خمس وعشرون منها فى شبه الجزيرة العربية ومائة وثلاث وستون فى أفريقيا وفى ليبيا ٩٧ ، وفى مصر ٤٧ ، وفى السودان الأفريقى ١٧ ، وفى تونس زاويتان ، ونحن اذا شئنا أن نستخدم لغة عصرية فى وصف (الزاوية) والحديث عن وظائفها لقلنا انها ، مؤسسة الحكومة (الطريقة) ومزرعة الدولة ونموذج المجتمع الجديد الموعود ، فغير المسجد نجد فيها منزلا لقائدها (المقدم) وللوكيل وللشيخ وفيها بيوت للضيوف وعابرى السبيل وللفقراء الذين لا مأوى لهم وفيها مساكن للخدم ومخازن للمؤن واصطبل ، ومتجر ، وفرن ، وسوق ، وتحيط بهذه المبانى (العامة) المساكن الخاصة بالقبائل التى تقوم الزاوية فى منطقتهم ، وللزاوية أرض زراعية خاصة بها وآبار جوفية وصهاريج لحفظ المياه وحدائقها تزرع جماعيا ، اذ يأتى كل من يقطن فى منطقتها يوم الخميس من كل أسبوع الى هذه المزرعة يعملون عملا جماعيا بلا أجر ، أما محصول أرض (الزاوية) فانه ينفق على احتياجات فقرائها وضيوفها غذاء وكساء وتعليما وزواجا .. الخ. وما بقى يذهب الى مركز الطريقة الرئيسى ، ومقدم الزاوية وهو ممثل

شيخ الطريقة فيها وقائد قبائلها عند الجهاد ، ووكيلها يشرف على الزراعة وشئون الادارة والمال والاقتصاد ، وشيخها يتولى تعليم الصغار وعقود الزواج ، ومع المقدم والوكيل والشيخ كان رؤساء القبائل المجاورة ووجوهها ، يكون مجلس ادارة الزاوية .

وكانت لمواقع الزوايا فلسفة تحكمها ، فكثير منها قد أقيم على مواقع منشآت يونانية ورومانية قديمة وحكمت الاختيار لمواقعها أهداف اقتصادية وسياسية ، مثل طرق القوافل الهامة ونقاط الدفاع الحصينه والغايات المرجوة من نشر الاسلام فى قلب القارة الأفريقية والبعد عن مواطن الصدام بقوات الاستعمار قبل التمكن والاستعداد ، ولقد حولت هذه الزوايا التى تناثرت فى الصحراء وعلى مشارفها الأرض القاحلة الى جنات مثمرة ، وكان السنوسى قدوة لطائفته فى الانخراط بالعمل اليدوى : زراعة وصناعة حرفية ، وعندما كان بعض تلامذته يطلبون منه أن يعلمهم (الكيمياء) وكانت تعنى عندهم تحويل المعادن غير النفيسة الى معادن نفيسة بتلاوات وطلسمات ، كان يسخر من هذه الأوهام ويعلمهم أن الانتاج الزراعى فى أرض الزوايا هو المصدر الحقيقى للثروة ، فيقول (الكيمياء تحت سكة المحراث . انها كد اليمين وعرق الجبين) ، وكان يعلم تلاميذه أن العاكفين على الأوراد والمسابح لن يتقدموا على أهل الزراعة والحرف أبدا .

هكذا كانت الزوايا ، وهكذا وصفها السنوسى ، فتحدث عن أن الأرض تبتهج من حولها فى أنواع الأشجار ويكثر بها السكان لكثرة الثمار وتنتشر فيها العمارة وتتسع بها الادارة ، وكما كان العمل الجماعى بأرض الزاوية صناعتها الحرفية يوما من كل أسبوع هو يوم الخميس ، فلقد كان يوم الجمعة خاصا بالتدريب على الفروسية واستخدام السلاح والمران على فنون الحرب والقتال ، ومن هذه الزوايا انطلق الرجال ينشرون الاسلام كما تفهمه الطريقة السنوسية بين الصحراء وقبائلها الذين كانوا مسلمين سلفا ، ولكن اسلامهم لم يتعد فى الأغلب الأعم التدين ببعض شكليات الاسلام ، حتى لقد كان كثيرون منهم يعجزون عن تلاوة آية قرآنية بنصها أثناء الصلاة فيتلفظون بمعنى بعض الآيات حاسبين أنها نصوص الآيات . ناهيك عن العادات والتقاليد والأعراف التى كانت أقرب الى الجاهلية منها الى الاسلام . وينشرون الاسلام أيضا ـ وذلك هو الأهم ـ بين القبائل الوثنية فى قلب أفريقيا ، واذا كانت للاسلام اليوم دور ولعقائده أتباع فى قلب أفريقيا وغربها ، فان مرجع ذلك كله الى الطريقة السنوسية ، فهى التى بشرت بالاسلام بين القبائل الوثنية التى كانت تدين (بالفتشية)

وكانوا يقطعون الطريق على النخاسين (تجار الرقيق) ، ويخلصون الأطفال الزنوج المخطوفين ، ثم يحملونهم الى (الزوايا) حيث ينشـــئون على الاسلام ويفقهون تعاليمه ، ثم يبعثون بهم الى أبناء جلدتهم فى مواطنهم الأصلية يبشرون بالاسلام ٠

وبفضل حركة التبشير السنوسية هذه دخل الاســـلام واكتسب أنصارا فى (وادى) الباقرى ، وبوركو ، والنيجـر الأدنى ، وبرنو ، والكونغوا والكاميرون ،وكانم ، والداموا ، والداهومى) وحـول بحيرة تشاد التى أصبحت بفضل جهد السنوسية مركز الاسلام فى وســط أفريقيا ، ودان بتعاليمه من حولها أربعة ملايين من السكان الأفريقيين ، وعلى أيديهم كذلك دخـل الاســلام السودان الأوسط حتى لنستطيع أن نقول أنهم هم الذين صنعوا الحزام الاسلامى لأفريقيا جنوبى الصحراء من سواحل الصومال شرقا الى السواحل السنغالية فى الغرب ، ويترجم عن حجم الجهد السنوسى فى هذه المنطقة عـدد الزوايا الهـامة التى ذكرها الرحالة والمؤرخون لهم فى هذه البلاد ، فلقد بلغت سبع عشرة زاوية أى تأتى فى المرتبة الرابعة بعد ليبيا ، وهى المركز ومصر وشبه الجزيرة العربية ٠ ولكنهـا تأتى فى مقدمة المناطق التى نهضت فيهـا السنوسية بنشر الاسلام والتبشير بعقائده وتعاليمه ، والسنوسية لم تنشر فى هذه المناطق تعاليم الاسـلام وعقائده وحدها ، بل لقد أقامت حيثما نشرت الدين ومع الزوايا دولا وممالك وسلطنات منهـا سلطنة (رابح) و (أحمدوا) و (ساموری) ، والرحالة كوبولانى يتحدث عن أســـلوبهم فى التبشير الذى أثمر تأسيسهم لهذه السلطنات فيقول : (انهم كانوا يدخلون هذه المناطق تارة بهيئة تجار وطورا آخر بهيئة مبشرين يهدون الى الاســـلام القوم الفتشيين ، وتجدهم يبنون زوايا جديدة فى هـذه الأقطار الشـاسعة الممتدة من شمالى أفريقيـــا الى أقصى أقاصى السودان) ٠

والسنوسية كانت تنهض بهذه المهمة فى القرن التاسع عشر قرن المد الاستعمارى الأوربى لابتلاع القارة الأفريقية والسيطرة على أفكارها واستغلال أهلها ونهب كنوزهـا ومواردهـــا ، الأمر الذى يجعل لعمل السنوسية هذا معنى أكثر من مجرد نشر عقيدة دين سماوى بين أقوام وثنيين ، ويعطيه بعدا يتعدى الهدى والوعظ والارشاد بتعاليم الاسلام ، فلقد كانوا كتيبة الصدام العربية الاســـلامية التى تصدت فى شمال أفريقيا وقلبها للزحف الاستعمارى الأوربى الجديد وهنا يتضح معنى الاهتمام فى الزوايا بالتدريب الاسبوعى على الفروسية والحرب والقتال ، ومعنى اعتناء التعاليم السنوسية بفكرة الجهاد فى الاســلام ٠ فهم قد

جعلوا أبناء الطريقة فى أفريقيا فى حالة استعداد دائم للجهاد كالجيش فى حالة الاستنفار بينما جعلوا واجب أبناء الطريقة فى آسيا المعـاونة المادية لاخوانهم الأفريقيين ، ونحن اذا شئنا شواهد وأمثلة على تصدى السنوسية فى أفريقيا للزحف الاستعمارى الأوربى وصداماتها الفكرية ، بل والحربية المسلحة معه وجدنا الكثير ، فهم قد حاربوا الفرنسيين فى مملكة (كانم) ومملكة (واداى) بالسودان قرابة الخمسة عشر عاما (١٣١٩ ـ ١٣٣٢ هـ ، ١٩٠١ ـ ١٩١٤ م) ٠ وهم قد قاوموا الغزو الايطالى لليبيا الذى بدأ سنة ١٩١١ ٠

ودامت مقاومتهم البطولية عشرين عاما ، ولقد استغاثت جمعيات التبشير الأوربية التى كانت طلائع للمد الاستعمارى الأوربى ، ووظفت الدين فى خدمة النهب الاستعمارى استغاثت بحكوماتهـا الاستعمارية فضغطت على السلطان التركى كى يحد من نشاط السنوسيين ، وقاوم السلطان هذا الضغط حينا ثم خضع له أخيرا ، وحاول أن يستقدم الى الآستانة المهدى السنوسى (١٢٦٠ ـ ١٣٢٠ هـ ، ١٨٤٤ ـ ١٩٠٢ م) الذى قاد الطريقة بعد أبيه كى يعيش هناك فى (القفص الذهبى) كما صـنع السلطان ذلك مع جمال الدين الأفغانى حـول نفس التاريخ تقريبا ، ولكن السنوسى رفض وأجاب رسل السلطان بكلمات لا تحمل معنى محددا ، وتلا آيات قرآنية تتحدث عن التوكل على الله ٠ وقـرر نقل مركزه من واحـة (جغبـوب) الى مـكان موغل فى الصحراء هو (الكفرة) كى يبتعد عن متناول السلطات والانجليز الذين احتلوا مصر والايطاليين الذين كانوا يسعون الى شمال ليبيا ، وحتى لا يقترب أكثر فأكثر من منطقة الصدام مع طلائع الاستعمار فى قلب أفريقيا ، وبعد سنوات أربع من هذا الانتقال عاد فأوغل فى قلب الصحراء مرة أخرى واستقر فى (قرو) بالسودان الأوسط فى الصحراء الأفريقية ٠٠

فمحمد بن على السنوسى مؤسس الطريقة عربى أصيل فكرا ونسبا ، بل هو نموذج للقـائد العربى الذى تستدعيه المرحلة التاريخية التى ظهر فيها ٠ وكما يقول عنه الرحالة (هاملتون) فلقد تحلى بكل ما ينبغى أن يتصف به القديس العربى من صفات ٠ فهو دقيق فى فهم الدين مرح يركب فرسا من أنقى سلالة ، ويلبس بفخامة ، ويكحل عينيه بالكحل ، كما يصبغ لحيته بالحناء ، وهو شديد الكرم لضيوفه وتزيده مواهبـه واخلاصـه احتراما فوق احترام ، والسنوسيون كانوا ينشرون العربية مع نشرهم للاسلام ثم أنهم قد رفضوا سلطة الدولة العثمانية وسلطانها وتسلطها على العرب والمسلمين ، وأعلنوا بلسان شيخهم وقلمه أن الخلافة لابد أن تكون عربية ـ قرشية ـ والقرشية كانت دائما رمزا لرفض حكم

غير العرب للعرب ، فلقد كتب السنوسى فى كتابه (الدار السنية فى أخبار السلالة الادريسية) أن الامامة والخلافة لابد أن يليها عربى قريشى ، واستشهد على ذلك بآراء الماوردى ، ورفض قول الذين يشيعون هذا المنصب فى المسلمين من غير العرب ، ولهذا الموقف الفكرى دلالته فى رفض خلافة عثمان • ويزيد قسمة العروبة وضوحا فى الحركة السنوسية ما أدركوه من أن الخلافة العثمانية قد غدت من الضعف والهزال والتفريط فى مصالح العرب الى الحد الذى أصبحت معه (ثغرة) كبرى يتسلل منها الاستعمار الغربى لالتهام بلاد العرب واقتطاع أقطار الاسلام ، بل لقد قطعوا بأن الأتراك قد أصبحوا فى مقدمة النصارى (أى المستعمرين الأوربيين) ما دخلوا محلا الا ودخله النصارى ، كما يحكى أحمد الشريف السنوسى ابن مؤسس الطريقة فى كتابه (الدر الفريد الوهاج فى الرحلة من الجغبوب الى تاج) • أما المهدى السنوسى فانه هو القائل و (الترك والنصارى انى أقاتلهم معا) وتجدر الاشارة والتنبيه الى أن حديث السنوسية عن عدائهم للترك والنصارى انما يعنى العداء لكل من الاستعمار والتسلط العثمانى والأوربى ، فلقد هادنوا الأتراك وتعاونوا معهم عندما تناقضت مصالح الدولة العثمانية مع الاستعمار الايطالى أثناء الحرب الطرابلسية • ثم هم لم يعرفوا التعصب الدينى ضد أتباع الديانات الأخرى •

والرحالة (هاملتون) يقول عنهم : (انهم أقل تعصبا من عامة العرب) والتاريخ يحكى كيف أن السنوسى الكبير قد عزل قيادة احدى الزوايا لأنهم طردوا سائحا وأمه من منطقتهم لأنهما من النصارى • فقد كان التمييز مطلوبا بين المخالفين فى الدين وبين المستعمرين •

والمهدى السنوسى هو الذى يحدث أخاه الشريف فيقول له : (لا تحقرن أحدا لا مسلما ولا نصرانيا ولا يهوديا ولا كافرا لعله يكون فى نفسه عند الله أفضل منك • اذ أنت لا تدرى ماذا تكون الخاتمة) وعداؤهم للترك كعدائهم للأوربيين قد وقف عند حدود العداء للاستعمار فهم رأوا خطر الزحف الاستعمارى الأوربى وتصدوا له ، ورأوا فى دولة الرجل المريض ـ علاوة على اغتصابها الخلافة من العرب ـ ثغرة ينفذ منها النهب الاستعمارى ومقدمة لهذا الاستعمار ، فحكموا بأن الترك مقدمة الاستعمار الأوربى ، وأنهم ما دخلوا بلدا الا دخله الاستعمار •

ولقد صدقت وقائع التاريخ وتطورات الصراع فى المنطقة كلمات السنوسيين وهكذا كانت الحركة السنوسية واحدة من حركات اليقظة العربية الاسلامية التى واجهت بها الأمة التحديات التى فرضها عليها

الأعداء • فبالسلفية المعتدلة التى تنقى العقيدة من شبوائب الشرك وشبهات الوسائط بين الانسان وخالقه ، وبالتصوف الشرعى وبفتح باب الاجتهاد ورفض دعوى اغلاقه صنعت مزيجا فكريا رفضت به فكرية العصور الوسطى والمظلمة عصور المماليك والعثمانيين • وبالجهاد وتربية المريدين والأنصار على الفروسية وأدوات القتال وبنشر الاسلام والعروبة فى أفريقيا جنوبى الصحراء أعاقت زمنا طويلا زحف الاستعمار الأوربى وقاتلت جيوشه ، وأفشلت خطط مبشريه السنين الطويلة ، وحتى عندما هزمت أمام تفوقه فانها تركت فكرا وتنظيما لعبت دورا فى المد التحررى الذى شهدته هذه المنطقة ضد سيطرة الاستعمار ، وبالانحياز الى عروبة الخلافة والحذر ، ثم العداء تجاه الأتراك العثمانيين برزت السنوسية واحدة من حركات اليقظة والتجديد التى تصدت لابراز التحديات التى فرضها على هذه الأمة أعداؤها فى العصر الحديث •

٣ ـ المهدية

قبل الحاق السودان بمصر (١٨٢٠ ـ ١٨٢٣ م) فى عصر محمد على لم يكن الشعب السودانى قد حقق وحدته الوطنية ، فوطنه من حيث الادارة والسياسة ينقسم الى ممالك وسلطنات ، أهمها سلطنة الفونج فى الشرق ، وسلطنة الفور فى الغرب ، والنوبيون فى الشمال ، كما أن الأعراق المختلفة لسكانه : عرب ، ومستعربون ، ونيليون ، وحاميون ، كانت تسهم هى الأخرى فى تمزق البلاد ، واذا كان الفتح المصرى للسودان قد ألحقه بحكومة واحدة وجعل له (حكمدارية) واحدة فى العاصمة الجديدة (الخرطوم) ، فان التمزق الواقعى لم يختف تماما ، وظل متجسدا فى الأقاليم والسلطنات تزكيه اختلافات القبائل والأعراق •

لكن هذا القدر من الوحدة السياسية والادارية وما استتبعه من تطور حضارى محدود وبطىء قد نبه السودانيين الى روابط المصالح المشتركة بينهم جميعا ثم كانت السلبيات التى وقعت من الادارة الجديدة طاقة محركة لنمو هذا الاحساس المشترك الجديد • فبعد مقتل اسماعيل ابن محمد على قائد الجيش الفاتح محترقا • انتقم جيش محمد على من السودانيين انتقاما شديدا • والضرائب التى فرضت على السودانيين ـ والتى كانوا يسمونها (الجزية) ـ كانت باهظة ، وفى طريقة تحصيلها الكثير من الشدة وغير قليل من الاذلال ، وبعد أن دخلت حكومة القاهرة في اطار النفوذ الأوربي منذ اتفاقية لندن سنة ١٨٤٠ م وبالذات منذ

عصر الخديو سعيد (١٨٥٤ ـ ١٨٦٣ م) والخديو اسماعيل (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩ م) وخصوصا فى عهد الخديو توفيق الذى خلف اسماعيل أخذ السودانيون يرون فى هذه الحكومة سلطة ينقصها الطابع الوطنى المصرى ، وزاد من هذا الاحساس لديهم أنها قد استعانت فى حكم بلادهم بالعديد من العسكريين والمغامرين والمرتزقة الأوربيين ، فحاكم بحر الغزال هو الايطالى (جيسى) وعندما ذهب خلفه الانجليزى (لبتون بك) ، وحاكم دارفور هو النمساوى (سلاطين) ، وحاكم كوبى هو (اميليانى) ، وفى الفاشر يحكم (مسيداليا) ، وفى لادو يحكم الألمانى (سنتزز) ، وفى فاشودة يحكم النمساوى (ارنست مانرو) ؟ •• وزاد من احساس السودانيين هذا علاقة الخديوية المصرية بالأتراك العثمانيين ، فكانوا يسمون الحكم المصرى بالحكم التركى ، ويصفون حكامهم بالأتراك ، ولما وقفت هذه الخديوية ضد الثورة الوطنية المصرية ثورة عرابى (١٨٨١ ـ ١٨٨٢ م) منحازة فى ذلك للمستعمرين الأوربيين والسلطان العثمانى ، رسخ يقين السودانيين بغربة هذه الحكومة عنهم ، وانقطاع الروابط التى تربطهم بها الى حد كبير •

ولقد حدثت بالسودان فى تلك الحقبة تمردات وانتفاضات ، ولكنها كانت ذات طابع محلى ، وأغلبها كان بقيادة زعماء عشائريين وعدد من النخاسين وتجار الرقيق الذين قاوموا سعى الحكومة المصرية المتعجل لالغاء تجارة الرقيق •

ولقد أصبح واضحا أن المجتمع السودانى قد زخر بالعوامل والأسباب التى تهيئه للثورة والانقضاض على أسباب شكواه ، لكنه لتخلفه وتمزقه يحتاج الى عامل اسطورى ومعجزة خارقة تجمع شتات أبنائه ، وتضم مختلف أقاليمه فى كيان واحد ، وتمكنه من تحقيق بعض ما يريد ، وكانت الحياة الفكرية فى السودان ـ على فقرها ـ يتوزعها المتصوفة والفقهاء ، وكان الفقهاء فى الأغلب الأعم قد ارتبطوا بالحكومة ووظائفها وعطائها ، على حين ظل المتصوفة أو قطاع منهم أقرب الى الجمهور لأن (طرقهم) انما تقوم وتنمو وتعيش بقدر ما يجتمع لها من مريدين وأتباع ، وفى التراث الفكرى للصوفية كان هناك مكان ملحوظ بل بارز لفكرة (المهدى المنتظر) ذلك القائد الاسطورى الذى يظهر فيجبر الزمان بأن يحيل ما بين عصره وعصر النبى (ﷺ) الى زمن ساقط من الحساب ، وذلك بجعل زمانه موصولا بزمان النبى وتجربته تالية لتجربة النبى • كما يجبر المكان بتغيير واقعه الظالم ، وذلك عندما يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا ويعمها أمنا بعد أن طفحت رعبا ، حتى ليحرس الذئب الغنم ، ويضع الصبي يده في فم الذئب لا يصيبه الأذي.

وفي (الفتوحات المكية) لشيخ الصوفية الأكبر محيى الدين بن عربى (٥٦٠ ــ ٦٣٨ هـ ، ١١٦٥ ــ ١٢٤٠ م) حديث طويل عن (المهدى المنتظر) ، بل لقد خص هذا الأمل بكتاب كامل وخاص سماه (عنقاء مغرب) • ولقد كان لفكر ابن عربى هذا انتشار وجمهور بين متصوفة السودان شيوخا ومريدين ، وفي هذا الواقع الذى يتطلع للمخلص ومن خلال هذا التراث الفكرى الذى يجعل هذا المخلص هو (المهدى المنتظر) وفى مجتمع تفاقمت مشكلاته وزادت آلامه واستفحلت تناقضاته ، وضح بجلاء أن سبيله الى الالتحام والانتفاض هو الأسطورة ، والأسطورة المقدسة التى تفجر فى انسانه من الطاقات الخلاقة مما يستطيع بها علاج ما تراكم من مشكلات ومعضلات • هكذا اشرأبت الأعناق وتعلقت الأبصار واستشرقت البصائر وأرهفت الأسماع والأحاسيس الى ذلك القادم المنتظر (الى المهدى) •

حدث ذلك بالنسبة للجميع الكبار منهم والصغار ، حتى ليحكى المؤرخ يوسف ميخائيل (١٢٤٤ ــ ١٣٣٠ هـ ، ١٨٢٨ ــ ١٩١٢ م) فى كتابه (غوردون والسودان) أن الصبيان فى مدينة الأبيض قبل ظهور مهدى السودان ، كانوا يجعلون فى ألعابهم صفا لأنصار المهدى وصفا آخر لأعدائه ثم يديرون بين الفريقين الصراع •

وفى ١٢ من أغسطس سنة ١٨٤٤ وفى جزيرة (لبب) التى تبعد عن دنقلة خمسة عشر كيلو مترا ولد محمد أحمد (١٢٦٠ ــ ١٣٠٢ هـ ، ١٨٤٤ ــ ١٨٨٥ م) الذى سيصبح مهدى السودان المنتظر وقائد الثورة التى صهرت السودانيين فى بوتقة واحدة ، فخلقت منهم شعبا واحدا للمرة الأولى فى التاريخ ، ولفقر أسرته التى كانت تحترف التجارة فى السفن لم يستطع السفر للدراسة بالأزهر ، لكنه حصل علوم الدين كما يحصلها الفقهاء الفقراء المحليون ، فدرس فى بربر والخرطوم ، وأصبح فقيها فى سنة ١٨٦٨ م وفى سنة ١٨٦٣ م أنشأ بالخرطوم مدرسة مارس فيها التعليم ، ثم اتجه الى التصوف وظهرت عليه أمارات التقوى والزهد والصلاح ، فانخرط فى سلك الطريقة (السمانية) وفى التصوف علا نجمه بعد أن أنشأ لنفسه خلوة خاصة فى جزيرة (أبا) (١٢٨٦ هـ ١٨٧١ م) ذاعت شهرته منها ، وقصد اليه الناس فيها حتى أصبح (١٢٩٢ هـ ١٨٧٥ م) خليفة ، وقد أذن له شيخه أن يجوب أرجاء البلاد يأخذ العهود على الاتباع ، ويقبل ويعتمد انضمام المريدين • وفى سنة (١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م) توفى الشيخ القرشى ود الزين شيخ محمد أحمد فى الطريقة السمانية فأصبحت له القيادة فيها ، وهنا بدأ أولى محاولاته المنظمة لتكوين جماعة دينية صوفية تدعو الى الاصلاح ، فاتصل

بالعديد من الحكام ومن الفقهاء داعيا الى العودة للدين وتكوين مجتمع مسلم على غرار المجتمع الذى بناه الرسول (ﷺ) غير أن الصدى لم يكن كما أمل ، والاستجابة كانت دون ما أراد ، لكنه لم ييأس قطعا . لقد يئس من الأمراء والحكام والفقهاء ولكنه نظم من أتباعه نواة الجماعة التى عزم على أن يسعى بها لاقامة المجتمع الجديد .

وهو يتحدث عن هذه البداية التى سبقت مرحلة (المهدية) فيقول (ثم أنى نبهت على بعض المشايخ وما أدركت من الأمراء فلم يساعدنى على ذلك أحد حتى استعنت بالله وحده على اقامة الدين والسنن ، ووافقنى على ذلك جمع من الفقراء الأتقياء الذين لا يبالون بما لقوه فى الله من المكروه) وسواء أكان محمد أحمد قد أدرك أن تحقيق غاياته لابد له من طاقة عاطفية وشحنة روحية تهز قلوب المؤمنين وتذهلهم عن الروابط والقيود التى تشدهم الى الدنيا ومتاعبها ، فيسرغون بسوط الخالق المعجز الى الانخراط فى حركته الاصلاحية ، فاخترع أنه هو (المهدى المنتظر) اختراعا ، أو أن الرجل قد امتزجت فى عقله وقلبه ونفسه معاناة شعبه وأمته بالصوفية التى صنعت لروحه شفافية زادت منها رياضاته ففجرت فيه كانسان طاقات غير عادية ولا منظورة فرأى ما لا يراه الآخرون ،وما أنكره عليه الكثيرون ، رأى رسول الله (ﷺ) يعهد اليه (بالمهدية) ويكلفه بالجهاد سواء أخذنا بالتفسير الأول ، أو اعتمدنا التفسير الثانى ، وهو الذى نميل اليه فلقد أعلن محمد بن أحمد في الأول من شعبان ١٢٩٨ هـ ٢٩ يونيو ١٨٨١ أنه هو (المهدى) ودعا الناس الى الايمان به والهجرة اليه والجهاد معه لامامة الدين وتحرير البلاد من الأتراك والأجانب وانقاذ ديار الاسلام قاطبة من (غانة الى فرغانة) من خطر الاستعمار والأتراك ، ونحن عندما ننظر فى وثائق المهدى ومنشوراته التى تتحدث عن (الحضرة) التى نصبه فيها الرسول مهديا نجد أثر التراث الصوفى واضحا وقويا ، بل وطاغيا . فمع النبى قد شهد هذه (الحضرة) جمع من شيوخ التصوف والأولياء كما شهدها (الخضر) و (عزرائيل) الذى سيقبض أرواح الذين يحاربون المهدى .

وفى هذه (الحضرة) يؤكد الرسول (ﷺ) على كفر من لم يصدق بمهدية محمد بن أحمد ويعلمه امتياز (المهدية) على (التصوف) فى التصوف : الذل ، والانكسار ، وقلة الطعام ، وقلة الشراب ، والصبر وزيارة السادات (السادة ـ الأولياء) أما المهدية ففيها غير هذه : الحرب ، والحزم ، والعزم والتوكل ، والاعتماد على الله ، واتفاق القول . ولأن من ميزات المهدية (اتفاق القول) فلقد أسقطت المذهبية والمذاهب ،

وألغت الطرق الصوفية ، وأعلنت للناس عهدها موصول بعهد الرسول (ﷺ) فما بينها ساقط لا حجة فيه فهى سلفية تقف عند الكتاب والسنة فقط ، وتعتبر أن المذاهب كانت صالحة لأزمانها السابقة على المهدية فقط ، وهي تجدد وتشرع وفق المصلحة المتجددة على ضوء الكتاب والسنة وحدهما (لا تعرضوا لى بنصوصكم وعلومكم عن المتقدمين فلكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال ، ولقد كانت الآيات تنسخ فى زمن النبى على حسب مصالح الخلق وكذلك الأحاديث ينسخ بعضها البعض على حسب المصالح) وأعلن المهدى كذلك أن (المهدية ليس مما يسعى المرء اليه ، فهو قد كان سائرا فى طريق الاصلاح على العادة حتى هجمت عليه المهدية من رسول الله) بحضرة الأولياء والصالحين (يقظة فى حال الصحة) فى وقت لم يكن يطمع أن ينالها بل لقد كان راغبا فى الانضواء تحت لواء المهدى السنوسى ، وبعد هذا الاعلان كاتب المهدى أنصاره ودعاهم الى الهجرة الى جزيرة (أبا) فى شهر رمضان ثم انحاز ان هاجر اليه الى جبل قدير استعدادا للجهاد الذى قدمه على فريضة الحج ، لأن الحج قد وقعت مشاهده تحت حكم الكفار الأتراك (وسيفا سل فى سبيل الله هو أفضل من عبادة سبعين سنة) وفى (أبا)حقق المهدى أول انتصار عسكرى على قوات الحكومة فى رمضان ١٢٩٨ هـ ٢ أغسطس ١٨٨١ م ثم عاود انتصاره عليها ثانية فى جبل قدير (٧ ذى الحجة أول نوفمبر من نفس العام) ومن ذلك التاريخ بدأ ينشىء جهاز دولته الجديدة بادئا ببيت المال ومنصبى قاضى الاسلام وأمين السلاح ، ثم جعل له أربعة يخلف كل واحد منهم واحدا من الخلفاء الراشدين الأربعة ، كما يخلف هو الرسول (ﷺ) ثم توالت المعارك بينه وبين الحكومة التى استعانت بعدد من القادة العسكريين الأوربيين لقتاله ، من أشهرهم غوردون (١٨٣٣ ــ ١٨٨٥ م) حتى انتهت باقتحام أنصار المهدى للخرطوم فى ٢٦ يناير ١٨٨٥ ومقتل غوردون وتمام السيطرة للمهدى على كل أجزاء السودان ، ولقد أكدت هذه الانتصارات العسكرية التى أحرزها المهدى ضد حكومة كانت مشغولة بأحداث الثورة العرابية فى مصر ، أكدت لدى أتباعه ما حدثهم به من أنه منصور أبدا ، وأن أعداءه مدحورون لا محالة فهو (المهدى) وليس طالبا للملك أو ساعيا الى السلطان ، وعندما عرض عليه غوردون سلطنة كردفان أجابه : (أن مهديتى من الله ورسوله ولست بمتحيل ولا مريد ملكا ولا جاها فأنا خليفة رسول الله ، ولا حاجة لى بالسلطة ولا بملك كردفان وغيرها ، ولا فى مال الدنيا ولا زخرفها) وأخذ الناس يتحدثون عن الخوارق التى يرونها ، فاسم المهدى مكتوب على أوراق الأشجار وعلى بيض الدجاج ، وهم قد شاهدوا النار تشتعل فى جثث القتلى من أعدائه

(وهي نار جهنم) وهو فى غـدوه ورواحـه معـه ملك من الله يلهمه ويســـدده ، وفي قتاله معه عزرائيل يقبض أرواح أعدائه ، وفي مجتمع كالمجتمـع الســوداني نقلت هـذه المرويات والروايات والمأثـورات والحكايات ما لا تفعله الفلسفات وبراهينها ، ولا المنطق وقضاياه ، لقد فجرت كل طاقات المجتمع فصبت فى نهر الثورة المهدية وأذهلت النساء عن أزواجهن ، فهـاجرن الى المهـدى دون الرجال الجاحدين ، وجعلت الرجال يفارقون زوجاتهم اذا هن لم يستجبن للدعوة ، وقدم المالكون أموالهم والفقراء أرواحهم لهذا القـائد الاسـطورة الذى صنع بالاسطورة ما لا تصنعه الحقائق فى مجتمع مثل الذى ظهر فيه ٠

وأخذ المهدى يكاتب القادة والملوك والرؤساء يدعوهم الى تصديقه والتعاون معه ، كتب الى خديو مصر وامبراطور الحبشة وكتب الى أهالى : مراكش ، ومـاس ومالى وشـنيقط (موريتانيـا) وكتب الى حيـاتو ابن سعيد (سـوكوتو) والى المهدى السـنوسي في ليبيا طالبا منه أن يكون واحدا من خلفـائه ، وعرض عليه اما أن يأتى الى السودان واما أن ينهض للجهاد ضد الانجليز الذين احتلوا مصر بعد هزيمة العرابيين ٠ وبلغت أصداء دعوته أرجاء الوطن العربى ، وجاء وفد من الحجاز لمبايعته فعين واحدا منهم واليا على الحرمين ، وكانت الحياة الفكرية فى السودان فقيرة تتقاسمها فكرية القرون الوسطى المحافظة والجامدة لدى الفقهـاء الذين ارتبطوا بالدولة والنمط العثماني ، وفكرية الطرق الصوفية المليئة بالخرافات ، ولقد زادت المهـدية هذه الحياة الفكرية فقرا ، ذلك أن الفكر فى ســودان المهدية قد أصبح وقفا على المهدى ، فهو خليفة الرسول (ﷺ) واليه وحده المرجع فى الفـكر والتشريع كمـا كان الحـال في مجتمع الرسول ٠ وهو قد الغى تراث المذاهب الفقهية ، ودون للشعب أحكاما فقهية لم تلتزم بمذهب واحـد ، وان وضـح فيها أثر المذهب الشافعى أكثر من غيره كما ألغى طرق الصوفية وتراثهـا الا ما استثنى من عقائدها فى فكره بحكم التكوين السابق على ظهور المهدية وادعائها ، لكن هذا الفكر القليل من حيث (الكم) كان أكثر تقدما من حيث (الكيف) فلقد اتسم بالسلفية بمعنى العودة الى النصـوص الأصلية كتابا وسنة ، وأسقط خرافات العصور الوسطى واضافاتها التى حجبت الجوهر البسيط والمتقدم للدين ، ثم انه قد أعلى من قدر (المصلحة) وفتح الباب واسعا للاجتهاد المحكوم بالمصالح المتجددة على هدى من الكتـاب والسنة ، فهو يعلن أنه يقفو آثار من سـلف من المهتدين الســالفين على نهج محمد (ﷺ) يدعو الى عقيدة السلف فى التوحيد وهى التى تنكر الوسائط والتوسـل بالأوليـاء والصالحين أحياء كانوا أو أموات ، ويتحدث الى أتبـاعه فى منشـور البيعة فيقول : (أن الله قد أبتلى عبـاده واختبر

توحيدهم فثبتوا ولم يتزلزلوا منه الى من لا يملك نفعا ولا ضرا ، فانظروا ابتلاء ابراهيم ــ عليه السلام ــ فى توحيد الله تعالى واكتفائه به ، فانه قذف فى النار فعارضه جبريل فى الهواء فقال له ألك حاجة ؟ فقال أما اليك فلا ، وأما الى الله فبلى ، فلما وقع فى النار صـــارت عليه بردا وسلاما ، فكذلك من يبتليه الله فيصبر على رؤية توحيد الله مكتفيا به عن الاستغاثة بغيره يسلم كما سلم ابراهيم ، وقد أمرنا أن نتبع ســـنة ابراهيم فقال : « **ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين** » يعنى اتبعوا ملة أبيكم فاتبعوا أحبابى كلام الله فى القرآن ولا تتبعوا ترهات فائت الزمان ، وقد بايعتمونى على ألا تشركوا بالله شيئا) ٠

لكن التكوين الصوفى للمهدى ترك بعض عقائده الصوفية بمثابة الشـــوائب فى هذا الفكر السلفى المتخفف من بدع القرون الوســـطى وخرافاتها ، فهو يؤمن بالنور المحمدى الذى وجد أولا ، ومنه كان خلق كل شيء ، بل ويؤمن أنه مخلوق من (نور عنان قلب الرسول) وأن الرسول (ﷺ) قد أخبر بذلك ، لكننا اذا وازنا بين هذه البقايا من الفكر الصوفى والتى ترفضها السلفية وبين الطابع السلفى والتجديد وفق المصالح المتجددة كما تجلى وطبع فكر المهدى رأينا السلفية المجددة هى الطابع الغالب على قسمة المهدية الفكرية ، ومن ثم رأيناها فى هذا الميدان رفضا لفكرية العصـــور الوســطى وتجديدا لنمط الفكر الذى ساد فى عصر المماليك والعثمانيين ، الأمر الذى يجعلها فى الفكر الى التجديد أقرب منها الى التقليد ، ويسلكها فى سلك المواقف الايجابية التى تصدت للتحدى الفكرى المتخلف الذى هدد حياة الأمة فى ذلك التاريخ ، أما عداء المهدية للأتراك العثمانيين فانه واضح وشديد ٠

فهو يطلب من أتباعه أن يتميزوا عن الأتراك فى كل أمور المعاش والرأى والسلوك ، ويقول لهم (كل ما يؤدى الى التشبه بالترك الكفرة اتركوه كما قال تعالى فى الحديث القدسى ــ قل لعبادى المتوجهين الى لا يدخلون مداخل أعدائى ، ولا يلبسون ملابس أعدائى كما هم أعدائى ــ فكل الذى يكون من علاماتهم ولبلساتهم فاتركوه) فهناك طابع قومى لا شك فيه يطلب المهدى من أتباعه الرجوع اليه والتثبت به والتميز فيه عن الأتراك ٠

وهو يجعل قتاله للترك تفيذا لأمر الرسول وتحريضه (لقد أخبرنى ســيد الوجود (ﷺ) أن من شــك فى مهـــديتى فقـــد كفـــر ، وحرضنى على قتال الترك وجهادهم ويفند حجج الذين يقولون أن جنود الدولة الذين يقتلهم فى حروبهم هم مسلمون ، وأنه سيحاسب على قتلهم

يوم القيامة ، لأن هؤلاء الجند هم جند الدولة التى كان يسميها (دولة الأتراك) انما هم ساعون لتحقيق أهداف قيادتهم لجمع المال بالظلم والاكراه) وكما يقول فان القطب الدردير قد نص فى باب المحاربة على أن أمراء مصر وعساكرهم وجميع أتباعهم محاربون لأخذ أموال المسلمين منهم كرها ، فيجوز قتلهم كما قال تعالى : « **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف** » الآية ، على أن النبى أمرنا أمرا صريحا بقتال الترك وأخبرنا بأنهم كفار لمخالفتهم أمر الرسول باتباعنا ، ولارادتهم اطفاء نور الله تعالى الذى أراد به اظهار عدله ، فكيف نسأل عنهم بعد هذا ، فقد قيل ان سعى الحكومة المصرية الى الالغاء الفورى لتجارة الرقيق قد كان واحدا من أهم أسباب قيام الثورة المهدية فهى فى هذا الرأى قد كانت ثورة النخاسين وتجارة الرقيق الذين استثمروا سلبيات الحكم ومظالم السلطة لحشد الشعب حول الثورة التى أرادوها سبيلا لاطلاق يدهم فى النخاسة وتجارة الرقيق من جديد ، لكن هذا الرأى الخطير والشائع فضلا عن خطئه فانه يحجب عن القارىء والباحث سمة نراها من أهم وأبرز سمات الحركة المهدية ، لأنه يقدمها ثورة نخاسين وأثرياء بينما كانت ـ فى الأساس وقبل كل شىء ـ ثورة شعب وانتفاضة المعدمين والفقراء من هذا الشعب بالدرجة الأولى • وهو يطمس كذلك نظامها الاجتماعى وفكرها فى قضايا الثروة والأموال الذى ندهش عندما نستخلص معالمه وقسماته من واقع التطبيق الذى أقامته الثورة ومن وثائقها الأصلية المتمثلة فى منشورات المهدى بالذات •

لقد بدأ المهدى صوفيا ، والنواة التى تبعته فى البداية كانت من عامة الناس وجمهور الفقراء ، والذين هاجروا اليه فى جيل قدير قد تركوا ما يملكون ويحوزون ، أما الذين تشبثوا بالثروات والوظائف والرواتب فانهم كانوا هم أعداء المهدى والمهدية ، ولقد كان خصومه يعيبون عليه فى مناظراتهم معه ومراسلاتهم اليه أن عامة أنصاره هم الفقراء والمساكين ،وكان يرد عليهم مفاخرا بذلك ومقارنا حاله فى هذا بحال الدعوة الاسلامية على عهد الرسول (ﷺ) ومن كلماته فى ذلك (أن حب الوظائف والأموال والمتبع هو الذى عطل الدين واستقامة المسلمين ، ولولا الفقراء المساكين والأغنياء الذين تجردوا عن الدنيا لما تقوم هذا الأمر ، ولقد جعل الله المزيد للفقراء دون الأغنياء ، وبين أنهم هم الشاكرون لنعمته حيث آثروا نعمة الدين بفوات أموالهم وفراق أحبابهم وتحمل الشدائد) وهؤلاء الفقراء الحافون ذوى الثياب غير النظيفة والشعر الأشعث الجياع هم المقدمون عند الله يلحقون النبى قبل غيرهم ويدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة سنة ، وتعلو درجاتهم فى

الجنة درجات الأغنياء كما تعلو عن الأرض نجوم السماء) وللذين قالوا ان أتباع الثورة هم من البقارة والجهلاء والأعراب) قال المهدى : (ان أتباع الرســـل من قبلنا وأتباع نبينا محمد كانوا هم الضـــعفاء والجهلاء ، أما الملوك والأغنياء وأهل الترفه فلم يتبعوهم الا بعد أن خربوا ديارهم وقتلوا أشرافهم وملكوهم بالقهر ، كما قال تعالى حاكيـا عن قوم نوح « **وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى** » وقال تعالى « **وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون ، وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين** » ولقد قال أهل الغنى والطغيان عن أتباع نبينا (انهم الأجلاف الأعراب عراة الأجساد جياع الأكباد ، فلم ينفعهم غناهم بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وجعلهم الله غنيمة لضعفاء الأعراب الذين كانوا يستهزئون بهم ، وكذلك نرجو الله أن يكون الأغنياء ومن وراءهم غنيمة للبقارة والجهلاء والأعراب) ٠

لكن خصوم المهدى يجادلونه ويقولون له ان من صحابة الرســول (ﷺ) من كانوا أغنياء ومن كانت بيدهم تجارات و (أسباب) تسبب ثروات وأموالا وهو يرد عليهم بأن من حصل الغنى والثروة من الصحابة انما حدث له ذلك بعد أن ترك الغنى وأسبابه وانخرط فقيرا فى الدعوة ، وهاجر فقيرا فى سبيلها ، فهو قد تطهر وتعمد بالفقر أولا ، ثم باشر نفر منهم بعد ذلك (الأسباب) ثم انهم بعد تحصيل المال قد جعلوه فى أيديهم ولم يجعلوه فى قلوبهم ، وظلوا حريصين على انفاقه فى مواطنه على النحو الذى يؤكد أن علاقتهم به هى عــلاقة (الخلفــاء) (المستخلفين) فيه لا المالكين له الأحرار فى انفاقه كما يهوون ويشتهون ، بل لقد روى المهدى أحاديث تتحدث عن المصاعب التى سيلاقيها صحابى جليل كعبد الرحمن ابن عوف فى الدخول الى الجنة لا لشئ الا لغناه ٠

يقول المهدى حول هذه القضايا : (وأما الصحابة الذين باشروا الأسباب فلم يدخلوا فيهــا الا بعد الخروج من كل شئ حتى تمكن نور الايمان فى قلوبهم ، ومن كانت عنده منهم أسباب فهى انما كانت فى أيديهم لا فى قلوبهم ، وكانوا عليها كالوكلاء ينفقونها حسب أوامر موكلهم ومولاهم ، ولذا قال لهم ربهم : « **وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** » ولم يقل : وأنفقوا مما ملكتموه وقال الرسول (ﷺ) : (آخر أصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه ، وهو أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتى) ٠

فهى اذن حركة فقراء وثورة معدمين ، وليست ثورة نخاسين وتجار الرقيق ، وفى البيعة التى عقدها الناس للمهدى كانوا يعطونه أنفسهم

تتصرف قيادته فيها مثلما كانت بيعة الناس للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما أصبح أولى بأنفسهم منهم ، وكانوا يعطونه أيضا حق الملكية فيما لديهم من أموال قلت أو كثرت ، أما الانتفاع فان حقهم فيه يقف عند حدود الاحتياجات دون اسراف أو تبذير ، وهو يحدثهم عن الحقوق المالية التى ترتبها البيعة له أى لدولته ، فيقول (لقد علمتهم أن من صدق مع الله فى بيعته فى نفسه وماله فبمجرد بيعته خرج عن حكم نفسه فضلا عن ماله . والمال تحت يده أمانة الله ورسوله ، حيث بذله الله ، وصار ملكا لنا ، فالبيعة أخذت منه نفسه وماله لله باعهما للجنة ، وبائع السلعة لا يلتفت اليها بعد أن عين له الثمن ورضى به . فلا تمسكوا شيئا من أرزاق الدنيا لتكنزوه وتدخروه ، بل أبذلوها فى الله وتجهزوا بها للجهاد ، وان خطر ببالكم خلاف ذلك وأبت نفوسكم أن تطمئن بالبذل فليكتب كل منكم ما ملكت يداه ويسلمنا جريدة أمواله) .

أما الأرض الزراعية فى مجتمع السودان الزراعى فلقد أقر المهدى حق الملكيـة فيها على ألا يتجـاوز ذلك القـدر الذى يستطيع الفـلاح أن يفلحه بنفســه ، وطلب من أتباعه أن يتنازلوا عما زاد عن هذا القدر لمن يســتطيع زراعته من اخوانهم ، ومنع بيعه وحرم اجارته ، وقالت منشوراته فى ذلك : (فمن كان له طين فليزرع فيه ما استطاع زرعه ، واذا عجز أو لا احتاج اليه فلابد يأخذ فيه ـ دقندى ـ (وهى ضريبة عينيه يدفعها الزارع لصاحب الأرض) لأن المؤمنين كالجسد الواحد وان كل مؤمن ملكــه من الطين له ، ولكن من باب احراز نصـــيب الآخرة فما لا يحتاج اليه يعطيه لأخيه المؤمن المحتاج) .

وغير الأموال والثروات المنقولة الزراعية الواقعة فى حيازة الأفراد وملكيتهم كانت هناك مصادر لثروة ذات أهمية عامة والتى ترتبط بها احتياجات جمهور الأمة وعامة أهلهـــا ، وهكذا قررت المهدية أن تكون ملكية عامة للأمة ترصد مواردها على الانفاق العـام ، ولقد شـمل ذلك بين ما شمل : الدكاكين والوكالات التجارية والقصيريات والمعاصر والطواحين والبنوك التى كانت بالبحر ، وموانىء السفن ، والحدائق وما ماثلها ، وعن مصادر الثروة العامة هذه وقرار المهدى جعل ملكيتها للأمة تتحدث منشوراته فتقول : (ان القصد هو اقامة الدين وازالة الضرورة عن كافة المسلمين ، فيلزم لذلك أن يفرغ الاخوان جميع المواضـع التى تنتج منها المصالح جميعا ولا يعرض لها أحد من الأنصار وذلك : جميع الدكاكين والوكالات والقصيريات والمعاصر والطواحين والبنوك التى كانت بالبحر للايجار ولو كانت مسكونة فيخرج منها من هو ساكن بها لما يترتب عليها من مصلحة عامة المسلمين من ضعافهم ومجاهديهم ، حيث ان كل من هو

ساكن بتلك المحلات يمكن أن يتدارك له مسكنا ، ولا يؤخر مصلحة المسلمين وانه أيها الأحباب لما كانت المشارع (مرافيء السفن) بهذا الزمن في هذه الجهات كالفيء ونحن لا نريد بالأفياء الا مصلحة المجاهدين والمساكين ، ولا نرضى لمسلم أن يكون همه الدنيا والجمع لها ، والمعلوم أن المشارع فيها أموال جسيمة وكل من استولى على مشرع جمع فيه مالا كثيرا ولا يجهز فيه غزوة ولا سرية واستضر بكنزه فلذلك استصوب عندنا مع المشورة المسنونة أن نكتب الى كافة المحبين أن يرفعوا أيديهم عن المشارع ، فلا نريد لمسلم بعد هذا أن يستخدم المشارع لنفسه واذا كانت له مركب فلا سبيل عليه ، ومن انضم للجهاد معنا فله ضرورته ، والزائد على الضرورة انما هو على العبد لاله ، وحيث أن من الذى رزقه الله لنا : الجناين فيجب أن يقوم الولاة بنظارتها ، ويعين لكل جنينه قيم بشأنها ، وذلك بالتشاور مع أمين المال ، وكذلك فقد جعل الرسول — صلى الله عليه وسلم — لنا : ما هو من الميرى وبيوت الكبار والذوات من التجار ومستخدمى الديوان (أتباع الحكومة السابقة) جعله لخصوص بيت المال (العام) وأظن أن الحكمة فى ذلك ، أنه كانت الآيات فى زمن النبى — صلى الله عليه وسلم — تنسخ على حسب مصالح الخلق ، وكذلك الأحاديث ينسخ بعضها البعض على حسب المصالح ، فلأجل أن مصالح الخلق الآن كلها متعلقة ببيت المال ، وما دام النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم فقد أمر النبى بذلك) تلك هى سمة الفكر الاجتماعى فى الثورة المهدية تؤكد أنها ثورة فقراء صنعت بما فجرته من طاقات روحية فى الشعب السودانى أشياء يدهش لها الباحث فيما خلقت من وثائق ومنشورات ، وهى تؤكد فى كل جوانبها أنها كانت واحدة من أبرز حركات اليقظة التى تصدت بها الأمة فى السودان للتحديات التى فرضها عليها أعداؤها فى ذلك التاريخ • لكن المهدية انتهت كدولة بعد خمسة عشر عاما من موت المهدى عندما هزم جيش خليفته أمام الاستعمار الانجليزى فى موقعة (كررى) فى ٢ من سبتمبر ١٨٩٨ م ، فسقطت عاصمتها أم درمان ، ثم كان مقتل الخليفة فى موقعة (أم دبيكرات) فى ٢٤ من نوفمبر ١٨٩٩ م لكنها بقيت كفكر وطريقة صوفية وحركة سياسية وان يكن قد أصابها ما أصاب الحركة السنوسية من ابتعاد قليل حينا وكثير أحيانا عن فكرها البكر وتطبيقات القادة المؤسسين •

● الفصــل الثــالث

(١)

تنظيم جماعة الاخوان المسلمين

نشأت حركة الاخوان المسلمين خـلال عام ١٩٢٨ برئاسة حسن البنا للعمل على نشر الدعوة الاسـلامية على أسـاس الحب والاخاء والتعارف ، ومع نجاح الحركة وانتشارها أخذ الاخـوان يعملون على تحويل جماعتهم من جماعة مدنية الى جماعة شبه عسكرية لتحقيق أهدافهم بالقـوة ، وأخذوا فى بناء جيش لهم تحت اسم (فرق الرحلات) وكان الغرض الأول لدى الجماعة هو الرد على التغريب فى المجتمع المصرى بعد أن نبذت المرأة المصرية الحجاب ونزلت الى ميدان العمل والى ميـدان السياسة ، وظهور تيار التحرر العقلى ونبذ التقاليد القديمة ، واعتبرت الجماعة كل ذلك صـورة من صور الانحلال فى البلاد المصرية ، وكان حسن البنا بحكم نشأته الريفية الدينية فى دمنهور ، ثم دراسته بمدرسة دار العلوم بالقاهرة قد اعتبر تطور الحضارة ما هو الا تحلل أخـلاقى ، أو نوع من الالحاد والاباحة ، وهذا يخالف تعاليم الأزهر والجمعيـات الاسلامية ، وبعد تخرجه فى دار العلوم سنة ١٩٢٨ استقر في مدينـة الاسماعيلية حيث اجتمع مع صفوة من أصدقائه منهم حافظ عبد الحميد وأحمد الحصرى وفؤاد ابراهيم وغيرهم وكونوا نواة سموها « الاخوان المسلمون » ووضعوا أساسا لها يتخلص فى الآتى :

أولا ـ شمولية الاسلام أى شموله للدين والدنيـا ووجوب عدم الفصل بينهما ، فالاسلام عبادة وقيادة ، ودين ودولة ، وروحانية وعمل ، وصلاة وجهاد ، وطاعة ، وحكم ، ومصحف وسيف .

ثانيا ـ الرجوع بالاسـلام الى تعاليمه الأولى حيث التبس على الناس الآن الدين الصحيح .

ثالثا ـ الجامعة الاسـلامية أى أن الاسلام كما هو عقيدة وعبادة فهو وطن وجنسية ، والمسلمون جميعا أما واحدة والوطن الاسـلامى وطن واحد ٠

رابعا ـ التمسك بفكرة الخلافة على أساس الفرض السابق ٠

خامسا ـ الحكومة الاسلامية وهو اتجاه الاخوان المسلمين حيث تقوم آمالهم وأعمالهم نحو الحكومة الاسلامية بعد أن تنتشر مبادئهم وتسود ، لأن الحكومة الاسلامية ستكون ركنا من أركان الاسلام ٠

وبعد أن نشأت جماعة الاخوان المسلمين عام ١٩٢٨ أصدرت الجماعة مجلة « النذير » وأخذت تدعو فيها للاسلام والمسلمين مقتفية أثر الرسول العظيم متخذة القرآن منهاجا لهـا تنـادى به ، وتعمل له ، ولم تـكن تتدخل فى الأحوال السياسية للبلاد ، بل كانت تدعو الحكام والمسئولين الى الأخذ بمناهج الاسلام ومبادئه ، ونبذ الخلافات والعمل على توحيد العمل ، ودعت الملك الى أن يكون أملاً للمسلمين فى رفع راية الاسلام ٠

وفى عام ١٩٣٣ بدأ حسن البنا يخوض فى المسائل السياسية مبررا ذلك بأن الاخوان قد أصبح لهم دار فى كل مكان ، ودعوة على كل لسان ، وانخدع حسن البنا بشعارات القصر الدينية ، فوقف الى جانبه ، خصوصا أن القصر كان يذيع أن الوفد يسيطر عليه العناصر القبطية (مكرم عبيد) واشتدت قوة الاخوان حتى بلغت فروعهـا ثلاثمائة فرع فى عام ١٩٣٨ وكان مؤيدهم الأول فى هذا المضمار على باشا ماهر ٠

تدرج نظام الاخوان المسلمين بعد ذلك نحو التدخل فى الشـئون السياسية للدولة ، وقرروا أتباع سياسة الجهاد لفرض تعليمهم بالقوة فأسسوا النظام الخاص ، وقاموا بتشكيل الجهـاز السرى فى غموض وكتمان ومبايعة وايمان ، وقام هذا النظام على هيئة القيـادة والخلايا وأركان حرب وجنود ، وحددت واجبـات كل منهم والشروط الواجب توافرها فى الأفراد وترشيحهم للعمل ، وكل خلية لها أمير لتعليم أفراده واجباتهم ونوع عملهم واقنـاعهم بشرعية هذا العمل ووضـعهم تحت الاختبار ، ثم تحت الرقابة ، وأوجب النظام الطاعة العمياء لهذا الأمير ، وحدد نظام البيعة ، ونظام المخابرات الخاصة بهم للاشراف والتجسس على الأحزاب والقصر ، وبدأ الاخوان فى تجهيز هذا الجيش السرى بالعقول المدبرة والمال الوفير والأسلحة والمفرقعـات والذخائر ، وتضـخم هـذا الجيش حتى بلغ فى أواخر عام ١٩٤٧ ٧٥ ألف فرد ، وانتشر النظام السرى

فتغلغل فى القوات المسلحة والشرطة وجميع أجهزة الحكومة ، وكان للجهاز السرى ميزانيته الخاصة التى تنبع من الجماعة التى بلغت ميزانيتها فى عام ١٩٤٨ ٥٠ ألف جنيه شهريا •

وفى عام ١٩٤٢ أغلقت حكومة الوفد جميع شعب الاخوان المسلمين ، ولكنها سرعان ما هادنتهم حتى عندما تركت وزارة الوفد الحكم عام ١٩٤٤ ، وكانت شوكتهم قد قويت وأصبحوا يطمعون فى الوصول الى الحكم وتولت وزارة أحمد ماهر الحكم ولم تغفر للاخوان تعاونهم مع الوفد حتى عندما رشح حسن البنا نفسه ومعه خمسة من الأعضاء لعضوية مجلس النواب أسقطتهم الحكومة ، وكان ذلك أول تحد من الحزب السعدى للاخوان وعندما أعلن أحمد ماهر عزمه على اعلان الحرب على المحور عارضه الاخوان بشدة ونصحوه بالعدول عن ذلك ، ولكنه بعد أن ألقى بيانه باعلان الحرب فى البرلمان يوم السبت ٢٤ فبراير عام ١٩٤٥ أطلق عليه محمود العيسوى الرصاص وهو يجتاز البهو الفرعونى فأودى بحياته ، ورغم اعتراف القاتل بأنه لا ينتمى الى الاخوان المسلمين وانما ينتمى الى الحزب الوطنى فانه عرف فيما بعد من الشيخ سيد سابق وخالد محمد خالد بأن محمود العيسوى كان من صميم الاخوان المسلمين — وكانت تلك بداية العنف فى سياسة الاخوان المسلمين •

وفى عام ١٩٤٦ تدخل الاخوان فى السياسة بشكل أكبر ، فعقدوا المؤتمرات لمعالجة القضية الوطنية ، وكان ذلك أثناء رياسة النقراشى باشا للوزارة ، وظهر ولاء الاخوان للقصر عندما نظموا مظاهرة كبرى للطلبة كانت قيادتها للاخوان المسلمين ، وتوجهوا الى قصر عابدين وتعرض لهم النقراشى عند كوبرى عباس وأصيب منهم حوالى ٨٤ طالبا ، ورد الملك فاروق على هذا الاجراء بزيارة الجامعة فى اليوم التالى ، وأعيد تنظيم المظاهرة مرة أخرى بقيادة مصطفى مؤمن تحت حماية البوليس وتوجهت الى القصر ، وفى اليوم التالى سقطت وزارة النقراشى باشا ، وخلفه اسماعيل صدقى باشا الذى هادن الاخوان المسلمين ، وزارهم فى الجمعية وساعدهم فى انشاء جريدة الاخوان المسلمين فى مايو عام ١٩٤٦ • وعين صدقى باشا حسن العشماوى وزيرا للمعارف ، وبدأ صدام بين الاخوان والوفد ، وحدثت معارك بينهما فى بورسعيد وشبين الكوم سقط فيها بعض الضحايا ، وكانت قضية فلسطين قد بدأت تظهر وباسم الجهاد سعى الاخوان المسلمين الى الحصول على الأسلحة والذخيرة علنا للجهاد من أجل فلسطين ، بل أخذوا يتدربون على استعمال الأسلحة تحت أعين البوليس ورقابته ، وقد نجح الاخوان المسلمون بالفعل فى حربهم بفلسطين حيث احتلوا بعض المعسكرات

ونسفوا البعض الآخر الا أن نشـــاطهم بدأ بعد ذلك داخـل القاهرة ، فنسفوا بعض الممتلكات اليهودية مثل محلات أركو وشيكوريل وعدس ٠٠ الخ ثم لجأوا الى قتل الجنود البريطانيين فى معسكراتهم ممـا دعـا الحكومة الى القبض على الكثير منهم ، وتقديمهم للمحاكمة أمام المستشار أحمد الخازندار الذى حكم عليهم بأحكام قاسية تتروح ما بين عشر وثلاث سنوات ، وبعد ثمانية أشهر من الحكم قتل اثنان من الاخوان المسلمين المستشار أحمد الخازندار بسبب تلك الأحكام ٠

وفى آواخر عام ١٩٤٨ ظهرت خطورة الاخوان المسلمين ، فقد أصبحوا شبه دولة داخل الدولة وفى ٨ ديسمبر عام ١٩٤٨ أصدرت حكومة النقراشى قرارا بحل جماعة الاخوان المسلمين ، واعتقال أعضائها ، ومصـــادرة ممتلكاتها ، وقد اتهم الأخوان حكومة النقراشى بأن السبب فى حل الجماعة مرجعه الى مطالبة كل من سفارة أمريكا وانجلترا وفرنسا بالقضاء على الجماعة لامكان الدخول فى مفاوضـــات الجلاء مع انجلترا مع خـــوف الحكومة من الجماعة بسبب فشلها فى موضوع فلسطين والســـودان ، وخوفها من المواجهة معهم فى الانتخابات القادمة ٠ والحقيقة وراء قرار الحل هو خوف القصر والحكومة من تزايد قوة الاخوان المسلمين وسيطرتهم وتدخلهم فى الأحوال السياسية للبلاد ٠٠ وبعد عشرين يوما من اجراء الحل تمكنت جماعة الاخـوان المسلمين فى ٢٨ ديسمبر عام ١٩٤٨ من الانتقام من النقراشى بأن أطلق عليه عبد المجيد حسن الرصـاص وهو داخل وزارة الداخلية فقتله وقد ردت حكومة القصر على هذا الاجراء بقتل حسن البنا فى ١٢ فبراير عام ١٩٤٩ ، وحاول التنظيم الرد على هذا الاجراء بمحاولة قتل ابراهيم عبد الهادى فى ٥ مايو ١٩٤٩ ولكنه نجا بأعجوبة ٠٠

فى ١٢ يناير ١٩٥٠ شكل الوفد حكومته الجديدة وجرت مفاوضات بين فؤاد سراج الدين وممثل الاخوان مصطفى مؤمن على اعادة الحيـلة الى الاخوان المسلمين بطريقة غير رسمية ، وتم انتخاب حسن اسماعيل الهضيبى رئيســا للجماعة ، ولمحت الجماعة الى استعدادها للتعاون مع القصر ، وذهب الهضيبى فعلا الى القصر فى عربة ملكية فى ١٤ توفمبر عام ١٩٥١ حيث تم لقاؤه مع الملك فاروق ، وتكررت الزيارات الملكية بعد ذلك ، وقيل ان الجماعة بدأت فى تطهير نفسها من الثوريين واتخـــاذ الاسلوب السلمى دستورا لها ، وفعلا لجأ الاخوان الى الاسلوب السلمى الا أن ذلك جعلهم يتعرضون للسخرية من موقفهم ازاء الاحتلال البريطانى وعدم اشتراكهم فى معارك القنال خصوصا أن الهضيبى كان قد أعلن أن الاخوان يستعملون القوة الروحية ، أما القوة المادية فهى من اختصاص

الحكومة • وقد حدثت مواجهات بين الهضيبي والجهاز السرى للجماعة ، والقى الهضيبي اللوم على هذا الجهاز فيما لحق الجماعة من نكبات ومصائب ، ولم يبال بأفكارهم ، وانقسمت الجماعة الى فئتين احداهما تؤيد الهضيبي فى سياسته • والأخرى برئاسة عبد الرحمن السندى تؤيد قيام الجهاز السرى ، وترتب على ذلك أن بقى الجهاز السرى على حاله بأسلحته وعتاده • وحدث فى هذه الآونة الاتصال بين جماعة الاخوان المسلمين والضباط الأحرار وجرى التعاون بينهما خصوصا فى معارك القنال وأثناء حريق القاهرة ٢٦ يناير عام ١٩٥٢ وكان الاخوان يرفضون مبدأ قيام رجال الجيش بأى حركة عسكرية الا أنهم أيدوا ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ عندما اتصل الضباط الأحرار بصالح أبو رقيق الذى اتصل بدوره بحسن الهضيبي الذى بارك قيام الثورة ، ومن هنا نشأت فكرة الاخوان من أن الثورة قامت بمساندتهم وأن رجال الثورة مدينون لهم ، وخاطب سيد قطب محمد نجيب فى جريدة الأخبار طالبا منه اقامة دكتاتورية عادلة نظيفة وقصر الحرية على الشرفاء فقط • وبدأت هوة الخلافات تتسع بين الثورة والاخوان خصوصا بعد صدور قانون الاصلاح الزراعى وتحديد الملكية بمائتى فدان ، وكان الاخوان يرون أن يكون الحد الأقصى خمسمائة فدان ، وأن التوريث سيفتت الملكية بعد ذلك ، وهنا صرح الهضيبي بعد مقابلة له مع عبد الناصر بأنه من الواجب أن تعرض الأمور عليهم قبل أن يتخذ فيها أى قرار من رجال الثورة ، وكان ذلك يعنى وضع الثورة تحت وصاية الاخوان ، وظهر الانقسام فى خطوط الاخوان تجاه رجال الثورة بين مؤيد لهم ومعارض ، الى أن أطاحت الثورة بوزارة على ماهر ، وقرر عبد الناصر اشراك ثلاثة من الاخوان فى الوزارة ، ورشح الهضيبي كلا من منير دله وحسن العشماوى ومحمود أبو السعود لدخول الوزارة ، ولكن مكتب الارشاد اعترض على دخول الوزارة ، وعندما عين عبد الناصر أحمد الباقورى فى الوزارة فصله الاخوان •• وقد ندم الاخوان على هذا التصرف بعد ذلك •

وبصدور قانون حل الأحزاب أصبح للاخوان الحق فى ممارسة عملهم كجماعة دينية فقط ، وليس لها التدخل فى السياسة ، ولكن رغم اتخاذهم لقرار احتفاظ الجماعة بالصبغة الدينية فانهم قرروا أن يتولى تشكيل منهم العمل السياسي ، وتولى الهضيبى الأخطار عن هذا التشكيل ، وأودع باسمه ٧٩٢٥ جنيها بالبنك العربى المصرى وكان معنى ذلك أن أموال الجماعة أصبحت كلها للتشكيل السياسى فقط ، وعقدت الجمعية التأسيسية للاخوان مرتين وتمسك الاخوان بنشاطهم كهيئة سياسية ، وتقرر أن تكون هيئة المكتب المؤسسة من ثلاثة : السيد محمد حسنى عبد الباقى والدكتور محمد خميس حميدة ومحمد فهمى

أبو غدير ، وقد استنكر الهضيبي هذا الموقف لأنه لم يكن اسمه ضمن المؤسسين ، وصمم على الاستقالة ولكنه عدل عنها بعد ذلك ٠

وقد كان القانون الأساسي للاخوان الصادر في ٨ سبتمبر عام ١٩٤٥ والمعدل عام ١٩٤٨ ينص على تشكيل الجماعة لتكون هيئة اسلامية تعمل لتحقيق الأغراض التى جاء من أجلها الاسلام ، وما يتصل بهذه الأغراض ، ومن ذلك شرح دعوة القرآن الكريم وتقريب وجهات النظر بين الفرق الاسلامية المختلفة ، وتنمية الثروة القومية وحمايتها وتحريرها ، والعمل على رفع مستوى المعيشة ، وتحقيق العدالة الاجتماعية والتأمين الاجتماعي لكل مواطن ، والمساهمة في الخدمة الشعبية ومكافحة الجهل والمرض والفقر والرذيلة ، وتشجيع أعمال البر والخير ، وتحرير وادى النيل والبلاد العربية والوطن الاسلامي من سلطان الأجانب ، ومساعدة الأقليات الاسلامية في كل مكان ، وتأييد الوحدة العربية تأييدا كاملا والسير الى الجامعة الاسلامية وقيام الدولة الصالحة التى تنفذ أحكام الاسلام وتعاليمه وتحرسها في الداخل وتبلغها في الخارج ، ومناصرة التعاون العالمى ٠ وقد حدد القانون الوسائل التى تحقق هذا البرنامج ، وتتلخص في الدعوة بطريق النشر والاذاعة وتجهيز الوفود والبعثات في الداخل والخارج وتربية الاخوان وتكوينهم تكوينا صالحا بدنيا بالرياضة وروحيا بالعبادة وعقليا بالعلم والتوجيه عن طريق وضع المناهج الصالحة في كل شئون المجتمع والعمل وذلك بانشاء مؤسسات اقتصادية واجتماعية ودينية وعلمية واقامة المساجد والمدارس والمستوصفات والملاجيء ٠ وحدد القانون الهيئات الادارية للاخوان ، وهي المرشد العام رئيسا ومكتب الارشاد العام وهو الهيئة الادارية العليا للاخوان والمشرف على سير الدعوة والموجه لسياستها وادارتها ثم الهيئة التأسيسية ، وهي مجلس الشورى للاخوان والجمعية العمومية لمكتب الارشاد ، وحتم القانون على المرشد الدعوة الى مؤتمر عام كل سنتين من رؤساء شعب الاخوان للتفاهم في الشئون المختلفة ، ولم يشر قانون الجماعة الى سعيهم نحو الحكم وانما فهم ان لهم الحق في التدخل السياسى ، وجاء في احدى الفقرات (يعتمد الاخوان المسلمون في تحقيق هذه الأغراض على الوسائل الآتية ٠٠٠ وعلى كل وسيلة أخرى مشروعة) وقد حاول الاخوان بعد ذلك اعادة فرض وصايتهم على الثورة ، ولكن دون نتيجة ، ولكن وافق الاخوان على اتفاقية الجلاء التى وقعها عبد الناصر مع الانجليز ، ومنها بقاء بعض الخبراء منهم في القاعدة ، واستخدام القاعدة في حالة وقوع هجوم مسلح من دولة من الخارج على أى دولة تكون طرفا في معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية أو على تركيا والتشاور على العودة في حالة خطر الحرب ، وظهر للانجليز وقتئذ

موقف الاخوان ومرونتهم أكثر من الأحزاب الأخرى بموافقتهم على هذه الاتفاقية ٠

وكان الخلاف الذى نشأ منذ تعيين الهضيبى مرشدا عاما بينه وبين عبد الرحمن السندى الذى تنحى عن رياسة التنظيم والاشتغال بقسم الرياضــة يزداد وضوحا الى أن تدخل عبد الناصر واجتمع برؤسائهم فى مجلس قيادة الثورة واستنكر أن يكون للتنظيم أفراد فى القوات المسلحة والشرطة وطالبهم بحل التنظيم السرى ، وبعرض الموضوع على الهضيبى استنكر وجود التنظيم السرى خصوصا داخل القوات المسلحة والشرطة ، ولاحظ السندى أن الهضيبى يعمل على تكوين تشكيل جديد من القادة ، كما يعمل على التخلص منه ، وواجهه بهذه الوقائع ولكنه خرج بانطباع استحالة التعاون مع الهضيبى ، وعندما اطمأن الهضيبى الى السيد فايز الرجل الثــانى فى التنظيم وتمكن من ضمه اليه فوجىء فايز بانفجـار طرد ناسف فى شكل هدية حلوى مولد النبى أودت بحياته ، وكان هذا ذروة الصراع بين الهضيبى والسندى ، واجتمع مكتب الارشاد وقرر فصل عبد الرحمن السندى ومحمود الصباغ وأحمد زكى وأحمد عادل وأختير يوسف طلعت رئيســا للتنظيم السرى ، وهو تاجر حبوب من مؤيدى الهضيبى ، وقد حدث نتيجة فصل الأربعة المذكورين انقســام داخــل الجماعة أدى الى اعتصام بعض الاخوان بالمركز العــام ، وذهب بعض الرؤساء اليهم لاقناعهم بفض الاعتصـــام دون فائدة ، واستنكر أنصار الهضيبى هذا الاعتصام ، ولم يقتنع أى من الجماعتين بالوصول الى نتيجة مرضية ، فصدر بيان بدعوة الهيئة التأسيسية للاخوان ــ وهنا انصرف المعتصمون ــ وظهر الانقسام واضحا بين صفوف الاخوان ، وعمل كل من الفريقين على مهاجمة الآخر على صفحات الجرائد ووصفوا قرار الفصل بأنه صدمة قوية وطالبوا بنشر الحقائق بالكامل لتبدو الأشخاص عارية على حقيقتها ، واتفق عبد الناصر مع عشماوى على تكوين لجنة تحقيق تتولى الفصل فيما نسب الى الأعضاء الأربعة المفصولين ، ولكن الهضيبى رفض ذلك ثم وافق عليه ، ولكن صدر قرار من مكتب الارشــاد يوم ٩ ديسمبر ١٩٥٣ بفصل صــالح عشماوى ومحمد الغزالى وأحمد جلال ، وقد سارع الأعضاء الثلاثة المفصولون بحضور اجتماع الهيئة التأسيسية ووقف صالح عشماوى يشرح كيفية انتخاب الهضيبى ، وكيف أن هذا التعيين كان ارضاء للقصر الملكى ، وقدم عبد العزيز كامل طلبا للنظر فى أمر كل من الثلاثة المفصولين على حدة ، وثار الهضيبى وأتباعه ، وقال الهضيبى يجب أن يفصــل الجميع ، ثم وقف ودعا بصورة تهديدية من لا يوافقون على الفصل بالوقوف ، بينما طالب أنصـــار عشماوى بالأخذ بالرأى بطريقة السرية ، واعترض على الفصــــل حوالى ٢٨ شخصا من

ستين تقريبـا ، ولكن الواقفين حول الهضيبى تعالت أصواتهم بأنهم أخذوا أسماء المعترضين على الفصـل ، وأن كل من يظهر عطفا على المفصولين سيحال الى لجنة العضوية والتحقيق ، ويؤخذ بمنتهى الشدة ، وبذلك انتصر جناح الهضيبى وأصبح يسيطر سيطرة كلية على التنظيم السرى ، وأقام جهازا للاشراف عليه مكونا من ابراهيم الطيب مسئولا عن القاهرة وأحمد حسنين مسئولا عن الأقاليم وصلاح شادى مسئولا عن البوليس ، وأبو المكارم عبد الحى مسئولا عن الجيش ، واستبدل بالهيئة العليـا القديمة اللجنة العليا للجهـاد التى تمثل السلطة العليا للتنظيم للاشراف على الجهاز . وبعد أن اطمأن الهضيبى الى استقرار الأوضـاع أصبح يطمع فى السيطرة على رجال الثورة خصوصا أن محمد نجيب اتصل عدة مرات يشكو له الحكم الدكتاتورى لرجال الثورة وأنه يطمع فى معـاونته لاقامة نظام نيابى دستورى ، واجتمع الهضيبى برجاله وطلب منهم أن يعملوا أى حاجة ، ولكن يوسف طلعت أبلغه بتعذر القيـام بأى اجراء الا بعد سنة ، حيث يتوقع أن يكون لديه عشرة آلاف من الاخوان تحت أمرته ، وقد نفى محمد نجيب هذه الوقائع وقرر أنه هو الذى تلقى طلبا من الاخوان للاجتماع به سريا ، ولكنه رفض هذه السرية ، فطلبوا منه تفويض منـدوب عنه لمفاوضـتهم ، فعين محمد رياض الذى اجتمع مـع حسن العشماوى ومنير دله عدة مرات ، وكانت شروط نجيب للتعاون مع الاخـوان تتلخص فى انهـاء الحكم العسكرى وعـودة الجيش الى ثكناته ، واقامة الحياة الديمقراطية البرلمانية ، وعودة الأحزاب ، والغاء الرقابة على الصحف ، ولكن الاخوان رفضوا ذلك وطالبوا ببقاء الحـكم العسكرى وعارضوا عودة الأحزاب واقامة الحياة النيابية ، كما عارضوا الغـاء الأحكام العرفية ، على أن ينفرد محمد نجيب بالحكم ويتم اقصاء عبد الناصر وباقى أعضـاء مجلس الثورة ، وأن تشكل حكومة مدنية ، لا يشترك فيها الاخوان ، ولكن يتم تأليفها بموافقتهم ، وأن يعين رشاد مهنا قائدا عاما للجيش ، وأن تشكل لجنة سرية استشارية يشترك فيها بعض العسكريين الموالين لمحمد نجيب وعدد ما من الاخوان المسلمين ، وتعرض على اللجنة القوانين قبل اقرارها ، كما يعرض عليها السياسة الرئيسية للدولة ، كما يعرض عليها أسماء المرشحين للمناصب الكبرى ، ويقول محمد نجيب انه رفض كل هذه المقترحات لأنها تؤدى الى سيطرة الاخوان على الحكم ، وفى تلك الظروف أبلغ عبد الناصر بوجود اتصالات بين الاخوان والانجليز فكان حاسما ، حيث أصدر أمرا من مجلس قيادة الثورة فى ١٤ يناير ١٩٥٤ باعتبـار أن جماعة الاخوان المسلمين حزبا سياسيا يطبق عليه قرار الحل ، وخرجت سيارات الجيش تقطع شوارع القاهرة تجمع الاخوان من بيوتهم بينما كانت القطارات تصل من الأقاليم تحمل المعتقلين من الاخوان . وهكذا وكما دفع الاخوان فى ٨ ديسمبر

١٩٤٨ ثمن مساندتهم لدكتاتورية القصر دفعوا فى ١٤ يناير عام ١٩٥٤ ثمن مساندتهم لدكتاتورية الثورة ، ولم يتعلموا أن الأخطاء التى ترتكب فى حق الديمقراطية تنتقم من فاعليها .

امتلأت المعتقلات مرة أخرى بالاخوان المسلمين ، وتفجر الصراع بين مجلس قيادة الثورة ومحمد نجيب ، وقرر المجلس تنحية محمد نجيب ، وتعيين جمال عبد الناصر رئيسا لمجلس قيادة الثورة ، ولكن الصف الثاني من الضباط الأحرار ومعظمهم كان من رجال المدرعات ثار ضد هذا الوضع ، واستنكر تنحية محمد نجيب ، وخشى مجلس قيادة الثورة من تفاقم الأزمة وتكاتف الاخوان مع الوفد الذين حركوا المظاهرات المنادية بسقوط الدكتاتورية مطالبة بعودة محمد نجيب ، وازاء هذا الموقف المتدهور قرر مجلس قيادة الثورة اعادة محمد نجيب فى ٢٧ فبراير عام ١٩٥٤ ، وفى اليوم التالى خرجت المظاهرات تناشد محمد نجيب الافراج عن الاخوان المعتقلين ، واستعان نجيب بعبد القادر عودة الذى كانت الجماهير تحمله على أكتافها لتهدئة الموقف بعد أن وعد باجابة مطالبهم ، وكانت هذه المظاهرات أول مظاهرات يقوم بها الاخوان للمطالبة بالديمقراطية خلافا لتقاليدهم ، فالاخوان كان يجمعهم بالقصر معاداتهم للديمقراطية ، وهذا نفســـه ما جمعهم مع رجال الثورة الى أن انقلب الحال عليهم فرفعوا شعارات الديمقراطية لتحميهم من الدكتاتورية التى أوشكت على القضاء عليهم رغم أن المعتقلين منهم وقتئذ لم يزد على ٤٥٠ فردا ، وناور عبد الناصر لاخراج الهضيبى بزيارة قبر حسن البنا فى ذكرى وفاته ١٩٥٤/٢/١٢ ومعه الشيخ حسن الباقورى ، وخطب قائلا (أشهد الله أنى أعمل وكنت أعمل لتنفيذ هذه المبادىء وأفنى فيها وأجاهد فى سبيلها) قاصدا بذلك ضرب سياسة الهضيبى وجماعته .

وأعقب ذلك مفاوضات بين عبد الناصر وعبد القــادر عودة حيث اشترط عبد الناصر لاعادة الجماعة من جديد الآتى :

١ ــ الابتعاد عن النشاط السياسى .

٢ ــ ايقــاف نشــــاط الاخوان المسلمين داخــل صفوف الجيش والبوليس .

٣ ــ حل التنظيم السرى .

وقد وافق الاخوان على هذه الشروط صاغرين ، الا أنهم أوضحوا استعدادهم لتصفية التنظيم السرى دون الاستغناء عن مبدأ النشــاط

السياسي للجماعة ، وقد أعلنوا هذا الرأى على الملأ وفى كل مكان الى أن قامت مظاهرات ٢٧ ، ٢٨ فبراير عام ١٩٥٤ وكان للاخوان الضلع الأكبر فيها خصوصا أنها كانت ضد عبد الناصر ٠٠ وفى أعقاب تلك المظاهرات اعتقل عبد القادر عودة ومعه خمسة وأربعون من الاخوان المسلمين ، ووقفوا على أرجلهم بالسجن الحربى من الرابعة صباحا حتى السابعة يضربون بالسياط فى وحشية بالغة ٠

وفى يوم ٢٥ مارس ١٩٥٤ قرر مجلس قيادة الثورة حل تشكيل المجلس وانتخاب جمعية تأسيسية انتخابا حرا مباشرا لها سلطة السيادة وسلطة البرلمان كاملة على أن تسلم البلاد لممثلى الأمة ، وخرج حسن الهضيبى من المعتقل الى منزله وزاره عبد الناصر وصلاح سالم وطلبا منه نسيان الماضى والتعاون معا واتفقا على الآتى :

١ ـ تعود الجماعة الى سابق نشاطها وكيانها بدون أى حد من حريتها واعادة أموالها المصادرة وشعبها ومركزها العام ٠

٢ ـ الافراج فورا عن جميع المعتقلين من الاخوان المسلمين مدنيين وعسكريين مع اعادة من فصل منهم الى الخدمة العسكرية ٠

٣ ـ أن يصدر مجلس الثورة بيانا يوضح فيه حقيقة الأسباب التى اعتبرها داعية الى حل الاخوان ، ويكون هذا البيان فصل الختام فى هذه المسألة المؤسفة ٠

وصرح الهضيبى بعد ذلك بأن الاخوان المسلمين سيكونون عونا للحكومة على طرد الانجليز ورد اعتداءاتهم ، وهكذا توصل عبد الناصر الى وضع الهضيبى فى جيبه قبل أن يصل اليه نجيب ويضمه الى صفه ٠ ويعتقد البعض أن هذه المهادنة استهدفت القضاء على فكرة عودة الأحزاب والحياة البرلمانية ثم الانفراد بالسلطة ، وذلك بضمان سكوت الاخوان الى حين وحتى تحين الفرصة للانقضاض عليهم بعد ذلك ٠

أعقب ذلك قيام عبد الناصر بضرب الصحافة تحت اسم تطهير الصحافة ، ثم أصدر قرار بحرمان السياسيين الذين تولوا الوزارة خلال العشر السنوات السابقة على الثورة من تولى الوظائف العامة ومجلس ادارة النقابات والهيئات ، وقضى على من اشترك فى أى نضال سياسى من أساتذة الجامعات وكان قد أفرج عن الكثير من الاخوان المعتقلين عدا العسكريين منهم وعلى رأسهم عبد المنعم عبد الرؤوف الذى قدم الى محاكمة عسكرية ، ولكنه استطاع الهرب الى خارج البلاد ٠

وقد بعث الهضيبى بخطاب الى عبد الناصر فى ٤ مايو عام ١٩٥٤ يذكره بالبنود التى تم الاتفاق عليها ، وأن معظمها لم ينفذ ، وقال ان مصلحة البلد تقتضينا أن نبذل لكم من رأينا فى مشاكله ما نرى أنه يدعو الى اطمئنان الناس ، ويحقق الاستقرار ، وطالب الهضيبى بثلاثة مطالب :

١ ـ اعادة الحياة النيابية باعتبار أنها الأساس السليم لكل حكم فى العصر الحاضر .

٢ ـ الغاء الاجراءات الاستثنائية والأحكام العرفية .

٣ ـ اطلاق الحريات خصوصا حرية الصحافة وحريات المعتقلين وبعض المحكوم عليهم من المحاكم الاستثنائية .

وقد أخذ هذا الخطاب طريقه ليس الى عبد الناصر وحده ، وانما ظهر كمنشور الى الشارع المصرى عرف به كل مواطن مما يعنى عودة الصراع العلنى ، وكان عبد الناصر يسخر دائما من ادعاء الاخوان للديمقراطية حيث يتنافى وجود جهازهم السرى مع النظم الديمقراطية .

وكما أن نظامهم الداخلى يقوم على أسس دكتاتورية بحته فهيئتهم التأسيسية وهى برلمان الجماعة تقوم على التعيين وليس على الانتخاب ، وآراء مكتب الارشاد غير ملزمة للمرشد الذى يمكنه اصدار أى قرار دون الرجوع الى المكتب ، وعلى ذلك فهم آخر من يطالب عبد الناصر بالديمقراطية .

واستتبع ذلك انقسام ثلاثى داخل الاخوان : الأول على رأسه البهى الخولى يؤيد الثورة ، والثانى على رأسه الهضيبى ويرى أنه لا يمكنه التعاون مع الثورة والثالث يرأسه خميس حميدة ويحاول التوفيق بين الاتجاهين ، وازاء هذا الموقف ترك الهضيبى مصر وسافر لزيارة البلاد العربية ، وتقدم خميس حميدة الصفوف وتقابل مع عبد الناصر وناقشه فى قرار الحل واعتقال بعض الضباط ورد عبد الناصر باستحالة قيام حياة ديمقراطية مع وجود أجهزة سرية ترهب المواطنين والحكومة والرياسات ، ولابد أولا من حل هذه الأجهزة اذا كان الاخوان يريدون اثبات حسن النية ، ووعد خميس باصدار خطاب بالغاء الحل والافراج عن الضباط المعتقلين .

وأعقب ذلك توقيع عبد الناصر اتفاقية الجلاء مع الانجليز فى ٢٧ يوليو عام ١٩٥٤ دون أن يبر بوعده مع خميس حميدة ، الا أن موقف

الهضيبى من الاتفاقية ظهر فجأة فى صحف بيروت حيث أعلن رفضه للأسس القائم عليها الاتفاق ، مؤكدا أن أى اتفاق مع مصر وحكومة أجنبية ينبغى أن يعرض على برلمان منتخب بارادة حرة ، بحيث تمثل ارادة الشعب المصرى ، وعلى صحافة متحررة من الرقابة وتملك حرية المناقشة ، ولا عجب فى هذا الرأى حيث ان الاخوان هم الذين قبلوا الأسس التى قامت عليها هذه الاتفاقية عندما تفاوضوا من قبل عليها مع ايفانز ٠٠ وأعقب ذلك عودة الهضيبى وحضوره اجتماعا للاخوان ارتفعت فيه الأصوات بالموت للخونة - وتلا ذلك مهاجمة بيت المرشد أثناء غيابه - واختفى هو ومن معه كما لجأ الكثير من الاخوان الى الاختفاء عن الأعين وبذلك انتقل نشاط الاخوان من العلانية الى السرية وتحولت الجماعة الى جهاز سرى كبير ٠

فى هذا الوقت كان التنظيم السرى تحت قيادة يوسف طلعت الذى كان يتولى من قبل رئاسة التنظيم السرى فى الاسماعيلية ، كما كان على صلة طيبة بالهضيبى ، وقد استشار الهضيبى الكثير من الاخوان وعلى رأسهم خميس حميدة فى تعيين يوسف طلعت لهذا المركز ، ومعنى ذلك أن مكتب الارشاد كان له رأى فى تعيينه ، رغم أن التعيين يصدر من المرشد وحده ، وقد سنحت للهضيبى الفرصة بعد هذا التعيين فى تنفيذ سياسته فيما يتعلق بنظام الجهاز السرى والذى كان يقوم على أساس (اعداد الفرد المسلم اعدادا صالحا للدفاع عن الوطن الاسلامى) وفى ذلك يقول (اتفقنا على أنه لايجوز البتة ارتكاب أى جريمة من الجرائم ولا القيام بأى عمل ارهابى) وقد أكد يوسف طلعت هذا الكلام وقرر أن الهضيبى قال له بعد التعيين (مش عاوز روح العصابة تهيمن على الأفراد والتزمت والسرية) ، ولكن لم يكن من السهل تغيير هذا النظام فقد كانت روح السندى تهيمن على الجهاز ، أعضاؤه يمثلون الأغلبية فيه ، قال يوسف طلعت بعد ذلك (أنا وجدت فى هذا الجهاز ناس مش من الاخوان وعناصر لم تدرب على دعوة الاخوان) وظل الكثير من الأفراد بالجهاز يتربصون بيوسف طلعت وينسبون اليه (أنه خاين وعاوز يصفى الجهاز) وقد ظهرت صعوبة ميراس أعضاء هذا الجهاز من الشباب المتحمس الذى يصعب اقناعهم بتصفية مثل هذا الجهاز اذا كانت هناك نية فى التصفية . فكان ولابد أن تسير الأوضاع سيرها العادى منذ القديم ، وقد قرر محمود الحواتكى وكان رئيسا لفصيلة الجيزة انه كان يتوقع أشياء تهدده اذا خرج من الجهاز مشيرا بذلك الى اغتيال السيد فايز على أيدى أنصار عبد الرحمن السندى ٠ وقد شرح محمود الحواتكى مسألة ارهاب النظام للخارجين عليه ، فذكر أن هناك فرقا بين جماعة المؤمنين وجماعة

الارشاد فاذا كانت جماعة الاخوان مثل جماعة المؤمنين فان الأمر الذى يصدر منها يصبح ملزما ، أما اذا كانت جماعة ارشاد فأمرها لا يكون ملزما ، وقال أن الخارج على جماعة المؤمنين جزاؤه القتل فى الاسـلام ، ولكن الخارج على جماعة الارشاد لا يقتل ، وقرر أن هذا التفسـير لم يكن واضحا لدى التنظيم السرى القديم ، ولكنه أوضح للتنظيم الجديد ، وقد قرر يوسف طلعت أن روح التنظيم القديم هى التى تسيطر على الجهاز رغم عدم قيام الجهاز السرى الجديد بارتكاب أى حوادث ضد الخارجين عليـه ٠

وقد تلاحظ أنه بعد استئناف الجماعة لنشاطها بعد مارس عـام ١٩٥٤ استأنفت أيضا اعادة تنظيم جهازها السرى وأخذ يوسف طلعت فى اعداد الجهاز السرى فى أوائل ابريل من الناحية التنفيذية ومن ناحية تجميع الأفراد واعدادهم الاعداد الثقافى والروحى ٠

ولكن هل أقام يوسـف طلعت تنظيمه الجديد على أسس التنظيم القديم أم قام بالتغيير ؟

بالنسبة للتشكيلات فان التشكيل القـديم كان يقوم على أساس الخمسات أى المجموعات تتكون من خمسة أفراد يرأسها واحد ، وتتدرج فى شكل هرمى بحيث يكون رؤسـاء الخمسـات مجموعة أعلى يرأسها واحد ، يكون بدوره فى مجموعة أعلى يرأسها واحد ، حتى تصل الى رياسه عبد الرحمن السندى ، وكان هناك فصل بين رؤسـاء الشعب ورؤساء الجهاز الموجودين فى شعبهم ، وكان الفضل فى التغيير الذى حدث بعد ذلك الى الضابط عبد المنعم عبد الرؤوف الذى كان عضوا فى الاخوان ، وهرب أثناء المحاكمة ، واختفى عند ابراهيم الطيب واجتمع بيوسف طلعت ووضع خطة التشكيل الجديد على أساس الانقسـام الى سـبعات وكل سبعة يطلق عليها اسم مجموعة ، ويتكون من كل ثلاث مجموعات فصيلة يضاف اليها مجموعة خدمات فيصير مجموع الفصيلة ثمانيـة وعشرين فردا ، يضاف اليهم رئيس الفصيلة ووكيله فيكون مجمـوع الفصـيلة ثلاثين فردا ، وتتكون من هذه الفصائل المنطقة التى قد يكون بها فصيلة أو اثنتان أو ثلاث ، ويكون رئيس المنطقة هو الرئيس الأعلى للفصائل اذا كان لها رؤساء ، أو يكون رئيسها المباشر اذا كان فى المنطقة فصيلة واحدة أو اثنتان ، وهناك ضباط اتصال فنيون يتبعون رئاسة الجهاز السرى ويكونون صلة بينها وبين رئيس المناطق ، وهو ابراهيم الطيب وبينـه وبين رؤساء الفصائل هذا بالاضافة الى ضباط اتصال اداريين ويتكون من المناطق الأقسـام القطرية الكبرى وينقسم القطر المصرى الى ثلاثة

أقسام القاهرة ويرأسها ابراهيم الطيب ، والأقاليم ويرأسها أحمد حسنين ثم الاسكندرية • وقد قبل يوسف هذا التنظيم الجديد واعتبره ازالة للسرية القديمة وانفتاح دون تزمت • واختار يوسف لنظامه الجديد الكثير من الأعضاء الذين كانوا على خلاف مع عبد الرحمن السندى وجماعته ، وعمل على تطعيمه من أفراد النظام العام مخالفا بذلك الأساس الذى وضعه السندى من قبل ، حتى قيل عن نظامه الجديد أنه تسريح للنظام القديم ، وقال أحد أعضاء النظام الجديد أن من الشروط التى يجب توافرها فى العضو أن يكون عاقلا غير متهور ، وأن يكون فوق ٢١ سنة ، وأن يكون مستعدا للجهاد فى القضايا العامة وقت أن تكون البلاد فى حاجة اليه ، كما قال آخر ان البرنامج فى النظام له ناحيتان تربية روحية ودراسات اسلامية ، وناحية عسكرية ، وهى تدريب على التشكيلات العسكرية الأسلحة لمن لم يتدرب ، وكان معظمنا مدربا فى الحرس الوطنى ، كان أهم شىء فى التنظيم الجديد هو الربط بين النظام الخاص والنظام العام ، فحتى ذلك الحين كان هناك فصل تام بين رؤساء الجهاز السرى ، بمعنى أن رؤساء النظام العام لم يكن يعلمون شيئا عن النظام الخاص وعن رؤسائه فى مناطقهم ، ولكن فى التنظيم الجديد أصبح رئيس المنطقة هو رئيس جهازها السرى ، ومعنى ذلك أن الجماعة قد تحولت الى جهاز سرى ، أو أن العمل السرى قد أصبح جزءا من نشاط الجماعة العلنى ، وهذا التطور جعل الجماعة أخطر بكثير مما كانت عليه أثناء حياة الشيخ حسن البنا ، حيث لم يعد هناك فصل بين العمل السرى والعمل العلنى ، واتسعت اختصاصات رئيس الجهاز السرى لتشمل رؤساء الجهاز العلنى ، أى أن بناء النظام الخاص قد ترتب عليه اعادة بناء النظام العام ، بحيث يتطابق مع النظام الخاص ، كما ترتب عليه أيضا تغيير قيادات النظام العام ، حيث استبعدت بعض القيادات ، حلت محلها قيادات صالحة لرئاسة النظامين •

ووفقا للتنظيم الجديد للجهاز السرى فان القاهرة قد قسمت الى عشر مناطق يرأسها ابراهيم الطيب وهو محامى يبلغ من العمر ٢٢ سنة ، ومنطقة وسط القاهرة يرأسها السيد حسين أبو سالم وعمره ٣٠ سنة ، وكان فريد عوض وكيله وتشمل هذه المنطقة بولاق ــ التوفيقية ــ الموسكى الأزبكية ــ عابدين ــ درب سعادة ــ الجمالية ــ الدراسة ــ وكان لها فصيلة من ثلاث مجموعات • ومنطقة الفسطاط يرأسها عبد العزيز أحمد وعمره ٢٦ سنة وتشمل حلوان وطره والمعادى ومصر القديمة والروضة . وبها فصيلتان ، وكل فصيلة تتكون من أربع مجموعات • ومنطقة الجيزة ويرأسها يوسف هارون ، وبها فصيلة من أربع مجموعات • ومنطقة شرق

القاهرة ويرأسها محمد عبد المعز وعمره ٢٢ سنة وبهـــا ثلاث فصائل ، فصيلة منها تكون شعب سراى القبة وحمامات القبـــة ومصر الجديدة • ومنطقة جنوب القاهرة ويرأسها كمال النافيرى •• ومنطقة شمال القاهرة ويرأسها محمد شديد •• ومنطقة المرج ويرأســـها محمود يونس •• ومنطقة غرب جهينة ويرأسها محمود يونس أيضا •• ومنطقة بين السرايات ويرأسها على الفيومى •• ومنطقة امبابة ويرأسها هنداوى دوير ، وكون له فصيلة مكونة من ثلاث مجموعات ومجموعة مخابرات •

أما الأقاليم فكان يرأسها أحمد حسنين ، وقد عرف من مناطقهـــا الشرقية وشرق القنال والغربية والمنوفية والبحيرة وبنى سويف وأسيوط والفيوم والمنيا •

وكان الجمع بين رئاسة النظام العلنى ورئاسة النظام السرى قد أتاح الفرصة لرئيس التنظيمين لتسخير امكانات النظام العلنى فى خدمة النظام السرى ، فقد كان كل رئيس منطقة يتبعه عدد من نواب الشعب يبلغ تسعة نواب يجتمعون معا ، ولهم ضابط اتصال بينهم وبين القاهرة وكانت مهمة نواب الشعب اعطاء المعلومات لرئيس المنطقة ترشيح أسماء الصف الأول فى الشعب للنظام الخاص ، وقد وضـــع نظام اتصال بين يوسف طلعت ابراهيم الطيب وبين ابراهيم الطيب ورؤساء الفصائل عن طريق ضباط اتصال فنيين يتبعون يوسف طلعت وذلك خلاف ضباط اتصال اداريين آخرين •

وقد أقيم قســـم بذاته للمخابرات يرأسه صلاح عبد المعطى يتبع يوسف طلعت مباشرة ، ومهمته مراقبة أعضاء الجهاز ، وتقـــديم تقارير عنهم ليوسف طلعت تشتمل على زياراتهم واجتماعاتهم وملاحظـــات على حالتهم النفسية ، كما كان هذا القسم يتبع نشاط الشيوعيين ويكتب عنهم تقارير مستمرة لأنهم كانوا يعتبرون الشيوعيين عدوهم الأول •

أما عن تسليح الفصائل فقد كان مسدسا لرئيس المجموعة وثلاث بنادق ومدفعين استن ومدفع برن وقنبلتين لكل فرد أو كان التسليح يتم مباشرة من أمين المخازن ، وهو السيد عبد الله الريس طالب بكلية الآداب وبين قواد الفصائل ، وكانت تعليمات توزيع السلاح تصدر من ابراهيم الطيب الى السيد عبد الله الريس عن طريق ضابط الاتصال اســـماعيل عارف ، وكان المخزن الرئيسى للسلاح هو مخزن عرب جهينة وكان مقره مقابر أسرة المرشد حسن الهضيبى ، وكان أمين المخزن هو اســـماعيل

الهضيبى ابن عم حسن الهضيبى ، هذا بخلاف مخزن خاص لكل منطقة غالبا ما يكون شقة فى أحد الأحياء ، وكان التدريب على السلاح يتم فى بداية الأمر فى معسكر كرداسة ويقوم بالتدريب شخص اسمه الخضرى . وقد هاجم البوليس المعسكر بعد ذلك ، ولكنه لم يقبض على أحد ، وقد قرر يوسف طلعت أن نظام التسليح الذى كان قد اتفق عليه مع عبد المنعم عبد الرؤوف اصطدم بعقبة كيفية الحصول على السلاح ولكنهم لجأوا الى طريق الاكتتاب حيث كان المصدر الأول لتمويل السلاح ، وقد تم تدريب حوالى ألفين فرد على حمل السلاح بواسطة يوسف طلعت الذى كان أمله فى الارتفاع بالأفراد الى عشرة آلاف فرد .

أما عن تبعية الجهاز السرى فقد كان معروفا أنه يتبع المجلس الأعلى للجهاد المكون من يوسف طلعت وصلاح شادى والشيخ محمد فرغلى والدكتور خميس حميدة ، وكان هذا المجلس يخضع مباشرة للمرشد العام ، يتعاون معه فى ادارة الجهاز ، ويأتمر بأمره فى كل خطة قبل تنفيذها ، الا أن هذا المجلس كان مستقلا تماما عن مكتب الارشاد ، وقد نفى كل من محمد فرغلى وخميس حميدة وجود المجلس الأعلى وقررا أن اتصال رؤساء الفروع الثلاثة للتنظيم السرى كان بالمرشد بشكل مباشر ... وقد قرر حسن الهضيبى أن هناك لجنة مكونة من الدكتور حسين كمال الدين وكمال خليفة ومحمد فرغلى للاتصال بالنظام وكان ضابط الاتصال هو محمد فرغلى باعتباره عضوا فى مكتب الارشاد ، وكان محمد خميس حميدة مفوضا فى ادارة شئون الجهاز ، وقد رد الهضيبى عليه بأنه المسئول الأول عن الجهاز السرى بقوله قانونا ده صح ، ولكن هما كانوا بيشوفوا كل حاجة لأن خميس وفرغلى كان موكول اليهما الأشراف على الجهاز السرى وأنه لم يكن يستطيع الاشراف الكامل على كل شىء ، وهذا الكلام يؤكد وجود المجلس الأعلى للجهاد ولكن بدون صفة رسمية ، وقد أنكر فرغلى وخميس الشكل القانونى للمجلس بينما اعترف يوسف طلعت وابراهيم الطيب ومحمود عبده بالواقع الفعلى .

ويظهر من السرد السابق للحوادث قوة كل من محمد فرغلى وخميس حميدة كعضوين أقوياء فى التنظيم وقد قاما بدور كبير فى اقصاء بعض المنافسين لهم أمثال عبد الرحمن السندى وتعيين من يثقون به أمثال يوسف طلعت .. ويتضح أن الهضيبى كان قد فوض بالفعل اختصاصاته فى ادارة شئون الجهاز السرى لخميس حميدة ومحمد فرغلى رغم أنهما قررا أن سلطة اصدار القرار كانت تتم من الهضيبى الى يوسف طلعت مباشرة .. وقد أنكر الهضيبى ذلك وقرر أن علاقته بيوسف طلعت كانت

محدودة ، لانه تم قبل تنصيب المرشد العام وهو مريض عام ١٩٥١ وبعد الحاح شديد من الاخوان وقالوا له : (اللى يعجبك تمضى عليه واللى ما يعجبكش لا تمضى عليه) وأنه أحضر الدكتور خميس ومحمد فرغلى وأوكل اليهما التنظيمات الادارية ، وكانت مهمته مقصورة على زيارة البلاد واستقبال الناس ومراسلى الصحف ٠

وفى أقوال يوسف طلعت يقرر أنه بعد تعيينه قال له المرشد العام : مش عاوز روح العصابة تهيمن على الأفراد والتزمت والسرية ، عاوز الروح دى تنشال ، ثم يقرر بعد ذلك أن الأوامر كانت تصدر من المرشد العام ولا يمكن عمل أى شيء بدون موافقته ، وهذا تعارض فى أقوال يوسف طلعت لا ندرى سببه ؟ ولكن المعنى الواضح من ذلك أن الهضيبى لم يكن يرجع اليه فى التفصيلات ، وانما فى الخطوط العريضة ، أو الجليل من الأمور ، حيث أن يوسف طلعت لم يكن يستطيع التصرف بدون أمر أو موافقة المرشد ، وفى ذلك اثبات لمباشرة الهضيبى لاختصاصاته ٠ وهذه النتيجة معقولة ، بدليل أن الذى أتى بيوسف طلعت الى رئاسة التنظيم السرى انما هو الخلاف الذى حدث بين الهضيبى وعبد الرحمن السندى بسبب عدم خضوع الأخير لأوامر المرشد ، وقد باشر خميس حميدة شئون الجهاز مع يوسف طلعت كحلقة اتصال بينه وبين المرشد الى أن حدث خلاف بينه وبين يوسف طلعت فكان الأخير يتصل مباشرة بالمرشد العام ٠

ونعود الى الخلاف بين عبد الناصر والاخوان فبعد أن عاد المرشد من رحلته الى البلاد العربية كما ذكرنا ٠٠ حضر اجتماعا عاما يوم ٩ سبتمبر عام ١٩٥٤ وألقى خطابا فى الاخوان المسلمين قرر فيه أن الحريات صودرت ، والتهديدات بالحل قائمة ، ومصادرة الأنشطة حتى الرياضى منها أصبحت قاعدة ، كما أن اعتقال الخطباء وتفتيش البيوت مازال قائما ولم يسمح للاخوان بالكتابة أو التعليق على الأنباء ، حتى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أوقفت ، مما يشكك الناس فى الاسلام وحكم الاسلام، ولا يستطيع انسان أن يحمل الاخوان تبعة ذلك ، ولا أن يجد مبررا له عند رجال الحكومة ، ثم اختفى بعد هذا الخطاب هو وبعض من جماعته ، وبرر هذا الاختفاء بشعوره بأنه معرض للاغتيال ، أو أنه ربما مطلوب القبض عليه ، وأخيرا قرر أن الغرض من هذا الاختفاء كان الاعتزال بعد أن ألقى ما فى جعبته ٠٠٠ ولكن الظاهر بعد ذلك أن الاختفاء شمل يوسف طلعت وصلاح شادى ومحمود عبده وحسن العشماوى وكمال عبد الرازق وصالح أبو رقيق ومنير دله وعبد القادر عودة ٠٠ فهل كان الاختفاء مجرد البعد عن الأضواء أم للعمل فى الخفاء ؟

لقد ظهر بعد ذلك أن اجتماعات الاخـوان كانت تتم بصفة مستمرة ولكن بطريقة سرية خوفا من بطش عبد الناصر بعد أن أعلنـــوا رفضهم للمعاهدة ، وكان عبد الناصر قد عمل على مصادرة جريدة الاخـوان عدة مرات ، والحد من مقالاتها بوساطة الرقابة ، حتى اضطروا الى اغلاقها .. وقد اضطر الاخوان الى التعبير عن آرائهم باصـدار المنشورات مستغلين روح الدين في اثارة روح الحماسة والتضحية في نفوس الاخوان ، ومن هذه المنشورات واحد بتوقيع الهضيبي يقول فيه (يا شباب الاخوان تعالوا نشترى الجنة بسياط العذاب وبرصاص أعداء الله ، تعالوا نرق الدم المسفوك والدم الساخن ليكون أوسمة نحلى بها صدور الشهداء ، تعالوا نشم أريج الجنة فداء لله والدين . وتعالوا ننعم النظر الى جمال الله وصحبة رســول الله ، تعـالوا الى ما وعد الله في كتابه الكريم (وجوه يومئذ ناعمة) و (وبشر المؤمنين) والله أكبر ولله الحمد) ثم أصـدرت الجماعة مجلة سرية بعنوان « الاخوان في المعركة » لنشر ما لا تجيز الرقابة نشره ، وكان الهضيبي موافقا كلية على هذه المطبوعات حيث انه كان قد وافق على صرف ١٨٠ جنيها ثمنـــا لماكينة رونيو جـديدة لهذا الغرض ، وقد تناولت هذه المطبوعات بعد ذلك الهجوم على عبد الناصر شخصيا حتى اتهمه بأنه أثث بيته بمفروشات القصور الملكية المصادرة وكان رئيس تحرير مجلة الاخوان في المعركة السرية هو سيد قطب ، قد بلغ الأمر مداه حينما نشرت المجلة منشورا صادرا عن محمد نجيب يهاجم فيه المعاهدة ، وعرف بعد ذلك أن محمد نجيب كان قد كتب مذكرة عن رأيه في المعاهدة بالقلم الرصاص وتلقفها الاخوان ونشروها ، كما نشرت المجلة منشورا آخر عن سليمان حافظ الذى يدين للثـورة بالولاء ويقنن لقادتها أفكارهم الدكتاتورية الى أن استغنى عنه فأرسل منشورا ينعى فيه الديمقراطية والحياة النيابية ويهاجم المعاهدة ، وتعددت المنشـــورات المثيرة لأفراد الاخوان المسلمين ومنها منشور يقول : (يأمرنا الله في كتـــابه العزيز بقوله تعالى : « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** » فيا أيها الأخ الكريم قد جاء يومك وعليك أن تستعد وتتأهب فأمامنا أعداء وليس عدوا واحدا ألا وهما الكفرة والفجرة حكام هذا الوطن العزيز هؤلاء الذين ليس في قلوبهم مسحة من الرحمة أو ذرة من شفقة ، وهذا الشعب البائس الذى يحكمه الطغاة لا يصح أن يعيش في هذه الذلة والمســكنة ، انهم يشردون أطفالك باعتقالاتهم الجنونية ، وربما يحتاج الأمر الى استعمال القوة في معاملتهم ، فعلى كل أخ يعتز بدعوته أن يستعد بكل ما عنده من مال وسلاح الى حين اليوم الموعود) .

ومن الغريب بعد ذلك أن ظهرت اتصالات بين الاخوان والشيوعيين (حيث كانت المصائب تجمع المصابين ، فقد كانت جميع القوى الوطنية مضادة للثورة ، والصدام بينهما على أشده ، وكانت الخطوة الأولى اعلان من جريدة راية الشعب لسان حال الحزب الشيوعى المصرى الذى يرأسه الدكتور فؤاد مرسى يعلن أن المقاومة ضد الثورة تقودها قوتان رئيسيتان هما الحزب الشيوعى والاخوان المسلمون ، وأوصى المقال بوجوب بذل الجهد المشترك من أجل اسقاط حكومة عبد الناصر ، وظهرت الصداقة واضحة بين الشيوعيين والاخوان !! فى شتى المجالات ، وبين الطبقات المختلفة حتى بين الطلبة فى المدارس والجامعات ، وكان قد جرى اتصال فى يولية عام ١٩٥٤ بين مندوب من الحزب الشيوعى وسيد قطب ، ودار الحديث حول أهداف كل منهما وعلى معارضة المعاهدة واسقاط الحكومة والدعوة الى قطع المفاوضات والغاء الأحكام العرفية ، دعا مندوب الحزب الشيوعى الى العمل على اسقاط النظام من خـــارج الجيش ، وليس من داخله ، وقد تدارسا امكانية الاستعانة بالمنشـــورات لهذا الغـــرض ، أو الاستعانة بالمظاهرات ، وكان شرط سيد قطب أن يكون هتاف المظاهرة الله أكبر ولله الحمد ، وقد تم هذا الاتفاق دون تأكيد لعلم المرشد العام به من عدمه ، ولكن المعروف أن كبار المسئولين فى الجمـــاعة نبهوا الى حماقة التحالف مع الشيوعيين ، وبالتالى لم يتمخض هذا اللقاء الا عن بعض المنشورات التى كان تلقى بواسطة الاخوان تحمل اسم الحزب الشيوعى المصرى .

ولا يفوتنا فى هذا المجال أن نتعرض للخلاف الذى نشأ بين الاخوان إبان هذه الفترة حيث كانت مجموعة الهضيبى تقاوم عبد الناصر وتهاجمه، بينما مجموعة صالح عشماوى تقف موقفا مؤيدا للثـــورة الى أن اجتمع النقيضان وقررا وجوب التئام الشمل وجمع الصفوف لأنه لن يستفيد من هذا التشاحن بين الاخوان المسلمين والثورة غير أعداء الوطن والدين ، وقد استنكر صـــالح عشـــماوى هجـــوم الهضيبى على الاتفاقية وهو فى سوريا ، وكتب يقول ان هذه التصرف يربط الاخوان جميعا ويحملهم نتائج بعيدة المدى لأن قانون الاخوان المسلمين يقضى بدعـــوة الهيئـــة التأسيسية التى تمثل الاخوان وترسم سياستهم الى الاجتماع لبحث هذه الاتفاقية فى عمق ، ثم قال إن الاســـلام لا يقر مثـــل هذه الحـــركات البهلوانية ، وليس هناك داع للاختفاء مثل النعامة التى دفنت رأســـها فى الرمال فلا ترى شيئا ظنا منها أن أحدا لن يراها مادامت هى لا ترى أحدا ، وتساءل أين كان هذا الاختفاء أيام فاروق وحافظ عفيفى حيث كان الاخوان يهتفون ضده ، بينما كان المختفى الأعظم يقدم له أعظم التهانى

فى قصر عابدين فى ذلك الوقت ؟ وبينما كان شباب الاخوان يمزقون صور فاروق كان المختفى الأعظم ينزع صور حسن البنا ليعلق مكانها صور فاروق ٠٠ وكان رأى صالح عشماوى فى اتفاقية الجلاء يناقض رأى الهضيبى ومجموعته وأنصاره ، وقد وصف الاتفاقية بأنها تتضمن مزايا لا ينكرها الا مغرض ، وأن عبد الناصر وزملاءه بذلوا أقصى جهد ووجب لهم الشكر لا اللوم ٠٠ وقد أعقب اختفاء الهضيبى أن ظهرت مجموعة أخرى تريد التفاهم مع رجال الثورة على رأسها خميس حميدة ، كانت المشكلة من الذى يدير أموال الاخوان الفريق المختفى برئاسة الهضيبى ، أم الفريق الظاهر برئاسة خميس حميدة ؟ وكان فريق الاختفاء يرى فى وجود المرشد المختفى ما يمنع خميس وفريقه من الانفراد بالادارة بينما يرى فريق خميس ان اختفاء المرشد معناه الابتعاد عن المسئولية ، وبالتالى عن الادارة ، وهكذا انقسم الاخوان الى ثلاث مجموعات : مجموعة عشماوى ومجموعة الهضيبى ومجموعة حميدة ٠

فى ٩ سبتمبر عام ١٩٥٤ عقد الاجتماع السنوى للهيئة ، وأرسل الهضيبى من مخبئه خطابا تلى على أفراد الجماعة يبين وجهة نظره فى الخلافات الدائرة بين الجماعة والثورة من جهة ، وبين معارضى اتفاقية الجلاء من جهة أخرى ، ندد بالمستعمرين وقال ان غرض الاسلام تطهير الأرض منهم ، وليس لنا أن نرضى بأى ارتباط أو اتفاق ماداموا موجودين على أرض الاسلام ، ثم ذكر مساعدات الجماعة لرجال الثورة حتى تماسكوا وثبتت أقدامهم ، ثم تعرضوا للحل والاعتقال ، وطالب بالافراج عن الاخوان والغاء قرار حل الجماعة ، وقرر أن ما أغضب الحكومة هو هجومهم على اتفاقية الجلاء ، مما جعل الحكومة تصفهم بأنهم خونة ودعاة تخريب شأنهم شأن الشيوعيين والصهيونيين ، واذا كانت الحكومة مضطرة للموافقة على المعاهدة ، فنحن لسنا مضطرين لذلك ، لكل رأيه وكل يتحمل تبعية رأيه ، ثم دعا الاخوان بأن يكونوا مستعدين للموت فى سبيل دعوتهم لأن أسمى المبادىء هو الموت فى سبيل الله ٠

وتأجل الاجتماع لمدة أسبوعين حيث قرر صالح عشماوى أن هناك لجنة اتصال بالحكومة ما زالت تعمل ويجب انتظار نتائج أعمالها ، وكان صالح عشماوى من قبل ينذر بتجنب الصدام مع الحكومة خوفا على مستقبل الاخوان ، بينما يدعو خميس حميدة للعمل على نزع السلطة من الهضيبى ومجموعته ، ليكون مكتب الارشاد هو الذى يحمل أعباء الدعوة واشتد الصراع بين هاتين المجموعتين حتى انعقدت الهيئة التأسيسية فى ٢٢ سبتمبر عام ١٩٥٤ برئاسة خميس حميدة وحضرها مائة عضو من ١٤٧ ووقف بعض الأعضاء يهاجمون الهضيبى ويقولون ان الثورة

لم ترفض قرار الغاء الحل ، وان عبد الناصر أرسـل خطابا من رئاسة مجلس الوزراء الغى فيه هذا القـرار منذ ٢٥ مارس الماضى ، وان هذا الخطاب قد سلم الى منير دلة كما كشف النقاب عن اللقاء الذى تم بين لجنة الاتصال بالجماعة وبين عبد الناصر وأن الأخير اعترض على تعرض الجماعة لنقد اتفاقية الجلاء ، وتعرض محمد جوده لما حدث من تصريحات عبد الحكيم عابدين فى دمشق هو وسعيد رمضـان وسـعد الوليلى ومحمد نجيب جويفل وكامل شريف وسهم محمود أبو الفتح وما تلا ذلك من تجريدهم من الجنسية المصرية بتهمة تشويههم سمعة بلادهم بالخارج ، واستمر هذا الاجتماع لمدة ١٨ ساعة فى مناقشـات وجدل وبعد مغادرة بعض الأعضاء للاجتماع اتخذ قرار من ٢٥ عضوا باسم الهيئة بحل الهيئة التأسيسية وتجديد البيعة للهضيبى مدى الحياة ، وتعديل قانون الجماعة فيما يتعلق بانتخاب أعضاء الهيئة التأسيسية وسلطة ومسئوليـة مكتب الارشـاد ، وأعلن عبد القادر عودة هذه القرارات للصـحافة باعتبارها القرارات التى اتفق عليها الجميع ، وكانت هذه القرارات صدمة خصوصا لجماعة صالح عشماوى ، ولذلك كتب هو على أثرها مقالا خطيرا يعد أساس فكرة التكفير والهجرة التى اعتنقها جماعة المسلمين (التى عرفت باسم جماعة التكفير والهجرة مستقبلا) وكان عنوان المقالة (هجرة وتمييز) حيث اتهم صالح عشماوى دعوة الاخوان بالانحراف والفساد ، وأعلن يأسـه من اصلاحها ودعا الى الهجرة لتمييز العناصر الطيبة من العناصر الخبيثة ، وأرجع بداية فساد الجماعة منذ جاء حسن الهضيبى مرشدا وبعد المقابلة الملكية الكريمة ، وتعرض للخداع الذى حدث فى اجتماع اللجنة الأخير ، وكيف استطاع الهضيبى بواسطة بطانته وأتباعه أن يختلسوا قرارا بحل الجمعية التأسيسية فى صورة تعديل القانون الأساسى للجماعة ، وقال انه لا يهدف الى تقرير بطلان هذا القرار فحسب ، وانما يجزم بأنه لم يعد هناك أمل فى اصـلاح الهيئة وتنحيـة العناصر النفعية والانتهازية التى تلتف حول الهضيبى وتزين له سياسته والتى أدت الى تحطيم الجمـاعة والقضاء عليها ، وأن هذه العناصر تعتمد على الغش والخداع والتضليل واشاعة الضغط والارهاب للوصول الى أهدافها ، ولم يعد هناك بد من هجرة العناصر الطيبة التى تعمل لله ودعوته وللاسلام والشريعة لا تبغى من وراء ذلك مغنما الا تربة صالحة لنمو الفكرة الاسلامية وازدهار الدعوة المحمدية وتمييز المؤمنين الطيبين عن المنافقين الخبيثين ، وختم خطـابه بالاستدلال على هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، ثم عودته الى مكة معقل الكفر وقلعة الشرق يومئذ لفتح أبوابها .

وفى يوم ٢٠ أكتوبر اسـفرت جهود الفريق المعارض للهضيبى عما عرب باسم انقلاب فى الاخوان المسلمين ، فقد عقد نحو سبعين شخصا من أعضاء الهيئة التأسيسية المنحلة اجتماعا اتخذوا فيه القرارات الآتية :

١ ـ اعتبار المرشد العام حسن الهضيبى فى أجازة •

٢ ـ الغاء مكتب الارشـاد الحالى •

٣ ـ الغـاء قرارات الفصـل والايقاف وحل الشعب التى صـدرت فى السنوات الثلاث الأخيرة •

٤ ـ بطلان ما نسب للهيئة التأسيسية من اتخـاذ قرارات القانـون الأساسى للجماعة (قرارات ٢٣ سبتمبر) •

٥ ـ تكوين لجنة مؤقتة لادارة شـئون الجماعة ريثمـا تجتمع الهيئة التأسيسية لتتخذ ما تراه لاقرار شئون الجماعة على أسس سليمة •

وقد وقع على هذا البيان ٦٨ عضوا من الهيئة التأسيسية •

وفى اليوم التالى ٢١ أكتـوبر عقد اجتماع مشترك لمكتب الارشاد وأعضاء الهيئة التأسيسية المنحلة برئاسة الدكتور خميس حميدة وجرت مناقشات واسعة بين أنصار الهضيبى المعارضـين لعبد الناصر وخصومه المؤيدين للتفاهم ، وأسفر عن قرارات تضمنت ضم بعض الأعضاء الجدد مثل حلمى نور الدين ومحمد الخضرى ومحمد أسعد جودة ومحمد فتحى الأنور ومحمد عبد السلام فهمى الى مكتب الارشاد المؤقت مع تأجيـل اجراء انتخابات أعضاء الهيئة التأسيسية الى موعد يقره المكتب المؤقت فيما بعد وقد نوقش فى هذا الاجتماع التعديل المراد ادخاله فى القانون الأساسى للجماعة ، وقد كان معنى هذه التغييرات اسقاط السلطة الفردية التى يمثلها الهضيبى وانتقال السلطة الى مكتب الارشاد الذى لم تكن له سلطة من قبل واشاعة الديمقراطية فى تنظيم الجماعة عن طريق انتخاب الهيئة التأسيسية التى كانت العضوية فيها قائمة على التعيين ، وكانت هذه التغييرات بمثابة انقلاب فى الجماعة ان دلت على شىء فانها تدل على مدى التمزق الذى ساد الجماعة والذى أفسح المجال للتنظيم السرى للنزول للميـدان •

وبذلك تعطل جهـاز الاخوان فيما عدا الجهاز السرى الذى أصبح يسيطر على الموقف ويصدر تعليماته الى الاخوان ، وكان من ضمن الأفكار

التى طرحها هذا الجهاز أيام الاعتقال أن يقوموا باختطـاف بعض رجال البوليس الحربى والمباحث العامة وأخذهم رهائن مقابل من اعتقـل من الاخوان وكان الهدف من ذلك هو شـل حركة الدولة واسقاط هيبتها الا أن هذا الاقتراح لم يصادفه النجاح وكان هناك اقتراح آخـر من عبد المنعم عبد الرؤوف بأن يرتدى خمس فصائل ملابس البوليس الحربى وتقوم باقتحام مجلس الوزراء واحتلاله ، وقد تم بالفعل شراء ٥٠ بدلة عسكرية ضبطت بعد ذلك الا أن هذه الفكرة استبعدت نظـرا لصعوبة تنفيذها ، ثم أثيرت خطة أخرى تقوم على الاتفاق مع محمد نجيب على القيام بتحرك داخل الجيش بمساعدة القوات المواليـة له ليفرض على مجلس الثورة الانسحاب الى ثكناتهم وهذه الخطـة تكرار لما حـدث فى أزمة فبراير ، وكانت تلقى موافقـة الهضيبى ، ولكنـه لم يجد الطريق الى تنفيذها بعد انصراف الجماهير عن تأييد الاخوان بعد موقفهم الانتهازى فى أزمة مارس وتأييدهم لعبد الناصر ورفاقه ، مما مكنهم من ضرب القوى الوطنية الديمقراطية والتقدمية ، ورد سيد قطب على سؤال موجه اليه عن دور محمد نجيب فأجاب بأن محمد نجيب سـيكون على رأس قوات الأغلبية التى ستقوم بالضغط على بقية الجيش لتحقيق فكرة الرجوع الى الثكنات واعادة الحكم للمدنيين ، ومعنى ذلك أنه كان هناك اتصال بين الهضيبى ومحمد نجيب لوضع هذه الخطة موضع التنفيذ ، ولم ينكر محمد نجيب ذلك فى مذكراته وقد تأيدت هذه الواقعة بالقبض على محمد رياض، حارس محمد نجيب فى أكتوبر عام ١٩٥٤ واتهامه بمحاولة عمل انقلاب ضد جمال عبد الناصر بالاشتراك مع الاخوان المسلمين .

وقد كانت الخطة تقوم على حركة من الجيش موالية لمحمد نجيب تساندها حركة شعبية تتكون من كافة القوى الوطنية الديمقراطيـة ، فتكون مظاهرة سلمية شعبية تحرسها قوات التنظيم السرى للاخـوان للمطالبة بالمطالب السابقة ، واذا وقع صدام مع قوات عبد الناصر تبدأ قوات الاخوان فى حملة اغتيالات لأعضاء مجلس الثورة .

ولكن ظهر أثناء المحاكمات أن الهضيبى كان بعيدا عن فكرة استعمال العنف ضد الثورة حيث قرر أنه لا يقر الارهاب كوسيلة لأى شىء ، لأن الارهاب يضر الجماعة ويضر الاسلام ويضر بمصر ، وقد حذر منه عـدة مرات . وبذلك أقر أيضا يوسف طلعت حيث قال ان الهضيبى لم يوافق على استخدام العنف حتى أنه حينما رفع خطـة المظاهرة المسلحة الى الهضيبي رفضها ولكنه أيد المظاهرة السلمية .

ولما سقطت فكرة المظاهرة الشعبية سلمية كانت ام مسلحة ، أحس التنظيم السرى بوجوب الاعتماد على نفسه والتصرف منفردا ، وهنا ظهرت فكرة ترتيب الاغتيال كوسيلة تبادلية للقضاء على الثورة ، وكان أول المرشحين للاغتيال جمال عبد الناصر يعقب ذلك اغتيال أو خطف بقية أفراد مجلس الثورة على أن يؤيد محمد نجيب هذا المسلك ، قرر معظم الشهود أثناء المحاكمة أن ابراهيم الطيب قرر لهم أنه لابد أن يكون الارهاب هو وسيلة الجماعة ، وليس الحل السلمى ، وقد ذكر هنداوى دوير أن ابراهيم الطيب أتى له بمسدس لتسليمه لمحمود عبد اللطيف الذى استلمه بالفعل ، وأنه سمع من محمود الخوانكى وعبد الفتاح قرشى أن المرشد لا يوافق على هذا الرأى ، وأنه برىء من دم عبد الناصر لو قتل، وعلى أثر ذلك طلب هنداوى دوير من محمود عبد اللطيف ايقاف التنفيذ الى أن زاره ابراهيم الطيب واستنكر ايقاف التنفيذ ، وكان هذا الاغتيال هو بدء لخطة اغتيالات ، منها اغتيال أنور السادات أيضا وبعض أعضاء مجلس الثورة ، وقرر هنداوى دوير أيضا أنه عندما استلم المسدس من ابراهيم الطيب وسأله عن الخطة أجاب أن الخطة هى أن محمود يعتمد على مجهوده الشخصى فى تتبع عبد الناصر خصوصا وأنه بعد المعاهدة ينزل كثيرا الى الميادين والى الشعب ، ويمكن النيل منه بسهولة وكذلك قرر أن ابراهيم الطيب وعده باحضار مدفعين لاستخدامهما فى عمل كمين لموكب عبد الناصر ، ولغم يلفه محمود عبد اللطيف حول نفسه وينسف به عبد الناصر ، ولكن عبد اللطيف فضل طريقة المسدس ، ويظهر من ذلك أن محمود عبد اللطيف هو الذى اختار طريقه ، وكان المفروض أن يقوم بخطته فى القاهرة ، ولكنه فاجأ الجماعة بأنه سيسافر الى الاسكندرية لوجود عبد الناصر بها ، ولم يتوقع أحد من الاخوان أن تتم الجريمة فى الاسكندرية الى أن فوجئوا بها ، وقد كان هناك بديل لمحمود عبد اللطيف، وهو محمد على نصيرى فى حالة فشل محمود عبد اللطيف .

ويقول محمود عبد اللطيف (انه بعد لقائه بهنداوى دوير ليلة الثلاثاء ٢٦ أكتوبر وحصوله على موافقته للسفر الى الاسكندرية مر فى الصباح على زميله يوسف حجاج وأبلغه بالأمر فأبدى أسفه لأنه ما أحضرش السلاح بتاعه علشان ييجى معايا ، وتوكلت وسافرت الى الاسكندرية فى قطار الساعة التاسعة والنصف الذى يصل الواحدة تقريبا ، وبعد كده رحت محرم بك واتمشيت شوية ودخلت مطعم واتغديت ، وبعدين رحت لوكاندة دار السعادة ، وأخذت حجرة وغيرت ملابسى ، وفى الساعة الرابعة والربع نزلت على ميدان المحطة ووجدت جماعة متظاهرين رايحين

المنشية ، فمشيت وراهم وبعد ما وصلت الميدان وقفت ، ولما جاء الرئيس وهو بيتكلم كلمته أطلقت عليه طلقات من المسدس) ٠

وتتلخص أحداث الاعتداء على عبد الناصر فى أنه فى الساعة السابعة وخمس وخمسين دقيقة من مساء يوم الثلاثاء ٢٦/١٠/١٩٥٤ وأثناء خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في الجماهير المحتشدة فى ميدان المنشية بالاسكندرية بمناسبة توقيع اتفاقية الجلاء مع بريطانيا دوت ثمانى رصاصات أطلقها محمود عبد اللطيف العضو فى التنظيم السرى لجماعة الاخوان المسلمين على جمال عبد الناصر ، ولكنها لم تصبه ، ولكن هول المفاجأة أسكته لمدة نصف دقيقة انطلق بعدها يصيح : دمى فداء مصر ليقف كل فى مكانه ــ ان مات عبد الناصر كلكم عبد الناصر ــ واستمر الهرج والمرج الى أن تم القاء القبض على الفاعل فى الحال ، وكان على بعد حوالى ٢٠٠ متر من المنصة الرئيسية ، وجرت فى أعقاب ذلك أكبر حملة اعتقال شهدتها مصر ضد الاخوان المسلمين ، حتى وصل عددهم حوالى الثلاثة آلاف معتقل ، وقد تم القبض فورا على حسن الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين وكذلك أفراد تنظيم الجهاز السرى للاخوان ، ومنهم يوسف طلعت وهنداوى دوير وصالح عشماوى وخميس حميدة وعبد القادر عودة ومنير دلة وصالح أبو رقيق ومحمد فرغلى وآخرون وشكلت محكمة مخصوصة برئاسة جمال سالم وعضوية كل من القائمقام أنور السادات والبكباشى حسين الشافعى لمحاكمة المتهمين ، وتألفت ثلاثة دوائر فرعية أخرى احداهما برئاسة اللواء صلاح حتاتة ، والثانية برئاسة القائمقام عبد الرحمن عنان والثالثة برئاسة القائمقام محفوظ ندا ٠

وقد أنكر الاخوان المسلمون صلتهم بهذا الحادث ، وقالوا انه من محمود عبد اللطيف وعبد القادر عودة ومحمد فرغلى ويوسف طلعت وابراهيم الطيب وهنداوى دوير وحسن الهضيبى ونفذ الحكم على الجميع عدا حسن الهضيبى لاستبدال عقوبة الاعدام بالأشغال الشاقة المؤبدة ٠

وقد أنكر الاخوان المسلمون صلتهم بهذا الحادث ، وقالوا انه من تدبير عبد الناصر شخصيا للحصول على عطف وتأييد الشعب ، وقال البعض ان أحد الخبراء الامريكيين كان قد وصل الى مصر قبل الحادث بعدة أيام وأنه صاحب هذا التدبير ، وفى قول آخر انه من تدبير عملاء اسرائيل لأن الحادث كان مقترنا بفضيحة لافون المشهورة بالاسكندرية فى نفس العام ٠

ولكن بدأت الحقيقة تظهر كما أسلفنا أثناء المحاكمة من أقوال المتهم وأقوال كل من هنداوى دوير الذى اعترف باعطاء الأمر بالقتل الى محمود عبد اللطيف ، وأقوال ابراهيم الطيب الذى أنكر أنه أعطى أمرا صريحا لهنداوى دوير بالقتل ، ولكنه لم يستطع انكار تسليم نصيرى لهنداوى ، بل ولم يستطع انكار تسليم الطبنجة لهنـــداوى وقد اعترف محمـــود عبد اللطيف بأن (المرشد كان معارضا فى الخطة ، ولكن صدر اليه الأمر بعد ذلك بالتنفيذ) أما يوسف طلعت رئيس التنظيم فقد قرر أن الخطة كانت تقوم أصلا على قيام مظاهرة مسلحة يعقبها عملية اغتيالات اذا اعتدى عليها ، وليست اغتيالات تعقبها مظاهرات ، وألقى بمسئولية التسرع فى التنفيذ على هنداوى دوير ، وأنكر أنه اشترك أو أعطى خطة للاغتيالات والى ابراهيم الطيب ، ولكنه اعترف بأنه هو الذى صنع الحزام الناسف وسلمه الى ابراهيم الطيب ، وقال له ده وسيلة من وسائل الاغتيـــال ولكنه لم يحدد اغتيال من ٠٠ وقد تلاحظ من التحقيق أن مسئولية القيادة السياسية للاخوان لم تحدد نظرا للانقسام الخطير الذى كان واقعا بين أفرادها حيث كان المرشد العام مستقيلا من الجماعة وأعضـــــاء مكتب الارشاد مختلفين ، والمكتب التنفيذى فى حالة تفكك ، ولم يظهر وجود أمر صريح من القيادة السياسية للاخوان للتنظيم السرى أو خلافه بالقيام بعملية الاغتيال ، لأن المسئولية اذا وقعت على التنظيم السرى للاخوان فهذا يستتبع بالتالى وقوع المسئولية على القيادة السياسية ٠

والواقع أن هذا التنظيم السرى الكبير الذى لم تشهد مصر له مثيلا من قبل فى تاريخها قد أوقع نفسه فى أيدى رجال عبد الناصر بعد فشل محـاولة الاغتيـــال ، ولم يستطع أن ينفذ أى من مخططـــاته من اغتيـــال رجال الثورة أو احتلال مجلس الوزراء أو القيام بمظاهرات سلمية أو مسلحة بل على العكس لجأ عبد القادر عودة فى ٢٨ أكتوبر الى عبد الناصر وأرسل اليه يخاطبه بأنه غير مسئول عن الحادث ، ولو ظهر أن له دخلا فيه فانه يحل دمه ، ثم طلب منه المصالحة مع الاخـــوان على أســـاس الاستسلام التام لمطالب عبد الناصر ، وأولها حل النظام الخاص وتسليم أسلحته وابتعاد الجمـاعة عن الانشغال بالسياسة واقتصار نشاطها على الدعوة الاسلامية مع ايقاف حملات الاخوان من البلاد الأخرى ، وطالب عبد الناصر فى مقابل ذلك باطلاق سراح المعتقلين من الاخـــوان ومحو آثار الماضى ، الا أن عبد الناصر أشر على هذا الخطـــاب بكلمة (خدعة جديدة) وطبعا لم يكن الذى عبد الناصر سبب واحد يدعوه الى الموافقة على هذه المصالحة بعد أن تخلص من جميع القوى المناهضة له ، وكان الاخوان آخر هذه القوى ، وآخر عقبـة فى سبيل استخلاص السيطرة

الكاملة للثورة خصوصا أن البوليس المصرى قد نجح فى القاء القبض على جميع الاخوان والزج بهم فى السجون وسقط الجهاز السرى بالكامل فى أيدى الحكومة .

وقد تداولت أفكار جماعة الاخوان المسلمين أثناء المحاكمة وظهرت آراء كثيرة لهم منها أن أهداف الجماعة تقوم على أســاس وجود حكومة اسلامية ، ولكنهم لم يحددوا كيفية قيام هذه الحكومة ومدى استعداد المجتمع المصرى لتقبلها ، وما هو الشــكل القانونى لمثل هــذه الحكومة ، واتضح أن الاخوان لم يعنوا بتقديم اجتهادات فكرية فى هذا الشأن وكل ما كرروه فى أقوالهم هو الحكم بالاسلام ، ولم يوضحوا كيفية الحكم بالاسلام ، وما شكل الدولة هل هى ملكية أم جمهورية ، وما هى القوانين التى ستطبق ، وكان الهضيبى قد قــرر أمام المحكمة أن القانون المدنى المعمول به مطابق للشريعة الاسلامية عدا موضوع الربا ، وأن القانون الجنائى كذلك مطابق للشريعة الاسلامية ولو أنه لا يتضمن الحدود الشرعية التى لولى الأمر أن يوقف تطبيقها ، ولنا أن نطيعه ، كما دارت مناقشات طويلة حول مشروعية قتل المسلم ، ومن الغريب أن أعضاء التنظيم السرى وأعضاء القيادة السياسية للاخوان أجمعوا على تحريم القتل السياسى ، وعلى رأسهم هنداوى دوير الذى قرر أن القتل أصبح من تقاليد النظام السرى من أيام الأستاذ حسن البنا ، وقتل كل من أحمد ماهر والنقراشى والخازندار ولكنه يقرر مرة أخرى أن هذا العمــل من حيث شرعيته فى الاسلام محرم ، ومحرم على الاطلاق ويجب ايقافه فورا ، ولكنه يتدارك قائلا نحن جماعة ارشاد ولسنا جماعة مؤمنين ، لأن الخــروج عن جماعة المؤمنين جزاؤه القتل فى الاسلام ، ولكن الخارج عن جماعتنا لا يقتل . ومع اطمئنان عبد الناصر الى صلابة الجبهة الداخلية بعد عام ١٩٥٦ أخذ يفرج عن المعتقلين من الاخوان تباعا ، كما بدأ بعض الذين أمضوا مدة العقوبة فى السجن بعد عام ١٩٦٠ يخرجون الى الحياة العامة ، وما دخلنا الى عام ١٩٦٤ حتى كان أكثرهم قد خرج من السجن بأوامر افراج عادية أو افراج صحى كحسن الهضيبى والسيد قطب كما أعيد الكثير من الاخوان الى وظائفهم بعد أن كانوا قد فصلوا منها ، وكان الملاحظ أن هذا الافراج جعلهم عاجزين تماما عن استيعاب التغييرات السياسية والاجتماعية التى حــدثت أثناء محنتهم أو فهم التحول الذى طرأ على القوى الوطنيــــة والديمقراطية من موقف المعارضة للثورة الى موقف التأييد لها ، ولكن كانت تجمعهم فكرة واحدة هو الانتقام لما جرى للجماعة عام ١٩٥٤ .

لقد كانت المعاملة غير الانسانيـــة للمعتقلين وأسرهم من الاخوان بشــــعة للغاية فالمعتقلون كانوا يتعرضـــون للتعذيب الوحشى والاهانة

المستمرة ، بينما كانت أسرهم تعانى من الضنك والفقر نتيجة وجود العائل للأسرة فى المعتقل او فصله من عمله ، وفى كلتا الحالتين لا مورد للرزق للأسرة وكانت بعض العائلات تقوم برعاية مثل هؤلاء المحتاجين ولم يسلموا أيضا من التنكيل بهم نتيجة هذه المعونات ٠٠ كل ذلك أوجد تكتلا طبيعيا فى مجتمع الاخوان المسلمين ، وكان ذلك التكتل هو التربة الخصبة التى ألقيت فيها بذور أيدلوجية اسلامية جديدة وضعها مفكر الاخوان الكبير سيد قطب فقد تعددت لقاءات زينب الغزالى مع عبد الفتاح اسماعيل بعد أول لقاء لهما فى مكة عام ١٩٥٧ وكان محور الحديث يدور حول عبد الناصر ومحاربته للاسلام والمسلمين وأنه لا يحكم بكتاب الله وقد وضعت خطة عمل تستهدف تجميع كل من يريد العمل للاسلام لينضم اليهما وحصلوا على مباركة الهضيبى لهذا النشاط ٠

وقامت الخطة بأن يتولى عبد الفتاح اسماعيل تجميع المسلمين على امتداد مصر كلها مبتدئا بالاخوان المسلمين كنواة لهذا التجمع وكانت أيدلوجية سيد قطب دستور هذا التجمع ممثلة فى كتابه «معالم فى الطريق» ويقوم هذا الكتاب باختصار على الآتى :

١ ــ أن العالم المعاصر يعيش فى جاهلية لا تخفف منها شيئا هذه التيسيرات المادية الهائلة وهذا الابداع المادى الفائق ٠

٢ ــ هذه الجاهلية تقوم على أساس الاعتداء على سلطان الله فى الأرض وعلى أخص خصائص الالوهية وهى الحاكمية وأنها تسند الحاكمية الى البشر ، فتجعل بعضهم لبعض أربابا لا فى الصورة البدائية الساذجة التى عرفتها الجاهلية الأولى ، ولكن فى صورة ادعاء حق وضع التصورات والقيم والشرائع والقوانين والأنظمة والأوضاع بمعزل عن منهج الله للحياة وفيما لم يأذن به الله ٠

٣ ــ ترتب على هذه الجاهلية أى هذا الاعتداء على سلطان الله اعتداء على عباده ، فما مهانة الانسان عامة فى النظم الجماعية (الشيوعية والفاشية) وما ظلم الأفراد والشعوب بسيطرة رأس المال والاستعمار فى النظم الرأسمالية الا من آثار الاعتداء على سلطان الله وانكار الكرامة التى قررها الله للانسان ٠

٤ ــ ان المنهج الاسلامى ينفرد عن كافة النظم بأن به وحده يتحرر الناس من عبادة بعضهم لبعض بعبادة الله وحده ، والتلقى من

الله وحده ، والخضوع لله وحده ، وهذا هو الشيء الجديد كل الجدة الذى نملكه ولا تعرفه البشرية ولا تملك هى أن تنتجه ٠

د ـ أن هذا الجديد لابد أن يتمثل فى واقع عملي لابد أن تعيش به أمة تقر عقيدة لا اله الا الله وأن الحاكمية ليست الا لله وترفض أن تقر بالحاكمية لأحد من دون الله وترفض شرعية أى وضع لا يقوم على هذه القاعدة ، والأمة الاسلامية بهذه المواصفات قد انقطع وجودها منذ انقطاع الحكم بشريعة الله من فوق ظهر الأرض جميعا ، ولابد من اعادة هذه الأمة لكى يؤدى الاسلام دوره المرتقب فى قيادة البشرية مرة أخرى ٠

٦ ـ يترتب على هذا الكلام اعادة غرس هذا الدين فى نفوس الناس حتى لو كانوا يدعون أنهم مسلمون ، وتشهد لهم شهادات الميلاد بأنهم مسلمون ، فهؤلاء يجب أن يعلموا أن الاسلام هو اقرار عقيدة لا الله الا الله بمدلولها الحقيقي ، وهي رد الحاكمية لله فى أمرهم كله وطرد المعتدين على سلطان الله بادعاء هذا الحق لأنفسهم ٠

٧ ـ لكى يبدأ هذا البعث الاسلامى لابد من طليعة تعزم هذه العزمة وتمضى فى الطريق تمضى فى خضم الجاهلية الضاربة الأطناب فى أرجاء الأمر جميعا ، تمضي وهي تزاول نوعا من العزلة من جانب ، ونوعا من الاتصال من جانب آخر بالجاهلية المحيطة ، ولابد لهذه الطليعة التى تعزم هذه العزلة من أن تعرف طبيعة دورها وحقيقة وظيفتها وصلب غايتها ونقطة البدء فى الرحلة الطويلة ومن أن تعرف طبيعة موقفها من الجاهلية الضاربة الأطناب فى الأرض جميعا ٠

٨ ـ قد ينضم المجتمع الجاهلي القديم بكامله الى المجتمع الاسلامى الجديد ، وقد لا ينضم ، كما أنه قد يهادن المجتمع الاسلامى الجديد أو يحاربه ، وان كانت السنة قد جرت بأن يشن المجتمع الجاهلي حربا لا هوادة فيها سواء على طلائع هذا المجتمع فى مراحل نشوئه وهو أفراد أو مجموعات أو هذا المجتمع نفسه بعد قيامه فعلا وهو ما حدث فى تاريخ الدعوة الاسلامية منذ نوح عليه السلام الى محمد عليه الصلاة والسلام دون استثناء ٠

وطبيعى أن المجتمع المسلم الجديد لا ينشأ ولا يتقرر وجوده الا اذا بلغ درجة من القوة يواجه بها ضغط المجتمع الجاهلي القديم وقوة الاعتقاد

والتصور وقوة الخلق والبناء النفسى وقوة التنظيم والبناء الجماعى وسائر أنواع القوة التى يواجه بها ضغط المجتمع الجاهلى ويتغلب عليه أو على الأقل يصمد له ٠

ويدخل فى اطار المجتمع الجاهلى تلك المجتمعات التى تزعم لنفسها أنها مسلمة لا لأنها تعتقد فى ألوهية أحد غير الله ، ولا لأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله أيضا ، لكنها تدخل فى هذا الاطار لأنها تدين بالعبودية لله وحده فى نظام حياتها ، فهى وان لم تعتقد بألوهية أحد الا الله تعطى أخص خصائص الألوهية لغير الله فتدين بحاكمية غير الله ، فتتلقى من هذه الحاكمية نظامها وشرائعها وقيمها وموازينها وعاداتها وتقاليدها وكل مقومات حياتها تقريبا ، والله سبحانه وتعالى يقول عن الحاكمين **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** ٠

وبهذا الكتاب لم يعد المجتمع الاسـلامى المحيط بالاخوان المسلمين مجتمعا مسلما ، وانما أصبح مجتمعا جاهليا وهذا أساس فكر التكفير التى بدأها سـيد قطب فى أفكاره ، وانتهى منهـا الى التحويل البطىء والتربية الطويلة للمجتمع الجاهلى الى المجتمع الاسلامى ٠

وقد قرر سيد قطب أن الاخوان المسلمين طالبوا بالانتقام من حركة ١٩٥٤ واجتمعوا به وطلبوا مشـورته وقيادته الفكرية ، وظهر له أنهم يخططون للسير فى التحول الفكرى البطىء نحو المجتمع الاسلامى ، وفى نفس الوقت يسعون الى تسليح أنفسهم لئلا يتعرضوا لمثل ما حدث لهم عـام ١٩٥٤ ٠ وفى هذه الأثنـــاء بدأت تلوح فى الأفق بعض الأنشطة للاخـوان خصـوصا مناقشتهم حـول كتاب معـالم فى الطريق وتدبير الشيوعيين مؤامرات قد ينسبونها الى الاخوان المسلمين مما جعل بعض المتهورين من شباب الاخوان يفكرون فى التحرك للاقدام على عمل خطير دون أن يدركوا أن السلطات لهم بالمرصاد ، وأن معظم حركاتهم مرصودة لديهم ، وقد كان أحمد عبد المجيد يعمل على عرض مقترحات للاغتيالات وتدمير منشآت فى حالة تعرض الاخوان لأى اعتقالات ، واقترح اغتيال رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ورئيس المخابرات العـامة ورئيس المباحث العامة وشمس بدران ، أما عن المنشآت فكانت محطتى كهـربـاء القـاهرة وكبـارى القاهرة والاذاعة ٠٠ وقال انهم يحاولون الحصول على احتياجاتهم من المتفجرات خلاف المتفجرات التى يصنعونها بأيديهم ، وكان هذا التخطيط فى مايو ١٩٦٥ وأعقب ذلك اتصـــال بين سـيد قطب وزينب الغزالى ، وكان الأول يرى الغـــاء العمليات السابق تجهيزها ،

ولكنه عاد بعد تذكره لأحداث التعذيب والتنكيل التى عانى منها الاخوان عام ١٩٥٤ فقرر الرد على الاعتقالات بتوجيه ضربة شاملة ، ولكن فجأة اعتقل فى ٩ أغسطس ١٩٦٥ وبضربة عشوائية اعتقل على عشماوى أيضا الذى اعترف بكل تفاصيل الخطط الموضوعة ، وسقط الاخوان مرة أخرى فى يد السلطات لتبدأ محنة لا تقل هولا عن محنة عام ١٩٥٤ حيث سيق أعضاء الاخوان الى السجون الحربية والمعتقلات ، وطبقت عليهم أساليب وحشية فى التعذيب رجالا ونساء من ضرب وحـــرق حتى الموت الى هتك عرض واغتصاب بصورة لم يعرفها الانسان المتحضر من قبل ، وقد توجت المحكمة العسكرية العليا حكمها فى قضية التعذيب عام ١٩٧٧ بقولهـــا « ان ما حدث لهؤلاء الناس كان اهدارا لآدمية الانسان ومعاملة يتضاءل الى جانبها ما كان ينسب الى سجن الباستيل » •

وهكذا كانت نهاية فصل من حركة الاخوان المسلمين ولو أن جذورها امتدت بعد ذلك مع انتشار الدعاة الجدد حيث ظهـــرت جماعات أخرى بأسماء مختلفة ، كما سيجىء ذكره •

(٢)

كتاب معالم فى الطريق
والرد عليــه

يقوم فكر الكتـــاب على أساس ما يسمى (الحاكمية لله) • وهو يقول : ان الحاكمية لا تتحقق ولا تقوم الا اذا كان الحاكم يطبق القوانين المأخوذة من الشريعة الاسلامية •• ثم يؤسس على هذا القول كل أحكامه ، ومن بينها تكفير مجتمعنا ومن فيه من المسلمين ، بالرغم بأن (الحاكمية لله) ليست قائمة فيه ثم يدعو استنادا الى ذلك الى الانضـــمام فى تنظيم للاســتيلاء على الحكم تحت شـــعار اعادة (الحاكميـــة لله) فى المجتمع (*) •

وهذه المزاعم كلها تقوم على أساس باطل مستهدفة المتاجرة بآيات الله • فالآيات القرآنية التى يستند اليها أصحاب هذا الفكر فيما يسمونه (بالحاكمية لله) والتى يعتمدون على ورود كلمة (الحكم) فيها ليس لها على الاطلاق أية علاقة (بالحكم الدنيوى) بين الناس •• وانما يشـــير لفظ (الحكم) فى هذه الآيات الى الأحكام الالهية السارية فى الوجود والتى يرجع فيها الأمر الى المولى عز وجل وحده •• ومن ثم فليس لهذه الآيات أية علاقة بما يورده الكتاب عن تغير الحاكم والمناصب والزعامات ولا بالقوانين والأحكام السارية فى المجتمع •

ويستدل سيد قطب على القول بـ (الحاكمية للــه) ببعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى (**ان الحكم الا لله** ـ يوسف ٤٠) ثم يزعم أن حاكمية الله لا تتحقق فى الأرض الا اذا خــرجت القوانين المطبقـــة عن الشريعة الاسلامية ، ومن ثم يدعو الى ضرورة الثورة الشاملة والتمرد الكامل على حكم البشر بدعوى جعل (الحاكمية لله) فيقول (ان اعلان ربوبية الله وحده للعالم معناه الثورة الشاملة على حاكمية البشر فى كل صــورها وأشكالها وأنظمتها ، والتمرد الكامل على كل وضع فى أرجاء الأرض يكون الحكم فيه للبشر بصورة من الصور) •

ويستدل على بطلان هذه الشعارات بالآيات القرآنية التى يوردها أصحاب هذا الفكر يستخرجون منها شعار (الحاكمية لله) مثل قوله

(★) الدكتور عبد الرحمن الشرقاوى ـ سلسلة مقالاته فى مجلة روز اليوسف •

تعالى (**ان الحكم الا لله** ـ يوسف ٤٠) (**فالحكم لله العلى الكبير** ـ غافر ١٢) (**ألا له الحكم** ـ الأنعام ٦٢) ٠ حيث يظهر من قراءة الآيات كاملة أنها لا تتحدث مطلقا عن الحكم الدنيوى أو القوانين والأحكام التى يجب أن تسود فى المجتمع ، كما تزعم هذه الجماعات ٠٠ وانما تتحدث الآيات عن حكم الله على عباده والحساب الالهى لهم على ايمانهم أو كفرهم والتصاريف الالهية فى الكون ، وليس هناك أى علاقة بين الحكم الالهى الوارد فى هذه الآيات وبين الحكم والسلطة الدنيوية سوى وجود كلمة (الحكم) التى حاولت هذه الجماعات استغلالها فى رفع الشعار الحماسى الباطل ودعوتها الى ما تسميه (بتحقيق الحاكمية لله) ٠ ولنتناول الآن بعضا من الآيات التى تنسب الحكم الى الله لنـدرك هذه الحقيقة الواضحة :

(أ) يقول الله تعالى فى سورة غافر (**ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير** ـ غافر ١٢) ٠

وقد ورد قوله تعالى (**فالحكم لله العلى الكبير**) ليبين أن الحساب وما ينزل بالكافرين من النقمة والعذاب انما هو بيد المولى عز وجل الذى يحكم بين عباده ويفصل بينهم ٠٠ فليس للفظ (الحكم) هنا من علاقة بالحكم الدنيوى وانما هو (الحكم الالهى) للمولى عز وجل بين عباده ٠

(ب) يقول الله تعالى فى سورة الأنعام (**قل انى على بينة من ربى وكذبتم به ما عندى ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ٠ قل لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الأمر بينى وبينكم والله أعلم بالظالمين** ـ الأنعام ٥٧ ، ٥٨) ٠٠ ومن هذه الآية يتبين أن الرسول قد رد الحكم فيما يستعجل به المكذبون الى الله تعالى لأن هذا الحكم مرده اليه سبحانه ، وليس له من علاقة بالحكم الدنيوى ٠

(جـ) يقول الله تعالى فى سورة الأنعام (**ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ٠ ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين** ـ الأنعام ٦١ ، ٦٢) ٠ وفى هذه الآية الكريمة ورد قوله تعالى (**ألا له الحكم**) ليصف الحكم الالهى السارى فى الوجود والذى لا تملك نفس أن ترده أو تنفك عنه ، وأن لفظ (الحكم) فى هذه الآية ليس له أيضا من علاقة بالحكم الدنيوى ٠

وبالمثل فان كل الآيات القرآنية التى اعتمد عليها أصحاب هذا الفكر فى دعوتهم الى تحقيق ما يسمونه (بالحاكمية لله) انما تتحدث عن (الحكم الالهى) الذى يختص الله به فى الحكم بين العباد وفى حسابهم والفصل بينهم وفى قضائه وقدره الالهى فى الكون والعباد ٠٠ وليس لها أية علاقة ـ على الاطلاق ـ بالحكم أو المناصب أو القوانين أو السلطة

الدنيوية ·· ومن البديهى أن الناس سواء طبقوا القوانين المستمدة من الشريعة الاسلامية أو لم يلتزموا بها فان ذلك ليس له من علاقة بالآيات التى تتحدث عن الحكم الالهى السارى فى الوجود والتى يرفعها أصحاب شعار (الحاكمية لله) لأن الله (غنى عن العالمين) سواء فى ذلك من كفر فعليه كفره ، على حد قول الله تعالى **(ومن كفر فان الله غنى عن العالمين** ـ آل عمران ٧٦) أو آمن بالله ، كقوله تعالى **(ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين** ـ العنكبوت ٦) · ورغم وضوح هذه الحقيقة التى يكفي لادراكها مجرد القراءة للآيات كاملة ، فان أصحاب هذا الفكر قد لجأوا الى استغلال وجود كلمة (الحكم) فى هذه الآيات وقاموا بتقطيع السياق القرآنى ورفع هذا الشعار الخادع فيما يسمونه بتطبيق (الحاكمية لله) وتنفيذها ·· وذلك تبريرا للمطالبة بالحكم وللاستيلاء على السلطة ·

ويظهر مما سبق أن المؤلف أراد المتاجرة بشعارات (الحاكمية لله) ولكننا لابد أن ندرك أن (الحكم بما أنزل الله) هو أمر شخصى لكل مسلم بمفرده حاكما كان أو محكوما ، وأنه يتناول التزام المسلم بكل ما أنزله الله فى القرآن وفى السنة الشريفة ولكل انسان الحرية التامة فى اختيار طريق الهداية أو سبيل الضلال ، فسوف يحاسبه الله على ذلك ، فمن التزم بما أنزل الله فقد نال ثوابه ومن خرج عنه فقد استحق غضبه وعقابه فى الدنيا والآخرة ، وأيا كان الناس بما أنزل الله أو بغير ما أنزل الله حكاما كانوا أو محكومين ، فذلك كله أمر يختلف عن الحكم الالهى السارى فى الوجود بالمشيئة الالهية ·

ويتكلم المؤلف بعد ذلك عن اتهامه المجتمعات بالكفر ، وهو لا يقتصر فى تكفيره للمسلمين على مكان دون آخر ، وانما يمتد الى الحكم بتكفير كافة المجتمعات وكل المسلمين على وجه الأرض اليوم ، بل انه يبلغ حد المساواة بين المسلمين وبين الكفار الملحدين فى المجتمعات الشيوعية والوثنية والنصرانية ·

ويبرر المؤلف تكفيره للمسلمين ومجتمعاتهم بأنهم لا يطبقون الحاكمية ، ويعنى بذلك غياب الحاكم الذى يلتزم بالشريعة الاسلامية فى القوانين التى يصدرها ·

ويكرر المؤلف رمى المسلمين ومجتمعاتهم بالكفر على امتداد الكتاب كله ، ففى البداية يرمى كافة المسلمين فى أنحاء العالم بالجاهلية فيقول (ان العالم يعيش اليوم كله فى الجاهلية) ·· ثم يبرر هذا الحكم بما يسميه بعدم وجود الحاكمية فيقول (هذه الجاهلية تقوم على أساس الاعتداء على سلطان الله فى الأرض وعلى أخص خصائص الألوهية وهى الحاكمية ·· انها تسند الحاكمية الى البشر) ·

ويزعم المؤلف أن عدم تطبيق الحاكم القوانين المأخوذة من الشريعة الاسلامية يخرج الناس جميعا عن دينهم ويجعلهم مشركين بالله ٠٠ ويزعم أن رسل الله كانوا يأتون لاخراج الناس من هذه الصورة المزعومة من الشرك ، وأن هذا الشرك الذى يقع فيه المسلمون جميعا ، بسبب ما يسميه بغياب الحاكمية ، هو شرك بالله لا يختلف عن الشرك بالله فى العقيدة والعبادة ، فيقول (كانوا يخطئون معرفة حقيقة ربهم الحق أو يشركون مع الله آلهة أخرى ٠٠ اما فى صورة الاعتقاد والعبادة واما فى صورة الحاكمية والاتباع ٠٠ وكلاهما شرك كالآخر ، يخرج به الناس من دين الله ، ويرتدون الى الجاهلية التى أخرجهم الرســول منها ، ويعودون الى الشرك بالله مرة أخرى) ٠

ويصل المؤلف فى مزاعمه فى تكفير المسلمين الى الحد الذى يزعم فيه أن المسلم لا يعتبر مسلما ولا تقبل منه شهادة لا اله الا الله الا اذا كان الحاكم يطبق الشريعة الاسلامية ٠٠ فيقول (شهادة الا اله الا الله أى افراد الله سبحانه وتعالى بالألوهية والربوبية والقوامة والســلطان والحاكمية ٠٠ افراده بها اعتقادا فى الضمير وعبادة فى الشعائر وشريعة فى واقع الحياة ٠٠ فشــهادة أن لا أله الا الله لا توجد فعلا ولا تعتبر موجــودة شرعا الا فى هذه الصورة المتكاملة التى تعطيها وجــودا حقيقيا يقوم عليه اعتبار قائلها مسلما أو غير مسلم) ٠٠ وهكذا يجعل المؤلف تطبيق الحاكم للشريعة الاسلامية شرطا لقبول اسلام أى انســان ٠٠ ثم يذهب الى المزيد من التفصــيل ، فيعلن حــكما خطيرا بأن المسلم الذى يلتزم بكل أوامر المولى عز وجل فيشهد بأن لا اله الا الله ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويصوم رمضان ويحج البيت لا يعتبر مســلما اذا لم تكن القوانين الســائدة فى المجتمع مستمدة من الشريعة الاسلامية ٠٠ فيقول (ليس المجتمع الاسلامى هو الذى يضم اناسا ممن يسمون أنفسهم مسلمين، بينما شريعة الاسلام ليست هى قانون هذا المجتمع وان صلى وصام وحج البيت الحرام) ٠

وهكذا يربط المؤلف اسلام الناس جميعا بالحاكم ومسلكه حتى يصل به الأمر فى وضوح الى أن ينكر اســلام أى انســان يعيش على أرض لا يوجد فيها الحاكم الذى يطبق الشريعة الاسلامية فيقول (لا اسلام فى أرض لا يحكمها الاسلام ولا تقوم فيها شريعته) ٠٠ ويساوى المؤلف بين اسلام المسلمين فى هذه الحالة وبين كفر الكفار ، فيزعم أن هؤلاء المسلمين يتساوون مع المجتمعات الشيوعية والوثنية واليهودية والنصرانية حيث يدمغها جميعا بالجاهلية ، ويضــعها معا فى زمرة المجتمعات الكافرة ، فيقول (أن المجتمع الجاهلى هو كل مجتمع غير المجتمع المسلم ٠٠ وبهذا التعريف الموضــوعي تدخل في اطار المجتمع الجاهلي جميع المجتمعــات

القائمة اليوم فى الأرض فعلا .. تدخل فيه المجتمعات الشيوعية أولا .. وتدخل فيه المجتمعات الوثنية وتدخل فيه المجتمعات اليهودية والنصرانية .. وأخيرا يدخل فى اطار المجتمع الجاهلى تلك المجتمعـــات التى تزعم لنفسها أنها مسلمة) .. ثم يستطرد قائلا (موقف الاســـلام من هذه المجتمعات الجاهلية كلها يتحدد في عبارة واحدة ... انه يرفض الاعتراف باسلامية هذه المجتمعات كلها وشرعيتها فى اعتباره) ، ويستمر المؤلف الى نهاية كتابه فى رمى كافة المسلمين اليوم ، بالكفر فيقول (المسألة فى حقيقتها مسألة كفر وايمان .. مسألة شرك وتوحيد .. مسألة جاهلية واسلام .. ان الناس ليسوا مسلمين كما يدعون) .. ويزعم المؤلف أن هدف حركته هو اعادة الناس الى الاسلام الذى ينفى المؤلف أى وجود له أو للمسلمين اليوم ، حيث يقول (ليس هذا اسلاما وليس هؤلاء مسلمين .. والدعوة اليوم انما تقوم لترد هؤلاء الجاهلين الى الاسلام ولتجعل منهم مسلمين من جديد) .

وفى مواجهة هذه الدعوة الخطيرة الى تكفير المسلمين التى يروج لها المؤلف فاننا نرد بالآتى :

ان تكفير المسلمين بدعـوى خروج الحـاكم عن الالتزام بالشريعة الاسلامية هو سلوك يتعارض تعارضا كاملا مع ما أنزل الله فى قوله تعالى (**ولا تزر وازرة وزر أخرى** ـ الأنعام ١٦٤) ، فايمان أو كفر أى انسان هو أمر شخصى يرتبط به وحده ، ويتعلق فقط بما يستقر فى قلبه من معتقد فى أركان الايمان ، وليس له أية علاقة بايمان أو كفر أى انسان آخر ، وأن تردى أى انسان فى الكفر ، بما فى ذلك الحاكم لا ينقص من ايمان غيره ، ولا يضار المؤمن مطلقا فى ايمانه بضلال أى انسان آخر كائنا من كان ، مصداقا لقوله تعالى (**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم** ـ المائدة ١٠٥) كذلك القول برمى المسلمين بالكفر هو مسلك بالغ الخطورة .. ولقد حذرنا المولى عز وجل من ولوج هذا الباب فى التكفير فى القرآن والسنة الشريفة .

يقول تعالى (**واذا جاءوكم قالوا آمنـــا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون** ـ المائدة ٦١) وهذه الآية تشير الى اليهود الذين دخلوا على الرسول صلى الله عليه وسـلم وهم كافرون وخرجوا أيضا وهم كافرون ـ وهى تعبر أيضا عن اعتقاد الفرد أنه يحمل وحده الايمان ، ولكن اذا رمى الناس بالكفر وهم ليسوا كذلك فقد حمل هو وزر هذا الكفر وخرج به .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى يتفق مع هذه الآية (لا يرمي رجل رجلا بالفسوق ولا يرميه بالكفر الا ارتدت عليه

أن لم يكن صاحبه كذلك) كما يقول (ﷺ) (اذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما) ٠

ومن هذه الآية وهذه الأحاديث الشريفة نستنبط حكم المولى عز وجل فى هذا الأمر وهو وجوب أن يبتعد المسلم تماما عن رمى غيره بالكفر حتى لا يبوء هو به ٠

واذا تدبرنا معنى الكفر ومعنى الايمان فسندرك خطورة المسلك الذى يسلكه هؤلاء الذين يبيحون لأنفسهم الحكم على ايمان الناس أو كفرهم ٠

والايمان هو التصديق بكل ما فى الدين من أمور اعتقادية ، وقد عرفه الرسول (ﷺ) بقوله (الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره) وهذه كلها غيبيات وبالتالى فمحلها قلب الانسان ٠

أما الكفر فهو فى المقابل الانكار أو الجحود بهذه الأمور الاعتقادية كلها أو بعض منها ، أى أنه أيضا محله القلب ، وما فى قلوب العباد لا يعلمه الا خالق العباد ، يقول تعالى (**يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور** - غافر ٩١) ولهذا فالمسلم لا يمكن أن يحكم على غيره بالايمان أو الكفر ، فقط لنا ظاهر الانسان فان أعلن وأظهر الاسلام قلنا انه مسلم ، وان أعلن وأظهر الكفر قلنا انه كافر ، أما الحكم على انسان ما بالكفر وهو يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن سيدنا محمدا رسول الله من خلال الحكم على أعماله التى نراه يؤديها ، فذلك مما لا يجوز أبدا لأحد ، لأن حقيقة هذه الأعمال انما تحددها النية الكاملة فى قلب كل انسان كما يقول الرسول (ﷺ) (انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى) فمن رأيناه يؤدى طاعة لله تعالى فاننا لا نستطيع أن نعرف ان كان يؤدى هذه الطاعة ايمانا بالله وتسليما لأوامره ، أم يؤديها رياء ونفاقا ، لأن حقيقة هذه الطاعة الظاهرة أمامنا مردها الى النية التى فى قلبه والتى لا يطلع عليها إلا الله ٠

وكذلك من رأيناه يقترف معصية فاننا لا نستطيع أن نجزم أيضا هل يقترفها كفرا بالله تعالى وجحودا بأوامره ، أم يقترفها تقصيرا فى الالتزام بالأوامر الالهية مع اقراره بوجوبها واعتقاده فرضيتها ، فذلك أيضا مرده الى النية التى يعلمها الله فقد تكون المعصية صادرة عن مسلم يقصر فى الالتزام بأوامر المولى عز وجل ويعترف بتقصيره هذا ، فهو مسلم عاص لا كافر ٠

ومن ذلك كله نستنبط أن الحكم على ايمان الناس أو كفرهم مرجعه الى المولى عز وجل ، ولهذا فكل من يزعم أن له حق الحكم على كفر

أو ايمان الناس فهو فى حكم المشرك بالله تعالى ، ذلك أنه يشارك المولى عز وجل فيما اختص به نفسه سبحانه وتعالى ، كما يدل على ذلك قوله تعالى (**أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله** ـ الشورى ٢١) .

ثم اندفع المؤلف يهاجم المسلمين ويدعو أتباعه الى الانفصال عن هذا المجتمع وعدم المشاركة فى أى نشاط يفيده بل والعمل على هدمه وتقويض أركانه . ولذلك يدعو أتباعه الى الانضمام فى تنظيم يستهدف الاستيلاء على الحكم وازالة الأنظمة القائمة ، وهو اذ يدعو الى هذه الدعوة الخطيرة بصورة هذا الأمر كله باعتباره جهادا فى سبيل الله واعلاء لكلمة الدين ومنهجا يأمر الاسلام باتباعه والالتزام به ، ان اقامة مثل هذا التنظيم هو أساس فى بناء العقيدة الاسلامية ذاتها فيقول (ان العقيدة الاسلامية يجب أن تتمثل فى نفوس حية وفى تنظيم واقعى وفى تجمع عضوى) . ثم يأخذ فى شرح منهجه فى الدعوة بعد اقامة هذا التنظيم فيدعو أعضاءه الى أن يكون ولاؤهم الكامل فى كل أمورهم لقيادة هذا التنظيم ، وأن ينزعوا تماما كل ولاء لهم للمجتمع الذى يعيشون فيه ، والى التجمع تحت قيادته المستقلة تماما عن المجتمع فيقول (يجب أن يعمل أعضاؤه تحت قيادة مستقلة عن قيادة المجتمع الجاهلى) ويزعم أن ذلك أساس فيما يسميه بالقاعدة النظرية للاسلام فيقول (لم يكن بد أن تتمثل النظرية للاسلام أى العقيدة فى تجمع عضوى حركى منذ اللحظة الأولى ، لم يكن بد أن ينشأ تجمع عضوى حركى آخر غير التجمع الجاهلى ، منفصل ومستقل عن التجمع العضوى الحركى الجاهلى الذى يستهدف الاسلام الغاءه) . ثم يزعم المؤلف أن هذا المسلك فى الانضمام الى هذا التنظيم وترك كل انتماء للمجتمع يجب أن يلتزم به كل من يشهد أن لا اله لا الله وأن سيدنا محمدا رسول الله ، فيدعو الى (أن يخلع كل من يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ولاءه من التجمع الحركى الجاهلى أى التجمع الذى جاء منه ، ومن قيادة ذلك التجمع سياسية واقتصادية واجتماعية وأن يحصر ولاءه فى التجمع الحركى) .

ويدعو المؤلف المسلمين صراحة الى عدم المشاركة فى العمل فى هذا المجتمع أو مده بكفاياتهم وخبراتهم ونشاطهم ، ويطلب اليهم أن (تكون حركتهم فى اتجاه تقويض هذا المجتمع الجاهلى) ، ويحذرهم من كل عمل يؤدى الى ما يسميه (بتقوية المجتمع الجاهلى) كما يحذرهم من أن (يظلوا خلايا حية فى كيانه تمده بعناصر البقاء والاستقرار ، أو أن يعطوه كفاياتهم وخبراتهم ونشاطهم ليحيا بها ويقوى) .

ثم يفصح المؤلف صراحة عن الهدف النهائى من ذلك التنظيم بعد أن

يقوم بانضمام عدد كبير من الأعضاء اليه ممن يكون ولاؤهم الكامل لقيادة التنظيم، فيعلن أنه يستهدف ازالة الأنظمة السياسية والحكومات والاستيلاء على الحكم فيها اذ يقول ان الهدف من هذا التنظيم هو (تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة أو قهرها) . كما يقول أيضا (ان الاسلام ليس مجرد عقيدة فهو يهدف ابتداء الى ازالة الأنظمة والحكومات التى تقوم على أسس حاكمية البشر للبشر) .

ثم تصل الدعوة الى أقصى درجات الخطورة حين يصور المؤلف اقامة التنظيمات التى تهدف الى محاربة الحكومات والأنظمة السياسية والاستيلاء على الحكم باعتبارها جهادا فى سبيل الله فيقول (يجب أن تواجه الحركة الاسلامية هذا الواقع كله بما يكافئه ، تواجهه بالقوة والجهاد لازالة الأنظمة والسلطات القائمة عليها) كما يصور دعوته الى قيام هذه التنظيمات باستخدام القوة وصولا لما يسميه بالمذهب الالهى ، فيقول (ان الانطلاق بالمذهب الالهى تقوم فى وجهه عقبات مادية من سلطة الدولة ونظام المجتمع وأوضاع البيئة ، وهذه كلها هى التى ينطلق الاسلام ليحطمها بالقوة) . ولا يخفى المؤلف حقيقة أن ما يهدف اليه من دعوته كلها هو الاستيلاء على الحكم ، فيدعو صراحة الى عدم الالتفات الى البحث فى الاصلاح ، وانما الى الفعل فقط على اسقاط الحكم القائم والسيطرة عليه ، فيقول (ان الجاهلية التى حولنا كما أنها تضغط على أعصاب بعض المخلصين من أصحاب الدعوة الاسلامية فتجعلهم يتعجلون خطوات المنهج الاسلامى ، هى كذلك تتعمد أن تحرجهم فتسألهم ، أين تفصيلات نظامكم الذى تدعون اليه ؟) ، ثم يجيب الكاتب عن السؤال بقوله (ان منهج أصحاب الدعوة الاسلامية أن تتبلور النظرية من خلال الحركة وتتحدد ملامح النظام من خلال الممارسة) .

وهكذا يتضح أن الأمر فى نظر المؤلف لا يخرج عن كونه مطالبة بالحكم بأى ثمن وتحت أى مبرر بعيدا عن أى منهج جاد للاصلاح ، حتى أنه يعتبر أن مجرد طرح السؤال البديهى والمنطقى عن الهدف من هدم النظام القائم والاستيلاء على الحكم والسؤال عن تفاصيل الاصلاح الذى ينشده بأن هذا السؤال يقصد به الاحراج والضغط على الأعصاب ، وفى مواجهة هذه الدعوة الصريحة الى انشاء تنظيمات مسلحة تتصارع مع الأنظمة القائمة وتستهدف الاستيلاء على الحكم فاننا لابد أن نتوقف أمام الحقائق الآتيـة :

ان الدعوة الى الاسلام لا يمكن أن تقوم على أساس الاستيلاء على الحكم وانما تقوم على أساس التأسى برسل الله واتباع منهجه الذى أمرهم به المولى عز وجل فى الاصلاح ، والذى يقوم على الدعوة الى

الله بالحكمة والموعظة الحســـنة بعيدا عن أى صورة من صور العنف والاكـــراه ·

ان مسئولية كل انسان فى المجتمع مسئولية شخصية تتحدد فى تغيير ما فى نفســـه من منكر أولا ، ثم فى رعيته ومن هم تحت ولايته ثانيـــا ·

وكذلك فان ايمان أي مسلم لا يمكن أن يتأثر بتقصير الحاكم أو التزامه في تنفيذ الشريعة الاسلامية وما يصدر عنها من قوانين ، مصداقا لقوله تعالى (**ولا تزر وازرة وزر أخرى**) ـ الأنعام ١٦٤ ـ وقوله عز وجل (**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم**) ـ المائدة ١٠٥) ، لأن الايمان أمر يتعلق بما فى قلب كل انسان كما أوضحنا من قبـــل ·

أن الطريق الى اصلاح المجتمع لابد أن يقوم على أســـاس دعوة أفراده الى الهداية حتى يبتعدوا عن كل ما يغضب المولى عز وجل ، فيهديهم الله الى سبيل الرشاد ، ويغير أحوالهم لما فيه خير مجتمعهم ، مصداقا لقوله تعالى (**ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم**) ـ الرعد ١١ ـ أما الدعوة الى الاستيلاء على الحكم فلابد أن تنتهى حتما الى الفتن والتصارع بين الجماعات المختلفة ، فاذا كانت هذه أو تلك تزعم أن الحاكم الذى ستأتى به هو الذى سيحقق ما تسميه بالحاكمية ، وهو الذى سيطبق الشريعة الاســـلامية فان العديد من الجماعات الأخرى تزعم أيضـــا نفس الزعم ، وتطالب أيضا بالاستيلاء دون غيرها على الحكم وتنصيب من تأتى به دون غيره ·

ومن ثم فان هذه الدعاوى لا نتوقف مطلقـــا باستيلاء واحدة من الجماعات المختلفة على الحـكم وانما تفتح البـاب على مصراعيه للصراعات الدموية على الحكم والسلطة والفتن الواسعة التى طالما عانى منها المجتمع الاسلامي طويلا على أيدي الجماعات الخارجة التى تتخذ مع الدين ستارا لتحقيق أطماعها وأهدافها ، وهى فى حقيقتها دعاوى دجل ، لأن كل من يحاول أن يصرف الدين عن غايته فى هداية المسلمين ويوجهه الى التصارع على الحكم والسلطة فهو دجال ·

ولقد حذرنا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من انه سيكون هناك على الدوام فى الأمة الاسلامية أمثال هؤلاء الدجالين الذين يتسترون خلف الدين ، ويرفعون الشعارات الدينية لتحقيق أغراضهم ومآربهم الخاصة ·

ثم يقـوم المؤلف بتقسـيم البـلاد الى ما يسميه بدار الحرب ودار السلام ، وهو فى هذا التقسيم الخطير لا ينسب البلاد الى اســـلام أهلها

أو كفرهم ، وانمـــا الى الحاكم وحده ، فاذا كان الحاكم يطبق الشريعة الاسلامية فان البلد الذى يحكمه يكون دار الاسلام ، واذا لم يلتزم الحاكم بالشريعة الاســلامية يكون البلد دارا للحرب فيقول (ان هناك دارا واحدة هى دار السلام تلك التي تقوم فيها الدولة المسلمة فتهيمن عليها شريعة الله ، وتقام فيها حدوده ويتولى المسلمون فيها بعضهم بعضـا ، وما عداها فهو دار حرب ، علاقة المسلم بها اما القتال واما المهادنة على عهد أمان ، ولكنها ليست دار سلام ولا ولاء بين أهلها وبين المسلمين) ·

ولعل خطورة هذا التقسيم تصبح واضحة حين ندرك أن دار الحرب وهي طبقا لتعريف المؤلف كل بلد لا يلتزم حاكمه بالشريعة الاسلامية · حكمها هو استحلال دماء أهلها وأموالهم ، بل ويمتد البعض من أصحاب هذا التقسيم الباطل الى استحلال الأعراض أيضا ، ومن ذلك كتاب (الاختيار لتعليل المختار) الذي يدرس بالمدارس الأزهرية الثانوية والذى يقول فى صفحة ٧٢٨ (والزنا فى دار الحرب لا يوجب الحد) ·

ولقد أورد كتاب (معالم في الطريق) صراحة بعض هذه الأحكام الخطيرة حيث دعا الى محاربة الأهل والأقرباء والانساب والاصهار فى أى مجتمع لا يطبق حاكمه الشريعــة الاســلامية باعتباره طبقا لمزاعمه دارا للحرب ، فيقول (وطن المسلم هو دار الاسلام التى تسيطر عليها عقيدته وتحكم فيها شريعة الله وحدها ، وهى دار الاسلام لكل من يدين بالاسلام عقيدة ويرتضى شريعته شريعة ، وكذلك لكل من يرتضي شريعة الاســلام نظاما ولو لم يكن مسلما ، والأرض التى لا يهيمن فيها الإسلام ولا تحكم فيهـا شريعته هي دار الحرب بالقيـاس الى المسلم والى الذمى والمعاهد ويحاربها المسلم ولو كان فيها مولده ، وفيها قرابته من النسب وصهره وفيها أمواله ومنافعه) · وهذا التقسيم المزعوم مخالفة صريحة لما جاء في القرآن الكريم لأن المولى عز وجل حينما يحدثنا عن أخبار القرى وما حل بها من ثواب أو عقاب ، فان ذلك يكون نسبة الى سلوك أهلها وعقيدتهم من ايمان أو كفر ، كما سبق أن أوضحنا ، فقوله تعالى (**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس**) ـ الروم ٤١ ـ يدل على أن الفساد يعم وينتشر بسبب ما يرتكبه الناس من فواحش وخروج على الدين ، وليس بسبب سلوك الحاكم فقط · وكذلك فان قوله تعـالى (**وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون**) ـ القصص ٥٩ ـ يوضح أن الحـكم الالهى بخروج قرية ما عن الايمان واستحقاقها للهلاك لا يكون الا بظلم أهلها ، وليس بظلم فرد بعينه ، وأمثلة القرى فى القرآن كثيرة ، وتؤكد كلها أن الحكم على ايمانها أو كفرها انما يرتبط بما عليه أهلها من الايمان أو الكفر يقول تعالى (**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض**) ـ الأعراف ـ أى أن بركات السماء والأرض معلقة

بايمان أهل القرية وتقواهم وسلامة قلوبهم ، وليست معلقة بالحاكم فقط ، من أين جاء هؤلاء المدعون بذلك الافتراء ، وهو أن بلدا أهله مسلمون ويحكم فيه الناس على أنفسهم بما أنزل الله ، ومع ذلك يوصف بأنه دار حرب لأن الحاكم لا يطبق فيه شريعة الاسلام . ان خطورة هذا التقسيم الباطل تبدو فى دعوة الكتاب الى محاربة المسلمين بما فيهم الأهل والأقرباء والأنساب والأصهار فى أى بلد لا يلتزم الحاكم فيه بالشريعة الاسلامية ، اذ يتأكد مرة أخرى أن الأمر هو دعوة صريحة للاستيلاء على الحكم واثارة الفتن والتخريب بدعوى أن هذا البلد دار حرب ، وهو ما يتعارض مع كل الأحكام التى أنزلها الله تعالى فى القرآن وفى السنة الشريفة ، فلقد جعل المولى عز وجل قتال الكفار مشروطا برد الاعتداء على المسلمين ، مصداقا لقوله تعالى (**وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين**) ـ البقرة ١٩٠ ـ .

فما بالنا بهذه الدعوة التى تعطى لأصحابها الحق فى مقاتلة المسلمين الآمنين بما فيهم الأهل والعشيرة ، واستباحة دمائهم وأموالهم بعد الحكم بتكفيرهم ؟ وأين هذه الدعوة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم (**كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه**) ؟ ثم يدعو الكتاب صراحة الى الاكراه فى الدين ، ويزعم أن قوله تعالى (**لا كراه فى الدين**) لا يعنى النهى عن استخدام الاكراه فى أى أمر من أمور الدين ، وانما يعنى أنه لا اكراه على اعتناق العقيدة فقط ، أما غير ذلك من أمور الدين فيجوز اكراه الناس عليها ، اذ يقول (لا اكراه فى الدين .. أى لا اكراه على اعتناق العقيدة) .

وفى مواجهة هذه الدعوة الخطيرة التى تفتح الباب على مصراعيه للفتن والصراعات بين المسلمين باسم الدين ، فلنعد الى آيات القرآن لندرك بطلانها وتعارضها الكامل مع ما يأمر به المولى عز وجل ، فالله تعالى يقول (**لا اكراه فى الدين**) ـ البقرة ٢٥٦ ـ أى لا اكراه فى أى أمر من أمور الدين حيث جاء لفظ الدين فى الآية بشكل عام ومطلق بما لا يملك أى انسان كائنا من كان أن يقيده أو يحدده ، بالزعم بأن المراد به هو العقيدة وحدها لا الدين كله .

والدين كما عرفه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما جاءه من يسأل عن الاسلام والايمان والاحسان فكان قوله (**الاسلام هو شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا ، والايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره ، والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك**) ثم فى النهاية وبعد انصراف السائل قال (هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم) .

- فالدين اذن هو الاسلام والايمان والاحسان ، وقوله تعالى (**لا اكراه في الدين**) أى لا اكراه فى الاسلام ولا اكراه فى الايمان ولا اكراه فى الاحسان ·· أى لا اكراه على قول لا اله الا الله سيدنا محمد رسول الله ، ولكن الاكراه هنا ينصب على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا ·· مادام الفرد قد اعتنق الاسلام دينا له فالاكراه يكون فى القيام بأداء أركان الاسلام جميعا ·

ومن هنا يتبين لنا أن أى قول بجواز الاكراه فى الدين أو الادعاء بأنه لا اكراه فى أمور العقيدة فقط ، هو فى حقيقته خروج واضح على آيات القرآن وأحاديث الرسول الصحيحة ، وهو ادعاء باطل لا يستهدف سوى اثارة العنف والفتن بين المسلمين ·

ولقد اعتمد مثيرو العنف في مزاعمهم عن الاكراه فى الدين على بعض الروايات المدسوسة التى تحض على فرض العقيدة بالقوة وبالسلاح ، وهذه الروايات تتعارض مع المفهوم الخاطىء الذى يروج له هؤلاء بأن قوله تعالى (**لا اكراه فى الدين**) يعنى (لا اكراه فى العقيدة) ، والدعوة الى اكراه الناس فى العقيدة باكراههم على قول لا اله الا الله وقتلهم اذا ما رفضوا ، يؤكد بطلان كل مزاعمهم وتعارضها مع ما أنزل الله فى الكتاب والسنة الشريفة ·

ويقول كتاب (فقه السنة) الجزء الأول لمؤلفه سيد سابق عن الحكم بتكفير المسلم الذى يترك الصلاة تكاسلا أو تشاغلا رغم ايمانه بها واعتقاده فرضيتها والحكم بوجوب قتله ·· (ترك الصلاة جحودا وانكارا لها كفر وخروج عن الملة ، أما من تركها وايمانه بها واعتقاده فرضيتها ولكنه تركها تكاسلا أو تشاغلا بما لا يعد فى الشرع عذرا فقد صرحت الأحاديث بكفره ووجوب قتله) ·

وهذا الزعم يفتح الباب على مصراعيه لاتهام المسلمين بالكفر ، ثم قتلهم بحجة المحافظة على أداء الصلاة على حين أن المسلم الذى يقصر فى أداء الصلاة هو فى حقيقة الأمر عاص لم يلتزم بما أمر به الله ، وله عقابه عند المولى عز وجل ، فهو سبحانه وتعالى المتكفل بحسابه ، ولم يعط لأحد الحق فى محاسبته على ذلك ، وليس هناك من دليل شرعى على هذه المزاعم ، كما انه ليس بكافر ، لأن التقصير فى أداء الصلاة لا يخرج الانسان من الاسلام الى الكفر مادام يعترف بوجوبها وفرضيتها من الله تعالى ، ولنا أن ندعوه بالحكمة والموعظة الحسنة ليخرج عن هذا التقصير ، ولكن لا يجوز أبدا أن نكرهه على الدخول فى الاسلام أو نكرهه على قبول الصلاة وأدائها ·

فكل صور الاكراه في الدين اجماله وجزئياته حرمها الله تعالى في كتابه كما يقول تعالى (**لا اكراه في الدين**) ويكفى أن نتذكر هذا الخطاب الالهى للرسول صلى الله عليه وسلم (**فذكر انما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر**) ـ الغاشية ٢١ ، ٢٢ ـ وقوله تعالى (**فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب**) ـ الرعد ٤٠ ـ وقوله عز وجل (**ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**) ـ يونس ٩٩ ـ حتى يبين لنا مدى خروج أمثال هؤلاء الذين يتاجرون بالشعارات عما أنزله الله في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم بدأ المؤلف بعد ذلك في اثارة الفتنة في الأمة الاسلامية بالدعوة الى محاربة الكفار ، فنجده يقطع بعض الآيات القرآنية التى يأتى بها مثل قوله تعالى (**وقاتلوا المشركين كافة**) ـ التوبة ٣٦ ـ ليزعم بناء على ذلك أن الآية تأمر المسلمين بمحاربة كل المشركين سواء اعتدوا على المسلمين أم لم يعتدوا عليهم فيقول في باب (الجهاد في سبيل الله) (**كان القتال** ، كما يقول الامام ابن القيم ، محرما ، ثم مأذونا به ، ثم مأمورا به ، لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأمورا به لجميع المشركين) .

ونظرا لخطورة هذه المزاعم التى يروج لها البعض كابن القيم وغيره فلابد أن نرجع الى كتاب الله لندرك ما فيها من بطلان وتعارض كامل مع ما أنزله المولى عز وجل عن حدود القتال في الاسلام والتى تقتصر فقط على رد الاعتداء ومقاتلة من يبدأون بالاعتداء على المسلمين دون أى عدوان على من لم يبدأ بقتال المسلمين ويتبين ذلك كما يلى :

ان الوقوف عند تلك الآيات القرآنية التى يستدل بها أصحاب هذا القول يكشف عن بطلان قولهم ، ويثبت أنها حجة عليهم تدينهم وتبطل دعواهم ، فالآية القرآنية (**وقاتلوا المشركين كافة**) يجب أن تقطع عن سياقها ، بل لابد من تكملتها والنظر في بقيتها وهى قوله تعالى (**كما يقاتلونكم كافة**) ، فالآية كاملة تقول (**وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين**) ـ التوبة ٣٦ ـ أى أنها تدل بوضوح تام على أن الأمر الالهى بمقاتلة المشركين كافة مشروط ، ومرتبط بقتال هؤلاء المشركين للمسلمين كافة ، أى أن المسلمين يجب ألا يبدأوا بالاعتداء وقتال المشركين لمجرد أنهم مشركون ، وانما يجب قتالهم عندما يقاتلوننا أو يعتدون علينا ، (**كما يقاتلونكم كافة**) أى أن الأمر الالهى بقتال الكفار والمشركين مشروط ومرتبط باعتدائهم وقتالهم لنا ، وليس من آية قرآنية واحدة تدل على أنه للمسلمين أن يقاتلوا كل مشرك أو كافر لمجرد أنه مشرك أو كافر أو تدعو المسلمين للاعتداء على الآمنين لمجرد انهم ليسوا على عقيدتنا ،

وانما تتبين حدود القتال فى الاسلام من الآيات السابقة وتتبين أيضا من قوله تعالى (**وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين**) ـ البقرة ١٩٠ ـ .

فالقتـــال في الاســلام لا يكون أبدا ، لفرض الدين أو اكراه الناس عليه ، مصداقا لقوله تعالى (**لا اكراه فى الدين**) وانما يكون للدفاع عن بلاد المسلمين ورد كيد المعتدين المحتلين لأراضيهم ولاسترداد مقدساتهم متخذين فى ذلك كل أسباب القوة بما يرهب أعداء الاسلام الطامعين فيهم ، مصداقا لقوله تعالى (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**) ـ الأنفال ـ .

ان القول بأن القتال قد شرعه الله على مراحل كان فى بدايتها محرما ، ثم أصبح مأذونا به ، ثم مأمورا به ضد من بدأ القتال ، ثم مأمورا به ضد جميع المشركين كافة ، هـذا القول يشير الى أن المولى عز وجل قد تغيرت أحكامه وتبدلت أقواله ، اذ يحرم الشيء ، ثم يعود فيحله مرة ثانية ، ثم يأمر به ، وهذا تطاول واضـــح على ذات الله سبحانه وتعالى ، كما أنه خروج صريح على نص الآيات القرآنية مل قوله تعالى (**ما يبدل القول لدى**) ـ ق ٢٩ ـ بالاضافة الى أن القول بوجود مراحل متعددة جاءت بها الآيات يعنى وجود تعارض بين ، وهـذا مما لا يجوز القول به لتعارضه مع قوله تعالى (**أفلا يتدبرون القرآن ولو كانت من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**) ـ النساء ٨٢ ـ فآيات القرآن تحمل من أوجــه الاعجاز ما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان ، وليست صالحة لوقت فقط دون غيره ، أو لمناسبة دون غيرها أو لمرحلة فقط .. وانما تحمل واقع الأمة الاسلامية على مدار القرون منذ نشأتها والى ما شاء الله ، مصداقا لقوله تعالى (**لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم**) ـ الأنبياء ١٠ ـ .

ثم عمد المؤلف فى سبيل تأليب الناس على مجتمعهم الى التطاول على ذات المولى عز وجل ، فادعى أن الناس فى المجتمع قد اعتدوا على سلطان الله بل وسلبوه أخص خصائص ألوهيته ، اذ يقول فى وصـــفه لجاهلية المجتمع (هذه الجاهلية تقوم على أســـاس الاعتداء على سلطان الله فى الأرض وعلى أخص خصائص الوهيته ، وهى الحاكمية ، انها تســـند الحاكمية الى البشر) .

ويتمادى المؤلف فى الحاحه على نفوس أتباعه بهذا المعتقد الخطــير حتى أنه يقرر أن المدلول الحقيقى عنده لعقيدة لا اله الا الله ، هو العمل على طرد المعتدين على سلطان الله ، ورد أخص ألوهيته المسلوبة من هؤلاء

المعتدين ، ويجعل من ذلك أساس الاسلام فيقول في توجيهه لاتباعه (كذلك ينبغي أن يكون مفهوما لأصحاب الدعوة الاسلامية أنهم حين يدعون الناس لاعادة انشاء هذا الدين يجب أن يدعوهم أولا الى اعتناق العقيدة حتى لو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين ، وتشهد لهم شهادات الميلاد أنهم مسلمون ، ويجب أن يعلموهم أن الاسلام أولا اقرار عقيدة لا اله الا الله بمدلولها الحقيقي ، وهو رد الحاكمية لله في أمرهم كله ، وطرد المعتدين على سلطان الله) ، ثم يضيف المؤلف قوله (ولتكن هذه القضية هي أساس دعوة الناس الى الاسلام) ويستمر المؤلف في محاولاته الدائبة لاقحام معتقده الخطير في قلوب قرائه فيؤكد لهم أن سلطان الله مغتصب ، وأن ملكه غير قائم في الأرض ، وأنه الآن اله في السماء فقط ، أما في الأرض فقد انتزع سلطانه ، واعتدى على أخص خصائص ألوهيته ، كما يقول (ان اعلان ربوبية الله وحده للعالمين معناها انتزاع سلطان الله المغتصب ورده الى الله وطرد المغتصبين له) ثم يضيف (ان معناه تحطيم مملكة البشر لاقامة مملكة الله في الأرض) أو بالتعبير القرآني (**وهو الذي في السماء اله وفي الأرض اله**) .

وهكذا يضلل المؤلف اتباعه ، فيزعم أنه قد تم الاعتداء على سلطان الله في الأرض ، وعلى أخص خصائص ألوهيته ويستدرجهم في عقيدتهم ويستنهض فيهم حمية الجاهلية القائمة على معتقد فاسد ، ينسب الضعف ونقص القدرة للمولى عز وجل ويصفه بصفة المفتقر الى العباد يصدون عنه العدوان ، ويعيدون اليه الملك ويردون اليه أخص خصائصه بعد أن سلبها الناس منه .

لعل ما في وضوح عبارات المؤلف السابقة وما فيها من تطاول على قدرة الله تعالى ووصفه بصفات النقص والافتقار ما يغني المسلم عن أي تعليق .. ولكننا فقط نلفت الأنظار الى النقاط الآتية :

انه من بديهيات الايمان أن نؤمن بالقدرة المطلقة للمولى عز وجل في الوجود ، وأنه سبحانه وتعالى له ملك السموات والأرض (**له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير**) ـ الحديد ٢ ـ وأنه سبحانه وتعالى مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء على مقتضى الحكمة الالهية بما يعلمه ، جل شأنه ، في قلوب عباده وما هم عليه من كفر أو ايمان وما هم أهل له من نعمة أو نقمة (**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير على كل شيء قدير**) ـ آل عمران ـ وأنه سبحانه وتعالى هو القاهر فوق عباده

ومن ذلك يتضح فداحة القول أو الاعتقاد بأن هناك من اغتصب سلطان الله واعتدى على أخص خصـــائص ألوهيته حسب تعبير (سيد قطب) كما أنه من بديهات الايمان أيضا أن المولى عز وجل فى كل ذلك ليس مفتقرا الى عباده ليدافعوا عن سلطانه أو يقيموا له ملكا أو يحفظوا له صفاته (**يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد * ان يشـأ يذهبـــكم ويات بخـــلق جـديد * وما ذلك على الله بعزيز**) ــ فاطر ١٥ : ١٧ ٠

ان حكم المولى عز وجل للوجود قائم ومستمر ، وهو مرتبط بالارادة الالهية الصرفة والقدرة الالهية المطلقة ، ولا عـــلاقة له بارادة الناس وقد قدرتهم ، ولا كتوقف على ايمانهم أو كفرهم (**ان الله يحكم ما يريد**) ــ المائدة ١ ــ ٠ (**والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب**) ــ الرعد ٤١ ــ فالحكم لله العلى القدير فيما يقتضيه ويقدره على عباده على مقتضى الحكمة الالهية البالغة وعلى مقتضى ما هم أهل له من نعمة أو نقمة فى الدنيا والآخرة ، ولا يخفى على عالم أن حكم المولى عز وجل المطلق فى الوجود هو أمر مختلف تمام الاختلاف عن كافة التكاليف الالهية التى أمر بها المولى عز وجل ، ويترك الالتزام بها لمن أراد الهدى من الناس ، فهذه التكاليف الالهية ، كآيات العبادات والمعاملات فى القرآن مثلا يترك المولى عز وجل للناس حرية الالتزام بها ، فيفعلونها بارادتهم الحرة ليفوزوا برضوان الله أو يخالفونها بارادتهم الحرة فيبوءوا بغضبه ، كما يقول تعالى (**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**) ــ الكهف ٢٩ ــ (**فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا**) ــ الانسان ٢٩ ــ ٠

وهكذا فان الضال أو الكافر لا يعتدى بضلاله أو كفره على صفات الله ، ولا ينفلت عن حكمه ، ولا ينتقص من ملكه ، ولا يغتصب سلطانه ، ولكن واقع الأمر أن من يتخير لنفسه الضلال والكفر وينبذ الهدى والايمان، فانه بذلك يؤذى نفسه ويظلمها ويهلكها بحرمانها من رضوان المولى عز وجل وفضله وتعرضها لعذابه ونقمته فى الدنيا والآخرة كما يقول الله تعالى (**من اهتـــدى فانما يهتـدى لنفســه ومن ضـــل فانما يضـــل عليها**) ــ الاسراء ١٥ ــ ويقول عز وجل (**ومن كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا لأنفسهم يمهدون**) ــ الروم ٤٤ ــ ٠

ان المولى عز وجل قائم على ملكه فى السموات والأرض يجزى كل نفس بما كسبت فى الدنيا قبل الآخرة ، وان حساب الأمم العاصية فى الدنيا دائم بدوام وجود هذه الأمم لم ينقطع أبدا ٠

واذا كان المولى عز وجل يخبرنا فى كتابه كيف أخذ العصاة والمسيئين بذنوبهم ، ومن ذلك قوله تعالى (**فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**) (العنكبوت ٤٠) . فانه عز وجل يخبرنا أيضا فى كتابه بدوام ذلك القدر الالهى المقدور على العصاة والمكذبين ، اذ يقول تعالى عما أنزله من النقمة الالهية بقوم سيدنا لوط عليه الصلاة والسلام (**وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود * مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد**) - هود ٨٢ : ٨٣ - وفى قوله تعالى (**وما هى من الظالمين ببعيد**) يبين لنا المولى عز وجل أن النقمة الالهية ليست بعيدة عمن يرتكبون نفس الجريمة ويمارسون نفس الفاحشة فيستحقون غضب الله فتنزل بهم نفس النقمة الالهية التى أصابت قوم سيدنا لوط عليه الصلاة والسلام ، وكذلك تتبين نفس الحقيقة فى استمرار نزول النقم الالهية بالأقوام الظالمة فى قوله تعالى (**أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها**) - محمد ١٠ - واذا تدبرنا قوله تعالى (**دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها**)، فسندرك أنه كما دمر الله على الأولين من المكذبين والكافرين بالنقم الالهية المختلفة فان مثل ذلك المصير ينتظر الكافرين على الدوام والاستمرار ممن يجرون مجرى الأمم السابقة فى كفرها بدعوة الحق ومعصيتها لله وللرسول، فكيف يزعم انسان بعد ذلك أن كفر الناس أو عدم التزامهم بأحكام الشريعة الاسلامية لمعنى يعنى أنهم قد اغتصبوا سلطان الله واعتدوا على أخص خصائص الألوهية ؟

وهكذا يتبين لنا الى أى مدى بلغ التطاول على المولى عز وجل فى المتاجرة بالشعارات فى سبيل الوصول الى الحكم .

● الفصـــل الرابــع

(١)

تنظيم جماعة التكفير والهجرة

وكتـاب الخـلافة

نشأت جماعة التكفير والهجرة بين جدران السجن الحربى برئاسة شكرى مصطفى الذى كان معتقلا سنة ١٩٦٥ مع بقية زملائه من الاخوان المسلمين ، وكان شكرى قد التحق بقيادة التنظيم الاخوانى بأسـيوط قبل تخرجه من كلية الزراعة عام ٦٤ ، ١٩٦٥ ، وأصبح يتردد على مجالسهم ويتلقى دروسهم لخدمة مخططهم فى تلك الأعوام حتى صـــدر القرار الجمهورى عام ١٩٦٥ باعتقال أعضاء الاخوان المسلمين ، فاعتقل شكرى ومن معه حيث أودعوا السجن الحربى ، وهناك اختلط بمعتنقى الفكر القطبى المتطرف الذين أقنعوه باعتناق هذا الفكر ، وظل يجد ويقرأ طوال فترة اعتقاله حتى أفرج عنه عام ١٩٧١ ، فاستكمل دراسته بكلية الزراعة بجامعة أسيوط وبعد تخرجه أخذ يدعو لفكره الجديد حيث برزت اللبنة الأولى لجماعة التكفير والهجرة كتنظيم متطرف ارتكز على المحورين التاليين :

المحور الفـكرى :

تبلورت لدى شكرى أحمد مصطفى مجموعة من الأفكار الدينية تمثل اضافات جديدة للفكر القطبى ـ كان أبرزها :

● التصور الاسلامى للجماعة .. ويقوم على أن الاسلام قد عاد غريبـا وأن المجتمعات القائمة سوف تنهار ، وسيبدأ الاسـلام من جديد على يد الصفوة المؤمنة بحد السيف انطلاقا من جبال اليمن واستنادا الى بعض الأحاديث الدينية المكذوبة « أحاديث آخر الزمان » .

● فكرة الهجـرة ٠٠ وهى نتيجة لضرورة الانفصال عن المجتمع القائم والانعزال عنـه ـ وبدء التحرك الايجابى لتحقيق نـواة المجتمع الاسلامى المنشود ، وذلك باللجوء للجبال والمغارات ٠

● مبدأ التوقف والتبين ٠٠ الذى يقوم على رفض الاكتفاء بتوافر أركان الاسـلام الخمسـة ليكون المرء مسلما ، والمطالبة بحتمية تجنب المعاصى والا اعتبر الفرد كافرا ٠

● عـدم الاعتراف بأية مصـادر للأحـكام الشرعية خلاف القرآن والسنة ٠

المحور الحركى :

● كانت بداية التحـرك فى هذا المجال تكوين الهيكل التنظيمى للجماعة حيث نصب شكرى أحمد مصطفى أميرا لها وبايعه أعضاء الجماعة ، وتم تعيين أمراء للمناطق لكل منهم مسئوليات محددة ٠

★ استئجار الجماعة لبعض الشقق كمقار سرية لها بالقـاهرة والاسكندرية والجيزة وبعض محافظات الوجه القبلى ٠

● خروج أعضاء الجماعة الى المناطق الجبلية واللجوء للمغارات تطبيقا لمفاهيمهم الفكرية ٠

● سعى قيادة الجماعة الى تجنيد أكبر عدد ممكن من العسكريين وضمهم الى التنظيم لاستغلال خبرتهم فى مجال العمليات العسـكرية ، وتكليفهم بالقيام بتدريب أفراد الجماعة على استخدام الأسلحة والتدريبات البدنية العنيفة ، وتحريضهم للاستيلاء على الأسلحة المختلفة من وحداتهم العسكرية ٠

ـ وتنفيذا للتصـور الحركى للجماعة قام شـكرى أحمد مصطفى وجماعته خلال شهر سبتمبر عام ٧٣ باللجوء والاقامة فى بعض المغارات الواقعة بدائرة مركز أبى قرقاص محافظة المنيا بعد أن تصرفوا بالبيع فى ممتلكاتهم وزودوا أنفسهم بالمؤن والسلاح الأبيض واشتبه رجال الادارة بالناحية فى أمرهم وتم ضبطهم وقدموا للتحقيق فى القضية ٦١٨ لسنة ٧٣ أمن دولة عليا وضبط شكرى مصطفي في ١٩٧٣/١٠/٢٦ مع بعض اخوانه ، ولكن صدر قرار جمهورى بالعفو عنهم عقب حرب أكتوبر وأفرج عن شكرى فى ١٩٧٤/٤/٢١ الا أنه عقب الافراج عنه عاود ممارسة نشاطه

بصورة مكثفة وعمل على توسيع قاعدة الجماعة واعادة تنظيم صفوفها ، وتمكن من ضم عناصر جديدة بالمحافظات المختلفة ـ كما قام بتسفير بعض الأعضاء للخارج للعمل لتمويل التنظيم ، ثم أخذ يتبنى مع جماعته أسلوب العنف والارهاب كالآتى :

١ ـ الارهاب الفكرى داخل الجماعة حيث وضعت قيادة الجماعة منهاجا فكريا محددا لا يقبل الاجتهاد أو المعارضة من جانب الأعضاء ومارست مع المخالفين منهم عملا التأديب الجسدى بالإضافة الى العقوبات المالية •

٢ ـ قيام الجماعة بعمليات تصفية جسدية للقضاء على المنشقين عليها بتعقبهم والاعتداء عليهم •

٣ـ التصادم مع النظام سعيا الى فرض مطالبها بالقوة واثبات وجودها على الساحة السياسية أملا فى قلب نظام الحكم والوصول الى السلطة ، وقد تمثل هذا التحول الجذرى فى القيام بوضع مخطط يهدف الى اغتيال الشخصيات العامة بدءا بمن كان لهم دور فى التصدى للجماعة واستقر رأى قيادة التنظيم على تنفيذ هذا المخطط بالتخطيط لاغتيال بعض الوزراء ورجال القضاء ورجال الأزهر باعتبار أن هؤلاء الأفراد قد عارضوا الجماعة فى أفكارها ، وهم يعملون بوظائف عامة فى الحكومة أى كفار يعملون فى دار الكفر •

(٢)

رد فضيلة المفتى

كتب شكرى مصطفى أفكاره ومعتقداته فى كتاب (الخلافة) مستندا على الأسس التالية :

يقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (بنى الاسلام على خمس شهادة ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا) ٠

وتقول الجماعة أن فى قول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لفظ « على » يدل على أنه لم يحصر أركان الاسلام فى خمسة فقط ، والا كان لفظ « من » وما دام أنه قرر أنه بنى الاسلام على خمس ، فاذن أعمدة الإسلام خمسة وتقام عليها فروض أكثر كجماعة المسلمين والبيعة والطاعة والتوبة ٠٠ الخ ، وأسس على ذلك أن الحد الأدنى للاسلام هو جملة هذه الفرائض التى افترضها الله على عباده وأن تضييع فريضة واحدة بغير عذر شرعى هو كفر بواح ٠

وهذا القول مغالطة حيث جاء الحديث قاطع بأن أعمدة الاســـلام خمسة وهى الفرائض أو الأركان الأساسية للاســلام ، وليس لأحد أن يضيف اليها شيئا كما أنه ليس لأحد أن يحذف منها شيئا والا كان لمن له حق الاضافة أن يكون له حق الحذف ٠

أولا ــ التكفير :

(أ) قرر شكرى أن الشخص الذى يريد السفر الى الاسكندرية من القــاهرة لابد أن يقطع المسافة كلها ، فاذا توقف فى طنطا فلن يصل أبدا الى الاسكندرية ، مثله كمثل الرجل الذى يؤدى أربعة فرائض من الاســلام ويترك الخامسة ، فانه لا يصل الى الاســلام ويكون كافرا ، وقرر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (بين الرجل والشرك ترك الصلاة) ، وهذا أكبر تدليل على هذا الرأى ، كما أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم فى أحاديثه عن القتال كرر نفس الفكر فقال (اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار) ، (سباب المسلم فسوق

وقتاله كفر) ، (لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) ، (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأنى رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فان فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله) ، (والله الذى لا اله الا هو لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله باحدى ثلاث : الثيب الزانى ، وقاتل النفس ، أو النفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق المجماعة) ، وهذه الأحاديث كلها توضح أن القتل يكون لتطبيق فرائض الدين كلها فان تخلف فى احداها لا يكون الشخص مسلما .

الـــرد :

هذا الرأى بدعة غير مذكورة فى القرآن أو السنة ومحدثه هو القائل بأن لفظ « فريضة » معناه الأمر الذى لا يستغنى عنه والذى لا يصلح الشىء بتركه ، وبالبحث عن لفظ فرض فى لسان العرب قال فرض أى ألزم مثل قوله تعالى : (**سورة أنزلناها وفرضناها**) ، وفرض أى بين مثل قوله تعالى : (**قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم**) وفرض أى حدد ـ والجمع فروض أى حدود ـ وفرض أى سن وأوجب وفرض أى قطع ، ولم يوجد لفظ فريضة بمعنى أنه الأمر الذى لا يستغنى عنه ولا يصلح الشىء بتركه .

وفى الأمثلة التى جاء بها شكرى على لسان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نجد أنه كان يقاتل حتى يقر الناس بكل الدين من أوله الى آخره ولو لم يقروا بفريضة واحدة منه لما كانوا أبدا مسلمين . أما قوله : ان الاقرار لا يدخل فى العبادة أو يدخل ان تبعه العمل ، فهو كلام مجرد من الدليل بالاضافة الى أن الاقرار شىء والقول شىء آخر ، ولكنه قال : ان الاقرار لو وقف عند حد الاقرار لكان كاقرار ابليس وكاقرار الكافرين، مع أن الاقرار فى مفهوم اللغة يدخل فيه الرضا ، ويخالف القول فى أن القول قد يكون كاذبا أو صادقا والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقاتل النـــاس حتى يقروا بما فى الاســلام من فرائض ، فان فعلوا ذلك عصموا الأموال والدماء ، وعلى ذلك فالاقرار شىء والقيام على الفرائض شىء آخر ، ويكفى الاقرار بالفرائض ليكون الاسلام صحيحا .

شرح شكرى آراءه فى الكفر بوجه عام ، فقرر أن الكافر هو المنكر لفرائض الله والتارك لها ، وكل شخص يستحل المعصية ويعتبر المعاصى حلالا ، والذى يتبع الحاكم بما لم ينزله الله ، مع أن المعروف أن الكافر هو المشرك المنكر لوحدانية الله المرتد عن الاسلام .

ثم يستطرد شكرى قائلا ، كل من ارتكب كبيرة فهو فاسق وكافر ، مع أن الله تعالى فرق بين الحالتين فى قوله تعالى (**ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان**) ، وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) ٠

كما قرر شكرى أن قول الكفر أو فعل الكفر هو كل أو فعل مصادم لنص شرعى أو لأمر شرعى علم أنه من الدين والافتاء بغير حكم الله فى أى مسألة ، وذم الله ، أو سب جماعة المسلمين ، أو ترك فريضة أو فعل عمل محرم أو الحاق ضرر بالمسلمين فى مال أو دم أو عرض ٠٠ كل ذلك يكون قوله أو فعله فى غير اكراه عملا من أعمال الكفر ٠

الـــرد :

قال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ (هل تدون ما الايمان بالله وحده وقد أمرهم به هو شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) ، وبذلك أعلن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قد حكم بالاسلام لمن نطق بالشهادتين ٠٠ قال تعالى (**وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم**) وقال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ (رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) ، وعلى ذلك فقد يوصف عمل بالكفر دون أن يخرج صاحبه عن الملة كوصف تارك الصلاة بالكفر ، وقال تعالى : (**ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**) وبذلك أخرج المشركين فقط من المغفرة ، ولا توجد واقعة واحدة تفيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم حكم بالكفر على المعصية بل جميع النصوص تثبت حكمه بالايمان بمجرد النطق بالشهادة ، وقد فرق النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بين الكفر والخروج عن الملة فقال (من خلف بغير الله فقد كفر) ، وقال (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) ، وقال (من أعطى عطاء فوجد فليجبر به ومن لم يجد فليثن فانه من كتم فقد كفر) ، وقال (من تسمى بغير اسم أبيه فقد كفر) ٠ والمقصود هنا هو الكفر الأصغر وليس الخروج عن الملة ، وفى قوله تعالى (**لقد كفر الذين قالوا الله هو المسيح ابن مريم**) ، وهذا دليل الكفر الأكبر لأنه شرك بالله،أما قول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ (بين الرجل والشرك ترك الصلاة) فلا يقصد به الكفر وانما المعصية فقط ، ودليل ذلك قوله : (خمس صلوات كتبهن الله على العباد من جاء بهن ولم يضع منهن شيئا استخفافا بهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء أدخله الجنة وان شاء عذبه) ، وفى قوله تعالى : « **وويل للمشركين ، الذين لايؤتون الزكاة وهم بالآخرة كافرون**) ، دليل على أنه كفر غير مخرج عن الملة ،

وفى حديث جبريل للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (بشر أمتك بأنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت يا جبريل وان سرق وان زنا قال نعم ، قلت وان سرق وان زنا قال نعم ، وان سرق وان زنا قال نعم وان شرب الخمر) (رواه البخارى) ، فمع هذا الفسق بين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن فاعله يدخل الجنة ، ومن المستقر عليه بألا يدخلها كافر ٠ وقد كفر شكرى المسلم لارتكابه المعصية الواحدة ، وقال بدخوله النار ، وهذا مخالف للدين وبالقياس على ذلك فان من أطاع الله والرسول طاعة واحدة فيدخل الجنة أيضا حسب هذا التفسير ، أى اذا قال الرسول (من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله) أى كفر ، مع أن الرسول قال (من صلى البردين ـ الصبح والعصر ـ دخل الجنة) وفى هذا تناقض مع فكر شكرى ٠

(جـ) ثم تناول شكرى شرعية الحكم بما أنزل الله فقرر أن من لا يحتكم الى الشرائع التى أنزلها الله فحكمه حكم الجاهلية ويعتبر من الكافرين٠٠ قال تعالى **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)**، **(ومن لم يحكم بما أنزل فأورئك هم الظالمون)** ، **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)** ، وقال تعالى **(والكافرون هم الظالمون)** ، وقرر بناء على ذلك أن الآيات الثلاث بمعنى واحد ، وأن الكافر هو الظالم وهو الفاسق وهو العاصى ٠

وبناء على ذلك فان رئيس الدولة كافر هو وجميع العاملين بالدولة وجميع الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله وأئمة الاسلام والأولياء كفار لأن عقائدهم فاسدة ـ كذلك قرر أن جميع المصريين كفرة ودعا للهجرة من أرض الكفر ٠

الـــرد :

فى قوانين الدول كثير مما يخالف قانون الله ، وهى لا تعد كافرة. لان الآية **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** لا تعنى الكفر الذى يخرج عن الملة لأن هذا انما ينطبق على من يحكم بغير ما أنزل الله راضيا به مختـارا له ، لا لمن يحكم به وهو كاره له ، وقد وجه هـذا السؤال للمرحوم الشيخ / محمد عبده من مفتى بنجاب من الهند ـ اذ سأله عن الحكم بالقوانين الانجليزية ، وجاء فى الاجابة التى أرسلت اليـه أن ظاهر الآية لم يقل به أحد من أئمة الفقه المشهورين بل لم يقل به أحد قط حتى الخوارج الذين يكفرون الفساق بالمعاصى ، ومنها الحكم بغير ما أنزل الله ، لم يحكموا بكفر هؤلاء ٠

وقد قال ابن عباس فى الكفر الواقع فى الآيات الثلاث فى سورة المائدة انه ليس بالكفر الذى تذهبون اليه انه ليس كفرا ينقل عن الملة كفر دون كفر ، وقد اختلف أهل السنة فى الآية اختلافات كثيرة أوردها صاحب المنار فى صفحة ٣٣٥ وما بعدها . كما أنه قيل عن الشعبى أن الآية جاءت فى اليهود خاصة أن اليهود قد ذكروا قبل ذلك فى قوله **(للذين هادوا)** ، كذلك فان سياق الكلام يدل على ذلك ، لأن بعده **(وكتبنا عليهم)** وهذا التفسير لليهود بالاجماع ، وأيضا لأن اليهود هم الذين أنكروا الرجم والقصاص — وروى ابن حذيفة سئل عن هذه الآيات فقال انها فى بنى اسرائيل .

ومن هذه التفسيرات أن الآية الأولى نزلت وقت ظهور التوراة لالتزام الأنبياء بالحكم بما ورد فيها ، والآية الثانية نزلت لعقاب المعتدين على الأنفس والحكم والعدل والمساواة ، والآية الثالثة نزلت فى بيان هداية الانجيل واقامة الشريعة على الوجه الصحيح وكل لفظ مختلف عن الآخر ، وكلمة هم بين الكافرين والظالمين ليست للتسوية ، فليس كل ظالم كافر ، وانما طبقا للغة يكون كل كافر ظالما ، وليس العكس ، ولم يحكم الله بالكفر أى الخروج من الملة فى هذه الآيات وانما حكم الله هو أنه عاص ، وقد عقب الله تعالى على الآيات السابقة بقوله **(وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق)** . وقد جاء فى تفسير آخر أن الآية الأولى تقصد من لم يحكم بما أنزل الله وتعمد مخالفة الفرائض والعقيدة وانكار الصلاة والصوم مثلا فيكون من الكافرين ، والآية الثانية تقصد من لم يحكم بما أنزل الله واجتهد ليفسر الفرائض والعقيدة كشروط الصلاة والزكاة والحج ، وجاء اجتهادهم ظالما لبعض الناس فيكونوا من الظالمين ، والآية الثالثة تقصد من لم يحكم بما أنزل الله واجتهد ليفسر المعاملات كالارث والزواج ، ولم يوفق فأولئك هم الفاسقون، وفى حديث للرسول — صلى الله عليه وسلم — (اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر ، واذا اجتهد فأصاب فله أجران) فالاسلام لا يحكم على أحد بالكفر من الحاكمين لمجرد أن القوانين التى تطبق عليهم غير اسلامية ، وفى حديثه أيضا (الا أن تزوا كفرا بواحا فيه من الله برهان) ، كما قال (هلا شققت عنى قلبه لتعلم أقالها أم لا) فى واقعة قتل كافر نطق بالشهادة قبل قتله كما قال (انى لم أؤمر بشق بطون الناس حتى أعلم حقيقة ما فى قلوبهم) فالمحكومون لا يعدون كفارا الا اذا صدر من أحدهم ما يفيد عدم رضاه عن حكم الله من قول أو عمل .

وعن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (اذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما فان كان كما قال والا رجعت عليه) وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ (اذا قال الرجل لأخيه يا ـ كافر ـ فهو كقتله) .

أما عن القول بتكفير الحاكم فقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (لا طاعة فى معصية انما الطاعة فى المعروف) فالقوانين يجب اطاعتها كقوانين المرور والصحة ، أما القوانين التى تخالف شرع الله كالخمر والميسر ، فاذا كان مرتكب الفعل يعتقد أنه حلال فهو مسلم لأن الأعمال بالنيات ، ومن كان يعتقد أنها حرام ولكن الحاكم حللها فهو مسلم عاص ، خلافا لما تقر به الجماعة من أنه كافر ، والكفر يستثنى منه الجهل والخطأ . قال تعالى (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم) وقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) .

ومخالفة حكم الله والحكم بغيره عن هوى أو مصلحة خاصة هو من المعاصى ، أما من حكم بغير ما أنزل الله مختارا عامدا غير متأول ، مع علمه بأنه يخالف حكم الله ويستحل ذلك فهذا كفر وقد أجمع أهل السنة على أن المعاصى صغرت أم كبرت لا تؤدى بذاتها الى الحكم على المسلم بالكفر ، انما يكون الكفر بسبب استحلال المعصية ، بتحليل ما حرم الله ، وتحريم ما أحل الله (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وعلى ذلك فالحاكم له أن يشرع من القوانين ما لا يتعارض مع شرائع الله ، ولكن ليس له أن يحلل ما حرمه الله والا كان كافرا .

وقد قال بعض المفسرين عن كلمة (من يحكم) فى القاموس المحيط الحكم هو القضاء وحكم أى قضى ، والقضاء هو الحكم على الشىء بأنه حق أو باطل ، والذى يقضى بما قال تعالى أنه حق ويقول : هو باطل ، فهو كافر لتكذيبه الله تعالى ، فالذى يحق ما أبطله الله أو يبطل ما أحقه الله فهو كافر ، والآية تقول (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) .

وقد كان شكرى مصطفى مبالغا فى تفسير هذه الآية ، ويقول شكرى اتحدى أن توجد آية واحدة قطعية الدلالة على اثبات أن الله قد سمى المسلم فاسقا ولو مرة واحدة ، ويقول شكرى أيضا ان كل من سماه القرآن فاسقا فهو كافر ، وأن الفسق هو الكفر الذى يخلد صاحبه فى النـار ، وهذا كلام يدل على جهل صاحبه لمجرد بلبلة أفكار الناس وتشكيكهم ، والدليل على ذلك من القرآن نفسه .. أنه قد جاء فى القرآن اطلاق لفظ الفاسق على المؤمن فى عدة آيات فى القرآن ، بل منها

ما وصف به بعض أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد جاء فى قوله تعالى فى سورة النور : (**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعه شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون**) فهذه الآية نزلت فى سعد بن الصامت الصحابى الجليل وأطلق عليه لفظ (الفاسقون) ، وفى سورة الحجرات جاء قوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**) ، وكان الذى جاء بهذا النبأ الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الوليد بن عقبة وهو صحابى ، وأطلق القرآن عليه لفظ فاسق لأنه جاء بخبر غير صحيح ، فلفظ الفاسق يطلق على المؤمن اذا اقتضت المناسبة ذلك ، كما أن الكفر يطلق على كفر النعمة ، بمعنى عدم الشكر عليها ، ومنه قوله تعالى : (**فأبى أكثر الناس الا كفورا**) بمعنى لم يشكروا على النعمة ، وقال تعالى: (**لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد**) بمعنى اذا لم تشكروا على النعمة .

وقال فى شأن السحر : (**وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر**) ، كما قال (**ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين**) فسمى الذى لا يحج وهو مستطيع الى الحج سبيلا بأسم الكافر ، وهو فى الواقع مؤمن عاص ، وليس كافرا لأنه يقر بوحدانية الله ، ويؤدى الفرائض الأخرى ، كما قال تعالى فى سورة البقرة : (**فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون**) أى فاشكروا لى نعمتى أى ما أنعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد نعمتى ، وعصيان أمرى ، وهذا ما يسميه العلماء بكفر النعمة لا الكفر بالله المخلد فى النار ، ولهذا قال العلماء كفر دون كفر . وقال المرحوم الشيخ محمد عبده فى تفسيره (واشكروا لى ـ أى اشكروا نعمتى عليكم ولا تكفرون ـ أى فلا تكفروا نعمتى بأهمالها أو صرفها فى غير ما ولدت له) .

ثانيا الهجرة :

يقرر شكرى أن الهجرة والاعتزال هو أقل ما يمكن أن تواجه به الجماعة المسلمة تجمعات الباطل وتحديات الكفر وهى الطريقة الوحيدة للجماعة المستضعفة للخروج من ضغوط الكفر ، وأنه أول طريق الجادين لعبادة الله وخلافته فى الأرض ، وهكذا فان وجود كيان اسلامى متجمع على نفسه خارج ضغوط الجاهلية هو هدف اسلامى شرع لظهور الاسلام تسعى اليه الحركة الاسلامية من أول يوم فى طريق بداية الحياة وبداية الانطلاقة وهم يحكمون على الجماعة بالاعتزال لقوله تعالى :

(**هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا * واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم موفقا**) ، (**ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرة وسعة**) ، (**ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا**) ، (**والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا**) • وفى قول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ (هلاك أمتى على يد غيلمة ــ أى جمع غلام ــ من قريش قالوا فما المخرج قال : لو أن الناس اعتزلوهم) ، (الهجرة باقية ما بقيت التوبة) •

ويقولون ان الفرض الشرعى القدرى والمنطلق الأوحد الحتمى لكل مستضعف عن عبادة الله ويريد أن يعبد الله هو هجرته وأن الهجرة هى فراق الأرض والوطن وهى الخروج من الديار والأبناء والأموال وتقطيع علائق الأرض ووشائج القربى والنسب وخسارة الأهل فى سبيل الله ، وتحمل بناء حياة جديدة لبنة لبنة ، ان الهجرة هى المنطلق للخروج من الاستضعاف •• منطلق الجهاد والنصر •• منطلق العبادة ، والتربص •• منطلق النجاة من عذاب الله •• منطلق الافصاح لقدر الله ليضرب ضربته ويستخلف خليفته •

الــــرد :

قالت الجماعة بالهجرة والاعتزال الى الجبال والكهوف وهذه بدعة ، حيث ان الهجــرة أصل للعبادة حيث يكون المسلم مضطهدا فى أرضه أو لا يستطيع القيام بالعبادة ، وقد جاء فى قوله تعالى (**والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوأنهم فى الدنيا حسنة**) ، (**وان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها**) •

وقد قال ابن عباس ان هذه الآية نزلت فى قوم بمكة كانوا قد أسلموا وكرهوا الهجرة مع رسول الله الى المدينة •

وعن عكرمة والضــحاك أن الآية نزلت فى قوم من المنافقين بمكة كانوا قد أســلموا ثم تخلفوا عن رســول الله واجتمعــوا مع المشركين ببــــدر •

وفى قول لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الهجرة (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) .

ويبين من هذا أن الآيات نزلت فى قوم يقيمون فى دار شرك ، ولم يخرجوا مع رسول الله ، وهذا لا ينطبق على بلادنا ، وقد قامت الجماعة بتطبيق نظـــام الهجرة كمفهومها فى عام ١٩٧٥ حيث لجأوا الى الكهوف والجبال فى المنيا لا ليعبدوا الله ، وانما اتفقوا مع الخارجين على القانون لشراء الأسلحة والمفرقعات ، ثم حرضوا الأبناء على ترك معاهد التعليم وحرضـــوا البنات على هجرة أسرهن وعملوا على تزويجهن دون وليهن الشرعى فساهموا بذلك فى هدم الأسرة المصرية وتشتيت أفرادها .

ثالثا : الجمـــاعة :

يقول شــكرى ان الجمـاعة المسلمة هى التجمع الآدمى المهدى الذى خلقه الله لخلافته وانها النموذج الفذ الفريد الذى لن يكون له نظير حيث لم يخلق الله له نظيرا ، وانها المركز العاقل الذى كلفت السماوات والأرض بخدمته والالتفاف حوله وسخرت له ، وانها الهيئة المكرمة من قبل ربها المعدة قدرا وتكليفا لامامة الناس ، ولذا فمن فارقها قيد شبر فقد خلع ربقة الاســلام من عنقه ، ومن أطاع امامها فقد أطاع الله ، ومن عصـاه فقد عصى الله ، لأنها الجماعة المستوفية فى الأرض لحق الله الحافظة فى الأرض لحدود الله ، وأمامها هو رأس الحربة فيها به يتقى ربه ، يقاتل من ورائه صفا واحدا وضربة واحدة وأمامهم وضابطهم بعد ذلك كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والحق الذى بين الامام وبينهم هو ألا يأمرهم بمعصية الله فالسمع والطاعة على المرء المسلم فيها أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعــة (اسمعوا وأطيعوا الا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان) وعندئذ فلا ســمع ولا طاعة بل خلع اليد ووضع السيف ، وانما الطاعة فى المعروف على أساسها ومن منطلقها تكون البيعة على السمع والطـاعة . ثم يســأل شــكرى أين الجماعة المسلمة فى هذه الأرض ؟ فيقول هى تلك الهيئة من الناس الذين أعلنوا الكفر بالطاغوت والايمان بالله من حيث المبدأ وتراضوا بينهم على أمير منهم لا يحكمهم ولا يتحاكمون اليه الا بما أنزل الله من حيث الواقع ثم لهم بعد ذلك امكانات معقولة يملكونها من الأرض والعدد والعدة وموارد الرزق توجه كلها فى سبيل الله لتكوين كلمة الله هى العليا والفرد فى الجماعة هو المسلم الذى يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسـول

الله ، ويؤدى الفرائض ويتجنب المعاصي ، ويقرر أن جماعة المسـلمين تعتبر أى فرد ينتصب الى الجماعة ويظهر ذلك بأى مظهر مميز بحكم اسـلامه .

ثم يسترسل شكرى فى فلسفة الجماعة فيقول ان الخطة التى خطها الله للمؤمنين لينصروه بها انما هى جزء من خطته القدرية كلها فى نصر نفسه وأن الخطة الاسلامية يجب أن تبنى على التوكل ، لأن التوكل خطة عملية لجماعتهم .

ثم يقول ان الاسلام هو ما جاء فى كتاب الله ، وفيما صح من أحاديث النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وماعدا ذلك من قواعد وآراء ومذاهب فهو خيال محض ولا حجة معه ولا يمكن لأى انسان أن يقول بأن أصول الفقه أو الفقه الشافعى أو الحنفى ، أو آراء الذين تفرقوا واختلفوا ، أو تكفير الذين جعلوا حياتهم فى أمور لم يتحدث فيها النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو أى شىء خلاف ما جاء عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعتبر حجة فى دين الله ، ثم يستطرد فيقول ان الأئمة الأربعة ومذاهبهم هى فرق للجهل فضلا عن أن كل ما جاء فى هذه المذاهب والآراء ، والاجتهاد هى ضلال محض ، وحكم على الأئمة السابقين وتابعيهم بالكفر ، ويقرر أن الجماعة المسلمة ، بأمر أميرها هى المستخلفة وحدها ، والمال مال الله تأخذ منه الجماعة الاسلامية بامارة أميرها خليفة الله فيها ، وأن الخطة الاسلامية فى جمع المال لا تعتمد أصلا على الصفقة فى الأسواق أو التوظف فى دور الكفر ، وانما هى على خلاف ذلك تماما تعتمد على الغنيمة من الكافرين وبالقتال فى سبيل الله لتجمع الحركة الاسلامية مالها .

ثم يوضح شكرى مطامعه بعد ذلك فيقول ، ان كل ما أنت راء فى الأرض الآن من رجال ونساء ومال وجند وأسلحة ودساتير وتشـاريع وعلوم ووسائل وحروب ومصالحات وتقلبات فى البر والبحر انما هى جبهة أعداء الله فى الأرض الآن بقيادة الطاغوت ، ومن خلال هذا الواقع يقوم رجل واحد منهم ، ثم وبمن تبعه من المؤمنين ليزيحوا هذا الواقع كله ، ثم ليقاتلوا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، وأن الخطة الاسـلامية حقا والتى غايتها الغاية العظمى يجب أن تكون خطة عملية للاستيلاء على الأرض كلها وأن الخروج من قبضة الطواغيت هو محور الخطـة .. اذ أن الطواغيت قد تقاسموا الأرض كلهـا مناطق نفوذ ، ولا يصح لأصحاب الحركة الاسـلامية أن يبنوا خطتهم فى الاستيلاء على الأرض على استئذان الطواغيت ، اذ أنهم لو فعلوا فان بناءهم اذن سيكون

على شفا جرف هار قال تعـالى (**أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**) ، (**والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الله لهم البشرى**) ثم قال ان جماعته هى جماعة الحقة ، وهى تعتبر الركن السـادس من أركان الاسـلام ، ومن لم يدخل فيها فهو كافر ، ومن خرج منها فهو مرتد قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسـلام من عنقه) ، وقال (من مات وهو مفارق للجماعة ، مات ميتة جاهلية) ، وقال تعالى : (**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا**) ٠

الـرد :

قال شكرى ان مفارقة الجماعة كفر ، وحدد أن المقصود بالجماعة جماعته هو فقط ، وقرر أن ما سبق جماعته من أفراد وجماعات لم تعلن بقيام جماعته فجميع هؤلاء من الكافرين حتى أنه تمادى فى ذلك ووصف الائمة الأربعة أصحاب المذاهب والمجتهدين بالكفر قائلا أنه ليس لهم حق التفسـير أو الاجتهاد ، واسـتدل على قوله بأن مشاققة الرسـول كفر بواح ، والمفارق للجماعة هو تارك لدينه فهو كافر ، ومن المعلوم فى لغة العرب أن هذا الأسلوب هو أسلوب البدل ، فالتارك لدينه المفارق للجماعة بدل ومبدل عنه والتارك لدينه هو مبتدأ فى الكلام ، والمفارق للجماعة بدل من المبتدأ ، ومن المعلوم أن المبتدأ فى البدل يأخذ بحكم المبدل منه ، ولأننا نعلم أن التارك لدينه هو المرتد اذن فيعلم يقينا أن المفارق للجماعة سيحمل على المفسر وهو التارك لدينه حملا على المفسر ، وهذه قاعدة مستمرة نعرف منها أن التارك لدينه هو عينه المفارق للجماعة ، وأن المفارق للجماعة هو عينه المرتد ، ولا خلاف فى أن المرتد كافر ٠

وقد حكمت الجماعة بالكفر على من لم ينضم اليهم قائلين : ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال (من مات وهو مفارق للجماعة فانه يموت ميتة جاهلية) ومن المعروف أن الشخص لا يموت على عقيدة الجاهلية الا اذا كان كافرا وقال تعالى (**ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين**) وهذا دليل على أن من لم يحج لا يعتبر كافرا ، فما بالك بمن فارق الجماعة فلا يعتبر كافرا من باب أولى ٠٠ ومن المعروف أن المقصود بالجماعة هم أهل الاسلام كقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (من فارق الجماعة شبرا فكأنما خلع ربقة الاسلام من عنقه) ولو كان الخروج من الجماعة كفرا لما قال تعالى : (**وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله**) ، أى أن هنـاك فئتين أو جمـاعتين

لو توصف احداهما بالكفر كما يقررون ، اذن فالمقصود بحديث (من فارق الجماعة) هو خروج الشخص عن جماعة المسلمين وانفراده ومحاربتهم أو أعان من يحاربهم أو انفرد برأى من اجماعهم ، وبذلك يصبح غير مسلم من أنكر الزكاة أو الصلاة مثلا ·

ونتيجة لأفكارهم المتطرفة ، فعقود الزواج مع الغير باطلة والذبائح بواسطة الغير محرمة ، والصلاة خلف غيرهم غير جائزة وجميع المعاملات من عقود مبيع وتوارث··الخ مع الغير تعتبر مفسوخة حتى بالنسبة للزواج تعتبر الزوجة مطلقة لو خرج زوجها من الجماعة ويحل لها الزواج من غيره اذا سافرت خارج مصر ولو لم يطلقها زوجها ، وتبعا لهذه الأفكار فقد قررت الجماعة أن من لم يدخل جماعتهم فهو حلال الدم والمال والعرض لكونه كافرا ، واذا قتل واحد منها انسـانا ليس منها فان القاتل لا يسـتحق القصاص منه بقتله على أساس أنه لا يقتل مسلم بكافر ·

رابعـا : البيعـة :

يقول شكرى ان البيعة للأمير هى شروط الله وضمان الاسلام فى ظل حكم كتاب الله وتكون البيعة فيما أحب وكره وفي اليسر والعسر · وعلى أن لا ينازع الأمر أهله وان أخذ ماله وجلد ظهره ·

يقول انها البيعة بمعنى البيعة ، ويخطىء من يظن أنها أقل من بيع النفس كاملة لله من خلال الجماعة المسلمة متمثلة فى عقد على يد الامام ، انه بمقتضى هذه البيعة ينبغى أن يكون الامام أقرب اليه من نفسه وأولى بها منه ، حيث انه باع وانتهى الأمر ، ولم يبق من نفسه الا السمع والطاعة ما لم ير كفرا بواحا عنده فيه من الله برهان ، قال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ (من بايع اماما فأعطاه صفقة يده أى ضرب اليدين بالصوت ــ وثمرة فؤاده فليطعه ما استطاع) فالولاء الذى أراده الله له ولرسوله وللمؤمنين لا يكون الا بهذه البيعة ومن لم يبايع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو الأمير يعتبر كافرا ، وبهذا قرر شكرى أن البيعة له هى (ركن من أركان الاسلام استدلالا لقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ (من مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) ، والبيعة قد تكون على عدة أشياء ، فهناك بيعة على الاسلام ، وبيعة على الهجرة ، وبيعة النصر ، وبيعة الجهاد ، وبيعة الموت ، وأهمهـا البيعة على السمع والطاعة ، وهى التى يقوم عليها الأساس الأول للجماعة ·

الـرد :

قول شكرى بأن البيعة ركن من أركان الاسـلام لا يكمل الا بها ، ما هو الا تحايل على الدين فقد قال ان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ رفض

أن يبايع أناسا دخلوا فى الاسلام وأرادوا أن يبايعهم على ترك فريضة أو أكثر فلم يرض بذلك ، لأن ترك فريضة من الفرائض لا يجعل الاســـلام كاملا ، وبطلان هذا القول يتعلق بأن البيعة على الاســـلام مع ترك شيء منه أو اتيان محرم فى الاسلام ليكون هذا المحرم حلالا ، بحيث انه لو بايع على الاسلام عدا المبايعة على ترك شرب الخمر وجاءه المسلمون ليقيموا عليه الحد فسوف يقول لهم ان بيعة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت متبادلة،فالرجل يبايع والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أيضا يبايع أى ايجاب وقبول يقوم على الاسلام كله بأركانه وفرائضه ، أما البيعة التى قصدها شكرى فقد كان يطلب البيعة له على السمع والطاعة فقط ، فلا يناقشه أحد على أمر ولا يعترض أحد على أى فعل يقوم به ، وكمـا قال فى تفسيره ان الامام لو بويع فلا يبقى للفرد الا السمع والطاعة لأن الامام أولى بنفســـه منه ، أى ألغى شخصية المبايع الغاء تاما ، لذلك كان يأمر الزوج بطلاق زوجته ، ويأمر الأفراد بالاعتـــداء على المنشقين منهم ، ومن ذلك يتضح أنه اتخذ البيعة ستارا ليفعل ويحلل ما يريد القيام به من أفعال وجرائم دون أن يناقشه أحد فيها مدعيا أنه الخليفة الوحيد لرسول الله حيث قال ـ صلى الله عليه وسلم (بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ) وأن الاسلام فى طور العودة غريبا وأن الله أرسله ليعيد للاسلام مجده .

خامســـا : الصـــلاة :

يقول شكرى ان الله تعالى قال : (**والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورســـوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه**) ، وقال تعالى (**وما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر**) . (**وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا**) ، ويفسر شكرى ذلك قائلا : ان المسجد الذى تجب الصلاة فيه لابد أن يكون قد أسس على التقوى أى بنى على الايمـان وبغرض اقامة الشعائر فيه دون أى غـرض آخر ، ولا يذكر فيه سوى اسم الله ، كما أن هذه المساجد أصبحت ارصادا أى يدعى فيها لغير الله من الحكام ، وهذا يجعل جماعته تشجب الصلاة فى المســاجد ، وقال ان المســـاجد الأربعة الوحيـــدة التى ليست ضرارا هى المسجد الحرام فى مكة والمسجد الأقصى بعد تطهيره من المحتلين ومسجد الرســول وقبــاء فى المدينة ، وقـرر أنه لو بحثنا ونقبنا على مسجد آخر له نفس شروط هذه المساجد فلن نجد ، وبناء على ذلك فقد حرم على الجماعة أيضا صلاة الجمعة لعدم دخولهم المســـاجد ، وعلل عدم القيام بها بأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرضت عليه صلاة الجمعة وهو

فى مكة ، ولكن لم يصلها لأنه كان فى حالة استضعاف وعندما هاجر الى المدينة نزلت الآية التى فرضت بها صلاة الجمعة فصلاها وهو يعتبر جماعته الآن مستضعفة ، ولذلك لن تصلى الجمعة الا بعد التمكن كما قرر أيضا أن صلاة الجمعة لو نودى بها فى المسجد الحرام لن يصليها لأن الإمام ليس من جماعته وهو وجماعته لا يصلون الا خلف أحدهم فقط ، لأن أى شخص غيركم وفى نظركم كافر .

الـــرد :

قال شكرى ان الامام فى أى مسجد كافر ، ولا يجوز الصلاة خلفه مع أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ له حديث يقول فيه : (صلوا وراء كل بر وفاجر) كما أن الشوكانى قال : أجمعت الأمة على جواز امامة الفاسق ، فاذا كان هذا اليسر من صفات الدين الكريم فلماذا يتجه شكرى هذا الاتجاه المتطرف ليبعد الناس عن الصلاة فى المساجد ويحرم عليهم صلاة الجمعة ويعطل بذلك فرضا من فروض الاسلام .

قال الله تعالى : (**وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين**) ، وقال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ (جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا) ، أى أن الله تعالى والرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ جعلا الصلاة فى أى مكان جائزة لكافة المسلمين ، ولم يشترطا أى شروط لاقامة الصـــلاة فى المسجد أو المنزل ، ولكن جماعة شكرى حرمت الصـــلاة فى جميع المساجد ، وافترضت أنها كلها مســـاجد ضرار لم تؤسس على التقوى ، ولم تقدم البرهان على ذلك ولا تدرى الجمـاعة أن الآية الكريمة قصدت بمسجد ضرار المســـجد الذى بناه المنافقون ليصدوا به الناس عن الصلاة فى مسجد قباء .

وقد قال المفسرون انه كان بالمدينة قبل مقدم الرسول اليها رجل عربى خزرجى يقال له أبو عامر الراهب ، وكان قد تنصر فى الجاهلية وصار الى رهبنة وعبادة ، وكان كثير التحدث للناس بأوصاف النبى التى عرفها من التوراة والانجيل ، ولكن لما هاجر النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى المدينة وصارت فيها للاسلام كلمة عالية انتكس أبو عامر هذا وانسلخ من آيات الله والتهم قلبه الحقد على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبارزه بالعداوة والبغضاء . واتخذ سبيله الى المشركين بمكة لاستثارتهم الى حربه حتى تم له ما أراد بغزوة أحد التى أصاب المسلمين فيها ما أصابهم . وكان من أمر هذا الفاسق فى تلك الغزوة أن حفر حفائر فيما بين الصفين . فوقع فى احداهن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فجرح وجهه وكسرت

رباعيته وشج رأسه · وكان من أمره أيضا أنه تقدم فى أول المبارزة الى قومه من الأنصار وأخذ يستميلهم الى جانب المشركين عن طريق المخادعة والعدة ، وقد كشف لهم ايمانهم الصـــادق دخيلته وهدفه فعرفوا نيته ومقصده ، وبادروه بتلك الكلمة الحازمة التى ردته على أعقابه (لا أنعم الله بك عينا · يا فاسق يا عدو الله) فرجع يقول ، لقد أصاب قومى شر بعـــدى ·· وانقلب هائمـــا على وجهه بالقبـــائل يغريهم بقتال النبى واصحابه وأخيرا ذهب الى ملك الروم يستنصره على النبى فوعـــده ومناه وما زاده الشيطان الا غرورا · وكتب الى جماعة من قومه المنافقين يعدهم أيضا ويمنيهم ، يعدهم أنه سيقدم عليهم بجيش جرار يقاتل به المسلمين ويردهم عما هم فيه ، وأشار عليهم أن يتخذوا معقلا يكون مرصـــــدا له ولجيش حلفائه الذى به · وهنا فكر قومه المنافقون ودلهم شيطانهم على فكرة انشاء مسجد فى مكان قريب من مسجد قباء فبنوه بقصدهم السيىء وشيدوه وأحكموه ، ثم جاءوا الى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وسألوه أن يصلى فيه ويباركه لهم · وقالوا : انا بنيناه للضعفاء وأهل العلة فى الليلة الشاتية ، وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد أنهم لكاذبون ، برروا انشاءهم أياه بهذا الانتحال الكاذب وقصدوا بصلاة الرســول فيه أن تكون سبيلا لاقبال المسلمين عليهم والاتصال بهم ، وبذلك يستطيعون اغراءهم وانتزاعهم من صفوف النبى وأصحابه · وبهم يكثر ســـوادهم وتقوى شوكتهم · ويعلنون محاربة الرسول حتى يخرجوه من المدينة كما أخرجه قومه من مكة · ولما عاد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ من غزوة تبــوك وهم باجابة ملتمسهم · نزل عليه الوحى فكشف أهدافهم السيئة التى قصدوها بانشاء هذا المسجد وحذر من دخوله والقيام فيه (**والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد أنهم لكاذبون · لا تقم فيه أبدا**) · ثم تشير الآيات الى أنه مسجد أنشىء على ارادة السوء بالاسلام والتنكيل بأهله والى أن الريبة الناشئة عن احساسهم بالجريمة لاصقة بقلوبهم · لا يزول عنهم خوف افتضاحهم وظهور أمرهم الا بموتهم وتقطيع قلوبهم ، وهكذا شأن المريب يكاد يقتل نفسه · ولم يكد النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتلقى عن الوحى هذه الآيات حتى دعا جماعة من أصحابه وقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه · ولم يلبثوا الا قليلا حتى عادوا بعد أن وصلوا بتحريقه وهدمه الى الأرض · وتفرق عنه منشئوه المنافقون شر تفريق ·

سادســـا : التعــــليم :

يقول شكرى ان خير أمة أخرجت للناس ينبغى أن تكون أمية بالقطرة وأن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يقم المدارس والمعاهد والجامعات لتعليم

المسلمين الطب والرياضيات ، وان أول ما تطغى به البشرية عن قصدها وتستغنى به عن ربها هو هذه العلوم التى ندرسها ، وان محمدا كان فى مقدوره أن يتعلم الكتابة والحساب ويستغنى عن خاتم منقوش عليه محمد رسول الله ، وأن يفتح المدارس والزوايا والمعاهد لأبناء المسلمين لتعليم الفلســـفات والنظريات والفلكيات والرياضيات والطب والكيمياء ، كما يفرضه الآن اليهود على حميرهم وأبناء حميرهم وقال ان الجماعة تنتظر اليوم الذى يسوى فيه الله بالأرض معاهد ومدارس وجامعات ومؤسسات الكافرين شرقا وغربا ـ وقد قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (انها أمة أمية لا تكتب ولا تحسب) وأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أميا لا يكتب ولا يحسب ، ويقول (أنتم أعلم بأمور دنياكم) وكان يعد الشهر العربى بيديه يقول هكذا وهكذا حتى يعد تسعة وعشرين قال تعالى (**مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا**) ، (**ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وان هم الا يظنون**) ، (**هو الذى بعث فى الأمين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين**) ، كما قال الرسول ـ صلى الله عليم وسلم ـ (انما بعثت معلما) ، أى أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو المعلم الوحيد الذى يعلم الكتاب والحكمة ، وهو لم ينفق لحظة واحدة من عمره فى تعلم الكتابة أو العلوم المختلفة ، وانما أضاع عمره فى تعلم العبادة وتدريسها للآخرين ، وبناء على ذلك فالجماعة ترى أن التعليم كفر وضلال وأن التعليم لا يكون الا للعبادة ولرفع راية الاسلام فقط ، وأن دور التعليم وعلى رأسها الأزهر ما هى الا قلاع للكفر والضلال ٠

الـــرد :

من العجب أن يدعو شكرى الى الأمية ونبذ العلم والمتعلمين ونسى أن أول آية نزلت على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت (**اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم**) والآية الكريمة تقول (**ن ، والقـــلم وما يسطرون**) ، (**هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) وفى حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ان من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل) ، (ما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا ينتفعون) ، كذلك يقول الله تعالى (**يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه**) ، وفى سورة الكهف يقول تعالى فى حق ذى القرنين : (**انا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا**) فقد مكن الله له فى الأرض بالعلم المادى والروحى وتكلم عن الخبرة الفنية والهندسية مما لا يتأتى الا بالاستزادة من العلوم والخبرة ٠

وقد ورد عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه فى غزوة بدر كان فداء بعض الأسرى الذين يكتبون أن يعلموا عشرة من صبيان المدينة الكتابة ٠

من هذا كله لا يمكن القول بأن الله والرسول دعوا الى الأمية وشجعوا عليها بينما الآيات والأحاديث تقرر الدعوة الى العلم وتشجيع العلماء ، ولا يمكن القول بأن الواجب أن يقف المسلمون أمام تقدم الحضارة والمدنية موقف المتفرج والمتخلف حتى يقضى عليهم ٠

سابعا : القوات المسلحة والوظائف :

دعا شكرى الى نبذ الالتحاق بالقوات المسلحة ، وقال ان الجيش جيش كفار وأنه لو حاربنا اليهود فيكون ذلك قتال كفار لكفار ، وقال ان الآية الكريمـــة تقول (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل**) وهى تقصد القتال بالخيل والسيف فقط ، ولو وقفنا أمام أحدث الأسـلحة وأشـدها فتكا ، وهذا الرأى المتطرف يتنـاسى أن فى لفظ (**ما استطعتم من قوة**) يعنى الاستعانة بكل قوة من الأسلحة الحديثة ، ولكنه يصمم على أن القتال سيعود ان عاجلا أو آجلا الى السيف والخيل فقط ، وعندئذ تقوم جماعته بالقتال ، وقال ان الجماعة لا تقوم بالدفاع عن المجتمع الجاهلى الكافر ، واذا اضطر العدو الى دخول البلد فاننا نفر من مصر كلها ولا ندافع عن أهلنا أو بلدنا ٠٠

كما قرر أن القيادة تكون فى الجيش للكفار ، وهم لا يخضعون للكفار، ولذلك حرض أتباعه على ترك الخدمة فى القوات المسلحة ، كما حرضهم على ترك الوظائف فى الحكومة ، لأنها مؤسسات كفر وضلال وتتبع الحكومة الكافرة ، وقال ان الارتزاق الوحيد مصدره التجارة كما كان يفعل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٠

ثامنا : الأسرة المصرية والزواج :

قرر شكرى أن على الأبناء أن يتركوا أسرهم اذا لم يدخل الأب والأم فى الجماعة ، وعلى الزوجة أن تترك زوجها اذا لم يدخل فى الجماعة فكانت الجماعة تضع يدها على الأبناء من سن الرابعة عشرة حتى العشرين فى دور العبادة ودور العلم وتستغل حاجتهم وتلقنهم الدروس الدينية التى تحض على ترك التعليم ، وترك القوات المسلحة والوظائف بصفتها دورا للكفر ، وتدخلهم الجمـاعة ثم تأخذ عليهم البيعة بالسمع والطـاعة حتى تسلبهم ارادتهم ثم تجمع بين الرجل والمرأة عن طريق كشوف بأوصاف كل منهما ثم التلاقى بدون خلوة ، ثم يتم الزواج ، فتقدم لهم الشـــقة المفروشة سكنا للجماعة ، ثم فى خلال سنتين أو ثلاث يقدم الى الشخص عقد العمل فى الخارج نظير ارسال نصف راتبه أو أكثر ، وهكذا تضمن الجماعة لها الولاء والمورد ، واذا انشق أحد الزوجين على الجماعة تطلق الزوجة باعتبار أن الزوج خرج عن الجماعة وارتد وأصبح كافرا ، واذا لم

يرض الزوج بتطليقها جبرا اعتبره شكرى كافرا ، وتكون زوجته مطلقة وعندما سئل شكرى هل يكون لها حق الزواج ، أجاب يكون لها حق الزواج من غيره ولو لم يطلقها زوجها رسميا اذا خرجت من البلاد حتى لا تخضع للقانون الوضعى ٠

ويلاحظ أن الجماعة لم تتقيد فى الزواج بالسن الوارد فى القانون ، وانما كان يتم الزواج من المرأة متى بلغت شرعا ولو كان عمرها ١٣ سنة او دون ذلك ٠

وقد تسببت الجماعة فى تفريق وهدم أسرة السيد محمد عبد الرحمن عبد الجواد الذى كان يقيم مع أسرته بالفيوم ، فقد تزوجت البنت الكبرى من أحد رجال الجماعة وخرجت عن طوع أبيها وأغرت أختها للزواج من أحد أفراد الجماعة فأخرجتها عن طوع أبيها وزوجتها وسنها أقل من ١٦ سنة ، ثم أغروا الأم بالهروب من زوجها واعتبروه كافرا ، وبذلك اعتبرت مطلقة وشققوا الأسرة المكونة من ثمانية أفراد وأوقعوا الضغائن بينهم حتى تفرقوا وتشردوا ٠

تاسعا : تحريم الأخذ بغير ما ورد فى كتاب الله وسنة رسوله :

يقول سبحانه وتعالى فى سورة يونس : **(قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون)** ٠٠ ويقول تعالى فى سورة الأنعام **(قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها)** ٠٠ وقال تعالى فى سورة محمد **(أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)** ٠٠ ويقول تعالى فى سورة الجاثية **(فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون)** ويقول تعالى **(كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون)** ٠٠ ويقول تعالى **(وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله)**، **(فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)** ٠

وعلى ذلك يقرر شكرى أنه لا يأخذ بآراء الفقهاء ولا رأى أى مصدر آخر مهما تدرجت الحضارات والأفكار ، وحتى أحاديث الرسول فالأخذ بها يكون بتحفظ ، ولا مرونة اطلاقا مع ورود آيات الله ٠

عاشرا : القرآن الكريم قطعى الثبوت والأحاديث مكملة له :

يقول شكرى ان القرآن قطعى الثبوت من الناحية العملية الموجبة لتعظيمه ولعبادة الله بمقتضاه ولتحريم تبديل حرف فيه وللحكم به وهو

المطلوب ، ولكنه ليس قطعى الثبوت من الناحية النظرية ، لأن المصحف لم ينزله الله بقصد أن يكون صنما أو هيكلا شكليا ، وانما أنزل ليعمل به ، وقد أوجب العمل به وتحريم مخالفته وقرر أنه فى أعلى درجات الثبوت من الناحية العملية ٠٠ ولكن أشير الى ما بناه المنتسبون لمذهب أهل السنة على القاعدة التى تعدوها ان الايمان لا يزيد ولا ينقص ، وقالوا انه لا قيمة للأعمال مطلقا فى زيادة الايمان أو نقصه وان الطاعات لا تزيد الايمان شيئا وأن المعاصى لا تنقص الايمان ، لأن الايمان كامل قبلها فى الحالتين ، وقرروا أن الاقرار القلبى بناء على ذلك يكفى لدخول الفردوس الأعلى فى الجنة وأن مسألة اليقين النظرى والعملى مسألة شكلية لا قيمة لها مطلقا فى موضوع العبادة ، وأن الله قد رضى منا من الايمان بما يكفى لعبادته (**وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون**) ٠

ويقول شكرى أن الأحاديث النبوية القطعية جاءت تعدل وتنسخ وتكمل الآيات فيقول سبحانه وتعالى : (**وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله**) (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) (**وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى**) وكل هذه الآيات تثبت أن ما ينطق به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما هو الا وحى من ربه مما يجيز للحديث أن ينسخ بعض آيات من القرآن الكريم ، فقد جاء فى سورة الأنعام (**قل لا أجد فى ما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم**) وقد نسخ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحصر فى أربعة وأضاف اليها تحريم كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير والحمر الأهلية فى خيبر ٠

كذلك جاء فى سورة المائدة (**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير** ٠٠٠) الخ وقد نسخ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم هذه الآية بقوله (أحلت لكم ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال) ٠ كذلك قال الله تعالى (**الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**) ٠٠ وقد نسخ به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما هو الا وحى من ربه مما يجيز للحديث فارجموهما حتى الموت) ٠

حادى عشر : موقف الدولة من الربا والزنا والخمر :

قال شكرى ان العبرة بالمعنى وليس بالاسم ، فبالنسبة للربا فقد أفتى الشيخ شلتوت وهو شيخ للأزهر وقتئذ بأن فوائد البنوك التى تتعامل بها الدولة حلال من أنها تعتبر ربا حراما ، وقد فسر بعض الأئمة أن المقصود بالربا هو أخذ الفوائد على مال يحتاج اليه انسان وهو فى

ضائقة ، ولكن الفوائد في البنوك نعطى نتيجة التجارة والتعامل في السوق ، وليس مثلها مثل الربا الذى يفرض على الشخص وهو فى ضيق ومحتاج للمال ٠٠ أما الزنا فقد أباح القانون الوضعى للفتاة أن تتصرف فى عرضها وهى فى الثامنة عشرة من عمرها فلا تقع جريمة هتك العرض اذا كانت بموافقة الفتاة مادامت سنها فوق الثامنة عشرة ، بينما حرم عليها التصرف فى مالها قبل بلوغها الحادية والعشرين من عمرها ٠٠ وقد أباح الحكام المسلمون حرية المرأة والاختلاط وهذا من مقدمات الزنا وقد أثبت الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن العين تزنى واليد والأذن تزنيان ، وهذا كله اباحة للزنا ـ ولا شك ان ما ادعاه بعض الفقهاء من أن الحديث المذكور مدسوس غير صحيح ٠

أما عن الخمر فقد قرر الشيخ محمد سعاد جلال بأن الخمر غير محرمة وأن التجنيب أقل من التحريم ، ويقولون أن سورة النحل جاء بها (**ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون**) وفى سورة البقرة (**يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما**) وفى سورة النساء (**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**) وفى سورة المائدة (**يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**) وان التحريم الذى جاء فى سورة المائدة حرم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ولم يتناول الخمر بالتحريم ٠ وهذا التبرير لا أساس له ، لأن الآيات تدرجت من التحليل الى الاجتناب وهو مرادف ومساو للتحريم ٠

وقد استعرض شكرى مصطفى بعد ذلك الحرام والحلال فى الدين الاسلامى ومدى تطبيق الدولة لقواعده ، وقال ان حرف الميم يضع الحدود : معصية ـ محرم ـ مجتنب ـ مكروه ـ مباح ٠

وشرح أن القرآن الكريم والسنة تناولت هذه الحالات ٠

فالمعصية هى مخالفة وعدم أداء الأركان الخمسة للدين الإسلامى دون عذر ، وهى أخطر المخالفات فى الدين الاسلامى ، حيث يعتبر معظم الفقهاء أن المعصية عقوبتها الاعدام ، لأنها هى الكفر بعينه ، وان كان الله تعالى قد قرر فى كتابه الحكيم (**ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**) ٠

أما المحرم فقد جاء مطلقا وصريحا فى الآية الكريمة (**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير**) وأضيف اليها بالحديث الشريف (وكل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطيور والحمر الأهلية) والتحريم

هنا مطلق لا مناقشة ولا مجادلة فيه ، وقد ورد عليه استثناء في الحديث الشريف (أحلت لكم ميتتان ودمان الجراد والسمك والكبد والطحال) .

أما المجتنب فقد جاء ذكره في الآية الكريمة (**انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه**) والاجتناب هنا لفظا أقل درجة من التحريم ، كما يقرر البعض استنادا الى أن الجنب أى غير الطاهر يعتبر ناقص الكمال ، والحرمان هو عدم وجود الكمال أصلا ، فالاجتناب لفظا كما ورد في المصباح المنير هو ابعاد الشخص عن الشيء البغيض .

أما المكروه فهو الكثير من الأفعال التي تناقض المبادىء والمثل الاسلامية ، ولكنها لا عقاب عليها الا بالقوانين الوضعية ، وجزاؤها وثوابها عند الله تعالى ، مثل السفور وعدم الحجاب للنساء والتزين بالذهب للرجال - والكذب - والنفاق - والغش - والطمع - والاسراف والبخل والغناء والرقص غير المهذب ... الخ وكلها تصرفات مكروهة ولكن جرى العرف قديما وحديثا على عدم العقاب عليها .

أما عن الجرائم التي ترتكب من الأشخاص فلم يأت حصر لها ، وانما حدد أكثرها في الآيات القرآنية والأحاديث والاجتهاد بناء على التقسيم الذى ذكرناه حيث قسمت الى :

١ - جرائم الحدود وهي التي ترتكب في حق الله لصفتها العبادية الدينية ويعاقب عليها باعتبار مرتكبها كافرا .

٢ - جرائم قصاص ودية وهي الخاصة بالعدوان على الأفراد كالقتل والجرح وهي متعلقة بالمجنى عليه ، وقد أبيح فيها القصاص ودفع الدية .

٣ - جرائم التعذير وهي المتعلقة بحق الدولة في حماية الأمن العام ومتروك تقديرها للقاضي كجرائم السرقة والزنا والرشوة والخيانة ... الخ وان كان القرآن الكريم قد نص على العقاب في البعض منها ، كقطع يد السارق ، ورجم الزاني ، الا أنه ترك بعضها لتقدير أولى الأمر .

وهكذا يتضح مدى التنظيم الدنيوى الذى قام به الدين الاسلامى لوضع أسس المبادىء السليمة التي يسير عليها الاسلام ومعتنقوه .

ثانى عشر : الكافر واحلال دمه وعرضه وماله :

قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - (لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة) فمن انطبقت عليه هذه المواصفات فهو يستحق القتل - ولكن هل

يجوز قتل الكافر شرعا ؟ لقد قال سبحانه وتعالى : (**وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين**) (**ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**) (**لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى**) ٠٠ وقد دلت هذه الآيات على أنه اذا بدأ الكافرون بقتال المسلمين فحينئذ يجب قتلهم ، أما الكافر فلا يجب قتله ٠٠ وقد قال شكرى انه ورد فى القرآن الكريم (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**) (**ان الدين عند الله الاسلام**) وقد قال الرسول (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأنى رسول الله) وهذه النصوص قاطعة على وجوب ارجاع الناس الى دين الله وهو الاسلام ــ أما القول بقتل الكافر فله شرط أساسى وهو أن يبلغ بلاغا بينا أى يعطى المهلة الموضحة للاسلام ، الكافية للقول بأنه لن يسلم ، وبعد ذلك اذا استمر فى كفره فهو يستحق القتل ، كذلك كل مسلم تارك لركن من أركان الاسلام ، ومنها الجماعة والبيعة فهو كافر يستحق القتل ويحل دمه وعرضه وماله ٠٠ واذا حكمنا على انسان بالكفر فغالبا ما يكون ذلك دفاعا عن الاسلام وعن النفس ، وقد اعتبرنا معظم شيوخ الأزهر كفارا لأنهم يعملون فى وزارة كافرة مشرفة على مساجد الضرار ، وأقسموا اليمين على الحكم بما لم ينزله الله ويستحقون القتل من الناحية النظرية ، ولكن اذا قتلهم أحد من أتباعنا فانه لا يستحق القود أى القتل ، قال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (لا يقتل مسلم بكافر) ٠

ثالث عشر : الديمقراطية والدستور ومجلس الشعب :

يرى شكرى أن الدستور باطل لأنه مستنبط من غير الشريعة الاسلامية وأن مصادره معظمها القوانين الأجنبية ، ودليل بطلانه أنه ينص فى مادته السادسة على أن الشعب مصدر السلطات حيث أن الأمر كله لله ، وان له الخلق والأمر ، وأنه هو الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ، وانه لا سلطان لأحد على مخلوق فردا كان أو أمة أو شعبا من حيث المبدأ ، ولا ينتهى اليه أمر التشريع ولا يكون مصدرا للتلقى والهداية والحكم لله العلى الكبير ٠٠ ولما قيل لشكرى ان المقصود فى تطبيق نظام الديمقراطية والدستور ومجلس الشعب هو غل يد الحاكم عن الاستبداد بالشعب وظلمه وحمله على ما يكره وتأييدا لمبدأ الشورى وعدم الانفراد بالقرار ، ومنع التسلط والظلم ، عاد وقرر أن هذا المفهوم غير مطبق ، ولو أن هذا مخالف لأحكام الشريعة الاسلامية وقلب لميزان العلاقة بين الأمة وامامها حيث لم يجعل للأمة السلطة على الحاكم ، وانما جعل للحاكم السلطة على الأمة اذا حكمها بكتاب الله وسنته ، وما ذكر عن الشورى فهو

مخالف تماما لهذا المعنى حيث ان الحاكم فى الأمة المسلمة هو الذى يختار موضوع الشورى ويختار من يستشيرهم ، والشورى بعد ذلك معلمة له وليست ملزمة ، وله أن ينفرد برأيه بعـد الشورى ، وان اجتمعت الأمة كلها على خلاف رأيه ، والنص القرآنى القائل للرسول **(وشاورهم فى الامر)** لم يكلفهم بفرض الشورى على الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ واضافة الألف واللام يعنى الجلل من الأمر ، وليس كل أمر ·

كذلك أنكر شكرى تعيين الرئيس بالانتخاب ، وقرر أن الخلافة كانت بيعة من الخليفة السابق ، فهو الذى يعين خليفته أو يدخله ضمن ناس يختار من بينهم ، أو أن يأتى الاختيار تلقائيا من قبل المقربين للخليفة الأول فيختارون منهم واحدا ، فكأن الخليفة هو الذى اختاره بطريق غير مباشر ولا يترك للشعب أن يستفتى عليه ·

ولما سئل : انه اذا تم الاختيار للامام بمعرفة مجلس محدود العدد ثم أستفتى الشعب عليه ألا يقابل ذلك نظام الاختيار بمعرفة أهل الحل والعقد ، ثم البيعة بعد ذلك ــ تهرب من الاجابة ، وقرر أن أهل الحل والعقد الذى اختارهم هو الحاكم ، وليس الشعب ، وعندما سئل : كيف عينت على رأس جماعتك أجاب هذا موضوع آخر ·

حادث اغتيال الدكتور الذهبى

وزير الأوقاف السابق

بأيدى جماعة التكفير الهجرة

١ – خلال شهر يونية عام ١٩٧٧ قررت قيادة تنظيم جماعة التكفير والهجرة القيام بعملية اختطاف لأحد المسئولين بالدولة للضغط على السلطات لتنفيذ مطالبهم التى كانت تتلخص فى الافراج عن المحبوسين منهم ، وتسليم طفلة كانت مسلمة لأحد المنشقين عنهم وهو ليس والدها ، وتسليم الجماعة مائتى ألف جنيه كتعويض عما أصابهم من أضرار ، واعلان فكر الجماعة بأجهزة الاعلام ٠

وقد اجتمعت هذه القيادة برئاسة شكرى أحمد مصطفى وعضوية أنور مأمون صقر وماهر عبد العزيز بكرى ومحمد خالد صقر ومجدى صابر حبيب وأحمد طارق عبد العليم وقد وقع الاختيار على المستشار القليوبى النائب العام ، ثم عدل عنه بعد أن رسم منزله على خريطة وتبين أن المنزل يقع بجانب احدى السفارات التى تقوم عليها حراسة داخلية وخارجية فى منطقة الدقى ثم استقر رأى الجماعة على اختطاف المرحوم الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف لعدة أسباب هى :

(أ) أن المذكور سبق أن هاجم الجماعة ووصفها بأنها مضللة مما جعلهم يصفونه بالكفر وأباحة أهدار دمه ٠

(ب) أنه وزير سابق وسيكون محل اهتمام الدولة ٠

(جـ) عدم وجود حراسة على منزله ووجود المنزل فى منطقة نائية (حلوان) ٠

وقد قام شكرى أحمد مصطفى برسم خريطة لمنزل الدكتور الذهبى بخط يده موضحا بها الشوارع والمنازل المحيطة به (أثبت الطب الشرعى خطه) وشرح الخطة تفصيليا وحدد دور كل شخص فيها على ورقة أخرى (أثبت الطب الشرعى خطه) وأعطى القرار النهائى للقيام بالعملية ٠

٢ – فى مساء يوم السبت ١٩٧٧/٧/٢ تقابل ابراهيم أبو دنيا وابراهيم حجازى ومعهم أنور صقر والسيد عبد الحميد صقر بمحطة

الدمرداش ، وكان الأول يقود سيارة مازدا والثانى يقود سيارة ١٢٨ قام باستئجارها ابراهيم أبو دنيا وتوجها معا الى شقة نصر الدين بأول شارع الهرم وهناك اجتمع كل من أنور مأمون صقر وماهر عبد العزيز بكرى ومجدى صابر حبيب ومحمد السيد صقر وأحمد طارق عبد العليم ومحمد ابراهيم أبو دنيا وابراهيم حجازى ومحمد عباس عبد العال واسماعيل حسن نصار وعبد الرازق صالح ومحمد سالم الباجورى ومصطفى عبد المقصود غازى والبط توفيق على أحمد وصابر مختار مدكور ثم أخذ أنور مأمون يشرح للجميع خطة خطف الشيخ الذهبى تفصيليا ودور كل شخص أثناء التنفيذ ثم أعقبه ماهر عبد العزيز بكرى حيث تكلم عن شرعية هذا العمل وأنه ليس حراما أن يتم الخطف لانقاذ زملائهم المحبوسين ، وحتى يعلن عن فكرهم بواسطة الضغط على السلطات، وعقب ذلك غادر ابراهيم أبو دنيا الشقة ومعه كل من مصطفى غازى والبط توفيق وصابر مختار مدكور الذين وقع عليهم الاختيار لحراسة الرهينة عند احضارها ، توجه بهم الى شقة حسن محمد نمرة ٢١ بالهرم وهى الشقة التى كان ابراهيم أبو دنيا قد استأجرها يوم الجمعة ١٩٧٧/٧/١ بايجار شهرى ١٥٠ جنيها حيث تركهم ومعهم رشاش للحراسة وعاد الى شقة نصر الدين .

٣ — غادر المنزل كل من أنور مأمون صقر وكان يحمل مسدسا ومحمد السيد صقر غير مسلح وأحمد طارق عبد العليم الذى كان يرتدى بدلة شرطة مدنية برتبة رائد وكان يحمل مسدسا واستقلوا جميعا العربة الفيات رقم ٨٠٣٤٢ ملاكى القاهرة ولونها سمنى ويقودها ابراهيم أبو دنيا الذى كان مسلحا برشاش متجهين الى حلوان ومن خلفهما العربة المازدا رقم ٢٨٧٩٣ ملاكى القاهرة ولونها خضراء ويقودها ابراهيم حجازى مسلحا برشاش ، ومعه سالم الباجورى دون سلاح ومحمد عباس مسلحا برشاش واسماعيل نصار مسلحا بمسدس ومحمود عبد الرازق مسلحا بمسدس وبقى كل من ماهر عبد العزيز بكرى ومجدى صابر حبيب بشقة نصر الدين فى انتظار نتيجة العملية .

فى نفس الوقت كان محمود عزام قد استأجر شقة بمدينة الأندلس بالهرم يقيم بها كل من أحمد نصر الله حجاج ومحمد صبرى القطب لاستقبال أعضاء الجماعة أثناء تنفيذ العملية .

كذلك استأجرت الجماعة شقة ٤ شارع أبو المجد بالزيتون كان يقيم بها أحمد الصادق وعلى جاد .

وكذلك استأجرت شـقة (٨٩) شارع القائد بمنشية الصدر كان يقيم بها اسلام عاطف ومحمد جمال السيد وجمال غريب حشيش ورزق عبد العزيز سالم وعبد الله غزالة لتوزيع بيان التنظيم ٠

وكذلك استأجرت شقة رقم ٣٣ شارع حسين محمود بمصر الجديدة كان يقيم بها أنور مأمون صقر ٠

كذلك تواجد شكرى أحمد مصطفى ومعه محمد خالد صقر فى الشقة ١٠ شارع المراغى دير الملاك بحدائق القبة للاتصـــال بهما واخطارهما بالنتييجة ٠

هذا بخلاف بعض الشقق الأخرى التى استأجرتها الجماعة للاقامة بها وايداع بعض الأسلحة والمتفجرات بها خلاف شقق المنصورة والزيتون والاسكندرية التى كانت مجهزة بالشراك الخداعية ٠

٤ ـ وصلت جماعة الخطف الى فيلا الذهبى بالعربة الفيـــات فى الثانية الا عشر دقائق من صباح الأحد ٧/٣ ووقفت أمام الباب وعلى بعد خمسين مترا تعطلت العربة المازدا لانفجار احدى العجلات ٠

نزل طارق ومعه أنور مأمون صقر ومحمد السيد صقر ودقوا جرس الباب ففتح الدكتور مصطفى الذهبى شباك حجرة الصالون ، وسألهم ماذا يريدون فأجابوا أنهم يطلبون الدكتور الذهبى فاستفسر هل المطلوب هو الطبيب أم الشيخ ، ثم فتح لهـــم باب الصالون ، وأخبروه وهم واقفون داخـــل الصالون أنهم يريدون الشيخ الذهبى ٠ فذهب الدكتور وأيقظ والده وحضرت معه ابنته أســـماء التى كانت قد استيقظت على صـــوت الجماعة ونظرت من نافذة حجرتها فأبصرت شخصا معه رشاش ويقول (اجهز) وحاولت أسماء منع والدها من الدخول الا انه صمم على مقابلة هؤلاء الأفراد ومعه ابنتـــه وابنـــه ، وما أن دخلوا اليهم بالصـــالون حتى أبصروا خلفهم اثنين آخرين ولما استفسر منهم عن سبب طلبه فى هذه الساعة المتأخرة من الليل قال له أنور مأمون صقر أنهم يطلبونه لأمر هام فى مباحث أمن الدولة فرد عليهم قائلا أروح لهم الصبح ، وتدخلت ابنته فى الحديث تعترض على هذا التصرف وطالبت باثبات شخصيتهم قائلة لهم سأتصل بأحد أفراد شرطة المباحث من الجيران ، وهنـــا تدخـل أحمد طارق الذى يرتدى بدلة رائد شرطة مدنيـــة قائلا مافيش داعى للتعطيل وأخرج مسدســـه كما أخرج كل من الاثنين اللذين جاءا أخيرا سلاحهما وهما اسماعيل نصار (طبنجة) ومحمد عباس (رشاش) ، وتوجـــه محمـــد السيد صقر الى الشيخ واحتضنه وسحبه الى الخارج ، وكان محمد عباس يغطى عملية الخطف بالرشـــاش الذى كان معه حتى

أركبوه العربة الفيات بجلبابه الأبيض ووضعوا على عينيه ورقا لاصقا ، وقال الدكتور مصطفى لشقيقته استنجدى بالناس فأخذت تصرخ وتصيح واختفت العربة التى كان موتورها دائرا حاملة المجنى عليه فى الخلف معه كل من أنور صقر ومحمد السيد صقر وأحمد طارق والسائق ابراهيم أبو دنيا ولم تستغرق هذه العملية كلها أكثر من ٥ دقائق ، وفى هذه اللحظة كان سائق العربة الثانية يقوم باصلاح العجلة كان الأربعة الآخرون قد غادروها الى الفيلا : محمد عباس واسماعيل نصار ومحمود عبد الرازق الذى كان يحمل مسدسا ليبعد الناس الذين وقفوا متفرجين وسالم الباجورى الذى كان لا يحمل سلاحا ، ويعمل كمخبر لمجموعة الخطف ، قد قام هؤلاء الأربعة عقب هروب العربة الفيات بالانتشار فورا فى الحقول مبتعدين عن مكان الحادث وفى طريق عودتهم أخفوا الرشاش الذى معهم والطبنجتين فى احدى المزارع وهاموا على وجوههم حتى وجدوا تاكسى نقلهم الى شقة نصر الدين بالهرم ٠

أما السائق ابراهيم حجازى فقد تجمع عليه الناس وسألوه ماذا يفعل فقال أنه من المباحث وطلب منهم الابتعاد عنه ، ثم عاد وقال انه استأجر هذه العربة من عابدين وجاء فى مأمورية خاصة ، ولكنه تعرض لاعتداء الأهالى عندما ضبطوا بالعربة مدفع رشاش على الدواسة الأمامية وخزنتين له واقتيد الى منزل الدكتور الذهبى حيث كانت الأسرة قد أبلغت الشرطة وبدأت المباحث وأفراد الأمن ونائب وزير الداخلية فى الوصول والتحقيق فى الحادث ٠

٥ ـ وصلت العربة الفيات ١٢٨ الى الشقة ١٥ شارع حسن محمد (ستوديو الهرم) فى حوالى الثانية والنصف صباحا ، ومعها الرهينة ، وكان ينتظرهم هناك أفراد الحراسة مصطفى غازى والبط توفيق وصابر مختار مذكور حيث صعد المجنى عليه الى الشقة ، ومعه كل من أنور مأمون صقر وسيد صقر وأحمد طارق وابراهيم أبو دنيا ، وقد قام مصطفى غازى بربط المجنى عليه بالسلسلة فى السرير الذى رقد عليه ، ثم توجه الأربعة المذكورين الى شقة نصر الدين بالهرم حيث أعطوا « تمام » لماهر ومجدى وتركوا محمد السيد صقر فى الشقة ، ونزل كل من ماهر ومجدى وأنور صقر وأبو دنيا وبعد قليل وصلت مجموعة الخطف الثانية التى كانت فى العربة المازدا الى الشقة وهم اسماعيل نصار وسالم الباجورى ومحمد عباس ومحمود عبد الرازق وبعد ذلك توجه ماهر ومجدى وأنور مأمون صقر بواسطة العربة الفيات التى يقودها ابراهيم أبو دنيا الى شقة دير الملاك حيث صعدوا الى شكرى وأبلغوه بما تم ٠ وفى صباح الأحد أخبر طارق

الجماعة المقيمة فى شقة نصر الدين بأن يتفرقوا وانتظر هو بالشقة حتى عاد ابراهيم أبو دنيا ومعه محمد محمد خالد صقر اليه وأخذه محمد خالد صقر وذهبوا الى شكرى فى شقة دير الملاك بينما ذهب ابراهيم أبـو دنيـا مصطحبا معه محمد السيد صقر واشتروا بعض المأكولات وأوصلوها الى الشقة التى بها المجنى عليه ، ثم عادوا الى شـقة منشية الصدر حيث تقابلوا مع صفوت الزينى الذى كان يوزع البيان الخاص بالجماعة ، ثم نزلوا الى شقة الزيتون وأوصـل محمـد السيد صقر هنـاك فقابل أحمد الصادق ونصر الله حجاج وعلى جاد ثم توجه ابراهيم أبو دنيا الى شقة حدائق القبة ومعه دوكو ومسدس لدهان العربة كتكليف حسن البنا مصطفى له وهناك ترك العربة فى الجراج ·

كان البيان الذى يشتمل على مطالب الجماعة قد كتب على الماكينـة بواسطة مغاورى عوف قبل الحادث بواسـطة المجموعة القيـادية وهم شكرى وماهر وأنور ومحمد خالد ومجدى وبعد حادث الخطف ملء نهاية البيان بخط كل من شكرى وماهر ومأمون وآخرين ثم أخذه صفوت الزينى فى العاشرة من صباح الأحد ووزعه على كل من جمال السيد الذى ضبط فى رياسة مجلس الوزراء سعت ١٢ ظهرا يوم ١٩٧٧/٧/٣ ومعه البيان وجمال غريب حشيش الذى ضبط بالوكالة الفرنسية سعت ١٢ر٣٠ ظهرا ومعه ظرف مفتوح به البيان مذيل بعبارة بخط أنور مأمون صقر وعبد الله غزالة الذى ضبط فى وكالة يونايتدبرس سعت ١ر٣٠ ظهرا وكان معه صورة من البيان ومذكرة موجهة الى الجامعة العربية ورزق سالم الذى ضبط فى دار الجمهورية سعت ٣ر٣٠ بعد الظهر ومعه بيانات ذيلا بخط كل من شكرى وماهر ·

مع خيوط فجر الأحد ١٩٧٧/٧/٣ بدأت أجهزة الأمن تتحرك بنشاط غير عادى فبمجرد القبض على ابراهيم حجازى فى مكان الحادث عرف عنه أنه من جماعة التكفير والهجرة ، وفى الحال نقل الشهود الى قسم شرطة حلوان ثم الى مبنى المباحث العامة بالقاهرة حيث عرضت عليهم بعض الصور واستطاع انجال الشيخ الذهبى التعرف على بعض صور المتهمين ، مثـل أنور مأمون صقر وأحمد طارق عبد العليم وفى نفس الوقت أبلغت رياسة مجلس الوزراء المباحث أن هناك شخصا حضر لمقابلة السيد رئيس الوزراء لاعطائه بيانا من الجماعة ، فأخطرت المباحث العامة وكالات الأنباء ودور الصحافة لاخطارهم بأى مندوب يحضر اليهم كما أوفدت بعض ضباطهـا لترقب وصول هذا المندوب ، وأمكن القبض على من تقدم الى هذه الدور والوكالات فى نفس اليوم كما سبق ، وحاول جهاز المباحث العامة الحصول على أى معلومات من ابراهيم حجازى أو جمال السيد الا أنهم لم يصلوا الى

نتيجة وأخيرا اتفقوا مع جمال السيد على أن الدولة على استعداد لاجابة مطالبهم في حدود المعقول وأنها ستفرج عن المحبوسين وستقوم النيابة بتسليم الطفلة الى والدتها ، ونفذت وعدها بأن أطلقت سراح جمال السيد لعرض النتيجة على قيادة الجماعة ٠

كانت الجماعة قد بدأت اتصالاتهـــا بالسلطات ، فقد ذهب ماهر عبد العزيز بكرى وأنور مأمون صقر الى شقة مصر الجديدة شارع الدكتور حسن محمـــود وكلفوا صفوت الزينى بالتوجه الى شقة منشية الصدر لارسال البيانات مع الأفراد المختارين لهذا العمل والسابق ذكرهم ، وفى نفس الوقت كان كل من ماهر وأنور يتصلان بوزارة الداخلية ووكالات الأنباء والصحف لاخطارهم بما حدث ٠ ويخبرانهم بأنهم فى انتظار رد الحكومة على البيان خلال ٢٤ ساعة من الساعة الثانية عشرة ظهر الأحد حتى الثانية عشرة ظهـــر الاثنين والا فسيقومون بقتل الرهينـــة ، وفى الثامنة والنصف من مساء الأحد أذاعت وزارة الداخلية بيـــانا تناشد الجمـــاعة الافـــراج عن الشـــيخ الذهبى ٠ وأفرجت السلطـــات عن محمد جمال السيد للاتصال بالجماعة ووضعته تحت المراقبة الا أنه هرب منهم وذهب لمقابلة الجماعة فى شقة دير الملاك وأخبرهم بموافقة السلطات على ارجاع البنت الى أهلها وموافقتهم على دفع المبلغ المطلوب على أن يكون ذلك سرا وموافقتهـــم على نشر كتاب الخلافة وموافقتهم على الافراج عن الاخـــوة المحبوسين ، وقـــرر لهم أن السلطات رفضت الافراج عن بعض المحبوسين الآخرين ، ولم توافق على الاعتذار لهم على صفحات الجرائد ، ثم عاد محمد جمال السيد الى وزارة الداخلية يوم الاثنين ٧٧/٧/٤ ومعه خطاب من شكرى مطالبا بتنفيذ مطالب الجماعة بالكامل مع موافقة الجماعة على مد المهلة الى الخامسة مساء بناء على طلب السلطات ، وعاد ثانية الى الجمـــاعة بعـــد أن هرب من الرقابة للمرة الثانية وقرر لهم أن السلطات لم توافق على بعض الطلبات ، ولكن تناشدهم الافراج عن الرهينة ، ولم يعد ثانية وكانت السلطات قد قبضت فى مساء يوم الأحد على جمال فراج أثناء تفتيش منزل ابراهيم حجازى ، كما قبضت على عبد الفتاح مدكور بشقة المتهم عبد المحسن ابراهيم ثم أصدرت أوامرها بالافراج عن كل من هاشم بكرى المحبوس احتياطيا من قبل ، وعبد الفتاح مدكور للاتصال بالجماعة ومفاوضتهم فى طلباتهم ، وقد تمكن هاشم بكرى من الهروب من الرقابة ووصل الى الجماعة فى شقة دير الملاك ثم اتصل بالمباحث وأخبرهم برفض الجماعة لشروطهم مع موافقـــة شـــكرى على مد المهلة الى الساعة الخامسة مساء أما عبد الفتاح مدكور فقد ذهب الى شقة منشية الصدر ولم يعد٠وقد عملت السلطات على الاتصال بكل من الأستاذ شوكت التونى المحامى والشيخ مصطفى الغاياتى كمحاولة للاتصـــال بالجماعة ، وفى

نفس الوقت أصدرت النيابة أمرا بتسليم الطفلة الى والدتها وكانت كل هذه المحاولات لانقاذ حياة الدكتور الذهبى .

٧ ـ بعد أن تسلم مصطفى غازى ومن معه الشيخ الذهبى فى شقة ستوديو الأهرام بالجيزة سألهم الشيخ الذهبى قائلا ماذا تريدون منى ، فأخبروه بأن هذا اجراء ضرورى ولن يتعرض لأى أذى فاستسلم لهم ورقد فى السرير ، وسمحوا له بعد ذلك بدخول دورة المياه والوضوء والصلاة وتناول الأكل من المعلبات التى أحضروها ، وطوال يوم الأحد ٣/٧/٧٧ واليوم التالى كان اتصال الجماعة بسلطات الأمن ووكالات الأنباء والصحافة لا يزال مستمرا ، وامتدت المهلة المحددة للمحافظة على حياة الدكتور الذهبى حتى الخامسة من مساء يوم الاثنين ، وعندما تأكد للجماعة عدم ورود معلومات جديدة من الداخلية تفيد استجابتها للمطالب اجتمعت الجماعة القيادية برئاسة شكرى أحمد مصطفى وماهر بكرى وأنور صقر ومجدى صابر حبيب ومحمد خالد صقر وأحمد طارق عبد العليم واتخذوا قرارا بقتل الدكتور الذهبى لاظهار قوة الجماعة وتنفيذ تهديدها لعدم خضوع السلطات لأوامرهم (وقد جاء هذا القرار فى صورة البيان الذى عثر عليه فى شقة مصر الجديدة بخط ماهر تعترف الجماعة فيها بقتل الذهبى كما جاء بتقرير الطب الشرعى) . وتوجه أحمد طارق مساء الاثنين الى الشقة الموجود بها الدكتور الذهبى وكان معه شنطة سوداء وقابل مصطفى غازى والبط توفيق وأعطاهم الشنطة ليجمعوا فيها حاجاتهم ، وقرر لهم أن السلطات لم تستجب لطلبات الجماعة ، وأنهم قرروا قتله وأخرج مسدسا صغيرا كان معه ملفوفا فى خرقة ، وتوجه الى داخل الغرفة التى كان بها الدكتور الذهبى وصاحبه فى ذلك مصطفى غازى ، وكان المجنى عليه نائما على السرير واقعا تحت تأثير دواء مخدر أعطى له فى الطعام (ثبت من تشريح الجثة وجود مادة ماندركس المخدرة فى أحشاء المجنى عليه) وتم نقل المجنى عليه الى الطرف الأيسر من السرير وقال له مصطفى غازى أنه سيعصب عينيه حتى لا يرى زائرين قادمين اليهم بالشقة وتم تعصيب عينيه فعلا بقماش نايلون يحتمل أنه شراب حريمى ، ثم أطلق أحمد طارق طلقة واحدة من المسدس الذى كان معه على عينه اليسرى ، ثم انطلق خارجا ورائه كل من مصطفى والبط توفيق وصابر مختار مدكور الذين توجهوا الى شقة الأندلس حيث أمضوا مساء الاثنين مع أحمد نصر الله حجاج وصبرى قطب وفى صباح الثلاثاء ١٩٧٧/٧/٥ تلقى مصطفى غازى رسالة خطية حملها اليه محمود عزام (ثبت أنها بخط كل من شكرى مصطفى وأحمد طارق كما جاء بتقرير الطب الشرعى) يطلبان فيها من مصطفى غازى استئجار عربة كارو ونقل الرهينة عليها وتغطيتها بالخضروات والخروج بها الساعة ٤ فى الفجر الى شارع الهرم وتترك عند ترعة الزمر ويوضع على الرهينة

نشادر أو روح النعناع وقد اعترض مصطفى غازى على هذا النقل ، وقال لمحمود عزام انه يريد مقابلة أنور مأمون صقر للتفاهم معه فى هذا الخصوص ، وذهب بعد ظهر الثلاثاء معه الى شقة دير الملاك ناحية حدائق القبة وجلسوا فى أحد المقاهى ، وذهب محمود عزام وقرر أنه لم يجد أنور مأمون صقر وحتى الحادية عشرة مساء عندما لم يأت المذكور ترك مصطفى غازى رسالة اليه اعترف أنها بخطه يقول له فيها ان أعصاب الناس تلفانة وأنه لا يجد أى عربة لاستئجارها ، وأنه ليس معه مفتاح الشقة ، وأن صاحب البيت والسمسار حضروا الى الشقة ، وترك محمود عزام رسالة مصطفى غازى الموجهة الى أنور صقر ، ومعها ورقة منه يخبره فيها بأن مصطفى غازى يريد مقابلته على المقهى فى كوبرى القبة (وقد اعترف محمود عزام بكتابة هذه الورقة الا أنه قرر أن المباحث هى التى استكتبته اياها) وقد ضبطت هاتان الرسالتان اللتان سلمتا الى محمد السيد صقر فى منزل شارع مصر والسودان حيث كان يقيم كل من محمود عزام ومحمد السيد صقر وابراهيم أبو دنيا عندما قبض عليهم يوم ١٩٧٧/٧/٦ وقد أعطى محمود عزام عند انصرافه عقد شقة استديو الأهرام ، كما أعطاه بطاقة شخصية مزورة . وعاد مصطفى غازى فى منتصف ليلة الثلاثاء ١٩٧٧/٧/٥ الى شقة الأندلس بالهرم لانتظار تعليمات الجماعة بعد أن ترك رسالته بعدم امكانية نقل الجثة ، وعندما وصل الى باب الشقة فوجىء بالكمين الذي كان قد قبض على كل من نصر الله حجاج وصبرى قطب قبله بساعات واقتاده ضابط المباحث الى داخل الشقة وسأله عن سبب حضوره فأجاب بأنه يبحث عن سائق لتعليمه السواقة ، وكان ردا غريبا لتجاوز الوقت منتصف الليل .. وهنا لاحظ الضابط أن مصطفى غازى قد دفع شيئا فى فمه فسأله ما هذا فقال لبانه ، ولما طلبها منه أخرجها وألقاها على الأرض فالتقطها الضابط فوجد بها أوامر نقل الرهينة على عربة كارو ووضع روح النعناع والنشادر عليها السابق الاشارة اليها ، فألقى القبض على مصطفى غازى وفتشه فوجد معه عقد شقة استوديو الهرم وهناك فى ادارة المباحث استدلت السلطات على مكان المجنى عليه من هذا العقد ، وتوجهت أجهزة الأمن والنيابة الى الشقة المذكورة فى فجر الأربعاء ١٩٧٧/٧/٦ حيث لاحظ الجميع صدور رائحة كريهة من داخل الشقة وفتح خبير المفرقعات الشقة ودخل الجميع وتلاحظ لهم بمجرد الدخول رؤية أرجل المجنى عليه داخل الحجرة التى كان يرقد بها والتى كان بابها مفتوحا وعند دخولهم الى الحجرة وجدوا جثة الدكتور الذهبى وكانت منتفخة لمرور حوالى ٤٨ ساعة على القتل ، وتخيط بها الدماء من كل جانب على السرير وعلى الأرض ، وكانت عيناه معصوبتين ويظهر آثار طلق نارى فى عينه اليسرى ، وعثر فى الحجرة على المقذوف النارى لطبنجة ٧٫٦٥ .

كما عثر فى الشقة على آثار بصمات لكف مصطفى غازى على الحوض ـ ونقلت الجثـــة الى المشرحة وتم فحص المنزل وبدأت التحقيقـات تأخذ مجـــراها ٠

٨ ـ تعقبت السلطات أفراد الجماعة من لحظة ارتكاب حادث الخطف وقامت باجراء مسح شامل للشقق المفروشـــة فى القـاهرة والجيزة ، ونجحت رقابتها على المتهم المفرج عنه عبد الفتاح مدكور وتعقبته حتى دخل شقة رقمها ٨٩ شارع القائد فى منشية الصدر ، وراقبت المباحث الشقة وعززت الحراسة عليها لاحتمال وجود الشيخ الذهبى بها ، وقد خرج عبد الفتاح مدكور من الشقة بصحبة جمال السيد وتغيبا عن الشقة لمدة ساعة تقريبا ، ثم عادا ثانية وهما تحت أعين رجال المباحث ودخلا الشقة ثانية وفى ظهر يوم الثلاثاء ١٩٧٧/٧/٥ قبضت المباحث على عبد الفتاح مدكور وهو يغادر الشقة ، ثم قامت باقتحامها بعد أن دقت جرس الباب حيث وجدت كلا من أسلام محمد عاطف وطه حسن الزينى ومحمد سعد السيد ومحمد جمال السيد وقد حاول الأخير القاء ورقة من النافذة التقطها أفراد المباحث وكان بها تعليمات من الجماعة وضبط بالشقة بعض عقود ايجار لشقق مختلفة وبعض النقود وجـوزات السفر وبعض الخطـابات والأوراق المختلفة وبعض صور الرسائل الموجهـــة الى رئيس الجمهورية وبعض التعليمات الخاصة بأمن الجمـــاعة وبعض كتب خاصـــة بأفكار شكرى مصطفى ، كما وجد كرتونة بها بعض المتفجرات ٠ وفى نفس اليوم ١٩٧٧/٧/٥ ضبطت مباحث الجيزة فى الشقة رقم ٢٠ شارع محمد حسن بمدينة الأندلس بالهرم كلا من أحمد نصر الله حجاج ومحمد صبرى قطب وضبط بالشقة رشاش بورسعيد وبعض الطلقات الخاصة به ، كما ضبط مسدس بساقية أمريكى الصنع وعدد من الطلقات ووجدت أوراق ثبت أنها بخط شكرى مصطفى بها خطة خطف الدكتور الذهبى ورسم كروكى لمنزله وبعض الأسماء الحركية ، كما وجد بالشقة بعض بطاقات تحقيق الشخصية وبعض عقود الايجار والكثير من الأوراق الخاصـــــة بتعليمات الجماعة وأفكارهم كما وجدت سلسلتان طول كل منهما حوالى متر بهما قفل يحتمل أنهما استعملتا فى تقييد المجنى عليه ٠

وقد أعد كمين فى نفس الشقة تمكن فى ساعة متأخرة من نفس الليلة من القبض على المتهم مصطفى غازى الذى كان يتردد على الشقة المذكورة ٠

فى صباح يـــوم ١٩٧٧/٧/٦ قبضت المباحث على كل من محمـــود عبد العزيز عزام ومحمد السيد صقر ومحمد ابرهيم أبو دنيا فى الشقة رقم ٣ أ شارع الشيخ حمزه المتفرع من شارع مصر والسودان وضبطت معهـم مفاتيح العربة ١٢٨ وبعض المطـاوى قرن الغزال وبعض الأوراق

الهامة ، منها ورقة بخط مصطفى غازى يقرر فيها أن أعصاب الناس تلفانة وأنه لا يستطيع استئجار عربة كاروا وأنه ليس معه مفتاح الشقة كما وجد ورقة أخرى موجهة الى أنور مأمون صقر للاتصال بهم ٠

وفى يوم ١٩٧٧/٧/٨ تمكنت المباحث من القبض على المتهم الأول شكرى مصطفى أثناء توجهه الى منزله بعزبة النخل سعت ١٢ر٣٠ مساء ومعه زوجته استشهاد حسن البنا ، وكان قد ترك شقة دير الملاك هو وجماعته مساء الخميس ١٩٧٧/٧/٧ وحاول الهرب الى مديرية التحرير ، ولكنه عندما ركب القطار لم يقابله من كان سيذهب معه الى هناك ، فاضطر الى العودة من بنها الى القاهرة وقد قرر جميع ضباط المباحث الدين التقوا به فى قسم المطرية أنه قرر لهم أنه قام مع جماعته بخطف وقتل الشيخ الذهبى بسبب عدم تنفيذ مطالب الجماعة وبتفتيش المنزل الذى كان يقيم فيه بعزبة النخل وهو مكون من ثلاث غرف وجد به الكثير من الأوراق المختلفة عن أفكار الجماعة وايصالات وتحقيق شخصية وشهادات وعقود ايجار وايصالات وصور فوتوغرافية ٠

وفى نفس اليوم قامت المباحث بالقاء القبض على المتهم أحمد ابراهيم الصادق أثناء دخوله الشقة رقم ٤ شارع أبو المجد بالزيتون ، وقد حاول مقاومة السلطات وأطلق عدة طلقات نارية الا أنهم تمكنوا من القبض عليه وضبطت الطبنجة وهى عيار ٩ مم ماركة حلوان وضبطت معه شنطة تحتوى على بعض الآيات من القرآن الكريم وبعض التفاسير وقسيمة الزواج ٠

وبتاريخ ١٩٧٧/٧/٩ ضبطت المباحث شقة رقم ٤ شارع جمال المتفرع من دار السعادة بالزيتون ووجد بها حقيبة متفجرات وعدد ٢ رشاش بورسعيد ومسدس طليانى ، ٣١٥ طلقة ٩ مم ، ١٥ مطواة قرن غزال ، ١٤ ساطورا وبلطة وبدلة ضابط شرطة مدنية بيضاء وكاب وعدد خمسة بيريهات شرطة عسكرية حمراء وخمسة شارات حمراء للشرطة العسكرية وخمسة أفرول كاكى وبعض المهمات الأخرى المختلفة ٠

وفى صباح نفس اليوم ١٩٧٧/٧/٩ وضع كمين من المباحث على الشقة ٣٣ شارع الدكتور حسن محمود بمصر الجديدة حيث قبض فى الساعة السادسة صباحا على أنور مأمون صقر ومعه ثلاث سيدات يغادرن الشقة ، وقد فتشت الشقة بحضورهم وضبط فيها طبنجة ماركة ولتر عيار ٧ر٦٥ وبها مشط داخله ٦ طلقات وعثر على ورقة خطية تفيد الاعتراف بأن الطبنجة التى قتل بها الذهبى عيار ٧ر٦٥ (ثبت أنها بخط محمد خالد صقر كما جاء بتقرير الطب الشرعى) وكانت الطبنجة مخبأة داخل دولاب بحجرة النوم الرئيسية (وقد ثبت من فحصها بواسطة الطب الشرعى أنها الطبنجة التى ارتكبت بها حادثة القتل) كما عثر على الكثير من الأوراق



والمستندات الهامة منها بيانات الجماعة واعترافات بأنهم خططوا لخطف وقتل الشيخ الذهبي وعناوين لشخصيات متعددة وبرطمان به المتفجرات المعدة للاستعمال . وقد أستمر الكمين في الشقة وفي الساعة التاسعة والنصف صباحا ضبط كل من مجدي صابر حبيب ومحمد خالد صقر وعبد المنعم أبو ياسين وكانت معهم حقيبة سوداء بها عبوة مفرقعات ومفجرات وفتيل وبعض الطلقات تبلغ حوالى ثلاثة آلاف طلقة مختلفة الأحجام وخزينة مدفع رشاش ومسدس صوت وباروكة شعر كستنائية (يحتمل أنها استعملت عند ايجار شقة الرهينة) وبعض العملات المصرية والأجنبية وفي الساعة الثانية عشرة والنصف قبض الكمين على حسن البنا مصطفى ثابت أثناء دخوله هذه الشقة وضبط معه حقيبة جلدية بها طبنجة ماركة سميث أندرسون وبعض الطلقات .

وفي صباح يوم ١٩٧٧/٧/١٠ تمكن الكمين المعين على الشقة ١٠ شارع المراغي دير الملاك من ضبط محمد جبر عوف مصطفى وهو يدخل الشقة وقد عثر في الشقة على أوراق ومستندات خاصة بالجماعة منها كاسيت عليه ما نشر في الاذاعات من بيانات عن الجماعة ومنها بيان الجماعة المرسل الى رئيس الجمهورية من ست صور . ومنها بيان الجماعة باعترافهم بمهاجمة سينما سفنكس ومعهد الموسيقى العربية (ثبت أنها بخط طارق شكرى كما جاء بتقرير الطب الشرعي) وزجاجة بها متفجرات .

وفي صباح يوم ١٩٧٧/٧/١١ تم القبض على كل من ماهر عبد العزيز بكري وعلى جاد والبط توفيق ومحمد عباس في مديرية التحرير .

وكما تم في صباح نفس اليوم ١٩٧٧/٧/١١ ضبط اسماعيل حسين نصار مختفيا في فندق السعادة بالسيدة زينب باسم مستعار وبطاقة شخصية مزورة .

كما تم في صباح يوم ١٩٧٧/٧/١٣ ضبط وكر للجماعة في ٢٤ شارع بين السرايات بالعباسية بارشاد المتهم محمد خالد صقر وجد فيه كميات من الديناميت والمواد المتفجرة وأجهزة التفجير وكان يستخدم في أمداد الأفراد بالمفرقعات .

وفي صباح نفس اليوم ١٩٧٧/٧/١٣ تم ضبط مغاوري جبر العوف بشقته بالجيزة ومعه بعض السيدات وضبطت الكثير من الأوراق الخاصة بفكر الجماعة وهو شقيق فوقية جبر العوف زوجة شكرى أحمد مصطفى .

وفي صباح يوم ١٩٧٧/٨/٣ تم ضبط محمود عبد الرازق صالح بجهة ديروط ورحل الى القاهرة .

وفى صباح يوم ١٩٧٧/٨/١١ تم ضبط أحمد طارق عبد العليم بناحية ساقية مكى بالجيزة وليس معه الا حوالى خمسة جنيهات ووصية تنفذ حالة وفاته ٠

وفى مساء يوم ١٩٧٧/٨/١٩ تم ضبط محمد سالم الباجورى فى مكتبة الكوثر بالموسكى ٠

٩ ــ فى مساء يوم الأربعاء ١٩٧٧/٧/٦ عاد رئيس الجمهورية من زيارة له بالخارج وأصدر أمرا باحالة القضية الى القضاء العسكرى فقررت الجماعة القيادية القيام بعمل لازعاج السلطات وارهاب الأهالى فكلف محمد خالد صقر ومجدى صابر حبيب بعمل انفجار فى سينما سفنكس وكلف أحمد طارق بعمل انفجار فى معهد الموسيقى العربية وتم الانفجاران فى مساء نفس اليوم وأصيب فيه أحد عشر شخصا من المواطنين باصابات مختلفة ، وقد ضبطت السلطات مسودة البيان الخاص بهذه الإنفجارات (وهو بخط كل من شكرى مصطفى وأحمد طارق كما جاء بتقرير الطب الشرعى) فى شقة شكرى أحمد مصطفى فى دير الملاك وفى مساء يوم ١٩٧٧/٧/٩ قامت الجماعة بتفجير آخر فى ميدان العتبة قرر طارق أن الذى قام به هو حسن البنا ثابت كذلك كانت الجماعة قد جهزت ثلاث شقق بالشراك الخداعية للقضاء على رجال المباحث عند اقتحام هذه الشقق وكان أولها شقة سبع الليل بالزيتون التى أبلغ عنها أن الشيخ الذهبى موجود بها الى أن فتحها مندوب المفرقعات بمعرفته ، وتمكن من ابطال المفجرات الموجودة بالشقة وثانيها الشاليه الموجود بشارع خالد بن الوليد بالاسكندرية وقد تم رفع المتفجرات منها بواسطة الجماعة قبل دخول خبير المفرقعات اليها ، وثالثها شقة شارع البشلاوى بالمنصورة التى انفجرت بمجرد فتحها بواسطة رجال المباحث يوم ١٩٧٧/٧/١٤ ونتج عنها اصابة الكثير من الأفراد وفقد فيها المقدم فاروق القصبى احدى عينيه وسمعه ، وقد ثبت أن الذى قام باجراء التوصيلات الكهربائية هو محمد السيد صقر وتعاون معه فى تركيب المتفجرات أحمد طارق عبد العليم ٠

١٠ ــ أحيلت أيضا الى القضاء العسكرى قضايا التصفية الجسدية التى كانت تقوم بها الجماعة لمن ينشق عنهم وتبين من الاطلاع عليها أنها أربع وقائع :

الواقعة الأولى : حدثت فجر يوم ١٩٧٦/١١/١٨ عندما قامت الجماعة بالإعتداء على رفعت أبو دلال فى منزله بالمعصرة وحاولت الفتك به ولكنه قفز من النافذة وهرب الى أحد الجيران وقد اتهم المذكور شكرى مصطفى وأنور صقر وماهر وعبد المحسن ابراهيم وفوزى الزيات وعبد الفتاح

يس وعماد صقر وعلاء الدين رضا ومحمود عبد الجواد وحمدى سالم وابراهيم فرج وجمال عبد الرحمن وأسامة قاسم وسعد عبد الرحمن وقد أنكر المتهمون ما نسب اليهم ٠

الواقعة الثانية : حدثت فى فجر نفس اليوم ١٩٧٦/١١/١٨ حيث وقع الاعتداء على كل من حسن الهلاوى وشقيقه خالد الهلاوى بمنزلهم بمنطقة الأندلس بالهرم ، وأصيب الأول باصابات جسيمة ولم يتعرف على أحد من المعتدين ، وقد تعرف خالد الهلاوى على كل من عبد الستار عوض والسيد بركات ومحمد الأمين عبد الفتاح وأنكر المتهمون ما نسب اليهم ٠

الواقعة الثالثة : حدثت فى الاسكندرية ففى صباح يوم ٧٦/١١/٢١ وأثناء توجه عبد السلام مصطفى الى عمله ومعه شخص من المباحث لحمايته تعرض له كل من عماد صقر وسعيد عبد الرحمن ومحمد عبد التواب والسيد بركات وآخرين وقد تم اطلاق النار على بعضهم فأصيب عماد صقر فى رجله وقبض على الأربعة المذكورين وقد تعرف عبد السلام مصطفى على غيرهم وهم علاء الدين رضا وعثمان عبد الرحيم مصطفى وهاشم شكرى وقد قرر المتهمون أنهم ذهبوا الى المجنى عليه للحصول على نقود لهم طرفه كما أنكر باقى المتهمين ما نسب اليهم ٠

الواقعة الرابعة : فى المنصورة يوم ١٩٧٧/١/١٣ فى الساعة الخامسة مساء هجم كل من يحيى عبد الوهاب عثمان وعبد الجواد أبو حشيش على عماد أبو دلال شاهرين عليه المطواه محاولين الاعتداء عليه ، وتمكن الأهالى من القبض عليهم ، وقد قرر المتهمان أنهما كانا فى طريقهما الى منزلهما عندما تعرض لهما عماد أبو دلال وأنكرا أنهما كانا يحاولان الاعتداء عليه ٠

المحاكمة

قدم المتهمون المذكورون الى المحكمة العسكرية العليا فى القضية رقم ٦ لسنة ١٩٧٧ أمن دولة عسكرية عليا وكان عددهم ٥٤ فردا وكانت المحكمة برئاسة :

اللواء حسن صادق

عضوية

العميد/ يحيى عبد المعطى على ، العميد/ مختار حسنين شعبان

(أ) المتهمـــون :

١ ــ شكرى أحمد مصطفى
٢ ــ ماهر عبد العزيز بكرى زناتى
٣ ــ أنور مأمون أحمد حسن صقر
٤ ــ محمد خالد عبد الحميد صقر
٥ ــ مجدى صـــابر حبيب
٦ ــ أحمد طارق عبد العليم
٧ ــ صفوت حسن زينى
٨ ــ مغاورى جبر أحمد عوف
٩ ــ محمد ابراهيم ابراهيم أبو دنيا
١٠ ــ محمد السيد عبد الحميد صقر
١١ ــ ابراهيم محمد حجازى
١٢ ــ محمد عباس عبد العال
١٣ ــ اسماعيل حسن نصار
١٤ ــ محمد عبد الرازق صالح
١٥ ــ محمد سالم الباجورى
١٦ ــ مصطفى عبد المقصود غازى
١٧ ــ البط توفيق على سيد أحمد
١٨ ــ صابر مختار عمر مدكور
١٩ ــ أحمد نصر الله صبرى حجاج
٢٠ ــ صبرى محمد قطب
٢١ ــ محمود عبد العزيز عزام
٢٢ ــ محمد جمال غريب حشنيش
٢٣ ــ رزق عبد العزيز سالم
٢٤ ــ عبد الله محمود غزاله
٢٥ ــ محمد سعد محمد السيد
٢٦ ــ اسلام محمد عاطف
٢٧ ــ محمد جمال السيد
٢٨ ــ عبد المنعم عبد السلام أبو يس
٢٩ ــ مروان عبد الرحيم زيحان
٣٠ ــ محمد جبر أحمد عوف
٣١ ــ طه حسن زينى
٣٢ ــ حسن البنا مصطفى ثابت
٣٣ ــ أحمد ابراهيم الصادق
٣٤ ــ على أحمد جاد

٣٥ ـ عبد الفتاح مختار عمر مدكور
٣٦ ـ كمال فراج يحيى أحمد
٣٧ ـ عبد المحسن ابراهيم أحمد
٣٨ ـ عبد الفتاح يس عبد الفتاح
٣٩ ـ فوزى السعيد السعيد الزيات
٤٠ ـ ابراهيم سيد فرج
٤١ ـ جمال الدين محمد أحمد عبد الرحمن
٤٢ ـ أسامة السيد محمد قاسم
٤٣ ـ حمدى عبد الحميد ابراهيم سالم
٤٤ ـ علاء الدين على رضا
٤٥ ـ عماد مأمون أحمد حسن صقر
٤٦ ـ سعيد محمد عبد الرحمن
٤٧ ـ السيد حسن بركات
٤٨ ـ محمود أحمد عبد التواب
٤٩ ـ فريد عبد الحميد مصطفى
٥٠ ـ هاشم عبد العزيز بكرى زناتى
٥١ ـ عثمان عبد الرحيم السيد
٥٢ ـ عبد الستار عوض ابراهيم
٥٣ ـ يحيى عبد الوهاب عثمان
٥٤ ـ عبد الجواد محمد حسن أبو حشيش

(ب) الاتهـــام :

اولا : المتهمون من الأول حتى السادس والثلاثين :

(أ) أنشأ الأول وأسس وأدار منظمة أطلق عليها اسم جماعة المســلمين المعروفة بجمــاعة التكفير والهجرة ترمي الى قلب نظم الدولة الأساسية والاجتماعية القائمة على الشريعة الاســـلامية السمحاء بتكفير أفراد المجتمع حاكما ومحكومين ، وعدم الاعتراف بالقوانين الوضعية ونظم الزواج المتعارف عليها شرعا وقانونا وتحريم الصلاة في المساجد والتعليم في المعاهد العلمية والتوظف فى الهيئات الحكومية والخدمة فى صفوف القوات المسلحة ، وقد انضم المتهمون من الثانى حتى السادس والثلاثين الى تلك المنظمة التى أسسها الأول على النحو الوارد تفصيلا بالأوراق ٠

(ب) ألف الأول عصابة هاجمت طائفة من السكان ، وقاومت بالسلاح رجال السلطة العامة فى تنفيذ القوانين ، بأن شــكل المنظمة المشار اليها بالبند السابق وتولى زعامتها وقامت هذه العصابة ٠ بالاعداد

لمهاجمة كل من يعارضها سواء من أعضائها المنشقين عليها أو رجال الأمن المتتبعين لنشاطها أو رجال الدين الكاشفين لانحراف أهدافها .

ثانيا : المتهمون الثالث والسادس ومن التاسع حتى الخامس عشر :

قبضوا على المرحوم الشيخ الدكتور/ محمد حسين الذهبى وحجزوه بدون وجه حق .. بأن توجهوا الى منزله وقبضوا عليه وهم مسلحون بالرشاشات والمسدسات .

ثالثا : المتهمون من الأول الى الثامن ومن السادس عشر الى الثامن عشر :

اشتركوا مع المتهمين الموضحين بالبند السابق فى خطف المرحوم الشيخ الدكتور/ محمد حسين الذهبى بطريق الاتفاق والتحريض والمساعدة .

رابعا : المتهم السادس :

قتل عمدا مع سبق الاصرار المرحوم الشيخ الدكتور/ محمد حسين الذهبى بأن تسلم طبنجة عيار ٦٥ر٧مم من قيادة المنظمة وتوجه الى الشقة المحتجز فيها المجنى عليه وأطلق عليه عيارا ناريا .

خامسا : المتهمون من الأول الى الخامس والسابع والثامن ومن السادس عشر الى العشرين :

اشتركوا بطريق الاتفاق والتحريض والمساعدة مع المتهم السادس على قتل المرحوم الدكتور/ محمد حسين الذهبى .

سادسا : المتهمون من الأول الى الرابع والعشرين والسابع والعشرين :

(أ) لجأوا الى العنف والتهديد ووسائل أخرى غير مشروعة لحمل رئيس الجمهورية والوزراء ونواب الوزراء كل فيما يخصه على أداء عمل من خصائصهم قانونا .

سابعا : المتهمان الرابع والخامس :

شرعا فى قتل كل من سميحة محمد السيد وأحمد خضر عبد الحليم وأحمد داوود وناهد ابراهيم معتوق ومدحت أحمد محمود وعبد المقصود محمد عبد العاطى وبكر جمال محمد وصباح محمد عبد الكريم عمدا مع سبق الاصرار بأن قاما بتفجير عبوة ناسفة فى سينما سفنكس بالدقى قاصدين بذلك قتل من يتصادف وجوده من المواطنين وخاب أثر الجريمة لسبب لا دخل لارادتهما فيه حيث تمت مداركة المجنى عليهم بالعلاج .

ثامنا : المتهمان السادس والعاشر :

(أ) شرعا فى قتل كل من المقدم / فاروق أحمد القصبى والرائد / محمد ابراهيم موسى وابراهيم أبو الفتوح والشرطى / ابراهيم السيد رمضان وسعد زغلول محمد اسماعيل والمغازى عبد الحافظ وعبد الرؤوف زكى البشلاوى وابراهيم امام السيد ولبيب محمد علام ورمضان أحمد خليفة عمدا مع سبق الاصرار بأن قاما بتركيب عبوات ناسفة على دوائر كهربائية ، بالشقة بالدور الأرضى بالعقار رقم ٢١ شارع البشلاوى بالمنصورة بقصد قتل من يدخل الى الشقة المذكورة ٠

(ب) شرعا فى قتل رجال الأمن عمدا مع سبق الاصرار بأن قاما بتركيب عبوات ناسفة على دوائر كهربائية بالشقة رقم ٥ حارة سبع الليل بالزيتون بقصد قتل من يدخل الى الشقة المذكورة من رجال الأمن ٠

تاسعا : المتهمون الأول والثانى والثالث والخامس والتاسع عشر ومن السابع والثلاثين الى الرابع والخمسين :

(أ) ألف الأول عصابة هاجمت طائفة من السكان بأن شكل منظمة وتولى زعامتها وقامت هذه العصابة بمهاجمة الأعضاء المنشقين عليها ٠

(ب) شرع باقى المتهمين فى قتل الأعضاء المنشقين عليهم ٠

عاشرا : المتهمون من الأول الى السادس والثانى والثلاثين :

(أ) شرع المتهم الثانى فى قتل كل من محسن محمد شحاتة وأحمد محمد ابراهيم وأفراح عيد على حسن وحسن عبد العاطى محمد وفاروق بيومى على ٠

بأن قام بتفجير عبوة ناسفة فى ميدان العتبة بجوار مسرح جورج أبيض قاصدا بذلك قتل من يتصادف وجوده من المواطنين فى هذا المكان ٠

(ب) استعمل المتهم الثانى والثلاثون المفرقعات بقصد تخريب المنشآت المعدة لارتياد الجمهور ٠

كذلك وجه الى نفس المتهمين أربع عشرة تهمة أخرى عن حيازة الأسلحة والمفرقعات بدون ترخيص ٠

(ج) الحكم :

وقد صدر الحكم بالاعدام باجماع الآراء على كل من المتهمين الأول والثانى والثالث والسادس والسادس عشر ٠

والأشغال الشـــاقة المؤبدة على كل من المتهمين الرابع والخامس والسابع والثامن والتاسع والعاشر والحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسابع عشر والثامن عشر ٠

وبالأشغال الشاقة لمدة خمس عشرة سنة على كل من المتهمين الثانى والعشرين والثالث والعشرين والسابع والعشرين والثامن والعشرين والثانى والثلاثين والثالث والثلاثين والرابع والثلاثين ٠

وبالأشغال الشاقة عشر سنوات على كل من المتمهين الحادى والعشرين والرابع والعشرين والســابع والثـلاثين والخامس والأربعين والسادس والأربعين ٠

وبالأشغال الشاقة لمدة خمس سنوات على كل من المتهمين التاسع عشر والعشرين والخامس والعشرين ٠

وبالأشغال الشاقة لمدة ثلاث سنوات على كل من المتهمين الخامس والثلاثين والسادس والثلاثين والرابع والأربعين والسابع والأربعين والثامن والأربعين والخمسين والرابع والخمسين ٠

وبراءة باقى المتهمين وعددهم ثلاثة عشر فردا ٠

كما قدم فى نفس الوقت الى المحكمة العسكرية عدد (٢٠٤) متهمين ومتهمة من نفس الجماعة بتهمة الانتماء الى جماعة التكفير والهجرة وهم :

١ ــ عبد السلام ابراهيم ابراهيم حلاوة
٢ ــ خيرى عبد الحفيظ غالى
٣ ــ محمد عاطف على السيد جاد
٤ ــ محسن عثمان حامد البنا
٥ ــ مصطفى محمد الكيلانى مصطفى
٦ ــ عبد الغفار سليمان عبد الغفار
٧ ــ محمد محمد عبد العزيز
٨ ــ صادق ابراهيم يوسف بدر
٩ ــ أحمد محمد موسى
١٠ ــ سمير أحمد مصطفى أبو على
١١ ــ عبد الحميد على الجمال
١٢ ــ عبد ربه محمد ابراهيم عامر
١٣ ــ فرحان سيد أحمد منصور
١٤ ــ أحمد المغازى عبد الحليم عبد الرحمن

١٥ ــ عادل يوسف أحمد الرويني
١٦ ــ وحيد عبد الفتـــاح سيد
١٧ ــ السيد محمد بدر الموافي العزب
١٨ ــ مصطفى اسماعيل السيد الطنوبي
١٩ ــ رمضان محمود محمد عيسى
٢٠ ــ علي محمد أحمد عبد الحليم
٢١ ــ أحمد عبد الغني سليمان
٢٢ ــ عز الدين مصطفى القاياتي الجمل
٢٣ ــ مصطفي القاياتي عبد الحليم الجمل
٢٤ ــ يحيى عبد البديع محمد صقر
٢٥ ــ جمال عبد الرحمن مهدي عبد الرحمن
٢٦ ــ محمد أحمد أبو العلا عبد الرحمن
٢٧ ــ يوسف عيسى عبد التواب مخيمر
٢٨ ــ مصطفى أنور مصطفى
٢٩ ــ ٣٠ عصام عبد الحميد يوسف
٣١ ــ وحيد الدين أحمد سليمان
٣٢ ــ محمد صلاح محمد عثمان
٣٣ ــ عبد الحميد عبد الله بخيت
٣٤ ــ محمد محمود متولي محمود معوض
٣٥ ــ أسامة حامد محمد جمعه
٣٦ ــ حسن علي أحمد مصطفى
٣٧ ــ شعبان عبد الله محمد
٣٨ ــ مسلم حسنين علي البنـــا
٣٩ ــ أحمد السيد أحمد النحاس
٤٠ ــ ناصف ابراهيم ناصف
٤١ ــ عبد العاطي السيد الطوخي
٤٢ ــ أحمد عيد محمد الحشيش
٤٣ ــ أحمد عاشور السيد أحمد
٤٤ ــ محمد محمود علي بيومي
٤٥ ــ عبد المنعم جلال ابراهيم عبد العال

٤٦ ـ محمد خضرى عبد الرحمن العشماوى

٤٧ ـ محمد فؤاد عبد اللطيف

٤٨ ـ محمد على شـــعبان

٤٩ ـ محمود سيد محمود محمد

٥٠ ـ عبد التواب محمود على الدويرى

٥١ ـ سليم ثابت نور الدين

٥٢ ـ جمال الدين فؤاد عبد اللطيف

٥٣ ـ شـــعبان محمد طلبـــه

٥٤ ـ محمد زكى موسى محمد

٥٥ ـ جلال سلطان رجب حسن سعد الغليظ

٥٦ ـ محمد محمود محمد عبد الجواد

٥٧ ـ ربيع عيد عبد الجـواد

٥٨ ـ محمد أحمد خفاجـه

٥٩ ـ أحمـــد صـــلاح عيد

٦٠ ـ أحمد محمود محمد على

٦١ ـ هشام اسماعيل على عبد الله

٦٢ ـ حامد ابراهيم قنديل

٦٣ ـ أحمد محمد حسن على

٦٤ ـ يوسف عبد الظاهر ربيع جويده

٦٥ ـ عصـــام محمد حسن

٦٦ ـ محمد كامل أنس

٦٧ ـ محمد نجيب أبو حجازى

٦٨ ـ جمال الدين مغازى عبد الله الشرقاوى

٦٩ ـ محمد عبد اللطيف محمد عياد

٧٠ ـ اسماعيل عبد الفتاح اسماعيل

٧١ ـ صبرى حسين ابراهيم

٢٧ ـ على أحمد على بهلول

٧٣ ـ عباس أحمد محمد وجيع

٧٤ ـ عبد الرازق محمد حسين الحفناوى

٧٥ ـ محمد صلاح الدين محمد حسين الحفناوى

٧٦ ـ عبد الخالق محمد أبو المجد
٧٧ ـ حمدى عبد العـال محمد
٧٨ ـ مجدى محمد موسى
٧٩ ـ صابر على محمود عباس
٨٠ ـ صبرى السعيد شحاته عبد الله
٨١ ـ رزق حامد السيد رزق
٨٢ ـ فتحى عبد السلام السيد مبارك
٨٣ ـ مصطفى السيد محمد
٨٤ ـ أحمد ابراهيم أحمد سالم
٨٥ ـ خلف يمنى ابراهيم يمنى
٨٦ ـ محمد الأمين عبد الفتاح محمد السيد
٨٧ ـ عبد الفتاح قاسم ناصر
٨٨ ـ محمد على محمد سليمان
٨٩ ـ محمد ابراهيم أحمد عبد البارى
٩٠ ـ محمود محمد حجازى ابراهيم
٩١ ـ ابراهيم عبد البديع محمد صقر
٩٢ ـ عطية عبد الكريم محمد عبد الرحمن
٩٣ ـ فؤاد عبد الله عبد الدايم
٩٤ ـ رجب مختار عمر مذكور
٩٥ ـ محمود فهمى عبد السلام غانم
٩٦ ـ عبد الفتاح حسن كريم
٩٧ ـ صلاح زكى محمود عبده
٩٨ ـ سعد عبد الحميد السيد خطاب
٩٩ ـ جمال الدين محمود حسين يوسف الدهشان
١٠٠ ـ عماد الدين سيد عبد النبى عامر
١٠١ ـ عطية عبد الله أحمد جاد
١٠٢ ـ محمد عزت محمد العارف
١٠٣ ـ محمد حيدر عبد الحميد طه
١٠٤ ـ حسن حامد مصطفى الخياط
١٠٥ ـ حمدى خليل حمـد

١٠٦ ـ محمد سليمان محمد سليمان

١٠٧ ـ المعتز بالله السيد سليمان شعيب

١٠٨ ـ سعيد عمران صالح البنى

١٠٩ ـ عماد الدين أحمد محمد يوسف

١١٠ ـ سامى أحمد عبده البطراوى

١١١ ـ سعيد يوسف فوده

١١٢ ـ جمال عبد الرحمن محمد اسماعيل

١١٣ ـ جمال عبد الناصر عبد الرحمن عبد الله

١١٤ ـ جلال على غنيم

١١٥ ـ محمود عبد اللطيف حسن

١١٦ ـ أحمد السيد المصرى

١١٧ ـ محمد يوسف محمد البواب

١١٨ ـ عبد القادر محمد لبيب

١١٩ ـ أمين زكى عبد القادر

١٢٠ ـ سعيد عبد السميع هاشم

١٢١ ـ محمد صبحى أحمد عبد الدائم

١٢٢ ـ نبيل أمين حسين عيسى

١٢٣ ـ محمد براهيم ابراهيم حلاوة

١٢٤ ـ على محمد على فراج

١٢٥ ـ السيد عبد العزيز عبد المنعم

١٢٦ ـ محمد سعيد مهدى

١٢٧ ـ سامى محمد هاشم

١٢٨ ـ محمود عبده ابراهيم منصور

١٢٩ ـ الأمير السيد عبد القادر السيد سالم

١٣٠ ـ محمد سليمان عبد الغفار

١٣١ ـ محمد عطية على عبيد

١٣٢ ـ سيد عبد النبى عامر

١٣٣ ـ منصور جبر أحمد العوف

١٣٤ ـ ممدوح عثمان رفاعى

١٣٥ ـ محمد عبد اللطيف رفاعى

١٣٦ ـ عثمان رفاعي عثمان

١٣٧ ـ أحمد عثمان حسن محمد

١٣٨ ـ مدحت مراد حسين الجندى

١٣٩ ـ مصطفى أحمد أحمد خميس

١٤٠ ـ عصام الدين سيد عبد النبى

١٤١ ـ عثمان حسن عثمان

١٤٢ ـ عز الدين سيد عبد النبى

١٤٣ ـ فريد عبد العزيز عبد السميع الجندى

١٤٤ ـ رفعت محمد عثمان

١٤٥ ـ أحمد زكي ابراهيم

١٤٦ ـ رمضان أحمد أحمد خطاب

١٤٧ ـ سعيد عبد الحميد على

١٤٨ ـ محسن السيد على

١٤٩ ـ السيد عثمان السعيد يحيى فيصل

١٥٠ ـ رضا غازى ابراهيم

١٥١ ـ عبد الله محمود محمد مسلم

١٥٢ ـ محمد بسطامى على المليجى

١٥٣ ـ عبد العزيز محمد خلف

١٥٤ ـ عبد الرؤوف حسن محمد

١٥٥ ـ جمال حسن محمد

١٥٦ ـ زكريا ابراهيم درويش

١٥٧ ـ بسيونى سعد أبو صالح

١٥٨ ـ سعد عبد العزيز هيبه

١٥٩ ـ السيد خطاب عمر عربيه

١٦٠ ـ محمود ابراهيم زيد

١٦١ ـ محمد أحمد عبد العزيز

١٦٢ ـ فوزى حسب الله سيد أحمد

١٦٣ ـ مصطفى فتحى أحمد العطار

١٦٤ ـ مسعود السيد مسعود

١٦٥ ـ فوزى مصطفى الشرقاوى

١٦٦ ـ عصام سويدان مسعد
١٦٧ ـ نعيم عبد الفتاح محمد السمنى
١٦٨ ـ جلال أمين ابراهيم المزين
١٦٩ ـ السيد محمد سيد أمين
١٧٠ ـ أحمد عبد الوهاب محمد
١٧١ ـ أحمد السيد محمد أحمد هديه
١٧٢ ـ محمد السيد محمد أحمد هديه
١٧٣ ـ أحمد أحمد شاهين
١٧٤ ـ سمير دسوقى العزب
١٧٥ ـ موسى حسين متولى
١٧٦ ـ ثروت البكرى السيد السيد مطاوع
١٧٧ ـ عطيات جابر عبد الحميد عبد القادر
١٧٨ ـ سعاد محمد عبد الرحمن عبد الجواد
١٧٩ ـ فاطمة محمد عبد الوهاب
١٨٠ ـ ماجدة رشاد محمد السيد
١٨١ ـ عليه عبد المجيد محمد
١٨٢ ـ فاتن توفيق عبد الجواد
١٨٣ ـ بثينه عبد الله عبد الدائم
١٨٤ ـ نفيسه فاروق خليفه
١٨٥ ـ صفيه مختار عمر مدكور
١٨٦ ـ ليلى حسنين السيد حسنين
١٨٧ ـ نافله محمد عبد الدائم
١٨٨ ـ نبيله محمد عبد الفتاح الوشاحى
١٨٩ ـ السيدة حامد مصطفى الخياط
١٩٠ ـ أمينة محمد عبد الله
١٩١ ـ ابتسام محمد عبد العاطى
١٩٢ ـ ماجدة سعد محمد السيد
١٩٢ ـ سناء محمد السيد حنطر
١٩٤ ـ ايمان محمود كامل نور الدين
١٩٥ ـ فوقيه جبر أحمد العوف

١٩٦ ـ آمال أحمد عبد السلام الصراف
١٩٧ ـ هدى ابراهيم مصطفى خليل
١٩٨ ـ فاطمة ابراهيم مصطفى خليل
١٩٩ ـ جمال فتحى أحمد اسماعيل
٢٠٠ ـ أحمد جبر أحمد العوف
٢٠١ ـ السيد صباح سليمان عمر
٢٠٢ ـ سامى صالح محمد والى
٢٠٣ ـ فوزى قاسم السيد قاسم
٢٠٤ ـ طلعت عبد الحميد مرسى

وقد صدر الحكم بالحبس مع الشغل والنفاذ لمدة سنتين وغرامة مالية خمسون جنيها على كل من المتهمين الثالث عشر والرابع والثلاثين والواحد والخمسين والتاسع والتسعين بعد المائة والمائتين ·

وبالحبس مع الشغل والنفاذ لمدة سنة وغرامة مالية خمسون جنيها على كل من المتهمين السادس عشر والثانى والعشرين والثمانين والثالث والثمانين والثالث والتسعين والخامس والتسعين والسابع والتسعين والرابع عشر بعد المائة والتاسع والعشرين بعد المائة والواحد والخمسين بعد المائة ·

وبالحبس مع الشغل والنفاذ لمدة ستة أشهر وغرامة مالية خمسون جنيها على كل من المتهمين الرابع والسابع والعشرين والثامن والعشرين والتاسع والعشرين والرابع والخمسين والسادس والخمسين والثانى والتسعين والسادس والتسعين والثالث بعد المائة والثانى عشر بعد المائة الثانى والثلاثين بعد المائة والثامن والثلاثين بعد المائة والثانى بعد المائتين والثالث بعد المائتين ·

وبالحبس ستة أشهر وغرامة مالية خمسون جنيها مع ايقاف التنفيذ على كل من المتهمين الثالث والعشرين والرابع والثمانين بعد المائة والسابع والثمانين بعد المائة والرابع والتسعين بعد المائة والسابع والتسعين بعد المائة والثامن والتسعين بعد المائة · وبراءة باقى المتهمين هما نسب اليهم ·

● الفصـــل الخـــامس

(١)

تنظيم جماعة الجهـاد

وكتاب الفريضة الغائبة

نشأت جماعة الجهاد فى أوائل سنة ١٩٧٤ برئاسة صالح عبد الله سرية الفلسطينى الجنسية والذى كان ينادى بقيام الدولة الاسلامية لتطبيق شريعة الله مستخدما فى ذلك جميع طرق العنف مع اباحة الدماء للوصول الى هدفه وجمع حوله الكثير من الاتباع خصوصا من طلبة الجامعة وبدأ جهاده بحادث محاولة الاستيلاء على الكلية الفنية العسكرية ، ولكن محاولته فشلت كما سنوضح فيما بعد وحوكم المذكور وأعدم ٠

خلف صالح سرية فى تنظيم الجهاد عبد السلام فرج الذى دعا الى تكفير المجتمع بالكامل وأنه لا سبيل الى الخلاص الا بالقتل والعنف وأن الآيات التى تدعو الى الصفح والعفو والتسامح هى آيات منسوخة بينما الآيات التى تحض على القتال والجهاد هى الصحيحة ٠٠ وقد تضمن كتابه (الفريضة الغائبة) بعض الأفكار التى نتعرض لها بالكامل ٠

١ ـ مقـــدمة :

ان الجهاد فى سبيل الله بالرغم من أهميته القصوى وخطورته العظمى على مستقبل هـذا الدين فقد أهمله علماء العصر وتجاهلوه بالرغم من علمهم بأنه السبيل الوحيد لعودة ورفع صرح الاسلام من جديد ، أثر كل مسلم ما يهوى من أفكاره وفلسفاته على خير طريق رسمه الله سبحانه وتعالى لعزة العباد ٠٠ والذى لا شك فيه هو أن طواغيت هذه الأرض لن تزول الا بقوة السيف ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه بقوم فهو منهم ٠٠ » (أخرجه الامام أحمد عن ابن عمر) ويقول ابن رجب (قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالسيف) يعنى أن الله بعثه داعيا بالسيف الى توحيد الله بعد دعائه بالحجة ، فمن لم يستجب الى التوحيد بالقرآن والحجة والبيان دعى بالسيف ٠

ويخاطب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ طواغيت مكة وهو بها « استمعوا يا معشر قريش ، أما والذى نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح » فأخذ القوم كلمته حتى ما فيهم رجل الا كأنما على رأسه طير واقع وحتى أن أشدهم عليه ذلك ليلقاه بأحسن ما يجد من القول حتى انه ليقول : انطلق يا أبا القاسم رشدا فوالله ماكنت جهولا ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله (لقد جئتكم بالذبح) قد رسم الطريق القويم الذى لا جدال فيه ولا مداهنة مع أئمة الكفر وقادة الصلاح وهو فى لب مكة .

٢ ـ اقامة الدولة الاسلامية والحكام المسلمين اليوم :

هو فرض أنكره بعض المسلمين وتغافل عنه البعض ، مع أن الدليل على فرضية قيام الدولة واضح بين فى كتاب الله تبارك وتعالى فالله سبحانه وتعالى يقول (**وأن أحكم بينهم بما أنزل الله**) .. ويقول (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**) .. ويقول جل وعلا فى سورة النور عن فرضية أحكام الاسلام (**سورة أنزلناها وفرضناها**) ومنه فان حكم اقامة حكم الله على هذه الأرض فرض على المسلمين ، وتكون أحكام الله فرض على المسلمين فبالتالى قيام الدولة الاسلامية فرض على المسلمين، لأن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، أيضا اذا كانت الدولة لن تقوم الا بقتال فوجب علينا القتال .

ولقد أجمع المسلمون على فرضية اقامة الخلافة الاسلامية ، واعلان الخلافة يعتمد على وجود النواة وهى الدولة الاسلامية ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية ، فعلى كل مسلم السعى لاعادة الخلافة بجد لكيلا يقع تحت طائلة الحديث .. والمقصود بالبيعة بيعة الخلافة .

ويبدو هنا تساؤل : هل نحن نعيش فى دولة اسلامية ؟ من شروط الدولة أن تعلوها أحكام الاسلام وأفتى الامام أبو حنيفة أن دار الاسلام تتحول الى دار كفر اذا توافرت ثلاثة شروط مجتمعة :

١ ـ أن تعلوها أحكام الكفر .

٢ ـ ذهاب الامان للمسلمين .

٣ ـ المتاخمة أو المجاورة .

وذلك بأن تكون تلك الدار مجاورة لدار الكفر بحيث تكون مصدر خطر على المسلمين وسببا فى ذهاب الأمن . وأفتى الامام محمد والامام ابو يوسف صاحبا أبي حنيفة بأن حكم الدار تابع للأحكام التى تعلوها ، فان كانت الأحكام التى تعلوها هى أحكام الاسلام (فهى دار الاسلام) وان

كانت الأحكام التى تعلوها هى أحكام كفر (فهى دار كفر) (بدائع الصنائع) وأفتى شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه الفتاوى الجزء الرابع (كتاب الجهاد) عندما سئل عن بلد تسمى ماردين كانت تحكم بحكم الاسلام ثم تولى أمرها أناس أقاموا فيها حكم الكفر ، هل هى دار حرب أو سلم ، فأجاب ان هذه مركب فيها المعنيان ، فهى ليست بمنزلة دار السلم التى يجرى عليها أحكام الاسلام ، ولا بمنزلة دار الحرب التى أهلها كفار ، بل هى قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحق ، ويعامل الخارج عن الشريعة الاسلامية بما يستحقه .. وفيما يتعلق بهذه الأقوال لا نجد تناقضا بين أقوال الائمة : فأبو حنيفة وصاحباه لم يذكروا أن أهلها كفار .. فالسلم لمن يستحق السلم ، والحرب لمن يستحق الحرب .. فالدولة تحكم بأحكام الكفر بالرغم من أن أغلب أهلها مسلمون .

والأحكام التى تعلو المسلمين اليوم هى أحكام الكفر ، بل هى قوانين وضعها كفار وسيروا عليها المسلمين ، ويقول الله سبحانه وتعالى فى سورة المائدة (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**) فبعد ذهاب الخلافة نهائيا عام ١٩٢٤ واقتلاع أحكام الاسلام كلها واستبدالها بأحكام وضعها كفار .. أصبحت حالتهم هى نفس حالة التتار كما أثبت فى تفسير ابن كثير لقوله سبحانه وتعالى فى سورة المائدة (**أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**) قال ابن كثير ينكر الله تعالى على من خرج من حكم الله المشتمل على كل خير ، الناهى عن كل شر ، وعدل الى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التى وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهات مما يصنعونها بآرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذى وضع لهم (الياسق) وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الاسلامية وغيرها ، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه ، فصارت شرعا متبعا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فمن فعل ذلك كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه فى كثير ولا قليل .. (ابن كثير الجزء الثانى ص ٦٧) .

وحكام العصر قد تعددت أبواب الكفر التى خرجوا بها عن ملة الاسلام بحيث أصبح الأمر لا يشتبه على كل من تابع سيرتهم هذا بالاضافة الى قضية الحكم .. ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية عى (كتاب الفتاوى الكبرى باب الجهاد ص ٢٨٨ الجزء الرابع) ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ اتباع غير دين الاسلام

أو اتباع شريعة غير شريعة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو كافر ، وهو ككفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب ، كما قال تعالى (**ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا**) .. فحكام هذا العصر فى ردة عن الاسلام تربوا على موائد الاستعمار سواء الصليبية أو الشيوعية أو الصهيونية .. فهم لا يحملون من الاسلام الا الأسماء وان صلى أو صام وادعى أنه مسلم .. ويقول ابن تيمية فى (نفس الباب ص ۲۹۳) .. وقد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلى من وجوه متعددة منها أن المرتد يقتل بكل حال ولا يضرب عليه جزية ولا تعقد له ذمة، بخلاف الكافر الأصلي،ومنها أن المرتد يقتل وان كان عاجزا عن القتال، بخلاف الكافر الأصلى الذى ليس هو من أهل القتال فانه لا يقتل عند أكثر العلماء كأبى حنيفة ومالك وأحمد ، ولهذا كان مذهب الجمهور أن المرتد يقتل ، كما هو مذهب مالك والشافعى وأحمد ، ومنها أن المرتد لا يرث ولا يناكح ولا تؤكل ذبيحته بخلاف الكافر الأصلى الى غير ذلك من الأحكام، واذا كانت الردة عن أصل الدين أعظم من الكفر بأصل الدين ، فالردة عن شرائعه أعظم من الكفر وخروج الخارج الأصلى عن شرائعه .. اذن فما موقف المسلمين من هؤلاء ؟ .

ويقول ابن تيمية أيضا فى (نفس الباب ص ۲۸۱) .. كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الاسلام الظاهرة المتوافرة فانه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين ، وان تكلمت بالشهادتين وامتنعوا عن الصلوات الخمس وجب قتالهم حتى يصلوا وان امتنعوا عن الزكاة وجب قتالهم حتى يؤدوا الزكاة ، كذلك ان امتنعوا عن صيام شهر رمضان أو حج البيت العتيق ، وكذلك ان امتنعوا عن تحريم الفواحش أو الزنا أو الميسر أو الخمر أو غير ذلك من محرمات الشريعة ، وكذلك ان امتنعوا عن الحكم فى الدماء والأموال والأعراض والأبضاع ونحوها بحكم الكتاب والسنة ، كذلك ان امتنعوا عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجهاد الكفار الى أن يسلموا ويؤدوا الجزية وهم صاغرون ، وكذلك أن أظهروا البدع المخالفة للكتاب والسنة وأتباع السلف مثل أن يظهروا الالحاد فى أسماء الله وآياته أو التكذيب بآيات الله وصفاته والتكذيب بقدره وقضائه أو التكذيب بما كان عليه جماعة المسلمين على عهد الخلفاء الراشدين ، ان الطعن فى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان أو مقاتلة المسلمين حتى يدخلوا فى طاعتهم التى توجب الخروج عن شريعة الاسلام وأمثال هذه الأمور ، قال تعالى (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**) ، ولهذا قال تعالى (**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من**

الله ورسوله) •• وهـذه الآيات نزلت فى أهل الطائف لما دخلوا فى الاسلام والتزموا بالصلاة والصيام ولكن امتنعوا عن ترك الربا فبين الله أنهم محاربون له ولرسـوله اذا لم ينتهوا عن الربا ، والربا هو آخر ما حرمه الله ، وهو ما لا يؤخذ برضا صاحبه ، فاذا كان هؤلاء محاربين لله ورسـوله يجب جهادهم ، فكيف لمن يترك كثيرا من شعائر الاسـلام أو أكثرها كالتتار ، وقد اتفق علمـاء المسـلمين على أن الطائفة ان امتنعت عن بعض واجبات الاسلام الظاهرة المتواترة فانه يجب قتالها اذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلاة والزكاة وصيام شهر رمضان أو حج البيت العتيق أو عن الحكم بينهم بالكتاب والسنة أو عن تحريم الفواحش أو الخمر أو نكاح ذوات المحارم أو عن استحلال النفوس والأموال بغير حق أو الربا أو الميسر أو الجهاد للكفار أو عن ضربهم الجزية على أهل الكتاب ونحو ذلك من شرائع الاسلام ، فانهم يقاتلون عليها حتى يكون الدين كله لله •

ولكن هناك آراء فى الحقل الاسلامى لازالة هؤلاء الحكام واقامة حكم الله ــ عز وجل ــ فما قدر هذه الآراء من الصحة •

هناك من يقول اننا نقيم جمعيات تابعة للدولة تدفع الناس الى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وأعمال الخير •• والصلاة والزكاة وأعمال الخير تلك اوامر من الله ــ عز وجل ــ لا يجب علينا التفريط فيها ، ولكن اذا تساءلنا هل كل هذه الأعمال والعبادات هى التى سوف تقيم دولة الاسـلام ؟ فالاجابة الفورية دون أدنى تفكير •• لا •• هذا بالاضـافة الى أن هذه الجمعيات خاضعة أصلا للدولة ومقيدة بسجلاتها وتسير بأوامرها ••

وهناك من يقول ان علينا أن ننشغل بطاعة الله وبتربية المسـلمين وعلينا بالاجتهاد فى العبادة لأن كل هذا الذل الذى نعيش فيه من ذنوبنا ومن أعمالنا سلط علينا ويستدل أحيانا بالحكمة القائلة عن مالك بن دينار يقول الله عز وجل **(أنا الله ملك الملوك ، قلوب الملوك بيدى فمن أطاعنى جعلتهم عليه رحمـة ومن عصـانى جعلتهم عليه نقمـة فلا تشغلوا أنفسكم بسبب الملوك ولكن توبوا الى أعطفهم عليكم)** •• والحقيقة من ظن أن هذه الحكمة هى ناسخة لفريضتى الجهاد والأمـر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد أهلك نفسه وأهلك من أطاعه واستمع له •• ومن يريد حقا أن ينشغل بأعلى درجات الطاعة وأن يكون فى قمة العبادة فعليه بالجهاد فى سبيل الله وذلك مع عدم اهمال بقية أركان الاسلام •• ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يصف الجهاد بأنه ذروة سنام الاسلام ويقول (من لم يغز أو تحدثه نفسه بالغزو مات ميتة الجاهلية) •• أو على شعبة من نفاق ، ولذلك يقول المجاهد فى سبيل الله عبد الله بن المبارك الذى أبكى الفضيل

يا عبد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك بالعباد تلعب من كل يخضب هذه بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضب ويقـول البعض ان الانشغال بالسياسة يقسى القلب ويلهى عن ذكر الله : ٠وأمثال هؤلاء كأنما يتجاهلون قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) ويقول (من يتكلم بهذه الفلسفات اما أنه لا يفهم الاسلام أو هو جبان لا يريد أن يقف بصلابة مع حكم الله) ٠

وهناك من يقول ان علينا أن نقيم حزبا اسلاميا فى قائمة الأحزاب الموجودة وفى الحقيقة أن هذا يزيد الجمعيات الخيرية بكونه حزبا يتكلم فى السياسة بالاضافة الى ذلك فان الهدف الذى قام من أجله تحطيم دولة الكفر سوف يكون العمل عن طريق الحزب هو عكسه وهو بناء دولة الكفر فهم يشاركونهم فى الآراء ٠ ويشتركون فى عضوية المجالس التشريعية التى تشرع من دين الله ٠

وهناك من يقول ان على المسلمين الاجتهاد من أجل الحصول على المناصب فتمتلىء المراكز بالطبيب المسلم والمهندس المسلم وبذلك يسقط النظام الكافر وحده وبدون مجهود ويتكون الحاكم المسلم ٠٠ والذى يسمع هذا الكلام لأول وهلة يظنه خيالا أو مزاحا ، ولكن الحقيقة أنه بالحقل الاسلامى من يفلسف الأمور بهذه الطريقة وهذا الكلام ، بالرغم من أنه لا دليل له من الكتاب والسنة فان الواقع حائل دون تحقيقه ٠٠ فمهما وصل الأمر الى تكوين أطباء مسلمين ومهندسين مسلمين فهم أيضا من بناة الدولة، ولن يصل الأمر الى توصيل أية شخصية مسلمة الى منصب وزارى الا اذا كان مواليا للنظام موالاة كاملة ٠

ومنهم من يقول أن الطريق لاقامة الدولة هو الدعوة فقط ، واقامة قاعدة عريضة ، وهذا لا يحقق قيام الدولة بالرغم من أن البعض جعل هذه النقطة أساس تراجعه عن الجهاد ، والحق أن الذى سيقيم الدولة هم القلة المؤمنة ٠٠ والذين يستقيمون على أمر الله وسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دائما قلة بدليل قول الله عز وجل (**وقليل من عبادى الشكور**) وقوله سبحانه (**وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله**) وتلك سنة الله فى أرضه ٠٠ فمن أين ستأتى بهذه الكثرة المؤمنة ويقول سبحانه (**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين**) ٠

٣ ـ الهجرة والعـــلم :

وهناك من يقول ان الطريقة لاقامة الدولة الاسلامية هو الهجرة الى بلد آخر واقامة الدولة هناك ، ثم العودة مرة أخرى فاتحين ، ولتوفير جهد

هؤلاء فعليهم أن يقيموا دولة الاسلام ببلدهم ثم يخرجون منها فاتحين ‥ وهل هذه الهجرة شرعية أم لا ؟ .

للاجابة عن هذا التساؤل ندرس أنواع الهجرة الواردة فى السنة فى تفسير حديث (فمن كانت هجرته الى الله ورسوله كانت هجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه) يقول ابن حجر : والهجرة الى الشىء الانتقال اليه من غيره . وفى الشرع (ترك ما نهى الله عنه) وقد وقعت فى الاسلام على وجهين :

الأول : الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمان ، كما فى هجرتى الحبشة ، وابتداء الهجرة من مكة الى المدينة .

الثانى : الهجرة من دار الكفر الى دار الايمان وذلك بعد أن استقر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة وهاجر اليه من أمكنه ذلك من المسلمين ‥ ولا عجب فى ذلك فان هناك من يقول انه سوف يهاجر الى الجبل ثم يعود فيلتقى بفرعون كما فعل موسى ، وبعد ذلك يخسف الله بفرعون وجنوده الأرض ‥ وكل هذه الشطحات ما نتجت الا من جراء ترك الأسلوب الصحيح والشرعى الوحيد لاقامة الدولة الاسلامية . اذن فما هو الأسلوب الصحيح؟ يقول الله تعالى (**كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم**) ويقول سبحانه (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**) .

وهناك من يقول ان الطريق الآن هو الانشغال بطلب العلم ، وكيف نجاهد ولسنا على علم ، وطلب العلم فريضة ، ولكننا لم نسمع بقول واحد يبيح ترك أمر شرعى أو فرض من فرائض الاسلام بحجة العلم ، خاصة اذا كان هذا الفرض هو الجهاد ، فكيف نترك فرض عين من أجل فرض كفاية ‥ ثم كيف يتأتى أن نكون قد علمنا أقل السنن والمستحبات ونتادى بها ثم نترك فرضا عظمة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم الذى تعمق فى العلم الى درجة انه عرف الصغيرة والكبيرة كيف يمر عليه قدر الجهاد وعقوبة تأخيره أو التقصير فيه ‥ ومن يقول ان العلم جهاد عليه أن يعلم أن الفرض هو القتال لأن الله سبحانه وتعولى يقول (**كتب عليكم القتال**) ‥ ومعلوم أن رجلا شهد الشهادتين بين يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم نزل ميدان القتال فقاتل حتى قتل قبل أن يفعل شيئا سواء فى العلم أو فى العبادة فبشره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذا العمل القليل بالأجر الكثير .

وحدود العلوم أن من علم فرضية الصلاة فعليه أن يصلى ، ومن علم فرضية الصيام فعليه أن يصوم كذلك من عام فرضية الجهاد فعليه أن يجاهد ، ومن يبح بعدم علمه بأحكام الجهاد فعليه أن يعرف أن أحكام الاسلام سهلة وميسرة لمن أخلص النية لله ، فعلى هذا أن ينوى الجهاد فى سبيل الله ، وبعد ذلك فأحكام الجهاد تدرس بسهولة ويسر وفى وقت قصير جدا والأمر لا يحتاج الى جهد ، ومن أراد أن يزداد من العلم فوق هذا الحد فليس هناك حكر على العلم ، فالعلم متاح للجميع ‥ أما تأخير الجهاد بحجة طلب العلم فتلك حجة من لا حجة له ‥ وهناك مجاهدون منذ بداية دعوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى عصور التابعين حتى عصور قريبة لم يكونوا علماء وفتح الله على أيديهم أمصارا كثيرة ولم يحتجوا بطلب العلم أو بمعرفة علم الحديث وأصول الفقه ، بل ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل على أيديهم نصرا للاسلام لم يقم به علماء الأزهر يوم أن دخل نابليون وجنوده الأزهر بالخيل والنعال ، فماذا فعلوا بعلمهم أمام تلك المهزلة ‥ فالعلم ليس هو السلاح الحاد والقاطع الذى سوف يقطع دابر الكافرين ، ولكن هذا السلاح الذى ذكره لنا المولى ـ عز وجل ـ فى قوله (**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين**) ونحن لا نحقر قدر العلم والعلماء بل ننادى به ، ولكن لا نحتج به فى التخلى عن فرائض شرعها الله (بيان أن أمة الاسلام تختلف عن الأمم الأخرى فى أمر القتال) ‥ يوضح الله تعالى أن هذه الأمة تختلف عن الأمم الأخرى فى أمر القتال ، ففى الأمم السابقة كان الله ـ سبحانه وتعالى ـ ينزل عذابه على الكفار وأعداء دينه بالسنن الكونية كالخسف والغرق والصاعقة والريح ‥ وهذا الوضع يختلف مع أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فالله سبحانه وتعالى يخاطبهم قائلا لهم (**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين**) أى أنه على المسلم أولا أن ينفذ الأمر بالقتال بيده ثم بعد ذلك يتدخل الله سبحانه وتعالى بالسنن الكونية وبذلك يتحقق النصر على أيدى المؤمنين من عند الله سبحانه وتعالى ٠

٤ ـ الخروج على الحاكم :

جاء فى صحيح مسلم بشرح النووى عن جنادة بن أبى أمية قال دخلنا على عبادة بن الصامت ـ وهو مريض ـ فقلنا حدثنا ـ أصلحك الله ـ بحديث ينفع الله به سمعته عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال دعانا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا والا ننازع الأمر أهله قال الا (**أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهانا**) وبواحا أى ظاهرا ، والمراد الكفر هنا المعاصى ، معنى **عندكم من**

الله فيه برهان أي تعلمونه من دين الله ، ويقول النووى فى شرح الحديث (قال القاضى عياض أجمع العلماء على أن الامامة لا تنعقد لكافر ، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل ، قال وكذا لو ترك اقامة الصلوات والدعاء اليها ، وكذلك قال عند جمهورهم المبدعة ٠٠ قال وقال بعض البصريين تنعقد له وتسند له لأنه متأول٠٠قال القاضى لو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب امام عادل ان أمكنهم ذلك الا لطائفة وجبت عليهم القيام بخلع الكافر (صحيح مسلم ــ باب الجهاد) وهذا الباب هو أيضا رد على القائلين بأنه لا يجوز القتال الا تحت خليفة أو أمير) ٠

ويقول ابن تيمية (كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الاسلام الظاهرة المتواترة فانه يجب قتالهم باتفاق أئمة المسلمين وان تكلمت بالشهادتين) ٠٠ (الفتاوى الكبرى باب الجهاد ص ٢٨١) ٠

هناك قول بأن ميدان الجهاد اليوم هو تحرير القدس كأرض مقدسة والحقيقة أن تحرير الأراضى المقدسة أمر شرعى واجب على كل مسلم ، ولكن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصف المؤمن بأنه كيس فطن أى أنه يعرف ما ينفع وما يضر وما يغير ويقدم الحلول الحاسمة الجذرية ، وهذه نقطة تستلزم توضيح الآتى :

أولا : ان قتال العدو القريب أولى من قتال العدو البعيد ٠

ثانيا : ان دماء المسلمين التى ستنزف حتى وان تحقق النصر فالسؤال الآن هل هذا النصر لصالح الدولة الاسلامية القائمة ؟ أم أن هذا النصر هو لصالح الحكم الكافر القائم وهو تثبيت لأركان الدولة الخارجة عن شرع الله ٠٠ وهؤلاء الحكام انما ينتهزون فرصة أفكار هؤلاء المسلمين الوطنية فى تحقيق أغراضهم غير الاسلامية وان كان ظاهرها الاسلام ، فالقتال يجب أن يكون تحت راية مسلمة وقيادة مسلمة ولا خلاف فى ذلك ٠

ثالثا : أن أساس وجود الاستعمار فى بلاد الشام هو هؤلاء الحكام ، فالبدء بالقضاء على الاستعمار هو عمل غير مجد وغير مفيد ، وما هو الا مضيعة للوقت ٠٠ فعلينا أن نركز قضيتنا الاسلامية وهى اقامة شرع الله أولا فى بلدنا وجعل كلمة الله هى العليا ٠٠ فلا شك أن ميدان الجهاد الأول هو اقتلاع تلك القيادات الكافرة واستبدالها بالنظام الاسلامى الكامل ومن هنا تكون الانطلاقة ٠

٥ ـ آية السيف :

ولقد تكلم أغلب المفسرين فى آية من آيات القرآن وسموها آية السيف ، وهى قول الله سبحانه وتعالى (**فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واقعدوا لهم كل مرصد**) .. قال الحافظ بن كثير فى تفسير الآية (قال الضحاك بن مزاحم انها نسخت كل عهد بين النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين أحد المشركين وكل عقد ومدة . وقال العوفى عن ابن عباس فى هذه الآية لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت براءة) .

ويقول الحافظ محمد بن أحمد بن محمد بن جزى الكلبى صاحب تفسير التسهيل لعلوم التنزيل (وتقدم هنا ما جاء من نسخ مسالمة الكفار والعفو عنهم والاعراض والصبر على آذاهم بالأمر بقتالهم ليغنى ذلك عن تكراره فى مواضعه فانه وقع منه فى القرآن مائة وأربع عشرة آية من أربع وخمسين سورة نسخ ذلك بقوله (**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**) (**كتب عليكم القتال**) .

وقال الحسين بن فضل فيها هى آية السيف نسخت هذه كل آية فى القرآن فيها ذكر الاعراض والصبر على أذى الأعداء .. فالعجب ممن يستدل بالآيات المنسوخة على ترك القتال والجهاد . وقال الامام أبو عبد الله محمد بن حزم المتوفى سنة ٥٦ فى الناسخ والمنسوخ باب الاعراض عن المشركين فى مائة وأربع عشرة آية فى ثمان وأربعين سورة نسخ الكل بقوله عز وجل (**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**) .

ويقول الامام المحقق أبو القاسم هبة الله سلامة (**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**) هى الآية الثالثة وهى الناسخة ولكن نسخت من القرآن مائة آية وأربعا وعشرين ثم صار آخرها ناسخا لأولها وهى قوله تعالى (**فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم**) (كتاب الناسخ والمنسوخ) .

وقال السدى والضحاك أن آية السيف منسوخة بآية (**فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء**) وهى أشد على المشركين من آية السيف وقال قتادة بالعكس ، ولا أعلم أحد خالف القول بالمنسوخ سوى السيوطى ، **قال فى** كتاب الاتفاق (الأمر حين الضعف والقلة بالصبر بالصفح ثم نسخ بايجاب القتال ، وهذا فى الحقيقة ليس نسخا بل هو من قسم المنسأ كما قال

تعالى أو ننسها .. فالمنسأ هو الأمر بالقتال الى أن يقوى المسلمون وفى حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن الآية فى ذلك منسوخة بآية السيف وليس كذلك بل هو المنسأ) .

٦ ـ القتال الآن فرض على كل مسلم :

والله سبحانه وتعالى عندما فرض الصيام قال **(كتب عليكم الصيام)** وفى أمر القتال قال **(كتب عليكم القتال)** أى أن القتال فرض وذلك ردا على من قال أن الفرض هو الجهاد ، ومن هنا يقول اننى قمت بواجب الدعوة فقد أديت الفرض لأن ذلك جهاد .. واذا خرجت فى طلب العلم فأنا فى سبيل الله حتى أرجع بنص الحديث فبذلك فقد أديت الفرض .. فالفرض واضح بالنص القرآنى انه القتال أى المواجهة والدم .. والسؤال الآن متى يكون الجهاد فرض عين ؟ يتعين الجهاد فى ثلاثة مواضع :

أولا : اذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف وتعين عليهم المقام لقوله تعالى **(يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار)** .

ثانيا : اذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم .

وثالثا : اذا استنفر الامام قوما لزمهم الاستنفار لقوله تعالى **(يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتهم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل .. الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير)** ..وقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ **(اذا استنفرتم فانفروا)** .

وبالنسبة للأقطار الاسلامية فان العدو يقيم فى ديارهم ، بل أصبح العدو يمتلك زمام الأمور ، وذلك العدو هم هؤلاء الحكام الذين انتزعوا قيادة المسلمين ، ومن هنا فجهادهم فرض عين ، هذا بالاضافة الى أن الجهاد الاسلامى اليوم يحتاج الى عرق كل مسلم .

واعلم انه اذا كان الجهاد فرض عين فليس هناك استئذان للوالدين فى الخروج للجهاد كما قال الفقهاء فمثله كمثل الصلاة والصوم .

والواضح أن الجهاد اليوم فرض عين على كل مسلم ، وبالرغم من ذلك نجد أن هناك من يحتج بانه يحتاج الى تربية نفسه وأن الجهاد

مراحل ، فهو مازال فى مرحلة جهاد النفس ويستدل على ذلك بقول الامام ابن القيم ٠٠ الذى قسم الجهاد الى مراتب :

١ ــ جهــاد النفس ٠

٢ ــ جهاد الشيطان ٠

٣ ــ جهاد الكفار والمنافقين ٠

وهذا الاستدلال ينبىء من خلفه اما جهل كامل واما عن جبن فاحش ذلك لأن ابن القيــم قســم الجهاد الى مراتب ولم يقسمه الى مراحل ٠٠ والا فعلينــا أن نتوقف عن مجاهدة الشيطان حتى نتتهى من مرحلة جهاد النفس ، والحقيقة أن المراتب الثلاث تسير معا فى خط مستقيم ، ونحن لا ننكر أن أقوانا ايمانا وأكثرنا مجاهدة لنفسه أكثرنا ثباتا ٠٠ ولكن من يدرس السيرة يجد أنه عندما ينادى منادى الجهاد كان الجميع ينفــر فى سبيل الله حتى مرتكبو الكبيرة وحديثو العهد بالاسلام ، يروى أن رجلا أسلم أثناء القتال ونزل فى المعركة فنزل شهيدا فقال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ (عمل قليل وأجر كبير) ٠

ويتعين على المسلم أن يعد نفسه للجهاد فى سبيل الله ، والرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول (انتدب الله لمن خرج فى سبيل الله لا يخرجه الا الجهاد فى سبيل الله ايمان بى وتصديق برسولى فهو على ضامن أن أدخله الجنـــــة أو أرجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة) متفق عليه ٠

ويقول أيضا (من سأل الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه) رواه مسلم والبيهقى عن أبى هريرة (وجاء رجل لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال له دلنى على عمل يعدل الجهاد قال لا أجده قال هل نستطيع ؟ اذا خرج المجاهد أن تدخل مصحبك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر ومن يستطيع ذلك ٠٠ قال أبو هريرة أن فرس المجاهد ليستن (يتحرك) فى طوله يكتب له حسنات) ٠٠ (البخارى) ٠

ويقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ (للشهيد عند الله ست خصال ٠٠ يغفر له من أول دفعة دم ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن الفزع الأكبر ، ويحلى حلية الايمان ويزوج من الحور العين ويشفع فى سبعين من أقاربه) (الترمذى) ٠

وعن فنون القتال قال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ (الحرب خدعة) ويقول النووى فى شرح الحديث (اتفق العلماء على جواز خداع الكفار وكيف أمكن الخداع الا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل ، ومعلوم أنه لا عهد بيننا وبينهم حيث أنهم محاربون لدين الله ــ سبحانه وتعالى ــ والمسلمون أصرار فى اختيار أسلوب القتال المناسب على أن تحقق الدعة ، وهى النصر بأقل الخسائر وأيسر السبل) ٠

بعد أن نجح ساسة اليهود فى تأليب الأحزاب الكافرة على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ودعوته وأصبح الوضع خطيرا رسم المسلمون على عجل خطة فريدة لم تسمع الحرب عنها من قبل ، فهم لا يعرفون الا قتال الميادين المكشوفة وتلك الخطط أشار بها سلمان الفارسى وهى حفر خندق عميق بحيط بالمدينة من ناحية السهل ويفصل بين المدافعين والمغيرين فاسلوب القتال ليس وحيا ولا سنة ثابتة ، ولكن المسلم له أن يعمل عقله ويدبر ويخطط ، والأمر يعود فيه للمشورة ٠

وقد صح فى الحديث الكذب فى ثلاثة أشياء ــ قال الطبرى انما يجوز من الكذب فى الحرب المعارضة دون حقيقة الكذب فانه لا يحل ٠٠ هذا كلامه والظاهر هو اباحة حقيقة نفس الكذب لكن الاقتصار على التعريض أفضل والله أعلم (شرح النووى) ٠

وعن جواز الاغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الاسلام من غير انذار ٠ روى الامام مسلم عن بن عدى قال كتبت الى نافع أسأله عن الدعوة قبل القتال قال فكتب الى : انما كان ذلك فى أول الاسلام ٠٠ قد أغار رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على بنى المصطلق وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتليهم وسبى سبيهم وأصاب يومئذ ، قال يحيى أحسبه قال جويريه أو قال البيته ابنة الحارث ٠

الشرح : قال النووى فى هذا الحديث جواز الاغارة على الكفار الذين بلغتهم الدعوة بغير انذار بالاغارة ، وفى هذه المسألة ثلاثة مذاهب حكاها المازرى القاضى : أحدها يجب الانذار مطلقا قال مالك وغيره ٠٠ وهذا ضعيف٠٠والثانى عدم وجوبه مطلقا وهذا أضعف منه أو باطل٠٠والثالث يجب ان لم تبلغهم الدعوة ، وعدم وجوبه ان بلغتهم ، لكن يستحب ، وهذا هو الصحيح وبه قال نافع مولى بن عمرو الحسين البصرى والثورى والليث والشافعى وأبو ثور وابن المنذر والجمهور٠٠وقال ابن المنذر وهو قل أكثر أهل العلم ٠٠ (مسلم شرح النووى) ٠٠ (جواز تبييت الكفار ورميهم وان أدى الى قتل ذراريهم) ٠

عن ابن عباس عن الصعب بن جثهامة قال (قلت يا رسول الله انا نصيب في البيسـان من ذرارى المشركين (ذريتهـم) قال هم منهـم (رواه مسلم) .

الشرح : سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن حكم صبيان المشركين الذين يبقون فيصاب من نسائهم وصبيانهم بالقتل ، فقال هم من آبائهم أى لا بأس لأن أحكام آبائهم جارية عليهم فى الميراث وفى النكاح وفى القصاص وللديانات وغير ذلك والمراد اذا لم يعتدوا من غير ضرورة . (مسلم شرح النووى باب الجهاد) .

عن ابن عمر قال : وجدت امرأة مقتولة فى بعض مغـازى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن قتل النساء والصبيان (رواه الجماعة الا النسائى) .

ويروى أحمد وأبو داود انه فى احدى الغزوات من رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عثر على مقتولة مما أصابت المقدمة فوقفوا ينظرون اليها وهم يتعجبون من خلقها حتى لحقهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال (ما كانت هذه لتقاتل) فقال لاحدهم الحق خالدا فقل له لا تقتلوا ذرية ولا عسيفا (أى أجيرا) .

وحديث ابن عباس السابق فى جواز قتل الذرارى لا يتناقض مع هذا الحديث حيث لكل منهما حالة تختلف عن الأخرى .

عن عائشة رضى الله عنها قالت خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما كان بحره الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة فرح أصحاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين رأوه فلما أدركه قال له الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أتؤمن بالله ورسوله قال لا فقال ارجع فلن نستعين بمشرك .. قال ثم مضى حتى اذا كنا بالشجرة أدركنا فقال له الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما قال أول مرة فرد كأول مرة فقال ارجع فلن نستعين بمشرك . قالت ثم يرجع فأدركنا بالبيداء فقال له كما قال أول مرة تؤمن بالله ورسوله قال نعم فقال له الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانطلق (رواه مسلم) .

الاخلاص فى الجهاد فى سبيل الله ، والاخلاص هو تجريد قصـد التقريب الى الله عز وجل من جميع الشوائب .. وقيل هو نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الخالق وفى باب تلبس ابليس على الغزاة يذكر الامام ابن الجوزى (قد لبس ابليس على خلق كثير فخرجوا الى الجهاد

ونيتهم المباهاة والرياء ليقال فلان غاز وربما كان المقصود أن يقال شجاع أو كان طلب الغنيمة وانما الأعمال (بالنيات) ٠

عن أبي موسى قال جاء رجل الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يارسول الله أرأيت من قاتل لتكون كلمة اللـه هي العليـــا فهو في سبيل الله ٠

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال اياكم أن تقولوا مات فلان شهيدا أو قتل شهيدا فان الرجل ليقاتل ليغنم ويقاتل ليذكر ويقاتل ليرى مكانه وبالاسناد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة : رجل استشهد فأتى به تعرفه نعمه فعرفها فقال هل عملت فيها قال قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكنك قاتلت حتى يقال هو جرىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجه وألقى في النـار ٠٠ ورجـل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ٠٠ فقال ما عملت فيها فقال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت القرآن فقال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم فقد قيل وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ثم أمر بسحبه على وجهه حتى ألقى في النار ٠٠ ورجل وســع الله عليه فأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقـــال ما عملت فيها فقال ما تركت من سبيل أنت تحبه أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت به فحسب ليقال انك جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار (تفرد باخراجه مسلم) ٠

وعن غرور الفقيه فاننا نجد في فقه عمر بن العزيز رحمه الله مايسوغ ابعاد الصـــادق صاحب الخير عن المسئولية اذا كان فيه نوع من حب الظهور والخيلاء سدا للذريعة وصيانة له من احتمالات الافتتان والجناية على نفسه وعلى الدعوة ٠

فقد روى ان الراشد الخامس لما ولى الخلافة أرســـل الى أبى عبيد المزجي وكان فقيها ثقة في الحديث من شيوخ الأوزاعى ومالك وممن يستعين به الخليفة سليمان بن عبد الملك فقال له عمر هذا الطريق الى فلسطين وانت من أهلها فالحق بها قيل له يا أمير المؤمنين لو رأيت أبا عبيد وتشيره للخـــير ، فقال ذاك أحق الا ثقتــه كان أبهــة للعــــامة (تهذيب التهذيب ٤ ـ ١٥٨) ٠

ولقادة جماعات المسلمين هـــذا اليوم أن يقولوا لكل داعيـــة يتطلع للسمعة والجاه والمكانة الاجتماعيـــة المرموقة مثل الذى قال له عمـــر لأبى عبيد ٠

ويفهموه أنك قد أخطات بداية الطريق الى مدارك فمررت بديار دعوة التواضع والبذل والالتزام الخططي وهذه الطريق الى ديار أشكالك فالحق بهـــم ٠

(٢)

رد فضيلة المفتى

١ ـ الاسـلام وحقيقتـه :

الاسلام : يقال فى اللغة أسلم : دخل فى دين الاسلام ، وفى الشرع كما جاء فى الحديث الشريف : (الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، واقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضـان) .

وبهذا يظهر أن الاسلام هو العمل والقيام بفرائض الله من النطق بالشهادتين وأداء الفروض والانتهاء عما حرم الله سبحانه ورسوله .

فالايمان تصديق قلبى ، فمن أنكر وجحد شيئا مما وجب الايمان به فهو كافر . قال الله تعالى : **(ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا)** . أما الاسلام فهو العمل والقول . عمل بالجوارح ونطق باللسان ، ويدل على المغايرة بينهما قول الله سبحانه **(قالت الاعراب آمنا . قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان قلوبكم)** والحديث الشريف فى حوار جبريل عليه السلام مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الايمان والاسلام يوضح مدلول كل منهم شرعا ، وهما مع هذا متلازمان ، لان الاسلام مظهر الايمان .

متى يكون الانسان مسلما ؟

حدد هذا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قوله : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، ويؤمنوا بى ، وبما جئت به ، فاذا فعلوا ذلك ، عصمـوا منى دماءهم وأموالهم ، الا بحقهـا ، وحسابهم على الله) رواه البخارى .

وفى قوله : (يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله ، وكان فى

قلبه من الخير ما يزن بره ، ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة) رواه البخاري .

هذا هو المسلم ، فمتى يخرج عن اسلامه ، وهل ارتكاب معصية بفعل أمر محرم ، أو ترك فرض من الفروض ينزع عنه وصف الاسـلام وحقوقه ؟

قال الله سبحانه : (**ان الله لا يغفر أن يشرك به ،ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**).وفي حديث طويل لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قال : (ذاك جبريل أتاني فقال : من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، قلت وان زنا ، وان سرق قال : وان زنا وان سرق ..) رواه البخـــاري .

هذه النصوص من القرآن والسنة تهدينا صراحة الى أنه : وان كانت الأعمال مصدقة للايمان ومظهرا عمليا له ، ولكن المسلم اذا ارتكب ذنبا من الذنوب بأن خالف نصا في كتاب الله ، أو في سنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يخرج بذلك عن الاسلام ، ما دام يعتقد صدق هذا النص ويؤمن بلزوم الامتثال له ، وفقط يكون عاصيا وآثما لمخالفته في الفعل أو الترك .

بل ان الخبر الصادق عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دال على أن الايمان بالمعنى السابق منقذ من النار ، فقد روى أنس رضى الله عنه ، قال : غلام يهودى يخدم النبى صلى الله عليه وسلم ، فمرض ، فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم يعوده (يزوره وهو مريض) فقعد عند رأسه ، فقال له أسـلم . فنظـر الغـلام الى أبيه وهو عنده . فقال له أبوه : أطع أبا القاسم ، فأسلم فخرج النبى صـلى الله عليه وسلم وهو يقول : (الحمد لله الذى أنقذه من النار) رواه البخارى وأبو داود .

٢ ـ ما هـو الكفر :

في اللغـة كفر الشيء ستره أى غطـاه ـ الكفر شرعا : أن يجحد الانسان شيئا مما أوجب الله الايمان به ، بعد ابلاغه اليه ، وقيـام الحجة عليه ، وهو على أربعة أنحاء :

كفر انكار ، بأن لا يعرف الله أصلا ، ولا يعترف به ، وكفر جحود ، وكفر معاندة ، وكفر نفاق ، ومن لقي الله بأى شيء من هذا الكفر لم يغفر له (**ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**) .

وقد شاع الكفر فى مقابلة الايمان ، لان الكفر فيه ستر الحق ، بمعنى اخفاء وطمس معالمه ، ويأتى هذا اللفظ بمعنى كفر النعمة ، وهو بهذا ضد الشكر ٠

وأعظم الكفر جحود وحدانية الله ، باتخاذ شريك له ، وجحد نبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته ٠

والكافر متعارف بوجه عام فيمن يجحد كل ذلك ٠ واذا كان ذلك هو معنى الايمان والاسلام والكفر ، مستفادا من نصوص القرآن والسنة كان المسلم الذى ارتكب ذنبا ، وهو يعلم أنه مذنب ، كان عاصيا لله سبحانه وتعالى معرضا نفسه لغضبه وعقابه ، لكنه لم يخرج بما ارتكب عن ربقة الايمان وحقيقته ، ولم يزل عند وصف الاسلام وحقيقته وحقوقه٠ وأيا كانت هذه الذنوب التى يقترفها المسلم خطأ وخطيئة ، كبائر أو صغائر لا يخرج بها عن الاسلام ولا من عداد المؤمنين ، ذلك مصداق قول الله سبحانه : (**ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**) ٠

٣ ـ الجهـــاد :

والجهاد فى سبيل الله أمر جاء به القرآن وجرت به السنة ، لا يمارى فى هذا أحـــد ، ولكن ما هو الجهاد ؟ فى اللغة أصله المشقة ، يقال جاهدت جهادا ، أى بلغت المشقة ٠ وفى الشرع : جهاد فى الحرب ، وجهاد فى السلم ، فالأول ، هو مجاهدة المشركين بشروطه ، والآخر هو جهاد النفس والشيطان ، وفى الحديث (رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر ، ألا وهو جهاد النفس) ٠

فالجهاد ليس منحصرا لغة ولا شرعا فى القتال ، بل ان مجاهدة الكفار تقع باليد والمال وباللسان وبالقلب ، وكل أولئك سبيله الدعوة الى الله بالطريق الذى رسمه الله تعالى فى القرآن واتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ (**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن**) ٠

هل الجهاد فرض عين على كل مسلم ؟

قال أهل العلم بالدين وأحكامه ان الجهاد بالقتال كان فرضا فى عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على من دعاه الرسول من المسلمين للخروج للقتال ، وأما بعده ـ فهو فرض كفاية اذا ـ دعت الحاجة ٠

ويكون فرض عين على كل مسلم ومسلمة فى كل عهد وعصر اذا احتلت بلاد المسلمين ، ويكون بالقتال وبالمال وباللسان وبالقلب لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم) وجهاد النفس هو فرض عين على كل مسلم ومسلمة دائما وفى كل وقت ، وفى هذا أحاديث شريفة كثيرة منها قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله عز وجل) . وحديث (بعثت بالسيف بين يدى الساعة) .

وهو حديث صحيح لكن ما مدلوله ؟ وهل تؤخذ الفاظه هكذا وحدها ، دون النظر الى الأحاديث الأخرى والى سير الدعوة منذ بدأت ؟

ان ما قال به هذا الكتيب هو ما قال به المستشرقون ، حيث عابوا على الاسلام ، فقالوا : انه انتشر بالسيف .

ألا ساء ما قالوا : هؤلاء وأولئك ، فان القرآن قد فصل فى هذه القضية ، وما كان رسول الله الا مبلغا ومنفذا للوحي ، ولا يصدر منه ما يناقض القرآن الذى يقول : **(لا اكراه في الدين)** ويقول **(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)** ويقول : **(أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)** ويقول : **(وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد)** . ويقول : **(انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء)** ذلك القرآن أصل الاسلام ، والسنة مفسرة له لا تختلف معه ، وحديث بعثت بالسيف مع هذه الآيات ، لا يؤخذ على ظاهره ، فقد جاء بيانا لوسيلة حماية الدعوة عند التعدى عليها ، أو التصدى للمسلمين ، والا فهل استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم السيف لاكراه أحد على الاسلام ؟ اللهم لا : وما كان له أن يخالف القرآن الذى نزل على قلبه .

وقوله الشريف : (وجعل رزقى فى ظل رمحى) اشارة الى آية الغنائم وقسمتها ، وأن له رزقا فى بيت مال المسلمين ، حتى لا ينشغل عن الدعوة بكسب الرزق ، وكان هذا مبدأ فى الاسلام .

قال ابن اسحاق حدثنى يحيى بن عروة بن الزبير قال اذا طلع رسول الله صلى عليه وسلم لله فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول . قال : فعرفت ذلك فى وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف . ثم قال : أتسمعون يا معشر قريش ، أما والذى نفسى بيده ، لقد جئتكم بالذبح ثم استطردت الرواية الى ما كان بين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهؤلاء الذين غمزوه بالقول ثلاث مرات وهو يطوف حول البيت فى ذات اليوم ، واليوم التالى .

فما معنى هذه العبارة الأخيرة فى قول الرسول حسبما جاء فى هذه القصة : (لقد جئتكم بالذبح) ؟ .

نعود الى اللغة نجدها تقول : ذبحت الحيوان ذبحا قطعت العروق المعروفة فى موضع الذبح بالسكين والذبح الهلاك ، وهو مجاز ، فانه من أسرع أسبابه ، وبه فسر حديث ولاية القضاء (.. فكأنما ذبح بغير سكين) ويطلق الذبح للتزكية ، وفى الحديث (كل شيء فى البحر مذبوح) أى زكى لا يحتاج الى الذبح ، ويستعمل لفظ الذبح للحلال ، أى لجعل الشيء المحرم حلالا ، وفى هذا حديث أبى الدرداء رضى الله عنه (ذبح الخمر والملح والشمس ..) أى ان وضع الملح فى الخمر مع وضعها فى الشمس يذبحها ، أى يحولها خلا فتصبح حلالا .

٤ ــ الحــــكم بما أنزل الله :

فى القرآن الكريم قول الله سبحانه : **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)** وقوله **(وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين الا خسارا)** وقوله **(كتاب أنزلناه مبــارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون)** وقوله **(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)** . وفى الحديث الشريف الذى رواه مالك فى الموطأ (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله) .

فالقرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة هما المرجع فى التشريع الاسلامى فقد اشتملا على العقائد والعبادات والمعاملات ، وعلى أحكام وحكم وعلوم وفضائل وآداب ، وأنبــاء عن اليــوم الآخر وغير هذا مما يلزم الانسان فى حياته وفى آخرته .

وقد أمر القرآن بالأخذ به ، وبما جاء به رسول الله أى سنته ، ذلك قول الله سبحانه **(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)** وقوله **(من يطع الرسول فقد أطاع الله)** وقوله **(فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)** وقوله **(انما يكون قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون)** وقوله **(ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون)** وقوله **(ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون)** وقوله **(ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون)** .

ذهب الخوارج الى أن مرتكب الكبيرة كافر محتجين بهذه الآيات الثلاث الأخيرة ، وهذا النظر منهم غير صحيح . ذلك لاننا رجعنا الى قواعد

اللغة ودلالات الحروف والأسماء نجد أن كلمة (من) الواردة في تلك الآيات من أسماء الموصـول ، وهذه الأسماء لم توضـع ــ في اللغة ــ للعموم ، بل هي للجنس ، تحتمل العموم وتحتمل الخصوص • قال أهل العلم باللغة والتفسير وعلى هذا يكون المراد والمعنى أما من لم يحكم بشيء مما أنزل الله أصلا ، فأولئك (أى من ترك أحكام الله نهائيا وهجر شرعه كله) هم الكافرون وهم الظالمون ، وهم الفاسقون وذلك بدليل ما سبق من الأحاديث الدالة على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج بها عن ايمانه واسلامه وانما يكون آثما فقط •

أو أن المراد في هذه الآيات بقول الله (•• **بما أنزل الله** ••) هو التوراة بقرينة ما قبله وهو قوله : (**انا أنزلنا التوراة** ••) واذا أخذنا هذا المعنى كانت الآيات موجهة لليهود الذين كان كتابهم التوراة ، فاذا لم يحكموا بها كانوا كافرين أو ظالمين أو فاسقين ، والمسلمون غير متعبدين بما اختص به غيرهم من الأمم السابقة ، فقد كانت ــ مثلا ــ توبة أحدهم من ذنب ارتكبه قتل نفسه (**فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم**) وحرم هذا في الاسلام (•• **ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما** ••) وشرع بديلا لقتل النفس التوبة ، بالاستغفار وبالصدقات •

وبهذا البيان يكون مجرد ترك بعض أوامر الله أو مجرد فعل ما حرم الله مع التصديق ، بصحة هذه الأوامر وضرورة العمل بها ، يكون هـذا اثما وفسقا ، ولا يكون كفرا ما دام مجرد ترك أو فعل دون جحود أو استباحة •

وعلى ذلك يكون تكفير الحاكم لتركه بعض أحكام الله وحدوده دون تطبيق لا يستند الى نص في القرآن أو في السنة ، وانما نصوصها تسبغ عليه اثم هذه المخالفة ، ولا تخرجه بها من الاسلام ، ولعل فيما قاله رسول الله وأوردناه فيما سبق من قوله (ثلاث من أصل الايمان : الكف عمن قال لا اله الا الله ، لا نكفره بذنب ، ولا نخرجه من الاسلام بعمل •• » •

لعل في هذا الرد القاطع على دعوى تكفير المسلم الذى لم يجحد شيئا من أصول الاسلام وشريعته •

٥ ــ ما السبيل الى تطبيق أحكام الله غير المنفذة •• ؟ وهل يبيح هذا قتل الحاكم والخروج عليه •• ؟

نسوق لرسم الطريق والجواب عن هذا الحديث الذى رواه الامام مسلم في صحيحه عن عوف بن مالك : قال سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول (خياركم أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون

عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم . قال : قلنـــا يا رســـول الله : أفلا ننابذهم ؟ (أى نقاتلهم) قال : لا : ما أقاموا فيكم الصلاة تصلون عليهم) .

ومثله الحديث الذى رواه أحمد وأبو يعلى قال : (يكون عليكم أمراء تطمئن اليهم القلوب وتلين لهم الجلود ، ثم يكون عليكم أمراء تشمئز منهم القلوب وتقشعر منهم الجلود فقال رجل : أنقاتلهم يا رسول الله .. ؟

قال : لا : ما أقاموا فيكم الصلاة) .

وروى الامام مسلم فى صحيحه عن أم سلمه هند بنت أبى حذيفة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (انه يستعمل عليكم أمراء ، فتعرفون وتنكرون ، فمن كره ، فقد برىء ومن أنكر فقد أسلم، ولكن من رضى وتابع . قالوا : يا رسول الله ألا نقاتلهم .. ؟ قال : لا .. ما اقاموا فيكم الصلاة) .

ومعناه أن من كره بقلبه ، ولم يستطع انكارا بيد ، ولا لسان ، فقد برىء من الاثم وأدى وظيفته ، ومن أنكر بحسب طاقته فقد سلم من هذه المعصية ، ومن رضى بفعلهم وتابعهم فهو العاصى .

بهذه الأحاديث الصحيحة وغيرها نهتدى الى أن الاسلام لا يبيح الخروج على الحاكم المسلم وقتله ما دام مقيما على الاســـلام يعمل به ، حتى ولو باقامة الصلاة فقط ، وأن على المسلمين اذا خالف الحاكم الاسلام أن يتولوه بالنصح والدعوة السليمة المستقيمة كما فى الحديث الصحيح : (الدين النصيحة . قلنا : لمن يا رسول الله .. ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) فاذا لم يقم الحاكم حدود الله وينفذ شرعه تاما ، فليست له طاعة فيما أمر من معصية أو منكر ، ومعنى هذا أن الحكم بما أنزل الله عليهم ، لا يقتصر على الحاكم فى دولته ، بل يشمل كل أفراد المسلمين رجالا ونساء ، عليهم الالتزام بأمر الله فيما افترض من طاعات ، والانتهاء عما نهى من منكرات .

٦ ـ آيـة السـيف :

وقد قضى الكتيب المعروض بها قول الله سبحانه فى سورة التوبة :

(فاذا انسلخ الأشهر الحـرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم) .

ونقل الكتاب أن هذه الآية نسخت مائة وأربع آية فى ثمان وأربعين سـورة ، فهى ناسخة لكل آية فى القرآن فيها ذكر الاعراض ، والصبر على أذى الأعداء ·

هذه الآية الكريمة ، كما هو منطوقها ، واردة في مشركي العرب الذين لا عهد لهم ، حيث نبذت عهودهم ، وضرب الله لهم الأربعة أشهر الحرم ، وقد فرق القرآن فى المعاملة بين مشركى العرب ، والمشركين وأهل الكتاب من الأمم الأخرى ، والأمر بقتال مشركى العرب فى هـذه الآية وما قبلها مبنى عن كونهم البادئين بقتال المسلمين والناكثين لعهودهم ، كما جاء فى آية تالية فى ذات السورة : **(ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول ، وهم بدأوكم أول مرة)** ·

ولقد أطلق بعض الناس القول فى أن آية السيف ناسخة لغيرها من الآيات حسبما نقل هذا الكتيب ، ولكن الصواب أنه لا نسخ ، وان كل آية واردة فى موضعها ، كما أن الأصل فى الأعمال مقدم على الاهمال ·

بل ان آية السيف جاء في آخرها ما يوقف حكم أولها : **(فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم)** فمن آمن وأسلم ، تائبا بذلك عن الشرك وأقام الصلاة وأتى الزكاة · امتنع قتالهم وقتلهم ·

فالآية موجهة الى المشركين الكافرين بأصول الدين ، وغير موجهة فى الأمر بقتال المسلمين فالاستدلال بها على انها أمر بقتال المشركين وغيرهم فى غير موضعه ، بل يناقض لفظها ، وفى صدد المشركين أجاز القرآن التعاهد معهم ، والوفاء بهذه المعاهدة فى قوله تعالى : **(·· الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ، فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم)** وقوله **(يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ··)** وقوله : **(·· وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا)** · فكيف اذن يقال : ان آية السيف ناسخة لأمثال هذه الآيات ، التى نظمت التعاهد مع المشركين وغيرهم من أهل الكتاب ، وكيف يمدون حكمها الى المسلم الذى ترك فرضا من الفرائض عن غير جحود أو فعل موبقة منهيا عنها تحريما والرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله ، فاذا قالوا ذلك،عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها) وقد فسر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ هذا الحق بثلاث فى قوله : (لا يحل دم امرىء مسلم ، الا باحدى ثلاث : كفر بعد ايمان ، أو زنا بعد احصان ، أو قتل نفس بنفس)· فكيف مع هذا يستباح قتل المسلم الذى يصلى ويزكى ويتلو القرآن باسم آية السيف ؟ ·

٧ ـ الخلافة والبيعة على القتال :

ان الشورى هى أساس الحكم فى الاسلام ، وبهذا أمر الله رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قوله : (**وشاورهم فى الأمر**) أى فى الأمور التى تتعلق بأمور الحياة والدولة ، لا فى شأن الوحى والتشريع ، وما يأتى من عند الله ٠ وقال سبحانه : (**وأمرهم شورى بينهم**) وقال (**لست عليهم بمسيطر**) وقال : (**وما أنت عليهم بجبار**) ٠

والحاكم فى الاسلام وكيل عن الأمة ، لذلك كان من شأنها أن تختار الحكام وتعزلهم وتراقبهم فى كل تصرفاتهم ، ويجب أن يكون الحاكم المسلم عادلا قويا فى دينه ومقاومته لأهل البغى والعدوان ٠

ويتفق أهل العلم بالاسلام وأحكامه على أن (خليفة المسلمين) هو مجرد وكيل عن الأمة يخضع لسلطانها فى جميع أموره ، وهو مثل أى فرد فيها ، فهو فرد عادى ، لا امتياز له ولا منزلة الا بقدر عمله وعدله ٠

فالاسلام أول من سن تلك الآيات لمبدأ : الأمة مصدر السلطات ٠ والاجماع منعقد منذ عصر الصحابة على وجوب تعيين حاكم للمسلمين استنادا الى أحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذا الوضع ٠

وانتخاب الحاكم بالطرق المقررة فى كل عصر قائم مقام البيعة التى ترددت فى كتب فقهاء الشريعة فما البيعة الا ادلاء بالرأى والتزام بالعهد ، وكان المسلمون يبايعون الرسول ـ صلى الله عليه وسلم على الوقوف معه وحمايته مما يحمون منه أنفسهم ونساءهم ، فهو عهد والتزام منهم بحماية الرسول وحماية دعوته ، فقد كان يستوثق منهم لدينه بهذه البيعة ٠

والقتال فى ذاته ليس هدفا ـ كما تقدم ـ وكما يقضى القرآن والسنة ، وانما هو وسيلة لحماية الدين والبلاد ، ولم يكن آنذاك تجنيد اجبارى وجيش نظامى متفرغ لهذه المهمة ، حتى اذا ما نظم عمر بن الخطاب ومن بعده الجيوش ودون الدواوين ، لم يعد هناك مجال لهذه البيعة على القتال خارج صفوف جيش الدولة ، والا كان هؤلاء الذين يتبايعون على مثل هذا خارجين على جماعة المسلمين وحل قتالهم ، والأخذ على أيديهم ٠

٨ ـ الاسلام والعلم :

جاء فى كتيب (الفريضة الغائبة) تحت عنوان : الانشغال بطلب العلم :

اننا لم نسمع بقول واحد يبيح ترك أمر شرعى أو فرض الاسلام بحجة العلم ، خاصة اذا كان هذا الفرض هو الجهاد ، نترك فرض عين

من أجل فرض كفاية ، وحدود العلم : أن من علم فريضة الصلاة فعليه أن يصلى ٠٠ الخ ٠

ومن كتب هذا لم يقرأ القرآن ، واذا كان قد قرأه فانه ممن آمن ببعض الكتاب وأعرض عن بعض ٠

فلنستعرض بعض ما أمر به القرآن الكريم وتوجيهاته الى العلم والتعليم :

ان أول نداء فتح الله به على نبيه ايذانا ببدء الوحى قول الله سبحانه:

(اقرأ باسم ربك الذى خلق ٠ خلق الانسان من علق ٠ اقرأ وربك الأكرم ٠ الذى علم بالقلم ٠ علم الانسان ما لم يعلم ٠) ٠

والقراءة طريق العلم والمعرفة ، ثم يذكر القرآن خلق الانسان وتكوينه ، ويمن الله عليه بنعمة العلم ٠

وبالعلم فى الاسلام يتناول كل ما وجد فى هذا الكون ، فضلا عن العلم بالدين عقيدة وشريعة وآدابا وسلوكا ٠

والعلم جهاد ، ففى الحديث الشريف قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع) رواه الترمذى عن أنس رضى الله عنه ٠

ولقد ذكر أمام الرسول صلى الله عليه وسلم رجلان ، عالم وعابد فقال : (فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم) ٠ رواه الترمذى عن أبى امامة ٠

ان هذه الدعوة الأثيمة الى التقليل من فضل العلم ، هى دعوة الى الأمية والبدائية باسم الاسلام ، وفيها تحريض للشباب بالانصراف وهجر دراستهم فى المدارس والجامعات والامتناع عن استيعاب العلوم ، علوم الدين ، وعلوم الدنيا ، وهى الدعوة التى أوى اليها بعض الشباب الذين غرر بهم هؤلاء المفسدون ، ونسى أولئك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لعبد الله بن عباس رضى الله عنه بقوله : (اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل) وفى هذا الرد على الدعوة للانصراف عن العلوم الشرعية ثم قد روى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : (أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم السريانية) وهذه دعوة من رسول الله لأحد أصحابه ليتعلم لغة أخرى غير العربية ، وقال زيد بن ثابت أيضا : (أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود ٠ وقال : (انى والله لا آمن يهوديا على كتابى) قال زيد : (فما مر بى نصف شهر حتى تعلمته له) ٠

٩ ـ التعامل مع غير المسلمين والاستعانة بهم :

نقل الكتاب بعض الأحاديث في النهى عن الاستعانة بالمشرك والتعامل معه وهذا ـ كما تقدم ـ من باب الايمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض ، وشرع الاسلام كل لا يتجزأ ، فلابد حين نستقى حكما ونستنبطه من القرآن والسنة أن نستوفى كل النصوص المؤدية الى الحكم صحيحا بمعرفة أهل الاختصاص والعلم بالأحكام ٠

واذا رجعنا الى سنة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نجده قد استعان في هجرته بعبد الله بن أريقط وهو مشرك ، وقد اتخذه دليـــلا لرحلة الهجرة ، يرشده الى الطريق ، وقد رافقه حتى وصل الى المدينة ، أليس هذا استعانة من الرسول بمشرك لم يتبع دينه بعد ؟

ولما دخلت بلاد الفرس في الاسلام ، ودون عمر بن الخطاب الدواوين ونقل عنهم بعض نظمهم الادارية استعان في ذلك ببعض خبرائهم وهم على دينهم ، أليس هذا استعانة بغير المسلمين من أمير المؤمنين الذى ملأ الأرض عدلا ، وكان القرآن ينزل مؤيدا لما اقترحه ورآه في كثير من أمور الدين والدنيا ؟

فالأصل في الاسلام التعامل مع الناس جميعا ، المسلم وغير المسلم ، فيما لا يخالف نصا صريحا من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو حكما أجمع عليه المسلمون ٠ ويدعو الى دراسة نفس الانسان والكون في قول الله : **(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم٠٠)** ويدعو الى دراسة التاريخ وأحوال السابقين من الأمم والشعوب في قوله تعالى : **(أفلم يسيروا في الأرض فينظرون كيف كان عاقبة الذين من قبلهم٠٠)** ٠

ويدعـــو الى دراســـة علم النبات والزراعة في قول الله : **(فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا ٠٠)** ٠

والى دراســـة علم الحيوان في قول الله : **(أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ٠٠)** ٠

والى دراسة الفلك في قول الله : **(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ٠٠)** ٠

والى دراسة الجغرافيا في قول الله : **(وفي الأرض آيات للموقنين)**٠

والى دراسة الجيولوجيا فى قول الله : (**ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها ..**) .

والى دراسة الكيمياء والفيزياء فى قول الله : (**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ..**) .

ولو ذهبنا نستقصى أوامر القرآن وحثه على العلم والتعلم وتفضيله العلماء على غيرهم ، وأحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذا الموطن لاحتجنا الى كتاب بل الى كتب .

وكما بدأ القرآن فى النزول بكلمة العلم وتفضيله **(اقرأ باسم ربك)** .

كان افتداء الأسارى فى بدر تعليم أولاد المسلمين القراءة والكتابة ، وهكذا كانت السنة الشريفة مع القرآن تبيانا وهداية الى العلم . وهكذا كان شأن العلم فى الاسلام .

فهل بعد هذه المنزلة نغض من شأنه ، ونقول أنه يكفي منه القليل والله يقول : (**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ..**) .

(٣)

حادث الاعتداء على الكلية
الفنيـة العسـكرية
بأيدي جماعة الجهاد

فى فجر ١٩٧٤/٤/١٨ م روع المواطنون من أهالى منطقـة منشية البكرى وكوبرى القبة بأصوات اطلاق أعيرة نارية صادرة من مبنى الكلية الفنية العسكرية أعقبها هرج وأصوات سيارات الاسعاف وشرطة النجدة التى كانت تسرع فى اتجاه الكلية الفنية وتساءل المواطنون عن سر هذه الحوادث التى وقعت هـذه الليلة وسرعان ما وجـدوا الاجابة فى صحف الصـباح .

وتبدأ القصة منذ أكتوبر سنة ١٩٧٣ م حيث وفد الى مصر المدعو صالح عبد الله سرية الفلسطينى الجنسية المفصول من منظمة فتح والمفصول أيضا من جماعة الاخوان المسلمين بالعراق لتطرفه ، وسبق اتهامه بمحاولة اغتيال الرئيس عبد السلام عارف ، كما كان منتميا الى الحزب الشيوعى الأردنى ، وفتحت له مصر ذراعيها كطالب ينتمى الى معهد الدراسـات الاسلامية حيث حصل على الدكتوراه فى ١٩٧٢ م ، ثم بدأ يمارس نشاطه الدينى داعيا الى قيام دولة اسلامية تطبق شريعة الله الواردة فى كتابه الكريم ، وأمكنه السيطرة على عقول كثير من شباب جامعة الاسـكندرية بواسطة مساعديه هناك ، وكان اختيارهم يقع على الشباب الأعزب الذى لم يسبق انتماؤه لأى جماعات دينية ، واستمرت الاجتماعات بينهم فى القاهرة تارة وفى الاسكندرية تارة أخرى حيث كان صالح سرية يدعو الى محاولة تغيير دستور الدولة وقلب الحكومة بالقوة واستقر الرأى على انتهاز فرصة وجود رئيس الجمهورية السيد/ محمد أنور السادات وقتئذ مجتمعا فى مبنى الاتحاد الاشتراكى بالوزراء وأعضاء مجلس الشعب واللجنـة المركزية يوم ١٩٧٤/٤/١٨ ووضع الخطة اللازمة لمباغتة كل هؤلاء المسئولين والقضاء عليهم والاستيلاء على الحكم .

واستقر العزم على الاستعانة بمعاونيه أعضاء التنظيم الموجودين داخل الكلية الفنية العسكرية وعلى رأسهم كارم عزت الأناضولى الذى تم الاتفاق معه على مهاجمة الكلية واحتلالها والاستيلاء على الأسلحة والذخائر التى بها ، ثم التوجـــه الى مبنى الاتحـاد الاشتراكى بعد ارتدائهم الملابس

العسكرية للايهام بوقوع انقلاب عسكرى ، وذلك لتنفيذ مخططهم والاستيلاء على الاذاعة واعلان قيام الحكومة الاسلامية ، وفي سبيل تنفيذ ذلك تحركت الجماعة المكلفة بالتنفيذ في الساعة الثانية عشرة من منتصف ليلة ١٧ ، ١٨/٤/١٩٧٤ بعد تجمعها في ميدان العباسية وكان قد اختير منها ١٨ فردا من الأشداء المسلحين بالأسلحة البيضاء وهم جماعة الاقتحام الذين هاجموا قوة حراسة الكلية من الباب الخلفي وذبحوا اثنين من الحرس ، وتمكن الباقي من الصياح بكلمة (حرس سلاح) حيث هب أفراد الحراسة الأخرى ، والتحم الطرفان وكان أفراد التنظيم الموجودين بالكلية قد فصلوا التيار الكهربائي وحطموا المصابيح المضاءة فساد الظلام ، وحدث الهرج والمرج حتى تم وصول النجدة من الشرطة العسكرية وسيطروا على الموقف وقبضوا على من بقي منهم حيا وبعد أن قتل من أفراد الكلية سبعة أفراد ، وجرح حوالى ٢٤ فردا ، وكان صالح سرية في هذا الوقت يقف على محطة مترو كوبرى القبة منتظرا اشارة ضوئية ومعه الهلاوى أمير جماعة الجيزة لينضموا الى طلال الانصارى أمير جماعة الاسكندرية ويقودوا الجماعة التى احتلت الكلية لتنفيذ باقي الخطط ٠

ومن الطريف في هذا الحادث أن أحد أفراد الجماعة وهو الطالب احمد الرجال قصد فور علمه بالمخطط ليلة الحادث الى منزل السيد رئيس الجمهورية وأبلغ نقيب الشرطة بذلك فأخذ يسخر منه ويدعوه للعشاء وهو يتفرج على التليفزيون ، وبعد عدة محاولات أرسله الى مبنى المباحث العامة حيث قابله عقيد أخذ بدوره يتهكم عليه الا أنه ازاء اصراره بالتبليغ حوله الى رئيس المباحث العامة الذى قابله الساعة ١٫٣٠ صباحا حيث كان الحادث قد وقع ٠

المحـــاكمة

قدم المتهمون المذكورون للمحاكمة أمام محكمة أمن الدولة العليا في القضية ٢٦٨٧ ، ١٦٩ لسنة ٧٤ أمن دولة عليا :

وكان عددهم ٩٢ فردا ، وكانت المحكمة برئاسة المستشار برهان العبد وعضوية كل من المستشارين/ عبد اللطيف المراغي ومحمود صبرى عبد الصمد ٠

(أ) المتهمـــون :

١ ـ صالح عبد الله سرية
٢ ـ طلال محمد عبد المنعم الأنصارى
٣ ـ كامل محمود عبد القادر
٤ ـ حسن محمد هلاوى

٥ ـ كاظم عزت حسن عبد المجيد الأناضولي
٦ ـ سعد محمد عبد المنعم درباله
٧ ـ محمود محمد موسى العمراوى
٨ ـ أحمد صالح عامر
٩ ـ حسين حسن سليم غنيم
١٠ ـ محمد شاكر محمد سليمان الشريف
١١ ـ محمود أحمد محمود عبد العال
١٢ ـ أحمد مجدى محمد اسماعيل
١٣ ـ مجدى محمد سليم
١٤ ـ محمود خلاف
١٥ ـ كرم محمد عيسى
١٦ ـ حسين محمد حافظ
١٧ ـ يحيى عبد العليم اسماعيل
١٨ ـ مكرم محمد أبو زيد .
١٩ ـ محمود ذياب أبو زيد
٢٠ ـ محمد الصاوى محمد على
٢١ ـ محمد ابراهيم زينون
٢٢ ـ محمد السيد سليم
٢٣ ـ محمد محمود عشرة
٢٤ ـ هانى عبد المقصود الدفرانى
٢٥ ـ حسن عبد الله السحيمى
٢٦ ـ مصطفى يحيى محمد
٢٧ ـ عبد الحليم السيد عبد الحليم
٢٨ ـ محمد محمد حسن الجندى
٢٩ ـ أحمد ابراهيم جمال الدين
٣٠ ـ محمد محمد أبو العينين
٣١ ـ أحمد أحمد عشرى
٣٢ ـ جلال شفيق على صقر
٣٣ ـ محمود فراج عبد الحافظ
٣٤ ـ مصطفى حسن خالد
٣٥ ـ وجيه الشسنيطى
٣٦ ـ رمضان فراج عبد الحافظ
٣٧ ـ خالد ابراهيم سالم
٣٨ ـ ممدوح جابر موسى
٣٩ ـ محرم عادل فرج البليسى

٤٠ ـ طلعت عباس عوض الله
٤١ ـ محمد السيد جاد الكريم
٤٢ ـ ابراهيم يوسف سيد زاهد
٤٣ ـ محمد فراج محمد عبد الكريم
٤٤ ـ يسرى ابراهيم على رفاعى
٤٥ ـ أحمد ابراهيم محمد عيسى
٤٦ ـ السيد محمود أحمد السيد
٤٧ ـ سعيد حسنى مرسى
٤٨ ـ محمد محمود شاهين
٤٩ ـ سعد مصطفى شحات
٥٠ ـ محمد على خليفة
٥١ ـ رأفت اسماعيل محمد اسماعيل
٥٢ ـ عبد القوى محمد عبد الحفيظ
٥٣ ـ محمد عباس محمد السروجى
٥٤ ـ محرم عبد الله مرسى
٥٥ ـ يسرى عامر السيد عامر
٥٦ ـ حسين سعد الشيبوى
٥٧ ـ أسامة شـوقى خاطر
٥٨ ـ حسين عبد الرازق اسماعيل
٥٩ ـ أحمد محمود أحمد سيد أحمد
٦٠ ـ نجيب محمد عبد المنعم
٦١ ـ محمد نشأت عبد الفتاح
٦٢ ـ محمود السيد سـليم
٦٣ ـ محمد السيد اسماعيل
٦٤ ـ اسماعيل خليفـة
٦٥ ـ أحمد محمد منصور
٦٦ ـ مصطفى يسرى عبد المطلب
٦٧ ـ عـزت يوسف فرجانى
٦٨ ـ عـز الدين عبد الله محمود عبد الله
٦٩ ـ منصور حامد محجوب
٧٠ ـ صلاح الدين فضل رزق
٧١ ـ عبد الفتاح محمود عبد الفتاح الزين
٧٢ ـ محمد محمود أبو العلا
٧٣ ـ أسامة محمد سيد خليفة
٧٤ ـ محمد أمـين مجاهد
٧٥ ـ مصطفى عبد المنعم الصدوتى

٧٦ ـ أحمد شكرى الرشيدى
٧٧ ـ نبيل عباس عبد الرازق مصطفى
٧٨ ـ أحمد محمد سيد خليفة
٧٩ ـ ابراهيم ابراهيم محفوظ
٨٠ ـ عبد الرءوف أمين الجيش محمد
٨١ ـ حسن حسن بدران
٨٢ ـ عيد ابراهيم حسن أبو دشيشن
٨٣ ـ محمود عبد الله رضا
٨٤ ـ نبيل مختار جاد المولى
٨٥ ـ محمد أحمد حسن
٨٦ ـ محمد ياسر سعد مصطفى
٨٧ ـ محمد على حسن صقر
٨٨ ـ شريف محمد رشاد النبال
٨٩ ـ صلاح الدين فهمى حامد
٩٠ ـ على الشريف عجمى
٩١ ـ فتحى عبد السلام مبارك
٩٢ ـ سعيد عبد الله حماد

(ب) الاتهام :

أولا : المتهمون من الأول حتى الرابع والسبعين :

جاولوا تغيير دستور الدولة وشكل الحكومة فيها بالقوة بأن اتفقوا فيما بينهم وألفوا تنظيما سريا مسلحا بهدف اسقاط الحكومة القائمة عن طريق القيام بانقلاب مسلح للاستيلاء على زمام الحكم بالقوة ، ودبروا لتنفيذ مخططهم عملية الاستيلاء على الكلية الفنية العسكرية للاستعانة بامكاناتها من الأسلحة والذخائر ووسائل النقل فى اقتحام اجتماع عام للسيد رئيس الجمهورية مع أعضاء اللجنة المركزية ومجلس الشعب بهدف تنحية الرئيس واعلان الاستيلاء على السلطة ، وبدأوا فى تنفيذ مخططهم بأن تجمعوا بميدان العباسية على شكل مجموعات مسلحة ، وتوجه بعضهم الى الكلية الفنية العسكرية واقتحموها بمؤازرة أعضاء التنظيم من طلبتها بعد الاعتداء على حراسها ، وانتظر الباقون حولها فى انتظار دخولها لاتمام السيطرة عليها ، وأحبطت محاولتهم نتيجة مقاومة الحراس لهم وضبطهم ، وقد تولى المتهمون الخمسة الأول قيادة التنظيم وقد وقعت نتيجة ذلك الجرائم الآتية :

١ ـ حاولوا وهم عصابة مسلحة تولى قيادتها المتهمون الخمسة لأول احتلال أحد المبانى العامة بالقوة وذلك بأن هاجموا حراس الكلية الفنية العسكرية من الداخل والخارج واستولوا على أسلحتهم وذخائرهم وحازوها للسيطرة على مبانى الكلية واحتلالها .

٢ ـ قتلوا عمدا ومع سبق الاصرار كلا من الرقيب ابراهيم محمد ابراهيم والعريف عبد النبي محمد ابراهيم والجنود حسين عبد الله امام وزينهم محمد زكي ومحمود سليمان ومحمد عبد الوهاب وافي ورشيد السيد من جنود الحراسة بالكلية الفنية العسكرية بأن أنتووا قتلهم وعقدوا العزم على ذلك وأعدوا لهذا الغرض أسلحة (مدى وخناجر) وباغتوهم طعنـا بها ، كما أحدثوا بكل منهم الاصابات الموصوفة في تقارير الصفة التشريحية والتي أودت بحياتهم •

٣ ـ شرعوا في قتل كل من الرائد محمد السيد عيسوى وصف الضباط والجنود زكريا الصباحي خليل وعبد الله ماضي عبد الله ومصطفى جمال حامد وعبد الصبور سليم حسن وخليل على خليل ومحمد سليمان ومحمود وعبد الوهاب محمد ومحمد السيد مروان وغنيم عبد العزيز غنيم وأحمد حامد عفيفي ومحمد خضر السيد ومحمد متولي عوام وحسين محمد صالح وأحمد عبد الباسط عقل ونبيل مرسي على وعباس فتحي ابراهيم وفرج عوض سرحان وأحمد أحمد الديب وحسين عبد الرحمن عبد القادر وابراهيم سلامة حنا وعبد الجواد نصر غلاب ، من قوة الكلية الفنية ومحمود محمود أحمد كهربائي بالكلية عمدا مع سبق الاصرار ، وذلك بأن انتووا قتلهم ، وعقدوا العزم على ذلك ، وأعدوا لهذا الغرض أسلحة (مـدى وخناجر) وباغتوهم طعنا بها فأحدثوا بهم الاصابات الموصوفة بالتقارير الطبية وأوقف أثر الجريمة بسبب لا دخل لارادتهم فيه هو مداركة المجني عليهم بالعلاج •

٤ ـ سرقوا الأسلحة والذخائر المبينة بالتحقيقات والمملوكة للقوات المسلحة ليلا وبطريق الاكراه ، وذلك بأن هاجموا حراس الكلية الفنية العسكرية المجني عليهم سالفي الذكر وانهالوا عليهم طعنا بالمدى والخناجر فأحدثوا بهم الاصابات الموصوفة بالتقارير الطبية وتمكنوا بهذه الوسيلة من الاكراه من شل مقاومتهم والاستيلاء على ما يحملونه من أسلحة وذخائر للقوات المسلحة •

٥ ـ تسببوا عمدا في انقطاع الخطوط التليفونية التي أنشأتهـا الحكومة لمنطقة عمومية وذلك بأن قطعوا الأسلاك الموصلة لها بالكلية الفنية العسكرية وأتلفوا معداتها على النحو المبين بالتحقيقات •

ثانيا : المتهمون من الخامس والسبعين وحتى التسعين :

اشتركوا مع المتهمين سالفي الذكر في اتفاق جنائي حرض عليـه وأدار حركته المتهمون الخمسة الأول الغرض منه ارتكاب جناية محاولة

قلب نظام الحكم بالقوة والعقاب عليه بالمادة ٨٧ ق ع ، وقد وقعت هذه الجناية وكذلك ما ترتب عليها من جرائم نتيجة لهذا الاتفاق ٠

ثالثا : المتهمون من الخامس وحتى العشرين :

بصفتهم خاضعين للأحكام العسكرية طلبة بالكلية الفنية العسكرية اتفقوا فيما بينهم على ارتكاب أفعال ترمى الى الخروج عن طاعة السيد رئيس الجمهورية وقلب وتغيير نظم الدولة الاقتصادية والاجتماعية ومناهضة السياسة العامة للدولة وترويج ذلك فى أوساط القوات المسلحة ، وذلك بأن اتفقوا فيما بينهم على ارتكاب جناية محاولة قلب نظام الحكم القائم بالقـوة

رابعا ـ المتهمان الحادى والتسعون والثانى والتسعون :

بصفتهما خاضعين للأحكام العسكرية نقيب بالقوات المسلحة علما بوجود مشروع ارتكاب أفعال ترمى الى تغيير نظم الدولة الاقتصـادية والاجتماعية ومناهضة السياسة العـامة للدولة والترويج لذلك فى أوساط القوات المسلحة وقصرا فى ابلاغ السلطات المختصة بذلك ٠

(ج) الحـكم :

وقد صدر الحكم بالاعدام شنقا باجماع الآراء على كل من المتهم الأول والثانى والخامس ، ولكن خفف الحكم من رئيس الجمهورية بالنسبة للمتهم الثانى ليكون بالأشغال الشاقة المؤبدة ٠

وبالأشغال الشاقة المؤبدة على كل من المتهمين الثالث عشر والرابع عشر والحادى والعشرين والثانى والعشرين والرابع والعشرين والخامس والعشرين والتاسع والعشرين ٠

وبالأشـغال الشاقة لمدة خمس عشرة سـنة على كل من المتهمين السادس والثالث والعشرين والسادس والعشرين والسـابع والعشرين والثلاثين والسابع والثلاثين والتاسع والثلاثين ٠

وبالأشغال الشاقة عشر سنوات على كل من المتهمين السابع والتاسع والعاشر والخامس عشر والسادس عشر والثامن والعشرين والحـادى والثلاثين والثالث والثلاثين وبالسجن خمس سنوات على كل من المتهمين الثانى عشر والسابع عشر والتاسع عشر والعشرين والرابـع والثلاثين والأربعين ٠

حادث اغتيال الرئيس الســادات
بأيدى جماعة الجهــاد

فى صبيحة يوم العرض العسكرى المقـام بمدينـة نصر بمناسـبة انتصـــار القوات المسلحة يوم ٦ أكتوبر سـنة ١٩٧٣ وفى ذات اليوم ٦ أكتوبر من عام ١٩٨١ وفى الساعة ١٢٫٣٥ وأثناء مرور بعض عربات المدفعية أمام المنصة الرئيسية فى نفس لحظة اجراء عرض القوات الجوية ، والكل يرنو ببصره الى السماء متتبعا الدخان الأخضر والأزرق والأصفر المنبعث من خلف الطائرات اذ بعربة المدفعية تنحرف ناحية المنصة التى يجلس عليها الرئيس/ السادات ومعه كبار القادة وكبار رجال الدولة والأحزاب ، وعلى بعد ثلاثين خطوة يغادر الملازم أول/ خالد أحمد شوقى الاسلامبولى من قوة اللواء ٣٣٣ مدفعية مكانه بجوار السائق ، ويتجه بضـع خطـوات تجاه المنصـة ، ويلقى بقنبلتين يدويتين على من بها ، اصطدمت احداها بسور المنصة وانفجرت ، ووقعت الأخرى على الصف الأول ولم تنفجر ، ويعود سريعا ليأخذ مدفعه الرشاش من العربة قاصدا الرئيس وهو يقف فى منتصف المنصة ومعه الملازم أول احتياط عطا طايل حميده من مركز تدريب مهنى المهندسين والملازم أول متقاعد/ عبد الحميد عبد السـلام اللذان قفزا من ظهر العربة حاملين معهما بنادقهما الآلية متجهين جميعا صوب المنصة حيث ألقى كل من عطا وعبد الحميد قنبلتين انفجرتا قبل المنصة وتناثرت شظاياهما ، وفى هذه اللحظة وقف السادات منتصب القامة متعجبا لما يحدث قائلا (مش معقول ــ مش معقول) فى نفس الوقت الذى كان بطل الرماية الرقيب حسين عباس على واقفا على العربة يصوب بندقيته الآلية الى الهدف الواضح ، السادات ، فأصابه برصاصة فى الجانب الأيمن من رقبته فى الجزء الفاصل بين الترقوة وعظمة الرقبة ، وبرصاصة أخرى فى أعلى الساعد الأيمن وكان الثلاثة الآخرون قد وصلوا الى المنصة حيث أطلقوا وابلا من الرصاص من يمين ومنتصف المنصة قاصدين اتجاه الرئيس السادات رافعين دبشك البنادق الآلية الى أعلى مع امالة الماســورة الى داخل المنصـــة صائحين فى نائب الرئيس ووزير الدفاع بالابتعاد وافرغا ما تبقى من ذخيرة السلاح فى صدره وساقه من الجهة اليسرى ، وكان لا يزال يترنح من الطلقة الأولى فسقط مضرجا فى دمائه التى اندفعت من فمه بكثرة لفظ على أثرها أنفاسه ، وقد أصيب الأفراد الثلاثة أثناء محاولتهم الهرب وتم القبض عليهم فورا ،

أما الرابع حسين عباس الذى كان قد أطلق رصاصاته الأولى من العربة فقد نزل عقب نزول الفردين الثانى والثالث وتوجه الى يمين المنصة حيث أفرغ رصاص بندقيته الآلية تجاه المنصة وخلفها ثم فر هاربا ، واختفى فى الزحام بعد أن ألقى بندقيته الى أن قبض عليه يوم ١٩٨١/١٠/٩ ٠ ولم يستغرق الحادث بأكمله أكثر من أربعين ثانية ، وقد أعقب ذلك اطلاق النيران من أكثر من جهة من أفراد الحراسة الخاصة مما أدى الى اصابة الكثير من الأفراد وقد نتج عن الحادث وفاة الرئيس أنور السادات واللواء حسن علام والمصور محمد رشوان ، والمهندس سمير حلمى ، والانبا صموئيل والصينى سونج ليو ، والمقدم خلف نصر صالح ، والمدنى سعيد عبد الرءوف بكر ، كما أصيب ٢٨ شخصا بجراح مختلفة ٠

وتتلخص وقائع الحادث فى أن خالد أحمد شوقى الاسلامبولى قد وقع عليه الاختيار يوم ١٩٨١/٩/٢٣ للاشتراك فى طابور العرض العسكرى ليحل محل زميل له شاءت الظروف أن تمنعه من المشاركة فى هذا الطابور ، ولقد توجه خالد بالفعل فى اليوم التالى الى أرض العرض وحضر (البروفة) وفى يوم الجمعة الموافق ١٩٨١/٩/٢٥ قصد خالد منزل محمد عبد السلام فرج عطية ببولاق الدكرور لزيارته ، ففوجىء باصابته بكسر فى ساقه من جراء حادث سيارة ، وفى تلك الزيارة ، تجاذبا أطراف الحديث حول الأوضاع السائدة فى البلاد على وجه العموم ، كما تطرق بهما الحديث الى ما يتعرض له المسلمون من ظلم يحيق بهم وبعلماء الدين ، وفرغا من حديثهما الى وجوب تمكين شرع الله ، ووجد خالد فى ذلك الحديث فرصة مواتية له فى الكشف عن مكنون صدره وخبيئة نفسه ، فبادر بابلاغ محمد عبد السلام بأمر تعيينه فى طابور العرض ، وأعرب له عن رغبته فى تنفيذ فكرته والتخلص من رئيس الجمهورية باغتياله فى منصة العرض ، بيد أنه يحول دون تحقيق ذلك الذى يصبو اليه ، حاجته الى عون ثلاثة أو أربعة من الاخوة فى الله لمساعدته فى تنفيذها ، وتدبير القنابل والذخيرة اللازمة لضمان نجاحها فرحب محمد عبد السلام بالفكرة وحبذها ووافقه عليهما ٠

وتنفيذا لما تم الاتفاق عليه حضر المدعو صفوت ابراهيم حامد الأشوح بسيارته الى منزل محمد عبد السلام ، حيث أقله وزوجته وعبد الناصر عبد العليم أحمد درة الى منزل خالد الذى يقطن فيه مع شقيقته ٠٠ ولما علم زوج شقيقته بحضورهم اعترض على استضافة محمد عبد السلام ارتيابا فيه خشية أن يكون من بين المطلوب القبض عليهم بيد أن خالد هدأ من روعه ، وبدد من وساوسه وخوفه ، وطمأنه بأنه سيدبر لهم أمر مبيتهم فى مكان آخر صبيحة اليوم التالى ٠

وما ان أشارت عقارب الساعة الى الحادية عشرة مساء تقريبا وقتذاك ، اذ أرسل محمد عبد السلام تابعه الذى اصطفاه عبد الناصر عبد العليم أحمد درة لاستدعاء صالح أحمد صالح جاهين فأحضره ، وأسفرت مقابلته مع خالد ومحمد عبد السلام عن مكاشفتهما له بما انتويا عليه ، واتفقا معه على اناطته تدبير الذخائر والقنابل وباتوا جميعهم ما تبقى من سويعات فى ليلتهم بمسكن شقيقة خالد ٠

وفى اليوم التالى ، قبل عبد الحميد عبد السلام عبد العال على ، صديق خالد وفى نفس الوقت متزوج من شقيقة زوج أخت خالد ويقطن فى الدور العلوى بذات المنزل ـ قبل استضافة محمد عبد السلام وزوجته وعبد الناصر بمنزله ، وانصرف صالح لتدبير الذخيرة والقنابل المطلوبة ٠ وفى يوم ١٩٨١/٩/٢٨ حضر كل من كرم محمد زهدى سليمان وفؤاد محمود أحمد حنفى وشهرته فؤاد الدواليبى وعاصم عبد الماجد محمد ماضى وأسامة ابراهيم حافظ الى شقة عبد الحميد وتقابلوا مع كل من محمد عبد السلام وخالد أحمد شوقى ، فعرضا عليهم خطة الاغتيال التى نسج خالد خيوطها ، فوافقوا عليها ، وانعقدت ارادتهم على تنفيذ الخطة بالتفاصيل التى تم طرحها فى هذه الجلسة على أن تقوم مجموعة الصعيد بامدادهما بالذخيرة لتنفيذ عملية الاغتيال ، وانفض مجلسهم على ذلك ، ثم عادوا للحضور مرة أخرى للاستيثاق من عزمهما على التنفيذ ، فأكد محمد عبد السلام وخالد ما تم توثيق الاتفاق عليه ٠

كما التقى خالد فى شقة عبد الحميد أيضا بكل من عطا طايل حميده وحسين عباس محمد الذى حضر بناء على تكليف من محمد عبد السلام ، وقد عرض خالد على كل منهما خطته فوافقا عليها ، واتفقا معه على تنفيذها ، كما وافق عبد الحميد عبد السلام على انضمامه اليهم فيما اتفقوا عليه ، ومشاركته اياهم فى تنفيذ ما هم مقدمون على تنفيذه ٠ ومن ناحية أخرى أوفد محمد عبد السلام مبعوثه صالح جاهين برسالة شفوية الى عبود الزمر ، فحواها أن خالد أحمد شوقى سيقدم على محاولة لاغتيال الرئيس الراحل أثناء العرض العسكرى ، ولقد أبلغ صالح جاهين فحوى الرسالة الى طارق الزمر ، فنقل الرسالة بدوره الى عبود الزمر الذى أبدى عدم موافقته ، ولما عاد صالح جاهين الى محمد عبد السلام برد عبود بعدم الموافقة غضب غضبا شديدا ، وعبر عن غضبه هذا بقوله انه لا ينتظر رأيه ، وأن العملية ستتم ، غير أنه عاود الاتصال به مرة أخرى قبل حادثة الاغتيال بأربعة أيام تقريبا موفدا عبد الله سالم الى محمد عبد السلام حاملا له رسالة أخرى مؤداها موافقته على الاغتيال ، كما بعث معه توجيهاته فى شأن دخول الأفراد الى منطقة العرض وتصوراته ازاء ما يمكن أن يحدث فى حالة نجاح العملية ٠

وتتمة لما تم الاتفاق عليه بين محمد عبد السلام وخالد أحمد شوقى مع صالح جاهين فيما عهد به اليه من تدبير الذخيرة المطلوبة ، أحضر صالح جاهين يوم ١٩٨١/١٠/٢ فيما يربو على مائة طلقة ٧٫٦٢ × ٢٩ مم الى خالد الذى أخذ احدى وثمانين طلقة من بينها أربع طلقات (خارق حارق) ومعلمة بعلامة حمراء على المقذوف ، وانصرف صالح بعد ذلك بعد أن أخذ معه بقية الذخيرة التى أحضرها وفى نفس الوقت أعطى خالد الذخيرة التى أخذها من صالح لعبد الحميد ، فقام بدوره وخبأها فوق سطح المنزل ٠

وفى غضون مدة اقامة محمد عبد السلام بعيادة صفوت ابراهيم الى عيادة أسنان بالزيتون ، وذلك بسيارة صفوت ابراهيم حامد الأشوح ، ليتخذها مقرا له لاجتماعاته مع أفراد جماعته ، ولمواصلة اتفاقاته المؤثمة لاستكمال مخططه الارهابى اذ هيأها صفوت لسكناه بعد أن تنازلت له عنها صاحبتها وهى زوجة شقيقه وأنابته عنها فى ادارتها واستغلالها أثناء غيبتها فى احدى الدول العربية ٠

وفى غضون مدة اقامة محمد عبد السلام بعيادة صفوت ابراهيم حامد الأشوح من ١٠/٢ الى ١٠/٤ سنة ٨١ حقق محمد لخالد مأربه بأن زوده بالذخيرة والقنابل اليدوية التى اعتمد عليها فى تنفيذ خطته ، فأوفد له عبد الناصر يوم ١٩٨١/١٠/٣ ومعه تسع عشرة طلقة ذخيرة ٩ مم كان عبد الله سالم قد أحضرها من عبود الزمر ، كما أنه فى مساء يوم ١٩٨١/١٠/٣ طلب محمد عبد السلام من طارق ابراهيم محمد الذى عرفه به عبد الحميد عبد السلام قبل حادثة الاغتيال ببضعة أيام أن يسعى لاحضار القنابل اللازمة ، ولم يتوان طارق لحظة فى تنفيذ ما طلب منه ، فاصطحب معه صلاح السيد بيومى على فى عربة ميكروباس انطلقت بهم بقيادة محمد طارق اسماعيل المصرى صوب بلدة الاخصاص بالخطاطبة محل اقامة أسامة السيد محمد قاسم الذى كان على صلة بهما ، وهناك باتوا ليلتهم ، وفى صبيحة اليوم التالى الموافق الأحد ٨١/١٠/٤ توجهوا جميعهم ومعهم أسامة قاسم الذى أحضر قنبلتين يدويتين دفاعيتين ورشاشا ومسدسا وبعض طلقات ٩ مم وضعها فى حقيبة بالعربة الميكروباس توجها من بلدة الاخصاص الى بلدة الحاجر ، وأحضروا قنبلتين يدويتين دفاعيتين أخريين ، وعادوا بالقنابل الأربع الى القاهرة فأخذ طارق القنابل وأعطاها لمحمد عبد السلام الذى سلمها بدوره هو الآخر الى خالد أحمد شوقى فى ذات اليوم ٠

وتحوطا من محمد عبد السلام ضمانا لانجاح خطة الاغتيال ، كان قد اتفق مع المقدم ممدوح محرم حسن أبو جبل على امداده بأبر ضرب نار

وخزن بنادق آلية ، وخزنة رشاش قصير ، ومن ثم فقد طلب من محمد طارق ابراهيم محمد أن يتوجه ومعه صالح جاهين الى بيت المقدم ممدوح بعد أن أعطى لهما عنوانه فاستقلا سيارة صفوت الأشوح وقصداه ، فأعطاهما ثلاث خزن آلي وخزنة رشاش قصير ، وثلاث ابر ضرب نار ، وعادا ادراجهما الى محمد عبد السلام وكان ذلك بعد مغرب يوم ١٩٨١/١٠/٤ فوجدوا عنده كلا من خالد وعبد الحميد وأسامة قاسم الذى كان يشرح لخالد كيفية استخدام القنابل اليدوية وقتذاك ٠

وبمجرد أن أخذ خالد أبر ضرب النار وخزن البنادق الآلية ، وخزنة الرشاش والقنابل ووضعها فى حقيبته السمسونايت التى كانت معه ، غادر هو وعبد الحميد عيادة صفوت واتفقا فيما بينهما على اللقاء أمام بوابة الميريلاند فى الساعة العاشرة من مساء نفس اليوم وافترقا على هذا الأساس ٠ وفى الموعد المحدد ذهب خالد الى المكان المتفق عليه ومعه حقيبته السمسونايت وبها الذخيرة والقنابل اليدوية وابر ضرب النار وخزن البنادق الآلية وخزنة الرشاش فوجد عبد الحميد فى انتظاره داخل سيارته الفيات مرتديا زى الجنود ، فقاد خالد السيارة وعرجا فى طريقهما الى أرض العرض على مقهى بميدان الاسماعيلية بمصر الجديدة ، والتقطا عطا طايل وحسين عباس وكانا يرتديان زى الجنود أيضا ، وتوجهوا جميعا الى أرض العرض ، وعلى مقربة من تجمع آليات وأفراد وحدة خالد ، نزل عبد الحميد وعطا وحسين ومعهم خطاب مزور مفاده أنهم ملحقون من اللواء ١٨٨ مدفعية وكان الاتفاق أن يدخل هؤلاء الثلاثة ويسألون عن خالد ، كما أن خالد ترك خبرا مسبقا فى وحدته بأن ثلاثة من الجنود الملحقين سيصلون فى تلك الليلة وعقب دخول الثلاثة بربع ساعة تقريبا لحق بهم خالد فوجدهم فى انتظاره يقفون بجوار خيمته . فطلب منهم خالد مخالطة الجنود بالوحدة ، بعد أن مزق الخطاب المزور الذى كان معهم والذى سبق أن اصطنعه لهم ٠

وفى صبيحة يوم الاثنين الموافق ١٩٨١/١٠/١٥ عين خالد الجناة الثلاثة خدمة على السلاح فى ذلك اليوم ، وفور أن تلقف أمر نزع ابر ضرب النار من أحد الضباط كلف عبد الحميد بتمييز البنادق الآلية الثلاثة التى سيستخدمونها فى عملية الاغتيال ، فقام عبد الحميد بتمييزها عن سواها بقطع صغيرة من القماش دسها فى فوهاتها ٠ وفى الوقت ذاته ترك خالد حقيبته السمسونايت تحت سريره بعد أن أخرج منها القنابل الأربع ووضعها داخل خوزته ، وخصص المتهم الربع حسين عباس حارسا على خيمته ٠

ومن ناحية أخرى فقد حضر أسامة قاسم الى منزل محمد طارق ابراهيم في صباح يوم ٥/١٠/٨١ وطلب منه أن يعيره سيارته المرسيدس لاحضار باقي القنابل من الشرقية ، فأعاره اياها وانطلق أسامة بالسيارة مصطحبا معه صلاح السيد بيومى والمدعو صلاح عبد الله الى الشرقية وهناك تقابلوا مع علاء الدين عبد المنعم محمد ابراهيم وأنور عبد العظيم محمد محمد عكاشة وعلي محمد فراج فأحضر أنور عكاشة ثلاث عشرة قنبلة يدوية وسبع قنابل دخان كان يخبئها فى مقابر بلدته الجديدة مركز منيا القمح •

وعاد أسامة يوم ٥/١٠/٨١ بالقنابل الى القاهرة ومعه صلاح بيومى وكنيته أبو بسيون وصلاح عبد الله ، وعلاء عبد المنعم ، وأنور عبد العظيم وتخلف على فراج عن السفر معهم ، ولكنه علم من أسامة أنه ستحدث (دوشة) يوم العرض العسكري •

ولقد تم التحفظ على القنابل فى محل ترزى قريبا من منزل محمد طارق ابراهيم ، وحوالى الساعة الثانية والنصف من صباح الثلاثاء الموافق ٦/١٠/١٩٨١ قام خالد بمساعدة عبد الحميد بملء خزن البنادق الآلية الثلاث بالذخيرة ، واحتفظ كل من عبد الحميد وعطا وحسين ببنادقهم بعد تعميرها دون نزع ابر ضرب النار منها •

وفى السادسة والنصف ، ركبت الأطقم العربات الأربع الخاصة بكتيبة خالد ، كما ركب عبد الحميد وعطا وحسين العربة التى ركبها خالد وكانت فى اليمين من القطار الثانى لعربات اللواء المواجهة للمنصة ، وجلس خالد بجوار السائق بعد أن أخفى خزانة الرشاش بداخل جوربه ووضع الخوزة وبداخلها القنابل الأربع أسفل كرسى العربة •

وفى الثامنة تقريبا ، بينما كان الجنود ماضين فى أعمال النظافة للمدافع والعربات أعطى خالد لعبد الحميد قنبلتين يدويتين دفاعيتين احتفظ عبد الحميد بواحدة وأعطى الثانية للمتهم عطا طايل كما خبأ خالد القنبلتين الأخريين فى تابلوه العربة ، وفي نفس الوقت قام بتغيير خزنة الرشاش الخاص بالسائق بخزنة أخرى مملوءة بالذخيرة ووضع الخزنة الفارغة تحت الكرسى • ولقد حدث كل ذلك فى غيبة السائق الذى أرسله خالد لشراء (سندويتشين) كما قام خالد باعادة ترتيب جلوس أفراد طاقم عربته ، فأجلس عبد الحميد خلفه مباشرة فى صندوق العربة وظهره للمنصة ، كما أجلس عباس فى آخر صندوق العربة فى نفس الصف الذى يجلس فيه عبد الحميد وظهره للمنصة كذلك ، بينما أجلس عطا طايل فى مواجهة عبد الحميد ووجهه للمنصة •

وكانت الخطة التى وضعها خالد لتنفيذ عملية الاغتيال هى أن يجذب فرملة اليد عند اقتراب العربة من المنصة ، ولكن حدث اختلال فى المسافات بين العربات ، فهدأت العربة من سيرها وهنا تمكن خالد من اكراه السائق على التوقف أمام المنصة الرئيسية بتهديده باطلاق النار عليه ان لم يمتثل لأمره فأوقف السائق العربة ، وأسرع خالد بالنزول منها • حيث تم ارتكاب الحادث بالسرد السابق بيانه •

المحاكمة

(أ) المتهمون :

١ ـ خالد أحمد شوقى الاسلامبولى
٢ ـ عبد الحميد عبد السلام عبد العال على
٣ ـ عطا طايل حميده رحيل
٤ ـ حسين عباس محمد
٥ ـ محمد عبد السلام فرج عطية
٦ ـ كرم محمد زهدى سليمان
٧ ـ فؤاد محمود أحمد أحمد حنفى (وشهرته فؤاد الدواليبى)
٨ ـ عصام عبد الماجد محمد ماضى
٩ ـ أسامة ابراهيم حافظ
١٠ ـ الدكتور عمر أحمد على عبد الرحمن
١١ ـ عبود عبد اللطيف حسن الزمر
١٢ ـ صالح أحمد صالح جاهين
١٣ ـ عبد الناصر عبد العليم أحمد درة
١٤ ـ طارق عبد الموجود ابراهيم الزمر
١٥ ـ محمد طارق ابراهيم محمد
١٦ ـ أسامة السيد محمد قاسم
١٧ ـ صلاح السيد بيومى على
١٨ ـ علاء الدين عبد المنعم محمد ابراهيم
١٩ ـ أنور عبد العظيم محمد محمد عكاشه
٢٠ ـ محمد طارق اسماعيل المصرى
٢١ ـ على محمد فراج على
٢٢ ـ عبد الله محمد محمد سالم
٢٣ ـ صفوت ابراهيم حامد الأشوح
٢٤ ـ السيد على محمد اسماعيل السلامونى















(ب) الاتهـــام :

أولا : المتهمون من الأول الى الرابع :

قتلوا عمدا مع سبق الاصرار والترصد رئيس جمهورية مصر العربية الراحل محمد أنور السادات بأن بيتوا النية وعقدوا العزم على قتله غدرا وغيلة أثناء وجوده بالمنصة الرئيسية فى العرض العسكرى يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١ لتكريم القوات المصرية الباسلة فى ذكرى انتصارها فى حرب رمضان المجيدة ، اذ استغل المتهم الأول تعيينه مسئولا عن العنـاصر المشـاركة فى العرض من الوحدة العسكرية التى يخدم بها فتمكن بطريق التحايل والتزوير من استبدال المتهمين الثانى والثالث والرابع بثلاثة من جنود الطاقم الأصلى للعربات قاطرة المدفع عيار ١٣٠ مم ، كما تمكن باسـاءة استغلال وظيفته أيضا من ادخال الذخائر خاصة البنادق الآلية تسليح الطاقم وكذا الرشاش القصير تسليح السائق الى أرض العرض العسكرى ومن الاحتفاظ بابر ضرب النار خاصة الأسلحة المذكورة ، وذلك على الرغم من التعليمات القاضية بسحب تلك الابر وعدم تواجد تلك الذخائر أثناء العرض العسكرى ٠

كما تمكن من ادخال أربع قنابل يدوية شديدة الخطورة تحتوى كل منها على عدد كبير من الشظايا الى أرض العرض احتفظ باثنتين منهـا وسلم الأخريين لكل من المتهمين الثانى والثالث ، وأثنـاء سير العربة قاطرة المدفع التى يركبها وكان جالسا بالكابينة بجوار السائق بينما كان الجناة الثلاثة الأخرون يجلسون وسط سائر الطاقم أعلى العربة تمكن من اكراه السائق على التوقف أمام المنصة الرئيسية مباشرة وأسرع الى النزول ملقيا قنبلة يدوية كما أسرع المتهمان الثانى والثالث بالقاء قنبلتين أخريين فى اتجاه المنصة فانفجرتا قريبا منها ، ثم قام المتهمان الثالث والرابع باطلاق دفعة نيران من بندقيتيهما الآليتين ، فأحدث ذلك مفاجأة شديدة للجالسين بالمنصة وللقائمين على حراسة الرئيس مما أدى الى اضطرارهم لخفض رءوسهم وفى ثوان معدودات كان المتهم الأول قد اختطف الرشاش القصير خاصة السائق من الكابينة وقفز الجناة الثلاثة الآخرون فبلغوا جميعا المنصة الرئيسية حيث كانت لا تبعد عن موقع وقوف العربة بأكثر من خمسة وعشرين مترا فقط ، وأمكنهم تصويب أسلحتهم من الاتصال القريب ، سواء بالمواجهة أو من الجنبين صـعودا على السلمين الأيمن والأيسر للمنصـة ، وأفرغوا ذخائرهم كلها مع التركيز على الموجـودين بالصفوف الأولى وخاصة الرئيس الراحل مما أدى الى اصابته بالاصابات الموضحة بالتقرير الطبى الشرعى والتى أدت الى وفاته ٠

وقد اقترنت الجناية المذكورة فى نفس المكان والزمان بجنايات قتل عمد وشروع فى قتل عمد مع سبق الاصرار والترصد لآخرين كانوا بالمنصة الرئيسية وحولها حيث كان الجناة قد بيتوا النية وعقدوا العزم على قتل كل من يستطيعون قتله ممن يعين الرئيس ويواليه · وأصيب كل من اللواء أ·ح / حسن علام ، وخلفان ناصر محمد (عمانى) ، ومهندس سمير حلمى ابراهيم ، الانبا صموئيل ، محمد يوسف رشوان (مصور) ، سعيد عبد الرءوف بكر ، شانج لوى (صينى الجنسية) بالاصابات الموضحة بالتقارير الطبية الشرعية التى أدت الى وفاتهم ·

كما أصيب كل من السادة المهندس / سيد أحمد مرعى ، فوزى عبد الحافظ ، محمود حسين عبد الناصر ، ولواء أ·ح / محمد نبيه السيد ، لواء متقاعد / عبد المنعم محمد واصل ، وماهر محمد على ، كرستوفر برايان (أمريكى الجنسية) ، بارك ماكلوسكى (أمريكى الجنسية) ، وعبد الله خميس فاضل (عمانى الجنسية) لوجوفان (صينى الجنسية) ، وينج بينج (صينى الجنسية) ، شين فان (صينى الجنسية) ، جوفى ودز (استرالى الجنسية) ، عميد / وجدى محمد مسعد محمد ، عميد / معاوية عثمان محمد عثمان ، عميد / شرطة مدنية أحمد محمد سرحان ، عقيد / نزيه محمد على ، رائد / عبد السلام متولى السبع ، رائد / عباس مصطفى خليل بركات ، نقيب / محمد ابراهيم محمد سليم ، جعفر على محمد محمود صالح ، برعى محمد عوضين ، م أول / محمد عبد اللطيف عبد العزيز زهران ، رقيب أول / محمد على على عيد ، عريف / محمد أحمد بدوى شاهين ، بالاصابات الموضحة بالتقارير الطبية وخاب أثر الجريمة لأسباب لا يد للجناة فيها اذ أسعفوا بالعلاج وقدر لهم المولى سبحانه البقاء على قيد الحياة ·

ثانيا : المتهم الخامس / محمد عبد السلام فرج عطية :

اشترك بطريق الاتفاق والتحريض والمساعدة مع المتهمين من الأول الى الرابع فى الجنايات السالف بيانها فى أولا بعاليه بأن حرضهم على استباحة الدماء الزكية بتأولات خاطئة للأحكام الشرعية الاسلامية أثبتها فى كتيب وضعه وطبعه أسماه (الفريضة الغائبة) سقاهم سمه وأشرب قلوبهم زيفه فأطاعوه وتلاقت ارادتهم الآثمة على تصميم قاطع على اغتيال الرئيس الراحل ومن يحيط به من رجالات الدولة فى المنصة الرئيسية

أثناء العرض العسكرى • كما أعانهم على جنايتهم الغادرة بتدبير القنابل اليدوية والذخائر • فوقعت تلك الجنايات بناء على تحريضه واتفاقه ومساعدته على النحو الموضح تفصيلا بمدونات التحقيق •

ثالثا : المتهمون من السادس الى التاسع :

اشتركوا مع المتهمين من الأول الى الرابع فى ارتكاب الجنايات المبينة فى أولا بعاليه بطريق الاتفاق حال كونهم من قادة المجموعات التى تدين بالفكر المنحرف والذى يدعو اليه المتهم الخامس والذى ينادى بقتل ولى أمر البلاد ومن يواليه • فاتحدت ارادتهم وتلاقت عزائمهم على وضع منهاجهم الدموى موضع التنفيذ باغتيال الرئيس الراحل ومن حوله أثناء العرض العسكرى ، فحضروا من بلادهم فى صعيد مصر ، وتقابلوا مع المتهمين الأول والخامس حيث عرض عليهم الأول ، خطته الاجرامية فوافقوا عليها ، ثم عادوا مرة ثانية قبيل يوم العرض العسكرى فتأكدوا من مضى العزم على تنفيذ ذلك العدوان الغادر ، وقد وقعت الجنايات السالف بيانها فى أولا بناء على ذلك الاتفاق •

رابعا : المتهم العاشر :

اتفق بطريق التحريض مع المتهمين من الأول الى التاسع فى ارتكاب الجنايات السالف بيانها فى أولا بأن قبل الزعامة على جماعاتهم الضالة مع علمه بمنهاجهم الآثم الذى يستبيح الدماء الذكية والأموال المصونة •

كما أفتى لهم الفتاوى التى شجعتهم على تنفيذ ما عقدوا العزم عليه فقارفوا جناياتهم الشنعاء بناء على ذلك ، حسبما كشف عنه التحقيق تفصيلاً •

خامسا : المتهمون من الحادى عشر الى الرابع والعشرين :

اشتركوا بطريق الاتفاق والمساعدة مع المتهمين من الأول الى الخامس فى ارتكاب الجنايات الموضحة فى أولا بعاليه وذلك بعد اعتناقهم الفكر المنحرف الذى يدعو اليه المتهم الخامس والذى يحض على قتل رئيس البلاد ومن يواليه • وحينما عرضت عليهم خطة مهاجمة المنصة الرئيسية أثناء العرض العسكرى واغتيال الرئيس ومن معه وافقوا جميعا وبادروا بتسخير أنشطتهم وأوقاتهم وامكاناتهم كلها واضعين أنفسهم تحت امرة المتهم الخامس لتنفيذ ذلك المخطط الاجرامى الذى كان يتولى قيادته ، فأحضروا القنابل والذخائر التى استخدمها الفاعلون الجناة وقاموا بنقل التعليمات وتحقيق الاتصالات وأعانوا المتهم الخامس على التنقل بسيارتهم

والاختفاء فى بيوتهم حيث كان متخفيا عاجزا عن الحركة الذاتية لكسر بساقه ، وقد وقعت الجريمة بناء على ذلك الاتفاق وتلك المساعدة على التحديد الذى كشف عنه التحقيق تفصيلا ٠

سادسا : المتهمون جميعا عدا المتهم العاشر :

حازوا وأحرزوا الأسلحة والذخائر بغير ترخيص قانونى ، كما حازوا وأحرزوا واستخدموا المفرقعات بغرض ارتكاب اغتيال سياسى على التحديد الموضح بالتحقيقات ٠

(جـ) الحـــكم :

وقد صدر الحكم بالاعدام باجماع الآراء على كل من المتهم الأول ، والثانى ، والثالث ، والرابع ، والخامس ٠

وبالأشغال الشاقة المؤبدة على كل من المتهمين الحادى عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر ، والسادس عشر ، والسابع عشر ٠

وبالأشغال الشاقة لمدة خمس عشرة ســـنة على كل من المتهمين السادس ، والثامن ، والتاسع ، والثانى عشر ، والعشرين ، والثـانى والعشرين ، والثالث والعشرين ٠

وبالأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات على كل من المتهمين الثـانى عشر ، والتاسع عشر ، والحادى والعشرين ٠

وبالأشغال الشاقة لمدة خمس سنوات على المتهم الثالث عشر ، وبراءة كل من المتهمين العاشر ، والرابع والعشرين ٠

التقرير الطبى للوفاة

جاء بالتقرير أن رئيس الجمهورية وصل الى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى الساعة ١٣ر٢٠ يوم الثلاثاء ١٩٨١/١٠/٦ وأظهر الكشف ما يلى :

١ ــ كان سيادته فى حالة غيبوبة كاملة ــ النبض وضغط الدم غير محسوسين وضربات القلب غير مسموعة ، حدقتـا العينين متسعتان ولا يوجد بهما استجابة للضوء ــ فحص قاع العين أظهر وجـود أوعية دموية خالية من الدماء ــ لا توجد حركة بالأطراف تلقائية أو بالاثارة مع عدم وجود الانعكاسات الغائرة والسطحية بجميع الأطراف ٠

٢ ـ وجود فتحتى دخول في الجهة اليسرى من مقدم الصدر أسفل حلمة الثدى اليسرى ٠

٣ ـ وجود جسم غريب محسوس تحت الجلد فى الرقبة فوق الترقوة اليمنى ٠

٤ ـ وجود فتحة دخول أعلى الركبة اليسرى من الأمام وخروج بمؤخرة الفخذ الأيسر مع وجود كسر مضاعف فى الثلث الأسفل لعظم الفخذ اليسرى ٠

٥ ـ جرح متهتك بالذراع الأيمن من الأمام أسفل المرفق ٠

٦ ـ امفزيما جراحية بالصدر والرقبة وحول العين اليسرى ٠

٧ ـ دم متدفق من الفم ٠

وقد تم نقل سيادته فورا الى قسم الرعاية المركزة لجراحة القلب والصدر بالمستشفى وأجريت له الاسعافات العاجلة التالية :

١ ـ وضع أنبوبة قصبة هوائية بعد تفريغ البلعوم مما فيه من دماء متجلطة وبدأ عمل تنفس صناعى بواسطة جهاز التنفس الصناعى ٠

٢ ـ تدليك خارجي للقلب ٠

٣ ـ اعطاء منشطات القلب اللازمة لمثل هذه الحالات بالحقن داخل القلب مباشرة ٠

٤ ـ نقل دم من نفس فصيلة سيادته بكميات كافية خلال عدد من الفتحات على الأوردة ٠

٥ ـ وضعت أنبوبة داخل القفص الصدرى بالجهة اليسرى لتفريغ الهواء والدم المتجمع ٠

٦ ـ تم توصيل سيادته على أجهزة مراقبة القلب على تسجيل مستمر للضغط والنبض ورسم القلب ، وكذلك توصيله بجهاز رسم المخ الكهربائى لتسجيل نشاط المخ ودرجة حيويته ٠

٧ ـ لم يستجب القلب للتدليك الخارجى ، تم عمل صدمات كهربائية لمحاولة تنشيطه ٠

٨ ـ لما لم يستجب القلب لكل هذه الاجراءات تم فتح التجويف الصدرى الأيسر لعمل تدليك داخلى للقلب ووجد القلب متوقفا وفى حالة ارتخاء كامل وكان جزء الرئة اليسرى متهتكا بما فيه الأوعية الدموية

الكبرى مع تهتك كامل بالرئة وتجمع دموى متجلط داخل التجويف الصدرى .

٩ ــ استمر عمل التدليك الداخلى للقلب مع اعطاء العقاقير المنشطة واستمرار التنفس الصناعى .

١٠ ــ فى خلال ذلك تم عمل الأشعات التالية :

(أ) أشعة على الصدر أظهرت وجود شظايا متعددة داخل الجهة اليسرى من التجويف الصدرى ، وكذلك رصاصة أعلى الترقوة اليمنى مع وجود امفزيما جراحية وكسور بالضلوع وتهتك بالرئة اليسرى .

(ب) أشعة على الفخذ اليسرى أظهرت وجود كسر مفتت بالثلث الأسفل من عظم الفخذ .

(جـ) أشعة على الجمجمة وكانت سليمة .

(د) أشعة على الساعد اليمنى وكانت (عظامها) سليمة .

١١ ــ فى تمام الساعة ٢ر٤٠ يوم الثلاثاء ٦/١٠/ أظهر رسم القلب عدم تسجيل أى نشاط للقلب وأظهر رسم المخ توقف كامل للمخ عن العمل تأكدا لحدوث الوفاة .

واعتبر سبب الوفاة صدمة عصبية شديدة مع نزيف داخلى بتجويف الصدر وتهتك بالرئة والأوعية الدموية الكبرى بجدار الرئة اليسرى .

تقرير الأشعة :

١ ــ الصدر : **امفزيما جراحية متقدمة بجدار الصدر وجذور العنق وجود جسمين معدنيين رباعى الشكل حولهما فتات معدنية متعددة متجهة لأعلى والداخل عبر سرة الرئة اليسرى ومنتشرة بالنصف الأسفل من أيسر الصدر وظل معدنى مستطيل (لب رصاصة) بأعلى الترقوة اليمنى ويوجد ظل متاخم للحافة اليسرى للقلب واعتام بالزاوية الحجابية الضلعية اليسرى مع عدم انتظام الحجاب الحاجز تحتها مما يوحى بوجود تهتك بالحجاب الحاجز الأيسر .**

٢ ــ الساق : كسر مفتت بالجزء الأسفل من عظم الفخذ اليسرى .

المعــاينة :

١ ــ مجموعة من ثلاثة جروح حديثة حوافيها منقلبة للداخل العلوى منها على حافة الثدى الأيسر أبعاده ٥ر١ × ١ سم نافذا الى تحويف الصدر الأيسر ومحدثا فى مساره كسرا مفتتا بالضلع السابع والثانى فى مستوى

الخط الابطي الأمامي الأيسر أبعاده ٣ × ١ سم ٠ والثالث أسفل الثاني بحوالي ٢ سم أبعاده ٥ر٢ × ١ سم ٠ وقد تعذر استخراج أي من فتات المقذوفات التي وضحت بتجويف الصدر الأيسر ٠

٢ - جرح ناري في مقدم وحشية أعلى الساعد الأيمن فتحة دخول مقذوف ناري قطر ١ سم ٠ يمتد منه مسار نفقي تحت الجلد وينتهي بجرح فتحة خروج نفس المقذوف على مقدم وحشية الساعد وسار المقذوف سطحي مع سلامة عظمتي الساعد ٠

٣ - جرح أسفل الفخذ اليسرى فتحة دخول بقطر ١ سم وجرح فتحة خروج نفس المقذوف على مقدم أسفل الفخذ قطر ٥ر١ × ١ سم وفي مسار المقذوف كسر جسيم مفتت بأسفل عظم الفخذ ٠

الملابس :

فانلة بيضاء ٠ (جيل) بها ثلاثة ثقوب من الناحية اليسرى الخلفي منها بقطر ٥ر١ سم والثاني في نفس مستواه تقريبا على بعد ١٥ سم بقطر ٥ × ٥ر١ سم والثالث أعلى الثاني بنحو ٥ سم بقطر ٥ر٣ × ٥ر٢ سم ولم يميز حول الثقوب أية آثار لقرب الاطلاق ٠

بنطلون ٠ شوهد بالرجل اليسرى الى خلف حافة الشريط الأحمر بحوالي ٣ سم وأعلى الحافة السفلى بحوالي ٤٠ سم ثقب ناري حديث مستدير مشرزم الحوافي بقطر حوالي ١ سم وأمام هذا الشريط بحوالي وأسفل مستوى الفتحة السابقة بحوالي ٣ سم مستعرض مشرزم أبعاده ٥ر١ × ١ سم ٠

وبنفس الشريط قرب منتصفه والى أعلى الثقبين السابقين بحوالي ٣ سم تمزق شريحي سطحي يتجه من الخلف للأمام وأعلى قليلا غير نافذ بالنسيج شريحته على الناحية السفلى ٠

السترة ٠ بالبدن الأمامي الأيسر مجموعة من ثلاث ثقوب نارية حديثة اثنان منهما يتجاوران ويقعان أمام خياطة البدن الأمامي بالبدن الخلفي بحوالي ٥ر٢ سم وأعلى الحافة السفلى للسترة بحوالي ٣٠ سم الخلفي منهما صغير أبعاده ٥ر٢ × ٥ر١ سم والثاني الأكبر أبعاده ٥ر٣ × ٥ر١ سم والثالث يعلوها بحوالي ٨ سم أبعاده ٤ × ٥ر١ سم يتجه من أسفل لأعلى والداخل وحوافي الثقوب كلها مشرزمة وحديثة التنسيل ومنقلبة بوضوح الى الداخل ولم يميز آثار قرب اطلاق ، شوهد بين هذه الثقوب والى أعلاها ثقوب صغيرة نافذة بجميع طبقات السترة لا يتعدى أطول أبعادها ٥ر٠ سم ٠

وشوهد بالكم الأيمن أعلى مستوى الحافة السفلى بحوالى ١١ سم وبوحشية وجهه الأمامى ثقب زاوى فتحة خروج أبعاده ١ × ٥ر١ سم يقع أعلى الحافة السفلى للكم بحوالى ١٣ سم ٠

الحزام ٠ شوهد الى يسار مشبك التوكة بحوالى ١٠ سم منطقة ثقب حديث أبعادها ٥ر٠ × ١ سم تحتها ثقب بالسطح الخارجى فى مقابله جسم صلب صغير مستقر بين طبقتى الحزام ثبت أنه فتات معدنى ٠ شوهد بالوجه الخارجى للحزام الى يسار المشبك بحوالى ١٨ سم تمزق شريحى حديث منقلب لأعلى واليمين يمتد فى مساحة أبعادها ٥ر٤ × ٥ر١سم يقابله بالحافة العليا للشريط المذهب ثقب بجزء من الحافة العليا فى موضعين متجاورين ، وهذان الأثران نافذان من جميع طبقات الحزام ويقع فى مقابلهما الثقبان السفليان النافذان من اصابة السترة ٠

وشاح القضاء ٠ شوهد به تلوث دموى وفى مقابل منطقة اصابات البدن الأمامى الأيسر من السترة مجموعة من خمسة ثقوب حديثة التنسيل منتشرة فى مساحة أبعادها ١٠ × ٦ سم الثلاثة السفلى نفذت من الوشاح ولم تنفذ من الطبقة الخلفية ويعلو هذه الثقوب الثلاثة ثقب نارى بيضاوى حديث التنسيل أبعاده ٥ر٣ × ٥ر١ سم نافذ من جميع الطبقات الى الملابس التى تليه ويعلو الثقب الخامس وهو مرورى مستعرض وغير نافذ شامل للحافة الأمامية للثنية الخلفية للوشاح أبعاده ٥ر١ × ٧٥ر٠ سم ويقابله أثر مرور بالجزء الخلفى من الثنية ٠ وشوهد ثقب صغير نافذ بقطر ٥ر٠سم مقابل منطقة مقدم الكتف الأيمن وثقب صغير غير نافذ به فتات معدنية بعقدة الفيونكة ٠

راى المحكمة

من الناحية الشرعية للجريمة

تقدم الدفاع بالدفع باباحة التجريم فى هذه الحالة بمقولة أنه قامت بالبلاد حالة افساد دفعت بالمتهمين لارتكاب الأفعال المنسوبة اليهم بمقتضى حقهم المقرر بالشريعة فى دفع هذا الافساد ، فخرجت أفعالهم بذلك عن دائرة التجريم بانعدام الركن الشرعى للجريمة وذلك تطبيقا للمادة ٦٠ عقوبات التى تنص على أنها لا تسرى أحكام قانون العقوبات على كل فعل ارتكب بنية سليمة عملا بحق مقرر بمقتضى الشريعة ، والمادة السابعة من قانون العقوبات التى تنص على أنه لا تخل أحكام هذا القانون فى أى حال من الأحوال بالحقوق الشخصية المقررة فى الشريعة الغراء وبمقتضى المادة الثانية من الدستور التى تقرر أن مبادىء الشريعة الاسلامية المصدر

الرئيسى للتشريع ٠ واستند الدفاع فيما استند الى ما قرره المتهم الأول خالد الاسلامبولى من أنه ارتكب ما ارتكبه لعدم تطبيق شريعة الله والصلح مع اليهود والقبض على علماء المسلمين دون مبرر ٠

وما قرره المتهم الثانى عبد الحميد عبد السلام من أنه ارتكب ما ارتكبه لتقديم أشرار القوم على خيارهم واشاعة السخرية من الملتحين ومن المحجبات ، وأنه تطبيق لقوله تعالى (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**) وهو ذات ما قرره المتهم الثالث عطا طايل والمتهم الرابع حسين عباس اعمالا لقاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى التى تعطى الحق فى رد الاعتداء على أى حق من حقوق الله وقد يصل هذا الحق الى حد القتل ٠

كما أشار الدفاع الى أنه احتياطيا يدفع بالغلط فى الاباحة قياسا على حكم المادة ٦٣ عقوبات مما ينتفى معه القصد الجنائى ويحيل الجريمة المقدم عنها المتهمون من قتل عمد الى قتل خطأ استنادا الى حسن نية المتهمين وبحثهم وتحريمهم قبل اقدامهم على فعلهم بدليل استنادهم الى كتاب الفريضة الغائبة وعملا بقاعدة درء الحدود بالشبهات مما يسقط القصاص عنهم ٠

ولتقييم هذا الدفع يلزم باديء ذى بدء أن نشير الى أن الفعل الرئيسى المنسوب للمتهمين هو قتل الرئيس الراحل/ محمد أنور السادات وآخرين ممن تواجدوا فى مكان الحادث ، ويذهب الدفاع الى أن هذا القتل تم بمقتضى حق تقرره الشريعة الاسلامية ويلزم للرد على هذا الزعم أن تعود المحكمة الى قواعد الشرع الاسلامى المقرر بكتاب الله والسنة النبوية المشرفة وما ذهب اليه أئمة الاسلام وفقهاء الشريعة الاسلامية فى تفسيرهم لما ورد بالقرآن والسنة ، وذلك مصداقا لقوله تعالى (**فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ــ النساء ٥٩**) وقوله تعالى (**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم٠٠**) التوبة ١٢٢) وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رواه الزهرى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : سمع النبى صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون فى القرآن (يتجادلون) فقال : (انما هلك من كان قبلكم بهذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وانما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا ، ولا يكذب بعضه بعضا ، فما علمتم منه فقولوا وما جهلتم منه ، فكلوه الى عالمه) ٠

ففى صدد ما نبحثه من أمر استباحة دم المسلم ومتى يكون وان يكون نعود الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ويؤمنوا بى وما جئت به ٠ فاذا فعلوا ذلك ٠

عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها) رواه البخارى · فسر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا الحق بثلاث فى قوله (لايحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث : الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة) قال تعالى فى كتابه الحكيم (**ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**) ·

وفى حديث لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال (ذلك جبريل آتانى فقال من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة · قلت وان زنا وان سرق قال وان زنا وان سرق) رواه البخارى ·

هذه النصوص من القرآن والسنة تهدينا صراحة الى أنه وان كانت الأعمال مصدقة للايمان ومظهرا عمليا له · ولكن المسلم اذا ارتكب ذنبا من الذنوب بأن خالف نصا فى كتاب الله · أو فى سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لايخرج بذلك عن الاسلام مادام يعتقد صدق هذا النص ويؤمن بلزوم الامتثال له · وفقط يكون عاصيا ، انما لمخالفته فى الفعل او الترك ·

ويتساءل المرحوم الشيخ جاد الحق على جاد الحق مفتى الديار المصرية (سابقا) هل يجوز تكفير المسلم بذنب ارتكبه ؟ ومن له الحكم بذلك ان كان له وجه شرعى ؟ واستطرد مجيبا مستندا الى ما ورد فى القرآن والسنة :

قال الله سبحانه وتعالى : (**ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة** ـ النساء ١٤) وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاث من أصل الايمان : وعد منها الكف عمن قال لا اله الا الله لا نكفره بذنب · ولا نخرجه من الاسلام بعمل) ·

ومن هذه النصوص يتضح أنه لا يحل تكفير مسلم بذنب اقترفه سواء كان الذنب ترك واجب مفروض أو فعل محرم منهى عنه ·

وتسوق المحكمة فى مجال اسباغ صفة المسلم على من نطق بالشهادتين قصة أسامه بن زيد والتى قتل فيها أسامه بن زيد أحد الكفار بعد أن قال لا اله الا الله وبرر ذلك لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأنه ما نطق بالشهادة الا خوفا من السيف فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (هلا شققت عن قلبه) ·

ونرجع هنا الى رأى لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى كتاب انت تسأل والاسلام يجيب فى رد عن سؤال عما اذا كان يجوز لفرد أو جماعة أن يكفروا فردا آخر أو جماعة أخرى قال : (أى انسان مهما

كان علمه لا يستطيع أن يجترىء على واحد يعلن ان لا اله الا الله ويقول عنه أنه كافر .. جائز أن يقول انه لا يلتزم فى أعماله بأحكام الدين .. أقول لهم هل الذى يشيرون اليه بذلك لا يقوم بتنفيذ أحكام الله انكارا أم كسلا .. ان كان كسلا نستمهله حتى آخر يوم فى حياته ولا نكفره .. واما ان كان منكرا لهذه الأحكام فيكون كفره ليس لأنه لا يطيع الأحكام .. وانما لأنه ينكر هذه الأحكام) .

ويقول فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة (الايمـان بالقلب والاسلام مظهره . فمن خرج عن الاسلام فلابد من مظاهر قاطعة فى خروجه على الاسلام ، واتفق العلماء على أنه لا يفتى بـردة مسلم اذا فعـل فعـلا أو قال قولا لا يحتمل الكفر ويحتمل غيره ، بل روى عن الامام أنه قال : اذا قال كلمة تحتمل الكفر من مائة وجه وتحتمل الايمـان من وجه فانه لا يحكم بالكفر) .

والذى يباح دمه هو المرتد ويباح دمه للامام دون غيره .. لأن اطلاق ذلك للناس يؤدى الى الفساد ويؤدى الى الاتهام الباطل بالكفر مع التنفيذ بغير الحق ويؤدى الى التناحر والرمى بالفسوق بعد الايمـــان ، وذلك ما ذكره الله تعالى فى قوله (**بئس الاسم الفسوق بعد الايمان**) .

ونعود الى رأى فضيلة المرحوم الشيخ جاد الحق مفتى الديار المصرية سابقا فى تفسير ما استند اليه المهتمون من آيات القرآن الكريم فى تكفيرهم للرئيس الراحل محمد أنور السادات واستحلال دمه ، فنجده يقول فى تقريره تفســـيرا لقوله تعالى (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ــ المائدة ٤٤) وقوله تعالى (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** ــ المائدة ٤٥) وقوله تعالى (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ــ المائدة ٣٧) .

وقد ذهب الخوارج الى أن مرتكب الكبيرة كافر مجمعين بهذه الآيات الثلاث الأخيرة وهذا النظر منهم غير صــحيح . ذلك لأننا اذا رجعنا الى قواعد اللغة ودلالات الحروف والأســماء نجـد أن كلمة (من) الواردة فى تلك الآيات من أسماء الموصول ، وهذه الأســماء لم توضـع فى اللغة للعدم ، بل هى للجنس تحتمل العمـوم وتحتمل الخصوص . وقال أهل العلم باللغـــة والتفسير وعلى هذا يكون المراد والمعنى (والله أعلم) أن من لم يحـكم بشىء مما أنزل الله أصـــلا أى من ترك أحكام الله نهائيا وهجر شرعه كله فهم الكافرون وهم الظالمون وهم الفاســـــقون ، وذلك بدليل ما سبق من الأحاديث الدالة على أن مرتكب الكبيرة لا يخـرج بها عن ايمانه واسلامه وانما يكون آثما فقط .. وأن المراد فى الآيات بقول الله (**بما أنزل الله**) هو التوراة بقرينة ما قبله وهو قوله : (**انا أنزلنا**

التوراة) واذا أخذنا هذا المعنى كانت الآيات موجهة لليهود الذين كان كتابهم التوراة ، فاذا لم يحكموا بها كانوا كافرين أو ضالين أو فاسقين . والمسلمون غير متعبدين بما اختص به غيرهم من الأمم السابقة .

وبهذا البيان يكون مجرد ترك بعض أوامر الله أو مجرد فعل ما حرم الله مع التصديق بصحة هذه الأوامر وضرورة العمل بها يكون هذا اثما وفسقا ولا يكون كفرا ما دام ترك دون جحود .

وعلى ذلك يكون تكفير الحاكم لتركه بعض أحكام الله وحدوده دون تطبيق لا يستند الى نص فى القرآن أو السنة .. وانما نصوصها تطبق عليه اثم هذه المخالفة ولا تخرجه بها من الاسلام ، ولعل فيما قاله رسول الله أوردناه فيما سبق من قوله (ثلاث من الايمان . الكيس من قال لا اله الا الله ، لا نكفره بذنب ، ولا نخرجه من الاسلام بعمل) لعل هذا الرد القاطع على دعوى تكفير المسلم لم يجحد شيئا من أصول الاسلام أو شريعته .

وفى باب الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والكف عن اقامة السيف ساق الامام محمد بن على بن محمد الشوكانى فى كتابه نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار . الجزء السابع ص ١٨١ وما بعدها ساق الأحاديث الشريفة :

عن ابن عباس قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (من رأى من أميره شيئا يكره فليصبر فانه من فارق الجماعة شبرا فمات مات ميتة جاهلية) .

وعن ابن مالك الأشعرى قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم ، قال : قلنا يارسول الله أفلا ننابذهم (أى نقاتلهم) عند ذلك قال (لا .. ما أقاموا الصلاة الا من ولى عليه والا فرآه يأتى شيئا من معصية الله فليكره ما يأتى من معصية ولا ينزعن يدا من طاعة) .

وعن عرفجة الأشجعى قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه) .

وجاء بذات المرجع صفحة ١٨٥ (وقد استدل القائلون بوجوب الخروج عن الحاكم ومنابذتهم بالسيف ومكافحتهم بالقتال بنصوص من الكتاب والسنة فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) ولاشك ولاريب

أن الأحاديث الســالف ذكرها أخص من تلك العموميات مطلقــا ، وهى متوافرة المعنى كما يعرف ذلك من له اية معرفة بعلم السنة . فاذا ما طبقنا قواعد الشرع السابق تفصيلها والتى استندنا فيها الى كتاب الله وسنة رسوله وآراء أهل الذكر من فقهــاء المسلمين على ما نســبه المتهمون للرئيس الراحل محمد أنور السادات تكفيرا واستحلالا لدمه نجده ـ رحمه الله ـ لم يجحد ما أنزله الله فى كتابه الكريم وعلى لسان رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم ينكر ضرور الحكم بما أنزل الله بدليل نص المـادة الثانية من الدستور فى عهده بنــاء على استفتاء شعبى تم عام ١٩٨٠ أصبحت فيه الشريعة الاسلامية المصــدر الرئيسى للتشريع ، وانعقدت اللجان وما زالت تعمل لتقنين الشريعة الاســلامية واحلالها محل القانون الوضعى على مســتوى مجلس الشعب والأزهــر الشريف ، وأن ما نسبه المتهمون للمجنى عليه من اتيــانه أمور مخالفة للدين الاســلامى هى أمور ان صحت فهى تدخل فى باب الذنوب والمعاصى التى لا تخرجه عن ربقة الاســلام ٠

ونستشهد هنا بمن اتخذه المتهمون مفتيا لهم فى شئون الدين والشرع الاسلامى وهو المتهم العاشر الشــيخ عمر عبد الرحمن فقد جاء بأقوال المتهم الخامس محمد عبد الســلام فرج عطية بمحضر تحقيق النيــابة العسكرية ص ٢٤٤ أنه وكرم فؤاد الدواليبى استفتوا الشيخ عمر بخصوص الرئيس الراحل السادات وحل دمه فأفتى بعدم حل دمه ، وأن كفره كفر دون كفر ، وليس كفرا بواحا يخــرجه عن ملة الاسلام كالفسق ، وأنه ارتكب معصية أو كبيرة لا تخرجه من ملة الاسلام ٠

وبهذا يكون ما دفع به الدفاع من اباحة ما ارتكبه المتهمون من جريمة قتل الرئيس الســابق أنور الســادات مستندين الى حق مقرر بمقتضى الشريعــة وفق المــادة ٦٠ عقوبات دفع لا أساس له من واقع أو قانون مما تنتهى معه المحكمة الى رفض هذا الدفع ٠

أما الدفع الاحتيــاطى بالغلط فى الاباحة استنادا الى حســن نية المتهمين فلم يتضح أى حسن نية من جانب المتهمين بدليل استفتائهم للمتهم العاشر ورفضهم لفتواه بعــدم حــل دم المجنى عليــه على نحو ما ورد بأقوال المتهم محمد عبد السلام بتحقيق النيابة العسكرية ، كمــا فات الدفاع أن المتهمين لم يقتصروا على قتل الرئيس السابق محمد أنور السادات وحده بل قتلوا آخرين معه تصادف وجودهم فى موقع الحادث رغم توقعهم امكان تعدى آثار الاعتداء الى غير الرئيس الســادات على حــد ما ورد بأقوالهم مما تنتهى معه المحكمة الى رفض الدفع بالغلط فى الاباحة المقدم من الدفاع ٠

(٥)

حـــوادث أســـيوط

بأيدى جماعة الجهاد

(القضـــية ١٦٢ لسنة ٨٢)

كشفت تحريات مباحث أمن الدولة أن التنظيم اعتنق أسلوب توحيد الجمـاعات الاسـلامية المختلفة اعتمادا منه على وحـدة الهدف المتمثل فى ضرورة اسقاط النظام القائم واقامة الدولة الاسلامية وفق تخطيط قامت مرحلته الأولى على الانتشار بين القطاعات الجماهيرية والثانية على ترتيب عمليات اغتيال تشمل القيادات السياسية والشعبية واحداث اضطرابات متفرقة لخلق حالة فوضى شاملة لشل سيطرة السلطة على البلاد وتحقيق ثورة شعبية تمهد لاسـتيلاء التنظيم على السلطة خـــلال المرحلة الثالثة التى استهدف فيها التنظيم احكام السيطرة على المواقع الحيوية فى الدولة بالاستيلاء على الاذاعة ووسائل الاتصـــال والمراكز الحاكمة واعلان قيام الدولة الاسلامية ٠

وتناولت مذكرة النيابة مراحل متابعة أجهزة المباحث للتنظيم وتطور الأحداث بعد حادث اغتيال الرئيس الراحل ثم احداث العنف فى بعض المحافظات ودور كل من أعضاء التنظيم فى ادارة هذه العمليات ٠

كما تناولت المذكرة الهيكل العام للتنظيم وفروعه ولجانه ومجموعاته ٠

وانتقلت مذكرة نيـابة أمن الدولة الى شرح دورة النيـابة العامة فى التحقيق والمعاينة ٠

وقد ثبت من المعاينات التى أجرتها النيابة العامة لمواقع الأحداث بمدينة أسيوط أن الجناة من أعضاء التنظيم قد استهدفوا بجريمتهم قتل رجال الشرطة بها ، واحتلال وتخريب منشآتها وممتلكاتهـا وقد اتسعت دائرة نشاطهم الاجرامى لتشمل العديد من مقار الشرطة ، وكانت أبنية مديرية أمن أسيوط وقسما أول وثان أسـيوط ونقطـة ابراهيم ومكتب التموين وأمكنة تواجد قوات الأمن بين المنشآت التى أدركها عدوان المعتدين وان كثيرا من سـيارات الشرطة وعددا من منازل المواطنين امتد اليهـا نشاطهم ، كما كشفت المعاينات أن الجنـــاة قد اسـتخدموا فى ارتكاب جريمتهم القنـابل والأسلحة النارية ودلت آثار الحـادث فى وضوح على ضراوة هجومهم ٠

فقد تبين من المعاينات ما يأتي :

ــ مبنى مديرية أمن أسيوط :

لوحظت آثار اطلاق الأعيرة النارية بادية على الواجهة الخارجية للمبنى بطابقيه : الأول والثاني ونوافذه الزجاجية والخشبية ، وان اختلفت تلك الأعيرة كثافة وحجما من مكان الى آخر ، غير أن كثافة الاطلاق قد بلغت ذروتها حول الباب الرئيسي للمبنى وحائط غرفة مدير الأمن وبداخل المبنى لوحظت آثار اطلاق الأعيرة النارية ، وقد غطت معظم غرف الطابقين وأسقفها ومحتواها كما شوهدت بقع الدماء متناثرة فى أماكن متفرقة وكثيرة ، وان الجناة قد قتلوا ستة من الجنود داخل هذه الغرفة فضلا عن جنديين كانا يقفان عند الباب الرئيسي للحراسة ، وأيضا تبين وجود آثار كثيفة لنيران بحجرة التليفون وشوهدت آثار الدماء بأرضيتها وقال ملاحظ التليفون ان الجناة قد قتلوا جنديا بهذه الحجرة ٠

مقدار التلفيات والتدمير الذى وقع فى مبنى قسم أول وقسم ثان بأسيوط وأماكن وجود قوات فرق الأمن المركزى بشارع صلاح الدين الأيوبى ٠

مقدار كميات الأسلحة والذخائر التي استولى عليها أعضاء التنظيم اثناء أحداث العنف والسيارات التي جرى استخدامها ٠

تعرضت النيابة لما حدث أثناء العرض العسكرى يوم ٦ أكتوبر من أحداث اغتيال الرئيس الراحل فذكرت أن عربة مدفع وقفت فجأة أمام المنصة ونزل منها ضابط تبين أنه المتهم الملازم أول أحمد شوقى الاسلامبولى، ومعه رشاش قصير خطفه من سائقها والذى تبين أنه عصام محمد عبد الحميد ــ والقى المتهم سالف الذكر قنبلة يدوية دفاعية على المنصة الرئيسية ثم أطلق النار وأعقبه المتهمون الثلاثة والذين تبين أنهم عبد الحميد عبد السلام عبد العال وعطا طايل حميدة وحسين عباس محمد حاملين بنادق آلية أطلقوا منها النار على الموجودين بالمنصة ، ثم حاولوا جميعا الفرار ، وجرى ضبط الثلاثة المذكورين أولا منهم ، وقد نتج عن الحادث وفاة السيد رئيس الجمهورية الراحل ، وتم ضبط المتهم الرابع بعد ذلك ، وجرى استجوابهم جميعا وكشفت أقوالهم عن انتمائهم الى تنظيم دينى متطرف يتزعمه المتهم محمد عبد السلام فرج عطية والذى قرر أنه جرى تشكيل تنظيم يعتنق فكره الذى أقامه على تكفير القائمين على الحكم فى البلاد ويهدف منه الى اسقاط النظام القائم واقامة الدولة الاسلامية ، وقد عرض هذا الفكر فى كتيب من تصنيفه أسماه (الفريضة الغائبة) وطبع منه بعض النسخ ٠ وقد سعى هذا التنظيم الى ضم بعض العسكريين ، وكان منهم الملازم أول خالد أحمد شوقى الاسلامبولى

والرقيب صبرى رفاعى والمقدم عبود الزمر والملازم أول احتياط عبد المنعم المرزوقى وأنه استهدف من تجنيد العسكريين فى التنظيم الاستعانه بخبراتهم العسكرية ومد التنظيم بالأسلحة والذخائر من الجيش ، وأن التنظيم يرأسه مجلس شورى مكون منه ومن المتهمين المقدم عبود الزمر وكرم زهدى وفؤاد الدواليبى وطلعت فؤاد وعاصم عبد الماجد وناجح ابراهيم عصام درباله وحمدى عبد الرحمن ٠

وقد كانت أكبر تشكيلات التنظيم فى الوجه القبلى ويتولى القيادة فيه المتهمون كرم زهدى وعاصم عبد الماجد وفؤاد الدواليبى وأسامة حافظ ، وانهم أثر تعيين المتهم خالد أحمد شوقى الاسلامبولى للاشتراك فى قوات العرض العسكرى حضر اليهم عارضا خطة لاستغلال هذا الموقف فى اغتيال الرئيس الراحل فأقروه على هذا الأمر وشجعوه عليها وأشركوا معه فى تنفيذها كلا من المتهمين عطا طايل حميدة وحسين عباس ، وقام بتوفير ما تحتاج اليه العملية من ذخيرة للبنادق الآلية وللمدافع الرشاشة فضلا عن القنابل فقد حصل على الذخيرة من طلقات خاصة بالتنظيم وكلف المتهم أسامة قاسم باحضار القنابل ، فأحضرها له فعلا قبل موعد العرض العسكرى بحوالى أربعة أيام ، واستعان بالمقدم ممدوح أبو جبل فى تنفيذ الخطة ، وعندما حضر اليه المتهمون كرم زهدى وفؤاد الدواليبى وعاصم عبد الماجد وأسامة حافظ من قيادات التنظيم بالصعيد وأخطرهم بخطة اغتيال الرئيس الراحل ومن معه بالمنصة الرئيسية من رجال الحكم القائم ورتب معهم تفجير ثورة شعبية فى سبيل اقامة الدولة الاسلامية ٠

وقد كشفت تحقيقات النيابة العسكرية عن عضوية بعض العسكريين والمدنيين فى قيادات التنظيم ، فقد تبين من أقوال المتهم خالد أحمد شوقى الاسلامبولى أن من أعضاء التنظيم المتهمين محمد عبد السلام فرج عطية وعبد الناصر عبد العليم درة وعبد الحميد عبد السلام وصالح أحمد جاهين وعطا طايل حميدة وحسين عباس محمد ، وتبين كذلك من أقوال المتهم عبد الحميد عبد السلام عبد العال أن من أعضائه كلا من المتهمين خالد أحمد شوقى الاسلامبولى ومحمد عبد السلام فرج عطية وصالح أحمد صالح جاهين وعطا طايل حميدة وحسين عباس محمد وعبد الناصر عبد العليم درة والدكتور صفوت الأشوح ، كما قرر المتهم عطا طايل حميدة بأن من أعضائه المتهمين خالد أحمد شوقى الاسلامبولى ومحمد عبد السلام فرج وعبد الحميد عبد السلام وحسين عباس ، وقرر المقدم ممدوح حسين أبو جبل أنه انضم فعلا الى التنظيم بعد اعتناقه فكره ، وعرف خطته القائمة على اغتيال الرئيس الراحل وجميع الموجودين بالمنصة الرئيسية ، وأمد التنظيم بثلاث خزائن للبنادق الآلية التى شاهد أحد أعضاء التنظيم من الصعيد يقدم ذخيرتها للمتهم محمد عبد السلام فرج ، وانه عرف من أعضاء التنظيم فضلا عن

ذكر كلا من المتهمين عبد الناصر عبد العليم درة وعطا طايل حميدة و (ظافر) الذى عرف فيما بعد انه المتهم خالد الاسلامبولى وعبد الحميد عبد السلام وحسين عباس محمد وصبرى رفاعى وصالح أحمد صالح والملازم أول طبيب محمد طارق ابراهيم ومحمد سعد ومحمد محمود صالح (وشهرته محمد الأسوانى) والمقدم عبود الزمر كما قرر المتهم الملازم أول احتياط طبيب محمد طارق ابراهيم أنه عرف من خلال اتصالاته وتحركه بعضوية كل من محمد عبد السلام فرج عطية والدكتور صفوت الأشوح وأحمد هانى وصلاح السيد بيومى (وشهرته أبو البصير) وكمال السيد وطارق المصرى وأسامة قاسم واسماعيل محمد الرفاعى وعبود الزمر ومحمد البلتاجى وابراهيم سلامة فى التنظيم ، وقرر المتهم صالح أحمد جاهين أنه يعرف من أعضاء التنظيم فضلا عن محمد عبد السلام ونبيل المغربى كلا من رفعت عبد الفتاح وعبود الزمر وطارق الزمر ومحمد طارق ابراهيم وعبد الله سالم ، وأن للتنظيم تشكيلا فى الصعيد يرأسه المتهم كرم زهدى وامارته العامة للمتهم الدكتور عمر عبد الرحمن ، كما تبين من أقوال المتهم أسامة السيد قاسم انه عرف من أعضاء التنظيم كلا من الدكتور محمد طارق ابراهيم وطارق المصرى وصلاح عبد الله وصلاح السيد بيومى ٠ وأنور عبد العظيم عكاشة وصفوت الأشوح وعلاء عبد المنعم واسماعيل الرفاعى وعبود الزمر وطارق الزمر وعبد الله سالم ومحمد أبو الحديد وصالح جاهين وعبد العليم ناصر وكمال السعيد حبيب وعلى فراج فضلا عن المتهم محمد عبد السلام فرج ، وقرر المتهم الدكتور عمر أحمد على عمد الرحمن أنه يعرف من قادة التنظيم كلا من زهدى وعصام عبد الرحمن الماجد وعاصم دربالة وعبود الزمر ومحمد عبد السلام ، واعترف المتهم المقدم عبود عبد اللطيف الزمر بدوره فى قيادة التنظيم والذى من قياداته محمد عبد السلام فرج ونبيل المغربى وطارق الزمر وصالح جاهين ومحمد أبو الحديد وأحمد سلامة ، ومن العسكريين فيه كل من المتهمين المقدم ممدوح أبو جبل والمقدم أحمد العرفانى والملازم أول خالد أحمد شوقى الاسلامبولى والملازم أول عطا طايل حميدة والملازم أول أحمد مرسى من القوات الجوية ، وأنه من خلال اتصالاته بتشكيل التنظيم فى الصعيد عرف من قيادته كلا من المتهمين كرم زهدى وعاصم عبد الماجد وفؤاد الدواليبى وأسامة حافظ ، واتصل خلال نشاطه قبل اغتيال الرئيس الراحل بكل من المتهمين محمد طارق ابراهيم وأسامة قاسم وعبد الله سالم ومحمد البرعى وعبد الناصر عبد العليم درة ، وحدد المتهم طارق عبد الموجود ابراهيم الزمر فى أقواله قيادات التنظيم سالفة البيان ، وأن من أعضائه كلا من المتهمين عبد الله سالم وحسين عبد الغنى ويحيى غريب ومحمد الطوخى والملازم أول خالد الاسلامبولى ونبيل بكر وعبد الحميد عبد السلام ومجدى طنطاوى وعبد المنعم جمال الدين ومحمد عادل عبد المجيد ومحمود

عباس وممدوح الحلفاوى ومحمد خليل وشعبان عبد اللطيف وعبد الناصر عبد العليم درة وحسين عباس محمد ، وقرر المتهم كرم محمد زهدى سليمان أنه تعرف على المتهم محمد عبد السلام فى يونيو سنة ١٩٨٠ وقامت بينهما وحدة فى فكر الجهاد اقتنع بها معه سائر قيادات التنظيم فى الصعيد ومنهم المتهمون ناجح ابراهيم وعاصم عبد الماجد وأسامة الدواليبى ومحمد عصام دربالة وطلعت فؤاد وحمدى عبد الرحمن وعلى الشريف ثم تشكل مجلس شورى التنظيم بالقاهرة من المتهمين محمد عبد السلام وعبود الزمر وطارق الزمر ونبيل المغربى وصالح جاهين ، وقد ثبت من مجموع التحقيقات أن التنظيم قد أقدم على ارتكاب العديد من جرائم القتل العمد والشروع فيه والسرقات بالاكراه ، وذلك بهدف تمويل نشاطه واحداث القلاقل والاضطرابات فى البلاد والقاء الفزع والرعب بين المواطنين ٠

ومن بين تلك الجرائم جرائم قتل عمد وشروع ونهب مجوهرات ونقود والقاء قنابل على معسكرات وسرقة أسلحة ٠٠ واستعرضت المذكرة عددا من الحوادث التى وقعت والتى أقيم على أساسها قضايا متداولة حاليا ٠

وقد تبين من الاطلاع على أرشيف التنظيم ، والذى جرى ضبطه فى حيازة المتهم مدحت يوسف الشاذلى أنه يضم مجموعة كبيرة من وثائق ومطبوعات خاصة بالتنظيم ، فضلا عن بعض الخرائط والرسوم الكروكية لبعض الأماكن الاستراتيجية فى البلاد ٠

وثبت من الاطلاع على مطبوعات التنظيم ــ التى عثر عليها بالشقتين الكائنتين ٦ شارع المدينة المنورة بالهرم ، ٩ شارع عفيفى بالجيزة ، والخاصتين بالمتهم عبود عبد اللطيف حسن الزمر ــ أنها تضم من بينها :

١ ــ محررات خطية تعلن عن قيام ثورة فى البلاد يوم الثلاثاء الموافق السادس من أكتوبر ، وسوف تحقق هذه الثورة انجازات على رأسها اغتيال الرئيس الراحل كما أنها سوف تستمر فى ضرب معاقل رجال الشرطة ، كما تضمنت تلك المحررات هجوما سافرا على قيادات الحكم وانتقادا شديدا للأوضاع العامة فى البلاد ٠

٢ ــ مجموعة من المحررات الخطية ، تضمنت رموزا كودية للشفرة ، وقد اعترف المتهم المذكور بالتحقيقات بأنه قد أعد تلك الحروف الشفرية لاستخدامها فى تبادل الرسائل بينه وبين قيادات المجموعات التنظيمية وحدد فى أقواله طريقة وكيفية استخدامها ٠

٣ ــ ورقة خطية تضمنت مجموعة من البيانات عن مهام تتعلق بالثورة المنشودة كما تضمنت متطلبات واحتياجات انشاء غرفة عمليات

للتنظيم • وقد اعترف المتهم في التحقيقات بأنه قد أعد تلك البيانات بخطه حتى يمكن في ضوئها تقدير الموقف واعداد اللجان الثورية وخطط الأمراء واعداد البيانات واجراء الدراسات للدخول في المرحلة الجادة لوضع أهداف التنظيم موضع التنفيذ •

٤ ـ مجموعة من الصور لكبار القادة وبعض الشخصيات العامة ، اشير الى بعضهم باسمهم وقد أقر المتهم في التحقيق بأنه ينفي من بينها صور المسئولين الذين سيقرر قتلهم •

٥ ـ مجموعة من الأوراق الصغيرة الحجم تحتوى على رموز وكلمات متقطعة وأسماء لشخصيات غير مقرونة بالقابها ، وقد أقر المتهم بأنه قد أعد تلك البيانات للمتهم نبيل المغربى الذى رمز اليه بحرف (ن) وقد استهدف بها تقييم الموقف بعد صدور قرارات التحفظ وابلاغ هذا التقييم لقادة المجموعات التنظيمية وأشار الى أن باقى البيانات يرمز الى عدد من الأمور المتعلقة بالتنظيم خاصة استكمال تدريب أعضائه واستطلاع مناطق التدريب ومشروعات اقتصادية سيقوم التنظيم بانشائها •

٦ ـ مجموعة من المنشورات انطوت على عبارات تحفل باثارة الرأى العام والتنديد ببعض الأوضاع والهجوم على عدد من المسئولين وتزكى الفتنة الطائفية •

٧ ـ محررات خطية تضم تلخيصات لكتاب بعنوان (الحكومة الاسلامية) تناولت الحديث عن قلب نظم الحكم في الدول الاسلامية وتغيير السلطة السياسية فيها •

٨ ـ أجندة تضم أسماء العديد من ضباط القوات المسلحة وبعض المعلومات العسكرية •

٩ ـ مجموعة من الأوراق تتضمن تجميعا للمعلومات عن تحركات بعض القادة العسكرية •

١٠ ـ مجموعة من الخرائط والكروكيات من بينها خريطة لبعض محافظات الوجه البحرى موضح عليها المدن والطرق المؤدية اليها •

وقد أقرت قيادات التنظيم برنامجا تثقيفيا وفق مادة تثقيفية مقتطفة من مؤلفات ضبط العديد منها لدى المتهمين أو بالمساجد التى كانوا يسيطرون عليها ومن بينها :

ـ منهاج الانقلاب الاسلامى لأبى الأعلى المودودى •

ـ الخومينى : الحل الاسلامى البديل لفتحى عبد العزيز •

ـ الفريضة الغائبة للمتهم محمد عبد السلام فرج •

- رفع الالتباس عن جلسة من جعله الله اماما للناس لجيهان العتيبى .

- الطغاة لعلى جريشة .
- فصل الدين عن الدولة ضلالة مستوردة ليوسف العظم .
- تطهير الجفاف لعلى بن حجز .
- كشف الشهاب لمحمد بن عبد الوهاب .
- شهادة الحق لابى الأعلى المودودى .
- الفتاوى الكبرى لابن تيمية .
- زاد المعاد لابن القيم .
- الحياة بعد الموت لابى الأعلى المودودى .
- الاسلام والحكم لابى الحسن الندوى .
- رياض الصالحين للنووى .

وقد أعد قادة التنظيم بيانين مسجلين على شرائط كاسيت لاذاعتهما عبر موجات الاذاعة فى حالة نجاح مخططهم ، وقد تم ضبط هذين البيانين بالشقة الكائنة بالعقار رقم ٦ بشارع المدينة المنورة بالهرم الخاصة بالمتهم عبود عبد اللطيف حسن الزمر وقد تضمن البيان رقم (١) نبأ ما أسموه (بالدولة الاسلامية) ، وندد قادة التنظيم فى هذا البيان بنظام الحكم القائم فى البلاد ، وحثوا على اشعال الثورة ضده بينما تضمن البيان رقم (٢) حل مجلس الشعب والشورى ومجلس الوزراء ويعلن فيه قادة التنظيم عن عدم شرعية المؤسسات الدستورية فى البلاد ، ويحضون فى بيانهم أفراد القوات المسلحة والشرطة على الثورة وعلى قتل وتدمير الرافضين لهم ، ويزعمون فى بيانهم بتوالى ورود برقيات التاييد لهم .

وقد تمكن التنظيم خلال فترة قصيرة وفى مجال تحركه وتسليح أعضائه وتدريبهم واعداد فصائله القتالية من جمع قدر كبير من الأسلحة النارية والقنابل والمتفجرات ، وغيرها من أدوات القتل والتدمير فضلا عن عدد من المركبات والأجهزة والأشرطة ، وذلك توفيرا لعنصر القسوة والحركة فيه وتمكينا له من وضع أهدافه فى الاطاحة بسلطة الحكم موضع التنفيذ .

وقد أسفرت عمليات التفتيش التى أجرتها أجهزة الأمن لأوكاره ولأعضائه عن ضبط جانب من تلك الاشياء وفقا للبيان التالى :

١ ـ قنابل ومتفجرات :

تم ضبط مائتين وخمسين قنبلة مختلفة الأنواع والاستخدامات ، منها ثمان وخمسون قنبلة (أر٠بى٠جى) كذلك تم ضبط ستة وعشرين كيلو جراما وخمسة قوالب وواحد وعشرين أصبعا من مادة الجلجنايت ، وتسعة وعشرين قالبا من مادة (ت٠ ان٠ ت) شديدة الانفجار ، وستة وعشرين كيلو جراما وستة وخمسين أصبعا من مادة الديناميت ومائتين وأربعة وثلاثين مفجرا ، بالاضافة الى ثمانية كيلو جرامات مواد الجلجنايت و (ت٠ان٠ت) والديناميت ٠

هذا فضلا عن ضبط هيكل لغم مضاد للأفراد ، وكميات كبيرة من المواد والأدوات التى تستخدم فى تصنيع القنابل والمتفجرات ، من بينها عجينة مادة الجلجنايت ، وقوالب مادة (ت٠ان٠ت) شديدة الانفجار ولفات من قنابل الأمان ، وبودرة من مادة كلورات البوتاسيوم ومواد كيماوية وملتهبة وبارود ومفجرات كهربائية حرارية طرقية علب صفيح وزجاجات وزلط ورمل ومسامير ٠

وقد أثبتت تقارير الفحص الفنى أن المضبوطات السالفة الذكر عبارة عن مفرقعات ومواد مفرقعة أو ما يدخل فى صنعها ٠

٢ ـ أسلحة نارية وذخائر :

تم ضبط ثمانية عشر مدفعا رشاشا وست وثلاثين بندقية وسبعة وأربعين مسدسا وفردا وطبنجة مختلفة الأنواع والأعيرة ٠

كذلك ضبطت أعداد كثيرة من أجزاء لأسلحة نارية ٠

وقد أثبتت تقارير الطب الشرعى صلاحية هذه الأسلحة وتلك الذخائر للاستعمال ٠ وكشفت التحقيقات عن أن الجناة فى أحداث أسيوط التى وقعت يوم ١٩٨١/١٠/٨ قد نهبوا كمية من الأسلحة والذخائر من مواقع الشرطة تم ضبط بعضها دون البعض الآخر ٠

٣ ـ أسلحة بيضاء وآلات أخرى حادة متنوعة :

تم ضبط مجموعة من السيوف ، وعدد من الخناجر الكبيرة والمدى (قرن الغزال) والسكاكين الكبيرة والأسلحة ذات الحدين مدببة الأطراف وعصى غليظة وأدوات وآلات أخرى متنوعة ٠

٤ ـ مشـــغولات ذهبية :

ضبطت بتاريخ ١٩٨١/١٠/٢٨ كميات من المشـغولات الذهبية ، بلغ وزنهـــا ٢٠٠ر٧٦١ جرام ، كشف التحقيق عن أن المتهمين محمد عبد السلام فرج وفؤاد محمود حنفى وشهرته فؤاد الدواليبى وكرم محمد زهدى وعاصـــم عبد الماجد محمد ماضى قاموا بتهريبها الى الدلنجات لتصريفها ، كما كشف التحقيق عن ان التنظيم قد نهب تلك الكميات من محال بيع المصوغات بنجع حمادى وشبرا الخيمة نتيجة ارتكابه الجنايتين رقم ٧٢٤٥ لسنة ١٩٨١ نجع حمادى ، ٧٨٢٣ لسنة ١٩٨١ قسم أول شبرا الخيمـــة ٠

٥ ـ جهاز لطبع الأشرطة الكاسيت وكميات وفيرة منها :

ضبط بتاريخ ١٩٨١/١٠/٢٨ لدى المتهم طلعت خالد لطفى جهاز لطبع الأشرطة الكاسيت ماركة (أوريجنال) و (ترانس ولارى ٤٠٠) وملف للتوصيلات الكهربائية ، ٧٥٥ شريط كاسيت ٠

وقد قرر المتهم المذكور بالتحقيقـــات أن المتهم الأول عمر أحمد عبد الرحمن قد سلم اليه تلك المضبوطات قبل صدور قرار التحفظ عليه على سبيل الأمانة وأن جانبا من الأشرطة يضم تسجيلات بصوته ٠

كذلك تم ضبط مجموعة كثيرة أخرى من شرائط الكاسيت لدى بعض المتهمين ، وتبين أن معظم الشرائط المضبوطة تضم تسجيلات تروج لمفاهيم التنظيم وتحض على كراهية نظام الحكم القائم فى البلاد والازدراء به ٠

٦ ـ مركبـــات :

استخدم التنظيم فى تحركاته وفى الأحداث التى أقدم على ارتكابها مجموعة من السيارات والدراجات البخارية تم ضبط بعضها ، وعددها ٢٠ سيارة و ٤ دراجات بخارية ومنها السيارة رقم ١٣٦٠٠ ملاكى القاهرة ماركة بيجو ٥٠٤ ضبطت بتاريخ ١٩٨١/١٠/٨ أمام مبنى مديرية أمن أسيوط ، وبداخلها لوحة معدنية ٠

٧ ـ امـــوال :

لجأ التنظيم الى عدة مصادر مختلفة داخلية وخارجية استجمع عن طريقها مبالغ نقدية كبيرة ، استخدم جانبا منها فى تمويل نشاطاته بلوغا الى أهدافه ٠

وقد تم ضبط قدر من تلك المبالغ لدى بعض المتهمين بلغت جملته

٥٠٠ر٦٠٠ر١٠٠ جنيه مصرى ، ٢٠٦٢٨ دولارا أمريكيا ، وشيك قيمته ٢٧٩٧ دولارا ٠

الاغتيـــالات :

الأحداث التى أقدم التنظيم على ارتكابها فى البلاد تنفيذا لمخططاته أسفرت عن قتل عدد كبير من الأشخاص فضلا عن اصابة الكثيرين وبيان ذلـــك :

بالقاهرة والجيزة :

قتل المتهمون أعضاء التنظيم أثنى عشر شخصا وأصابوا ثمانية وتسعين آخرين ، وذلك خلال شهرى أغسطس وأكتوبر عام ١٩٨١ وكان من بين المجنى عليهم عدد من الشخصيات العامة وبعض الضباط والجنود ، وكثير من المواطنين واستخدم الجناة فى ذلك الأسلحة والقنابل ٠

وقد أثبتت تقارير الطب الشرعى أن وفاة وأصابات المجنى عليهم قد حدثت نتيجة الاصابة بمقذوفات نارية بالنسبة لبعضهم أو الاصابة بشظايا قنابل تفجرت بالنسبة للبعض الآخر ٠

بأســـيوط :

قتل المتهمون أعضاء التنظيم اثنى عشر شخصا وأصابوا ثمانية وتسعين ١٩٨١/١٠/٨ سبعة وثمانين شخصا من بينهم أربعة من ضباط الشرطة واثنان وستون من جنودها ، وواحد وعشرون من الأهـــالى ٠ واستخدم الجناة فى ارتكاب هذه الأحداث أسلحة نارية تسلحوا بها وأسلحة أخرى استولوا عليهـــا من الشرطة وأثبتت تقارير الطب الشرعى أن وفـــاة واصـــابات المجنى عليهم فى مجموعها جائزة الحدوث من مثل الأسلحة المضبوطة ، مع المتهمين أو الأسلحة الخاصة برجال الشرطة والتى استولى عليها الجناة ٠

كما أنهم بتاريخ ١٩٨١/٦/٢٩ استخدموا مسدسا ومطواة فى قتل أحد المواطنين ٠

وقد أثبت التقرير الطبى أن وفاة المذكور قد حدثت نتيجة اطلاق النار عليه والطعن بآلة حـــادة ٠

بنجع حمادى : قتل المتهمون أعضاء التنظيم بتاريخ ١٩٨١/٦/٢٦ ستة أشخاص من المواطنين ، وأصابوا شخصين آخرين مستخدمين فى

ذلك البنادق الآلية ، وقد ورد بتقارير الطب الشرعى أن اصابات المجنى عليهم قد حدثت نتيجة مقذوفات من أسلحة نارية .

بشبرا الخيمة : قتل عضاء التنظيم بتاريخ ١٩٨١/٨/١ شخصا واصابوا آخرين من المواطنين ، مستخدمين فى ذلك الأسلحة النارية .

وقد اثبتت تقارير الطب الشرعى أن اصابة المجنى عليهم قد حدثت نتيجة الاصابة بمقذوفات أطلقت من أسلحة نارية .

كما تضمن التقرير قائمة بالاصابات التى لحقت بالمتهمين أثناء الأحداث التى أقدم التنظيم على ارتكابها تنفيذا لمخططاته .

المحـــاكمة

اذاعت نيابة أمن الدولة العليا أسماء المتهمين فى أحداث أسيوط والأدوار التى قاموا بها عقب اغتيال الرئيس / أنور السادات وهى القضية ١٦٢ لسنة ٨٢ وهم (٣٤٣) متهما وبياناتهم كالآتى :

(أ) المتهمـــون :

١ ـ عمر أحمد على عبد الرحمن
٢ ـ عبود عبد اللطيف حسن الزمر
٣ ـ كرم محمد زهدى سليمان
٤ ـ ناجح ابراهيم عبد الله سيد
٥ ـ فؤاد محمد أحمد حنفى
٦ ـ على محمد على أحمد
٧ ـ محمد عصام الدين حسن دربالة
٨ ـ عاصم عبد الماجد محمد ماضى
٩ ـ حمدى عبد الرحمن عبد العظيم محمد
١٠ ـ أسامة ابراهيم حافظ ابراهيم
١١ ـ طلعت فؤاد محمد قاسم
١٢ ـ نبيل محمد عبد المجيد المغربى
١٣ ـ احمد سليم محمود خليفة
١٤ ـ صالح أحمد صالح جاهين
١٥ ـ عبد الناصر عبد العليم احمد دره

١٦ ـ طارق عبد الموجود ابراهيم الزمر
١٧ ـ محمد طارق ابراهيم محمد
١٨ ـ أسامة السيد محمد قاسم
١٩ ـ صلاح السيد بيومى على
٢٠ ـ علاء الدين عبد المنعم محمد ابراهيم
٢١ ـ أنور عبد العظيم محمد محمد عكاشة
٢٢ ـ محمد طارق اسماعيل المصرى
٢٣ ـ على محمد فراج على
٢٤ ـ عبد الله محمود محمد
٢٥ ـ صفوت ابراهيم حامد
٢٦ ـ السيد على محمد اسماعيل السلامونى
٢٧ ـ محمد ياسين محمد همام
٢٨ ـ أبو بكر عثمان حسن حسن على
٢٩ ـ السيد أحمد مرسى محمد
٣٠ ـ على أحمد عبد المنعم عبد المنعم
٣١ ـ طارق محمد عطيفى
٣٢ ـ عصيان على سيد محمد
٣٣ ـ هشام عبد الظاهر عبد الرحمن
٣٤ ـ سلطان أحمد حسان
٣٥ ـ على محمود حسين
٣٧ ـ همام عبد الرحمن
٣٨ ـ محمد مختار مصطفى جمعه
٣٩ ـ عيد سيد أحمد محمد أحمد
٤٠ ـ شريف عبد الرحمن توفيق
٤١ ـ مرتضى محمد خليفة أبو سيف
٤٢ ـ أبو بكر أبو الوفا أحمد على
٤٣ ـ أحمد محمدامبابى عبد الرحمن
٤٤ ـ ممدوح على يوسف عوض الله
٤٥ ـ خالد على حنفى أحمد

٤٦ ـ مصطفى على حسن

٤٧ ـ أحمد حسن أحمد حسين الديابى

٤٨ ـ صفوت أحمد عبد الغنى محمد

٤٩ ـ علاء الدين صديقى مرسى

٥٠ ـ مدحت محمد جمال محمود بدوى

٥١ ـ سمير محمد أحمد عطيفى

٥٢ ـ أسامة رشدى على الدينارى

٥٣ ـ رجب رشاد حسن حسن

٥٤ ـ على محمد على الدينــارى

٥٥ ـ رفاعى أحمــد طــه

٥٦ ـ صــابر حسن على حسن

٥٧ ـ لطفى أحمد على أحمد شـعيب

٥٨ ـ محمد محمد أحمد حسن الشرقاوى

٥٩ ـ محمد أحمد عبد الرحمن سليمان ميخائيل

٦٠ ـ على عبد الفتاح عبد الحليم محمد

٦١ ـ محيى الدين أحمد عبد المنعم محمـد

٦٢ ـ أحمد أحمد عبد الفتــاح زيد

٦٣ ـ أحمد الســيد على حـــرب

٦٤ ـ أبو العــارف حسين متــولى

٦٥ ـ ضياء الدين فاروق خلف

٦٦ ـ الفارس محمد عثمان على السنى

٦٧ ـ أحمد عزت محمود مرسى

٦٨ ـ محمد بشارى محمد طــالب

٦٩ ـ محمد محمد يحيى على عابدين

٧٠ ـ طلعت محمد ياسين محمـــد

٧١ ـ جمال حسن عبد الله عــوض

٧٢ ـ هشام خليفة أحمد خليفــة

٧٣ ـ محمود عبد الله حسن عطا الله

٧٤ ـ محمد عادل السيد جاد الرب

٧٥ ـ حسنى مجدى على أحمـد

٧٦ ـ أحمد عبد العظيم عبد الحافظ شكرى
٧٧ ـ حسن محمد حسن محمد سيد
٧٨ ـ طارق بدير
٧٩ ـ أشرف مرسى أحمد حسين
٨٠ ـ شعبان على ابراهيم سليمان
٨١ ـ احمد عبده سليم عمر
٨٢ ـ على عبد الرحمن أحمد الشريف
٨٣ ـ سيد أحمد على أحمد
٨٤ ـ عبد اللاه هاشم محمد عطيه
٨٥ ـ محمود محمد أحمد شعيب
٨٦ ـ عزت حلمى محمد عبد الرحمن مرشود
٨٧ ـ عثمان خالد ابراهيم السمان
٨٨ ـ صلاح عمر محمد السيد
٨٩ ـ حسنى أحمد محمود أحمد
٩٠ ـ على بكرى عبد الحميد ثروت
٩١ ـ عماد عبد المغنى دياب عبد الرحيم
٩٢ ـ عبد الحميد محمود محمد عبد الكريم
٩٣ ـ سيد أحمد حسن أحمد
٩٤ ـ جلال على أحمد خليفة
٩٥ ـ سامى محمود على أحمد الجيزاوى
٩٦ ـ على عبد الناصر بهلول
٩٧ ـ أسامة محمد مراد عبد المنعم
٩٨ ـ رمضان مخلوف حسين
٩٩ ـ محمود فوزى السيد عثمان خليل
١٠٠ ـ محمود عبد المتجلى عبد الله محمد
١٠١ ـ محمود حسن محمد حسين
١٠٢ ـ عبد الله حسين محمد عطية
١٠٣ ـ محمد خلف محمد أحمد
١٠٤ ـ محمد سالم الرحال

١٠٥ ـ رفاعى سرور جمعـــه

١٠٦ ـ حسن عاطف حسن زيادة

١٠٧ ـ السيد عفيفى عبد القادر عبد الباقى

١٠٨ ـ عبد الرءوف أمير الجيش محمد حسن

١٠٩ ـ محمود مصطفى ابراهيم السيسى

١١٠ ـ أكرم يوسف سيد محمـد

١١١ ـ عبد العزيز على عبد العزيز

١١٢ ـ سيد عبد الفتاح محمد مرسى

١١٣ ـ أيمن محمد ربيـــع الظواهرى

١١٤ ـ نبيل نعيم عبد الفتـاح محمد

١١٥ ـ محمود السيد أحمـد صبيح

١١٦ ـ كمال السـعيد حبيب

١١٧ ـ سعيد محمود السيد

١١٨ ـ محمد امام محمد حســن

١١٩ ـ أحمد رجب أحمد ابراهيم سلامة

١٢٠ ـ أحمد سلامة مبروك

١٢١ ـ بركات فهيم على محمـد

١٢٢ ـ عمر عبد العزيز متولى ابو هشـام

١٢٣ ـ جمال حامد محمد عميـرة

١٢٤ ـ مصطفى أحمد حسن حمزة

١٢٥ ـ أحمد راشـــد محمد راشد

١٢٦ ـ محمـد سـعد زغلول

١٢٧ ـ عبد الحميد سعد كريم شـكر

١٢٨ ـ مراد محمد محمود عبد الله

١٢٩ ـ مصطفى حامد أحمد شـامية

١٣٠ ـ محمـد حسـن محمد الكريمى

١٣١ ـ محمد محمد أحمـد خليـل

١٣٢ ـ اسماعيل أنور اسماعيل البكل

١٣٣ ـ عبد الرحيم صادق قنـــاوى

١٣٤ ـ عبد النبى عبد الرازق عبد اللطيف
١٣٥ ـ محمد غريب محمد أحمد فايد
١٣٦ ـ نبيل عبد الفتاح محمد بكر
١٣٧ ـ حسن عبد الغنى حسين شنن
١٣٨ ـ اسماعيل محمد على اسماعيل
١٣٩ ـ ابراهيم السيد حلاوة
١٤٠ ـ امين أحمد عيسى
١٤١ ـ محمد صلاح الدين عبد القادر صديق
١٤٢ ـ نبيل أحمد فرج رزق
١٤٣ ـ محمد سعد عثمان احمد
١٤٤ ـ محمد محمود محمد صالح
١٤٥ ـ خميسى محمد مسلم
١٤٦ ـ شعبان على عامر
١٤٧ ـ حسين أحمد حسين
١٤٨ ـ ماجد محمد أحمد عطيفى
١٤٩ ـ يحيى محمد عبد المولى خطاب
١٥٠ ـ عصام الدين محمد كمال القمرى
١٥١ ـ مدحت أحمد محمد البحري
١٥٢ ـ صابر غريب علي عبد الله
١٥٣ ـ محمد عصام الدين عبد الرؤوف
١٥٤ ـ حسن على اسماعيل
١٥٥ ـ وحيد جمال الدين محمد منصور
١٥٦ ـ خالد عبد السميع محمد يوسف شعبان
١٥٧ ـ محمد محمد ربيع الظواهرى
١٥٨ ـ صلاح عباس عبد السميع ميهوب
١٥٩ ـ عصام محمود محمد مطير
١٦٠ ـ صالح أحمد محمد مصطفى الوردانى
١٦١ ـ عبد الفتاح محمود عبد الفتاح الزينى
١٦٢ ـ محمد حبيب منشاور المسليم

١٦٣ ـ ســالم عـزام
١٦٤ ـ عصــام العطــار
١٦٥ ـ عمر أحمـد الدماصى
١٦٦ ـ حكم محمد نمـر جسـلاه
١٦٧ ـ حازم حسن الحسينى على
١٦٨ ـ أكرم سيد حسن أحمد هريدى
١٦٩ ـ بركات محمد أحمـد هريدى
١٧٠ ـ محمد عبد الرؤوف فرج
١٧١ ـ صبرى حافظ ســويلم
١٧٢ ـ أســامة محمد ســلامة
١٧٣ ـ اسماعيل عبد الحميد جحيش
١٧٤ ـ اسماعيل محمد الرفاعى ابراهيم
١٧٥ ـ محمد زهران محمد البلتــاجى
١٧٦ ـ السيد رشاد محمد على أحمـد
١٧٧ ـ محمد عاطف عبد الكريم التاجورى
١٧٨ ـ محمد محمد حسين أحمـــد
١٧٩ ـ علاء الدين عبد العزيز السيد
١٨٠ ـ فتحى محمد عزام الأسرج
١٨١ ـ عادل السيد محمد عبد القـدوس
١٨٢ ـ ممدوح أحمد اسماعيل أحمـد
١٨٣ ـ محمود محمد البــكرى
١٨٤ ـ مصطفى أحمد محمد السـيد
١٨٥ ـ محمود ابراهيم حســن
١٨٦ ـ سيد سعيد حامد أبو هولة
١٨٧ ـ محمود محمد اسماعيل حسين
١٨٨ ـ حسـنين طه أحمـد محمـد
١٨٩ ـ محمد عبد الرحيم محمد الشرقاوى
١٩٠ ـ السيد أمام عبد العزيز شريف
١٩١ ـ أمين يوسف متولى الدميـرى

١٩٢ ـ نبيل محمد محمد البرعى
١٩٣ ـ خالد محمد مدحت محمد الفقى
١٩٤ ـ مصطفى كامل مصطفى
١٩٥ ـ عبد الهادى التونسى
١٩٦ ـ عبد المنعم يس عبد الدايم
١٩٧ ـ طارق محمد ابراهيم عامر
١٩٨ ـ جمال راشد أحمد صالح
١٩٩ ـ محمود دياب محمد دياب
٢٠٠ ـ جمال حسن عبد المطلب
٢٠١ ـ أحمد هانى مصطفى الحناوى
٢٠٢ ـ ابراهيم رمضان محمد منصور
٢٠٣ ـ محمد عادل عبد المجيد محمد
٢٠٤ ـ عبد المعز محمد متولى
٢٠٥ ـ علاء الدين ابراهيم عبد العزيز شتا
٢٠٦ ـ عبد الله الحسين محمد
٢٠٧ ـ مجدى يوسف متولى
٢٠٨ ـ اكثم مصطفى ابراهيم الطويل
٢٠٩ ـ مجدى زكى بدوى
٢١٠ ـ مصطفى أحمد محمد غنيم
٢١١ ـ سليمان عبد الجيد عبد الوهاب
٢١٢ ـ أحمد اسحق مصطفى سامى
٢١٣ ـ ممدوح عبد العزيز الحلفاوى
٢١٤ ـ فتحى أحمد بنداري عفيفى
٢١٥ ـ كمال عبد العزيز سبنوسي
٢١٦ ـ احمد ابراهيم السيد النجار
٢١٧ ـ جمال عبد العزيز على عبد الهادى
٢١٨ ـ حمدى حسن حسن دهب
٢١٩ ـ جاد أبو سريع جاد القصاص
٢٢٠ ـ محمد رفعت محمود منصور

٢٢١ ـ محمد طوخى ابراهيم محمد العبد
٢٢٢ ـ محمود عبد الفتـاح حسن نصر أبو المجد
٢٢٣ ـ محمد السيد السيد لويس
٢٢٤ ـ عادل على بيــومى
٢٢٥ ـ مصطفى السيد محمد عـوض
٢٢٦ ـ عادل محمد عبد المطلب حيـدر
٢٢٧ ـ عبد اللطيف عبد الحميد عبد ربه
٢٢٨ ـ رفعت عبـد الفتـاح احمـد
٢٢٩ ـ عبد المجيد محمد عبد الفتــاح الفقى
٢٣٠ ـ ممدوح عزوز أحمـد عيسى
٢٣١ ـ طه خليفة عبد الظـاهر محمـد
٢٣٢ ـ على عبد الغنى أحمد ابو زيد
٢٣٣ ـ طه عبد العليم عبد الرحيم عبد الله
٢٣٤ ـ مدحت مصطفى عطية
٢٣٥ ـ حسين ابراهيم احمد عيسى
٢٣٦ ـ ابراهيم عبد الله أحمـد
٢٣٧ ـ محمد عيـد محمـد على زفـاعى
٢٣٨ ـ عباس حسـنين عباس شعبان
٢٣٩ ـ محمود على محمد الشـطورى
٢٤٠ ـ مختار أحمد حسنين حمـزه
٢٤١ ـ جمال محمود محمد حماد
٢٤٢ ـ طارق على أحمـد على
٢٤٣ ـ على محمود حسن عبد الجواد نصـار
٢٤٤ ـ أحمد الظـاهر خاطر فرج
٢٤٥ ـ مدحت يوسف حسين الشـاذلى
٢٤٦ ـ محمد صلاح الدين محمود حمزة
٢٤٧ ـ حسن محمد عبد السميع احمد
٢٤٨ ـ ناصر قللى السيد ابراهيم
٢٤٩ ـ محسن محمد عواد حسن

٢٥٠ ـ عادل عوض شحتو على
٢٥١ ـ معوض عبد الله أحمد السيد
٢٥٢ ـ عادل على الشيمى بكر
٢٥٣ ـ سيد محمد محمد على
٢٥٤ ـ شعبان عبد العاطى عبد اللطيف
٢٥٥ ـ خالد محمد فكرى عبد الحميد
٢٥٦ ـ سمير محمود حسن محمد خميس
٢٥٧ ـ محمد عبد اللطيف رمضان شعبان
٢٥٨ ـ صابر أحمد فتح الباب
٢٥٩ ـ محمد أحمد محمد محمد
٢٦٠ ـ خليل السيد السواح الدشو
٢٦١ ـ أسامة أحمد محمد عبد الله حماد
٢٦٢ ـ صلاح عبد الله محمد أبو ميرة
٢٦٣ ـ طارق مصطفى محمد النبراوى
٢٦٤ ـ الأمير سالم أحمد على
٢٦٥ ـ ثروت صلاح شحاته عبد الله
٢٦٦ ـ محمد مخيمر حامد سعيد
٢٦٧ ـ زكى عزت زكى أحمد
٢٦٨ ـ محمد أسامة زكى أحمد المغربى
٢٦٩ ـ محمد أحمد الصاوى
٢٧٠ ـ عاطف الغريب شعبان فرحات
٢٧١ ـ عصام حسنين أحمد
٢٧٢ ـ حمدى محمد عبد الواحد عمارة
٢٧٣ ـ مجدى عبد المتجلى عبد الله محمد
٢٧٤ ـ جابر عبد المنعم على محمد الجهلان
٢٧٥ ـ عادل محمود طرمان
٢٧٦ ـ عبد الشافى عبد الحافظ محمد أحمد
٢٧٧ ـ أحمد فهمى على إبراهيم
٢٧٨ ـ ناصر محمد أحمد حنفى

٢٧٩ ـ حمـــدى على موسى
٢٨٠ ـ حمـاد الدين محمــد عمــران
٢٨١ ـ أحمد محمد همـام أحمـد
٢٨٢ ـ محمد أحمد عبد العـزيز أبو طالب
٢٨٣ ـ طارق زكى فؤاد أحمـد
٢٨٤ ـ فوزى عـويس أمين
٢٨٥ ـ مجـدى محمد كمال أحمـد
٢٨٦ ـ عماد الدين محمود سيد خليفة
٢٨٧ ـ جمال عبد الناصر محمد محمود
٢٨٨ ـ ماجد محمد السـيد عبد ربه
٢٨٩ ـ محمد أمين حســـان
٢٩٠ ـ سيد عبد اللطيف محمد أحمـد
٢٩١ ـ أحمد مرسى أحمد أبو زيد
٢٩٢ ـ أحمد محمود على ابراهيم
٢٩٣ ـ عبد المنعم المرزوقى جـادو
٢٩٤ ـ طلعت خالد لطفى حسـن
٢٩٥ ـ محمـــود حسن ندا
٢٩٦ ـ طلعت محمد فرج عثمان
٢٩٧ ـ فؤاد محمد محمود غريب
٢٩٨ ـ على زكى على ناصـــر
٢٩٩ ـ حـاتم زكى ناصـــر
٣٠٠ ـ محمود أحمـد عبد المنعم مكاوى
٣٠١ ـ عبد المنجى على محسب حسـانين
٣٠٢ ـ فايز مجيد محمد مبروك

الأحـــداث :

٣٠٣ ـ ايهـاب محمود رمضان عثمان
٣٠٤ ـ أسامة حسن أحمــد
٣٠٥ ـ أحمـد السيد على خليل
٣٠٦ ـ محمد محمد على محمـد

٣٠٧ ـ أحمد حامد أحمد السيد

٣٠٨ ـ خليل عبد الرحمن خليل

٢٠٩ ـ بيومي اسماعيل محمد عبد الجابر

٣١٠ ـ محمد جاد على نزلاوى

٣١١ ـ علاء الدين محمد المنهى

٣١٢ ـ سيد محمد سيد أحمد

٣١٣ ـ عصام محمد عبد اللطيف

٣١٤ ـ فتحى على تهامى

٣١٥ ـ محمد محمود البرعى

٣١٦ ـ سعيد أحمد مصطفى

٣١٧ ـ ماهر عبد العاطى

٣١٨ ـ مجدى سيد أحمد

٣١٩ ـ محمود عباس أحمد أحمد سالم

٣٢٠ ـ ممدوح طه امام جميلة

٣٢١ ـ عبد الرحمن حامد محمود أبو طلحة

٣٢٢ ـ خالد رفعت محمود منصور

٣٢٣ ـ رضا محمد حلمى أحمد

٣٢٤ ـ عصام عزام مصطفى

٣٢٥ ـ حمادة عزام مصطفى

٣٢٦ ـ خالد عبد المقصود سيد مصطفى

٣٢٧ ـ يوسف عبد الرءوف السيد سليمان

٣٢٨ ـ صبرى محيى الدين محمد عمران

٣٢٩ ـ عادل سيد على

٣٣٠ ـ أحمد عزت طه السعدنى

٣٣١ ـ عبد المنعم جمال الدين عبد المنعم منيب

٣٣٢ ـ محمد الأنصارى السيد

٣٣٣ ـ صلاح الدين أحمد محمد

٣٣٤ ـ علي موسي

٣٣٥ ـ عرفات حمدى عبد الله صيام

٣٣٦ ـ عبد السلام محمد محمد سالم

٣٣٧ ـ عرفه حلمى عباس

٣٣٨ ـ محمود رمضان محمد حسن

٣٣٩ ـ أحمد محمود سيف عبد المقصود

٣٤٠ ـ هشام عبد العظيم على احمد أبو أيمن

٣٤١ ـ أحمد ابراهيم الأشوح

٣٤٢ ـ عماد عبد المنعم توفيق

٣٤٣ ـ اسماعيل محمد اسماعيل

(ب) الاتهام :

أولا : المتهمون من الأول وحتى التاسع والتسعين بعد المائتين عدا المتهمين من الثاني والستين بعد المائة حتى السادس والستين بعد المائة :

حاولوا بالقوة تغيير دستور الدولة وشكل الحكومة فيها ، وقلب نظامها الجمهورى ، بأن ألفوا فيما بينهم جماعة ارهابية مسلحة ٠

وقتلوا عمدا مع سبق الاصرار كلا من العميد رضا شكرى الخولى والملازمين اول احمد وحيد أبو الفتوح وعصام الدين مخلوف ، وعبد الرحيم سيد عمر ، واثنين وستين من جنود الشرطة ، وواحد وعشرين شخصا من الأهالى مبينة أسماؤهم بالتحقيقات ، وذلك بأن عقدوا العزم على قتل الضباط والجنود بمديرية أمن أسيوط وقوات الأمن المركزى فيها، وأعدوا لهذا الغرض أسلحة نارية ومفرقعات ثم داهموهم فى أماكن وجودهم امام مديرية أمن أسيوط واقسام الشرطة وفى الطرقات وأطلقوا أعيرة نارية من أسلحتهم قاصدين قتلهم ، فأحدثوا بهم الاصابات الموضحة بتقارير الصفة التشريحية والتى أودت بحياتهم ٠

ثانيا : المتهمون من الأول وحتى الثالث عشر :

أنشأوا وأسسوا ونظموا وأداروا وحتى الحادى والثلاثين بعد المائة ـ على خلاف أحكام القانون ـ تنظيما غير مشروع ذا طابع شبه عسكرى واتخذ طابع التدريبات العنيفة التى تهدف الى الاعداد القتالى ، بأن انشأوا وأسسوا وأداروا جماعة ارهابية سرية الغرض منها الدعوة الى مناهضة المبادىء الأساسية التى يقوم عليها نظام الحكم الاشتراكى فى الدولة ٠ الخ ٠٠

ثالثا : المتهمون الثانى والثانى عشر والرابع عشر ، ومن الخامس والثلاثين بعد المائة حتى الأربعين بعد المائة :

فى ليلة ١٩٨١/٨/١ بدائرة قسم أول شبرا الخيمة محافظة القليوبية قتلوا نبيل السيد شبل وشهرته محمد عمدا ، بأن أعدوا أسلحة نارية ثم توجهوا الى محل بيع المجوهرات المملوك لميرفت شـــكرى راغب لنهبه ، ولما تصدى لهم المجنى عليه أطلقوا عليه أعيرة نارية من أسلحتهم قاصدين قتله ، فأحدثوا به الاصابات الموصوفة بتقـرير الصـفة التشريحية والتى أودت بحيـــاته ٠٠ الخ ٠

رابعا : المتهمون من الأول حتى الحادى عشر :

اشتركوا بطريق التحريض والاتفـاق والمساعدة فى ارتكاب جريمتى النهب والسرقة سالفتى البيان موضوع الجنايتين رقمى ٧٢٤٥ لسنـــنة ١٩٨١ نجع حمادى و ٧٨٣٣ لسنة ١٩٨١ قسم أول شبرا الخيمة ــ بأن حرضـــوا الفاعلين فيها واتفقوا معهم على ارتكابها وساعدوهم فى ذلك بامدادهم بالسلاح وتسهيل تنقلاتهم ، وكـان ما وقع من جـــرائم القتل والشروع فيه نتيجة محتملة لهذا التحريض والاتفاق وتلك المساعدة ٠

خامســا : المتهمـــان الحـــادى والأربعـــون بعـــد المائة والثــــانى والأربعون بعـــد المــــائة :

فى ليلة ١٩٨١/١٠/٨ بدائرة قسم الساحل محافظة القاهرة : شرعا فى قتل منصور محمد السيد وسعيد عثمان سعيد وناجى عبد الحليـــم حسن الجنوه بقوات الأمن عمدا مع سبق الاصرار ، وذلك بأن عقدوا العـــزم على قتل جنود معسكر قوات أمن القاهرة بالساحل ، وأعدوا لذلك قنبلة ألقوها داخل المعسكر قاصدين من ذلك قتلهم ، فأحدثوا بالمجنى عليهم الاصابات الموصوفة بالتقرير الطبى وخاب أثر الجريمة لسبب لا دخــل لارادتهم فيه هو مداركة المجنى عليهم بالعـــلاج ٠

سادسا : المتهمان الثالث والأربعون بعد المائة والرابع والأربعون بعـــد المائة :

بتاريخ ١٩٨١/١٠/١٠ بدائرة قسم الساحل محافظة القاهرة : سرقا وأخذا السلاح وذخيرته المبين بالتحقيقات والمملوك لوزارة الداخلية بطريق الاكراه الواقع على الجندى عبد الفتاح سليمان عبد المقصود والذى ترك أثر جروح به ، بأن فاجئوه بالضرب على رأسه من الخلف أثناء حراسته

لمخزن المواد التموينية بالساحل ، محدثين به الاصابات الموصوفة بالتقرير الطبى ، فشلوا بذلك مقاومته ، وتمكنوا بهذه الوسيلة من الاكـراه من اتمـــام الســـرقة ٠

سابعا : المتهمان الثالث والأربعون بعد المائة والسابع والأربعون بعـد المائة :

أخفيا السلاح والذخيرة المتحصلين من جريمة السرقة بالاكراه موضوع التهمــة السابقة مع علمهما بذلك ٠

ثامنا : المتهمون من الرابع والأربعــين بعــد المائة وحتى الســـادس والأربعين بعــد المائة :

فى ليلة ١/١٠/١٩٨١ بدائرة قسم الساحل محافظة القاهرة : قتلوا النقيب احمد صلاح الدين متولى حموده الضابط بمباحث أمن الدولة عمدا مع سبق الاصرار بأن عقدوا العزم علي قتـله وزميله اثناء بحثهما عن أولهم لاتهامه في ارتكاب جريمة السرقة بالاكراه ســالفة البيان ، فأطلق عليه الأول والثانى منهم أعيرة نارية من أسلحة يحملانها قاصدين من ذلك قتـله فأحـدثوا بهالاصـابات الموصوفة بتقـرير الصفة التشريحية والتى أودت بحيـــاته ٠

تاسعا : المتهمان الثانى والأربعون بعد المائة والتاسع والأربعون بعـد المائة :

بتاريخ ٢٨/٦/١٩٨١ بدائرة قسم ثان أسيوط محافظة أسيوط : قتلا ابراهيم شفيق عطا الله المنقبادى عمدا مع سبق الاصرار بأن عقـدا العزم على قتله وأعدوا لذلك سلاحا ناريا من مسدس يحمله ، بينما عاجله المتهم الثانى بالضرب بمدية يحملها قاصدين قتله فأحدثوا به الاصابات الموصوفة بتقرير الصفة التشريحية والتى أودت بحياته ٠

عاشرا : المتهمون الرابع عشر بعد المائة ومن الخمسين بعـد المائة وحتى الثالث والخمسين بعـد المائة :

فى ليلة ٢/٢/١٩٨١ بدائرة قسم روض الفرج محافظة القاهرة ٠٠ قتلوا عمدا مع سبق الاصرار كلا من محمود كامل نصر ونانسى منير جورج ومنى سلامة عبد العاطى وشرعوا فى قتل الجندى عبد الله محمود السيد وواحد وستين شخصا آخرين واردة أسماؤهم بالتحقيقات بأن بيتوا النية على قتل الموجودين فى حفل زفاف بكنيسة السيدة العذراء بمسرة ، وأعدوا لذلك قنبلتين ثم توجهوا بهما الى مبناها ، وألقى أولهم احداهما بفنائها على المحتفلين قاصدا قتلهم فانفجرت وأحدثت بالمجنى عليهم الاصابات

الموصوفة بالتقارير الطبية والتى أودت بحياة المجنى عليهم الثلاثة الأول ، وخاب أثر الجريمة لسبب لا دخل لارادة المتهمين فيه بالنسبة للمجنى عليهم المصابين ، وهو مداركتهم بالعـلاج .

حادى عشر : المتهمون من الرابع والخمسين بعد المائة وحتى السادس والخمسين بعد المائة :

بتاريخ ١٩٨٠/٤/٣ بدائرة قسم مصر القديمة محافظة القاهرة : أشعلوا النار عمدا فى مبنى مسكون ، بأن سكبوا مادة بترولية سريعة الاشتعال (بنزين) داخل المحل المملوك لبرسوم كيرلس سليمان ثم اشعلوا النار فيه وأحدثوا به الحريق المبين بالتحقيقات .

ثانى عشر : المتهمون الأول والسادس والعشرون بعد المائة ومن السابع والخمسين بعد المائة وحتى الحادى والستين بعد المائة :

تسلموا وقبلوا مبلغ واحد وعشرين ألف دولار أمريكى وعشرة آلاف مارك ألمانى ومائة وستة وعشرين ألف جنيه من المتهمين الثانى والستين بعد المائة وحتى السادس والستين بعد المائة ، وآخرين مقيمين خارج جمهورية مصر العربية ، وكان ذلك فى سبيل ارتكاب الجريمة المنصوص عليها فى المادة ٩٨ مكرر من قانون العقوبات موضوع التهمة ثانيا سالفة البيـان .

ثالث عشر : المتهمون من الثانى والستين بعد المائة وحتى السادس والستين بعد المائة .

شجعوا بطريق المساعدات المالية على ارتكاب الجريمة المنصوص عليها فى المادة ٩٨ مكرر من قانون العقوبات وان لم يكونوا قاصدين الاشتراك مباشرة فى ارتكابها وذلك على النحو المبين بموضوع التهمة سالفة البيـان .

رابع عشر : المتهمون : الحادى والثلاثون والحادى والأربعون والحادى والخمسون :

بتاريخ ١٩٨١/١٠/٨ بدائرة قسم ثان أسيوط محافظة أسيوط وآخرون مجهولون استعملوا القوة والعنف مع موظفين عموميين ليحملوهم بغير حق على الامتناع عن عمل من أعمال وظيفتهم بأن أطلقوا على الرائد محسن طه بدارى والقوة المرافقة له أعيرة نارية من أسلحة يحملونها لمنعهم من القبض عليهم اثر مشاركتهم فى جريمة التجمهر وما وقع خلاله فأحدثوا به والشرطى السرى على محمد أحمد الاصابات الموصوفة من جرائم أخرى سالفة البيان بالتقرير الطبى وقد بلغوا بذلك مقصدهم .

خامس عشر : المتهمون الثانى والخامس عشر والسادس عشر والرابع والعشرون :

بتاريخ ١٩٨١/١٠/١٣ بدائرة قسم بولاق الدكرور محافظة الجيزة قتلوا عمداً الجندى عبد الرزاق عبد الفتاح بقسم قوات أمن الجيزة بأن ألقوا مجموعة من القنابل على قوات الأمن المكلفة بالقبض عليهم قاصدين من ذلك قتلهم ، فأصابت شظاياها المجنى عليه فحدثت به الاصابات الموصوفة بتقرير الصفة التشريحية والتى أودت بحياته ٠٠ الخ

سادس عشر : المتهم السادس والخمسون بعد المائة :

بتاريخ ١٩٨١/١٠/٢٢ بدائرة قسم المعادى محافظة القاهرة : استعمل القوة والعنف مع موظفين عموميين ليحملهم بغير حق على الامتناع عن عمل من أعمال وظيفتهم بأن ألقى بعض القنابل الحارقة على المقدم قاسم مجاور والرائد محمد سعيد حسين وأفراد القوات المرافقة لهما لمنعهم من القبض عليه وآخر (توفى) ولم يبلغ بذلك مقصده حالة كونه يحمل سلاحا ٠

سابع عشر : المتهم الخمسون بعد المائة :

بتاريخ ١٩٨١/١٠/٢٤ بدائرة قسم الجمالية محافظة القاهرة : شرع فى قتل اللواء صلاح الدين بهجت مساعد رئيس قوات الأمن المركزى عمدا بأن ألقى وآخر (توفى) مجموعة من القنابل والمفرقعات على قوات الأمن المكلفة بالقبض عليهما قاصدين من ذلك قتلهم ، فأصابت شظاياها المجنى عليه فحدثت به الاصابات الموصوفة بالتقرير الطبى ، وخاب أثر الجريمة لسبب لا دخل لارادته فيه هو مداركة المجنى عليه بالعلاج ٠٠ الخ

ثامن عشر : المتهمون جميعا عدا المتهمين من الثانى والستين بعد المائة وحتى السادس والستين بعد المائة :

١ ـ حازوا وأحرزوا مفرقعات (قنابل ومتفجرات) قبل الحصول على ترخيص بذلك ٠

٢ ـ حازوا وأحرزوا أسلحة نارية (مدافع رشاشة) مما لا يجوز الترخيص بها ٠

٣ ـ حازوا وأحرزوا بغير ترخيص أسلحة نارية مششخنة وغير مششخنة وأجزائها (بنادق وطبنجات ومسدسات) ٠

٤ ـ حازوا وأحرزوا ذخائر مما تستعمل فى الأسلحة النارية سالفة الذكر ، دون أن يكون مرخص لهم بحيازتها واحرازها٠

٥ ـ حازوا وأحرزوا بغير ترخيص أسلحة بيضاء (سيوف وسونكات وخناجر ومطاوى قرن الغزال وبلط وسكاكين) ٠

وكانت حيازة هؤلاء المتهمين للمفرقعات والأسلحة والذخائر سالفة البيان بقصد المساس بنظام الحكم والوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى والاخلال بالأمن العام ٠

تاسع عشر : المتهمان الأول والرابع والتسعين بعد المائتين :

حازوا وأحرزوا وسيلة من وسائل التسجيل مخصصة لتسجيل أحاديث تتضمن ترويجا لمناهضة المبادىء الأساسية التى يقوم عليها النظام الاشتراكى فى الدولة والحض على كراهيتها والازدراء بها ٠

عشرون : المتهمون الثالث ومن الخامس والتسعين بعد المائة وحتى التاسع والتسعين بعد المائتين ٠

أخفوا المشغولات الذهبية المبينة بالتحقيقات والمتحصلة من الجريمتين موضوع الجنايتين رقمى ٢٤٥/١ لسنة ١٩٨١ نجع حمادى و ٧٨٣٣ لسنة ١٩٨١ قسم أول شبرا الخيمة مع علمهم بذلك ٠

أدلة الاتهام

المتهم الأول :

عمر عبد الرحمن هو الأمير العام للتنظيم ومسئول عن الفتوى والتشريع له ، ومن بين فتاويه فتوى صدرت منه قبل وقائع السطو على بعض محلات الذهب المملوكة لأفراد مسيحيين أحل فيها السطو والاستيلاء على أموال المسيحيين ، كما أفتى بحل التعدى على رجال الأمن وسرقة أسلحتهم ، وتنفيذا لما أفتى به ارتكب أعضاء التنظيم وقائع سرقة محلات الذهب بنجع حمادى وشبرا الخيمة ، ووقائع التعدى على رجال الأمن وسرقة أسلحتهم بالساحل ٠

وقالت عنه تقرير المباحث انه قدم للتنظيم مبلغ ثلاثة آلاف جنيه من ماله الخاص للاستعانة بها على مباشرة أنشطته ، وأنه تسلم مبلغ ثمانية آلاف جنيه من ثمن بيع الذهب المسروق فى واقعة نجع حمادى لتوجيهها فى تمويل نشاط التنظيم ، وانه حصل على مبلغ عشرين ألف دولار من سعوديين لانفاقه فى شئون التنظيم واشترى آلة لطبع أشرطة الكاسيت للعمل عن طريقها على اثارة الجماهير والحصول على اموال لدعم التنظيم ، واعترف المتهم بأن عددا من المتهمين حضروا اليه فى منزله بالفيوم وأصحابه ببنى سويف ، كما اعترف أيضا باصداره عدة فتاوى التنظيم ، وانه تمت عدة اجتماعات لمجلس شورى التنظيم بعد ذلك بمنزله بالفيوم وأصحابه ببنى سويف ، كما اعترف أيضا باصداره عدة فتاوى تنظيمية بناء على طلب مجلس شورى التنظيم ٠

كما أقر أنه كان يهاجم فى خطبه نظام الحكم القائم ، وأنه كان يمر على عدد من المساجد بمحافظات الفيوم وبنى سويف والمنيا لالقاء الدروس فيها ، كما أقر أيضا بحضور المتهم كرم محمد زهدى سليمان فى الفيوم وشكا له من أن المتهم نبيل محمد عبد الحميد المغربى قد تمكن من اصطحاب بعض أفراد التنظيم بالوجه القبلى ممن يخضعون لقيادته وذلك بهدف اشراكهم فى مهمة الهجوم على حفل يحضره الرئيس الراحل بمعسكر مصطفى كامل بالاسكندرية لاغتياله دون موافقة منه وأعضاء مجلس الشورى وان المتهم عبود عبد اللطيف حسن الزمر حضر اليه وبصحبته المتهم نبيل محمد عبد المجيد المغربى المسمى حركيا بركات بعد ذلك للصفح عنه وتسوية الخلاف الذى نشأ عن هذه الواقعة ٠

وقد قرر عدد من المتهمين بأنهم عرضوا امارة التنظيم على المتهم وأنه قبلها فى وجود أعضاء مجلس الشورى بمنزله بالفيوم ، وانه أفتى بحل الاستيلاء على أموال المسيحيين والتعدى على رجال الأمن ، وأفتى بتكفير رئيس الجمهورية وجواز قتله ٠

شهد الرائد على عبد الحفيظ ضابط مباحث أمن الدولة فرع الفيوم أنه عند تفتيشه مسكن المتهم محمد أمين حسان لضبط ما يحرزه من أسلحة وما قرره له المتهم المذكور من أنه تسلم لفافة من المتهم عمر عبد الرحمن طلب اليه الاحتفاظ بها دون علمه بما بها ، وعندما طلب استردادها ارتاب فى أمرها فقام بفضها وتبين أن بداخلها مسدسين ، وسلمهما للمتهم ماجد محمد السيد عبد ربه لتصريفهما ٠

وأسفر تفتيش مسكن المتهم عن ضبط عدد ١٢ شريط كاست وجهاز تسجيل ، ومبلغ عشرين الف دولار و ٢٧٠ جنيها مصريا كما أرشد المتهم عن مكان اخفائه مبلغ ستة آلاف جنيه بمنزل شقيقه وهى المتبقية من مبلغ ثمانية آلاف جنيه بقيت لديه من حصيلة بيع الذهب المسروق ٠ كذلك تم ضبط جهاز طبع شرئط كاسيت ماركة أورجينال وعدد ٧٥٥ شريطا للتسجيل بمنزل المتهم طلعت خالد لطفى الذى قرر أن المتهم سلمها اليه ٠

المتهم الثانى :

عبود عبد اللطيف حسن الزمر : اعترف المتهم فى التحقيقات بانه التقى والمتهمين محمد عبد السلام فرج وطارق الزمر حول فكرة انشاء تنظيم سرى يهدف الى الخروج على الحكومة القائمة وقتالها ثم خلعها ، من خلال خطة تمكن من القيام بثورة شاملة عن طريق اعداد أفراد يؤمنون بمفاهيم التنظيم ، ويتم تدريبهم على الرياضة العنيفة واستخدام الأسلحة النارية وعن طريقهم يمكن للتنظيم السيطرة على الأهداف الرئيسية فى البلاد واغتيال الشخصيات السياسية وتفجير الثورة بها ، وقال ان

مجموعات التنظيم بالقاهرة والجيزة قد ارتبطت بمجموعات الوجه القبلى فى اطار تنظيم واحد ، بعد أن تلاقت كلها على ذات المفاهيم والأهداف

وقد بدا هذا الارتباط بلقاء تم بين محمد عبد السلام فرج والمتهم كرم زهدى بمنزل أولهما ببولاق الدكرور ، وفى هذا اللقاء تم التنسيق بين جناحى التنظيم والاتفاق على استمرار الاتصالات فى كافة الأمور التنظيمية سعيا الى تحقيق أهدافهم فى الخروج لقتال الحاكم • وفيما يتعلق بهيكل التنظيم •• قرر المتهم أن امارة التنظيم قد عرضت على المتهم الأول عمر عبد الرحمن فلم يرفضها •

وفيما يتصل بمخطط التنظيم بلوغا لتحقيق أهدافه فى الاطاحة بسلطة الحكم ، قال المتهم أنه تم وضع خطة عامة لاحداث ثورة فى البلاد تعتمد على اعداد أفراد مدربين على استخدام السلاح تدريبا رفيعا واغتيال عدد من الشخصيات على رأسها الرئيس الراحل ونائبه ووزراء الداخلية والدفاع والخارجية ، ورئيس الأركان ورئيس مجلس الشعب وقائد قوات الأمن المركزى وبعض الشخصيات العامة وآخرون •

كما أوضح أن جناح التنظيم بالوجه القبلى قد كلف ، وفق هذا المخطط ، بالاستيلاء على مديرية أمن أسيوط ومحافظتها وأقسام ومراكز الشرطة بها ، وضرب قوات الأمن المركزى ، لاحكام السيطرة على المدينة •

وذكر المتهم أن الدولة كانت ستسلم فى حالة نجاح مخططهم الى مجلس الشورى ، وكان سيمثل أعلى المستويات القيادية فيها ، وكان سيعهد اليه بتسيير أمورها داخليا وخارجيا حتى يتم اختيار الأمير العام للدولة من بين أعضائه ،والى جانب هذا المجلس هناك مجلس آخر للعلماء كان سيعهد اليه باصدار الفتاوى •

وفى مجال تمويل التنظيم ذكر المتهم أنه كان يعتمد على جمع التبرعات من الأفراد أو الأثرياء فى البلاد المختلفة ، الا أنه بناء على فتوى صادرة من المتهم عمر أحمد عبد الرحمن فقد فكر فى الاستيلاء على كميات من الذهب من محال بيع المصوغات ، وفى مجال التسليح قال المتهم أن التنظيم كان قد أعد مخططا لتوفير السلاح بأسلوب يعتمد على مهاجمة سيارات الأمن المركزى واختطاف أسلحة جنوده وقتلهم •

وفى مجال التدريب قرر المتهم أنه تم تدريب اعداد من أعضاء التنظيم على اجراءات الأمن والطبوغرافيا والكاراتيه •• واستخدام الأسلحة النارية والاقتحامات والكمائن ، وكان قد أعد خطة للبحث عن مناطق لتدريب الأعضاء فى طريق الفيوم أو طريق الواحات وكلف المتهم نبيل المغربى بهذه المهمة •

واقر المتهم بأنه فى صباح يوم ١٩٨١/٩/٢٥ توجه بسـيارته الى القناطر الخيرية فى محاولة لاستطلاع موقع استراحة الرئيس الراحل بها واستكشاف مداخلها تمهيدا لتنفيذ خطـة اغتيـاله ، غير أنه تبين له صـعوبة اقتحـام المكان ٠

وذكر انه سبق الاعداد لقتل الرئيس الراحل وفق خطة اعتمدت على احضـار سيارة مليئة بأنابيب البوتاجاز ، وحين وجود الرئيس بمعسكر مصطفى كامل بالاسكندرية تم الدخول بها وتفجيرها توصلا الى قتـله ، ومهاجمة الاذاعة فى ذات التوقيت واعلان الثورة ٠

وقال المتهم أنه خلال اختبائه بعد تفتيش مسـكنه أبلغـه المتهم محمد عبد السلام فرج بتفصيلات الخطة التى أعـدت لاغتيـال الرئيس الراحل ، وتتلخص فى أن المتهم خالد الاسلامبولى م ٠ اول مدفعية سيقوم بادخال ثلاثة أفراد فى عربة مدفعية أثناء العـرض العسكرى المقـرر اشتراكه فيه ، وأنه سيوقف العربة باستعمال فرملة اليد عنـد بلوغهـا مكان المنصة ثم يبـادر ورفاقه الى مغادرة السيارة ومهاجمة المنصـة وقتل الرئيس ٠٠ وفى نفس الوقت تتحرك مجموعات التنظيم من الوجـه القبلى لتحريك المظـاهرات ٠

كذلك اعتـرف المتهـم بحيـازته لكافة المضبوطات التى أسفر عنها تفتيش شـقتيه بما فى ذلك المتفجرات والقنـابل والأسلحة والذخائر والوثائق ٠

كما اعترف المتهم بأنه والمتهم طارق الزمر قد قاوما بالقـوة رجال الأمن عند القبض عليهما ، وذلك بالقاء القنابل واطلاق النار عليهم ٠

قرر المتهم محمد عبد السلام فرج بالتحقيقات أن المتهم كان من قادة التنظيم وعضوا بمجلس الشورى به ، وقد تولى عملية تسليح التنظيم ٠٠ كما قرر أن المتهم أعد خطة للاستيلاء على مقاليد الأمور فى البلاد ، وأعد كذلك بيان الانقلاب الذى كان مزمعا اذاعته عن طريق الاذاعة والشـاص باعلان نبأ قيام الثورة ومناشدة جماهير الشعب الالتفـاف حولها ، وقرر أيضا أن خطة اغتيال الرئيس الراحل قد عرضت على المتهم فاقرها ٠

قالت زوجة عبود الزمر بالتحقيقات أن زوجها يخفى بعض الأوراق فى مكان بأسفل دولاب بغرفة نوم والدته ، وأخفى جزءا آخر من الأوراق داخل تجويف جرس الشقة ، وطلب منها احراق ذلك الورق فيما لو تم القبض عليه ، كما ذكر شقيقها أن المتهم طارق الزمر كلفـه عن طريق المتهم عبد المعز محمد متولى باحضار علبة من الشقة المذكورة ، تبين أن

هذه العلبة تحتـوى على كميـة من المتفجرات بلغ قدرها مائة مفجر وفقا لما أقر به المتهم طارق الزمر ٠

ورد باعترافات المتهم أيمن محمد ربيع الظواهرى أنه التقى بالمتهـم عبود الزمر خلال شهر أكتوبر وسلمه مبلغ ثمانمائة جنيه لشراء مكبرات صوت لاستخدامها فى المظـاهرات بالميادين العـامة عقب البيـان الذى كان مزمعا اذاعته بعد اغتيال الرئيس الراحل ، كما أن المتهم المذكـور أبلغه بوجود خطة لضرب جنازة الرئيس الراحل ٠

وردت تقارير مباحث أمن الدولة أن المتهم كان من القيـادات البارزة فى التنظيم وعضـوا بمجلس شوراه ورئيسا للجهاز القتـالى والجناح العسكرى للتنظيم والذى نيط به تنفيذ المخطط والعمليات القتالية ٠

المتهـــم الثالث :

كرم زهدى : شارك فى انشاء التنظيم وكان من أبرز قياداته ، وأدى دورا فعالا فى نشاطاته وتحركاته وأسهم فى الأحداث التى شهدتها مدينة أسيوط بتاريخ ١٩٨١/١٠/٨ وذلك بلوغا الى تحقيق أهداف التنظيم التى ترمى الى الاطاحة بنظـام الحـكم القائم فى البلاد بالقوة المسـلحة ٠٠ وقال فى ذلك انه التقى والمتهم محمد عبد السلام فرج ، الذى توطـدت علاقته به من خلال نشاطهما الدينى ، على فكر واحد ، واتخـذا من فكر الجهـاد ركيزة لتنظيم سرى مسـلح يهـدف الى قلب نظـام الحكم القائم فى البلاد ، واقامة ما يسمى بالدولة الاسلامية ، وبأنه لا يمكن تحقيق تلك الأهداف الا باغتيال رئيس الجمهورية وبعض القيـادات السياسية والاستيلاء على المواقع الحيوية ، وفى طليعتها مبنى الاذاعة والتليفزيون وغرفة عمليـات القيـادة العامة بوزارة الدفاع ، ثم تحـركات مقـابلة لعناصر التنظيم بالوجه القبلى للسيطرة على مدينـة أسيوط وباقى المحافظات وقد فهم من المتهم محمد عبد السلام فرج ، أن لديه عـدة مجموعات تؤمن بذات الفكرة ٠

أولاها ببولاق الدكرور ويتولى مســئوليتها ، والثـانية والثالثة بمنطقتى ناهيا والهرم ويتولى المتهم طارق الزمر مسئوليتها ، والرابعة بمنطقة صفط اللبن ، ويتولى مسئوليتها صـالح جاهين ، ثم مجموعة خامسة بالألف مسكن يتولى المتهم نبيل المغربى مسئوليتها ٠٠ الخ ٠

أما عن مسئولى المناطق بالصعيد فقد تولى المتهمون ناجح ابراهيم وعاصم عبد الماجد وأسامة حافظ منطقة أسيوط ، وحمدى عبد الرحمن منطقة سوهاج ، وطلعت فؤاد وعلى الشريف منطقتى نجع حمادى وقنا ،

ومحمد عصام دربالة وفؤاد الدواليبى منطقة المنيا وكان المتهـــم ناجح ابراهيم أميرا لأسيوط ، وتتبعه كافة محافظات الوجه القبلى ، وأضاف أنه قد انبثقت عن مجلس الشـــورى ســـواء على مســـتوى الوجـــه القبلى أو القاهرة لجـــان ثلاث هى لجنة العدة ولجنة الدعـــوى ثم اللجنة الاقتصــــادية ، وردد المتهم أقوال سالفيه من المتهمين فيما يتعلق بمهام تلك اللجـان ، وأسماء أعضائها وما أدته ٠

أفادت تقارير مباحث أمن الدولة ان المتهم قيادى بمجلس شـــورى التنظيم يعاون فى مسئوليات الدعوة والاشراف على مجموعاته بالوجه القبلى ومسئول الاتصال التنظيمى بين الوجه القبلى وقيادة التنظيم وعضو لجنة العدة ، وانه تلقى تدريبات عسكرية ورياضـــية عنيفـــة ، وأنه أحد عناصر شعبة التسليح بالتنظيم ، كما تم الاتفاق معه على القيـام باحداث أسيوط فور سماع نبأ الاغتيال ، وأنه وبعد وضع ترتيبات قيام التنظيم بتلك الأحداث شـارك فيها وقاد مجموعة مهمتها معاونة بقية المجموعات فى تنفيذ مهامها والاشراف على التنفيذ ٠

المتهـم الرابع :

اعترف ناجح فى التحقيقات بأنه من مؤسسى وقادة التنظيم الـذى أنشىء فى أواخر شهر يناير سنة ١٩٨٠ وتألفت قيادته من أحد عشر شخصا ضمت معه المتهمين كرم زهدى وفؤاد الدواليبى وعاصم عبد الماجد وعلى الشريف ومحمد عصام الدين دربالة وحمـدى عبد الرحمن عبد العظيم وطلعت فؤاد وأسامة حافظ ومحمد عبد الســـلام فرج وعبـود الزمر ، واعترف المتهم أيضا باشتراكه فى محاولة قلب نظام الحـــكم القائم فى البلاد واتفاقه على اغتيال الرئيس الراحل مع باقى أعضـــاء مجلس شورى التنظيم فى الوجه القبلى وبأنه قد أرسل مائتى طلقة الى المتهم خالد الاسلامبولى عن طريق المتهم أسامة حافظ ، وقال ان هذا التنظيم قد استهدف قلب نظام الحكم السائد فى البلاد بالقوة المسلحة ، وذلك باغتيال الرئيس الراحل والاستيلاء على المواقع الحيـوية ومن بينهـا مبنى الأذاعة والتليفـــزيون ٠

وقد شرح المتهم فى اعترافه بالتفصيل كيفية خطة الاستيلاء على مواقع الشرطة بأسيوط وقتل قوات الأمن بما فى ذلك تكوين فصائل التنظيم التى ساهمت فى ارتكاب الأحداث وتوزيعها على الأهداف المتفق عليها ٠

وقد أقر معظم أمراء المناطق والمجموعات وأعضاء التنظيم بأن المتهم كان من أبرز قيادات التنظيم وعضوا بلجنة الدعوة المنبثقة عن مجلس

الشورى وقام بأدوار حاسمة فى نشاطاته الفكرية والتنظيمية وفى الأحداث التي أقدم التنظيم على ارتكابها بمدينة أسيوط وصولا الى أهدافه ٠

وشهد النقيب مبروك فرغلى رئيس مباحث قسم اول أسـيوط انه شاهد المتهم يطلق عدة أعيرة نارية من بندقية آلية على الملازم أول عصام مخلوف أردته قتيـلا ٠

المتهـم الخـامس :

اعترف فؤاد محمد الشهير بفؤاد الدواليبى وهو المتهم الخامس بأنه التقى والمتهم كرم زهدى على منهج يتخذ من قلب نظام الحكم القـائم فى البلاد بالقوة المسلحة أسلوبا لاقامة ما يسمي بالنظام الاسلامى ، وقاد هذا الفكر معهما مجموعة من القياديين على مستوى محافظات المنيا وأسيوط وسوهاج وقنـا ٠٠ الخ ٠

وأقر المتهم أنه بعد صدور قرارات التحفظ لاذ معظم أعضاء التنظيم بالهرب الى الجبل الغربى بعد أن مكثوا بمنزل المتهم أحمد سليم بالغنايمة قرابة اليومين وقد تمكنت الشرطة من القبض على الأخيرين فى حين تمكن هو والمتهم كرم زهدى من الهرب الى منزل خالد الاسلامبولى ٠

وشرح فؤاد الدواليبى فى اعترافاته كيف شارك فى أحداث أسيوط وأنه هاجم مع زملائه احدى سيارات الشرطة اللورى وأطلقوا النار عليها ففر جنودها هاربين تاركين السيارة وبها بندقية وكمية من القنابل فاستولوا على السيارة بمحتوياتها واستخدموها فى صد الجنود الذين تركزوا حول المبنى ٠٠ الـخ ٠

المتهـم السادس :

اعترف على محمد الشريف أن نشـاطه المناهض قد بدأ مع التحاقه بجامعة أسيوط عام ١٩٧٧ ووقتها تحول تدريجيا الى الالتزام بتعـاليم الاسلام بسبب اقتناعه وتأثره بالأفكار التى روج لها كل من المتهمين ناجح ابراهيم وعاصم عبد الماجد وكرم زهدى فى خطبهم بمسـاجد أسـيوط ، والتى ركز فيها هؤلاء على تكفير الحاكم (الرئيس الراحل) واقامة الدولة الإسلامية ، ثم انخرط في الجماعة الاسلامية ، ومن خلالها سـاهم فى النشـاطات التى مارسها والتي أثارت حفيظـة رجال الأمن وبسببها تم القـاء القبض عليـه بنجـع حمـادى ، غيـر انه تمـكن من الهرب من قبضـة الشرطة ٠

المتهم السـابع :

اعترف محمد عصام الدين حسن دربالة فى التحقيقات أنه يؤمن بالجهاد اسلوبا لتطبيق الشريعة الاسلامية وان علاقته قد توطدت بكل من المتهمين عاصم عبد الماجد وكرم زهدى وفؤاد الدواليبى الذين شاركوا فى عدد من المشروعات الخاصة ومنها اقامة الأسواق الخيرية لتحقيق الربح ، وأقر بأن اجتماعا قد ضمه والمتهمين المذكورين والمتهمين ناجح عبد الله ابراهيم وحمدى عبد الرحمن لمناقشة أمور الدعوة تم فيه الاتفاق على اقامة الندوات والمعسكرات ، كما أقر بأن المتهم محمـد عبد السلام فرج قد حضر الى مدينة أسيوط والتقى به ، كذلك أقر المتهم بأنه تقـابل مع المتهم نبيل المغربى أثناء وجوده مع المتهم فؤاد الدواليبى واسـتطرد معترفا بأن المتهم فؤاد الدواليبى كان قد أبلغه فى اليـوم السـابق على العرض العسكرى بأن حدثا كبيرا سـوف يحدث بهـذا العرض ، ثم حضر اليه فى اليوم التالى واصطحبه الى أسيوط حيث التقى فيهـا بالمتهم كرم زهدى وأخرين بشقته وقبل مشرق الشمس غادر الشـقة ومعـه المتهمان كرم زهدى وحمدى عبد الرحمن حيث اتجهوا بسيارة الى نقطـة شرطة ابراهيم وكان كرم زهدى قد أبلغه بوجود تلاحم بين أعضاء التنظيم وبين رجال الشرطة واعترف المتهم بمشاركته فى الهجـوم الذى قام به أعضـاء التنظيم على رجـال الشرطة ٠

المتهم الثـامن :

اعترف عاصم عبد الماجد محمد ماضى فى التحقيقات ، بانه شـارك فى انشاء تنظيم سرى استهدف تغيير نظـام الحكم السائد فى البلاد بالقوة المسلحة ، وأنه كان عضوا بمجلس شورى التنظيم وأحـد قياداته عن الوجه القبلى واقر بدوره البارز فى نشاطات التنظيم وحركته بلوغا الى أهدافه سواء فى مجال تدريب اعضائه واعداد فصائله القتالية ، أو فى مجال التسليح والدعوة ، كما اعترف بأنه قد اسهم فى ارتكاب الأحـداث التى اقدم التنظيم على تنفيذها بمدينة أسـيوط فى الثامن من اكتوبر عام ١٩٨١ ، وباصابته خلال تلك الأحـداث ٠

المتهـم التاسـع :

اعترف حمدى عبد الرحمن عبد العظيم محمد بانضمامه الى تنظيم سرى فى صيف عام ١٩٨٠ ، يركز منهاجه على فكرة تكفير الحاكم وحل دمه ، عن طريق الجهاد المسلح ، ويهدف الى اسقاط نظام الحكم القـائم فى البلاد بالقوة المسلحة كما اعترف بانه كان عضـوا بمجلس شـورى

التنظيم واميرا لمنطقه سوهاج ، واعترف كذلك باسهامه في الأحداث التي وقعت بمدينة أسيوط بتاريخ ١٩٨١/١٠/٨ ، وفيما يتعلق بهيكل التنظيم، قال المتهم ان المتهم الأول عمر أحمد عبد الرحمن يمثل اعلى مستوياته ، وكان يتولى مسئولية اصدار الفتاوى التنظيمية ٠

المتهـــم العـــاشر :

اعترف أسامة حافظ ابراهيم بأنه انضم الى التنظيم فى اغسطس عام ١٩٨١ **وانه كان عضوا بمجلس** الشورى ومسئول التنظيم مع كل من المتهمين ناجح ابراهيم وعاصم عبد الماجد عن منطقة أسيوط وبعضويته فى لجنة الدعوة وأوضح أن المتهمين كرم زهدى ومحمد عبد السلام فرج قد أسسا التنظيم بهدف قلب نظام الحكم القائم فى البلاد بالقوة عن طريق الاستيلاء عنوة على مراكز وقيادة الجيش والأمن ومراكز التوجيــه مثل الاذاعة والتليفزيون ٠٠ الخ ٠

المتهـم الحـادى عشر :

اعترف طلعت فؤاد محمد قاسم بلقاءاته بالمتهمين محمد عبد السلام فرج وكرم محمد زهدى وفؤاد الدواليبى ومحمد عصام الدين درباله وعلى محمد الشريف وعبود الزمر ونبيل المغربى وبكونهم ألفوا تنظيما استهدف تغيير نظام الحكم القائم عن طريق ترسيخ فكرة الجهاد ٠

المتهم الثـانى عشر :

اعترف نبيل محمد عبد المجيد المغربى فى التحقيقات بانضـمامه الى التنظيم فى أواخر شهر نوفمبر سنة ١٩٨٠ عن طريق المتهم الثانى محمد عبد السلام فرج ، بعد أن عرض عليه مفاهيمه وأهدافه التى ترمى الى الاطاحة بالسلطة القائمة بالقوة المسلحة ، وأنبأه بأن التنظيم يضم تجمعا شبابيا كبيرا على مستوى القاهرة والوجهين القبلى والبحرى ، ويعــد كوادره لقتال الحكومة وخلعها من خـلال تدريب نظـرى وعملى ، وبث فكر الجهاد القتالى فيهم ،الذى روج له المتهم الثانى فى كتابه (الفريضة الغائبة) وأفادت التقارير أيضا أنه شارك فى تخطيط وتنفيذ عملية اغتيال الرئيس الراحل ٠

المتهم الثالث عشر :

كشفت التحريات أن أحمد سليم محمود خليفة عضـو بالتنظيم بمجموعة مركز البلينا ، وانه قد تم تدريبه عسكريا على استعمال المفرقعات

ومهاجمة الدبابات والمدرعات وهو من القيادات المسئولة عن اعداد وتدريب عناصر التنظيم على السلاح ومن ابرز عناصر التنظيم بشعبة التسليح ، وتم شراء سيارة جيب تويوتا للتنظيم سجلت باسمه لاستخدامها فى تنقلات أعضاء التنظيم فى الجبال والمغارات للتدريب العملى على ضرب النـار والزحف والاغـارة ٠

المتهم الرابع عشر :

اعترف صالح أحمد صالح جاهين بانضمامه الى التنظيم بعد تعرفه على المتهم محمد عبد السلام فرج ، وتولى رئاسة التنظيم بناحية صفط اللبن وكان يتكون من كل من المتهمين رفعت السمان وممدوح عيسى ومحمد البرعى وأمين عيسى ، واعترف بقيامه بكل المهـام التى كلفه بها الأعضاء القياديون للتنظيم ٠

المتهم الخامس عشر :

اعترف عبد الناصر أحمد دره بانضمامه الى التنظيم عن طريق المتهم محمد عبد السلام فرج والذى تولى رئاسة التنظيم عن رئاسة المجموعة التى ضمه اليها ، وأنه فى أعقاب اصابة المتهم سالف الذكر فى حـادث سـيارة لازمه فى كل تنقلاته التى ابتغى منها الهرب من القبض عليـه ، فانتقل معه الى المنزل الذى قابل فيه المتهم خالد الاسلامبولى وكان متخذا اسما حركيا (ظافر) ثم انتقل معه الى مسكن المتهم عبد الحميد عبد السلام والكائن بذات المبنى ، ثم الى مسكن المتهم سيد السلامونى ثم الى مقـر أعده لهما المتهم صفوت الأشوح ، وسافر موفدا من المتهم محمد عبد السلام فرج الى بلدته الدلنجات هربا من مطاردة الشرطة واعترف انه من خلال نشاطه التنظيمى تعرف بالمتهم عبود الزمر والعديد من أعضـاء التنظيم ونفذ كل ما كلفه به وأنه بتكليف من المتهم عبود الزمر قام بشراء معدات تصنيع قنابل تولى ذات المتهم شرح أسلوب اعدادها له وللمتهم عبد الله سالم وأنهما معا أعدا ثلاث قنابل باستخدام علب من الصفيح ٠٠ الخ ٠

المتهم السادس عشر :

اعترف محمد عبد السلام فرج أنه سافر مع المتهم السادس عشر طارق الزمر فى صيف ١٩٨١ الى أسيوط حيث التقيا بالمتهمين كرم زهدى وأسامة حافظ وآخرين واتفق الرأى بينهم على الجهاد بالقوة المسـلحة لاقامة الدولة الاسلامية ، وقد تولى بعد ذلك ضم آخرين الى عضـوية

التنظيم من خــلال اقناعهم بتكفير النظــام القائم ووجوب الخــروج عليه وقتـــاله ٠

المتهــم الســابع عشر :

اعترف محمد طارق ابراهيم فى التحقيقات بأنه من خــلال نشاطه فى الجماعة الاسلامية بجامعة القاهرة تعرف على محمد سالم ، وفهم منه أنه فى سبيله لتشكيل تنظيم رشحه لتولى بعض مسئولياته ، كمــا تعرف عن طريق المتهم كمال السعيد حبيب على بعض أعضاء التنظيم فى أعقاب أحداث الزاوية الحمراء وجرى التخطيط بينهم على ممارسة النشاط التنظيمى سعيا لاقامة الدولة الاسلامية واختص بمنطقة مصر الجديدة ٠٠ الـــخ ٠

المتهـــم الثــامن عشر :

اعترف أسامة السيد قاسم باخفاء كمية كبيرة من القنابل داخـــل صندوق أحضرها اليه المتهم على فراج ، وقد ظل محتفظا بهذه الكميــة الى أن جاءه المتهم المذكور ومعه المتهم علاء عبد المنعم وطلبا منه نقلها الى مسكن المتهم أنور عكاشة بقرية الجديدة بالشرقية الذى استعاده منه ناقصا ١١ قنبلة واعترف باسهامه فى التحــــركات التنظيمية التى جرت بصدد تنفيــذ كل عمليات التنظيــم الأخرى ٠

المتهــم التاســع عشر :

اعترف صــلاح السيد بيومى بتحقيقات النيابتين العامة والعسكرية بأن المتهم محمد سالم رحال كان قد شــكل تنظيما لقلب نظام الحــكم فى البلاد وحين فاتحه فى الانضمام اليه قبل ، فعهد اليه بتجنيد آخرين وأقر المتهم بدوره وأعضـــــاء التنظيم بالشرقية والبحيرة فى اعـــــداد القنابل المستخدمة فى أحداث المنصة ٠

المتهــــم العشرون :

اعترف علاء الدين عبد المنعم ابراهيم فى تحقيقات النيابة بالرابطة بينه وبين المتهمين أسامة السيد قاسم وعلى محمد فراج وأنور عبد العظيم عكاشة وصلاح بيومى ، وبنقله ذخائر من الاسماعيلية الى الزقازيق تنفيذا لتكليف صادر اليه من المتهم على محمد فراج حيث جــرى ، ايداعهــا بالخطاطبة لدى المتهم أسامة السيد قاسم وبموافقة الأخير والمتهم صـــلاح

بيومى الى القاهرة ومبيته لدى المتهم اسماعيل الرفاعى وانتقاله بسيارة المتهم محمد طارق المصرى الى مأوى أحداث المنصة يوم ٦ أكتوبر ٠

وقد شملت قائمة الملحوظات الخاصة بالمتهمين الأدلة الى باقى المتهمين وهى لا تخرج عما سبق ذكره ٠

كما أذاعت نيابة أمن الدولة قرارا فى ١٩٨٣/٣/٢٤ اشتمل على ١٧٦ متهما جديدا اتهمتهم بأنهم انضموا الى تنظيم حزبى مسلح غير مشروع لمناهضة المبادىء الأساسية لنظام الحكم الاشتراكى للدولة وذلك بالاستيلاء على الاذاعة ووسائل الاتصالات بهدف اسقاط النظام القائم واقامة ما أطلق عليه بالدولة الاسلامية ٠

وهؤلاء المتهمون هم :

١ ـ محمد المنتصر عبد النعيم على الزيات
٢ ـ صلاح الدين عبد القادر محمد
٣ ـ مجدى محمد صيام غلاب
٤ ـ مجاهد حمادة أحمد محمد
٥ ـ محمود عبد الحميد أحمد سليمان
٦ ـ مجدى محمد محمد سالم
٧ ـ محمد أحمد محمد حمودة
٨ ـ حسام الدين احمد توفيق خطاب
٩ ـ محمد عبد الموجود ابراهيم الزمر
١٠ ـ عادل محمد عبد المجيد على عبد البارى
١١ ـ عماد متولى عبد المجيد حسن
١٢ ـ محمود العزب محمد أحمد
١٣ ـ عبد الصمد طايل حميدة رحيل
١٤ ـ على فتحى عبد الرحمن على محمد غندور
١٥ ـ عبد الرحمن عامر عبد المالك محمد
١٦ ـ ابراهيم حامد عبد الغنى ادريس
١٧ ـ مصطفى عبد الفتاح عباس عامر
١٨ ـ محمد عبد الفتاح عباس عامر
١٩ ـ أمين حامد الأمين عباس

٢٠ ـ عبد الحافظ ربيع عبد الحافظ
٢١ ـ خالد ابراهيم محمد عمر
٢٢ ـ عبد المعز محمد محمود رجاب
٢٣ ـ أحمد عبد النعيم على مصطفى الزيات
٢٤ ـ عبد الوهاب محمد محمود مراد
٢٥ ـ محمد الطيب محمد محمود عبد الواحد
٢٦ ـ محمد أبو المجد على سليمان
٢٧ ـ سامى محمد ابراهيم زيدان
٢٨ ـ عبد الحكيم مروان صديق بكرى
٢٩ ـ مدحت مرزوق منذور سعد
٣٠ ـ الصاوى عبد العليم زيدان
٣١ ـ مصطفى مصطفى حجاج مصطفى
٣٢ ـ عبد الله محمد صبرى
٣٣ ـ عبد الرحمن ابراهيم محمود شحاتة
٣٤ ـ أحمد عبد الباسط أحمد
٣٥ ـ أمين ابراهيم محمد على بدوى
٣٦ ـ عبد الحميد أحمد مهران رشوان
٣٧ ـ محمد عبد الغنى محمود عبد القادر
٣٨ ـ أحمد محمود محمد أحمد البنا
٣٩ ـ شكرى محمود على محمد
٤٠ ـ بدرى مخلوف حسين عبد الكريم
٤١ ـ محمد أحمد شوقى محمد الاسلامبولى
٤٢ ـ سامى عبد الرحمن خليفة
٤٣ ـ أحمد مصطفى سليمان حسن
٤٤ ـ محمد عبد اللطيف محمد سعد
٤٥ ـ عبده على ضيف الله عثمان
٤٦ ـ حسن حسين محمود الخولى
٤٧ ـ عبد رب النبى أحمد محمود
٤٨ ـ لطفى السيد على جابر
٤٩ ـ عماد الدين سعد الدين موسى
٥ ـ عبد الرازق محمد محمد مكى

٥١ ـ محمد هشام محمد أحمد حسن
٥٢ ـ عادل جابر الكريم العارف محمد
٥٣ ـ موسى أحمد السيد الزارع
٥٤ ـ أشرف السيد أحمد ســالم
٥٥ ـ أبو عامر حسين محمد أبو عامر
٥٦ ـ الحسينى عبد الرازق أحمد الزاكى
٥٧ ـ السيد عبد الرءوف سليمان
٥٨ ـ عبد الفتاح أحمد محمد عبد العال
٥٩ ـ عبد الظاهر حسن أبو الليف
٦٠ ـ جمال حامد على عبد الرحيم
٦١ ـ أحمد مصطفى محمــد مغــربى
٦٢ ـ محمد مصطفى محمود حب الله
٦٣ ـ محمد أشرف حسين عبد الحافظ
٦٤ ـ عادل محمود أحمد حسن الحجازى
٦٥ ـ أحمــد وجيه محمد أحمــد
٦٦ ـ جمال محمود أحمد حسن حجازى
٦٧ ـ أحمد ابراهيم أيوب سليمان
٦٨ ـ جمال ابراهيم أحمد حسن
٦٩ ـ محمد عصام حسين عبد الحافظ
٧٠ ـ عبد الآخر حماد محمد حماد
٧١ ـ محمــد على منصــور
٧٢ ـ جمال محمود أحمد حنفى
٧٣ ـ محمد فوزى عبد الغفار
٧٤ ـ علاء الدين محمد أحمد الخرجــاوى
٧٥ ـ أنور السادات حسن محمد عبد المنعم
٧٦ ـ عصام فؤاد محمود بدوى
٧٧ ـ عصام على قطب عبد الله
٧٨ ـ محمد أشرف عليوة
٧٩ ـ مجدى تحسين على الطويل

٨٠ ـ أحمد محمد محمد عبد الرحمن
٨١ ـ فوزى صالح محمد عاشور
٨٢ ـ عبد الفتاح السيد سطوحى عثمان
٨٣ ـ سعيد مصطفى حافظ حسن
٨٤ ـ محمد مصطفى عبد السلام
٨٥ ـ مصطفى محمود محمد عبد الرحمن
٨٦ ـ مصطفى محمود مصطفى العمرى
٨٧ ـ نبيل محمد طلب هنداوى
٨٨ ـ عبد الله محمد حسن أبو عجور
٨٩ ـ عبد الحق أحمد فؤاد حسن
٩٠ ـ أحمد بكر محمد بكر
٩١ ـ أحمد عمر خليل خطاب
٩٢ ـ ربيع مصطفى حجاج مصطفى
٩٣ ـ خميس أحمد النجار
٩٤ ـ حسين محمد ربيع محمد
٩٥ ـ عبد العزيز موسى داود الجمل
٩٦ ـ عونى عبد الحميد محمد المجبر
٩٧ ـ سيد عونى محمد طلبه
٩٨ ـ أحمد هناء أحمد محمد الريس
٩٩ ـ رفاعى منصور عبد الغنى
١٠٠ ـ حسن عبد العظيم على جلال
١٠١ ـ عبد الحكيم محمد محمد القطان
١٠٢ ـ عبد اللطيف عبد الكريم حامد محمد
١٠٣ ـ ابراهيم محمود السيد
١٠٤ ـ صبرى ابراهيم أحمد عبد الجواد
١٠٥ ـ سمير محمود محمد محمد فارس
١٠٦ ـ محمود أحمد جودة

١٠٧ ـ حمدى محمد السيد العتر

١٠٨ ـ محمود على محمد ابراهيم

١٠٩ ـ محمود حنفى محمود اسماعيل

١١٠ ـ عوض محمد اسماعيل فرج

١١١ ـ محمد عقل مرسى محمد

١١٢ ـ كمال الدين محمدى الشافعي

١١٣ ـ محمد يوسف سيد حسن

١١٤ ـ محمد حمدى محمد قشطة

١١٥ ـ عبد الحميد اسماعيل عبد الحليم

١١٦ ـ عادل زغلول عبد الحميد حسين الجندي

١١٧ ـ سعد محمد عبد السند

١١٨ ـ طارق محمود محمد صالح

١١٩ ـ منير محمود على الكسيرى

١٢٠ ـ سامى عبد الرحيم منصور عزام

١٢١ ـ صفوت محمود أحمد على سالم

١٢٢ ـ السيد العربى كمال محمد على

١٢٣ ـ كرم فرج متولى يحيى

١٢٤ ـ محمد كمال أمين يحيى

١٢٥ ـ محمد عطية خالد حامد على

١٢٦ ـ نبيل عريس عبد الله محمد حسن

١٢٧ ـ عاطف عبد الراضى سيد خليفة

١٢٨ ـ محمد عبد الله محمد بسيونى

١٢٩ ـ محمد السيد السيد سليمان عبد الشافى

١٣٠ ـ عبد الخالق ابراهيم السيد

١٣١ ـ على عبد المجيد مرسى الرشيدى

١٣٢ ـ حسن عبد الله بسيونى

١٣٣ ـ رضا عبد الدايم متولى الشربينى

١٣٤ ـ ابراهيم عبد المنعم السيد على

١٣٥ ـ وائل محمد صفوت محمد
١٣٦ ـ طارق سلامة سيد ابراهيم عامر
١٣٧ ـ أحمد محمود خليل السهيب
١٣٨ ـ عاطف كمال أيوب المكاوى
١٣٩ ـ عبد الكريم أحمد عوض الله
١٤٠ ـ محمد عبد العاطى عبد اللطيف
١٤١ ـ مجدى غريب أحمد محمد فايد
١٤٢ ـ رمضان محمد شعبان
١٤٣ ـ ممدوح أحمد عبد الباقى
١٤٤ ـ علام سيد محمود السيد
١٤٥ ـ عادل محمد عبده درويش
١٤٦ ـ حامد ابراهيم مرسى
١٤٧ ـ سمير شمس الدين عبد الشافى
١٤٨ ـ فتح الله ابراهيم محمد حجاب
١٤٩ ـ عبد الله هاشم على محمد
١٥٠ ـ عادل أحمد باشا يوسف
١٥١ ـ محمود محمد عبد المقصود
١٥٢ ـ عرفه عبد الله حسن الأبيض
١٥٣ ـ عادل خيرى محمد عوف
١٥٤ ـ شوقى عبد الحميد محمد محمود
١٥٥ ـ عادل السيد ابراهيم شندى
١٥٦ ـ محمد محمد تامر حجازى
١٥٧ ـ عادل عبد العزيز أحمد جعفر
١٥٨ ـ ناصر عبد النبى عبد الرحمن
١٥٩ ـ محمد ابراهيم محمد عبد النبى
١٦٠ ـ محمد حمدى أحمد ابراهيم
١٦١ ـ هشام عبد الله محمد سليمان
١٦٢ ـ مصطفى محمد مرسى عطيه
١٦٣ ـ مبروك أنور محمد أحمد سليمان

١٦٤ ـ عبد الحفيظ محمد على شردية

١٦٥ ـ ابو الهدى محمد يوسف

١٦٦ ـ محمد حافظ السيد على بيومى

١٦٧ ـ محمد جمـــال على مهـدى

١٦٨ ـ عبد العظيم عبد الرازق محمـــد

١٦٩ ـ عبد الفتاح عبد الله حمــودة

١٧٠ ـ محمد ابراهيم شرف

١٧١ ـ صلاح هاشم احمد العيسر

١٧٢ ـ محمــد غنيم احمد عــلى

١٧٣ ـ أســامة حسن كامل

١٧٤ ـ حازم محمد مصطفى

١٧٥ ـ ابو بكر محيى الدين بلال

١٧٦ ـ محمــد نور على

● الفصـــل السادس

قضايا وحوادث هامة .. للمتطرفين

(١) محاولة اغتيـــال

الرئيس / حسني مبـــارك

في الخامسة من صباح يوم الاثنين الموافق ١٩٩٥/٦/٢٦ م غادر الرئيس حسني مبارك القاهرة متوجها الى أديس أبابا عاصمة دولة أثيوبيا لحضور مؤتمر القمة للدول الافريقية وفي حوالى الساعة الثامنـــة وصل الرئيس الى مطار أديس أبابا ، حيث استقبله في المطار رئيس الجمهوريه وكبار المسئولين وكان رجال الأمن المصريون قد أبدوا تخوفهم من اجراءات الأمن في أثيوبيا فأسلوا العربة المرسيدس المدرعة والخاصة بالرئيس الى المطار قبل وصوله وتحققت شكوك رجال الأمن المصريين في صلابة احتياطات الأمن للرؤساء الافريقيين لضعف امكانيات تحقيق الأمن المطلوب للرؤساء الافريقيين خلال تواجدهم لحضور مؤتمر القمة .

لذلك فقد صمم رجال حرس الرئيس على الاحتفاظ بأسلحتهم رغم محاولة رجال الأمن في أثيوبيا القيام بتجريدهم من بعض الأسلحة وعلى ذلك فقد غادر ركب الرئيس المطار يسبقه عربة وزير الخارجية وتتبعه عربة الحراســة وعلى الجانبين فردا حراسة من راكبى الدراجات البخارية ـ وعلى بعد حوالى ٦٠٠ متر من المطار فوجىء أفراد الموكب بعد مرور عربة وزير الخارجية بســيارة تعترض الطريق وتقف أمام سـيارة الرئيس ويغادرها شخصان أحدهما ينبطح أرضا موجها مدفعه الرشاش الى سيارة الرئيس بينما يتجه الآخر نحو ذات السيارة حاملا مدفعه الرشاش وفي الحال يتصدى رجال الحرس التابعين لســيارة الرئيس الى الشخصين فيردوهما قتيلين ، هذا بينما كانت تنهمر بعض الطلقـات الأخـرى من الجانبين ومن أعلى سطح أحد المباني وفي الحـال كانت أوامـر الرئيس للسائق بالعودة الى المطار حيث استدارت العربة المقلة للرئيس صاعدة على الرصيف ومخترقة بسرعة هذا الحصار لتعود به الى المطار حيث فوجىء الرئيس الأثيوبي بما حدث ـ وبعد دقائق أقلعت طائرة الرئيس مبـارك عائدة به الى القاهرة حيث وصـل سيادته الى مطار القاهرة في حوالى الحادية عشرة صباحا ونزل من الطائرة سليما معافى تحت سـمع وبصر

حشـــود الصحفيين المصريين والأجـانب الذين حضروا العودة وتأكدوا من سلامته ٠

وقد اتضح من التحقيقات والتحريات الأولية والتى أذيعت فى كل من مصر وأثيوبيا الآتى :

١ ـ ان هذه المحاولة قد خطط لها من شهر مارس سنة ١٩٩٥ م لاغتيال الرئيس مبارك من جهة ارهابية تزعم أنها اسلامية ٠

٢ ـ ان هذا التخطيط قد تم تدبيره بواسطة الدكتور حسن الترابى زعيم الجبهة الاسلامية فى السودان ٠

٣ ـ ان رأس الجماعة يدعى حسين أحمد على شميت وهو ســـودانى الجنسية وله نشاط ارهابى معروف بالسودان وعلى علاقة بجماعات ارهابية فى القاهرة ويساعده صفوت حسن عبد الغنى ، وعبد الكريم النادى ، والعربى صديق وقد قتل من الارهابين فى حينـه كل من عبد القدوس القاضى ، ومصـــطفى عبد العزيز محمـــد تـــركى وشريف عبد الرحمـــن عمـــر ، وعبد الهـــادى معوض حمزة . ومحمد عبد الراضى ايهاب ٠

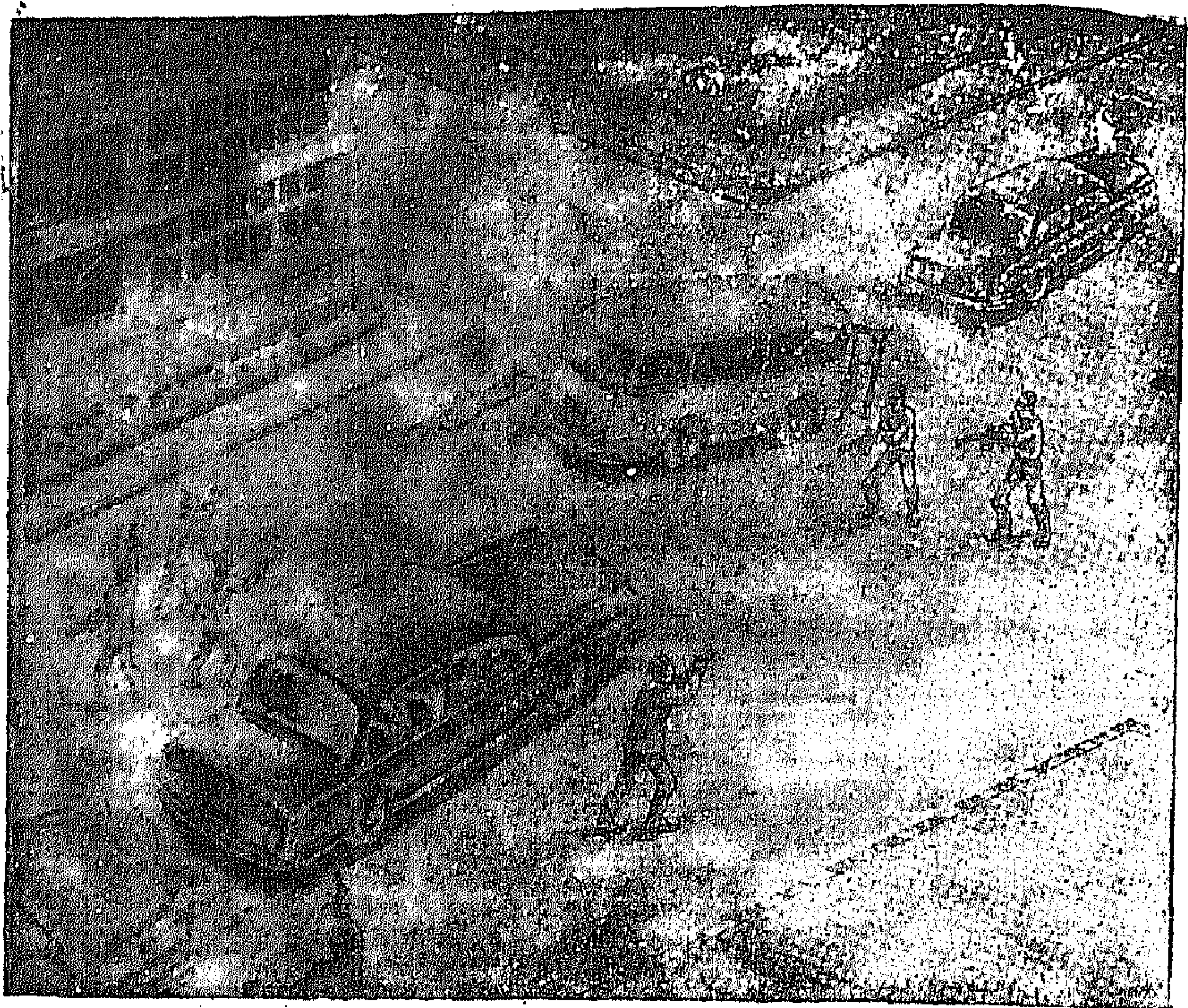
٤ ـ ان جميع الأسلحة التى عثر عليها كانت من أصل صينى وواردة من السودان ـ وقد تم ضبط الكثير من أسلحة مماثلة فى صعيد مصر ثبت انها واردة من السودان ٠

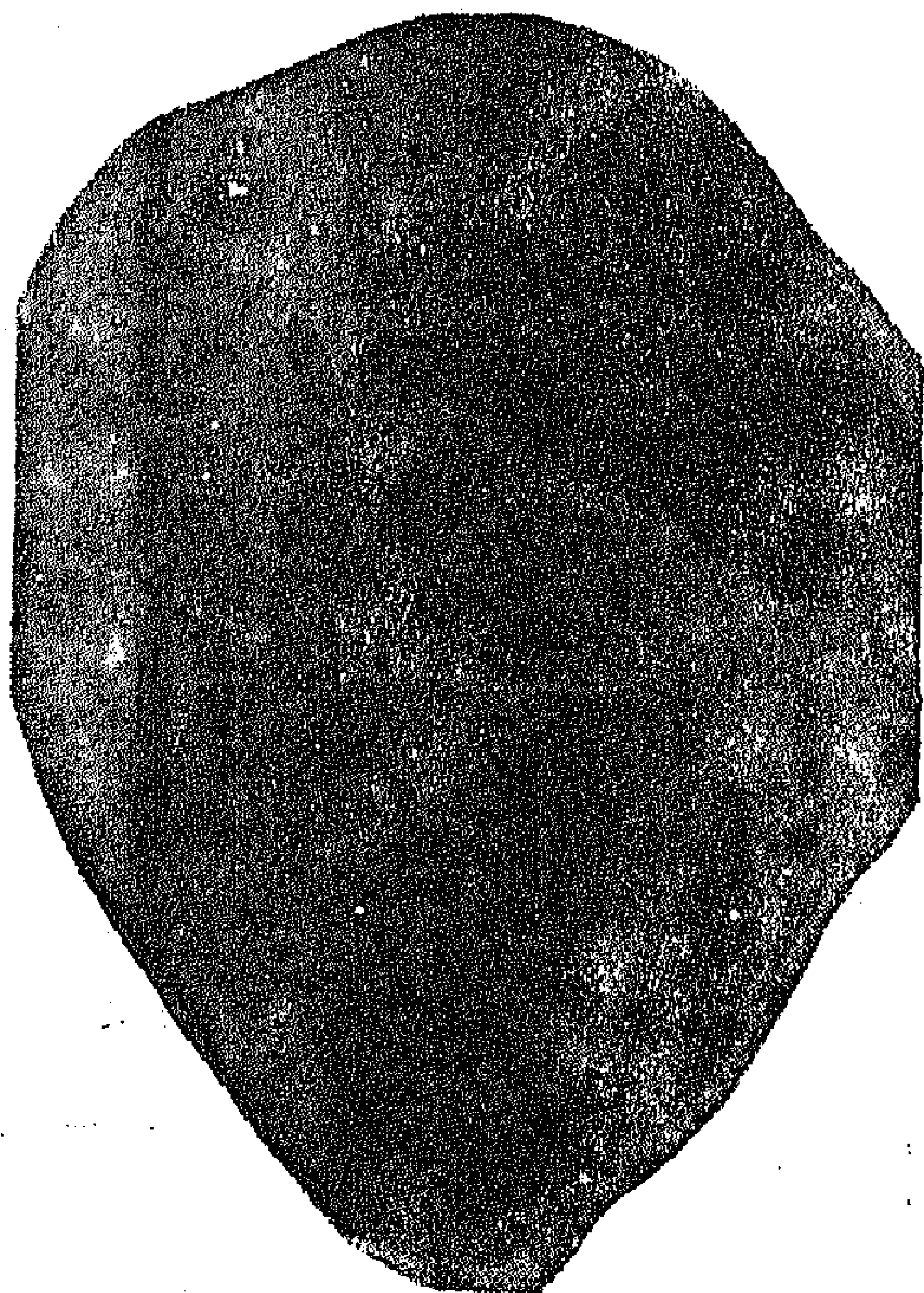
٥ ـ ان الخطة كانت تقوم على اعتراض موكب الرئيس بعد خروجه من المطار وأمطار الموكب بوابل من الرصـــاص على أن يندفع الموكب مسرعا الى الامام ، حيث يصطدم بسيارة محملة بالمتفجرات وفى ذات الوقت تصوب الى سيارته المدرعة طلقات اربى جى لأختراق سيارته وتفجيرها ٠

٦ ـ تكلفت هذه العملية حوالى خمسة ملايين دولار وشـــارك فيهـــا « ١٣ ارهابيا وقتل منهم خمسة وفر الباقون ٠

٧ ـ من المعروف أن قادة الارهاب الذين يرعاهم السودان هم :
محمد شـــوقى الاســـلامبولى ، مصطفى أحمـــد حسن حمزة ، رفاعى أحمد طه ، عثمان خالد ابراهيم الســـمان ، أحمد مصطفى نوارة ، طلعت فؤاد طلال ، أيمن الظواهرى ، وعزت ياسين ٠

٨ ـ هذه هى المحاولة الثامنة للاعتداء على الرئيس مبارك كانت الأولى عند اغتيال السادات ثم أربعة محاولات باءت بالفشل والسادســة بواسطة أحد الضباط والسابعة أثناء الاحتفال بليلة القدر ٠





(٢) محاولة اغتيال الدكتور

عاطف صدقي رئيس وزراء مصر

بتاريخ ٢٣/١١/ ١٩٩٣ م تعرض ركب الدكتور / عاطف صـــدقي لانفجـار من احـدى العربات المنتظرة على جانب طريق عبار سيارته أثناء مغادرته منزله صباحا بمنطقة كوبرى القبـــة وقد نتج عن الحادث وفاة طفلة عمـرها ١٣ عاما اسمها / الشـيماء محمـد حسن واصابة أكثر من ٢٠ شخصا واتلاف عدد كبير من العربات وقد تم القبض على الجناة مرتكبى الحادث وقدموا الى المحاكم العسكرية ، حيث صـــدر الحكم عليهم فى ١٧/٣/١٩٩٤ م بالآتى :

١ ـ عادل السيد عبد القدوس (اعدام) .

٢ ـ ثروت صلاح شحاته (اعدام) .

٣ ـ ياسر على السمرى (اعدام) .

٤ ـ صلاح السيد سليمان (اعدام) .

٥ ـ عصام محمد عبد الرحمن (اعدام) .

٦ ـ أحمد اسماعيل عثمان (اعدام) .

٧ ـ نور الدين سليمان محمد (اعدام) .

٨ ـ أمين اسماعيل المصيلحى (اعدام) .

٩ ـ طارق عبد النبى الفحل (اعدام) .

١٠ ـ تهامى أحمد عبد الله (١٥ سنة) .

١١ ـ محمد على خليل (١٥ سنة) .

١٢ ـ هانى عبد الله عبد الرءوف (١٥ سنة) .

١٣ ـ عبد الرحمن حامد (٥ سنوات) .

١٤ ـ وحيد سعد فكرى المكاوى (٣ سنوات) .

١٥ ـ عمرو حســـين (بـــراءة) .

محاولة اغتيال صفوت الشريف وزير الاعلام المصرى

حاول المتطرفون اغتيال وزير الاعلام أثناء خروجه من منزله بجهة كوبرى القبـــة وانتهى التحقيق مع المتهمين فى القضية ١١ لســـنة ٩٣ الى الآتى :

أولا : قرار الاتهام :

١ ــ انضموا لجماعة أسست على خلاف أحكام القانون وتولى الأول والثانى القيادة فيها كما قام الأول بامدادها بالأسلحة والذخائر والمفرقعات والأموال وكان الغرض منها الدعوة الى تعطيل أحكام الدستور والقوانين بأن دعوا لتغيير نظام الحكم واشـــاعة جو من عدم الاســتقرار بأحــداث اضطرابات أمنية وبالتأثير على الاقتصاد القومى من خلال استهداف السياحة باقتراف بعض الجرائم ٠٠ على النحو الوارد تفصــيلا بالأوراق وكان الارهاب من الوسائل التى تستخدم فى تحقيق وتنفيذ هذه الأغراض وذلك بحيــازة واستعمال المفرقعــات والأسحة النارية وذلك على النحو الوارد تفصيلا بالأوراق ٠

٢ ــ المتهم الثانى والثالث قتلا عمدا رائد الشرطة منصور وشرعا فى قتل كل من العقيد شرطة عادل حسين سعد والجندى محمد عبد المنعم عبد الرازق والجندى وليد محمد على والرائد سمير فوزى الجنــدى محمد محمد متولى والجندى بكار عبد الحكيم صديق والجندى أنور محمد على وهناء ابراهيم محمد ٠

٣ ــ الشروع فى قتل وزيــر الاعـــلام محمــد صـــفوت محمــد يوسف الشريف ٠

٤ ــ حازوا وأحرزوا أسلحة ومفرقعات ٠٠٠ الخ ٠

٥ ــ أتلفوا عمدا أموالا وممتلكات ٠٠٠ الخ ٠

ثانيا : المتهمون :

١ ـ مصطفى أحمد حسن حمزة « كنيته أبو حازم » ٠

٢ ـ حسن رمضان عبد الله شلقانى « وكنيته عاصـــم » ٠

٣ ـ ابراهيم سيد عبد العال ٠

٤ ـ أحمد حسين أحمد الحسينى ٠

٥ ـ طارق عبد الرازق حسن « وكنيته علاء » ٠

٦ ـ أشرف السيد ابراهيم صالح « وكنيته مصطفى » ٠

٧ ـ حسام محمود عبد اللطيف « وكنيته خالد / أبو اليسر » ٠

٨ ـ حسن محمد محمد السيد ٠

٩ ـ أحمد محمد أحمد السيد ٠

١٠ ـ اشبيـــرف ٠

١١ ـ مصـــطفى ٠

١٢ ـ أدريس ٠

١٣ ـ أحمد محمد صادق خميس

١٤ ـ على مرزوق أحمد عبد العال ٠

وقد صدرت على المتهمين أحكام مختلفة بالاعدام والمؤبد والسجن٠

(٤) حوادث اغتيال رجال الشرطة والصحافة

وتكررت حوادث الاعتـــداء من المتطرفين على أفراد الشعب وأفراد الشرطة والصحفيين كمـا تمددت اعتداءاتهم على المرافق العـامة والبنوك وكان المجنى عليهم فيها هم الأبرياء من المواطنين .

وقد حدث الاعتداء بمحاولة اغتيال الصحفى / مكرم محمد أحمد واغتيال الكاتب / فرج فودة ومحاولة اغتيال الأديب / نجيب محفوظ .

كما حدثت محاولات لاغتيال معظم من تولوا وزارة الداخلية وكانت على الوجه التالى :

١ ـ محاولة اغتيال اللواء / النبوى اسماعيل سنة ١٩٨٦ م

٢ ـ محاولة اغتيال اللواء / حسن أبو باشا ١٩٨٦ م

٣ ـ محاولة اغتيال اللواء / زكى بدر سنة ١٩٩٠ م .

٤ ـ محاولة اغتيال اللواء / عبد الحليم موسى سنة ١٩٩٢ م

٥ ـ محاولة اغتيال اللواء / حسن الألفى سنة ١٩٩٣ م

وقد تحاكم المتهمون فى هذه القضـــايا وصـــدرت الأحكام عليهم بالاعدم والأشغال الشاقة والسجن والبراءة .

كمـا استهدف المتطرفون بعض كبار رجـال الشرطة وتمكنوا من اغتيالهم ومنهم :

١ ـ اللواء / محمد عبد اللطيف مرسى الشيمى .
٢ ـ اللواء / عبد الحميد محمد أحمد غبارة .
٣ ـ اللواء / جمال فايق
٤ ـ العميد / محمود صالح على الديب .
٥ ـ العميد / محمد قاسم أحمد طيعمة .
٦ ـ العميد / ممدوح محمد عبده عثمان .
٧ ـ العقيد / محمد الأصيل .
٨ ـ العقيد طبيب / نبيل خليل مشرقى .
٩ ـ العقيد / عصـــام الزمزمى .

١٠ـ المقدم / أحمد كمال على شعلان .

١١ـ المقدم / مهران عبد الرحيم سيد مهران .

١٢ـ المقدم / محمد عبد العزيز .

١٣ـ المقدم / أبو بكر عزمى عبد القادر أبو سالم .

١٤ـ المقدم / مصطفى محمود خليل التونى .

١٥ـ المقدم / مجدى فايق .

١٦ـ الرائد / محمد حسن عبد الشافى البرماوى

١٧ـ الرائد / سمير منصور رياض دميان .

١٨ـ الرائد / هيثم محمد ابراهيم مصطفى .

١٩ـ النقيب / عبد الرسول عبد السلام ابراهيم .

٢٠ـ النقيب / علاء الدين عبد العزيز أحمد .

٢١ـ النقيب / محمد السيد محمد أبو ندا .

٢٢ـ النقيب / أحمد يعقوب محمد نبيه البلتاجى .

٢٣ـ النقيب / عيسى كرم عيسى سعيد .

٢٤ـ ملازم أول / يحيى أحمد عبد الملك حسنين .

٢٥ـ ملازم أول / أشرف ماهر محمد مرسى .

٢٦ـ ملازم أول / نبيل ابراهيم أحمد القيعى .

٢٧ـ ملازم أول / امام خطاب امام خطاب .

٢٨ـ ملازم أول / رضا والى .

٢٩ـ ملازم / باسم محمد حسين الكاتب .

(٥) قضية ضرب السياحة

القضية ٦ لسنة ١٩٩٣ م

أولا : قـــرار الاتهـــام

١ ـ انضموا لجماعة أسست على خــلاف أحكام القانون وتولى القيادة بها المتهمون الأول والثانى والتاســع عشر والرابع والعشرين والثامن والثلاثين والرابع والأربعين وكان الغرض منها الدعوة الى تعطيل أحكام الدستور والقوانين والاعتـــداء على الحرية الشخصية للمواطنين والأضرار بالوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى بأن دعوا لتغيير نظام الحكم باشاعة جو من عدم الاستقرار بأحداث اضطرابات أمنيـــة وبالتأثير على الاقتصاد القومى من خلال استهداف السياحة باقتراب بعض الجرائم على النحو الوارد تفصيلا بقرار الاتهام وكان الارهـاب من الوســائل التى تســتخدم فى تحقيق وتنفيذ هذه الأغراض وذلك بحيــازة واستعمال المفرقعات والأسلحة النارية والبيضاء على النحو الوارد تفصيلا بالأوراق .

٢ ـ أتلفوا عمدا أموالا منقولة ... الخ .

٣ ـ شرعوا فى قتل ركاب أتوبيس سياحى ... الخ .

٤ ـ شرعوا فى قتل ركاب باخرة سياحية ... الخ .

٥ ـ حازوا وأحرزوا أسلحة ومفرقعات ... الخ .

ثانيا : المتهمون :

١ ـ رضوان التونى ابراهيم محمد .

٢ ـ مصطفى السيد حسانين عبد العال .

٣ ـ أحمد كامل محمد أحمد يوسف .

٤ ـ فرحات عبد الرازق محمد .

٥ ـ أحمد عبد النبى عبده حجى .

٦ ـ حسين سيد على سيد .

٧ ـ بسطاوى عبد الجيد أبو المجد .

٨ ـ سعد أمين أبو المجد محمد .

٩ ـ أشرف سعيد عبد ربه .

١٠ ـ دراوى محمد ابراهيم عبد المطلب .

١١ ـ أحمد عبد الرحيم رضوان .

١٢ ـ عبد الهادى الصغير عبد العظيم طايع .

١٣ ـ احمد محمد سيف حجاج .

١٤ ـ أحمد اسماعيل أحمد الشيخ .

١٥ ـ صلاح رمضان سعيد محسن .

١٦ ـ محمد عز الدين طه محمد .

١٧ ـ حمدان قاسم العبد قاسم .

١٨ ـ صلاح سعيد عبد ربه .

١٩ ـ عبد الحميد الزمقانى على .

٢٠ ـ هاشم على محمد على خليفة .

٢١ ـ منصور الألفى حمد مرزوق .

٢٢ ـ ياسر محمد منصور الصادق .

٢٣ ـ محمود كامل محمود حسين .

٢٤ ـ بدرى مخلوف حسين عبد الكريم .

٢٥ ـ أسامة فوزى سيد حسين .

٢٦ ـ أبو الفتيان محمد محمد عمر .

٢٧ ـ ناظر سيد محمود سالم .

٢٨ ـ عبد السلام قناوى عبد العال .

٢٩ ـ نصر الدين السيد عبد العزيز طه .

٣٠ ـ محمد عبد الكريم محمد .

٣١ ـ عبد البر عبد العزيز طه .

٣٢ ـ جابر قناوى عبد العال .

٣٣ ـ ناجح عبد الحميد حسن .

٣٤ ـ عبد العاطى عباس جربو .

٣٥ ـ صابر حمزة أحمد .

٣٦ ـ جمال محمود أحمد حسن .

٣٧ ـ عادل عبد الامام أحمد شحاته .

٣٨ ـ على راضى محمد مسعود .

٣٩ ـ حمادة اسماعيل بدوى .

٤٠ ـ سمير محمد الخضرى مهدى .

٤١ ـ مصطفى عبد السلام أمين .

٤٢ ـ محمود محمد مدنى .

٤٣ ـ محمد أبو الحجاج أبو الفضل .

٤٤ ـ هشام عبد الظاهر عبد الرحمن .

٤٥ ـ سعد حسن هارون .

٤٦ ـ حسن مكاوى حسين مكاوى .

٤٧ ـ فوزى مصطفى على .

٤٨ ـ أحمد مصطفى محمد المغربى .

٤٩ ـ أشرف عبد الحميد عز الدين .

(٦) قضية العائدون من السودان
(القضية ١٢ سنة ١٩٩٥)

قدم ٢٤ متهما الى القضاء العسكرى بتهمة محاولة قلب نظام الحكم فى جمهورية مصر العربية وتشكيل جماعات ارهابية وحيازة أسلحة ومتفجرات والتدريب على استخدامها بالسودان وقد حكمت المحكمة العسكرية العليا فى ١٩٩٦/١/١٣م على المتهمين بالآتى ٠

أحمد عبد العظيم فواز ، وحجاج جمعة سليم ، وحسنى السيد حسين البحيرى ، وزكريا محمد على بشير ، وصلاح سعد محمد عوض ، ومصطفى عبد الحميد مصطفى (بالاعدام) وعلى كل من أبو الخير ابراهيم محمد ، وعلى قاسم سيف سالم ، وربيع عبد الغنى خليفة ومحمد على الشرقاوى (بالأشغال الشاقة لمدة ١٥ سنة) ٠

وعلى كل من مصطفى أبو المجد محمد عيد ، وحمدى أحمد الأمين عبد الحكيم ، وخالد عبد القادر عبد الواحد يوسف (بالأشغال الشاقة لمدة ١٠ سنوات) ٠

وعلى كل من صابر عبد العزيز مختار السيد ، وعمرو عبد العال أحمد سيد ، وممدوح محمد على عطية ، وعلى سيد أبو المجد (بالأشغال الشاقة لمدة خمس سنوات) ٠

وعلى كل من محمد عبد الكريم بالسجن عشر سنوات ٠

وبراءة كل من خميس السيد محمد أحمد ، وأيمن مصطفى عبد الباقى خليفة ، ونجاد ابراهيم الأمير بكر ، وأمين أبو المجد محمد أحمد ، وحسن مهنى محمد المهدى ، وأحمد محمد حنفى حامد ٠

(٧) حوادث الجماعات الارهابية خارج مصر

انتقل نشاط الجماعات الارهابية ليزالوا نشاطه خارج جمهورية مصر كان على الوجه التالى :

أولا : حدوث انفجـــار فى المركز التجـــارى بأمريكا (نيويورك) سنة ١٩٩٣ م أسفر عن وفاة ١٥ شخصا واصابة مائة آخرين وقد أدين الشيخ عمر عبد الرحمن وحكمت عليه المحكمة الفيدرالية بالسـجن مدى الحيـاة لاتهامه بالتخطيط لاغتيال الرئيس حسنى مبـارك وبطرس غالى وأحكاما أخرى بالسجن لمدة ٦٥ عاما ٠

ثانيا : تعددت حوادث الانفجارات وقتل الأفراد من أجانب وصحفيين على أرض جمهورية الجزائر طوال عامى ٩٤ ، ٩٥ مما أسفر عن قتل ما يزيد على العشرين ألف فرد من الأبرياء من مختلف الجنسيات ٠

ثالثا : تعـــددت حوادث الانفجارات فى باريس عاصـــمة الدولة الفرنسية طوال عام ١٩٩٥ م حيث وضعت العبوات الناســـفة فى عدة أماكن « مترو الانفاق وبعض سلال المهملات » مما أدى الى وفاة واصابة الكثير من المواطنين وقد حاربت الحكومة الفرنسية الارهابين فقتلت البعض مثل المدعو / محمد قلقال وقبضت على الكثير منهم وقدمتهم الى التحقيق والمحاكمـــة ٠

رابعا : حدث انفجار كبير قوته ٤٠٠ ك فى ١٩٩٥/١١/١٣ م بمدينة الرياض بمقر البعثة الأمريكية أدى الى وفاة ثمانية أشخاص وجرح حوالى ستين شخصا من الأمريكيين والسعوديين ومن الجنسيات الأخرى وقبض على كثير من الأشخاص ٠

خامسا : اغتيل الدبلوماسى المصرى علاء الدين نظمى من سفارة مصر فى جنيف يوم ١٩٩٥/١١/١٤ م حيث أطلق عليه بعض الارهابين الرصاص وهو يركب عربته وأعلنت الجماعة الاسلامية مسئوليتها عن الحادث ٠

سادسا : اقتحمت سيارة محملة بحوالى ألف كيلو متفجرات سفارة مصر فى اسلام أباد بباكستان يــوم ١٩٩٥/١١/١٩ م حيث ألقيت منها عدة قنابل ثم انفجرت العربة بمن فيها من أفراد حيث انهارت مبـانى السفارة بالكامل وأسفر الحادث عن وفاة ١٨ شخصا مصريين وباكستانيين وجنسيات أخرى خلاف ستين شخصــا من الجرحى وتوفى من المصريين هشام أبو الوفا وأحمد نمير أحمدين ، وحسين محمود فهمى ، ومحمود عبد المقصود ، وأيمن محمد على وقد أعلنت الجماعة الاسلامية وجماعة العدالة وجماعة الجهاد مسئوليتهم عن الحادث وقبض على الكثير رهن التحقيق ٠

سابعــا : أطلق بعض الارهابيين من المتطرفين عدة أعيرة نــارية على السفارة المصرية فى صوفيا ببلغاريا وقالت السفيرة مى أبــو الدهب أنه لم تحدث أية اصابات ٠

الفصـــل الســـابع

جماعـــات اســـلامية أخرى

١ ـ جماعـــة الفرماويـة

كان محمد سالم الفرماوى (٨٨) ســنة يعمل واعظا دينيا لمسجد الجمعية الشرعية بشبرا واختلف مع أعضاء الجمعية سنة ١٩٧٠ لتطرفه فكون جماعة مستقلة تعتنق فكره الذى يقوم على عـدم الاعتراف بكتب السيرة والمذاهب الدينية والأئمة ورجال الدين وعلى الأخص الأزهر ورجاله وينكر علوم التفسير والفقه والشريعة ويحرم الأخذ بأحاديث الرســول الا ما كان مؤيدا بآيات من القرآن خصوصا الوارد منها على لسان السيدة عائشة لأن رسالة الاسلام نزلت على الرجال وليست على النساء ، وهو يحرم الصلاة فى المساجد لأنها بيوت للشيطان عدا المسجد الحرام والمسجد الأقصى وعدم الصلاة خلف الأئمة ، ولا يعرى رأسه ولا يأكل من الأسواق ويحرم على المرأة العمل والتعليم ، ويحرم على الجميع التجارة والبيــع والملكية فالله يملك كل شىء ولا يجوز أن يخلق الفرد لنفسه ملكية خاصة ، ويحرم الزكاة لأن دافعها شخص يستحوذ على أشياء مخالفا بذلك ملكية الله ، كذلك يحرم قراءة وتداول الكتب المطبوعة وأخذ العلم منها لأنها من الشيطان كما يحرم الالتحاق بالقوات المسلحة والجهاد وينادى بتجنيب المجتمع التعامل مع الناس الا بقدر الحاجة الضرورية ، لأن الناس جميعا كفار ، وعلى رأسهم الحاكم لعدم تطبيقه أحكام الشريعة الاسلامية وأن الولاء لله وحده ، ولا يعترف الا بالزواج العرفى دون الزواج الرسمى ، وهو يحرم قتل الحشرات السامة والضارة لأنها أرواح تسعى حتى ولو كان الثعبان أو العقرب ، ويقول أن الأرض دح وليست كروية اشارة الى الآية (والأرض بعد ذلك دحاها) ٠

ويقول محمد سالم الفرماوى ان مكانته بين الرسل والأنبياء لأنه جاء يكمل رسالتهم وان ما يقوله انما هو وحى يهبط عليه فى ســاعات فيض فيحرك لسانه بكلمات من عند الله ٠

وقد كان الفرماوى يبدأ خطبه بكلمة الحمد لله ثم ألغى هذه العبارة وأعلن أن من يبدأ أى خطاب دينى بالحمد لله فهو مخطىء ، كما أنه أنكر علوم النقل لأن مؤلفى هــذه الكتب قصدوا بالتأليف حجب كتاب الله

واستنكر أحاديث الرسول لأنها كانت مسجلة بالكتب وذلك جعلها تحجب كتاب الله .

ويقول انه يجب التفرغ للعبادة دون العمل . فالرسول لم يعمل ولم يتاجر للسيدة خديجة وهذا افتراء عليه ، وانما كان متفرغا للعبادة ، وأن الحديث المنسوب للرسول عن قوله (ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة) حديث مدسوس جعل الناس تتكالب على العمل وجمع الفلوس مع أن الله هو الرازق ، فاذا تفرغ للعبادة سخر الله كل شيء دون تعب أو كلل .

وعندما سئل كيف تقول الآية الكريمة عن الأنعام **(ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين)** أى المقصود هو العمل لاستغلال هذه المنافع لا يستطيع الرد .

وينكر الفرماوى صلاة الجمعة لأنها فى رأيه لا جمعة ولا جماعة حتى تقام شريعة الله .

كما ينكر استشارة الطبيب والأخذ بالتطبيب لأن الشفاء من عند الله ، كما ينكر استعمال المواصلات وكل ما ينتمى الى الحضارة بصلة ، لأنها لم تكن موجودة فى عهد الرسول كما أنه يحض أتباعه على عزلة المجتمع .

وقد بدأ نشاط جماعة الفرماوية سنة ١٩٧٠ وضبطوا سنة ١٩٧٥ أثناء تحركاتهم المشبوهة ناحية محافظة المنوفية لنشر أفكارهم وقيدت لهم القضية ٢٣٢ لسنة ٧٥ أمن الدولة وانتقلوا بعد ذلك بجانب معسكرات الجيش بالشرقية فتصدى لهم الأهالى وأبلغوا عنهم سلطات الأمن حيث تعرضوا للقبض عليهم سنة ٧٧ ، ٧٨ أثناء اجتماعهم فى مركز الحسينية ثم فى روض الفرج وفى سنة ٨٠ قبض على بعضهم بجهة شبرا الخيمة بعد أن حاولوا استغلال موضوع الفتنة الطائفية فى القضية ٦٥٥ لسنة ٨٠ كما قبض عليهم أخيرا فى القضية ٣٣١ لسنة ٨٢ .

الرد على فكر الفرماوى :

هذا الرجل لم يتعلم فى الأزهر ولم يقرأ حديثا أو فقها ولا تفسيرا ليتفقه فى الدين لأنه ينكر هذه الكتب ويقول انها باطلة ، ثم احتمى وراء ادعاء أنه ملهم يوحى اليه .

(أنا فى مرتبة بين الرسل والأنبياء يهبط على فى ساعات فيض فأحرك لسانى بكلمات من عند الله ، واننى لا أنطق عن الهوى ولست مسئولا عما أقوله فى ساعات الفيض) هكذا قوله .

فهل هذا الرجل يعتبر مصدرا من مصادر التفسير ؟ اذا كان هو نفسه لم يعترف بالمفسرين المعترف بهم من قديم الأزل ؟ ويردد ان ما لم يرد في القرآن فهو باطل لقد قال تعالى **(وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)** **(وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)** **(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)** **(من يطع الرسول فقد أطاع الله)** **(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)** ٠

أفليس أدل على هذه الآيات من وجوب طاعة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن نأخذ عنه بيانه للقرآن فكيف ينكر بعد ذلك الأخذ بالأحاديث الا اذا أنكر أيضا هذه الآيات ، وبذلك فهو يناقض نفسه ليخدع البسطاء ويبث فيهم سمومه ٠

ثم اذا سألناه من الذى أقام نظم الصلاة وشعائرها ؟ أليس هو الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى قال (صلوا كما رأيتموني أصلى) وفرض الركعات المختلفة لكل صلاة ، ومن الذى فرض مناسك الحج حيث قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (خذوا عني مناسككم) نجده يرد بأن كل فرد يؤدى الشعائر كما يراها صحيحة حسب نيته وهي مقبولة عند الله ٠

(٢) جماعة السماوية

كان عبد الله أحمد السماوى وشهرته طه السماوى (٣٦ سنة) ينتمى الى جماعة التكفير والهجرة وكان يعيش مع شكرى مصطفى وثمانية أفراد آخرين داخل زنزانة واحدة في أوائل السبعينات سميت (المكفرة) لأنهم كانوا يكفرون الناس جميعا بما فيهم رجال الدين والأزهر وبعد خروج السماوى من المعتقل استقل بجماعته وازداد تطرفا عن جماعة التكفير والهجرة وكان جريئا في مهاجمة الحكومة في المساجد وكان يكرر لأتباعه ان من يطيعه سيدخل الجنة لأنه يملك مفاتيحها ٠

ويقوم فكر السماوى على تكفير الحاكم والمحكوم واعتبار المجتمع مجتمعا جاهليا مستندا على أربع ركائز هى الآيات الكريمة **(يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية)** ، **(أفحكم الجاهلية يبغون)** ، **(وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)** ، **(اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية)** ٠

وقد انتهى السماوى بفكره الى أن العمل في وظائف الحكومة والقوات المسلحة كفر والالتحاق بالتعليم كفر ، ويجب أن يكون التهجم على الحاكم

علنا ولو كان من المناير وأن السمع والطاعة لا يكون الا لولى الأمر العادل بصفته أميرا ووليا حيث يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - (اسمع وأطع وان ضرب ظهرك وأخذ مالك) وانه لا طاعة لولى من الأسرة اذا خالف المبادىء السابق ذكرها .

وقد كان السماوى فى سجنه يسخر أتباعه لخدمته وغسيل ملابسه وتدليك جسده وتجهيز ما يريد من أكل وخلافه ورفض الدخول فى أى مناقشات مع رجال الدين حول أفكاره رفضا باتا .

الرد على فكر السماوى :

يقوم فكر السماوى على اعتبار المجتمع مجتمعا جاهليا ومعاملة الأفراد على هذا الأساس كما يقوم على تجريم التحاق الفرد بالوظائف العامة والقوات المسلحة والتعليم .

وقد سبق الرد على هذه الأفكار فى الحوار الذى أجرى بين علماء المسلمين والمعتقلين وفى الرد على فكر جماعة التكفير والهجرة .

(٣) « جماعة الشوقيين »

وأميرهم كان شوقى الشيخ الذى قتلته الشرطة ثم كان أميرهم عادل عبد الباقى الذى ترك الجماعة وتاب وتعين بدله الآن كمال توفيق .

وهم جماعة تدعو الى التطرف والغلو فى الدين ويقرون أن حكام مصر من الكافرين وأن المواطنين المصريين كلهم كفار ويجب محاربتهم والقضاء عليهم بقتلهم بأى صورة من صور القتل .

ويقرون باستحلال أموال كل من ينتمى الى جماعتهم ولو بالقتل ويحضون على بناء مجتمع اسلامى جديد يقوم على أسس من مبادىء القرآن والسنة وعليهم الفتك بكل من يعارضهم هو وعائلته .

وقد انضم قادة التنظيم الى الجماعة الاسلامية ثم انفصلوا عنهم وقد فضح أمير الجماعة التائب عادل عبد الباقى أغراضهم ، حيث قرر أنهم يتزوجون عدة مرات حتى تصبح الزوجة متزوجة عدة رجال فى وقت واحد ودون انتظار للعدة ولا يعنيهم من العقيدة الا الجنس والزعامة .

« (٤) جماعة الناجون من النار »

وهم خليط من الجماعات المختلفة ويجتمعون فى بعض الأحيان ثم ينفضون دون عمل ايجابى سوى المناداة بتكفير المجتمع والحكام واباحة قتلهم ولا يستقرون على مبادىء معينة هادفة وانما يلجأون الى ارتكاب بعض الحوادث الفردية كتفجير القنابل والمفرقعات ٠

« (٥) جماعة طلائع الفتح »

وأمير الجماعة الأول هو أيمن الظواهرى الذى يقيم بالخارج ويخطط لهم لارتكاب أفعالهم الاجرامية داخل مصر ٠

وأمير الجماعة الأول فى مصر هو عبد الحميد محمد عبد الحميد حب الله ، وأمير الجماعة الثانى هو ناجى الخولى ٠

وقد شرح الجماعة فكرهم فى كتابين « الحصاد المر » ، « العمدة فى اعداد العدة » وقد تناول فكرهم نبذ مبادىء الاخوان المسلمين وجهادهم ومحاربتهم للسلطات بالطريق السلمى ٠

وقرروا أنه يجب أن تكون هناك فترة انتقال ليتمكن المسلمون من فرض الحكم الاسلامى وأنهم المسئولون عن هذه الفترة التى يحكم فيها الكفار ، حيث يجب ابادة جميع الحكام والتخلص منهم لأنهم لا ينفذون شريعة الله ولا يحكمون بكتابه وسنة رسول الله (ﷺ) ٠

كما قرروا أن الحرب قائمة بينهم وبين كل من هو كافر فى نظرهم سواء كان هذا من الحكام أو من الشعب وقالوا أنهم لا يسعون الى الحكم أو اعلاء المناصب وانما فقط يعملون للتمهيد لمن يأتى بعدهم من المسلمين الصادقين ٠

وقد تحاكم أفراد هذه الجماعه فى العصبية ١٨ لسنة ٩٣ على الوجه الآتى :

أولا : قرار الاتهام :

١ ـ انضموا لجماعة أسست على خلاف أحكام القانون وتولى الأول والثانى والسابع والثلاثين قيادة فيها كما قام الأول بامدادها بالمفرقعات والأسلحة والذخائر ـ وكان الغرض منها الدعوة الى تعطيل أحكام الدستور والقوانين والاعتداء على الحرية الشخصية للمواطنين والاضرار بالسلام الاجتماعى بأن دعوا لتغيير نظام الحكم واشاعة جو من عدم الاستقرار بأحداث اضطرابات أمنية باقتراف بعض الجرائم على النحو الوارد

تفصيلا بالأوراق وكان الارهاب من الوســائل التى تسـتخدم لتحقيق وتنفيذ هذه الأغراض وذلك بحيازة واستعمال المفرقعات والأسلحة النارية والبيضاء على النحو الوارد تفصيلا بالأوراق ٠

٢ ـ اشتركوا فى اتفاق وتحريض فى قتـل حجى على السـيد وقاسم محمد عبد المنعم مع سبق الاصرار والترصد ٠٠٠ الخ ٠

٣ ـ شرعوا فى قتل كل من سعد عبد الهادى مطاوع ٠٠ الخ ٠

٤ ـ سرقوا السيارات ٠٠ الخ ٠

٥ ـ حازوا الأسلحة والمعدات ٠

ثانيا : المتهمون :

١ ـ عبد الحميد محمد عبد الحميد حب الله ٠

٢ ـ فتحى امام عبد المجيد حزين ٠

٣ ـ خويلد محمد بركات عبد العليم ٠

٤ ـ محمد عبد السلام محمد السيد ٠

٥ ـ ياسر كامل على ٠

٦ ـ رأفت محمد محمد عثمان ٠

٧ ـ محمد حسام أحمد الشريف ٠

٨ ـ محمد سمير السيد عيد درويش ٠

٩ ـ محمـد زيـن ٠

١٠ ـ طارق عبد الفتاح أحمد محمد ابراهيم ٠

١١ ـ محمد محمود فؤاد عبد القادر ٠

١٢ ـ خالد شحاتة عبد الحليم أبو المجد ٠

١٣ ـ عماد على محمد محمود ٠

١٤ ـ حسن محمد ابراهيم حسن ٠

١٥ ـ خالد عبد الفتاح حسن مصطفى ٠

١٦ ـ محمد على محمد متولى ٠

١٧ ـ حسين طه عمر عفيفى ٠

١٨ ـ خليفة عبد العظيم عبد العزيز خليفة

١٩ ـ يحيى خلف الله محمد على ٠

٢٠ ـ أحمد محمود محمد قناوى ٠

٢١ ـ مدحت عبد اللاه محمد السيد ٠
٢٢ ـ سيد محمد على محمد حرارة ٠
٢٣ ـ شريف محمود حسن حموده ٠
٢٤ ـ ربيع أحمد ركابى أحمد ٠
٢٥ ـ عمرو مصطفى محمود أحمد ٠
٢٦ ـ أحمد محمد محمد يوسف ٠
٢٧ ـ رائد عبد السميع على عمارة ٠
٢٨ ـ ابراهيم زين العابدين محمود طلخان ٠
٢٩ ـ أحمد شوقى ثابت عبد العال ٠
٣٠ ـ ياسر محمود فهمى أحمد خير الدين ٠
٣١ ـ شريف محمود شعبان محمود ٠
٣٢ ـ على هاشم محمد عمارة ٠
٣٣ ـ أحمد محمد عبد الحفيظ عبد السميع ٠
٣٤ ـ محمد أحمد خيرى مأمون المرصفى ٠
٣٥ ـ ياسر محمد المأمون عثمان ٠
٣٦ ـ أحمـــد مختـــار ٠
٣٧ ـ مجدى محمد محمد سالم ٠
٣٨ ـ محمد على محمد ثابت ٠
٣٩ ـ حازم محمد نور الدين حافظ وهدان ٠
٤٠ ـ محسن على مرسى شحاته ٠
٤١ ـ عبد الرحيم عبد الغفار مرسى عبد البارى ٠
٤٢ ـ عبد المنعم جمال الدين عبد المنعم ٠
٤٣ ـ نزار محمود عبد الحميد غراب ٠
٤٤ ـ لؤى محمود عبد الحميد غراب ٠
٤٥ ـ محمد مصطفى سيد أحمد ٠
٤٦ ـ نزيه نصحى راشـــد ٠
٤٧ ـ عادل عـــوض ٠
٤٨ ـ أبو الفتوح عبد الباسط أبو الفتوح ٠
٤٩ ـ عادل على عثمان عبد الهادى ٠
٥٠ ـ مرجان مصطفى ســـالم ٠
٥١ ـ محمـــد جلال أحمد ٠
٥٢ ـ سيد أحمد حسن عبد الحميد ٠
٥٣ ـ عبد الرازق مصطفى عبد الرازق سيد ٠

وقد صدرت على المتهمين أحكام مختلفة بالمؤبد والسجن لعدة سنوات٠

● الفصــل الثامن

(١)

حـــــوار

رجال الدين مع المتطرفين

خلـف الأســـوار

من الحـــوار :

ـ الدكتور/ الطيب النجار
رئيس جامعة الأزهر

ـ الدكتور/ محمد السعدى فرهود
وكيل الأزهر

ـ الدكتور/ الحسينى هاشم
أمين عام البحوث الاسلامية

ـ الدكتور/ أحمد الحوفى
الأستاذ بكلية دار العلوم

ـ الدكتور/ عبد الغفار عزيز
عميد كلية الدعوة بجامعة الأزهر

ـ الدكتور/حلمى عبد المنعم
أستاذ الثقافة الاسلامية بكلية الدعوة

٧ ـ الدكتور/ أحمد شلبى
أستاذ التاريخ الاسلامى بجامعة القاهرة

٨ ـ الدكتور/ ابراهيم العدوى
الأستاذ بجامعة القاهرة

٩ ـ الدكتور/ محمد أبو الوفا
الأستاذ بجامعة القاهرة

١٠ ـ الدكتور/ الأحمدى أبو النور
وزير الأوقاف وشئون الأزهر

١١ ـ الدكتور/ موسى شاهين لاشين

١٢ ـ السيد/ عمر التلمسانى
١٣ ـ الشيخ/ محمد الغزالى
مـــــع :

ممثلى جماعات التكفير والهجرة ، والجهاد ، والفرماوية ، والسماوية ، والأمر بالمعروف وطلائع الفتح ٠

استهل الحوار السيد / محمد على محمد على وقرر أنه تناقش مع معظم الجماعات الموجودة خلف الأسوار وأن أفكارهم تتلخص فى الآتى :

١ ـ الحجيات أى الايمان بالكتاب والسنة وما عدا ذلك فهو عبث وتهريج أى أنهم يرفضون القياس والاجماع والاجتهاد ليغلقوا البـــاب على أنفسهم ٠

٢ ـ أهم ما يقررونه أن زعيمهم هو أمام المسلمين وأنهم الجماعة المسلمة فقط ، ومن عداهم كفرة ٠

٣ ـ يؤمن بعضهم بأن الذى يموت وليس فى عنقه بيعة يموت ميتة الجاهلية ، ولذلك فلابد لهم من امام يبايعونه ومن هنا يأتى فكر الزعامة والامامة فى الجماعات المتطرفة ٠

٤ ـ فى حوارهم يضعون أيديهم على حديث ليس صحيحا مائة فى المائة ويدعون التبحر فى العلم ٠

٥ ـ يعتقد البعض منهم أن المجتمع الذى يقبل الحياة فى ظل حكومة لا يرضون عنها مجتمع كافر ولابد من اعتزاله أو هجرته ويؤكدون أن الهجرة فريضة ، ومن لم يهاجر معهم فهو كافر ٠

٦ ـ يعتقدون أن أى انسان خارج على جماعتهم كافر ، ولذلك فهم يكفرون بعضهم البعض ، ويقولون ان النطق بالشهادتين ليس جواز مرور وليس مظهرا من مظاهر الاسلام ٠

٧ ـ يعتقدون أن العنف ليس محرما ، بل هو من عقيدتهم أى أنهم يهدرون دم من لا ينتمى الى جماعتهم لأنهم الجماعة المؤمنة المتكاملة ، والذى يخالفهم يحل دمه ويستندون فى ذلك الى الآية الكريمة (**قاتلوا المشركين كافة**) وأن كلمة الفتنة عندهم تأخذ تأويلا فيقولون (**وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة**) وهم يرضـــون بالتأويل ولا يؤمنـــون بالأئمة الأربعة لأنهم رجال دين مثلهم يسعون الى الاجتهاد ٠

٨ ـ فكر الظاهر والباطن وهم القطبيون أنصار السيد قطب ، ويرون أن المجتمع كله جاهلى وأشد خطورة من المجتمع فى الماضى ، وهذا

المجتمع يعمل ضد الاسلام ، ولابد من تنظيم فى المواجهة حتى لا يبـاد الاسلام ، لأن الصهيونية مسيطرة سيطرة كاملة على العالم كله ، وأن جميع حكام المسلمين أفراد فى يد الصهيونية هدفهم القضـاء على الجماعات الاسلامية ٠

ثم تكلم بعد ذلك بعض الشباب المتعلم طالبين السماح لهم بسرد معاناتهم من مظاهر الفســاد التى تحاصر الشباب فى الشـارع نسـاء شبه عاريات ، فى الجامعة مظاهر فساد الطلبة والطالبات فى اللبس والحديث ، حتى فى المنازل عرض بعض التمثيليات المفسدة مثل مسلسل دالاس الذى يجيز الخيـانة الزوجيـة ٠ وقد بدأ الشباب المسلم يخرج نفسه من الظلمات ليخلق الطبيب المسلم والمهندس المسلم والمعلم المسلم ٠٠٠ الخ ، ثم يخلق الأسرة المسلمة الصـالحة ليكون الشعب كله مسلما صالحا ، وهم فى سبيل ذلك يدعون بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولا يلجأون الى القوة مؤمنين أن الشعب الصالح لابد أن يأتى بحاكم صالح يطبق شريعة الله ولا يهدفون الى زعامة أو حكم ٠

وجاء رد المسئولين أن هذا الفساد تقوم به فئة ضئيلة من الشباب لا يمثلون ٥ر٠٪ من الشعب وتتعرض دائمـا للمقاومة والعقاب وحتى وسائل الإعلام المختلفة مثل التليفزيون والجرائد والمجلات أصبحت تلتزم الآن بالقواعد الاسلامية وتتحاشى الانزلاق فى مفاسد أو ضلال وكثير من موضوعات الانحراف قد استبعدت تماما من أجهزة الاعلام أى أن الحكومة لم تقف مكتـوفة الأيدى والمفروض أن يكون الفرد المسلم محصنا ضد الاغراءات فيتحاشى شرب الخمر ولو كان سيموت من العطش ويصـوم رمضـان ولو لم يتوافر الطعام فى السحور ويتحاشى النساء الى أن تحل له ورغم أن هذه المفاسد موجودة فى كل زمان ومكان من عهد الرسـول والخلفاء الراشدين الا أن المسلم الحقيقى هو الذى يعصم نفسه منهـا ويحافظ على نفسه وعلى أسرته ٠

ثم تكلم أحد الأفراد فقال اننا نعتبر أنفسنا جزءا من هذا المجتمع وقد انتخبنـا زملاءنا فى الجامعة مسلمين وأقباطا دون تمييز أو تفريق ونتعايش معا فى الدراسة وخارج أسوار الجامعة ، وقد تكررت الحوادث الدينية بيننا ، وكان من نتيجة ذلك النجاح فى مقاومة التيار الشيوعى الخطير الذى حاول فرض سيطرته علينا ، ولكن فوجئنا بمهاجمتنا والغاء الاتحادات ، وجاء الرد فى أن اللوائح الجامعية فى حاجة الى تعديل وتبديل حتى تتناسب مع رسالة التعليم وحتى تقوم الاتحادات على أساس انتخابات حرة نظيفة ٠

ثم تكلم فرد آخر طالب بالأزهر فقال انه يعتبر الأزهر بيته ولكن به أشياء تجب معالجتها ، فالفقه المالكى ضحل وكتب ومادة الفقه مذكرات ضئيلة وأن الجرائد تتكلم عن الكرة أكثر مما تتكلم عن الدين ٠

وقد رد عليه بأن كتب الفقه كثيرة جدا وبها آراء غريبة وغير حقيقية ، ولذلك فهم لا يدرسون منها الا الضرورى أما عن الجرائد والمجلات فقد أصبحت تخصص منها صفحات للدين كما صدرت عدة جرائد خاصة بالنواحى الدينية ٠

ثم تكلم أحد الأفراد وطالب بتوضيح موقف الدولة من تطبيق الشريعة الاسلامية ٠

ورد عليهم المتهم عمر عبد الرحمن اننا لا نطالب بتطبيق الشريعة الاسلامية مرة واحدة وعلى الفور ، ولكن نطالب بالتطبيق تدريجا ، لأنه من الصعب التطبيق دون تدرج فمثلا ، لا نطالب بقطع يد السارق الا اذا كفلت الدولة لكل مواطن الحياة الكريمة التى لا تدفعه الى السرقة فان سرق بعد ذلك يقام عليه الحد لأنه خرج على الدين ٠ ثم قال انه يعلم أن الدولة فى سبيلها الى الأخذ بمبدأ تطبيق الشريعة الاسلامية ، وقد طبقت فى معظم القوانين المدنية ، والمهم أن نستحثها على انجاز بقية القوانين فى أسرع وقت ٠

وعقب ذلك تكلم بعض جماعة التكفير والهجرة مستنكرين سلوك العنف فى فرض ارادتهم وقرروا انهم يؤيدون فكرة الموعظة الحسنة لمقاومة أى انحراف أو ترك لأركان الدين الاسلامى وقد رد الشيخ جابر حمزة ان الواجب على المسلم أن يكون داعية للدين آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر فى أى مكان أو زمان ، ولكن ينبغى الا نستعمل كلمة الكفر مطلقة ، فالكفر هو عبادة الأصنام والشرك بالله ، وقد كان النبى — صلى الله عليه وسلم — يرى الكفر من حوله ويلمسه فى كل حركة حوله ، ولكنه لم يتأثر بذلك وكان يعمل بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويستطرد الشيخ جابر قائلا انه سمع الآذان للصلاة بعدة طرق مختلفة لكل جماعة فى السجن كما سمع آراء مختلفة ومتناقضة منهم حتى أن بعضهم رمى البعض الآخر بالكفر هكذا بكل بساطة ، فهل هذا من الاسلام فى شىء ؟

ثم قال ان العنف الذى يسلكه البعض سببه سوء الفهم للدين ، لأن الدين هو الاستقامة ، فالله خلق الخير وخلق الشر ، وهما يتنازعان منذ القدم ويتناحران ، والدولة لا تعاقب انسانا لا يصلى ولكن تعاقبه على الانحراف لأنه فى الحالة الأولى يتعامل مع ربه ، وفى الحالة الثانية يتعامل مع المجتمع ، والدولة تنظم المجتمع وتحمى أفراده ٠

ولخص المتهم صفوت الزينى فكر جماعته فى أنهم يدعون الى الهدى ولابد للعبد أن يهتدى بالله ، يقول تعالى : **(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) (قل ان هدى الله هو الهدى) (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذن ربهم ويهديهم الى صراط مستقيم)** وقال ان الوحى هو القرآن والسنة ، ولا خلاف فيه فهى الحجة الأصلية ، أما ما يحتج به المنتسبون الى الاسلام من حجج كالاجماع والقياس وآراء الفقهاء فاننا لا نؤمن بها ، وان الله تعالى جعل العصمة فى نبيه فقط ، وجعل الاسلام هو الدين الوحيد المقصود به هو الاستسلام والخضوع لله رب العالمين ، أى اننا نفعل ما أمر الله به ونتجنب ما نهى الله عنه ·

أما بالنسبة للهجرة فليس هناك شرط لأن تكون الى أرض اسلامية كما هاجر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى المدينة ، ولم تكن بلدا اسلاميا · ولا ننكر حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (لا هجرة بعد الفتح) لأن هذا حدث بعد فتح مكة وأصبحت السيادة والحكم لله وحده ، وبذلك فالهجرة قائمة الى يوم القيامة متى توافر شرطها وهو الاستضعاف ·

وقد رد عليه الدكتور موسى لاشين قائلا انكم تقولون ان الحجيات اثنتان : كتاب الله والسنة ، ونحن نقول انها أربعة يزاد عليها الاجماع والقياس · فالاجماع مقصود به اجماع علماء الأمة وهو الرأى الدينى فيها وليس المقصـــود به رأى الراعى البدوى ، وانما هو اجماع أهل العلم وأهل الرأى ، وليس معنى ذلك أن يكون الاجماع مائة فى المائة بل يكفى تسعون فى المائة من العلماء ، وعدم معارضة العشرة فى المائة ، الآخرين فالاجماع دليل وواقع ولابد أن يستند الى القرآن والسنة ، لأنه يأتى بفهم النص فى الكتاب والسنة فاذا وجدنا اجماعا على فهم كتـاب الله والسنة ، ثم جاء أحدهم مخالفا لهذا الفهم فهل نأخذ برأيه أم برأى الاجماع ، وحينما تقولون انه ليس هناك حكم من الأحكام لم يذكر فى القرآن والسنة فقد نسيتم أن مهمة القرآن والسنة هى اثبات القضايا الكبرى للشريعة الاسلامية وأن استنباط الأحكام لما يجد من الأحداث فقد تركه الله للأمة · فحينما توفى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبدأ الصحابة يتشاورون فى أمر الخلافة ولم يكن فى القرآن نص على ذلك ، فقال أحد الصحابة أن أبا بكر استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فى مرضه الأخير ليؤم المسلمين فى الصلاة فهل يأتمنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أمور ديننا ، ونحن لا نتأتمنه على أمور دنيانا ، فمد عمر ابن الخطاب يده الى أبى بكر مبايعا وتبعه الصحابة مبايعين ، وأنتم تقولون

أمرا غريبا انه لا عبرة بكلام الصحابة ولا عبرة برأى أبى بكر وعمر وأئمة الفقه وتكفرون من يعتد برأيهم ومع ذلك فأنتم خمسة أفراد تزعمون أنكم قادرون على الاستنباط وتدعون الناس الى ما تستنبطون ، وأنتم تقولون ان التقصير في ركن من أركان الاسلام يضيعه ، وضربتم مثلا بالمسافر الى الاسكندرية وتخلف قبلها بعشرين كيلو مترا فهو لم يصل ٠

وأنا أضرب لكم مثلا بأن الاسلام بني على خمس ، فمن بنى عمارة من ثلاثة أدوار وكان ينوى بناءها من خمسة أيكون كالذى لم يفعل شيئا ؟ اذن فالاسلام ليس مجموعة أوامر ومجموعة نواه ٠ وكذلك تقولون ان مرتكب الكبيرة كافر اذا كان مصرا عليها ، ولكن من أدراكم بهذا الاصرار وهذا العزم والتصميم على ارتكاب الكبيرة ، ان الاصرار عمل قلبى لا يمكن أن يطلع عليه الا الله سبحانه وتعالى ، فلا يمكن الوصول الى الاصرار الا اذا أعلنه صاحبه ٠

والملاحظ أن المستمعين لم يعلقوا على هذا الحوار وانما أنصتوا اليه بهدوء ٠

وأدار الحوار بعد ذلك الدكتور الطيب النجار فقال ان موضوع القياس أمر معلوم في الدين ، لأن القياس مذكور فى كتاب الله ٠ حيث حدثنا عن قصص الأنبياء (**لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب**) الا أن القياس هو قياس الحاضر بالماضى ، وتعطينا الآية العبرة والحل لقضايا المستقبل من سيرة السابقين من العلماء والمصلحين ، لأنه سيترتب عليها حتما مصلحة ، وبذلك تأتى المصلحة اذا قسنا أمورنا وأحوالنا بأحوال الأمم التى سبقتنا ٠ وقد جاء فى الآية الكريمة (**أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة**) وهكذا كان القياس سبيلا شرعيا لاستنباط الأحكام ما دام لا يناقض كتاب الله وسنة رسوله ٠

اما عن الاجماع فقد جاء من تضافر العقول وتكاتفها على رؤية أمور الدين فالانسان قليل بنفسه ، والرأى الواحد لا يصلح أن يكون سندا ، والاجماع لا يأتى الا اذا جاء عن أناس قرأوا كتاب الله والسنة النبوية وتأملوا لما تهدف اليه الآيات الكريمة والسنة واستخلصوا منها مبادىء وأسس حيث قام الأئمة الأربعة بتأسيس مذاهبهم على التفسيرات والقرارات والحجج التى عاصروها ٠

ثم بدأ الحوار بعد ذلك باستهلال الدكتور الحسينى هاشم الآية الكريمة (**ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من**

المسلمين ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عدواة كأنه ولى حميم) .

وقال ان هذه الآية توضح منهج الدعوة الاسلامية ، ومعناها أن الداعية المسلم عليه أن يتخير أحسن المثل ويتخير أنقى الألفاظ حتى يصل الى قلوب الناس ، وهو الأسلوب الحكيم للدعوة الاسلامية لأن الاسلام يمقت العنف بجميع صوره ، وأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت رسالته قائمة على الرحمة حيث تقول الآية (**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**) كما كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوصى بالرحمة وعدم العنف ويحذر المسلمين من الخلاف والعدوان على العرض أو المال أو الدماء (ان دماءكم وأموالكم وأعرضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا قد بلغت اللهم فاشهد) وقال (لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم أعناق بعض) وقال الله تعالى (**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**) (**لا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ويحكم**) كما أن القرآن يستهل دائما (بسم الله الرحمن الرحيم) أى الرحمة قبل كل شىء وليس العنف أو القوة .

ثم تطرق الحديث الى الحاكم وموقفه من الاسلام عندما يخطىء ، فقال لابد أن ننصحه ونبين له الحلال من الحرام ، فأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر . ولكن هل لنا أن نقاتله ؟ الاسلام يقول لا . وهذا كلام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (سيأتى بعدى حكام تعرفون منهم وتذكرون ، فقال بعض الصحابة أفلا نقاتلهم يا رسول الله فقال لا .. ما أقاموا الصلاة) وفى رواية أخرى (عليهم بما حملوا وعليكم بما حملتم) وكما قال ابن تيمية حتى لا يعالج المنكر بأنكر منه . لأن التعرض للسلطة يوجد خلافا فى الأمة وتصادما على حساب الأفراد ، وتثور النفوس شرا ، وتقوم الضغائن ، ثم تكون النتيجة تدميرا لأمة الاسلام .

ثم تكلم عن كتاب الفريضة الغائبة فقال ان مؤلفه خدع أتباعه بتقوله على فتاوى ابن تيمية ، فهو يقول ان حكام المسلمين كفار فى الماضى والحاضر والمستقبل ، وهذا هدم للاسلام ، وما قاله عن التتار لا ينطبق على حكام المسلمين . أما عن القول بالهجرة فهو أمر مخالف للاسلام ، فقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام) .

ثم تحدث الدكتور أحمد شلبى عن قضايا الاختلاف والاتفاق بين المسلمين وقال انه لم يختلف أحد من المسلمين حول العبادات كالصوم والصلاة والحج مثلا ، ولكن اختلفوا فى المسائل موضع الاجتهاد ، ولا يؤدى

هذا الخلاف الى تكفير الغير ، ولو دار حوار بين مختلف الآراء لما حدث الصدام بين المسلمين لان هذا الحوار دليل على ثرائهم الفكرى ويجب أن يخضع الجميع لرأى الأغلبية ، لانها تمثل اجماع الأمة فاذا رأى طالب فتاة متبرجة ويقول ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فمعنى هذا أنه أصبح السلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية ، وانما الصحيح هو أن يكتب الى ولى أمرها أو عميد الكلية ، وقد سبق أن جاءت فرق كثيرة باسم الاسلام ولكنها انقرضت كلها ليبقى الفكر الاسلامى الصحيح ٠

وانتقل الدكتور أحمد شلبى الى مناقشة حرمة الدم فقال انه جاء فى الآية الكريمة (**لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لاقتلك انى اخاف الله رب العالمين**) وكان على بن أبى طالب يقول (اياك والدماء وسفكها بغير حلها فانه ليس هناك شىء ادعى لنقمة ولا أعظم ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع زبدة من سفك الدماء بغير حلها) (لا يغرك سلطانك بسفك دم حرام ، فان ذلك يضعف سلطانك ويوهنه بل يزيله ويقضى عليه) ويقول الامام الاشعرى (لا تجوز الثورة على الامام الجائر الا لجماعة لهم من الهيبة والسلطان ما يستطيعون به اسقاط الامام الجائر بدون دماء أو بالقليل من الدماء) ٠

ثم استهل الدكتور أحمد عبد الله هاشم حواره عن الدعوة والدعاة لأننا نحن المسلمين مطالبون بالدعوة الى الله وتبليغها بالحكمة والموعظة الحسنة ٠ ولتكن الكلمة الطيبة طريقنا الى الله سبحانه وتعالى حتى تستميل القلوب وتؤثر فى النفوس ، ولنأخذ من سلوك الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسوة فى معاملته للأفراد مسلمين كانوا أو كفارا بالكلمة الهادئة والموعظة الحسنة ٠ ان مجتمعنا فى مصر مجتمع مسلم ومساجد الله تنتشر فيها وزوار الله يعدون بالآلاف وليس أخطر علينا من أن تسود بيننا الخلافات والبطش ، فينقلب الأمر الى فتنة لا يفيد منها الا أعداء الدين ، وقد شهد الاسلام جمعيات كثيرة مختلفة لم تحسن اختيار مسارها ، فانحرفت وأخذت تحارب بعضها البعض ، مما أدى الى فتنة فى البلاد ، وليست العملية هى تصادم ومواجهة مع الحكام بقدر ما هى عملية بناء الفرد وتربيته حتى ينشأ المسلم الصالح لدينه وأمته ، وليس أحب الى الله من أن تكون الدعوة للاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، قال تعالى (**ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين**) ، ولهذا لابد للدعوة من أن تكون علنية وليست سرية بعيدة عن التنظيمات لا ابهام فيها ولا غموض ، شريطة أن يلتزم المسلم فى دعواه بالأدب الاسلامى وحسن المعاملة ، ولا يواجه الآخرين بالضغط والاكراه والتكفير ٠

وأعقب ذلك الدكتور عمر عبد الرحمن الذى هاجم فكر التكفير والهجرة وقال انهم يقولون ان كل مسجد يبنى الآن هو مسجد (ضرار) وأن جميع المساجد بنيت لتجاهل السلطة ، فاذا فرضنا أن مسجدا بنى على هذا الأساس فليس معنى ذلك أن كل المساجد أسست على غير التقوى ، كما أنهم يأتون بالآيات التى يدللون بها على صحة فكرهم ، فيقولون ان مرتكب السيئة خالد فى النار . ونقول لهم ما هو السابق واللاحق للآية التى جاءوا بها ، ويردون قائلين نحن لا نلتفت الى ذلك ، والعبرة بعموم اللفظ لا بالخصوص ، ويستطرد الدكتور عمر مستنكرا رفضهم الأخذ بالاجماع والقياس ، ويقول ان هذا أمر خطير على الاسلام لانه ستأتى مسائل لا نجد لها حلا ، وقد وضع الكتاب والسنة أصول هذه القواعد .

أما قولهم من مات وليس فى عنقه بيعة فقد مات ميتة جاهلية ، فان الحديث صحيح فى ظاهره ولكن لابد أن نبايع الأمير الذى يصلح للمبايعة ، وليس منهم واحد يصلح لهذا ، فأكثر أعضاء التكفير والهجرة لا يحفظ القرآن ، ولا يلم بقواعد النحو والصرف ، ويخطىء حتى فى أسماء الكتب والمصادر التى يستشهد بها .

ويستطرد قائلا اننا لا نكفر المسلم وحتى أمراء المسلمين اذا لم يقيموا الصلاة فلا يخرج المسلم عن امارتهم ولا يقاتلهم لانهم أولو الأمر .

ان أسلوب مواجهة النظم والحكومات أيا كان فسادها فقد جاء فى الآية الكريمة (**اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى**) ومعناه أن القول اللين يكون فى مواجهة الطغيان والفساد أى لا سبيل أمام الداعى الذى يبغى الاصلاح الا القول بالحكمة والموعظة الحسنة (**فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب**) ويقرر الدكتور عمر عبد الرحمن أن فكر جماعته أنها تحكم كتاب الله ولا تكفر مسلما وتدعو الى الله بالحكمة ولا تقاتل من ارتكب معصية . أما المعنى الصحيح للحديث (من رأى منكرا فليغيره بيده) فقد قال تعالى (**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم**) (**فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك**) (**كل نفس بما كسبت رهينة**) ان هذه الآيات تبين بوضوح أن كل انسان مسئول عن نفسه ويحاسب على تصرفه وهو لا يضره ان ضل غيره .

وتكلم الدكتور محمد أبو الوفا عن الايمان والعمل فقال ان العلاقة وثيقة بين الايمان والعمل ومن يعمل يخطىء ، فليس هناك من هو معصوم من الخطأ ، ولكن هناك من يستعظمون الذنب ، وهؤلاء يغفلون عادة عن أسماء الله فهو (الغفور) و (الغفار) فليس هناك ذنب يستعصى

على الله مادامت أبواب التوبة مفتوحة • لان الذنوب قد تقع من المؤمن ولكن قد يخرج منها بالتوبة ، فالمؤمن الذى يقع فى الذنب ثم يتوب يمكن أن يسير فى طريق الله ، شأنه شأن من يقع فى الطريق ثم يقوم ويستأنف سيره لان المؤمن عندما يرتكب المعصية يرتكبها فى غيبة من الايمان ، ومع التوبة يعود الايمان كاملا ، فالتوبة الصادقة والفورية بعد ارتكاب المعصية تقبل باذن الله ، ولا سند ولا حجة لما يقال من أن المعصية وارتكاب الكبيرة يؤدى الى الكفر ما دامت هناك توبة ، أما توالى المعصية والدأب والاصرار عليها فهذا أمر آخر •

وقرر الدكتور أبو الوفا أن الخوارج هم أول من ابتدع هذا الفكر المتطرف ، فكفروا أهل الذنوب ولم يفرقوا بين ذنب وذنب ، ومرجئة السنة قالوا ان الله يعذب بمقدار ما أذنب العبد ويخلد فى النار ، ومرجئة البدعة قالوا (لا يضر مع الايمان ذنب) والمعتزلة قالوا (مرتكب الكبيرة فاسق فى المنزلة بين (المنزلتين) والأشعرية قالوا (لا تكفر أحدا من أهل القبلة الا أن ارتكب كبيرة مستحلا لها) والماتريدى قال (مرتكب الكبيرة لا يخلد فى النار ولو مات من غير توبة) لقوله تعالى (**من جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها**) وقد جاء جماعة التكفير والهجرة يستخدمون الاستدلال على كفر الذنوب بالباطل فمثلا قال تعالى (**ولله على الناس حجج البيت من استطاع اليه سبيلا**) فيقولون ان هذه الآية تؤكد أن عدم الحج كفر ، ونسوا أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — صرح لامرأة أن تحج عن أمها ، وقد كان هذا أسلوب الخوارج المشتمل على الكثير من المغالطات •

ثم ختم الدكتور أبو الوفا الحوار بأن المعصية ليست شركا ، وأن المسلم لا يمكن أن يخرج من الايمان بمعصية ، وانما الاصرار هو انكار لما هو معلوم من الدين وهذا له شأن آخر •

وفى نهاية هذا الحوار اختلف أعضاء التكفير والهجرة مع بعضهم ما بين مصدق لما قيل وآخر مستنكر ، تقدم أحد الشبان فانكر انتماءه لأى من الجماعات ، وقال أنه ملتزم بمجتمعه الصغير حيث يقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) ولكنه يستفسر لماذا لا توضح له كلمة (ان لا اله الا الله) التوضيح الحق ، وهل تطبق هذه الكلمة على مجتمعنا أم لا ، واستطرد يقول وأنا لا أراها مطبقة الآن ، فنحن فى مجتمع جاهلى ولا أمل لى فيه الا بالاعتزال ، فسأله الدكتور موسى لاشين اذا كنت تكفر كافة المجتمعات وتقول عنها انها مشركة فكيف توفق ذلك مع قوله تعالى (**ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا**) فسكت الشباب واستطرد الدكتور لاشين قائلا عودوا فى كل أمور دنياكم الى أهل العلم (**فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون**) •

وتطرق بعد ذلك الى قول البعض ان المجتمع أصبح جاهليا ، مشركا استنادا الى الآيات التى ساقوها من قبل ، ولكن فاتهم ان المعنى اللغوى لكلمة الجاهلية المقصود بها العصر السابق للاسلام بمحاسنه وسيئاته ، وهو ما نسميه بعصر الشرك ، أما بعد الاسلام فالجاهلية لها معنيان الأول الشرك لمن لا يدخل فى الاسلام أصلا والثانى صفته فيه باقية سواء للفرد أو المجتمع لكنه لا يكون مشركا ذلك لأن كلمة الجاهلية معرفة بأن لها أكثر من معنى فهى تأتى للجنس وتفيد الاستغراق أى استغراق جميع أفراد المعرفة أو مشارا بها الى نفس الحقيقة مثل (**وخلق الانسان ضعيفا**) ومثل ذلك الكتاب ففى المثال الأول استغرقت كل انسان ، وفى المثال الثانى مشارا بها أن هذا الكتاب هو كل الكتب كما تأتى «أل للعهد وتفيد أما للعهد الذهنى مثل جاء الرجل الذى قابلته أمس ، فالمخاطب هنا يعلم بذلك الرجل ومعهود فى ذهنه ، أو للعهد الذكرى اذا كان ما دخلت اليه سبق ذكره فى الكلام مثل قوله تعالى (**فيها مصباح المصباح**) فان الـ هنا للعهد الذكرى ومثل قوله تعالى (**كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول**) الـ فى الرسول هى العهد الذكرى ، وكما هو معلوم أيضا أن الـ ليست دائما للتعريف فقط تأتى زائدة كقوله تعالى (**لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل**) لأن الأذل هنا حال بمعنى (ذليلا) أو أن الأصل (خروج الأذل) فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ، لذلك فان ال التى دخلت على كلمة الجاهلية فى الآيات لا تؤخذ على اطلاقها ؛ بل لابد من فهمها فى مكانها ، فاذا قلنا مثلا (فلان الجاهلى) ف الـ هنا ليست عهدية ذكرية ، بل عهدية ذهنية اذا كان المخاطب يعلم بفلان هذا ، ومن ثم لا تقتضى العموم ، لأنه من المحتمل أن يكون جاهل الاعتقاد وفى هذه الحالة فهو مشرك وبما انه نطق بالشهادتين فيكون على الاحتمال الثانى ، وهو أنه جاهلى فى صفة من الصفات واحتمال ثالث أن الـ جنسية لكنها ليست استغراقية بل مشار بها الى نفس الحقيقة أى اشارة الى تلك الصفة العينية ، وبهذا المعنى لا تعد شركا .

وتأكد هذا الفهم الصحيح لكلمة الجاهلية التى جاءت فى الآيات السابقة بالأحاديث النبوية فما رواه البخارى عن شخص بلالا بقوله : (يا ابن السوداء) فقال له الرسول – صلى الله عليه وسلم – (انك امرؤ فيك جاهلية ... الخ الحديث) بمعنى ان به صفة من صفات الجاهلية كذلك قال الرسول – صلى الله عليه وسلم – (ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية) فكلمة ليس منا ليس معناها انه خرج من الاسلام وانما المقصود الترهيب من مثل هذه الأفعال .

والخلاصة أن معنى الجاهلية التى وردت فى الآيات السابقة أنها تنسحب على المرحلة التى سبقت الاسلام وهى مرحلة الشرك ، كما تنسحب

على الذين لم يدخلوا الاسلام أصلا • أما من نطق بالشهادتين فانها تبقى صفة به ولا تخرجه من ملة الاسلام •

ثم تصدى الدكتور أبو النور لشرح الايمان فقال ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حدد الايمان بالتصديق والاعتقاد (الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) ووصف المؤمن الكامل بأنه الذى لا يقرب المعصية ولا يكذب ولا يزنى ولا يظلم ولا يعتدى على حرمات الله ، وجزاؤه النجاة من دخول النار ، أما من كان من أصل الايمان واقترف بعض المعاصى فان الله ينجيه من الخلود فى النار ، وفى الآيات الكريمة **(يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) (الذين آمنوا ولم يلبسوا أيمانهم بظلم) (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)** وهنا تكون الحدود كفارة عن الشىء الذى اقترف فالزانى الذى يزنى يكون غير كامل الايمان والحديث يقول (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن) أى ان المؤمن الكامل خالد فى الجنة والمؤمن مرتكب المعصية غير خالد فى النار لأنه ليس بكافر •

ثم طلب الدكتور أبو النور أن تكون هناك مصالحة بين المسلمين فى الجماعات المختلفة المجتمعة حتى وهم داخل الأســـوار وقال يجب على الشباب أن يرجع الى العلماء وذوى الثقافة ولا ينخدع بالمضللين والدجالين حتى لا تكون هناك مخاصمة لأفراد يعتنقون دين الاسلام ويرمى بعضهم البعض بالكفر والشرك حتى يرتفع صوت الاسلام عاليا ويسود العالم ، يجب أن نكون جميعا دعاة حتى نكسب الأرض التى نحن عليها ، لا نريد معارك ولا مشـــاحنات وانما ثقة وحرص على استتباب الأمن واحترام الحكومة ، والآية الكريمة تقول **(كنتم خير أمة أخرجت للناس)** أى أنتم خير الناس عســـكريا وسياسيا وعلميا ودينيا وكما قالت الآية الكريمة **(ان أكرمكم عند الله أتقاكم)** • (ان الدين النصيحة) ان الله هو الذى يحاسب العبد فلا تتدخل وتفرض نفســـك رســـولا وزعيما وتبطش بالناس بل نصوحا كريما ودع الخلق للخالق ، فهو تعالى الذى يحاسب ويغفر وينتقم ••• الخ ودع الحاكم وأعطه فرصته فى تطبيق شريعة الله وقد بدأها فعلا حيث ينص الدستور فى مادته الثانية على أن الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع وستأتى أحكام الشريعة بعد ذلك تبـــاعا •

وقرر الدكتور صلاح قنصوه هذا الحوار بقوله انه يعتقد أن فهم المسلمين للآية الكريمة **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** فهم لا يقوم على أساس سليم فكلمة (حكم) وردت ٩٠ مرة فى القرآن الكريم وهى لا تعنى نظام الدولة وانما تعنى القضاء ، والحاكم هو القاضى الذى يقضى بالشرع الالهى لا بقوانين مستوردة أو أجنبية وتقول الآية مثلا

(**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام**) أى الى القضاء لأنه من غير المعقول أن تخاطب هذه الآية رئيس الدولة .

كما تقول الآية (**وآتيناه الحكم صبيا**) وليس من المعقول أن يخاطب القرآن النبى يحيى على أنه كان يحكم وهو طفل ، وانما قصد به أن الله أعطاه القدرة على التمييز والفصل ومعرفة الحكمة ، وعلى ذلك فكلمة الحكم فى القرآن تعنى القضاء والعلم والحكمة لا الحكومة أو السلطة .

(٢)

حـــوار رجـال الـدين

حـول تطبيق الشريعة الاســـلامية

١ ـ يقول الشيخ محمد الغزالى ـ هل الدين عقيدة وشريعة ؟ ٠ لم يقل أحد من المسلمين خلال تاريخ الاسلام الطويل ان الاسلام مجرد صلة بين العبد وربه وانه لا علاقة له بما بين الناس من صلات سواء أكانت هذه الصلات خلقية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية ٠

ذلك أن القرآن الكريم واضح فى أنه نظام شامل لشئون الحياة كلها ، وأنه كما تناول العبادات تناول المعاملات من تجـارية واجتماعية ودولية ودستورية ٠ هذا بالطبع ليس اكتشافا يصل اليه رجل ذكى ٠ وانما هو أمر فى مجال الرؤية العادية لا يغيب عن أحد ٠

القائل بأن الاسلام عقيدة لا شريعة يستند على أن ما جاء فى الدين من حيث التشريع فهو شرع يتغير بتغير الزمان والمكان ؟ ٠

السؤال الوارد غريب ٠ فأنا لا أجد مثلا أن القرآن فى مجال العباد يقول : (**كتب عليكـم القصـاص**) وفى مجال التشريع الجنائى يقول : (**كتب عليكم القصاص**) وفى مجال التشريع العسكرى والدولى يقول : (**كتب عليكم القتال**) فكيف أفرق بين هذه الجمل الثلاث ؟ والعجب أن أطول آية فى القرآن هى التى تحدثت عن الديون وكتابتها والعقود والاشهاد عليها وما أشبه ذلك من معاملات ٠ وقد ربط الاسلام بين الايمان بالله وتنفيذ أحكامه هذه فقال : (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم**) ٠ واعتبر النكوص عن رد الأعداء أو موالاتهم وهم يخاصمون الأمة الاســـلامية ـ اعتبر ذلك ارتدادا عن تنفيذ أحـكام الله ٠ قال تعـالى (**ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل اليه ما اتخـذوهم أوليـاء**) ولا أحب أن أسرد القرآن كله أو السنة كلها حتى أكشف عن بديهية لم يتحدث أحد بريبة حولها ٠

ان ما صنعه الاخوان المسلمون يتلخص فى أمرين ٠ الأول : أنهم حاربوا القوانين الوافدة التى هى جزء من الاستعمار الثقافى والتشريعى ـ وطالبوا أن تحل محلها القوانين الأصلية المستمدة من شريعة البلاد ٠

وهذا الذى طلبه الاخوان هو الذى أقر أخيرا فى الدستور المصرى القائم حاليا ، وذلك عندما باتت الشريعة الاسلامية هى المصدر الأساسي للتشريع . وهذا لا يخالف الاخوان أحد فيه من المسلمين . أما الأمر الآخر الذى ربما ضاق به البعض فهو اشتباك الاخوان مع الأحزاب السياسية ، أى أنهم تخاصموا مرة مع الوفد ومرة مع القصر . وللوفد أنصاره وللقصر أعوانه . وهؤلاء وأولئك هم الذين تحدثوا عن أن الاخوان يخلطون بين الدين والسياسة والكلمة تستحق التأمل هنا . فاذا كان المقصود بالسياسة موالاة الوفد أو القصر ، فهذه وجهات نظر لا صلة للاسلام بها . أما السياسة بمعناها الذى شرحناه في صدر هذا الكلام فهى من لب الاسلام ودعوة أن الاسلام عقيدة لا شريعة ظهرت عندما تراءى لفئة أن بعض المتطرفين أو دعاة الاسلام التقليديين قد استغلوا هذا الشعار . ومن هنا تخوف هؤلاء على الدين من أن يتاجر به وخشوا بالتالى على الدولة دينا ودولة ؟ .

ونحن ذقنا الأمرين ممن تاجروا بالدين ، وممن تاجروا بالدنيا . بل ان الذى رأيناه أن تجار الدين على خساسة ما يصنعون أضعف جانبا وأوهن قوى من أن يصيبوا المجتمع فى مقاتله . أما الذين تاجروا بالديمقراطية فلقد زحموا المعتقلات وألحقوا بالبلاد أفدح الاضرار وزعموا أنهم يدافعون عن الحرية ويبشرون بها وهم فى الحقيقة غير ذلك .

ولكن يظل المتاجر بالدين أفدح خطرا من تجار الديمقراطية أو السياسة . فهو دجال يمارس الشعوذة من أجل الوصول الى مآرب وأهواء ورغبات شخصية ؟

أنا أكره الدجالين من أهل الدين ومن أهل الدنيا على السواء . ولكنى أسأل نفسى وأسأل الناس هل اذا تاجر أحد بالشعارات العظيمة قررنا الاستغناء عن هذه الشعارات لأن حملتها كذبة ؟ وهل يكفر بالحرية لأن جرائم كثيرة ارتكبت باسم الحرية ، أم أننا ينبغى أن نحدد المراد ، ونوضح الوسائل ، ونتجمع على مكافحة المنافقين أيا كان لونهم ؟ هذا ما أريده وما أظن أحدا يخالف فيه .

أنا رجل درست الاسلام وراقبت حكمه في عصره الذهبى ، واستخلصت منه مبادىء لا أجد مناصا من الوقوف الى جانبها . عندما يقول الخليفة الأول : (وليت عليكم ولست بخيركم) . أو عندما يقول : (ان رأيتم خيرا فاعينونى أو رأيتم شرا فقومونى) أو عندما يقول : (أطيعونى ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لى عليكم) . أو عندما يقول : (الضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه) .. فماذا أفهم من هذه الكلمات ؟ .

أفهم أن الاسلام جاءني بحاكم يستمد سلطته مني ، ويجعلني رقيبا عليه ، ويمكنني من محاسبته ومساءلته ، ويقول لى ليس لى حق الطاعة عليك ان انحرفت • وعليه أتساءل : لماذا يستنكر أحد هذه المبادىء ؟ • لماذا لا يقف المرء الى جوارها ليجعل الحاكم يلتزم بها ، فلا نقبل من أحد أن يقول أنا صاحب القرار ، أو أنا الدولة ، أو يكمم الأفواه ، فلا ننقده اذا نصر باطلا أو خذل حقا • ان الاسلام كتابا وسنة يضع الأساس لدولة حرة عادلة مستقيمة •• ولا أستطيع أن أترك هذه المبادىء اذا فرضنا جدلا أن بعض الناس تاجر بها ، أو كان طالب منفعة فى ظلها • فالمتاجر بالخير رجل مرائى ، سيفتضح فى الدنيا والآخرة ووزره على أم رأسه • أما الخير فيجب أن يبقى فى الأرض وأن يكثر من حوله الأنصار •

المجتمعات التى تقطع يد السارق وترجم الزانى وتجلد شارب الخمر قد تجدها مجتمعات أبعد ما تكون عن الكمال فى الدين والانسانية والحضارة ؟

يجب أن ندرك بداية النقاط الآتية :

أولا : قطع يد السارق أو جلد الزانى أحكام فرعية فى الاسلام تنبثق من دستور أصلى لابد من صيانته وضمان بقائه • ولا قيمة للفرع اذا كان الأصل غير قائم •

ثانيا : أن هذه الفروع من شريعة الاسلام قطرة من بحر من التشريعات التى لا حصر لها • ولا أدرى سر ابراز هذه الأحكام بالذات والتعويل عليها حتى تصور البعض أنها الاسلام ، تماما كما تصور السيارة بأنها بعض المقاعد الوثيرة أو الأجهزة الاضافية •

ثالثا : لماذا ينسى الجو الذى يصنعه الاسلام ابتداء قبل تنفيذ هذه الأحكام أو المطالبة بها • أكشف هذا وأنا أذكر طرفة لاذعة للحسن البصرى الذى كان يدرس يوما فى المسجد فسمع ضجة فى الخارج فقال : ما هذا ؟ قالوا : (لص يقودونه الى الحاكم) • فقال : (سبحان الله سارق السر يسعى به الى سارق العلانية) • هذه الكلمة هى مفتاح الاجابة عن هذا الظن الغريب بالاسلام وأحكامه • فان الاسلام ليس من العبث بحيث يهتم بسرقة سلعة أو نعجة ولا يهتم بسرقة أصول الثروة الزراعية أو الصناعية فى بلد ما • وأصحاب العقول الصغيرة هم الذين يبرزون الصغائر ويتعلقون بها ، وينصرفون عن العظائم ولا يفكرون فيها • وأحب أن أسأل الذين يتحدثون عن رجم الزانى وقطع يد السارق : لماذا لم يذكروا أن الفقه الاسلامى يقول أن للقاضى أن يوقف الحد اذا تاب المجرم • وفى هذا أحاديث كثيرة • وقد قرر هذا المذهب ابن تيمية وابن القيم وغيرهما • وللقاضى أن يوقف قطع اليد اذا وجد أن اللص تاب • لماذا

ينسى هذا الرأى الاسلامى ويشتغل البعض اما بالدفاع عن اللصوص واما بضرورة قطع أيديهم وان تابوا متجاهلا هذا الفقه • ثم من قال ان الاسلام يقطع يد السارق الجائع ؟

لقد أجمع الفقهاء على أن السارق الجائع لا تقطع يده ، وان الذى تقطع يده هو السارق المعتدى على حقوق الآخرين اذا تبجح ومضى فى جريمته • اننى أقول بأن اشاعة الأمن ليست أمرا ثانويا أو نافلة وانما هى ضرورة • ويبقى هناك شىء •• كم يدا قطعت خلال أربعة عشر قرنا ؟ كم حد رجم أقيم فى مصر منذ بدء دخول الاسلام الى الآن ؟ أريد لفت النظر الى تكوين المجتمع الاسلامى قبل معالجة ما يطرأ عليه من خلل • يجب أن يكون هذا المجتمع غنيا تتوافر له الضرورات بل المرفهات ، يجب أن يكون مستقرا فى أرجائه كلها •

عمل من هذا ؟ والى من نوكل التبعة ؟

هذا هو عمل الحاكم الذى يختاره الشعب ليقيم نظام حكم يستريح الشعب اليه ويتنفس ملء رئتيه فى ظله ، فاذا حدث بعد ذلك أن مرض عضو مرضا معديا أو مؤذيا تصرف القضاء بما يمنع الأذى • أما تصوير الاســلام بأنه قطع يد السارق وجلد الزانى مع نسيان ثورة التشريعات الأصلية والفرعية التى تنظم هذا المجتمع فهو نوع من العبث •

دعاة الاسلام « عقيدة لا شريعة » تحركهم مخاوف تستتبعها حكومة مثل حكومة ايران أغرقت أهلها فى بحر من الدماء تتضاءل أمامه بحار الدماء التى غرقت فيهــا شعوب العصر الوســيط التى وقعت فى براثن حكومات دينية مسيحية ؟

سفك الدم فى ايران على هــذا النحــو يذكرنا بالثورات الفرنسية والروسية التى سفكت فيها دماء كثيرة • وقد قرأنا قراءات متواترة عن حمــامات الدم التى أقامها الشــيوعيون لشــعوبهم وحروب الابادة التى حصدتهم • كما قرأنا عن المجازر التى صنعها الثوار الفرنسيون لأعدائهم ولأنفسهم ، واذا كان ما نقل الينــا عن الثورة الايرانية صحيحا فهــو مرفوض من وجهة النظرالاسلامية التى ترى العدوان على فرد واحد هو عدوان على الانسانية كلها • وأن سفك دم حرام جريمة نكراء •• وان حقوق الانسان يجب أن تصان وأن يرفض كل تحد لها أو انتقاص منها •• ومن هنا فاننى أعجب بلجنة العفو الدولية وأتابع تقاريرها باعزاز حيث انها تفضح المعتدين وتكشف الأستار عن جرائمهم • ان هذه اللجنة تشبه ما أسس فى الجاهلية الأولى من (حلف الفضول) وكان يعنى وقوف بعض الرجال الكبار الى جانب المظلوم حتى يأخذ حقه ، وضد المعتدى حتى يرعوى • وقد كان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : « لو دعيت فى

الاسلام بهذا الحلف لأجبت) • أى أنه كان يؤيد عقيدته ويناصر أصحابه ويبارك المفكرين فيه ، وأنا باسم الاسلام مع لجنة العفو الدولية فى كل ما ذكرته فى تقاريرها الكثيرة •

ولكن لجنة العفو الدولية قد تخطىء أو تبالغ أو تقع فى هنات اعتمادا على ما قد تورده بعض التقارير المضللة ؟

قد تخطىء اللجنة ، فالخطأ طبيعة الانسان ، ولكن الخطأ القليل لا يهدر الصواب الكثير والنية الحسنة والغيرة على البشرية • وأنا باسم الاسلام أرفض كل حكم ـ حتى لو رفع راية التوحيد يفتئت على الانسانية وحقوقها ويهدر كرامتها وينال منها ، لأن هذا الحكم يكون منافقا أو جاهلا بالقرآن الكريم وحقائق السنة المطهرة •

مقولة أن الاسلام عقيدة وشريعة قد يستأثر الديكتاتور بالكثير من ورائها • ففى ظلها قد يصبح الحاكم الذى لا يرد له قول حيث سيظهر كمنفذ لمنهج الله سبحانه وتعالى • ما هى وجهة نظركم خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار امكانية أن يخطىء فى التطبيق كحاكم ؟

هناك خطأ يقع فيه الكثيرون وهو الخلط بين تعاليم الاسلام وبين بعض الحكام الذين يزعمون أنهم ينفذون الحكم الاسلامى ، وهم فى الحقيقة ينفذون أحكام أنفسهم ويلبون دواعى الشهوة فى دمائهم • وانى لأتساءل هل كان الحجاج حاكما مسلما ؟ هل كان السلطان سليم فاتح مصر حاكما مسلما ؟ هل كان الأمراء الذين استعانوا بالصليبيين ليدعموا نفوذهم فى انطاكية أو فى القاهرة هل كانوا مسلمين ؟

ان التفريط أو الخيانة أو النفاق شىء ، وتعاليم الاسلام شىء آخر ، ولا ننسى أن المسلمين اتفقوا على تسمية الدولة الاسلامية الأولى بالخلافة الراشدة ، ورفضوا تسمية غيرها بهذا الاسم • أى أن الدول الأخرى دول غير راشدة • ولكن عندما تقتبس الاسوة من تاريخنا فلا نقتبسه من استبداد عبد الحميد أو من جور السلطان سليم ، وانما نستمد الاسوة من رجال السلف الأول أبى بكر وعمر رضى الله عنهما •

ولكن عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يقاس عليه • ومن الصعب أن نتأسى بالعهود الأولى وبرجال السلف الأول أمثال أبى بكر وعمر ، وبيننا وبينهم كم من التغيرات الاجتماعية وفترة زمنية تباعد بيننا وبينهم •• بمعنى آخر فان عنصر القرب الزمنى الذى يحدونى الى أن أتأسى بهم غير متوافر ؟

لا قيمة لهذا القرب لان صاحب الرسالة أمرنى أن أتأسى بهم الى آخر الدهر • فقال لى ولاخوانى : (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين

المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ) فكيف أترك صورة الحكم فى عهد الرسالة والخلافة الراشدة وألتقط صورا لأسرة محمد على أو لأسرة بهلوى أو لأية أسرة أخرى تولت الحكم باسم الاسلام وكانت بعيدة عنه ٠

واستطرد الشيخ الغزالى قائلا كيف يمكن للدين أن يكون دولة ، وهو عبارة عن حقائق خالدة لا تتغير بينما الدولة تخضع لعوامل التطور وتتدرج تحت بند التغيير المستمر ؟ صاحب الرسالة نفسه يبين أن هناك ما هو ثابت فى الدين فنص عليه ، وما هو متغير فوضـع له القواعـد والمبادىء ٠ ولنضرب المثل : الجهاد مبدأ لنصرة الحق ومنع الفتنة والضرب على أيدى المعتدين ٠ وكان الجهاد قديما يأخذ صورة بدائية ساذجة بأن ينادى مناد فى العاصمة مثلا الصـلاة جامعة ، فيجىء الناس ويكلفون بالذهاب الى ميدان كذا ٠ هل يمكن تصور جهاد بهذه الطريقة البدائية اليـوم على امتداد الزمن واختلاف الليل والنهار ؟ بالطبع لا ٠ فاليـوم الصورة تختلف اذ لابد من تعبئة الجيوش وتدريب الأفراد وترتيب الأسلحة وربط ميزانيات وعمل ترقيات وما الى ذلك ٠ أى أن المبدأ باق وتنفيذه متغير ٠ الشورى مثلا حقيقة اسلامية تجسدت عندما اجتمع الناس وانتخبوا أبا بكر ٠ الآن لابد من تنفيذ هذه الحقيقة فتعرف قوائم الناخبين ويعطى المرشحون حق عرض أنفسهم وتؤلف مجالس من المنتخبين تراقب الحاكم وتشير عليه وتجىء بخير منه ٠

قد يرد على القائلين بأن الاسلام عقيدة وشريعة بتساؤل مؤداه وهل الدين أدنى مرتبة من الدولة حتى يتحول اليها ويندمج فيها ؟ ألا يمكن أن تكون الممازجة بين أحكام الدنيـا وأحكام الشرع كفيلة بالاساءة الى شرع الله ؟

هذا كلام فيـه مغالطة ٠ اذا تحولت الشيوعية الى دولة وتحولت الثورة الفرنسية الى دولة وتحولت شتى المبادىء هنا وهناك الى دول تأخذ لنفسها ولأتباعها ما تريد ، فكيف يقال للدين أنت أعظم من ذلك ، اختف من ميادين الحياة ولا شأن لك بها ؟ هذا تفكير يدعو الى العجب ٠

اذا كان الاسلام يقيم مجتمعا كما وصفه الله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ٠ واذا كان الذين فهموا هذا الدين أقاموا الدولة وسيروا جيشا يأخذ حق الفقير من الغنى الذى أنكره وبخل به ، فهل يقال للدين أنت أكبر من ذلك أقعـد فى المسجد ودع الغنى يستمتع بماله ولا تفكر فى أخذه منه فأنت أكبر من احقاق الحق وابطال البـــاطل ؟

الداعون الى أن الاسلام عقيدة لا شريعة يرون وجوب تنحية الدين بما له من قدسية عن السياسة ؟

لابد أن تعمل القدسية لاحقاق الحق وابطال الباطل وعرض مبادئها على الآخرين ؟ هؤلاء يربئون بالاسلام عن أن يتدنى الى مرتبة السياسة فى أيامنا هذه خاصة وأنه كثيرا ما يقال بأن السياسة (لعبة قذرة) وبأن السياسى قد يتحالف مع الشيطان ويلجأ الى المداهنة والمراوغة ؟

من القائل بهذا ؟ السياسة التى تتحالف مع الشيطان لا دين لها ، معنى أبعاد الحكم عن الدين أنك تباعده عن الخلق والشرف والاخلاص والبراءة • وانى لأتساءل : ما هو الحرص على أن يكون السياسى لا دين له ولا خلق ولا شرف له ؟ وهل ساسة من هذا النوع هم أمل الانسانية ومحققو الاصلاح وخادمو الشعوب أم أن هؤلاء جراثيم عفنة يجب أن تستأصل وأن تبتعد الانسانية عنها ؟

ولكن الدولة على نظمها الدائمة التغيير عرضة للنقد والتجريح ، كما أنها عرضة للسقوط والهزائم فكيف نعرض الدين لذلك ؟

الذى يتعرض هم الأشخاص المخطئون ، أما المبادىء فلا تسقط ، لأننا عندما نتهم حاكما ونسقطه ، فانما نحاكمه ونسقطه متهما بأنه لم يخلص للمبدأ أو لم يقدره حق قدره ، وهذا هو الذى أزرى به • أما المبدأ نفسه فكيف يحاكم ؟ عندما أفصل قاضيا متهما فأنا لا أهين القضاء وانما أصون القضاء من رجل لم يرتفع الى مستوى طهره وعدله وشرفه •

ولكن هذا هو الانطباع الذى عكسته ثورة ايران الخومينى بالنسبة للعالم الخارجى ، ذلك أنها أظهرت الاسلام واجهة تبتعد عن السماحة والتحضر والنقاء والدعوة بالتى هى أحسن ؟ اننى أشعر بأن الذين يتحدثون عن الاسلام وحده من خلال تطبيق معوج فى بعض البلاد هم أصحاب غرض وليسوا مخلصين فيما يقولون • والا فما الذى أسكت هؤلاء عن سبعين ألف عربى قتلوا وجرحوا من بدء غزو اسرائيل للبنان الى أن وقعت مذبحة صابرا وشاتيلا • ان هذه المذبحة ليست الا حلقة من سلسلة من المذابح التى وقعت بين العرب واليهود • ولكن الظروف فقط هى التى كشفت المأساة الأخيرة • أما المفقودون والضحايا من بدء الغزو الى الآن فقد أسدل ستار كثيف على مصيرهم • والى الآن لم يتحدث أحد ثم يجىء سؤال آخر : ان الحروب الدينية لطخت رقعة أوروبا قرنا من الزمان أو أكثر •• ولا تزال لها بقايا فى ايرلندا • فمن الذى قال ان المسيحية ينبغى أن تطوى وأن دولة الفاتيكان ينبغى أن تحل لان الدين يصنع كذا وكذا ؟ ولا يزال سفك الدماء فى جنوب أفريقيا يستأصل مئات من الزنوج ، فماذا فعل الناس ضد جنوب أفريقيا ؟ ان الدول الكبرى رفضت أن تتخذ ضدها أى اجراء • فهل أخطاء حاكم مسلم فى بلد من البلاد هى التى يراد تضخيمها وحدها حتى يطوى الاسلام كله ؟ اننى أشعر بأن الأمر كله هنا موضع تساؤل مريب •

هناك حكومات دينية حولت الاسلام الى حكم أوتوقراطى قام على الديكتاتورية والاكراه ؟

وهذه الحكومات ليست اسلامية ، بل الذين ثاروا عليها هم المسلمون حقا • والوصف الحقيقى لهؤلاء الحكام أنهم مغتصبون •

قد يقول القائل بأن وضع القوانين العامة للأمة داخل هالة من التقديس ، قد يؤدى الى وقوعها بين يدى حاكم جائر يستغل حصانتها الدينية فى دعم سلطانه والحكم بهواه • وعليه فليس من صالحنا اليوم أن نغلف قوانيننا بحصانة دينية ، والا فاننا نعرضها ونعرض سمعة الدين معها للخطر ؟

هذا السؤال فيه خلط كبير بين التشريعات الاجتهادية والنصوص الدينية •• فالنصوص الدينية موضع احترام ، أما التشريعات الاجتهادية فى الفقه الاسلامى فان الخلاف فيها لا نهاية ولا حصر له • وقد سئل أبو حنيفة هل ما تقوله هو الحق الذى لا شك فيه ؟ فقال : لعله الباطل الذى لا شك فيه ••

ان القضية الواحدة تصدر فيها أربعة أحكام باسم الفقه الاسلامى ، وذلك مثلا : من أكره أحدا على قتل آخر فما الحكم ؟ كل ما افترضه العقل هنا قبل به الفقهاء فمنهم من حكم بقتل الاثنين ، ومنهم من منع قتلهما • ومنهم من حكم بقتل الأداة التى نفذت ، ومنهم من حكم بقتل المحرض الذى أكره الآخر على القتل • وليس لاجتهاد من هذه الأربعة قداسة • فلو وضعنا قوانين للعقوبات تنبع من الفقه الاسلامى بطريق الاجتهاد فلن تكون لها قداسة الدين نفسه ، بل ستكون أحكاما اجتهادية يمكن لمجلس الشعب مثلا أن يغيرها وأن يأتى بغيرها وهو مطمئن وغير متهم بالخروج عن الاسلام • ثم ان الأحكام المنصوص عليها قليلة فى الاسلام • فالاسلام مثلا لم يضع حكما محددا للنصب أو للربا •

يرى البعض أنه فى ظل مقولة الاسلام عقيدة وشريعة قد ينتفى العقل البشرى المناط به التكليف ، ويتساءل هؤلاء : ألا يمكن أن يكون للسياسة الوضعية فى الدول الاسلامية صبغة القوانين الاسلامية من حيث أنها تستهدف نفس الأهداف التى يتطلع اليها الشرع الاسلامى • لا سيما وأننا نعتبر بعض الفقه الاسلامى قانونا وضعيا • كما أن الشريعة نفسها قد اعتمدت أساسا على العرف والمصلحة والعقل ؟

هذا السؤال أكثر مدعاة للغرابة • فان السائل هنا اعترف بأن أحكام الاسلام تحوى كثيرا من الجهد البشرى والأوضاع الاجتماعية المتجددة وهذا ما قلناه •

ثانيا : اذا كان الاسلام قد اعترف بالمصلحة والعقل والعرف ، فما الذى ينكره السائل على الاسلام وتشريعاته اذ كانت تقوم على حماية المصلحة واحترام العقل ورعاية العرف ، ثم هل جعل هذه الأمور فى سياج من الضمير الدينى وخشية الله هو الذى يراد نفيه حتى يكون مدنيا لا دينيا ؟

ما الذى يكسبه الناس من أمانة الضمير الدينى على هذا النحو ؟ •

يجب ألا نسىء الظن بهؤلاء ، فهم يرون بأنه عندما نملك العقيدة وهى الأساس فانها ستضفى كل القيم لايجاد دستور شريعة وضعية لا تشوبها أية شائبة ؟ لا أستطيع أن أعترف أبدا بأن لهذه الدعوة كيانا علميا ، بل هى جهل شديد بآيات الكتاب وسنة النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وتاريخ الاسلام كله ، والذى أعرفه أنه يوم تموت آية من الكتاب فستموت يقينا الآية التى قبلها والتى بعدها • وقد قال الله تعالى لأناس من بنى اسرائيل: (**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض**) • وعندما يلغى (**كتب عليكم القصاص**) فما الذى يمنع من الغاء (**كتب عليكم الصيام**) • هذه آية وتلك آية ، وما يجوز على احداهما يجوز على الأخرى • ولذلك فأنا أنظر الى فصل العقيدة عن الشريعة على أنه أمر يشكل محاولة لضرب الايمان بالله واليوم الآخر فى صميمه •

الاعتماد على التشريعات الدنيوية والمدنية الوضعية ليس من الضرورة أن يشكل انفصالا عن الوحى أو يكون مضادا له ؟

من تجاربنا أن العقائد عندما تحرم حق الحياة فى نظام يرعاها وعندما تحرم حق التوجيه والدفع الى شتى المسالك والأعمال فانها تتحول الى خيال • والايمان شىء آخر أسمى من الخيال وأقوى من الأوهام ، وخصوصا أن اليهود الى جوارنا قامت دينا ودولة • ونرى مناحم بيجين يضع حدود دولته فيسميها الحدود النورانية • ومن عجب أن الشرق والغرب معا متفقون على اقامة هذه الدولة وعلى عدم الاعتراف بالبقاء العربى الا اذا اعترف بهذا الوجود الدولى والدينى لبنى اسرائيل ، فبأى حق يجىء من يقول لنا اجعلوا الاسلام عقيدة فقط ؟

لا يمكن قيام دولة حضارية بالمعنى المتعارف عليه اليوم الا اذا تحررت من ربقة الأفكار القديمة خاصة أن هناك من يتخوف دائما من انفراد ذوى الرجعية الدينية بالحكم ممن ينادى بعزل المجتمع الاسلامى عن الحضارة وأسبابها ؟

ولقد رأينا أناسا مدنيين وأناسا دينيين يهتفون بمبادىء عظيمة ، ولكنهم عند التنفيذ يسقطون دون مستواها • وأحب أن أسأل : هل الذين

تاجروا بمبادىء الحرية والاخاء والمساواة كانوا أخطر على الانسانية أم الذين طلبوا فى هذا العصر أن يكون الاسلام عقيدة وشريعة ؟

ليس كل داعية مبرأ من العيب • فكيف أئتمنه على أن يدعو باسم الاسلام أو على أن يحكم باسم الاسلام والاسلام منه براء • فكما أنه من الصعب أن نضع فى كل مسجد خطيبا يؤتمن على دين الله ، فكذلك من الصعب أن نضع فى كل دولة حاكما يؤتمن على دين الله ؟

حتى فى الدعوة الى الدين لا أستطيع أن أقول ان كل داعية مبرأ من العيب • فقد يكون منافقا وقد يكون مخادعا • ولكن هــل يترك الناس الدين والأخلاق لان بعض المشتغلين بالدين والأخلاق ليسوا على مستوى ما يقــولون ؟ ولكن يجب ألا ننسى أن السياسة دوامة صراع بين فكر البشر • وبهذا يجب أن تخضع لروح العصر والنظم السياسية الوضعية حتى لا يتهم الاسلام بالعجز عن تمكين الأمم من حقوقها السياسية الكاملة؟ ومن قال بأننا نمنعها من أن تخضع لما تريد ؟ غاية ما هناك اننى أقول ان الاسلام فى جو الحرية المصونة يكتسح ما عداه من شبهات وترهات • ولكنه يصاب اصابة جسيمة مع الاستبداد السياسى القومى •

القول بأن الاسلام عقيدة وشريعة يفتح الباب أمام استبداد المتطرفين دينيا للتأويل والمخادعة والمخاتلة وحجب المجتمع الاسلامى عن الحضارة ؟ ماذا قال التاريخ الانسانى للعالم الذى نعيش فيه عن الحضارة الاسلامية؟ هل قال ان الاسلام أوقف سير العقل أو منع الابتكار ؟ أم أثبت أن أوروبا ظلت فى عصور الظلام الى أن طلع عليها الاسلام فأنارها • وأن عصر الاحياء الذى بدأ مع أوائل القرن السادس عشر للميلاد نقل أوروبا من ظلمات كانت تعيش فيها الى عهد آخر • وأن هذه النقلة انما تمت بعد المعابر الثقافية التى جاءتها عن الأندلس والقسطنطينية والبلقان • أما المتطرفون الصغار الذين يتكلمون باسم الاسلام ولا فقه لهم ولا وعى ، فهؤلاء يجب أن يحاربوا مثلما يحارب الحكام الذين يرفعون شعار الحرية بينما لا وظيفة لهم الا فتح المعتقلات •

الاسلام عقيدة وعبادة وأخلاق وسلوك •• أما العقيدة فهى المدخل الأساسى للايمان وأما العبادة فهى اعلان الانسان عن خضــوعه ، وأما الأخلاق فهى انعكاس هذا وذاك على السلوك اليومى للمؤمن •• سواء مع نفسه أو مع غيره •

ولقد تحدث كثير من المؤرخين عن انتشار الاسلام بالسيف ، وكانوا منحازين ضده وغير منصفين له ، والحقيقة أن الاسلام قد انتشر لانه جاء بحياة أفضل من الحياة التى كانت قائمة يومئذ على الأرض ، وجاء بقيم ومبادىء وعدالة أفضل كثيرا مما كان موجودا يومئذ فى الساحة • ولولا

رحمة الاسلام وعدله ، ولولا النماذج المشرفة العليا التى كان عليها المسلمون الأوائل لولا هذا وذاك ما انتشر الاسلام بسرعته التى انتشر بها ٠٠ لان صراع الحياة يسفر دائما عن بقاء الأصلح ٠٠ وصدق الله سبحانه وتعالى اذ قال : (**فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض**) ٠ أدرك المسلمون الأوائل لماذا خلق الله الانسان وما هى مهمته فى الأرض ، وما هو دوره فى الحياة ، وما هى واجباته وحقوقه ، أدركوا هذا كله بيسر وأدوا دورهم فى الحياة فى ظل هذا الفهم على الوجه الأكمل ، وقدموا للتاريخ الانسانى صورة لمجتمع يسوده العدل والاخاء والرحمة والتسامح ٠

يعرف المسلم أن الله خلقه خليفة له فى الأرض ، وأن الله أمره بعبادته والعبادة لا تقتصر على أداء الفروض ، انما هى تمتد الى كل لحظة من لحظات الانسان وهذا يعنى أن عمل المسلم عبادة ، وأن اطعامه لأهله عبادة ، وأن سعيه لحل مشكلات الناس وقضاء مصالحهم عبادة ، بل أن هدف الشريعة هو تحقيق المصلحة ودفع المفسدة ٠

وبهذا الفهم الدقيق نجح المسلمون من أسلافنا فى دورهم وبقى علينا نحن أن نفهم دورنا ٠ ولعل أخطر نجاح حققه المسلمون الأوائل كان فهمهم العميق للزمن ٠٠ وأهمية اللحظة التاريخية وعلاقة المسلم بالوقت ٠٠ وادراك المسلم لأهمية الأسباب وضرورة العلم ٠

ويخطىء الذين يتصورون أن انتصار المسلمين فى معاركهم ضد الفرس أو الروم نبع من قوة الايمان وحدها دون بذل الجهد واعداد العدة ، ان هذا التصور فهم خاطىء لحركة المسلمين واهدار للجهد الذى بذلوه ، أن خالد بن الوليد ـ مثلا ـ كان يستخدم فى حروبه أسلوبا شديد التعقيد والتقدم عن أسلوب أعدائه ، فكان يفاجئهم من حيث لا ينوقعونه ، وكان يحدد زمان المعركة ومكانها بنفسه ، وكان يستغل كل عبقريته العسكرية فى مفاجأة العدو وارباكه وتحطيم قوته وسلاحه ٠٠ وكان يفعل هذا كله فى وقت خاطف لا يترك للعدو فرصة لجمع شمله أو تنظيم صفوفه ٠

كان هناك علم عسكرى اذن عند المسلمين ، وكانت هناك ادارة متقدمة ، وكانت الروح المعنوية فى ذروة كمالها ، وكان هناك قائد عبقرى يوجه قوته نحو هدفها من أقصر الطرق ٠ كان هذا هو الاسلام كما فهموه ٠ ولقد جاء الاسلام بعقيدة صحيحة فتميزت وسط العقائد الفاسدة لعبدة الأصنام ، وجاء بحكم عادل وسط حكم ظالم ، وجاء بنظام للتقاضى لا يتميز فيه الأمير عن الفقير ، وجاء بنظام للأسرة يصلح لتربية أجيال المستقبل ، وجاء بموقف من العقل ، فأمر أن يفكر ويبحث وينطلق فى آفاق الكون ، وحدث المسلمين بأن للنتائج أسبابا وبغير الأسباب لا وصول

للنتائج ، وحث الاسلام على العلم وأمر به وجعله جزءا من العبادة لو صحت فيه النية واتجه فيه القصد لله ٠

كيف نهدر اليــوم هذا كله ، ونتصور أن الاسلام عكوف فى الزوايا أو اختبــاء فى كهوف الجبال أو هجرة للمجتمع أو تخل عن الحياة ، ان الاسلام براء من هذا كله ٠

ان أخطــر مرض نعــانى منه اليوم ـ ربما أكثر من هذه المفــاهيم الخاطئة ـ هو عدم ادراكنا لعنصر الوقت ٠ وعدم ادراكنا لطبيعة الزمن وعناصر القوة فيه ٠ ان الله سبحانه وتعالى يقول :(**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدكم**) هل أعددنا نحن القوة ؟ وما هو مفهوم القوة فى عالمنا المعاصر اليوم ؟

لقد دخلت القوة البدوية الى المتحف حين تم اختراع الآلة ، ومع التطور الحديث فى عصرنا صارت القوة هى العلم ٠

هل يستفيد المجتمع الاسلامى من طالب فى السنة النهائية فى الطب أو الهندسة يترك دراسته ليهاجر الى الجبال أم يستفيد أكثر لو استمر هذا الطالب فى دراسته وتخرج طبيبا مسلما رحيما ينشر الاسلام برحمته فى علاج الخلق ، وما الذى يستفيده المجتمع من مكتشف أو مخترع أو عالم أو عبقرى قد جلس فى صومعته واعتزل الدنيا فى انتظار مجىء المجتمع الفاضل ٠ ان المجتمع الفاضل لا تصنعه الشعوب بالجلوس فى انتظاره انما تصنعه بالعمل والجهد والأخذ بحقائق العصر وأسباب العلم ٠

وهذا ما فهمه السابقون من أسلافنا ، وهذا ما لم يفهمه اللاحقون من الأبناء ، ان خريطة العالم الاسلامى تحدثنا عن حقائق كثيرة محزنة : أن العالم الاسلامى لا ينتج الطعام الذى يأكله ولا يصنع الملابس التى يرتديها ولا يصنع السلاح الذى يحارب به وهذا يعنى خضوع هذا المجتمع بشكل أو بآخر لوسائل من الضغط تهدده فى حياته وفى أمنه ٠

هل يستفيد مجتمع كهذا من طاقة انسانية تعتزل الحياة أم يستفيد لو وضعت هذه الطاقة نفسها فى خدمة الاسلام بهدف تطوير المجتمع ؟

ان حاجة الدين الى الدنيا لكى يستقر ويمتد ٠ كحاجة الروح الى البدن السوى كى يسمع ويبصر ويمشى ٠

ان الحياة فرصة ينبغى انتهازها ، وكل لحظة يقضيها الانسان فى هذه الدنيا يمكن أن يصنع فيها شيئاً ما ، فلا يجوز التجهم لها ، ولا القعود عنها ، ولا العجز عن أسبابها ، ولا الانصراف عن أبوابها ، ان التماوت قبل الموت هرب من وظيفة المرء فى الوجود ، ونكول عن حمل تكاليف الحياة ، وجهالة بأسرار الحكمة العليا ، وهــذا التماوت لا يمكن أن يكون دينا ٠

ان الدين حركة اصلاح للحياة اذا شردت ، وتوجيه لقواها الذاتية كي تعرف ربها وتتقيه ، وقد تسربت الينا جراثيم هذا التماوت مع بعض الفلسفات الانسحابية التي ولدتها أفكار المتشائمين ومشاعر المنهزمين ، ثم انتشر هذا الوباء مع انتشار ألوان معينة من التصوف في الأمة الاسلامية ، ومع فساد قواعد الحكم ومناهج التربية خلال القرون الأخيرة ٠

فكانت عقباه أن عاش جمهور المسلمين فوق أرض لا يحسنون استغلالها ، وتحت سماء لا يرمقون آفاقها وفي كون لا تعنيهم أسراره ولا تبهرهم أنواره ٠

على المسلمين اذا طلبوا وجه الله أن يصححوا موقفهم وأن يصوبوا نظرتهم الى الدنيا ٠ ولا يلبسوا الحق بالباطل فيفهموا أن التمكين في الأرض والامساك بزمامها بعض الاشتهاء لحرام أو بعض الخروج عن سنن الايمان ٠

ان الله تعالى يحدث المسلمين في كتابه عن البحر الذي سخره لهم لتجري الفلك فيه بأمره ، ووسط ألوف السفن التي تجري وسط البحار ليست هناك غير سفينة للمسلمين وسط كل ألف سفينة ٠ ويحدثنا الله تعالى فيقول : (**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**) ٠ ويسأل الشيخ الغزالي كم صنعنا من آلات الحديد ، انها النسبة الهزيلة نفسها نسبة الواحد في الألف ٠

وانظر الى الزراعة وهي حرفة الشعوب المتأخرة ، ان هناك مساحات هائلة في بلاد الاسلام لا تزال غفلا بكرا ، ما نقصت بركة الله فيها ولكنها تفتقر الى الأيدي العاملة لتجود بالخير ، وأين الأيدي العاملة بين أقوام مسخوا دينهم ليعيشوا في ظله كسالى قاصرين ، نحن اليوم في حاجة الى المسلم القوي ، نحن في حاجة الى مسلم يعرف كيف يعيش في القرن العشرين ، ويعرف كيف يواجه القرن الحادي والعشرين ، مسلم لا يعيش عالة على الغرب في ملابسه وطعامه وسلاحه وعلومه وآدابه وفنونه ، ان الاسلام منهج حياة شامل ٠

وهو منهج يتفق مع كل عصر كما يقول العلماء ، وهو منهج يرفض التبعية والتخلف وبالتالي هو منهج يبحث عن القوة في كل شيء ٠

قوة العقيدة ٠٠ وقوة العلم ٠٠ وقوة العدالة ٠٠ وقوة الاقتصاد وقوة الخير الى كل أنواع القوى في الأرض ٠٠ ويربط الاسلام هذا كله باليوم الآخر والبعث والمساءلة والحساب ٠٠ أي أن الانسان في منهج الاسلام مسئول أمام الله عن عمارته للأرض وقيامه بأمر الخلافة فيها ، وهذه مسألة عامة الى جوار أنه مسئول عن ايمانه وقيامه بواجباته الدينية وهذه مسألة خاصة ٠

أى أن الخاص والعام يجب أن يكونا موضع اهتمام المسلم ، وهذا هو الفهم الذى نريده للاسلام وهذا هو المسلم الذى تحتاج اليه الحياة اليـــوم ٠

ان المسلم المتعلم ٠٠ الواثق ٠٠ المتفتح ٠٠ والقوى الواعى ٠٠ خير كثيرا من المسلم الذى يعيش على هامش الحياة ، ولأهميـة عنصر القوى فى حياة المجتمعات الاسلامية تحدث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: (المسلم القوى خير وأحب الى الله من المسلم الضعيف) هذا ما تحتاج اليه الحياة اليوم ٠

وهذا ما تحتاج اليه المجتمعات الاسلامية فى العالم الثالث ٠ نحن فى حاجة للمسلم الذى يؤدى حق الخلافة فى الأرض ، وهذا حق لا يؤدى الا بالعلم والتعلم والجهد الكلى وجهود البارزين والعباقرة ٠

وأى تقصير فى مجال الخلافة فى الأرض يؤثر على وضع المسلمين العام ويؤدى الى تبعيتهم واعتمادهم على الآخرين وهـذا أمر يؤثر فى استقلال المسلمين ويهدر ارادتهم ٠

اذا اتفقنا على أن القوة مطلوبة فى عصرنا فان اتفاقنا على تطبيق الشريعة الاســلامية يصبح جزءا من الاستراتيجية العــامة للمجتمعات الاســلامية ٠

ان تطبيق الشريعة الاسلامية فى مصر أمر انعقدت عليه ارادة الأمة بحيث يصبح أى تشكيك فيه أو مزايدة عليه ضربا من الغفلة أو رغبة فى اثارة فتنة ٠

ان تطبيق الشريعة يحتـاج الى جهـد وعمل ويحتـاج الى الانسان المسلم الذى يطبق الشريعة تطبيقا يؤدى الى تقدم المجتمع والتفاف الناس حولهـــا ٠

أى أن أسـلوب التطبيق هنا بالغ الأهمية ، ولقد شاهدنا تطبيقا للاشتراكية فى مصر كانت نتيجته انصراف الناس عن الاشتراكية ، كما شاهدنا تطبيقا للرأسمالية والانفتاح وكانت النتيجة عدم فهم للفكرتين ، وشاهدنا حولنا فى المجتمعات العربية تطبيقات مختلفة للشريعة الاسلامية، وأحيانا كان الحاكم يطبق الشريعة كجزء من خطة تكتيكية لصرف الجماهير عن مشاكلها الى موضوع جديد مثير ٠

ومن هنا تتبدى أهمية النموذج الذى تقدمه مصر لتطبيق الشريعة ، وأى وقت ننفقه فى التفكير على هذا النموذج هو وقت يضمن لهذا النموذج أن يستثمر فى الحياة وأن يؤتى ثماره ٠

اننا فى مصر نطبق ٩٠٪ من الشريعة الاسلامية ، ان القانون المدنى كله ليست فيه سوى مادة واحدة خارج الشريعة الاسلامية هى التى تتصل بفوائد البنوك ، وكذلك فى القانون الجنائى أما قانون الأسرة فمشتق بأكمله من الشريعة ٠

ان تطبيق الشريعة أمر يتطلب بذل جهود فى أكثر من مكان وأكثر من زمان ٠

أن الشريعة الاسلامية صنعت للمجتمع الاسلامى ، وهكذا ينبغى أن يسير تطبيق الشريعة مع تربية الانسان المسلم ، وهذا يستتبع وقفة فى التعليم ، ووقفة أكثر من عاقلة مع الأخلاق وثورة فى الادارة وتفكيرا علميا متعمقا فى الاقتصاد فى ظل ظروفنا الداخلية وفى ظل الدول المحيطة بنا ومن خلال النظام الاقتصادى العالمى الذى نتأثر به تأثرا بليغا ٠

ذلك لان الشريعة الاسلامية تعنى التقدم فى هذا كله ، والأمر بقطع يد السارق فى الشريعة لا يجوز اذا كان فى المجتمع من لا يجد قوت يومه ٠٠ أو قوت عياله ٠٠ والا اذا بلغ المجتمع حد توفير عمل لكل أفراده ، والا اذا أقيم المجتمع المسلم الذى لا يجد الأغنياء فيه مصاريف للزكاة من فرط الرخاء العام ٠ اذا تكامل ذلك كله انطبق حد قطع يد السارق على من يسرق ٠

ان الاهتمام بتوجيه الانسان وتنقية القوانين مما يخالف الشريعة هما أمران يواجهان العمل العام ، كما أن تنقية القوانين تحتاج الى وقت، والعجلة فى هذا كله لا تخدم غير أعداء الشريعة ، ويدرج فى التشريع من مقاصد الشرع ، كما يقول علماء الأصول ٠ المهم أن تصدق النية وتتجه المشيئة ويبدأ العمل الحقيقى لذلك ، وليس الأمر سهلا ، ولكنه يستحق العناء ، ونلاحظ هنا أن هذا الجهد سيحتاج الى اجتهاد وسيحتاج الى حوار حتى يتم اختيار أفضل آراء العلماء ، وهذا هو الضمان الوحيد لنجاح التطبيق واستقراره ٠

ان الدستور المصرى يحمل مادة تقول : (الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع) ٠

وهذا نص تلتزم به الدولة ، كما يلتزم به المجتمع ، واذا جاء واحد وقال : بل نطبق الشريعة غدا ونطبق الحدود غدا ، ونقفز على الحكم بالقوة المسلحة وعن طريق الانقلاب ، اذا وقع هذا كان من حق المجتمع أن يتصدى له ، وكان من حق النظام أن يتصدى له ، على أن تتم عملية تنقية القوانين من خلال القنوات الدستورية والشريعة ، هذا هو الطريق الطبيعى ، أما طريق الظلام والمؤامرات ، فهو طريق مسدود ، وهو لا يؤدى

الى شيء سوى اهدار دم الشباب البريء المتحمس وتعويق مسيرة الشعب نحو تطبيق الشريعة والعيش فى ظل حياة كريمة ٠

٢ ـ يقول الدكتور محمد أحمد خلف الله ـ هل الاسلام دين ودولة ؟

تعتبر الصحوة الاسلامية حقيقة من أيام محمد بن عبد الوهاب ، ولكنها لم تأخذ المظهر العلمي السليم الا بعد ذلك ٠ ذلك لان محمد بن عبد الوهاب كان مثل السلفيين القدامى ٠

أما من جاءوا بعده فقد كان من أهدافهم الربط بين الحضارة الغربية والتراث الاسلامى ، وكانوا ممن يدعون الى التحديث ، وكانوا يعتمدون أيضا على أساس سلفى ، وأساس من النصوص الدينية ٠ وأساس من التقريب بين الاسلام والحضارة الغربية ، ثم جاء دور حسن البنا وهو قومى ٠ وحسن البنـــا أنشـــأ دعوته لتواجه جهود التبشير التى حاولها البريطانيون فى مصر ، ثم جاءت قضية الخلافة بعد الغاء الخلافة العثمانية فقوت أيضا من الشعور الديني ، ودفعت الى التمسك بمؤسسة الخلافة والدعوة الى اقامة مؤسسة الخلافة ٠ وبطبيعة الحال دعوة حسن البنـا كانت نقلة تحتاج الى شيء من الدراسة أو البحث ٠ فهو أول من دعا دعوة قوية الى أن الاسلام دين ودولة ، وهذا يواجه تراثا قديما بأن الاســلام عقيـــدة وشريعة ، والكتب التى تدرس فى الأزهر الى الآن تقـوم على هذا الأساس ٠

ومقولة أن الاسلام دين ودولة لها أساس من القرآن فى أن الاسلام دين ، ولكن ليس لها أساس فى أن الاسلام دولة ، فالدولة فى الاسلام أصلا دولة مدنية ، وليست دولة دينية ، ولذلك حينما نطالب بالدولة الاســلامية على أساس أنها دولة دينيــة أو الحكومة الاسلامية على أنهـا حكومة دينيــة نكون مخطئين دينيا ٠

هناك نظام نبوة انتهى بموت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهناك نظام خلافة بدأ بعد موته ، ونظام الخلافة بدأ مدنيا أو دنيويا ، ولم يبدأ دينيا ، فلم يترك الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ خليفة له ، وليس فى القرآن شيء محدد يتصل بنظام الحكم ، ولذلك اختلف المسلمون بعد وفاة النبى ، الأنصار اتجهوا فى جانب ، والمهاجرون فى جانب آخر ، وبعد جدل عميق اتفق على أن يكون أبو بكر هو الخليفة ، ومعنى ذلك أنه أختير من بين الناس ، وليس على أساس نص دينى ، ومن هنا لا نستطيع أن نقول ان حكومة الخلافة كانت حكومة دينية بالمعنى الذى يطالب به الناس الآن ٠

وجاء أبو بكر وعين عمر ، ومعنى ذلك أن النظام الذى جرى اتباعه فى اختيار أبى بكر لم يجر اتباعه فى اختيار عمر ، واختلاف النظام يدل على أنه نظام مدنى ، لأنه لو كان نظاما دينيا لالتزم به المسلمون ٠

وما دام ليس هناك التزام ، اذن فالقضية قضية دولة مدنية ، وليست دينية بطبيعة الحال بعد اختيار عمر ٠

وعند وفاة عمر اخترع نظام ثالث ، هذا النظام الثالث اختار ستة من الصحابة ، لم يخترهم لتقييمهم من حيث هم أشخاص ، انما رأى أن المسلمين قد يقتتلون فى سبيل من يكون الخليفة من بين هؤلاء ، ولذلك جمعهم ليختاروا أحدا منهم ليكون خليفة ، ومعنى ذلك أيضا أن القضية لا تزال قضية مدنية ، وليست قضية دينية ٠

بعد مقتل عثمان لم تكن هناك وحدة سياسية فى العالم الاسلامى ، وبعد مقتل على لم تكن هناك وحدة دينية ، هناك مذاهب متعددة ، وهناك فرق متعددة ، والرأى فى العملية الاسلامية رأى مختلف ٠

ونجد فيما يخص تيارات الحكم الاسلامى تيارات ثلاثة ٠ لا من حيث اختيار الخليفة ولكن من حيث الابقاء عليه ، أى من حيث الخروج على الخلافة أو الثورة عليها ٠

عند المسلمين امارة تسمى امارة الاستيلاء ، يعنى من يغلب بالقوة يستطيع أن يستولى ويصبح الحاكم ، وذلك دعوة الى الفوضى ، وتلك التيارات الدينية الثلاثة والى جانبها تيار يخص ابن خلدون بالذات ، أول هذه التيارات تيارات الفقهاء ، وهؤلاء أهل السنة والذين ساروا فى القضية منذ خلافة أبى بكر الى الآن ، ثم تيار الأدباء والمفكرين ، وهم الذين استقوا معلوماتهم من الفرس ، وهؤلاء حاولوا الحفاظ على الخلافة كأنها نظام ملكى ، ووضعوا نظما لتربية الخلفاء وأولادهم ٠

ثم تيار الفلاسفة ، وأشهرها الفارابى الذى يستمد مقوماته فى عملية الحكم وفى المدينة الفاضلة من التراث اليونانى ٠

وبعد ثورة ٥٢ وحدوث الخلاف الخطير بين عبد الناصر والاخوان المسلمين كان الاعتقال هو اللبنة الأولى فيما سمى بعد ذلك بالصحوة الاسلامية ففى المعتقل تجادل الاخوان المسلمون وتحاوروا ، وكان الدافع لهذا الجدل هو البحث عن معونة الله فى هذه المحنة التى هم فيها ، وقام سيد قطب بادخال مفاهيم الباكستانيين أو الهنود المسلمين الى الحوار الداخلى لجماعات الاخوان فى مصر ، وبدأ يتصدر هذه الحركة ، ومنها جاءت فكرة الحكومة الاسلامية ، ومن لم يحكم بما أنزل الله ، ومثل هذه التيارات القوية ، وجاء مقتل سيد قطب عملا اعتبره الاخوان من أعمال العنف ، وأنه شهيد ، وقرروا فيما بينهم وهم لا يزالون فى السجن الأخذ بالثأر ٠ ولذلك كان قتل سيد قطب مؤشرا الى أنه أصبح هناك عداوة بين النظام والاخوان عداوة لابد من الانتقام لها ٠

وحينما جـاء السادات وقع فى خطـأ هو الذى أدى الى أن أصبح للجماعة الاسـلامية قوتها ولها فاعليتها حتى قبل أن يأتى الخومينى فى ايران ، فالسادات أراد أن يضرب النـاصريين والشيوعيين واعتمد على الجماعات الدينية فى هذه العملية ، ودفعها فى سبيل العنف لانه وزع عليهم أشـياء مما تستخدم فى العنف ، وكان الواسـطة فى ذلك محافظ اسيوط السابق ، كان هو الأداة لتزويد هؤلاء الناس بالأسلحة ، وهذه الجماعات اختلفت فيما بينهـا قبل أن تخـرج من المعتقل حول طريقة استخدام العنف ، لكنها جميعا كانت قد تبنت العنف ، وكان الخلاف هل يتم استخدام العنف الآن أم أن المصلحة تحتم تأجيله حتى تقوى شوكة هذه الجمـاعات : جماعة الجهاد وهم الذين يستخدمون العنف استخداما حاليا ، وجماعة التكفير والهجرة من الذين يرجئون استخدام العنف حتى يكون هنـاك وسيلة من وسائل العمل ، لقد حدث صراع بينهم وتبادلت كلتاهما تكفير الأخرى ، فالنية كانت مبيتة على العنف ، وأنهم لن يلجأوا الى السلام أو الى الحوار ، وساعد على ذلك أدوات استخدام العنف التى وجدت فى أيديهم أيام السادات ، ثم جاءت الثورة الاسلامية فى ايران والتى أغرت بأن من الممكن قيامها فى أية دولة اسلامية ·

وهم حينما ذهبوا الى التكفير واعتمدوا على المسلمين الباكستانيين ، والمسلمون الباكستانيون فى أحكامهم كانوا صادقين ، لان الحكام كانوا اما هنودا واما انجليزا ، فالتكفير أقيم على مضمون حقيقى · وحتى عندما اعتمدوا على ابن تيمية ، فلقد كان لابن تيمية موقفه من التتار ، وهو أيضا موقف مماثل ، فالتتار لم يكونوا مسلمين ، والحكم عليهم حكم صادق ·

أما الحكم على مجتمع مسلم ، وأركان الاسلام تؤدى فيه ، وأركان الاسلام هى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا ، هذه الأركان قائمة وتؤدى فى هذا المجتمع ، وليس من السهل أن يحكم على المجتمع بأنه كافر ومن هنا فالتصور أن المجتمع لابد أن يدافع عن نفسه ، مادام يؤدى أركان الاسلام فلابد أن يدافع عن نفسه ضد هذا العنف، تأتى بعد ذلك عملية ايران · المذهب هنـاك شيعى ، والامام له من الحقوق والواجبات أكثر من أى عالم فى الدين من أهل السنة ، هناك لدى الشيعة كلام الامام جزء من الدين ، أما أهل السنة فليس لأى مسلم هذا السلطان، فالامام الشيعى حينما يوجه المسلمين فى ايران يتجهون الى حيث يقول ، ومن أجل هذا لا تكون المسألة فى مصر مساوية للمسألة فى ايران ·

ان الظـاهرة الحالية التى تقترن بالصحوة الاسلامية وهى الجماعات التى تتسم فى فكرها بقدر غير ضئيل من الغلو والتى تكفر المجتمع وتحكم عليه بالجاهلية ، وتهتم بشكل الاسلام أكثر مما تهتم بجوهر الاسلام ،

وتهتم بالرموز أكثر مما تهتم بالعقلانية فى فهم الدين الاسلامى ، لا تتميز بالاستنارة ، وانما تتميز بتيـار الغضب ، هم قوم غاضبون للخروج عن الأخـلاقيات الاسلامية ، هم قوم غاضبون للتفريط فى القيم الاسلامية ، هم قوم يقفون فى موقع التحدى للنموذج الغربى ، حتى هذه الشكليات التى يتمسكون بها : اللحية والجلباب والسواك والاهتمام بالأشياء الرمزية ٠

لقد كان شـكرى مصطفى لا يستخدم الكهرباء ، ولكن كان يشعل مصباحا ، ولم يكن ينام على السرير بل على الأرض ، أى يحرم ما لم يكن يستعمله الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مع أنه كان يستخدم المواصلات والتليفون وباقى أدوات الحضارة ، فهل هذا هو الاسلام ؟

اننا حين نقول الصحوة الاسلامية ، نقصد بالاسلام هنا الاسلام الدين ، واذا فسرناه بانه الاسلام الناجم عن التفكير البشرى ، أو عن اجتهاد العقل البشرى ، فان موقفنا يكون مغايرا ٠ نحن ملتزمون بالاسلام الدين الذى مصدره الكتاب ، والذى بينته السنة ، أما ما جاء عن غير ذلك ، ما جاء عن التفكير ٠٠ تفكير الانسـان المسلم فى قضـايا عصره ووضعه ، فهى أحكام يكون التزاما بها مجرد التزام أدبى ، وليس التزاما دينيا ، اذا ما رجعنا الى القرآن والى مسألة الاسلام عقيدة وشريعة نجد أن الاسلام عقيدة وشريعة ، وأن الشريعة نوعان : نوع هو العبادات ، ونوع آخر هو المعاملات ٠ الاسلام من حيث هو عقيدة يتعلق غالبا بالغيبيات ، وعلى المسلم أن يؤمن به ويلتزم ويصدق ٠

حينما نأتى الى مقولة الاسلام دين ودولة : نجد أن الاسلام دين جاء به القرآن (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا**) و (**ان الدين عند الله الاسلام**) ٠

وليس فى الكتاب ما يدل على أن الاسلام دولة بأى حال من الأحوال ، وكلمة دولة فى القرآن حينما وردت تسمى الأشياء التى تتداول بين الناس، ولم تأت الدولة بمعنى الحكم ، والذى ورد بمعنى الحكم أو السلطان هو الملك ، والقرآن نفى عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يكون له ملك أو أن يكون ملكا ٠

ان تحكم الملوك باسم الحق الالهى هذا جاء أيضا فى القرآن ، ولكن النبى لم يوصف بها (**وقال لهم نبيهم أن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم**) فكون الملوك تستمد سلطانها أحيانا من الله جاء بها القرآن ، ومن أجل هذا هناك أنبياء جمعوا بين النبوة والملك كسليمان وداود ، أما النبى ــ عليه السلام ــ فلم يجمع بين الآمرين،وظل النبى رسولا الى أن توفاه الله ، فانما هو كان يمارس الأعمال ويدير الحياة

فى المجتمعات باسم النبوة والاسلام ، ومن أجل هذا جعل القرآن الكريم طاعة الرسول من طاعة الله ٠

وعلى هذا الأساس اذا كان نظام الحكم فى الاسلام نظاما ناجما عن اجتهاد العقل البشرى فهو بهذا المعنى نظام علماني لا يقوم على أساس من النص الدينى حتى نقول عنه أنه نظام دينى ، فهو نظام علمانى بمعنى أنه ناجم عن اجتهادات العقل البشرى ، والمسلمون هم الذين توصلوا الى نظام الخلافة الذى يعتبر امتدادا للنبوة أو الرسالة انه نظام بشرى يخالف النظام الرومانى والنظام الفارسي في ذلك الوقت ، فهو نظام عربى خالص اجتهد فيـه العرب المسلمون وأقاموه وأصـبح نظاما للحكم فى البـلاد الاسلامية ٠

من هذه الناحية نستطيع أن نقول ان الصحوة الاسـلامية عندما تطالب بالخلافة ، فهى تدعونا الى نظام تشريعي أقامه العقل البشرى ، ونحن حينما نقول مصادر التشريع أربعة ،فهى مصادر للتشريع وليست مصادر للدين ، مصدر الدين هو الله ، ولكن مصادر التشريع متعددة ٠ قد يكون النص ممثلا فى الكتاب أو السنة ، وقد يكون الاجتهاد ممثلا فى الاجماع وفى القياس ، ففى التشريع الاجتهاد ، وهو اجتهاد للعقل البشرى، وهذا النوع من الاجتهاد لسنا ملزمين به ، هذا يدعونا الى أن نتحدث عن مذاهب الفقهاء وكتب الفقه ، ومذاهب الفقهاء فى ميـدان المعاملات ليست الا قانونا وضعيا ٠٠ ليست الا اجتهـادا من اجتهادات هـؤلاء النـاس ، فنحن حينما نفكر في الصناعة أو فى الزراعـة أو فى التجارة وغيرها لا نستطيع أن نقول ان ما انتهى اليه هؤلاء الفقهـاء هو تشريع دينى ، وانما هو تشريع دنيوى ٠

وعندما ندعو الى مذاهب الفقهاء فمن حقنا أن نقبل أو نرفض ، لاننا هنا يجب أن نميز بين ما كان مصدره الاجتهاد وما كان مصدره النص ، سواء من الكتاب أو السنة ، وحتي في نطاق ما كان مصدره النص فهناك خلاف بين العبادات والمعاملات ٠

العبادات حق الله لا يمكن المساس به ٠ أما المعاملات فحيث انها علاقة بين الانسان والانسان أو بين الانسان والأشياء ، فمن الممكن حتى ايقاف النص اذا كان النص يخالف المصلحة العامة ، وقد أوقف النص كثيرا ، وأقرب ما يكون كتمثال قضية الغنائم ، فآية الغنائم معطلة لان النظام القتالى الموجود فى القرآن قد تغير ، وبناء على ذلك فان نظـام توزيع الغنائم الذى يترتب على هذا النظام القتالى قد تغير أيضا ، اذن فليكن مبدؤنا هو أن نميز بين ما مصدره اجتهاد العقل البشرى وما مصدره النص ، فاذا كان مصدره العقل البشرى فلنا الحق كل الحق فى أن نغيره

ونستبدله ونأتى بغيره ونمارس حياتنا على الأسس التى تتفق ومصلحتنا فى هذا العصر ٠

ان هناك ثلاث مستويات للشريعة يخلط الكثيرون بينها : المستوى الأول ما تمثله النصوص القطعية فى الكتاب والسنة التشريعية لان السنة جزئية ٠ سنة تشريعية وسنة غير تشريعية ٠ والمستوى الثانى : التفسيرات الفقهية للنصوص التشريعية التى وردت فى الكتاب أو السنة ، المستوى الثالث : الممارسات الفعلية التى حدثت فى التاريخ السياسى والاقتصادى والاجتماعى الاسلامى ، والتى كان يمارسها الحكام المسلمون فى تنظيم المعاملات بين الناس ، بالنسبة للمستوى الأول المتعلق بنصوص الكتاب فان عدد آيات القرآن الكريم لا يزيد على ستة آلاف آية لم يتعرض منها للمعاملات القانونية الا ما يزيد قليلا أو يقل قليلا عن المائتى آية ٠ وأغلب الآيات متعلقة بالعقائد والعبادات وبالقصص الدينى ، ولكن القليل جدا من الآيات هو الذى نظم شئون المعاملات ٠

ان أغلب هذه الآيات يتعرض للحدود وللميراث ولمسائل البيع ، وكلها قضايا كانت توافق حالة المجتمع الاسلامى فى ذلك الوقت ، ولكن المجتمع الاسلامى قد تجاوزها الآن بكثير ، وأصبح هناك كثير من القضايا القانونية الأكثر تعقيدا والتى تستدعى تنظيما قانونيا جديدا لانه ليس هناك تنظيم لها فى الكتاب أو السنة ٠

وحتى آراء الفقهاء أيضا غير ملزمة منها ما نراه مناسبا لنا ، ونطرح ما نراه غير مناسب لنا ، واذن فان الملزم فقط هو ما جاء نصا فى الكتاب الا أن يتعارض مع المصلحة العامة ، وبالتالى فانه حتى فى نطاق النصوص المتعلقة بالمعاملات فان من حقنا اذن أن نسأل ما مصدر الزامها ، وهل تكون حجيتها نسبية مقصورة على المجتمع الاسلامى فى ذلك الوقت أو أن لها حجية مطلقة ؟ واذا كان لها حجية مطلقة فما مصدر هذا الانطلاق من الكتاب أو السنة ٠

وسوف نبدأ بآيات الحدود : (**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله**) (**انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف**) ٠ (**الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**) ٠
وعلينا أن نعرف أيضا أنه لا يوجد حد على الخمر ٠ انما هناك نهى عن الخمر ٠ والذى وضع (حد) الخمر هو الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكان العقاب الضرب بالنعال ، وعندما استفتى عمر عليا بن أبى طالب حول جزاء شارب الخمر قال على : اذا شرب هذا وحاول النيل من أعراض المحصنات والغافلات فخذوه حد المفترى وهو الجلد مائة جلدة ٠ ومن الآيات

القطعية التى وردت تنظيما للمعاملات فى المجتمع الاسلامى الآيات التى تنظم (الميراث) ٠

كيف تعامل الصحابة وكانوا أكثر فهما للاسلام منا مع هذه الآيات ؟ وكيف تعرضوا للمسألة النسبية فى ذلك الوقت ؟

لقد أوقف عمر بن الخطاب عام الرمادة (حد) قطع يد السارق ولم يطبقه ، وفى مسائل الميراث عرضت عليه مسألة تسمى بالحجرية أو الحمارية حيث ذهب اليه أناس لكى يرثوا ، وهم لا يرثون وفقا لقواعد النصوص التى وردت فى القرآن الكريم ، وانما المنطق يورثهم ٠ وقالوا له هب أبانا حجرا أو حمارا يا عمر فورثهم بالمخالفة لقواعد الميراث التى وردت فى القرآن الكريم ، والنموذج الثالث فهو سهم المؤلفة قلوبهم (**انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم**) فنجد أن عمر أبطل سهم المؤلفة قلوبهم ، لان حكمته انتهت ، ومن هنا فانه حتى فى المستوى الأول مستوى النصوص الشرعية المنظمة للمعاملات اليومية فانى أميل الى الأخذ بنسبيتها ٠ أى بتفسيرها فى سياق تاريخى محدد ٠

ومن هذا المنطق فسرت آيات الحجاب وآيات الميراث وأخذ بفكرة أن الشريعة مقاصد وليست نصوصا قطعية ملزمة فى كافة العصور ٠

والمقاصد كالنفس والنسل والمال والدين ، ويمكن اقامة مقاصد أخرى كاطعام الجائع وكسوة العارى ٠٠ الخ ٠

وهذه المقاصد تتغير حسب كل زمان ومكان ٠

٣ ــ يقول المستشار سعيد العشماوى ٠٠ ما موقف الربا والفوائد بين الشريعة والقانون الوضعى ؟

جاء فى القرآن الكريم (**الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا**) سورة البقرة وسبب نزول هذه الآية أن العرب كانت تناسىء فى المال ، وتفاضل فى العقود والمطعومات ، فاذا حل أجل استيفاء الدين كان الدائن يسأل المدين : أتقضى أم تربى ؟ أى هل تسدد الدين أم تزيد الى أجل آخر ، وكان المدين يستسهل التأجيل فيزيد فى المال زيادة كبيرة (الضعف أو ما يماثل) مقابل أجل (ربما كان قصيرا) وكثيرا ما كان يتوالى التأجيل والمضاعفة حتى يحل أجل لا يستطيع فيه المدين الوفاء بالدين ، ولا يقبل الدائن تأجيل السداد فيفلس المدين لدين كان فى الأصل قليلا ، ثم تضاعف عليه بالتأجيل أضعافا مضاعفة ، ويمكن أن يكون ذلك سببا فى استرقاقه ، لان جزاء عدم الوفاء بالدين كان تملك الدائن للمدين ، فيصبح هذا رقيقا (عبدا) لدائنه أو لمن يبيعه اليه ٠

وقد أراد القرآن منع هذا الوضع الشاذ فى مجتمع المؤمنين ، فجاء نص الآية (**وأحل الله البيع وحرم الربا**) ونتيجة الأخذ بظواهر الألفاظ وعدم ادراك حكمة التشريع ، يرى البعض أن كل بيع حلال ، وكل زيادة فى مال الدين حرام ، والواقع غير ذلك ، فليس كل بيع حلالا ، وليست كل فائدة حراما . فالربا فى اللغة يعنى الزيادة المطلقة ، يقال ربا الشيء يربو اذا زاد ، وقد أطلق شرعا على الكسب الحرام (**وأخذهم الربا وقد نهوا عنه**) ولا يقصد بهذا الربا المقصود فى الآية بل المال الحرام مثل قوله تعالى : (**سماعون للكذب أكالون للسحت**) .

والربا المقصود بالآية هو ربا (النسيئة) والتفاضل فى العقود والمطعومات ، والقرآن الكريم لم يبين المقصود من الربا المحرم ولا المقصود من البيع الحلال ، وقد نشط الفقه الاسلامى الى تحديد ذلك استهداء بأحاديث وتصرفات النبى صلى الله عليه وسلم .

ويرى هذا الفقه حظر بعض البيوع (على الرغم من أن ظاهر لفظ القرآن يفيد حل البيع على الاطلاق) لما يراه الفقهاء من أن هذه البيوع تلحق ضررا بأحد طرفيها مما يتنافى مع روح الاسلام .

مع ذلك بيع العينة ، وهو بيع بثمن معلوم الى أجل مسمى ، ثم شراء المبيع بأقل من الثمن المباع به . وسمى بيع العينة لحضور النقد ، وكذلك بيوع أخرى مثل المزاينة ، وهو بيع شيء جزاف لا يعلم كيله ولا وزنه ولا عدده بشيء مسمى من الكيل أو الوزن أو العدد ، وبيع المحاقلة وهو بيع الزرع قبل بدء صلاحه ، وقيل انه بيع الزرع فى سنبله بالحنطة ، وقيل المزارعة على نصيب معلوم بالثلث أو الربع أو غير ذلك .

ومن البيوع المحظورة اختلاط البيع بالسلف ، وهذا ما كان يعرفه فى القانون المصرى ببيع الوفاء ، وحظره القانون المدنى النافذ حاليا ، وكان قوام هذا البيع أن يبيع المدين الى الدائن شيئا (عقارا أو منقولا) مقابل قرض يقترضه منه على أن يسترد المبيع فى أجل معين يقدر هو أنه سوف يستطيع فيه الوفاء بما اقترض ، ثم يحدث أن يسوء تقديره فلا يستطيع الوفاء فى الأجل — وغالبا ما يحدث ذلك — فيصير البيع باتا مع أن ما اقترضه من مال أقل بكثير من قيمة المبيع ، وقد نص القانون فى المادة ٤٦٤ على أنه (اذا احتفظ البائع عند البيع بحق استرداد البيع خلال مدة معينة وقع البيع باطلا) .

فالحقيقة اذن — على الرغم من ظاهر الفاظ القرآن أن ليس كل بيع حلالا ، وكذلك فليست كل فائدة ربا حراما .

فالقانون المصرى ينص فى المادة ٢٢٦ على أنه (اذا كان محل الالتزام مبلغا من النقود وكان معلوم المقدار وقت الطلب وتأخر المدين عن الوفاء به كان ملزما بأن يدفع للدائن على سبيل التعويض عن التأخير فوائد قدرها أربعة فى المائة فى المسائل المدنية ، وخمسة فى المائة فى المسائل التجارية ، وتسرى هذه الفوائد من تاريخ المطالبة القضائية بها ان لم يحدد الاتفاق أو العرف التجارى تاريخا آخر لسريانها ، وهذا كله ما لم ينص القانون على غيره) وينص فى المادة ٢٧ على أنه (يجوز للمتعاقدين أن يتفقا على سعر آخر للفوائد سواء أكان ذلك فى مقابل تأخير الوفاء ، أم فى أية حالة تشترط فيها الفوائد على ألا يزيد هذا السعر على سبعة فى المائة ، فاذا اتفقا على فوائد تزيد على هذا السعر وجب تخفيضها الى سبعة فى المائة وتعين رد ما دفع زائدا على هذا القدر ·

وكل عمولة أو منفعة أيا كان نوعها اشترطها الدائن اذا زادت هى والفائدة المتفق عليها على الحد الأقصى المتقدم ذكره تعتبر فائدة مستترة ، وتكون قابلة للتخفيض اذا ما ثبت أن هـذه العمولة أو المنفعة لا تقابلها خدمة حقيقية يكون الدائن قد أداها ولا منفعة مشروعة) ·

بمقتضى هذه الأحكام تحتسب على الديون فوائد اتفاقية حتى ٧٪ من أصل الدين سنويا ، فاذا لم يتفق الطرفان على سعر الفائدة كانت ٤٪ فى المسائل المدنية و٥٪ فى المسائل التجـارية يبدأ سريانها من تاريخ المطالبة القضائية ·

هذه الأحكام هى التى يتصور من ظاهرها قيام اختلاف بين النظام القانونى المصرى والنظام التشريعى الاسلامى ، فهل هى تمثل اختلافا فى الأحـكام أو أنها فى الواقع نتيجة طبيعية لاختـلاف حدود المكان وتغير أحوال الزمان ؟

ان الأمر يقتضى لجلائه اجراء مقارنة بين نظام الربا ونظام الفوائد على الديون ، وتحدد الخلافات فى أربع نقاط ·

أولا : الربا يقع فى المثليات ، والفوائد تكون فى النقود ، وهى ليست مثليات : ففى حديث عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رواه مسلم (الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى ·· الآخذ والمعطى فيه سواء بسواء) ·

وفى حديث آخر رواه عبادة بن الصامت : (الذهب بالذهب تبرها (الخام) وعينها (المضروب) والبر بالبر مدا بمد ، والشعير بالشعير

مدا بمــد ، والتمر بالتمر مدا بمــد ، والملح بالملح مدا بمــد ، فمن زاد أو ازداد فقد أربى . فلا بأس ببيع البر بالشعر والشعير أكثرهما يدا بيد وأما نسيئه فلا) وفى قول آخر : (فاذا اختلفت هــذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد) . وواضح مما سلف أن الأمر يتعلق بمثليات وفى عمليات مقايضة تتم فورا وفى الحال ، والمقصود بالمثليات ما يتماثل نوعا كالحبوب والتمر والفواكه وما شابه ذلك ، والمعنى بالمقايضة أنها تتم مبادلة لشيء دون تدخل عنصر النقود كمعيار لتحديد قيمة كل من عنصرى المبادلة .

والمقايضة كانت هى أسلوب التعامل فى مجتمع المدينة حيث نزل التشريع ، فلم يكن فى هذا المجتمع نقود ولم يعرف عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه سك عملة ، وانما كان العرب يتداولون العملات الذهبية الخاصة بالروم (ذهب الروم) ، والعملات الفضية الخاصة باليمن (فضة اليمن) ، وهذا التبادل كان يتم على أساس المقايضة أيضا ، فلم يكن هناك نظام نقدى تصدره الدولة وتقدر فيه قيمة النقود تبعا لأسباب كثيرة متغيرة كما هو الحال فى العصر الحالى ، وكما سوف يأتى بيــانه ، انما كان يتم تبادل الذهب والفضة باعتبارها مثليات ــ أى مواد من عنصر واحد متشابهة متقاربة شأنها فى ذلك شأن الحبوب والثمار والفاكهة .

وفى مجتمع المقايضة تتم غالبا فى مدينة واحدة تكون أغلب الحبوب والثمار والفاكهة فيها متشابهة متقاربة لتماثل التربة وأسلوب الزراعة وطريقة الرى وما الى ذلك ، ففى واقع كهذا تكون الزيادة بين المتماثلات ربا ، وتكون الزيادة فى النسيئة ربا كذلك خاصة مع توافر شروط أخرى .

ويلاحظ فى الحديث الشريف أنه لا بأس ببيع الذهب بالفضة ، والبر بالشعير ، كما أنه فى رواية عبادة بن الصامت يقول : (فاذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم) أى أن المحظور والربا انما يكون فى المقايضة بين مثليات ، أما اذا اختلف عنصر المقايضة كأن كان ذهبا وفضة أو برا وشعيرا أو ذهبا وبرا فلا مجال لاعمال حكم الآية أبدا ، ولا يكون ثم ربا على الاطلاق .

والنقود فى العصر الحالى ــ حتى وان كانت ذهبا أو فضة ــ ليست هى القيمة ، بل هى رمز للقيمة يتغير من يوم ليوم ومن بلد الى بلد ، بل وتتغير قيمته فى نفس المكان وفى ذات الزمان باختلاف قدرته الشرائية .

فقيمة النقد الورقى هى فى ضمان جهة الاصدار (الدولة) صرف عدد معين من وحدات معينة (١٠٠ قرش مثلا) غير أن هذه هى القيمة الاسمية ، أما القيمة الفعلية فهى فيما يمكن شراؤه بهذه الوحدات ، فيوجد ثم فارق بين القيمة الاسمية (أو القانونية) للنقد والقيمة الفعلية (أو

القوة الشرائية) له ، وكذلك الحال فى الذهب والفضة ، فالعملة الذهبية أو الفضية لها قيمة قانونية (مائة جنيه أو خمسة جنيهات أو عشرون قرشا ٠٠ وهكذا) وهذه القيمة القانونية فى الغالب تكون أقل من سعر الذهب أو الفضة فى سوق المعادن والا سحبها التجار وبيعت مصاغا ، ويكون ذلك أكسب لهم ، فالقيمة القانونية للمعادن دائما ـ فى العصر الحالى ـ تقل عن القيمة الفعلية ، وقوتها الشرائية تختلف من مكان الى مكان ومن وقت الى وقت ومن سلعة الى سلعة فهى بذلك ليست مثليات أبدا ولن تكون ٠

ان النقود فى واقع الحال هى رمز القيمة ، وهى ليست القيمة أبدا ، لأنها لا تباع ولا تتبادل لذاتها ، ولكن للقيمة التى تعبر عنها ، وهذه القيمة تختلف فى سوق النقد وفى سوق السلع تبعا لعوامل كثيرة جدا بحيث يندر أن يكون النقد متماثلا فى رمزه ، ففى الأزمنة السالفة كانت الحياة مستقرة غير متحركة ، وكانت البلدان معزولة تتعامل مع بعضها بندرة شديدة وبالمقايضة غالبا بين أشياء متماثلة الصنف وثابتة السعر ، أما فى العصر الحديث فقد تحول العالم كله الى قيمة الكترونية وأصبح سعر عملة كل بلد يتحدد بعناصر كثيرة منها حجم الاستيراد والتصدير ومدى وجود ثروات طبيعية ، وقوة التشغيل فى البلد وحالة التضخم أو الانكماش وانفاق الدولة أو امساكها ٠٠ وما الى ذلك من عناصر تجعل سعر النقد متغيرا بين يوم وآخر هذا فضلا عن أن السلع والخدمات المعروضة يتغير سعرها دائما تبعا لقانون العرض والطلب ، وثمن الاستيراد وسعر العملات الأجنبية التى تم بها الاستيراد ، وما الى ذلك ، ويعنى هذا كله أنه لا يوجد ثبات أبدا لا فى سعر النقد ولا فى سعر السلع وأن التماثل فيها مستبعد تماما ٠

فالمقايضة تتم بين متماثلات ثوابت ، أما التعامل بالنقد فهو تعامل بين عنصرين كليهما متغير غير ثابت ، وبناء على ذلك فانه اذا أمكن حساب الفارق بين المتماثلات لثوابت فانه يستحيل تحديده بين عنصرين متغيرين، واذا كان التعامل فى المثليات يمكن أن يشكل ربا ٠ فالنقود ليست مثلية ولا هى القيمة ، وانما هى رمز القيمة يتغير بكل عناصره تغيرا مستمرا ٠

وربما لأقل من ذلك فقد اختلفت الرواية عن الامام مالك فى الفلوس (النقود) فألحقها بالدراهم من حيث كانت ثمنا للأشياء ومنع من الحاقها مرة من حيث أنها ليست ثمنا فى كل بلد ، وانما يختص بها بلد دون بلد يضاف الى كل ذلك أن النقود ليست فى العصر الحالى هى العملات المعدنية والعملات الورقيسة ـ ذلك معنى تقليدى تجاوزته الأساليب الاقتصادية الحديثة فمما يعتبر نقدا فى الوقت الحالى ويأخذ حكم النقد فى أنه رمز للقيمة وله قوة شرائية : الاعتمادات المالية وخطابات الضمان،

والشيكات بأنواعها وسندات الخزانة والتسهيلات الائتمانية وما الى ذلك وكثير من هذه عبارة عن اجراءات حسابية ومقاصات متوالية فلا هي مقايضة ولا هي نقد تقليدي وبالتالي فهي بعيدة عن فكرة المثلية ٠

ثانيا : الربا يقع بين شخصين ملحوظ فيه كل منهما ، ويستغل فيه الدائن شخص المدين والفائدة تقع بين مال ومال أو بين نظامين ماليين :

في مجتمع المدينة يقوم التعامل بالمقايضة بين شخصين ، فاذا كان ثم تداين فان العلاقة بين الشخصين لابد أن تكون قائمة ، وأن يكون شخص كل منهما ملحوظا عند التعاقد ، فالدائن يعنى بأن يكون على معرفة تامة بالمدين حتى يعرف أين يضع ماله ، وأن التعامل كان يتم على أساس الثقة الشخصية والمدين كان لابد أن يكون على معرفة تامه بالدائن ليضمن ما يحدث له ان تخلف عن سداد الدين ، انها في الواقع علاقة بين شخصين، وقد أراد القرآن أن يقيم العلاقات بين المؤمنين في المجتمع الناشيء بالمدينة على أساس التقوى والفضل ، لا على أساس استغلال الحاجة ٠ فمثل هذا الاستغلال كان قمينا بما يزلزل المجتمع في بداية تكوينه وأن يقيم حواجز من العداء بين المؤمنين ، أما نظام الفوائد على الديون فالملاحظ فيه المال لا الشخص ،أى أنه يتم بين مال ومال لا بين شخص وشخص وكم التعامل بين المؤسسات (شركات أم هيئات أم مصارف أم دول) يستغرق حوالى ٩٨٪ من الائتمان العالمي ٠ فالعلاقات هنا معنوية محضة ، ولا دخل للأشخاص فيها ، وحتى عندما يكون التعامل بين شخص ومصرف فان قدرة الشخص المالية تكون هي الملحوظة أساسا وغالبا وذمته المالية هي التي يتم معها التعامل ، وقد يحدث ذلك دون أى اتصال شخصي بين التعامل والمصرف ، وانما بمجرد تبادل الأوراق والمستندات والتوقيعات وما الى ذلك ٠

ثالثا : في الربا يؤخذ الدين أضعافا مضاعفة في آجال قريبة ، أما نظام الفوائد على الديون فالفائدة محددة :

في الربا يستغل شخص حاجة شخص آخر الى طعام أو مأكولات أو ما شابه ليضاعف عليه الدين ، وقد تستمر المضاعفة عندما يسأل الدائن المدين أتقضى أم تربى هل تفي بالدين أم تزيده الى أجل معين ؟ واذا كان المدين يستسهل التأجيل عادة فان الدين كان يتضاعف أضعافا مضاعفة في أجل أو آجال قريبة ، ولذلك فقد جاء في القرآن الكريم : (**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة**) سورة آل عمران ، فالربا استغلال شخص لحاجة شخص يضاعف عليه فيه الربا أضعافا مضاعفة حتى ليعجز عن السداد ، فتكون الطامة ، أما نظام الفوائد على الدين فالفوائد فيه محددة بالقانون بحيث لا يمكن أن تزيد عما قدره

القانون والا كانت جريمة يعاقب عليها قانون العقوبات مع انزال الفائدة الى الحد المقرر قانونا ، وفى مثل هذا النظام لا يتضاعف الدين ، وانما يصل الى ضعفه بعد عشرين سنة ان كانت الفائدة ٥٪ وبعد ١٠ سنوات ان كانت الفائدة ١٠٪ ، وهى فترة تحدث فيها من المتغيرات فى أسعار العملة وظروف الحياة ما لا يجعل الضعف شيئا له قيمة بالقياس الى طول المدة خاصة مع ما هو ملحوظ ـ فى العصر الحالى ـ من ازدياد التضخم العالمى بما يعنى نقص قيمة النقود أو القدرة الشرائية لها دائما مما أدى فى بعض الحالات الى أن تنقص قيمة الدين فى فترة وجيزة الى الربع أو الى النصف ٠

ويضاف الى ذلك أن صاحب المال يقتضى ـ فى العصر الحالى ـ أرباحا أزيد بكثير من النسبة القانونية للفوائد فيما لو وضعها فى أحد الأوعية الادخارية أو استثمرها بأى طريقة كانت بنفسه أو عن طريق مصرف أو شركة ٠

وفى ظروف القرية أو مجتمع المدينة يمكن معرفة حاجة شخص ما بل ومدى ملاءمة كل فرد ، أما فى العصر الحالى وفى مجتمع الدولة ـ بل فى المجتمع العالمى ـ فانه لا يمكن تتبع كل شخص ومعرفة مدى ملاءمته ومقدار حاجته الا لمن له معرفة تامة بأحواله وتداخلت الحاجات مع حاجة ، الترفيات ولم يعد من السهل وضع حاجز بينهما ، فالسيارة قد تكون ترفا وكذلك الثلاجة والتليفزيون وما شابههما ، واذا قيل لشخص ان ذلك ترف فقد يحتج بأنه فى الظروف المعاصرة حاجة ، وقد يكون محقا ٠ كذلك فانه أصبح من الصعب تحديد اقامة الذمة المالية لشخص وما اذا كانت دائنة أم مدينة قبل اجراء فحوص لكثير من الأوراق والحسابات، ربما فى بلدان عدة ٠ وبعض الناس هو فى الحقيقة بالحساب مفلس بينما هو بالائتمان وغيره موسر جدا ، وهكذا فالدولار الأمريكى ـ على سبيل المثال ـ له قدرة شرائية عالية عالميا ـ فى الوقت الحالى ، مع أن ميزان المدفوعات الأمريكى به عجز ٢٠٠ مليار دولار ويدل هذا على أن فكرة اليسر والعسر قد تغيرت فى الزمن الحالى وأصبحت ذات مدلول آخر ٠

وعندما يقترض شخص لشراء سلع استهلاكية معمرة كالسيارة والثلاجة وما شابه ، وهو الحال فى أغلب القروض للأشخاص ، فانه من الصعب أن يقال انه فى حاجة ، وأنه قد حدث استغلال لحاجته ، وعندما يقترض شخص أو شركة أو هيئة للتجارة أى للاستغلال فان ذلك على اليقين ليس شكلا من أشكال الحاجة ٠ ان المشرع يضع سن الواحدة والعشرين كقرينة على بلوغ سن الرشد المالى لصعوبة تتبع حالة كل فرد على حدة وهو يضع نسب الفائدة كقرينة على أنها تعويض للدائن لا تعتبر استغلالا للمدين بحال ٠

وفى الظروف المعاصرة ومع تشعب الاجراءات القضائية وطولها فان الدائن يكون هو المضحى فى علاقة المديونية ، وهو الطرف الذى ينبغى حمايته لما هو ملاحظ من صعوبة حصوله على ماله الا بعد الالتجاء الى اجراءات قضائية تكلفه مالا ووقتا وجهدا ، وقد لا يستطيع بعدها التنفيذ للحصول على ماله ، وليس غريبا فى مثل هذه الظروف أن يقال (ان المدين أقوى من الدائن)

رابعا : التنفيذ فى الربا يقطع على شخص المدين باسترقاقه أما فى نظام الفوائد فيتم على المال فقط دون الشخص :

فى الجاهلية وفى صدر الاسلام كانت القاعدة بيع من أعسر للوفاء بدينه ، فاما أن يسترقه الدائن أو يبيعه الى آخر ، ويستوفى ثمنه ، وقد قال بعض العلماء ان هذا الحكم قد نسخ لما نزلت الآية : **(وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون)** سورة البقرة ٠ غير أن ذلك اجتهاد منهم فحسب ، لانه قيل فى أسباب نزول هذه الآية انها نزلت بسبب مديونية بنى المغيرة المخزوميين لقبيلة ثقيف ، وفى حالة مديونية قبيلة لقبيلة فان الحكم بالاسترقاق يكون صعبا هذا فضلا عن أن الدائنين فى هذه الحالة قبلوا حكم القرآن وارتضوا رؤوس أموالهم ولم يطلبوا التنفيذ على أشخاص مدينيهم ليصدر عن النبى حكم يعتبر أنه نسخ للقاعدة التى كانت سائدة والتى روى أنه صلى الله عليه وسلم طبقها بالتنفيذ على شخص المدين الحر وبيعه رقيقا للوفاء بدينه ٠

أما فى العصر الحالى فلا يجوز التنفيذ على شخص المدين أبدا ، وانما يتم التنفيذ على ماله فقط ، وفى ذلك من المخاطر ما أشرنا اليه من قبل ، فالقرآن حين حظر الربا حظر نظاما يؤدى بأغلب المدينين الى الرق نتيجة استغلال حاجتهم ومضاعفة الدين عليهم أضعافا مضاعفة ثم التنفيذ على أشخاصهم بالبيع عند العجز عن الوفاء وهو أمر شبه متيقن فى مثل هذه الحالات ٠

أما نظام الفوائد على الديون فهو نظام يختلف عن الربا من كل جانب على ما سلف البيان فمع أن القرآن ينص على أنه **(وأحل الله البيع وحرم الربا)** فليس كل بيع حلالا وكل فائدة ربا وان الله سبحانه لم يفصل المقصود بالبيع والمقصود بالربا ليترك للناس الحق فى بيان ذلك تبعا لظروف أوقاتهم ومجتمعاتهم وبغير أن يتعللوا بالحرف أو يتمسكوا بالشكل ٠

أما بالنسبة لعقد التأمين :

فلم يتضمن القرآن آية ولم تتضمن السنة النبوية أى حديث مباشر عن عقد التأمين ذلك لان هذا العقد لم يكن معروفا وقت التنزيل ولا فى حياة النبى ، وانما أسفرت عنه الظروف الاقتصادية التى جدت بعد عصر النهضة الصناعية ، ويرى بعض الفقهاء أن عقد التأمين محظور اسلاميا لانه من عقود الغرر (أى عقود الخطر) اذ هو مقامرة تلحق ضررا بأحد الأطراف ، فالمستأمن لا يعرف كم قسطا سوف يدفع ، والمؤمن لديه لا يعرف متى سيحل أجل سداد التأمين والمؤمن له (المستفيد) لا يعرف متى سوف يستحق هذه القيمة أى أن كل الأطراف على جهل بوقائع تنفيذ العقد التى تحدث تبعا لأمور خارجة عن ارادتهم (فى الغالب) ومن ثم فهم يقامرون والمقامرة مأمور باجتنابها من القرآن تبعا للآية الكريمة (**انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه**) ، سورة المائدة .

غير أن هـذا التعليل لا يصمد للتحليل ، فلا يوجد فى الاسـلام محظورات بذاتها انما ترتبط الأحكام بالعلل ، ويدور الحكم مع العلة وجودا وعدما ، وعلة حظر عقد التأمين أنه عقد غرر أو خطر أو مقامرة يلحق ضررا بأحد أطرافه ، وواقع الحال أن عقد التأمين نشأ نتيجة تطورات اقتصادية كثيرة ، وهو لا يلحق أى ضرر بأى طرف من أطرافه ، فلا المستأمن يضار ولا المؤمن لديه يصيبه عنت ولا المستفيد (المؤمن له) يخسر شيئا ، انه عقد يكسب كل أطرافه منه كأثر للتطورات الاقتصادية التى أدت الى هذه النتيجة التى لا يدركها من يتصور أنه عقد يلحق ضررا بأحد أطرافه ، واذا كان الواقع أبدى من النظريات المجردة فان هذا الواقع يشهد بأن نظرية الضرر من عقد التأمين فى غير محلها ، ولا أساس لها على الاطلاق ، ويلاحظ أن كل معاشات التقاعد التى تصرف للعاملين ومنهم رجال الفقه الاسلامى وشاغلو المناصب فى المؤسسات الدينية هذه المعاشات هى فى واقع الأمر عقود تأمين ، لان من يدفع أقساط المعاش لا يعرف كم قسطا سوف يدفع والمؤمن لديه (حكومة أو هيئة) لا تعرف متى سوف تحل أقساط المعاش ولمن سوف تدفعها للعامل أم لورثته والى متى ستظل تدفع .

فالقول بتحريم عقد التأمين وهو قول محل نظر كبير يلحق بالمعاشات كذلك ويرى أن يحظرها جميعا ليترك الناس كما كانوا عليه قبل تقريرها وتعميمها ضياعا بلا موارد ولا أمان ويجعل الموت أو العجز مأساة لا يخفف منها تكافل اجتماعى فى صورة عقد للتأمين يفيد الجميع ولا يلحق ضررا بأحد .

حوار مع المثقفين

حجـــاب المرأة :

وقد دار حوار بين الحاضرين انتهى الى أن ستر المرأة يكون بثلاث طرق أولها الخمار وهو الزى الذى يغطى رأس المرأة فقط وشعرها وثانيها الحجاب وهو الذى يرتدينه معظم النساء الآن ويخفى رأس المرأة وشعرها ولا يظهر الا وجهها وكفيها ٠

والحجاب فريضـــة فقد جاء فى الآية (٣١) من ســـورة النور (**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصـــارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن**) أى المقصود بهذه الآية أن تسدل المرأة خمارها الذى يغطى رأسها الى صدرها حتى لا يظهر للعامة ، ثم جاء فى الآية (٥٩) من سورة الأحزاب (**يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما**) وقد جاء فى تفسير القرطبى أن النساء شكونا للنبى (ﷺ) من أنهن أثناء خروجهن لقضاء الحاجة خارج المساكن كن يتعرضن لايذاء بعض الفجار لعدم معرفة الحرائر من الجوارى وأن فرض هذا الزى كان بغرض التفرقة بينهن حتى أن عمر بن الخطاب كان اذا رأى جارية تقنعت ضربها بالدرة محافظة على زى الحرائر ٠

ويتبين من ذلك أن الحكم يدور مع العلة ويزول بزوالهـــا ولا محل الآن للتفريق بين الحرائر والجوارى وبالتالى يزول الحكم بزوال العلة ٠٠ والثالث وهو النقاب وقد شرح فى كتاب « أصـــل النقاب » للدكتـــور الفنجرى أن علم الاجتماع وأصل التاريخ يقرر أن النقاب عادة قديمة جدا تعود الى ما قبل ظهور الديانات وقد ظهر فى عصر الأشوريين والبابليين والفرس ولم يكن النقاب مقصورا على النساء بل كان الفرسان من الرجال فى الجاهلية يلبســـونه وحتى الآن فى قبـــائل الشـــمال الافريقى يستعملونه ؛

وعندما جاء الاسلام كان النقاب معـروفا فى جزيرة العـــرب ولكن الاسلام لم يأمر به ولم يجعله فرضا ولم تلبس المرأة المسلمة النقاب فى

عهد الرسول (ﷺ) وخلفائه ولا فى العصر الأموى أو العباسى - ولم يظهر النقاب الا مع بداية انهيار الدولة الاسلامية وظهور المماليك ·

وعندما جاء حكم الأتراك العثمانيين كان من تقاليدهم حبس المرأة فى الحرملك وكان الحكام يبطشون بمن يخالف تقاليدهم وأصدر السلطان « سليمان بن سليم » فى سنة ١٥١٧ فرمانا قرر فيه أن كل امرأة تسير كاشفة وجهها فى الطريق بغير نقاب تعاقب بقص شعرها بالموسى وتمتطى حمارا بالمقلوب تسير به فى الطرقات ·

اللحيـــة :

وناقش الحاضرون موضوع الالتزام بتربية اللحى للمسلم مصـــداقا لقول الرســول (ﷺ) : « أعفوا اللحى وهــذبوا الشارب » ·· وحــدد المسلمون والمفسرون اطلاق اللحية بألا تزيد على قبضة اليد تحت الذقن وقد استقر الرأى على أن هذا الحديث ليس أمرا أو فرضا وأن اللحية ليست علامة اسلامية اطلاقا فهى تنسب الى مرحلة تاريخية فى حياة العالم كله وليست بنت دين معين ولا الدين الاسلامى ·· وحتى أول القرن الحالى كان اطلاق الرجل للحيته هو الأســـاس وكان النبى « ﷺ » وخلفـــاؤه والمسلمون يطلقون لحاهم ويحاربون الأكاسرة والرومان والبيزنطيين الذين كانوا يطلقون لحاهم أيضا حيث كانت اللحية للجميع وكان صلاح الدين الأيوبى ومن معه يطلقون لحاهم والصليبيون الذين يحاربوهم يطلقون لحاهم وكل الأباطرة والملوك وزعماء العالم من الصين الى أوربا ورجـــال الديــن والشيوعيين مثل كارل ماركس ، ولينين وحتى القرن التاسع عشر كانوا يطلقون لحاهم ثم بدأ عهد اللحى ينقرض مع بزوغ القرن التاسع عشر وبقيت اللحية رمزا لرجال الدين فقط وان كانت تعرضت للتهذيب دون الزام أحد بها لأنها ليست بنت عقيدة أو دين معين وانما كان المقصود بها عموما رمز الفضيلة والوقار ·

وقد دعت الحضارة الحالية الى حلاقتها والتخلص منها ليكون الشخص مقبول الشكل مهندما ، وما تربيتها الآن الا لغرض كأصـــحاب شركات توظيف الأموال للتستر بها لاخفــاء نواياهم الخبيثة لاستغلال الأفــراد والتغرير بهم باسم الدين ·

أولا : آية الحجاب : الحجاب هو الستر ويحجب أى يستر والآية التى جاءت عن حجاب النساء تتعلق بزوجات النبى (ﷺ) وحدهن وتعنى وضع ساتر بينهم وبين المسلمين ·

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فأدخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا ، أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما » · (آية ٥٣ ــ الأحزاب)

وهذه الآية تتناول ثلاثة أوضاع :

أولها : ستصرف المؤمنين عندما يدعون الى طعام عند النبى (ﷺ) حيث كانت زوجة النبى (ﷺ) زينب بنت جحش تولى وجهها الى الحائط مما كان يثقل على النبى (ﷺ) ·

ثانيها : أن عمر بن الخطاب قال للنبى (ﷺ) أن نساءك يدخلن عليهن البر والفاجر فلو أمرتهم أن يحتجبن ثم نزلت الآية السابقة ·

ثالثها : أن الآية نهت عن عدم الزواج بزوجات النبى (ﷺ) بعد وفاته وهذا الحجاب أو الساتر ، الذى أشارت اليه الآية خاصة بالستر بين زوجات النبى (ﷺ) وبين المؤمنين بحيث أن حدث كلام بينهم أن يكون ذلك وبينهما سترا فلا يرى أى منهما آخر وهذا الحجاب قصد به النبى (ﷺ) زوجاته فقط ولا يمتد الى ما ملكت ايمانهم كالجوارى ولا الى باقى المؤمنات ·

ويروى أنس بن مالك أن النبى (ﷺ) وهو فى خيبر تزوج من صفية بنت حيبى فقال المؤمنون أن حجبها يعنى أنها من أمهات المؤمنين (أى من زوجاته) وأن لم يحجبها فهى ممن ملكت يمينه (أى من الجوارى) فلما ارتحل فرض عليها الحجاب فقال المؤمنون انها زوجة له ومن أمهات المؤمنين ·

ثانيا : آية الخمار : وهى :

(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصــارهن ويحفظن فروجهن ولا يبــدين زينتهن الا ما ظهــر منهــا وليضربن بخمرهن على جيوبهن) (آية ٣١ النور) ٠

وسبب نزول هذه الآية هو أن النســاء فى زمن النبى (ﷺ) كن يغطين رءوسهن بالخمار ويسدلانه من وراء الظهر فيبقى أعلى الصدر والعنق ولا ساتر لهما فأمرت الآية المؤمنات بأن يسدلا الخمار على الجيوب فتضرب الواحدة منهن بخمارها على جيبها أى جلبابها لستر صدرها وكان هذا اللباس للتميز بين المؤمنات وبين غيرهن من النساء فالعلة هنا كانت تعديل عرفى سائر بينهم تابع للوقت الذى كانت فيه عادات معينة تختلف عن عادتنا الآن كما كان الحديث الخاص بالرجـال (أحفوا الشــوارب وأطلقوا اللحى) مقصـودا به التميز بين المؤمنين وغيرهم الذين كانـوا يطلقون الشوارب ويحفون اللحى وهذا توجيه وقتى خاص بزمن وظروف خاصة لا وجود لها الآن ٠

ثالثا : آية الجلاليب : وهى :

(يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونســاء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين)
(آية ٥٩ الأحزاب)

وكان سبب نزول الآية خروج المؤمنات لقضاء الحاجة بالصــحراء فكن يتعرضن لمعاكسات بعض الفجار فكان القصد هو أدناء المؤمنــات لجلابيبهن حتى يميزوا عن غير المؤمنات فلا يتعرضن للمعاكسات ٠

ولا شك أن المقصود بالجلاليب هو الثوب الذى يستر جميع البدن غير الخمار والحجاب حتى أن عمر بن الخطاب عندما رأى احدى الجوارى تدنى جلبابهـا ضربها بالعصى قاصدا المحافظة على زى المؤمنات وقد قرر بعض العلماء أن هذا الزى فرض فى هذا الوقت للتميز بين نساء المؤمنات والجوارى والذى لا مبرر له الآن لانعدام الجوارى واختلاف الزى ويظهر من تعدد الحكم فى الآيات السابقة أنها قصدت ظرفا معينا وزمنا محددا فكانت الآية تخص كل حالة بحالتها وأن هذه الحالات انتفت الآن فلا مبرر للتمسك بهذه الأزياء بعد فوات هذه الأجيال المتعاقبة ٠

رابعا : الأحاديث :

يروى عن عائشة أن النبى (ﷺ) قال (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر اذا بلغت أن تظهر الا وجهها ويديها الى ما هنا) وقبض على

نصف الذراع كما روى عن عائشة أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على النبى (ﷺ) فقال لها (يا أسماء ان المرأة ، اذا بلغت المحيض لا يصلح أن يرى لها الا هذا) أشار الى وجهه وكفيه ويلاحظ على هذين الحديثين أنهما من أحاديث الاحاد للاسترشاد وأنهما لا ينشئان ولا يلغيان حكما شرعيا ـ ويلاحظ أن الحديثين متناقضان فالأول جاء بالسماح لنصف الذراع بينما الثانى حدد الوجه والكفين فقط كما أن الأول جاء بصيغة الحلال والحرام بينما الثانى بصيغة الصلاح والفرق كبير بين الاثنين ذلك أن الحلال والحرام يدخل فى نطاق الحكم الشرعى فى حين أن الصلاح يتعلق بالأفضل والأصلح فى ظروف اجتماعية معينة ومع هذا الاختلاف البين بين الحديثين فانهما يثيران مسألة وقتية الأحكام أى توقيت الحكم فى حديث شريف معين لوقت بذاته وعصر محدد حتى أن بعض الفقهاء يرى أن ما صدر عن النبى (ﷺ) من تشريعات يفيد أنه تشريع زمنى روعى فيه ظروف العصر فقد يأمر النبى (ﷺ) بالشىء أو ينهى عنه فى حالة خاصة لسبب خاص ففهم الناس أنه حكم مؤبد بينما هو فى الحقيقة حكم وقتى وقد كان لعدم الفصل بين النوعية من الأحكام المؤبدة والأحكام المؤقتة أثر كبير فى الخلاف بين الفقهاء وليس أدل على ذلك بما ورد فى القرآن الكريم من الغاء بعض الآيات أو تعديلها طبقا للظروف والملابسات كاباحة الخمر ثم تحريمها وجلد الزانى ثم رجمه ... الخ .

فالأحكام تختلف من عصر الى عصر ومن ظرف الى ظرف ولا يمكن مع الحضارة وسريان الأجيال أن تكون الأحكام الصادرة منذ آلاف السنين مؤبدة غير قابلة للتعديل أو التغيير .

ان الحجاب الحقيقى هو منع الناس عن الشهوات وحجب الذات عن الآثام دون أن يرتبط ذلك بزى معين أو لباس خاص غير أن الاحتشام وعدم التبرج فى اللباس والمظهر أمر مطلوب يقره كل عاقل وتتمسك به أى عفيفة .

رد فضيلة المفتى على الرأى السابق .

وقد رد فضيلة المفتى على ما جاء بالفرض الأول بأن الساتر والحجاب خاصا الى زوجات النبى (ﷺ) فقط قرر أن قوله تعالى (**ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن**) يعنى أن الحجاب والستر غير مختص بزوجات النبى (ﷺ) فقط وانما يعم جميع المؤمنات .

وعن الخمار فقد قال تعالى :

(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن) .

فأمرت الآية بستر العنق والصدر - وقرر أن جملة (ولا يبدين زينتهن ألا ما ظهر منها) تقصد بها أن المؤمنات لا يبدين زينتهن الا الوجه والكفين كما شرعها النبى (ﷺ) عدة مرات للمؤمنات أسماء بنت أبى بكر حيث أن هذه الآية السابقة ذكرها هى احدى الآيات على التستر والاحتشام وفى النهى عن ابداء أى شيء من الزينة سوى الوجه والكفين .

ويتناول فضيلة المفتى آية الجلاليب فقال انها نزلت لتضع فرقا بين الحرائر والاماء ولتميز بينهم فلا يتعرضن الحرائر للايذاء . .

وأنه اذا قيل بزوال هذا الحكم لانتفاء العلة يكون هذا خطأ لأن هذه الآية توجه النبى (ﷺ) بأن يأمر زوجاته وبناته والمؤمنات بالتستر والاحتشام لأن ذلك أدعى لصيانتهم من أعين الفجار والمنافقين .

أما عن أحاديث السيدة عائشة التى قيل عنها أنها من أحاديث آحاد التى لاتفرض حكما شرعيا ولكنها للاسترشاد .

فقد قرر فضيلة المفتى انها حجة ويجب العمل بها كما نصت على ذلك كتب التفسير .

وقد تناولت المحكمة الدستورية العليا قضية حظر ارتداء النقاب فى مدارس البنات طبقا لتعليمات وزير التعليم وقال انه لم يرد فى القرآن الكريم أو السنة النبوية دليل شرعى على ارتداء النقاب وأن المرأة كانت تتجمل بارتداء النقاب وأنه ليس أداة لصون المرأة وعفافها بل هو أداة اغراء وفتنة وأن الدين الاسلامى قد حض على ارتداء المرأة للجلباب والخمار فقط وقد حظر الرسول (ﷺ) النقاب على المرأة المحرمة فى الحج والعمرة وقال (لاتنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين) وقال باباحة ظهور وجه المرأة وكفيها . (الأخبار ١٩٩٦/٢/٦ م) .

هيئة المفوضين بالدستورية العليا :

لا دليل بالقرآن والسنة لارتداء النقاب

تنظيم الزى المدرسى يتفق مع الشريعة والدستور

كتب محمد حسن البنا :

تنظر المحكمة الدستورية العليا برئاسة المستشار الدكتور عوض المر قضية حظر ارتداء النقاب بالمدارس ٠٠ قررت هيئة مفوضى المحكمة حق وزير التعليم فى تنظيم الزى المدرسى ، وأكدت عدم وجـود دليـل شرعى للنقاب ٠٠ وقالت انه لم يذكر فى القـرآن الكريم أو السـنة النبوية المطهرة ٠

قال التقرير الذى أعده المستشار رجب عبد الحكيم سليم ٠٠ ان النقاب طراز من الملابس كانت تتجمل به بعض النسـاء الحرائر فى الجاهلية ٠٠ واستمر الأمر على ذلك بعد الاسلام ٠٠ ولم يحض عليـه الرسول صلى الله عليه وسلم ٠٠ ولو كان أداة تصون وتعفف ووسيلة لحفظ حياء المرأة ، كما يدعى البعض ، لاختاره الرسول صلى الله عليه وسلم لنسائه وهن أولى بالصون والعفاف والحياء ٠ ولاختـارته الصحابيـات لأنفسهن ، وهن أهل للصون والعفاف كذلك ، وأضاف التقرير ان الاسلام نص ــ فقط ــ على الجلباب والخمار ٠٠ كما ان الفقهاء قرروا كراهيـة النقاب وقت الصلاة ٠٠ وقد حظره الرسول على المرأة المحرمة فى الحج والعمرة حيث قال صلى الله عليه وسـلم « لا تنتقب المحـرمة ولا تلبس القفازين » ٠

وأكد التقرير ان قرار د ٠ حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم يتفق مع أحكام الدستور ولا يخالف الشريعة الاسلامية ٠ وانه يحقق الصالح العام وحسن تسيير أمور العباد وادارة مرفق التعليم دون مسـاس بأمر الله تعالى بالالزام بستر الجسد فيما عدا الوجه والكفين ٠ كما لا يمس القرار حرية العقيدة أو الحرية الشخصية ٠

وانتهى التقرير الى ان النقاب ليس تجمل وترفه وقد يكون فيه فتنة ٠ حيث ان التجمل كما يكون بالكشف يكون بالستر ٠٠ وقد يكون ما يظهره النقاب (العينان) أجمل مما يخفيه ٠٠ خاصة اذا كانت العينان يزينهما الكحل ٠

المراجـــع

١ - القرآن الكريم والتفسيرات ·

٢ - الأحاديث النبوية الشريفة ·

٣ - صحيح مسلم ·

٤ - صحيح بخـارى ·

٥ - رياض الصالحين - الامام زكريا يحيى بن شرف المؤدى ·

٦ - تاريخ الاسلام - دكتور/ حســن ابراهيـم ·

٧ - فى نزول القرآن - دكتور/ محمد خليفة ·

٨ - الفتنة الكبرى - دكتور/ طه حسين ·

٩ - عبقرية عمر - دكتور/ طه حسين ·

١٠ - عبقرية محمد - دكتور/ طه حسين ·

١١ - الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة - عبد الله الأمين ·

١٢ - ملفات قضية التكفير والهجرة ٧٧/٦ أمن الدولة ·

١٣ - ملف قضية الجهاد ٧٤/٢٦٨٧ أمن الدولة ·

١٤ - ملف قضية اغتيال السادات ١٦٢ لسنة ١٩٨٢ ·

الفهـــــرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٧/٣٢٤٨

ISBN — 977 — 01 — 5118 — 1

هذا الكتاب يحتوى على فكر المسلمين المتطرفين منذ بداية ظهور الإسلام وعلى مدى الأجيال اللاحقة حتى العصر الحديث ويعتبر سجلا تاريخيا لجميع هذه الأحداث..

تصميم الغلاف: صبرى عبد الواحد

الثمن ٩٠٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب